

١٣٩. حق الشعب الفلسطيني بأرضه والعودة إليها إنطلاقاً من شرعة حقوق الإنسان وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها ، صلاح الدين الدباغ .
١٥٤. الاعلام العربي واجتياح الحصار الاعلامي الاميركي - الصهيوني في اميركا ، دور التنظيمات العربية والفلسطينية بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، الدكتور ابراهيم ابو لغد .
١٦٦. صدى الرصاصية الاولى ، شفيق الحوت .
١٧٣. الخروج من دائرة الخطر ، الدكتور كلوفيس مقصود .
١٧٩. مركز الابحاث : عشرة أعوام من التجربة ، الدكتور انيس صايخ .
١٨٩. علاقة المشكلة الفلسطينية بالتجزئة وبالصراع الاساسي في المنطية العربية ، هاني مندى .
٢٠٨. عشر سنوات من الصراع بين الحكم الاردني ومنظمة التحرير الفلسطينية، عيسى الشعبي .
٢١٩. النفط العربي وقضية فلسطين : علاقة جدلية ، يوسف عبدالله صايخ .
٢٢٩. سلاح النفط : من الشعار الى الواقع ، الدكتور عودة ابو ردينة .
٢٣٧. عشرة أعوام من عمر الكفاح المسلح الفلسطيني ، المقدم الهيثم الايوبي .

- ٢٥٦ ميزان القوى العربي الاسرائيلي في عشر سنوات ١٩٦٥ - ١٩٧٥ ،
محمود عزمي .
- ٢٧٦ النظرة الاسرائيلية للشعب الفلسطيني بعد عشر سنوات من الثورة ،
صبري جريس .
- ٢٨١ الكفاح الفلسطيني وعلاقات اسرائيل الدولية ، الدكتور محمد الحلاج .
- ٢٨٨ التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي ١٩٦٥ - ١٩٧٥ ، سهيل الناطور .
- ٣٠٥ الاقتصاد الاسرائيلي في عشر سنوات : منجزات جزئية وخيبات أمل
مستمرة ، الدكتور يونسف شيل .
- ٣١٣ الرساميل الاجنبية والمناطق المحتلة : عاملان حيويان في الاقتصاد
الاسرائيلي ، انطوان منصور .
- ٣٢٣ تلك صورتها ... وهذا انتحار العاشق ، محمود درويش .
- ٣٥٠ دليله (الى فتح في العيد العاشر لانطلاقها المسلحة) ، صخر .
- ٣٦٣ عالم الدلالات في الشعر الفلسطيني ، الياس خوري .
- ٣٨٦ الفن هو ايضا طريق للتحرر ، منى السعودي .
- ٣٨٩ السينما وقضية فلسطين ، وليد شميظ .
- ٣٩٥ ملصقات الثورة الفلسطينية ، زاهي نجيب خوري .

- ٣٩٩ ملاحظات إحصائية : الشعب الفلسطيني ، ارقام ومؤشرات ، جاكين
فرهود جريصاتي .
- ٤٣٢ المخيم الفلسطيني في ظل الثورة ، باسم سرحان .
- ٤٤١ الاثبالي وعبور الحلم الفلسطيني ، علي زين العابدين الحسيني .
- ٤٥١ واقع وآفاق عمل المنظمات الجماهيرية الفلسطينية ، نبيل أيوب بدران
وعدنان عبد الرحيم .
- ٤٦٨ تاريخ حركة النضال الفلسطيني خلال فترة الإنتداب ، الدكتورة خيرية
قاسمية .
- ٤٨٤ صحافة المقاومة في عشر سنوات ١٩٦٥ - ١٩٧٥ ، غازي الخليلي .
- ٥١٥ منظمة التحرير الفلسطينية في عشر سنوات ، راشد حميد .
- ٥٣٢ تقريران : [١] الثورة والطفل الفلسطيني ، نبيلة سلباق برير ،
[٢] الهلال الاحمر الفلسطيني : نظرة في نشاطاته ، اسعد الحموري .
- ٥٤٦ أوروبا الغربية والقضية الفلسطينية ١٩٦٥ - ١٩٧٥ ، الدكتور عدنان
العمد .
- ٥٥٦ المقاومة الفلسطينية في الصحافة الفرنسية (١٩٦٥ - ١٩٧٥) ، الدكتور
فيصل دراج .
- ٥٧٣ الاتحاد السوفياتي والثورة الفلسطينية (١٩٦٥ حتى ١٩٧٥) ، رفعت
أبو عون .

شؤون فلسطينية

عيد فتح هو عيد فلسطين . وهو عيد الثائر العربي ، والثائر في كل مكان . عيد صاحب الحق الذي يرفض ان يرضخ للظلم .

لكننا لا نعيد لنبتهج . فالبهجة الكاملة لا تصح الا عند النصر الكامل ، وهو لا يزال بعيدا . ولا نعيد لنتباهي لان النضال واجب وليس اريحية نتصدق ، ونتشدد ، بها . ولا نعيد لنتراح لان لا راحة قط لحاملي اثقال قضيتهم .

نحن نعيد لتتذكر ، ولنتعلم ، ولنتأمل ، ولنستعد .

نتذكر كفاح الاعوام العشرة التي لم تنته . كيف سرنا فيها ، نحن الشعب الفلسطيني مع فتح وبقيادة فتح ، من موقع الى موقع ، وسقطنا وقمنا ، وعثرنا وقفزنا ، وضربنا وضربنا ، ووصلنا في النهاية الى مواقع اكثر تقدما واكثر خطورة .

ونتعلم من انفسنا وخبرتنا ، بعد ان درسنا تجارب غيرنا من رواد الكفاح المسلح بين الشعوب الاخرى . ونصحح ونعدّل في اوضاعنا وفي نظراتنا وفق ثقافتنا العملية المكتسبة بالتجربة .

ونتأمل في الطريق الطويل الممتد الى قلب فلسطين ، ليشمل جميع فلسطين ، ننبؤه اننا قادمون ، ومنتصرون .

ونستعد . فالذكريات للاستعداد . والتعلم للاستعداد . والتأمل للاستعداد . نستعد ، بالتدريب وبالشحذ وبالليقظة . نستعد لان تكون الاشواط القادمة اكثر قسوة واكرم بدلا حتى تصبح نهايتها اوفر ثمرا واجزل منالا .

هذا هو عيدنا ، عيد فتح — عيد فلسطين ، عيد الثائر أينما كان .

الانسان يولد مرة واحدة . ومرة واحدة يموت . اما الشعوب فانها لا تولد ولا تموت . ولكنها تغفو وتنبعث ، مرات ومرات . وفي مطلع ١٩٦٥ حصل انبعاث جديد للشعب الفلسطيني . وفي عشر سنوات فقط بلغ سن الرجولة ، وأصبح ، نتيجة النضال والتصميم ،

قوة مشرقة لافعالها ولحركاتها دوي واصداء في اربع زوايا الارض .
 وأصبح مفعول هذا المارد الفلسطيني على طرف نقيض مع المعطيات
 الطبيعية للشعب الفلسطيني — من حيث حجمه الصغير بملايينه
 الثلاثة ، وتشتته الجغرافي خارج أرضه ، ومعاناته المأساوية
 ومصائبه وهمومه الكثيرة .

واذ يحاول المرء ، في هذا العدد الخاص من مجلة شـؤون
 فلسطينية ، ان يؤرخ لهذه السنوات العشر وان يقيّمها ، يتعرض
 لتجاذب من جهتين : فهو ، من الناحية الاولى ، وبحكم انتمائه الكامل
 للثورة والتزامه بأهدافها ومشاركته في مسيرتها ، وبحكم موقعه
 الفكري والضميري والمسؤول في أحد خنادقها ، عرضة للجنوح نحو
 تناول الموضوع بعواطفه وبتمنياته ونحو الارتياح بالجانب المشرق
 والاقتصار على المنجزات البارزة . وهو ، من الناحية المقابلة ، وبحكم
 عقلانيته وتربيته ومفاهيمه وممارساته الجامعية والعلمية ، ميّال
 الى سلوك النقد والحذر والحاسية الجافة . والواقع ان المعالجة
 بالامنيات تنفع ، الى حد ، لانها تدفع نحو التضحية والتحمل ومواصلة
 المسيرة ، كما ان المعالجة بالحذر تنفع ، الى حد أيضا ، لانها تدفع
 نحو النظر البعيد وتفتح المجال امام التقويم الحكيم . الا ان ايا من
 هذين الطرفين يجب الا يغالى به ويجب الا يكتفى به على حساب
 الآخر .

ولذلك كانت الخطة التي وضعناها لهذا العدد الخاص من مجلتنا ،
 المعني بما حفلت به الاعوام العشرة من أحداث وما أدت اليه من
 نتائج ، ان نتناول هذه الاحداث والنتائج ، على الاصعدة الفلسطينية
 والعربية والاسرائيلية والعالمية ، دون ان تشط في أي من المنحين
 آنفي الذكر : فلا نبالغ في وصف المنجزات وكأن الهدف قد تحقق
 وعادت فلسطين لاهلها ، ولا نبالغ في ابراز المصاعب والعقبات وكأن
 نور الامل بالنصر قد خبا . اننا نريد من هذا العدد — الكتاب ان
 يكون سجلا واقعيا وصادقا للآثار وللمؤثرات الرئيسية للثورة
 الفلسطينية في مسيرة السنوات العشر ١٩٦٥ — ١٩٧٥ . لكننا لا
 نزعم اننا نغطي جميع هذه الآثار والمؤثرات . وليس هناك عدد ولا
 كتاب يستطيع ان يطمح الى هذا الشمول التام — مهما تضخبت
 صفحاته وتعددت كتّابه . ثم ان هذا المجلد ما هو الا مجرد عدد خاص
 من مجلة شهرية تنتهي به سنتها الرابعة وتبدأ قريبا سنتها الخامسة .
 مما يعني ان الكثير من المعالجات التي كان يجب ان يتضمنها هذا
 العدد الخاص قد سبق أن نشرت في واحد من الاعداد الأربعة
 السابقة ، وخططنا في المجلة كانت ولا تزال الا نكرر المواضيع نفسها

قدر الامكان . كما ان حجم العدد ، الذي اردناه مزدوجا (لشهري كانون الثاني وشباط معا) ، فاق الحدود المعقولة بحيث اضطررنا ، في اللحظة الاخيرة ، الى تأجيل نشر حوالي مائتي صفحة الى اعداد قادمة . فقد خشينا ان ينفر القارئ من العدد اذا بلغ ثمانئة صفحة ، وحاولنا ان نحصره في ستمئة صفحة (وهي ، بحد ذاتها ، حجم غير معهود) . هذا دون ان نتكلم عن عدد قليل من المواضيع التي كانت ضمن خطة هذا العدد الخاص ، واوكل امر اعدادها الى بعض الاخوان لكنهم تأخروا في كتابتها وتسليمها بحيث ارسلت المواد الى المطبعة قبل ان تكون تلك المقالات جاهزة ، ولعلها تصلح للنشر في اعداد قادمة . فقد حرصنا ان يصدر هذا العدد في موعده المحدد ، شأن كافة الاعداد الاخرى (اليوم الاول من الشهر) ، والا تؤدي ضخامته ، واغلاق المطبعة بسبب الاعياد ، الى تأخيره ولو ليوم واحد . وان كنا دائما نحصر ان نصدر في المواعيد الثابتة المعلنة ، فاننا في هذا الشهر نحصر على ذلك أكثر من أي وقت آخر .

فبينما كان العمل يسير بشكل طبيعي وحثيث في اعداد المجلة وفي كافة نواحي النشاط في مركز الابحاث ، في صباح اليوم العاشر من كانون الاول (ديسمبر) الحالي ، وهو ، بالمناسبة ، اليوم العالمي لحقوق الانسان ، ضرب عملاء اسرائيل مبنى مركز الابحاث بأربعة صواريخ أصابت ثلاثة منها مكتبة المركز اصابت مباشرة وتحول الرابع الى احدى الشقق السكنية في المبنى واصاب غرفة فيها اصابت مباشرة ايضا .

وبالطبع ، لم تكن هذه الضربة هي الاولى من نوعها . فقد تعرض مركزنا لضربتين سابقتين . وقد مهدت اسرائيل لضربتها هذه المرة ، كما فعلت في السابق ، بسلسلة من التهديدات العلنية والمباشرة الرسمية وغير الرسمية ، عبر الاذاعة والصحف والبيانات والتصريحات . وكالمرات السابقة ، اعتبرنا الاجرام الاسرائيلي وساما جديدا يتقلده مركز الابحاث (ومجلة شؤون فلسطينية) ، واستأنفنا العمل . واقول استأنفنا العمل بحذافير الكلمة ، فبعد ساعة من الحادث كان النشاط الطبيعي يعود الى المركز ، وكان لا خسائر ولا حطام ولا دمار . ذلك اننا نؤمن ، جميع العاملين في المركز ، ان الرد الوحيد الذي نملكه في وجه الصواريخ والقنابل واصابع الديناميت هو ان نستمر في العمل ، ان نمضي في تقديم المعلومات الصحيحة ونشرها في العالم عن هذا العدو الذي قد تغفر البشرية له ألف خطيئة ولكنها لن تغفر له هجومه المتعمد على الفكر وعلى المكتبات وعلى الاوراق والوثائق . لقد دفع العزب ، لمدة ثلاثة عشر قرنا ، ثمن

اكذوبة اطلقتها الغرب حسدا وحقدا تزعم انهم احرقوا مكتبة الاسكندرية في اواسط القرن السابع للميلاد ، دفعوا ، من كرامتهم وسمعتهم ، الشيء الكثير وهم من التهمة ابرياء . وعلى اسرائيل ، وهي تغطي هزيمتها وتلملم فضائحها وتعلق دماءها ، ان تدفع غالبا ثمن غارتها المتعمدة على مركز للثقافة والفكر ، يحاربها بالكلمة وبالكتاب وبالحجة والمنطق .

لقد شاعت الصدفة ان يأتي هذا الهجوم ونحن نستعد للذكرى العاشرة لمولد ثورتنا، وهي ايضا الذكرى العاشرة لمولد مركز الابحاث نفسه . ولكن ليس من الصدفة ان يتوافق الهجوم مع المكاسب الرائعة التي حققتها الثورة الفلسطينية في الاشهر الاخيرة ، وعلى رأسها اعتراف الدول بها كحقيقة راسخة والاستماع الى قائدها ، وادانة اسرائيل وجرائمها في عدة مجالات دولية ومن بينها منظمة اليونسكو . وكان اسرائيل ارادت ان ترد على طردها من المؤسسة الثقافية الدولية الكبرى بأن تحرم الشعب الفلسطيني من إحدى مؤسساته الثقافية ، بحرق الكتب وقتل المفكرين .

وقراء شؤون فلسطينية ، وسائر المؤمنين بدور الفكر في معركتنا المصرية الكبرى ، مدعوون للرد معنا على اسرائيل . واننا نرى وسيلتين ليكون الرد عاما وليكون نافعا .

اولاهما ان نبليغ العالم ، كل العالم ، وبكل السبل ، عن هذا العمل البربري . ان وجه اسرائيل الملتخ بالوحل وبالدم وبحطام الكتب يجب ان يظهر في الخارج على حقيقته . وكفى العالم اعتقادا انه وجه للحضارة والتمدن في الشرق المتخلف . وكفاه زعما وتصديقا ان اسرائيل منارة لنا وواحة عطاء في صحراء قاحلة . وكفاه اعجابا وترديدا بما لديها من جامعات ومكتبات واعداد من الكتب والمتقنين يتباهون بكثرتها . وما قيمة ذلك كله ، حتى لو صح وجوده ، ما دام هذا هو المسلك الحقيقي لاسرائيل وهذا هو اسلوب مواجهتها للكتاب وللشعب الفلسطيني . ونحن ، كأفراد وكمواطنين عاديين ، نستطيع ان نعمل الشيء الكثير في فضح اسرائيل ونقل صورتها الحقيقية للعالم: بأن نكتب في الصحف الاجنبية ، ونزودها بالصور والحقائق بدون أية مبالغة ، وبأن نكتب الى أصدقائنا ومعارفنا في الخارج ، والى ابنائنا وجيراننا وأقاربنا المنتشرين في انحاء العالم مهاجرين وطلابا وسياحا وتجارا ، بأن ندعوهم جميعا الى نشر هذه المعلومات بأية طريقة ممكنة .

وثانيتها ان نسهم في بناء مكتبة مركز الابحاث من جديد. لقد بنيت

هذه المكتبة الرائدة ، بالعرق وبالتعب ، في عشر سنوات ، حتى أضحت أكبر مكتبة متخصصة بالشؤون الفلسطينية في البلاد العربية . وبلغ من قوتها انها اخافت العدو فضربها . وحري بنا ان نعيد تعميمها مرة اخرى : بأن نزودها بالكتب ، اية كتب ، في القضية الفلسطينية وعن الشعب الفلسطيني وعن الصهيونية واسرائيل ، سواء كانت بالعربية او بأية لغة اخرى ، وسواء كانت مع الحقيقة او ضدها ، وسواء كانت دراسات او ادبا او فنا ، المهم ان نقدم للمكتبة ما نستطيع تقديمه من منشورات ومطبوعات تعالج المواضيع الفلسطينية . هذا نداء نوجهه الى ضمير قارئ مجلتنا ، اليه هو بالذات ، وليس فقط للحكومات وليس فقط للمسؤولين الرسميين . نريد من قارئنا ان يساعدنا ، اذا كان يشاركنا الايمان بدورنا الخاص في المعركة ، في الرد على اسرائيل بأن تعود المكتبة ، كما كانت ، قوة تهابها اسرائيل وتحسب حسابها .

لقد اتصلت بي سيدة تضررت من القنابل الاسرائيلية بخسائر مادية تزيد على عشرة آلاف ليرة لبنانية قائلة : خذوا العشرة آلاف ليرة التي يراد التعويض بها على خسائري المادية . فأنا استطيع ان أعيش بدون غرفة طعام فخمة وأقدم الماء في كؤوس من الزجاج بدل الكرستال . أما انتم فلا تستطيعون ان تعملوا بدون مكتبة . خذوا المبلغ واشتروا به كتباً .

انها مواطنة فاضلة ، ولكن لا يمكن ان تكون هي المواطن الوحيد الذي يقدر أهمية الكتاب لمركز الابحاث . ولعلنا نستطيع ان نكتب ، في افتتاحية مطلع العام القادم من شؤون فلسطينية ، اننا قد اوصلنا المكتبة الى حيث كانت عليه ، بفضلك انت ، قارئ شؤون فلسطينية ان كنت انت ، بالذات ، تشارك تلك السيدة رأيها ، وشكرا منذ الآن .

انيس صايغ

رسالة أبو عمار
القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية
الى رفاق السلاح والنضال في الذكرى
العاشرة لانطلاق الثورة

عام التصعيد والتلاحم

أيها الاخوة رفاق النضال

أيها الاخوة رفاق السلاح

يوم أن انطلقت الثورة الفلسطينية في الفاتح من عام ١٩٦٥ واجهت التحديات منذ اللحظة الاولى لأنها كانت تدق عهود الظلم والتهيه بسواعد ثوارها الذين زادتهم الأيام والمحن اصرارا وعنادا وقوة . يومها قيل باستخفاف أنه لن يصدر البلاغ العاشر . والآن ها نحن نودع عامنا العاشر ونستقبل العسام الجديد ، عاما هاما من عمر ثورتنا المظفرة في مسارها في الدرب الكبير حاملة في طياتها معاني عظيمة وسامية وتؤكد بأن هذه الثورة الرائعة هي ثورة شعبنا الثابر الصامد تسير وفي ركابها الخير والتصميم وتتحرك وفي أعطافها العزة والارادة . وتسجل في كل هذا التحرك ارادة شعبها الذي لا يقهر وتثبت في مجموع هذه المسيرة تصميم أمتنا التي لا تلتين ، وتقرع ابواب التاريخ بقوة وعزيمة واخلاص وتفان تسطره وتتعانق معه في ابداع ثوري متسام ونسج نضالي فريد . ولتترك بصماتها القوية الواضحة على التراث العربي وتتلاحم مع الحضارة البشرية تغذيها وتتغذى منها وترفدها وترغد منها على ايقاع الكفاح مع حركة المد الثوري المستمر .

عشرة أعوام مضت يا رفاقنا ويا اخوتنا ويا أحبائنا وفي كل يوم عمل ونضال وفي كل سنة كفاح واصرار تتلاحق فيها الايام والاشهر والسنون بما حملت في طياتها من آلام ومتاعب ومآس وذكريات .

وما انطوت عليها الأحداث العظام من انتصارات ومكاسب وما صاحبها من نكسات وتراجعات .

ولكن الثورة بالرغم من تكالب أعدائها من الامبرياليين الدوليين والصهاينة الغزاة وبالرغم من تكاثر وتجمع المؤامرات عليها بقوة وتركيز ، استطاعت وبكل الايمان والتحدى في جذورها وأسسها أن تخترق طريقها وتشق دربها حاملة معها من الجراح أئخنها ومن الآلام أشقها ومن الانتصارات بسماحتها .

وهي في زخمها هذا وفي تحركها ذلك انما كانت تصنع المعجزة مع التكامل الرائع في مسار الثورة العظيم .

وتشكل مع جميع المناضلين وجميع الثوار من أجل الحرية في العالم كله هذه الجبهة القوية المتراصة لتصنع ترأثا حيا ومتجددا للانسانية المعذبة ولتضع حدا للاضطهاد والظلم وللاستعباد والاستعمار الذي يترزح تحت وطأته البشرية التي تقف اليوم متكاثفة متعاونة أمام طغيان القوى الامبريالية والمؤامرات الصهيونية وجشع الاحتكارات العالمية .

وثورتكم وهي تحت الخطى في هذه المسيرة الصعبة والقاسية لا تنسى انها مع اخواننا المناضلين في أمتنا العربية وانها جزء لا يتجزأ من حركة التاريخ فيها ومنها . ولا تنسى أصدقائها الأوفياء في الدول الاشتراكية الصديقة ودول عدم الانحياز والدول الاسلامية الشقيقة ورفاق السلاح في حركات التحرير في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية واننا جميعا نقف في خندق نضالي واحد .

يا رفاق الدرب الثوري

كثيرة هي الملاحم الثورية التي خاضتها ثورتكم الاصيلية في مراحلها الماضية وفتراتها السابقة . ولكن هذا العام الذي انصرم تميز عن غيره من اعوام الكفاح بتلاحق في الأحداث لم يشهد له مثيل سابق في اتون معاركنا النضالية عبر السنوات السابقة ، فقد تميزت هذه

الحقبة من الزمن بعيد من الملاحم خضناها سويا على أكثر من صعيد وفي أكثر من درب داخل الأرض المحتلة حيث شهدت هذه الأرض الطيبة تكثيفا ملحوظا وقويا للعمل العسكري من خلال تصاعد عمليات ثوارنا ، وتصعيدا موسعا للعمل الجماهيري عبر التنظيمات الشعبية والجماهيرية والتي تركزت في الجبهة الوطنية داخل أرضنا المحتلة باعتبارها الذراع السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية بين جماهيرنا في أرضنا المحتلة .

وكذلك تميزت بوعي كبير وبصورة فائقة من صور الكفاح الشعبي عبر الانتفاضة الجماهيرية الرائعة لجموع شعبنا الصامد المثابر البطل — ولتعطي برهاننا ثابتا للالتحام المتعاضم بين الشعب وثورته وبين الجماهير وقيادتها معلنة باصرار وعناد أروع اطار للاستفتاء الشعبي الحقيقي طالما حاولت القوى المعادية لشعبنا ان تطمسه وطالما جهدت جهود العدو الصهيوني وحلفائه وعملائه ان تنال منه وتشكك فيه . بل لقد أتى في وقت هام ودقيق من نضالنا ليعطي هذا التلاحم الرائع صورته الحقيقية ، وليحيط الثورة بهذا الدرع المتين من قوى وجماهير شعبنا ، وليهب الأمتولة المقدسة على مدى تعاضم المد الشعبي وأهميته في دعم الثورة ودفعتها بقوة وثبات في دربها الطويل .

ويتعاضم اللحن الثوري من خلال الدماء الزكية البريئة التي سالت لتتوج هذا كله بأعق معاني التضحية والفداء من خلال استشهاد الزهرتين البطلتين منتهى ورباب مع بقية من استشهاد من أهلنا أثناء انتفاضة التحدي أمام دبابات العدو وحرابه ورضاصه .

وتتكامل هذه الصور وتتلاحم مع صور الصمود والبطولة التي تقفها جماهيرنا العظيمة في مخيماتنا وأهلنا وأشقائنا في الجنوب اللبناني تتحدى بأجسادها بلحمها بدمها بأرواحها غطرسة العدو وطائراته وأغاراته وصواريخه وتواجه وحشية الصهاينة ومدفعيتهم ونابالهم وقنابلهم .

وتقف الجماهير الصامدة الصابرة المثابرة في وجه هذه الهدايا

الأمريكية الصهيونية التي تنهال عليهم ، بكبرياء عظيم وصبر أصيل
وصمود رائع لهذه الجماهير المكافحة .

وكانه يا رفاق السلاح قدر أسطوري لشعبنا البطل ان يسخو
في العطاء وعلى أكثر من جبهة وفي أكثر من موقع عطاء سخيا
ويتصدى لآلة الحرب الجهنمية التي يمتلكها عدونا والتي تهيلها عليه
أمريكا حليفته الدائمة وحاميته المستمرة ولا يجد شعبنا في أحيان
كثيرة الا مهجته يطعمها لجنائز دباباتهم ومدروعاتهم ولتدمير قنابلهم
وصواريخهم .

وكانه يحاول بذلك أن يصنع من أجساده موانع لتعميق هذا العدو
الغازي من اكمال اجتياحه للربوع كلها .

فما أعظمتك يا شعبنا المعطاء ، يا شعبنا البطل يا شعب الكبرياء
والبطولات ، يا شعب التضحيات والشهداء .

بوركت من شعب أصيل تنتمي بحق وصدق الى هذه الأمة العربية
العظيمة : أمة التحديات والخلود ، أمة العزة والسؤدد .

يا أخوتي رفاق الدرب

كيف كان الصمود ، وكيف كان الثبات ، وكيف كان التحدي . تلك
هي قصة تروى وستروى للأجيال القادمة . ترويها أجيال الثورة
وصناعها وحملة مشاعلها . يرويها أولئك الذين سيكتب لهم أن
يعبروا الجسر البشري الذي تنسجه الثورة من أجساد الشهداء وآلام
الضحايا وعذاب الجراح للمستقبل ، للغد المشرق ، للأجيال القادمة ،
يرويها هؤلاء بكل فخر واعتزاز وكبرياء بأسطر ساطعة ناصعة في
سفر التكوين الحي لمستقبل أمتنا وغدها المشرق وبالعلامات المضيئة
على الطريق الطويل طريق النضال الشاق والصعب . ولتكون برهاننا
قويا على صلابة هذه الثورة ، وروعة هذه الثورة ، وقدرة هذه
الثورة بالرغم من كل ما أحاط ويحيط بها من المؤامرات والمتآمرين
ومن المكائد والدسائس ومن المعاناة والمصاعب ومن الاحوال والالام

— ومع ذلك نتقدم ثورتكم لتثيق بعزيمة أصيلة و ارادة جبارة رافعة
راية النضال عالية وعلم الثورة خفاقا .

يا شعبنا الصامد المتأبر

لقد كانت السنة المنصرمة سنة حافلة بالام كثيرة ، ومصاعب جمة ،
حاولت قوى كثيرة أن تنال من وحدتنا ومن تراص صفوفنا . حاولت
أن تنفذ — « عبثا » — الى اللبئات القوية متوهمة انها تستطيع أن
تهز قناعات الثوار بزيف السراب ، وان تضعع ايمان المناضلين
بخداع أكاذيبهم .

ولكن الشعب والثورة كانا أقوى من كل مخططاتهم وأصلب من
جميع دسائسهم . وبقيت الثورة شامخة أصيلة ، ثابتة الجنان ،
عزيزة الجانب وظل الشعب وفيا للمسيرة النضالية في دربها الثوري
الكبير .

وتوجت هذه المسيرة الثورية بكل هذا الزخم من الانتصارات
المتتابعة على كل صعيد وفي كل اتجاه . في الأصعدة العربية وفي
الأصعدة الدولية . مع العمل العسكري ومع العمل الشعبي . من
خلال التحرك السياسي والتحرك الدبلوماسي وكانت في كل خطوة
تخطوها تثبت قضايا شعبها وأهداف أمتها .

زغم كل ما حيك حول ثورتكم يا شعبنا الأصيل وما خطط لها من
قبل الامبريالية العالمية والصهيونية الغادرة ومن القوى العميلة في
منطقتنا ، استطاع الثوار — الثوار الحقيقيون — أن يجتازوا المحن
الكثيرة والالام المتشعبة ليصبوا في هذا النهر الخالد ، نهر العطاء ،
الثوري دماءهم وأرواحهم وتضحياتهم ، يهبونها مختارين بلا ملل أو
تردد وبكل الكبرياء الثوري المتأصل في نفوسهم .

وليصنعوا المعجزة وليفجروا الطاقات الكامنة ويسطروا الملاحم
الثورية لتتهاوى الاساطير الباطلة أمام هذا العناد الجبار لشعبنا
وثواره . وتنحسر اللجج بعد طوفانها الصاخب — فلا يبقى الا
الجلمود الثوري المتسامي المقدس لهذا الشعب وثواره يصهرون في

بوتقة نضالهم وكفاحهم كل المعطيات وكل الايجابيات وليحولوا الى حقائق مادية ثابتة راسخة في منطقتنا العربية — بأن هذه الارض عربية وستظل عربية ولن يبقى فيها الا ارادة واحدة هي ارادة أمتنا العربية العظيمة .

ويظل الثائر كالحقيقة الازلية في تراثنا الوطني قابضا بيد من حديد على بندقيته لتظل مشرعة تحمي أغصان الزيتون في ربوعنا الحبيبة خضراء يتقيأ بظلمها أطفال الغد وجيل الغد من شعبنا وأمتنا .

بل ان ايماننا الكبير يتزايد بعظمة وخيلاء وهو في مكمناه وفي معسكره وفي أعالي جبالنا وبين أحراش ودياننا وفي سهولنا الخضراء وفي صحارينا الدافئة ، يظل يترنم بأهازيجنا الشعبية الحبيبة واثقا من خطاه متأكدا من حتمية انتصار شعبه وثورته .

يا شعبنا العظيم

يا ثوارنا الأبطال

يا مناضلينا الثابرين

لتتحد كل الجهود ولتتعانق جميع البنادق ولتتلاحم جميع الأيدي لمواجهة المرحلة المقبلة ، لمواجهة العام الجديد بكل ثقة واطمئنان وثبات وتحد ، لمواجهة العام الجديد من عمر ثورتنا ، عام التصعيد والتلاحم الثوري ،

وما يترتب على هذا من مسؤوليات جسام كثيرة وأعباء ثقيلة وخطيرة وكفاح مكثف ومركز ينفذ فيه المناضلون الى الأفق النضالية الجديدة بخطوات واثقة وإيقاعات مؤمنة ثابتة وبعزيمة لا تكل و ارادة لا تلين .

وانها لثورة حتى النصر .

أخوكم

أبو عمار

٧٥/١/١

شهادات

[١]

كانوا ملح الارض ... وعادوا

احمد بهاء الدين

لا اعرف لماذا اثار السؤال حين طرحته علي مجلة « شؤون فلسطينية » خواطر شخصية ، ولا اعرف هل استرسل قليلا مع هذه الخواطر ام لا ، ربما لانها على وجه اليقين نموذج لفلسطين وكيف أقيمت بذرتها في ضمير كل عربي .

كان ذلك سنة ١٩٤٨ قبل الحرب العربية الاسرائيلية الاولى . وكنت قد تخرجت منذ شهور من كلية الحقوق وعملت وكيلًا للنيابة الادارية ، وارسلني العمل لتحتقيق احدى القضايا في بور سعيد .

كنت ارى بور سعيد لأول مرة . وفي غير ساعات العمل ، ومع الغروب ، سرت اتمشى في الشوارع الموازي للميناء ، بجوار السور الحديدي الذي يفصل الميناء عن المدينة . وفجأة رأيت الناس يتجمعون حول السور . وانحشرت وسطهم لارى عدة قوارب شرعية اضناها الموج ، تقترب من الشاطئ مع برودة الغروب وتحت سماء مجللة بالسحب .

كان كل قارب قد امتلأ حتى آخره بالنساء المتشحات بالعباءات السوداء والاطفال ، وفي الغالب معهم رجل عجوز . وسرت الكلمة بين الناس انهم فلسطينيون طردهم الارهاب الصهيوني وقد قطعوا البحر من يافا الى بور سعيد . وبسرعة احاط جنود الشرطة بالميناء ، واحاط اخرون بالقوارب ذاتها . وزاد تراحمنا . ثم علا صياح الناس . وأظنهم فهموا ان ركاب القوارب في محنة ، وانهم لن يدخلوا المدينة بسرعة ، والبرد يشتد والليل يقترب . واغرورقت عيني بالدموع . فكأى مهتم بالسياسة كنت اتابع الاحداث في الصحف ولكن لم اتصور انني سأراها فجأة بعيني . اما اهالي بور سعيد ، فقد نبت وسطهم من يحملون اقفاصا من الخبز والموز والبرتقال ، واخذوا يقذفون بها في الهواء فوق رؤوسنا ، ورؤوس صفوف البوليس ، ليستقط بعضها في الماء ، وبعضها في القوارب .

كانت الاوامر لم تأت من القاهرة بعد عن ماذا تفعل السلطات بهؤلاء . وصارت المدينة تغلي بالسخط على ابقائهم في القوارب . وهبط الليل واضيئت الانوار . وبدأت تطير من فوق رؤوسنا هذه المرة المعاطف والبطاطين . من الناس من خلع ما عليه وعلقه في الهواء . ومنهم من روى ان التاجر فلان أرسل كل ما في متجره من بطاطين .

وكاد الامن يخل في المدينة السااهرة ، ووجدتني أنسى وظيفتي الرسمية وأسير في مظاهرات الناس الهائفة ، حتى انتصف الليل ، وجاء الاذن لهم بالدخول . وتدافع الناس يعرضون ايواءهم .

وعدت ليلتها الى فراشي وقد خرجت القضية بالنسبة لي من الورق الى الواقع الحي . فقد لمست القضية بروحها ودمها ولحمها الحي . ولم يرحني هذا الشعور منذ تلك الليلة قط . ولم تعد فلسطين بالنسبة لي ابدا موضوعا ناقشته بمجرد العقل البارد على الورق .

واذكر انني ليلتها تذكرت فتاة يهودية ، كانت اول فتاة احببتها في حياتي . وكلمة حب هنا كلمة كبيرة ، فقد كنت وقتها تلميذا في الرابعة عشر من العمر ، وكانت تكبرني بسنة تقريبا ، فهو تلك الصداقة التي نسميها ونحن غارقين فيها انها حب عنيف .

كان ذلك في الاسكندرية حيث كنت اسكن مع اهلي ، وفي السنوات الاولى للحرب العالمية الثانية . وكانت الاسكندرية بالذات في قلب المعركة . فهي اكبر قاعدة للاسطول البريطاني في البحر الابيض ، وبالتالي فهي من اكبر اهداف الغارات الجوية التي يشنها الطيران الالماني والايطالي .

كانت الطائرات غير الطائرات . لم تكن لها سرعة طائرات اليوم ، فكانت صفارات الانذار تدوي قبل وصول الطائرات بنصف ساعة . وكان النظام ان سكان الادوار العليا يهبطون بسرعة الى شقة الدور الارضي كمخبأ ، يتراكمون فيه ، وتصل الطائرات ، ونسمع صوت القنابل المتفجرة ساعات طوال ، والكشافات تجول في السماء حتى تقع على الطائرة ، ثم تنطلق المدافع المضادة للطائرات من البر ومن سفن البحر ، وكان هذا يستغرق ساعات ، ويصبح الصباح والقتلى بالمئات ، والدمار في انحاء المدينة ، والمواصلات مقطوعة . وهوايتنا جمع الشظايا ومقارنتها . وفرحتنا يوم دمرت مدرستنا عن اخرها فأخذنا اسبوعين اجازة حتى وجدوا لمدرستنا مبنى آخر .

وكان الحي الذي نسكن فيه اوروبيا ، كمعظم احياء الاسكندرية في ذلك الوقت . وعرفت مع الحرب ان معظم السكان في الحي من اليهود . كبار السن منهم يتحدثون الاسبانية والثنباب يتحدثون الفرنسية . وكان من السهل حتى لعقلي الصغير ان يتبين الفوارق في انماط الحياة . فالاسرة المصرية لا يعمل فيها الا الاب . اما جيراننا الذين هم احسن حالا منا ، ما ان تنتهي الدراسة حتى اجد البنات يعملن بائعات في المحلات والاولاد في سني يحملون بضائع خفيفة يبيعونها للمصطافين على الشواطئ . فيلبسون احسن وتصبح النقود في ايديهم اكثر ويسهرون فتيانا وفتيات في المحلات العامة ، وكنت ارى البيت المصري ينفق ماله في طعام لا اول له ولا اخر اما هم فياكلون اقل ويخرجون ويلبسون ويتزينون .

وفي شقة الدور الارضي كانت « جريتا » وشقيقاتها الثلاث ينزلن . وفي البرد كانت تحضر معها « فروة » تفرشها على البلاط البارد وتدعوني للجلوس معها والالتصاق بها في الظلام الدامس . وفي غير ذلك نصعد الى سطح العمارة ذات الخمسة ادوار بحجة مراقبة الغواصات والقطع البحرية في ضوء القمر . وعرفت معها لاول مرة طريقي بمفردنا الى دور السينما والحدائق العامة .

وعندما اقترب الالمان من الاسكندرية ، هاجر كثيرون . وبقيت دون اسرتي لاواظب على الدراسة . وزاد تعلقي بها . ولكن كان الخوف قد بدأ يصبح وحشا ينهش فيهم جميعا ، وادركت ان هتلر اذا دخل الاسكندرية سيدبحهم . وكانت لا تكف عن البكاء . وكان المصريون من اهالي الحي يتعاطفون معهم ويحيطونهم بحنان عظيم . يعرضون عليهم عناوين اهلهم في القرى النائبة ، ويظنون انهم كفيلون بحمايتهم من كل سوء .

تذكرت تلك الليلة في بور سعيد « جريتا » . وشقيقتها لوسي التي كانت تتستر علينا . واكبر اخواتها سارة السمراء العربية الاسبانية الملاحم التي كانت فتنة الشارع . وتساءلت : ترى اين هن ؟ في مصر . في اسرائيل . مع الذين ذبحوا وطردها سكان القوارب الراسية في الميناء ! . . انهم يقولون ان المرأة العربية تتوارى واليهوديات يحاربن . هل تكون يد جريتا الرقيقة التي كانت تداعب رأسي ، حاملة الان بندقية ، تطلق منها الرصاص ؟

انهم على أي حال متفوقون علينا ، وهذه وحدها كارثة لكنها حقيقة . الكل فيهم يعملون على الاقل . والفتاة مثل الفتى . وتضامنهم العجيب . اين هذا منا ومن عاداتنا الاجتماعية . أين معرفتنا بالعالم الحديث من معرفتهم . أين شياطينهم السياسيين من باشاواتنا الريفيين . اين . . . اين . . .

كان تصوري للفجوة الحضارية بينهم وبيننا وقتها بسيطا ويقف عند مظاهر عابرة . لكن هذا الشعور نما معي ومع تطور القضية ومع التمعن فيما أقرأ وأرى . . . ولم يبارحني قط ذلك الشعور الذي كتبت من أجله كتاب « اسرائيليات » قبل حرب ١٩٦٧ ، في موعد يقارب بسدء الثورة الفلسطينية ، لاقول فيه : انه صراع طويل . انه ليس معركة عسكرية واحدة . انه صراع حضاري بكل أسلحة الحرب والسلم . الدمار والبناء . التنظيم العسكري والمدني . ولا اظنني مخطئا في أن التقدم العربي هو الحل الحاسم اخر الامر .

وقد اعلنت الحرب كما نعلم سنة ١٩٤٨ . وقيل لنا انها نزهة عسكرية . وكان قرار الحرب في القاهرة محل معارضة البعض ممن شكوا في حكمة ذهاب جيش مصري للقتال « خارج الحدود » . ومن اخرين شكوا في قدرة بلد محتل على القتال والانجليز وراء ظهر جيشنا ، بل وقالوا انها حرب اذكاهسا . الانجليز لتحويل موجة المطالبة بالاستقلال بعد الحرب العالمية الى مسار آخر . وتهامس الناس بأنه قرار للملك من وراء ظهر الحكومة . ولكن الحرب هي الحرب . وجرفت العاطفة الشعبية كل شيء في طريقها وبدت تلك الاراء ككفش مبعثر عائم على سطح تيار هادر . واعلن في القاهرة ان قوة رمزية من القوات الذاهبة الى الجبهة ستمر بشوارع القاهرة الى محطة السكة الحديد . وجاء يوم الحشود . وأضربنا في المدارس . وسرت مع السائرين حول الجنود من حيث خرجوا الى حيث ركبوا القطارات الذاهبة الى غزة . ملايين متحركة من البشر تهتف وتبكي وتضحك وتقبل جنود الطابور العسكري وتحسس ثيابهم . منذ كم من الاجيال لم نر جيشا لنا يتحرك الى ساحة القتال .

والصحف تحدثنا عن جو مماثل في كل العواصم العربية . واستنفارات تبدو لي الان كاستنفار الفارس القديم لقومه كي يهبوا للثأر للكرامة ، فيهب الناس . شيء يختلف

تماما عن اداة الحرب الحديثة الصامته المعقدة التي كان علينا ان تمر سنوات وامتحانات اخرى قبل ان نفهمها . ونأتي الاخبار الاولى ترف الانتصارات . ولكن في وسط انباء الانتصارات يجد المدقق تصويرا للقوية الكيوتز او المستعمرة الاسرائيلية يستوقف النظر ، نمط اجتماعي وانتاجي وحربي يختلف عن معنى القرية في قاموسنا . وبصرف النظر عن تسلسل احداث الحرب فالانباء لم تلبث ان اكفهرت . ثم وقعت الهزيمة وقع الصاعقة . وظهرت في الجو همسات الخيانة وغيرها من المبررات .

الاسلحة الفاسدة ، الشرك الانجليزي ، الخطة المرسومة « من فوق » لمواقع تصل اليها القوات ولا تتعدها . نعمة في مصر بالذات عن مشاكل الدخول في القضايا العربية ، حين استفرد الاسرائيليون بالجبهة المصرية . حصار الفالوجا وصبود قواتنا المحاصرة يرفع الروح المعنوية قليلا ، ويقابل العائدون من الشرك والحصار مقابلة الابطال . لكن الاسئلة الكبيرة تظل مطروحة ، محلقة في السماء ، بلا جواب .

لقد قيل انه كانت هناك اسلحة فاسدة تترد الى صدور حاملها . ولكن المؤكد ان حرب فلسطين الاولى ارتدت بالسخط والنقمة والندد على اوضاع البلاد العربية جميعا . كان هذا أهم أثر تركته حرب فلسطين الاولى في الضمير العربي ، ممترجا بالشعور بالمسئولية الضميرية نحو مليون عربي خرجوا من بلادهم ولم يعودوا ، وانما نصبت لهم مخيمات على امل عودة غير واضحة معالمها ولا زمانها ولا ظروفها .

لم تنحرف الحركة الوطنية في البلاد العربية بفعل حرب فلسطين عن مسارها السابق في المطالبة باستقلال الاوطان العربية المختلفة ، ولكنها عادت مزودة بدروس جديدة ، ورؤيا جديدة . لقد عادت الحركات الوطنية — حقا — الى معاركها القطرية في سبيل التحرر والاستقلال ، ولكنها كانت تحمل في ضميرها اثرا غائرا مما جرى على تراب فلسطين .

عادت في الدرجة الاولى « أكثر عروبة » اذا جاز التعبير . صارت قضية التحرر بمعناها القومي العربي الشامل أكثر وضوحا عما كانت من قبل . ويخطر على البال هنا مصر بالذات ، حيث يمكن القول ان الروح العربية ولدت فيها ميلادا جديدا . ومن حيث ظن البعض في مصر ان الهزيمة سوف تؤكد حجة الذين عارضوا الهوية العربية لمصر ، فانها بالعكس اضعفت حجتهم ، وحولت الاصوات القليلة المناهية بعروبة مصر الى تيار قوي ، وحولت سياسة مصر العربية من مجرد « سياسة » رسمية ، فوقية ، او « لعبة سياسية » ، الى قناعة واسعة لدى المثقفين ، ثم عبر السنين ، لدى الجماهير . وفي حين ان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، اي بعد الكارثة بأربع سنوات ، بدأت من منطلق معاد لفكرة « العروبة » التي كانت متجسدة في « جامعة الدول العربية » ، فان الثورة لم تلبث ان عدلت مسارها جذريا في هذا المجال . ذلك انها تبينت ان ممكن الداء ليس في فكرة العروبة ذاتها ، ولكنه في السياسات العربية التي كانت سائدة . وان المشكلة ليست في ولاء الامة العربية لانتهاها ولكن في تفسير الحكام العرب لهذا الولاء وفي مسلكهم السياسي وطرق تعبيرهم عن العروبة . وجدت ان ما ثارت عليه في مصر متكرر في كل قطر عربي آخر . وهكذا ، حين نادى عبد الناصر بعد ذلك بعروبة مصر ، ثم وضع ذلك في دستورها ، كانت الارض مهياة فعلا لاستقبال هذه الدعوة ، او بمعنى اصح للكشف عن هذه الحقيقة .

ونفس الشيء بدرجات شتى عن سائر الاقطار العربية الاخرى . لقد تحولت دعوة العروبة والانتماء الى العائلة العربية الواحدة الى دعوة الى الوحدة العربية . وبصرف النظر عن النتائج والاطعاء ، الا ان مجرد طرح هذه الدعوة الجديدة بمحتواها الجاهيري الكاسح كان اعلاء لفكرة القومية العربية من مجرد فكرة الى تحديد هدف أكثر وضوحا . والهدف هنا حتى وان لم يتحقق في شكله النهائي ، الا أنه عادة يحكم حركة الاحداث ، اذ يضبط حركتها نحو هذا الهدف ، او يجعل من هذا الهدف مهما كان بعيدا « بوصلة » تهندي بها الحركة السياسية بوجه عام .

وفي خضم هذا التحول اختفت حركات الوحدة القطرية ، التي طالما دارت الاحداث السياسية حولها قبل وبعد ١٩٤٨ . لم تعد فكرة سوريا الكبرى مثلا تحمل نفس الجاذبية بدخول مصر الى الساحة وببريق الوحدة الاشمل . كما لم تعد فكرة وحدة وادي النيل هي كل هم مصر ، بعد ان أخذت تنظر الى وشائجها العربية في كل اتجاه . ولم تعد الوحدات العائلية كالوحدة تحت التاج الهاشمي واردة . كل هذه تخطاها الزمن بسرعة . وكان اكبر ما عجل بحركة الزمن هنا هو وقع الدرس الفلسطيني في الضمير العربي ، ووصول الم هذا الدم الاسرائيلي الى شتى أطراف الجسم العربي مهما بعدت . ومع مرور الزمن والاحداث صار الوعي بالانتماء العربي شاملا . لا تستطيع سلطة ان تتجاهله من الخليج الى المحيط ، بل كثيرا ما كانت النظم تتقوى به على مشاكلها الداخلية ، وهذا وان كان مردودا سلبيا من جهة ، الا ان دلالاته على تعمق الاحساس العربي واضحة .

كذلك عادت الحركات الوطنية العربية الى معاركها القطرية ، أكثر راديكالية ، أكثر جذرية .

لقد اسقطت تلك المواجهة العربية الاسرائيلية الاولى نظام ما بين الحربين في المنطقة بأسرها ، وفي الاقطار المحيطة بفلسطين بوجه خاص .

انتهت مرحلة الاكتفاء بالاستقلال الشكلي ، الذي هو راية وحكومة وسفارات وعضوية في الامم المتحدة . وصار معنى الاستقلال هو التخلص من القواعد العسكرية ومن النفوذ الاجنبي ومن سطوة رأس المال الاجنبي ، واقامة استقلال سياسي وفكري واقتصادي حقيقي .

انتهت المرحلة الليبرالية ، التي كان قد فصلها لنا الغرب ، وكانت أمل الذين ناضلوا في المرحلة السابقة . انتهت لان الجماهير اكتشفت نهائيا انها ليبرالية شكلية ، غير حقيقية ، بعيدة تماما عن الديمقراطية الحقيقية .

فهي ليبرالية تعطي برلمانات شكلية ، اعضاؤها وحكامها من أبناء الاسر الاقطاعية التي تتوارث النفوذ ، ومصيرها وحلها وربطها اما بيد القصر او بيد السلطة الاجنبية ظاهرة أو خفية . ومعسكرات القوات الاجنبية او المعاهدات السياسية والعسكرية تعطى للاجنبي حقا خفيا في استخدام الفيتو ضد أي شيء يزعجه .

كذلك فقد كانت ليبرالية تندثر في عباءة المعسكر الغربي ، وتحتمي بدرع الدول التي أقامت اسرائيل بالذات . فهي تقلد ذلك المعسكر تقليدا بيغائيا في مظاهر نظامه السياسي ، ولكنها في حقيقة الامر خاضعة له ، حتى في حالة الحرب التي هي أخطر

الحالات : كان الجيش الانجليزي وراء خطوط الجيش المصري . وكان السلاح في يد الانجليز والفرنسيين . وكانت خطة المعركة العليا مرسومة بحيث تقف عند الحدود المحددة من دول الغرب ، سواء بوغي من حكام العرب او بعدم وعي منهم ، فالنتيجة سواء .

لذلك شهدت المنطقة مداً جديداً من منابع جديدة غير منابع الحكومات والاحزاب بين الحريين . من الاخوان المسلمين في أقصى اليمين الى الشيوعيين في أقصى اليسار وما بينهما ، ومن الاحزاب الانقلابية المدنية الى المنظمات العسكرية بين الضباط الشبان . في هذه الساحة الواسعة ظهرت موجة سياسية جديدة ، مهما اختلفت في أهدافها ووسائلها فهي في النهاية ، كما قلت قبل قليل ، أكثر جذرية ، وأكثر ثورية ، من كل ما عرفته المنطقة قبل أن تلمس المسألة الفلسطينية الضمير العربي .

كذلك عادت تلك الحركات الى اقطارها ، أكثر جذرية ، من حيث وعيها الاجتماعي . فقد نبهتها هذه الصدمة الى واقع حياتها الاجتماعية المر ، فاشتد وعيها بالبوأس الغارق فيه شعبها ، والظلم الاجتماعي المفروض عليه ، فولدت هذه الحركات حاملة أهدافها الجديدة ، اشتراكية وغيرها ، ولكنها تستهدف بوجه عام مجتمعا أكثر عدالة . وصار هذا أحد محاور الصراع الأساسية في العالم العربي خلال الحقبة التالية ، بعد ان كان الصراع محصوراً في النطاق السياسي التقليدي الذي هو السلطة والبرلمان الشكلي والحكومة السورية ومقاومة الاحتلال الاجنبي . وقد أمد هذا بقوة اجتماعية وجماهيرية لم تكن موجودة من قبل . وتغيرت خريطة الحياة في المنطقة تغيراً عميقاً .

وليس معنى هذا ان هذا التحول الى الجذرية لم يكن ليحدث لولا قضية فلسطين ، فالطور التاريخي أخذ مداه عبر شتى الظروف ، ولكن هذا لا يمنع من القول على وجه اليقين ان قضية فلسطين وأثرها في الضمير العربي هو الذي عجل بهذا التطور ، وهو الذي فجره ، وهو الذي اعطاه شرعيته حين اعطاه السبب القوي المباشر المقبول لدى الجماهير ومعظم فئات المواطنين .

ولم يكن أقل اثراً من تعرف الضمير العربي عبر فلسطين على نفسه ، اثر آخر بالغ الأهمية وهو : تعرفه على العالم الذي يعيش فيه .

كان العرب يعرفون ما يكفي عن شرور الاستعمار القاهر ، بأساطيله وقواعده وجنده . ولكنهم لم يكونوا يعرفون كل شيء عن حقائق عالم العصر الحديث وأسلحته ووسائله الجديدة . كان ساستنا يتجولون في دهاليز المحافل الدولية كالتقريبين الذين هبطوا المدينة الصاخبة لأول مرة فهم لا يعرفون مسالكها ولا سبل التعامل فيها ، بينما كان الاسرائيليون يجوبون هذه الدهاليز ذاتها عالين بها ، خبيرين بخباياها ، مدركين لكل وسائلها واحابيلها .

كان العرب يعرفون من عالم العصر الحديث كل مظاهره الجميلة ، وكل انجازاته في تحقيق المزيد من الديمقراطية ورفع مستوى المعيشة في هذه البلاد أو تلك . ولكن الجراحة الاسرائيلية ، الجراحة التي تمت في الجسد العربي ، اذقت العرب مرارة هذا العصر الحديث وعلمتهم الجانب الآخر منه ، الذي هو جبروته وقسوته وسيطرة شريعة الغاب فيه . وعلمتهم ان حركات التحرر في العالم كله لها هدف واحد وان عليها ان تتساند وتتلاحم لتهزم عدو واحد يؤمن بأن الحق للقوة ، ويرفض ان تكون القوة للحق .

وبهذا المعنى ، قادهم النضال من أجل الرد على التحدي الاسرائيلي الى اعطاء استقلالهم الذي يبحثون عنه ، فوق الصفة الذاتية ، بعدا دوليا . قادهم هذا النضال الى سياسات عدم الانحياز ، التي هي التطبيق الدولي لسياسة الاستقلال الوطني ، وقادهم الى البدء بكسر احتكار السلاح ، والتحالف مع المعسكر الشرقي في مواقف كثيرة ، والبحث عن صداقات خارج قشرة السطوة والذهب التي فرضتها دول الغرب على العالم العربي دهورا طويلا .

نعم ، عادت الحركات السياسية والاجتماعية والثقافية العربية بعد حرب ١٩٤٨ الى مساحاتها القطرية حاملة كل هذه المفاهيم الجديدة ، مدركة لكل تحديات العصر الحديث في مجملها ، يزداد وعيها يوما بعد يوم بما يمكن ان تلخصه كلمة « الفجوة الحضارية » التي تفصل العرب عن العالم الحديث ، والتي بقدر عمقها كان عمق الوهدة التي وقع العرب في شراكها ، وبقدر ردم هذه الفجوة بقدر ما سوف يتمكن العرب من تحويل الموج ، ورد التحدي ، واعادة دفعة التاريخ في اتجاهه الصحيح . اتجاه تحرير الامة العربية وتطهير ارضها وتوحيد اقطارها ورفع مستوى شعوبها واتقرار المساواة والعدل والحرية في جنبتها .

أقول عادت الحركات السياسية والقطرية الى معاركها القطرية ، ومعها القضية القومية ، ومعها فلسطين ، ومعها الفلسطينيون .

عادت ومعها فلسطين ، قائلة لنفسها في ذلك الوقت : ان الطريق الى فلسطين يمر عبر العواصم العربية كلها .

عادت ومعها الفلسطينيون ، فقد كان الفلسطينيون ، الذين فقدوا الوطن وتجسدت فيهم النكبة ، كانوا ملح الارض في معظم الحركات والتيارات الثورية التي عرفها العالم العربي . وكانوا ملح الارض في حركة التأليف والترجمة والنشر بوجه عام . وكانوا من أوائل المهاجرين الى الآفاق العربية الجديدة ، القاحلة في ذلك الوقت ، قبل ان تعرف الثراء ، حاملين معهم عبرة قضيتهم وبذرة قضية العروبة كلها الى كل قطر ذهبوا اليه .

ولذلك ، عندما « عاد الفلسطينيون » هذه المرة ، قبل عشر سنوات ، الى فلسطين ، والى مجابهة العدو ، عادوا وقلب الامة بأسرها يخفق لهم ، ومع تصاعد النضال ، بل وتوالي الصدمات ، كان زخم الامة العربية المحيط بهم يزيد ولا يقل وما زال يزيد ولا يقل .

المطران جورج خضر

الدم يعطي الروح . في حزيران ، عند الاستباحة الاخيرة ، عرفنا نحن عذرية القدس وان العناق يعيد اليها الطهارة فأصبح دفاء الحب فهما . وعند ذهاب الغفلة تبطل القلب وسكن الى المشردين المطرودين الى العزلة واذا بنفوسهم وحدها تطلعهم من السحق الى الضياء ليحكوا تاريخهم بقطرات الدم ويسقوا العالم مسكيب الذبيحة الفادية . هنا النور يعمد الاحياء والمفتدون لا يجيئون من بطون امهاتهم . انهم اجنة الحق . اطفال وبسمات اطفال . رسمت اقدامهم في الحقول التي رجعوا منها الى ارضهم حلم خلاص وعودة مرتجى .

الذين قالوا لا منذ عشر من السنين تتلمذنا على صمودهم وكان الدرس ابلغ من السياسة . نزل الى قاع النفس جرحا ورؤية حتى امتشق النفس الى مسكونيتها .

غدت فلسطين تجربة صراخ بعد ان مزقوها وكذبوا . والصراخ رافق المساة منذ نشوئها . علا عندما تحدث الامة الاذلال ورفضت المسكنة . فتنعوا وجه العروس . نزعوا عنها هويتها وقالوا انها سائبة . اصروا على انها غير ذات وجه وتعجبوا كيف اُبت العار . انى لها ان تدعي الوجود وهم يقرون الوجود ويقرون العدم . صرخت بملء فيها في صحارى ضمائرهم ، سمعوا حين ضجعت ، حين تعلمت لغتهم في الضجيج وكتبت رصاصا في لحم بشر . هناك ناس تفهم فقط لحومهم . طلع الفهم من البندقية . آمن القوي بأيدي الصعاليك المتشددة . بأسهم انطقه عدلا .

من تنهد : « أما لهذا الليل من آخر » يتنهد من أجل الجميع . من التمس في الظلمة نورا يلتمسه لنفسه وللآخرين . من تطهر في سبيل القدس يتطهر ليخدم معذبي الارض . هذا نسك أعماق يمدنا الى كل أفق . الروح المقدسية النضال كوني مدها . عندما تبلغ قضية هذه الكثافة من السطوع تسمي في حجم العالم .

وهكذا بنتا لا نميز ، اذا رويت الحكاية ، بين الحق الفلسطيني والحقيقة . فالحقيقة ناهدة الى التجسد ، متململة حتى تلقى عبارتها . هذه العبارة هي الحق على مستوى المنظور . فلسطين حقيقة مغناة تصبح سياسة . وعلى ذلك لا تسقط صوفيتها . يترجمها الفعل يتلو الفعل . فالرؤية الصافية ليست بشيء ما لم يزكها البذل . كذلك حق القوم لن يكون شيئا ما لم تتفتق منه التطلعات المنقذة ، ما لم يخفف وطأة آنيته بالحرية الباقية في النفس اذا هي التزمته فترتقي الحق في التاريخ درجات الابدية كما تستحيل المطلقات تعهدات زمان اذا حن الله على الزمان . اذ الايمان امانة او لا يكون ، ثقة بالراهن غيما نحن نحول . الحقيقة والعدل بفلسطين يتلازمان .

ما ذلك الا لأن الرؤية الفلسطينية اقتحام المستقبل للماضي . وهذا الاقتحام يحرق الماضي من عتاقته وذلك ان الحق يكون ولا يورث . يطلع عليك كالملكوت من الآتي ،

من صورة الانسان الجديد الذي نريده بدءا من تراث ولكنه كله وليد هذا التوثيق المستمر الذي نسقيه ثورة . فلسطين فيه بناؤنا للانسان المشرقى وسبعي البناء- . والقيامة التي اليها نتوق تصنع حاضرا وتنقلنا الى التحرك السياسي . الثورة ، من هذا المنظار ، ليست مداميك تتراكم فوق البنيان العربي القديم ولكنها قوة جديدة مبنوثة في البناية كلها او هي معنى البناية . المستقبل قراءتنا للماضي وتقويمه ، خلقنا له . فعلى قدر ما تكون الثورة حبلى بالانسان القيم فهي حرة من كل ما كان ، فيها سلف ، ركما . الجدة لا تجتر . الجديد موصول ولكنه خلق ، توتر يتأهب للانفجار .

في الطرف الاخير السلفية التي تعاود كالوباء وتفتك ايما فتك لكونها تقينا مغامرة الفكر . والعقل يستطيط عصوره الذهبية او ما ظنه كذلك . وسيان بين هذه العصور والجاهليات اذا استعبدتنا . والسلفية كالوحش الرابض في الكلمة العربية لانها مغرية حتى النشوة . والنماذج العقلية الموروثة في الحضارة والسياسة يستبقيها الجمود بعد ان يمل الانسان الابداع . والابداع مسؤولية تضني .

وجوهنا الى عربة تبذع نفسها وانسانها الخير في تغيير وجداني دائم ولكنه تغيير يعرف اصوله ويؤول الى يانبيعه . أمامنا فلسطين قيلة الوجود يطفر من موت . فاذا عاد ابناءؤها الى أرضهم فانما نعود جميعا الى الطفولة والطراوة وضيء الشهود . اذ ذلك نكتشف حريتنا ومضمونها .

هذه المعربة الحضارية ليست بداوة وبكاء على اطلال ولا هي تقليد الغرب واستيراد انماطه . عروبة القرن الماضي ذهلتها أوروبا وعقدتها فكان علينا ان نحدد انفسنا بالنسبة الى الغرب ان نحذو حذوه او نرفضه او نتحير بين هذا وذاك لان الغرب كان العالم .

لقد اكتشفنا اليوم اننا نحن ايضا بعض هذا العالم او قادرون ان نصيره . والصمود نبهنا الى مصيرنا ولكننا لم نكتشف حتى الآن كل عناصر هويتنا . لاحظنا كثرتنا وطاقتنا ومشاركتنا العالم الثالث وامكان تحرر لنا عن طريق الطاقة والثروة . ولكن هذه كلها وعود صيرورة . ان الارتقاء الى انسانية عربية خلاقة ، كبيرة المعرفة وتعهد نفسها والعالم لم يحدث لاننا لم ندخل بعد في نقد للتراث العربي جذري ولم نصل الى الكلية العضوية التي تمكننا من ان نتبصر بارتياح الى مختلف جوانب حياتنا التاريخية بما فيها من موروث واطلالة ، من عناقة لا بد ان تبديد ومن جدة منقذة .

المعرفة التي هي رؤية ونفاذ ويقين هي ايضا فعل يتم المحبة والتزام لارضنا ينطح السماء . هذا اللون من المعرفة دائما جديد وهو وحده الذي يضمن التعايش بين ادياننا الثلاثة لقاء صدق بين اتباعها ولقاء أعماق ويجعل العلمانية التي نتطلع اليها في فلسطين المستقبل علمانية تختلف كثيرا عن تلك التي اثبتت في الغرب فكانت تجاهلا لايمان الناس وفصاما بين الوحي الهابط عليهم من جهة ووسائل عيشهم وبنية الامة من جهة أخرى . العرب لا يؤمنون بأمة لا عقيدة لها والعلمانية ليست بعقيدة . انها نمط الحرية ولكنها ليست ذات مضمون . وعندنا ان الوجود كله هو الله وان الالحاد جفاف ، جيفة هذه الحضارة الغربية الذهنية ، المتفككة التي فقدت روحها أو كادت . هذه العقلانية المنزلة ، الموحشة للنفس ، التي تأبى الشعر والعبادة ، القتالة للوجد لن تدوم . فالتطلع كان دائما شيئا عاموديا . فقبل ان يمد الانسان نظره الى فوق كان

حيوانا يدب على وجه الارض ويلاصقها . ولما انتصب على قدمين اثنتين جذبته الشمس وسحره القمر والجالس عليهما في جلال ازليته .

وهذا التلاقي بين المؤمنين بالاله الواحد لا بد له ان يتحول الى حوار يتجاوز أي نظام طائفي فالنظام الطائفي لا ينتهي وحدة القوم بل ان يتراكموا . فلسطين المقبلة ، اذا استطاعت ان تعي دورها ، فرادتها في انها تقيم دولة علمانية اطارا لمجتمع جله من المؤمنين يتقابلون ليس في نطاق تهذيب زائف بل في هذا الاقرار انهم يؤلفون جماعات متميزة في العقيدة وموحدة في بنية الانسان المعاصر . ولا بد لهذه الجماعات ان تفتش عن الهام ذي عناصر روحية من شأنها ان تتناسق لتكون زخم هذه الشراكة الانسانية القائمة على التعدد . وقد يتطلب هذا كله ان تميد هذه الملل النظر في مواقف لها تاريخية او تفسيرية وفي كل حال ان تجدد نفسياتها تجديدا عميقا لتغلب على التعصب والتشنج . هذه المواجهة الدينية — الاجتماعية لن تكون سهلة وصعوبتها في تعدي الاطار الفقهي التقليدي لتعامل الديانات . ولكن لا مفر من ان يصبح المواطن في دولة حديثة كهذه عديلا لكل مواطن آخر بحيث تنفي كل فئوية او رتيبة او حملية في علاقات الطوائف .

هذا ليس بعثا لتقليد عربي ولكنه عربية روحانية كثيفة انسانيته جديدة في العالم كله قديمه وحديثه . وهذا يفقد الدولة الصهيونية كل مسوغ لها . ان اعطت فلسطين المثل على ان اتباع الاديان مقبولون في هذا المجتمع قبولا ينفي التمييز بين الاكثرية والاقليات تبديد المزاعم الصهيونية كلها . وهذا ، بالطبع ، يفوق — في معناه ومزماه — فلسطين نفسها شعبا ودولة . هذه رؤية الانسانية الجديدة ، خلاص محقق ينطلق من القدس ثانية .

اذ ذاك تكون فلسطين مختبر العرب ومثال خلاصهم . اذ ذاك العروبة عالم حب والسماحة صيغة عيش للدنيا . لا تلك السماحة المتفاضية عن اخطاء الآخرين وحسب والمتقية ، بصمتها ، كل خلاف ولكنها الرضاء عن وجود الآخر من حيث هو آخر واستمتاع فرادته .

عندئذ تبدأ مصالحتنا للغرب تلك التي لم يكن يعنيهها اذا تكلم عنها ونحن نرفضها لاستكباره ونهيه . فاذا اكتشف الغرب من ادناه الى اعلاه ان العرب لا يفريهم الان فتح العالم وان لهم ان يعمرؤا انفسهم وبلادهم وفق نموذج حضاري يستسيغونه ، اذا دخل الغرب بمغامرة التواضع تصبح الصيغة الفلسطينية نداء تكامل بين الشعوب ومقابلة فيأتي النور من النور واذا بالتلاقي مشاركة خبز وخلق .

[٣]

نحن والشهيد

« شروح قديمة على أشعار حديثة »

أحسان عباس

هو الآن يرحل منّا
ويسكن يافا
ويعرفها حجرا حجرا

هو : ضمير يدل على الغائب الحاضر أبدا ، لأنه يشير الى « الشهيد » . والشهيد لفظة تعني : « الحي » ، أي هو الذي يقهر الموت من خلال الموت . ليس هذا تحايلا مجازيا . « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم . . . » ؛ و « يافا » هذه التي يريد ان يسكنها — وربما اخترنا في هذا المقام « ان يسكن اليها » — هي إحدى الحور التي أقامت تنتظره طويلا مع سائر السرب الجميل : القدس وعكا وحيفا وصفد وطبريا و . . . عشرات ، آلاف ترغرف فوقها أرواح الشهداء في صور طيور خضر بلون أوراق الليمون والبرتقال والعنب ؛ وروحه الآن في صورة طير أخضر أو ابيض تتملى مواطن السحر والجمال او ملاعب الطفولة في يافا ، وذلك ما يرمز اليه الشاعر بقوله « ويعرفها حجرا حجرا » ، فان الحجر نموذج للجمال حين يكون رمزا للبيت والارض ، للوطن ، « للحرورية » التي طال انتظارها . أما نحن في لفظة « عنّا » فسوف يتم تحديدها من بعد .

هو الآن يخرج منّا
كما تخرج الارض من ليلة مطرة
وينهز الدم منه
وينهز الحبر منّا

تأمل اصرار الشاعر على استعمال لفظة « الآن » ، ليدل على مدى ارتباطنا نحن (هل نقول نحن الاحياء — الموتى ؟) بالزمن ، بينما يخرج الشهيد من محدودية الزمن الى المطلق ، يخرج من بيننا (أتري هذا الرحيل عنا والخروج منّا يعني الخلاص الذي كان ينشده ؟) وقد غسلته الشهادة من علائق الزمان والمكان كما تغسل الليلة الماطرة الارض . ذلك هو المعنى الذي اراده الشاعر دون ريب ، والا فان الشهيد — في الغالب — لا يغسل على الحقيقة ، وإنما يظل مخلقا بدمائه ، مكفنا بثوبه الذي كان يلبسه . قال أحد الأبطال الذين حاربوا في القادسية : « انا لآتو العدو — ان شاء الله — غدا ، وأنا مستشهدون ؛ لا تغسلوا عنا دماءنا ، ولا نكفن الا في ثوب كان علينا » . وسمع عكرمة يقول : « يصلى على الشهيد ولا يغسل ، فان الله قد طيبه » .

ومع ذلك فان هذه الصورة : أعني « خروج الارض من ليلة مطرة » صورة محيرة ؛ من هو الارض ومن هو الليلة الماطرة ؟ وكيف يتم الانفصال ؟ لكن يجب الا يستوقفنا

هذا التدقيق لانه تعنت غير ضروري ، اذ المهم هو الفرق النهائي بيننا وبينه ، وبين عطائنا وعطائه ، هو يقدم دمه ونحن نسفح الحبر . و « ينهمر » صيغة عجيبة في دلالتها الصوتية ؛ لشد ما يحسن هذا الشاعر ان يختار الكلمات الدالة . ولماذا كل هذا الحبر ؟ لقد بين الشاعر — من قبل — ان ذلك من أجله ، يا لروعة التصحية :

نحن نكتب عنه بلاغا فصيحاً

وشعرا حديثاً

ونبضي لنطرح أجزائنا في مقاهي الرصيف .

وليتنا كنا نخلط بذلك الحبر قليلا من دم الصدق ، لو فعلنا ذلك لكنا شهداء ، فطالما قرن حبر العلماء بدم الشهداء ، ولكنا ضيعنا العلم والشهادة ، واخترنا جلسمة استرخاء بليدة فوق المقاعد في مقاهي الرصيف ، حيث « نطرح » أجزائنا ولا « نهمرها » ، لانها ليست مما يمكن ان ينهمر .

اذن فان العلامة المميزة له هي « الدم » مثلما ان العلامة المميزة لنا هي « الحبر » وتحت هذين الشعارين يحتشد جميع الثنائيات المتناقضة من حق وباطل واخلاص ورياء ... ومن قبل ذلك ميز التنزيل بين القاعدين والمجاهدين (والجهاد درجة على طريق الشهادة) : « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » ، فكيف اذا كان القاعدون ممن يمضون ليطرحوا أجزائهم في مقاهي الرصيف ؟!

هو الآن يمضي ...

قتابل او برتقاله

ولا يعرف الحد بين الجريمة حين تصير حقوقا

وبين العدالة

وليس يصدق شيئا

وليس يكذب شيئا

موهمة هذه الاسطر : كأنها تقول انه لم يعد يستطيع ان يعين هويته : « قتابل او برتقاله » ولم يعد يعرف هوية الاشياء « الجريمة / الحق والعدالة » ولم يعد يدري أين يتخذ موقفه « مع الصدق او مع الكذب » ؛ لان خروجه من حدود الزمان والمكان قد أبطل علاقته بالمواضعات والمقولات التي تجري ضمن حدودهما . لا . معاذ الله . ليس هذا المعنى هو الذي قصده الشاعر ؛ أنا على مثل اليقين انه اراد ان الشهيد يمضي (الآن) ليصبح روحا متفجرة تفجر كل قنبلة تلقى على جهوع العدو ، وبرتقاله جميلة عند كل من يقرن بينه وبين « يافا » ؛ وانه حين يفتك في العدو يقول من لا يعرف حقيقة الامور او من يتجاهلها : « هذه جريمة ! » غير عارف — بل متجاهل — ان هذه الجريمة هي صورة الحقوق المسلوبة ، وهي وحدها العدالة . (وسنغفر للشاعر انه سمح للفظه « جريمة » ان ترد على خاطره) . ثم ان هذا الشهيد لم يعد يصدق شيئا او يكذب شيئا ، لا لانه وقع في منطقة حياد (ايجابي كان او غير ايجابي) بل لان خيز الشئئية عنده لم يعد يضم أمورا متباينة قابلة للصدق والكذب ، لم يعد لديه في ذلك الخيز سوى حقيقة واحدة مطلقة ، لا توصف بأية صيغة لغوية من صنع الانسان ، لان الصفات قائمة على تصور ثنائي نقود اليه الحاجة الانية في التمييز ؛ وتلك الحقيقة

الواحدة المطلقة هي الشهادة ، فاذا أسميتها الحق أو العدالة أو الجمال أو الفضيلة أو ... لم تعدد مسمياتها على تكررها ، دون أن يكون هناك تعدد في الغايات ؛ الشهيد لا تعدد لديه الغايات ، وإذا تعددت ظاهريا فانما هي وجوه لشيء واحد . ولهذا فان الشهيد لا يقاتل حمية ولا يقاتل شجاعة (أي ليتباهى بشجاعته) ولا يقاتل تكاثرا ولا يقاتل ابتغاء عرض . الشهيد انسان دقيق في انتظامه السلوكي ، ولهذا فان الرسول لم يعترف بالشهادة لرجل من الرماة قتل بعد ان امره الرسول هو ومن معه بالتحول عن مواقعهم ، كما أبى الاعتراف بالشهادة لرجل غلّ شملة (أي أخذها خلسة وخبأها) . الشهيد عازم لا يعرف التردد ، ولذلك كانت صورة عبدالله بن رواحة مختلفة عن صورة صاحبيه اللذين استشهدا قبله في معركة مؤتة ، اذ ادركته ونية وتردد ، وجعل يحث نفسه علي الاقدام بقوله :

أقسمت بالله لتتركنه طائفة أولا لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه مالي اراك تكرمين الخنه !!

والشهيد ايضا ... حسبنا ؛ انه يعرف كل ذلك ، يعرفه ويخلفه ورائه ، ونظل نحن نصب الحبر في التغني بهذه المثل .

هو الآن يمضي ويتركنا

كي نعارض حيناً

ونقبل حيناً

وهذه ثنائية جديدة نحسنها نحن : « المعارضة والقبول » وتردد بين طرفيها طويلاً؛ مبدأ المساومة كأن الأرض سلعة ، يا للفظاعة !! أما هو فلا يستطيع شيئاً من ذلك لأنه قد اختار وقضى الامر . ولم يتردد — كما نفعل نحن — وهو غير محكوم برغبات الحياة وحب العيش وتقلبات الظروف ؟

هو الآن يمضي شهيداً

ويتركنا لاجئينا

وهذه ثنائية أخرى طرفاها : « هو — نحن » ولكنها كانت حاضرة منذ البداية ، الا انها تحددت وتبلورت بالتسمية المميزة « الشهيد — اللاجئون » ولا تسألني ماذا يعني الشاعر بكلمة « اللاجئيين » ، فانك تستطيع ان تراهم حينها التفت ؛ أما الشهيد فقد أبى ان يكون لاجئاً بل جعل الأرض لاجئة في جراحه ... وأما نحن فقد يطول بنا الوقت قبل ان نكتشف الأرض فينا ؛ مع انه قد جاء الحديث « ما من مسلم يظلم بمظلمة فيقاتل فيقتل الا قتل شهيداً » ، واي مظلمة أشد من سلب الأرض — الوطن ؟!

[٤]

طمانينة القلب ، غبطة المرارة

أدونيس

[١]

انها وردة العالم ، لكنها مريضة : تلك هي القوس التي تمتد بين الحنجرة والقلب .
وأخذنا نسبي هذه القوس — مرة انطاكية ، ومرة الاوراس ، ومرة فلسطين .
انها وردة العالم ، لكنها متوجة بالشوك : لماذا ترفض الارض أن تزهر بغير الدم ؟

[٢]

١٩٦٧ — نتبعثر ، ثم نشعر كأننا نتخثر .
كيف نهدم نظام الكلام الذي يوطر حياتنا ؟
حاولنا دائما ، وانتشينا . لكن ، في لحظات صحنونا ، كنا نكتشف أننا نهدم الكلام
بكلام آخر ، وأن هدفنا هو نفسه كلام .
كنا كوكبة أصدقاء :
— متى تتفجر الثورة ؟

[٣]

الثورة / المثرة

أناس يخافون من الفقر ، وأناس يخافون من الغنى . المال أكبر من صاحب المال :
تلك هي مفارقة أخرى بين مفارقات الرأسمالية المتخلفة . مفارقة تقوم على العنف
ولا تفرز غير الطغيان : حيث يزيد الغنى في استلاب المسحوقين ، يثيبتهم ويحولهم
الى بضاعة . يعمم عادة الصبر واللامبالاة . ويحال بين المسحوق ونفسه . لا يتاح له
أن يكون حتى سيد يومه ، فكيف يتاح له أن يكون سيد مصيره ؟ يحاصر المسحوقون
داخل شبابهم . يعاملون كجموع من الرمل .

أن أكون مسحوقا : هذا ليس خطأي . انه خطأ الآخر . لكن ، من الاعماق البشرية
المسحوقة ينبجس الكلام — الفعل ، ينبجس العمل — التغيير . فلنطوق هذا الآخر ولو
بأشلائنا . نحن المسحوقين لا شيء ، لكن يمكننا أن نكون كل شيء .

تتسلسل كالجنون الى هذا « العقل » المسيطر . نرجه ، نزلزله . ما كان مرضا
يتحول الى صحة . ما كان شذوذا يصبح هو القاعدة . لنكن لها لا يقبض ، ولا يقدر
اي حجاب أن يمنع حضوره الساطع . لنتغلغل كالرعد في أحشاء هذا العالم . نحن
المسحوقين لا شيء ، لذلك يمكننا أن نكون كل شيء .

[٤]

الثورة / ممارسة التحرر

لكن هذه الممارسة معرفة ، أولا . معرفة يؤسسها المسحوقون . فهم ، وحدهم ، يعرفون القمع ، ويعرفون أسبابه وأدواته . لذلك يعرفون طريق التحرر .

تكون المعرفة تحريرا أو لا تكون .

وها هو نهر الحياة العربية يتغذى بطحالب الالفاظ : الكلمات اصوات ، واللغة مناجم للرنين . وليس في هذه المناجم غير الآلات التي تسحق وتستلب . ترسخ السائد — الاقتصادي ، الثقافي ، السياسي . تخضعنا نحن المسحوقين لشروطها : هذا حلال وهذا حرام . هذا خير وهذا شر . هذا جميل وهذا قبيح . تشدنا بأمراس النهي والامر . لا نعود نحيا واقعيا . نشرد في عالم آخر . ونفتخيل حياتنا .

هكذا نمارس معرفة **مجانية** : ارث البلاغة ، بلاغة الارث . وهذه معرفة مستقلة عن ظروفها واسبابها : سديم يعوم في الفضاء .

المعرفة الحقيقية لا تكون مجانية . الشعر نفسه لا يمكن ان يكون مجانيا . المعرفة **كفاح** . في هذا خصوصية المعرفة / الثقافة التي يؤسسها المسحوقون . أعني خصوصية الثقافة الثورية .

[٥]

— لكن هذه الثقافة ليست مجرد تلبية . انها أغنى وأوسع : انها **صبوة** لا تنتهي . الثورة / الثقافة ليست في تحقيق ما نحتاج اليه وحسب ، وانما هي ايضا في تحقيق ما **نصبو** اليه . كل ثقافة / ثورة تقتصر على تلبية الحاجة ، تبدأ بالانهازم لحظة تنتصر .

بهذه المعرفة نخرج من **وحدة المجانية** ، الى وحدة **مشروع** مشترك ، عمل مشترك . نبطل أن نكون سديما ، ونصبح طاقة مغيرة . هكذا نخرج من موقع الضحية . نخرج من **حضارة الاغاةة** .

[٦]

— ليس هذا الخروج برنامجا : انه هدم واقع نعيد بناءه فيما نهدمه . وها هي « البورجوازية العربية » ، شأن البورجوازية الأوروبية ...

— لا مقارنة . الثقافة البورجوازية الأوروبية انتصرت على الثقافة الاتطاعية — الكنسية ، بما أعلنته ، وحققته عمليا : حقوق الانسان ، ثورة ١٧٨٩ ، العلمنة ، العلم ، أولية العقل ، الديمقراطية ... وبهذا مهدت لنشوء قوى التقدم ، لنشوء الثورة الاشتراكية الاولى . ما ثقافة هذه التي نسميها « البورجوازية العربية » ؟ انها **اعادة** للثقافة التي نشأت في بلاط الخلافة ، ونقل للثقافة الغربية التي لا تتناقض معها . الثقافة العربية **السائدة** ، بجميع مؤسساتها ونشاطاتها ، **انتفاخ** يلفق بين هذين المنحيين .

— ولم يعد كافيا نقد هذه الثقافة ورفضها . يجب أن نهدمها . ولا نهدمها بمجرد أن نهدم مؤسساتها ، وإنما علينا أن نهدم **علاقاتها** : أعني أسسها ومنطلقاتها . يجب أن نشن حربنا عليها ، **ونعيش** هذه الحرب : نؤسس عائلة بديلة ، مدرسة بديلة ، جامعة بديلة ... في ذلك ، وحده ، نخلق مسارا جديدا لثقافة جديدة . وفي هذا ، يصح القول : **تكون الثورة العربية ثقافية أو لا تكون** .

[٧]

— الثورة الفلسطينية / هل سمعتم البيان الاول ؟ كيف شعرتم ؟

— كمن يعرف ، للمرة الاولى ، أنه موجود ، وأن له اسما .

— الثورة الفلسطينية /

انها ، موضوعيا ، حرب تحريرنا **الشامل** .

— وهي ، موضوعيا ، حلبة الصدام ، على مستوى العالم كله في هذا القرن ، بين أعقد أشكال الاستلاب الذي تمارسه الامبريالية ، وأكثرها عنفا . عنيت **الصهيونية** ، وبين أعرق أشكال التحرر من الاستلاب ، وأكثرها ايمانا ببهاء الحياة البشرية على هذا الكوكب ، عنيت الثورة الفلسطينية .

— الثورة الفلسطينية **قانون ايمان** التحرر الشامل ، عريبا . **ورائز** لدى الايمان

بالتحرر والعمل له ، عالميا .

[٨]

— ما الشعر ، هنا ، ما مهمته ؟

— أن تنصهر في لبب الثورة ، **حريا** ، وأن تنصهر فيه ، **كتابة** ، سواء . الموت ، في هذا المستوى ، ابداع أي شعر . والشعر ، في هذا المستوى ، موت : لا فرق ، لا فصل . والرؤيا الشعرية هي هي دائما : **تأسيس الممكن** — أي الصبوة التي لا ينتهي . فان تكتب الشعر هو أن تؤسس الزمن الذي **يكلهن** فيه كل شخص صبوته العميقة ، **ويعيشها** . والصبوة كالثورة حركة وليست **حدا** .

— لكن هذه الصبوة مما لا يقال ، الآن .

— ما لا يقال الآن ، في المجتمع العربي ، هو مجال الشعر الحقيقي . كل « شعر »

آخر ليس الا نوعا من المشاركة في تعميم القمع ، أعني القتل .

ما « الشعر » السائد ؟ مدح أو هجاء : أي رياء وكذب . انذلك يندرج في البنية الثقافية السائدة : لا خطر منه . الخطر في الشعر الذي يؤسس الممكن ، يؤسس الصديق ، يتقدم في أفق الثورة .

الصبوة حلم بتحقيق ما نريد أن نكون . الشعر هو أن نحقق هذا الحلم ، **ماديا** . الفاعلية الشعرية التي تقتضيها الثورة هي ، إذن ، فاعلية **خرق المحظور** . والشعر ، في هذا الاطار ، خميرة الهدم . لا يكون في المجتمع العربي شعر ، الا بدءا من خرق المحظور .

— الثورة الفلسطينية /

بالثورة نبدأ بالمادة ، أعني بجسد العالم . نمارس كلاماً يبدأ كالعمل من الجسد ، يكون امتداداً له . هكذا تنتهي ثقافة البدء من الفكرة ، وتبدأ ثقافة البدء من العمل .

— الثورة الفلسطينية / معرفة كيف نعمل معا : نرفض التمييز بين من يخطط ومن ينفذ ، بين من يبدع ومن يتلقى .

— لكن ، كيف أسكر بجسد ليس بين يدي ؟ كيف أغني جسداً يجهل جسدي ؟

— الماضي ؟ جسد مات أو يموت . لا نقدر أن نلغي الموت . نقدر أن نتجاوزه . لنخلق اذن تجربتنا . نمارس ابداع تاريخنا نحن ، هنا والآن .

الثورة الفلسطينية / .. هنا ، والآن . تخلخل وتحول . لا تحتضن الحياة وحدها . تحتضن كذلك الموت : ما أجمل الخراب ! في طعم النهاية ، اذن ، طعم البداية . في الثورة ما يكتشف نواة الاشياء ، ويرد الشخص الى جذره الحي .

الثورة / هذه الطمأنينة في القلق ، هذه القبضة في المرارة .

الثورة / أيتها النهاية أبدأ بك .

انها وردة العالم ، لكنها متوجة بالشوك : لماذا ترفض الارض أن تزهر الا بالدم ؟

[٥]

أي كوكب يغنيني
عن أمي ؟

انسي الحاج

من القمر

جاء رجل ، ثم رجل ، ثم رجل ، وقالوا : نحن عائدون .

فقامت .

التي كانت مطوية تحت غبار اللامبالاة ، قامت .

الخرافة صارت بشرا .

اللفظة ، الحرف ، الفراغ ، صارت رجالا .

والذين في الخيام ، راحوا يتركون صلبانا ويحملون أخرى ، يتركون صلبان اليأس
ويحملون صلبان البعث ، ويلحقون بالرجل الاول ، فالثاني ، فالثالث ...

الذين كانوا تحت كل قانون صاروا ، بغضب العدالة ، ثم القانون ، والذين كانوا
أرقاما في وكالة حسنات صاروا الخوف ، والتمن الذي دفعوه دون حساب أخذوا
يستوفونه دون حساب أيضا .

منذ عشر سنين جاء رجل ومال : سأعود .

سنعود ، راحوا يجيئون وينهضون تحت الخيام .

منذ عشر سنين بدأت فلسطين تجاوب فلسطين . هناك الارض تنادي اولادها ،
وهنا الاولاد تتحرك فيهم الارض .

القمر أم القدس يا ابن القدس ؟

القدس ! القدس ! أي كوكب يغنيني عن أمي ، وأية مملكة تساوي حبة من تراب
القدس ؟ ما أسخف الذين ظنوا أهل فلسطين سينسونها مع الوقت . كيف تنسى
فلسطين ؟ الذي ينسى فلسطين لا يستحق غيرها . الذي ينسى فلسطين لا يستحق
خيمة في صحراء . لتنسه الشعوب والسماء من ينسى فلسطين . ولتنسه يمينه .

منذ عشر سنين والذاكرة التي انتفضت تمشي ، تمشي ، حتى احتلت ضمير العالم .

من يستطيع بعد أن يقول : هذه القضية لا تعنيني ؟

ومن لا تعنيه القدس ؟ والناصره ؟ وبيت لحم ؟

ومن لا يعنيه الذين يموتون بهذا العناد المجنون ، كأن الاستشهاد ، معهم ، أصبح
ادمانا ؟

من في الدنيا يستطيع أن يقول : لست فلسطينيا ؟ ومن ينظر الى القدس ويقدر أن
يقول : أنا بريء من دم هذا الصديق ؟

أفضل منا ، القدس .

أفضل منا .

العالم كله مقدسي ولكن القدس أفضل من كل العالم . كأنها ليست من هذا العالم ،
ولأنها هكذا ، تازة نصلبها بالاهمال ، وتارة بالخيانة ، وتارة بالحقق .

لا مدينة هي ولا عاصمة . انها السماء بيننا على الارض ، انها الارض الكاملة .
المختارة هي . المالكة . لا أحد يملك القدس . القدس تملكنا جميعا .

فلسطين تملكنا جميعا .

كل عائد الى فلسطين تعود معه البشرية .

تعود معه الى الخلاص .

منذ عشر سنين لم تبدأ مسيرة عودة الفلسطينيين وخدمهم الى فلسطين ، بل معهم
وفيهم بدأت مسيرة عودة العالم الى فلسطين .

وسواء بغصن الزيتون أم بالفداء ، سيرجع أبناء الارض .

لان نداء الارض اقوى .

ولان فلسطين اقوى أرض .

الثورة الفلسطينية في الضمير اليهودي

الحاخام المريرغر

قال الكاتب الفكاهي والساحر الأميركي مارك توين ذات مرة أن الله انعم على الأميركيين بثلاث هبات : « حرية الكلام ، حرية الضمير ، والاحتراز من ممارسة أي منها أبداً » . بهذه الملاحظة الساخرة ، كمعظم الأقوال التهكمية البارعة ، ليست صحيحة إلا بصورة جزئية ، علماً بأن الأدلة تشير إلى أن هذا الجزء من الحقيقة كان في ازدياد خلال الأعوام الأخيرة .

وينطبق تعليق مارك توين اللاذع ، بصورة مأساوية ، على موضوع « الضمير اليهودي » والثورة الفلسطينية . ليس من الصعب وصف الوجود الثابت « لضمير يهودي » جدير حقاً بالثناء مع جوهر نموذجي في سياق المشكلة الفلسطينية . ويتوقف الشيء الكثير ، بالطبع ، على ما يعنيه المحلل « بالضمير اليهودي » . واعتقد أنه من الضروري ، بادئ ذي بدء ، التمييز بين « الضمير اليهودي » و« الوعي اليهودي » . وإذا كان « للضمير » أي معنى حقيقي على الإطلاق في هذا العالم المليء برجال الدولة الساخرين ، والامم « المحرومة » الجائعة ، والإنهك المنغمس ذاتياً بأدوات المدنية التي درجة أن السياسيين يمجدون الإنهك ويحولونه إلى « مبادئ » ، فإن « للضمير » صلة بالله ، أو على الأقل بأية عبارة يستخدمها أي شخص حساس للإشارة إلى أن الإنسان يستطيع أن يكون أفضل وأكثر مما هو ، وسواء اجتهد المرء ، أم لم يجتهد ، لتحقيق هذا النوع من السمواتك مسألة أخرى وقد تكون ، بحد ذاتها ، لها صلة ما بالضمير . ومن الناحية الأخرى فإن « الوعي » ، بالتحديد ، مقيد بالأرض ومقيد بالإنسان . وقد يشتمل — في أي فرد معين — على درجة كبيرة من « الضمير » ، ولكنه لا يعني بالضرورة أنه يشتمل عليه . وفي هذا الفرق يكمن الانقسام الممكن بين ما يعيره أحد الأشخاص من كينونته — ما هو أو ما هي — وبين ما يدرك (بضمير) أنه قد يصيره .

يذكر في هذا باختبار شخصي عام ١٩٦٨ . كنت قد قبلت دعوة للاحاضر في الكلية اللاهوتية التابعة لجامعة ليدن ، في هولندا ، وقد سبب لي الموضوع المقترح للمحاضرة — وهو « النبوة ، والصهيونية ودولة إسرائيل » — خوفاً عظيماً . فقد كان تدريبي في كتابات العهد القديم تاريخياً ، تحليلياً وعلمياً على نحو صارم وتام . وكان « لاهوتي » مستقظاً من هذا المزيج من فروع المعرفة والدراسة عوضاً عن ملاءمة تفاسير النصوص التوراتية في لاهوت مطبوع مسبقاً . وكان لاهوتيو ليدن كلنفينين* . والميول المسيطرة للكلنفينين — حينما يكون الأمر متعلقاً بالصهيونية ودولة إسرائيل — هي العثور في النصوص التوراتية على « سلطة » لتأييد وتسويغ السياسات الصهيونية

* أي اتباع المصلح البروتستانتي جون كلن ، وهم يشكلون إحدى الطوائف البروتستانتية في الغرب .

والاسرائيلية السياسية / الارضية . وبحلول عام ١٩٦٨ كنت قد اصبحت معتادا على المواجهات مع المدافعين عن الصهيونية واسرائيل . ففي ذلك التاريخ كان قد مضى على مواجهتي لهم ربع قرن . ولكن الجمهور في ليدن لن يكون — كما افترضت — ميالا الى الموافقة مع السياسة الصهيونية / الاسرائيلية فحسب ، بل مستعدا ايضا لان يتلو علي — من الذاكرة وفي معركة « نصوص ثابتة » — آية نصوص تورانية من سفر التكوين الى سفر الاخبار ؛ وانا لم اجد قط اي دافع او منطق لان احفظ غيبا مجموعة متنوعة واحيانا متضاربة من الايات التوراتية .

وعلى الرغم من هواجسي اقتنعت اخيرا بقبول الدعوة . وقد تم تسجيل كل ما قلته . وكل ما تدعو الحاجة الى قوله لتوضيح ما أعنيه هو ان عرضي كان خلاصة تاريخية ، تحليلية ، منتظمة للتفكير النبوي في اليهودية . وجادات بأقصى ما استطيع من قوة وبلاغة — مدعوما بالنصوص المطابقة — قائلا ان هذه الرؤية المحددة والشاملة لعلاقة الله بالانسان لا يمكن تشويبهها ، بأي معنى منطقي صحيح ، وتحويلها الى دعم حقيقي لحركة الصهيونية القومية ، القبلية ، المنغلقة والتمييزية وللدولة الصهيونية التي فرختها في الشرق الاوسط .

وقد اثرت المحاضرة في الجمهور ، حتى وان لم تهده الى التفكير السليم . وشجعتني بعض ردود الفعل الفردية على الاعتقاد بأنني قد عززت بعض الشكوك ، وقال بضعة أشخاص كانوا قبل محاضرتي يتفقون معي سياسيا ، انني قدمت تفاسير تزود سياستهم ببعض السلطة النصية .

كان هناك شاب يهودي بين الجمهور . وخلال فترة الاسئلة بعد المحاضرة نهض ليقول ما معناه : لا يمكنني ان اختلف مع اختيارك للمصادر ولا ، يقينا ، مع تفسيراتك لتلك الاختيارات . لكن بعضا منا قد مل ملاحقة مثاليات الانبياء في وجه وحشية معظم العالم . وفي الصهيونية نرى الامل في قوة مضادة وفي اسرائيل نرى منذ الآن (وكان هذا بعد عام ١٩٦٧) كيف ان استخدام هذه القوة في الوقت المناسب يكسب لنا احترام العالم .

لم يكن هذا مسؤولا ولكنه لم يكن ايضا نوعا من الخطب الهستيرية والافتراضية المشوهة للسمعة التي طالما تعرض لها الكثيرون منا نحن الذين خضنا الحملات الاعلامية على يد المدافعين عن الصهيونية . لكن تعليق الشاب أوضح النزاع الممكن — وحتى المرجح في كثير من الاحيان — بين « الوعي » و « الضمير » . فان « خصمي » في ليدن لم يعد يرغب في الاصغاء الى ضميره . لقد افترضت من موافقته الضمنية على جدلي أو قبوله له ان « الضمير اليهودي » قد وخر . واذا كان بإمكان بقية العالم ان تعامل الكثيرين من اليهود معاملة عديمة الضمير كما فعلت ، فهذا الشاب يشعر بأن ثمة ما يسوغ له الرد بالمثل . وبلا ضمير — مستجيبا للوعي فقط — لم يعد يكثر لحقيقة ان « العرب » لم يكونوا هم الذين بدأوا الحلقة المفرغة للقوة المستجيبة للقوة . فهو ، ببساطة ، لم يكن يرغب في ان يسمع عن « الضمير اليهودي » ، وكان هذا بحد ذاته اختيارا عديم الضمير . وفي العالم كما رآه كان النجاح العملي — في ذلك الحين — لسياسات استخدام القوة والتوسع في الاراضي التي انتهجتها الصهيونية واسرائيل قد سهل له اختيار الصمم الاخلاقي عديم الضمير هذا .

كان الاختبار مؤثرا ولكنه لم يكن فريدا من نوعه على ما اعتقد . فقد شهدت النزاع بين الضمير والوعي ، في شكل او آخر ، طوال الاعوام الخمسة والثلاثين لانغماسي في المشكلة الفلسطينية . لقد دعاني صناعيون يهود من كبار المليونيرين اللى اجتماعات خاصة قالوا لي فيها : « نعتقد ان ما تقوم به أنت ضروري الى آخر حد ، ولكننا لا نستطيع ان نتحمل المجازفة بمستقبل شركاتنا عن طريق الارتباط بجهودك » . وقالت لي اصوات من البروليتاريا اليهودية في نيويورك او لوس انجيلوس — من سائقي سيارات اجرة وغيرهم : « ان ما نقول معقول ، ولكن في الحي الذي نعيش فيه سيسرق الحليب من أمام ابواب منازلنا وسيسبب الجيران المتاعب لزوجاتنا وابنائنا ان نحن قلنا هذه الاشياء » . لقد جلست مع تجار يهود متوسطين عاديين واصحاب مهن حرة في بيوتهم و « استجوبوني » لاعود فاسمع منهم ردا على النحو التالي : « ولكن لماذا لا يقول ولتر كرونكايت* أبدا أيا من الامور التي تقولها أنت ؟ » او « ربما كنت على حق ، ولكن من أين يحصل السناتور همفري او السناتور جاكسون على المعلومات التي تفضي الى مثل هذه الاستنتاجات العكسية ؟ » . وقد سمعت مسيحيين امريكيين يقولون : « أنت على حق ، ولكن لا يسعنا ان نجازف بأن نوصف باللاسامية ولذا فاننا لا نتكلم بصراحة عن هذه الامور » . كما أعرف الكثيرين جدا من الامريكيين المتحدرين من أصل عربي وهم حلفاء متحمسون سرا ولكنهم لا يقدمون علنا لا التأييد المعنوي ولا الدعم المادي لانهم لا يريدون ان يبدووا وكأنهم يشوشون انصارهم في « البوتقة » الأمريكية .

هذا الاختبار الطويل والكثيف — والواسع — قد ثبت التفكير الذي اخترت به دوري بصورة متعمدة وواعية لاكثر من ثلاثة عقود خلت . ان « الضمير » — حتى « الضمير اليهودي » — في ما يتعلق بفلسطين والفلسطينيين هو حي . ولكنه ليس في حالة حسنة . فقد طمس ببساطة لدى الكثيرين جدا من الاشخاص الشرفاء في الاساس وحتى ذوي الاحساس — نوعي المصلحة الذاتية ، او وغي الدعاوة المقبولة ظاهريا التي تبثها الصهيونية واسرائيل ، او وغي ما هو « واقعي » او « عملي » ، او ربما ما هو حذر ليس الا .

يفترض ان بنيامين دزرائيلي قال ذات مرة عن خصمه الليبرالي الابدي غلادستون ان « ضميره ليس دليله بل شريكه (في الجريمة) » . كان هذا الكلام لاحد السياسيين وهو يشن حملة ضد سياسي آخر . ويجوز لنا أن نكون أكثر تمييزا في كل من التحليل واللغة . فأننا اعتقد أن اعدادا كبيرة جدا من اليهود تدرك فعلا وجود هوة بين ضميرها ووعياها للمشكلة الفلسطينية . وثمة ارتباك حول « اللاجئين » ، وحول العسكرية الاسرائيلية ، وحول الاساليب القذرة لعصبة الدفاع اليهودية . لكن الارتباك لا يدفعهم الى العمل ، ولا يعرفون في الواقع الكثير من الحقائق ولذا يقبلون — الى حد كبير — بما يقول لهم الجهاز الصهيوني والسياسيون الحقيرون (الذين يحركهم الجهاز) انه « السبيل العملي الوحيد » ، « الشيء الواقعي الذي ينبغي فعله » ، و « واقع الحسالة » .

ان احدا لا يعي هذا التباين ، هذا القلق الروحي المغمور وغير المنتظم البنية اكثر من الاسياد الكبار للدعاوة الصهيونية ، داخل اسرائيل وخارجها . ونعلم الان ان الفنين

* شخصية تلفزيونية امريكية شهيرة .

الدبلوماسيين والعسكريين في اسرائيل لم يخشوا اعادة تامة عام ١٩٦٧ . ولكننا نعلم أيضا ان اشيכול — عن طيب خاطر او على مضض — قدم اعتبار المنصب الذي كان يحتله آنذاك لصنع هستيريا الحرب . ان الدعاوة الصهيونية في اوربا الغربية والولايات المتحدة لا تقدم أبدا في صيغة صريحة ليهود تلك البلدان . ولا يأتي ايبان او ديان او الجدة غولدا ابدا غربي مطار اللد ليحثوا اليهود على أخذ فلسطين « لانفسهم » — ولا يهم اذا كان لا بد من تشريد « العرب » . بل على العكس ، فالدعاوة قبل عام ١٩٤٨ كانت : (« نريد موطنا » للذين « لا وطن لهم » ، « للمضطهدين » ، « للمطرودين — المحرومين » . ونستطيع توفير هذا الوطن ، ونجعل « العرب » في الوقت ذاته بين اكبر المستفيدين من تقدم الصهيونية وتطورها .) . وفي ١٩٤٨ — ١٩٤٩ كان الخط الدعائي : « لقد ترك العرب البلاد متصرفين تصرفا مغائرا لما نصحتهم به الحكومة الصهيونية ، مؤملين العودة كفاتحين » . ومنذ عام ١٩٦٧ فان نجوم الدبلوماسية والجنرالات الاسرائيليين الذين غزوا اوربا واميركا لم يدعوا — حتى عام ١٩٧٣ — الى دولة تمييزية صهيونية « يهودية » هدفها الجغرافي — السياسي هو ، جزئيا ، تشويه الوعي الوطني الفلسطيني وفي النهاية سحقه ، بل بالاحرى كانت الحجة هي ان « اسرائيل الديمقراطية هي أفضل ضمانة لمصالح الغرب الحيوية في الشرق الاوسط » .

لقد صارت الافكار الرئيسية كليشيهات في وعي معظم اليهود وبالتأكيد في عقول معظم الآخرين في الغرب أيضا . وهذه الكليشيهات ، شأنها شأن جميع الكليشيهات ، معبر عنها ببراعة ، وتكرر على الدوام لتمنع التفكير ، لا لتحركه . وقد صممت لا لتخز الضمائر ، بل لتدور حولها . وقلة ضئيلة من الناس تفهم جوهر المشكلة وقضاياها بحيث انه لا يسع مؤيدا للعدل والحق — وهما عنصران في الضمير — الافتراض بأن الجمهور المتوسط في اميركا او اوربا الغربية يعرف « الألف » من « الباء » في التطور التاريخي للمشكلة . ويشمل هذا اليهود في تلك المناطق . وانا دائما لا اكاد ابدا الكلام عن المشكلة دون الاستشهاد بنصائح بلفور الساخرة لمجلس وزرائه عام ١٩٢٢ بأنه لا يمكن التوفيق بين وعد بلفور والانتداب من جهة ، وميثاق عصبة الامم من جهة اخرى . وقد اعترف بأن احدا لم يسأل الفلسطينيين ماذا يريدون — وليس بنية احد أن يسألهم . ومضى يقول : « بقدر ما يتعلق الامر بفلسطين . . . فان الدول الكبرى لم تصدر بيانا عن واقع غير مسلم ، ولم نعلن عن سياسة لم يكن في نيتها دائما خرقها ، بمعناها الحرفي على الاقل » (١) .

ذلك الاعتراف الحي الضمير بعمل سياسي لا اخلاقي لم ينشر الا بعد مرور اكثر من ثلاثة عقود على عمل القرصنة عديم الضمير الذي سلب حقوق شعب وولد دولة صهيونية جنينية ، مغلفة بنفقات التمسك بحرفية الكتاب المقدس ، وتقويم «اللاسامية» المسيحية مع زخرفة الخدمة الصهيونية للمصالح الامبريالية البريطانية . كان وايزمان وتابعوه الامناء يعرفون ان الحقيقة تتعارض مع كل مفهوم اخلاقي ، منتهكة كل ما يمليه الضمير ، اذا كان للضمير اي معنى على الاطلاق . كما كان يعلم ذلك رجال الدولة البريطانيون (والآخرين) الا أن أيا منا لم يكن بحاجة الى ووترغيت ليعرف ان معظم السياسيين ، من كل نوع وجنسية ، يعالجون ضمائرهم بجرعات كبيرة من المخدرات

السياسية الساخرة . وبيت القصيد هو انه مهما كان مقدار الامل الذي عقده بعض اليهود على « العودة الى صهيون » ، اما كمطمح روعي او حتى كواقع سياسي ، فان قلة قليلة منهم كانت تدرك الحقائق السياسية / الاقليمية / الديمغرافية . ولذا فانهم لم يعرضوا لاي تعذيب ضمير .

قد يبدو كل هذا بعيد الاحتمال — او مجرد دفاع آخر — بعد هذه الاعوام من ١٩٦٧ والى ١٩٧٣ . ولكنني اتحدى كل من يحاول تلطيف ما كتبت حتى الآن ان يظهر اين — وكيف — خارج البلدان العربية نفسها (وفي الحجرات المعقمة لموظفي المكاتب في وزارة الخارجية الاميركية والوزارات الخارجية الاخرى) كانت هناك اية معرفة واسعة الانتشار، ناهيك عن ادراك للحقائق . واذا كان الضمير عضلة اخلاقية، متميزة عن « الوعي » الذي يستجيب للظواهر الاكثر تأثرا بالحواس البشرية الخمس ، فان « الضمير اليهودي » لم يوضع على المحك في الواقع . ولا يعني هذا الاعراب عن ثقة تامة به عندما يأتي المحك المحتوم — كما بات ممكنا الآن منذ بروز الفلسطينيين . فهناك دوما الخطر الذي حذر منه يهودا ماغنيس عام ١٩٤٧ من انه اذا ما وضعت القيم الاخلاقية ، لمصلحة النفعية ، في « الثلاجة » ، فقد لا يصار الى اخراجها منها ابدا ، واذا ما اخرجت منها ، فقد لا تخرج حية . وهذا خطر يواجهه « الضمير اليهودي » الآن فيما يدرك العالم القضية الفلسطينية بصورة متزايدة . وانه لامر حاسم ان ندرك ان لحظة الحقيقة قد قربتها المساهمة « العربية » المتزايدة — وغير الوافية بعد — في انظمة الاتصالات في العالم . فهناك يتم تحريك الوعي ومثل هذا التحريك هو مجرد شرط لاية ردود فعل دافعة للضمير .

ان ما اعنيه هو ان المحك لم يستخدم بعد . لست متحررا من الشكوك حول النتيجة ، ولكن لدي املا كذلك . فالحكم لم يصدر بعد ، على ما اعتقد ، والى هذا الرأي اضيف انه حتى ولو خيب املي الراهن فهناك أدلة تشير منذ الآن الى أن خيبة الامل لن تكون خائفة وازلية بصورة تامة .

انني لم ازخرف هذه المقالة بتكرير وصية العهد القديم التي تحت على معاملة « الغريب كنفسك » (علما بأن الفلسطينيين ليسوا غرباء على فلسطين ، بالطبع) . كما انني لم اتكئ على عكاز النصائح النبوية الفائلة بأن في صهيون « سيكون منزلي منزل الصلاة لجميع الشعوب » . ولم أسلط الضوء هنا على النزعة الانسانية التي لا تقهر عند آحاد هاعام ، والخلاصية المتحمسة لدى مارتن بوبر ، والاحاحات العملية ليهودا ماغنيس على الندم للمتخلي عن المبادئ الاولية للديموقراطية . وأخيرا فاني لم أقم بأي تقييم عملي للحقائق الراهنة في اسرائيل نفسها ، واسرائيل شهاك ، وأوري ديفيز ، وأري بوبر او حتى ثيولاميت ألوني . يكفي القول انه طالما كانت هناك صهيونية — في اية صيغة سياسية/اقليمية تضع الوعي « اليهودي » الدنيوي فوق الضمير — فقد كان هناك هؤلاء الذين استجابوا للضمير وصرخوا ، مهما كان الثمن في نطاق الامن وراحة الانحياز الى الجانب الاوغر حظا ، حتى ولو بدوا اصواتا تصرخ في البرية . وما من شخص عاقل جادل ابدا بأن « الضمير هو شأن من شؤون وسائل الاعلام الجماهيرية او السياسيين » . ولا يمكن العثور عليه في اسرار أجهزة الترانزيستور او آلات الاقتراع . بل يبقى « الصوت الذي ما يزال صغيرا » الذي سمعه النبي ايليا « حينما مر السيد » .

انه شأن من شؤون رجال الاعمال (المختطفين عن السياسيين) والمعلمين والمثاليين (المختطفين عن معلّثي التلفزيون أو مراسلي الصحف) أولا « ان يعرفوا » الحقيقة ومن ثم ان يصلوا الى الضمائر عند الآخرين وهكذا ينشطوها «لتقيم العدل وتحب الرحمة» . وهذا يشير الى خاتمتي لهذه المقالة . كان رد فعلي الاول للدعوة اللى تقديم هذه الشهادة هو الاعتراض على صياغة الموضوع . فضميري يرفض تصور ان هناك في مخاطبة ظاهرة الثورة الفلسطينية ضميرا « يهوديا » و« مسيحيا » و« مسلما » . قد تكون هناك اشكال مختلفة نوعا ما « لوعي » الثورة بين هذه المجموعات المختلفة . ولكن اذا كان الجوهر الدافع للثورة هو دولتها الديموقراطية المعلنة ، واحترامها للانسانية المشتركة لجميع الذين لهم مطالب شرعية في فلسطين ، وتوسيعها الرحوم للتقيدات الحرفية والمتشددة بقانونية تلك المطالب لتشمل — كأنداد — هؤلاء الذين يعيشون حاليا في البلاد (بصرف النظر عن الخطوات التي قد تتخذ في النهاية لازالة جهاز ايدولوجيا صهيونية عنصرية/لاهوتية) ، فان القوة الدافعة الاخلاقية للثورة ، اذا ، هي انعكاس لزيح من الضمير اليهودي — المسيحي — المسلم . ذلك اننا جميعا معرضون بطريقة او بأخرى وفي درجات مختلفة لقواعد سلوك ادياننا الخاصة ، وهذه القواعد تأمرنا بتوقير هذه القيم الانسانية/الالهية نفسها . وقد يحاول البعض تسويغ خيانة هذه القيم عن طريق التنازلات الوطنية/السياسية . الا ان التسويغات لا تبطل الحقائق الثابتة . فالتسويغات تثبت ، فحسب ، ضعفنا البشري العمام الشامل . وبكلام آخر ، اذا حققت الثورة اهدافها المعلنة — واذا كان هؤلاء الذين يديرون اية بنية قد يتم خلقها لتنفيذ هذه الاهداف مخلصين لها ويعملون باستقامة وأمانة — فانني من وعيي أنا للضمير « اليهودي » يجب ان أقول ان الضمير « اليهودي » سيكون فعلا مؤثرا في الثورة نفسها .

في هذه المرحلة الحاسمة من مراحل التاريخ سيكون هناك من يقول ان هذه الرؤيا منسوجة من الوهم . يجب ان يتذكر هؤلاء انه لسنتين قصيرتين خاتا فحسب تكلمت غولدا مئير من وعي « يهودي » (صهيوني) مجرد من الضمير فأعلنت ان الفلسطينيين « لا وجود لهم » . هذه هي حال الواقعيين ! لقد تمتع نضال الفلسطينيين بقدر كبير من النجاح في النفاذ الى وعي العالم — دون استثناء اليهود . فالتظاهرة التي اديرت ببراعة في ساحة هامرشولد أمام الامم المتحدة في الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) كانت — بين أمور أخرى — برهانا جليا على ان الوعي « اليهودي » تخطى قصر نظر غولدا مئير السياسي . وكان هذا الوعي في الاشهر الاخيرة من عام ١٩٧٤ معنيا بالكتيكات لمواجهة الفلسطينيين فيما تدنو المناقشة العالمية حول فلسطين من مستوى معرفة وادراك كانت الصهيونية/اسرائيل — بعد عام ١٩٦٧ — على ثقة متغطرة بأنها لن تبلغه ابدا .

بيد ان النضال الاعظم يكمن في المستقبل من الايام ، بعدما حقق الفلسطينيون النجاح في مرحلة اولى معلنة من مراحل الثورة — وهي على وجه الدقة ايفاظ الوعي العالمي لوجودهم — فان التحدي التالي لهم سيكون الانتقال الآن من هذا الوعي الذي ما يزال غير ثابت الى ضمير العالم ، فان صورة الفلسطينيين عند مستوى الوعي العالمي تبقى مبهمه ، في أفضل الاحوال . وهي صورة عنف في أسوأ الاحوال . ولا يفهم الاقله من الاشخاص رفيعي الثقافة والمطمعين ، والانصار الملتزمين ، بان الفلسطينيين دفعوا الى بعض التكتيكات لان العالم نفسه كان قد تجاهل النداءات السابقة التي تخاطب

الضمير والاخلاق والعقل . وكون « العرب » أسهبوا في هذه الاخفاقات المعنوية بتقصيرهم في الدفاع عن قضيتهم قد يخفف من استحقاقية اللوم المعنوي لقسم كبير من العالم على آلام فلسطين الماضية . الا انه لا يغير ، بحد ذاته ، الواقع الراهن .

وما لم يكن هناك حجب غير متوقع للفلسطينيين عن وعي العالم ، فان من واجب الفلسطينيين وبقية العرب الآن ان يوفروا ما أهملوا جميعا توفيره في المراحل الاولى من النضال ، الا وهو بذل قصارى جهدهم وطاقتهم ومواردهم لزيادة المعلومات عن انفسهم للعالم زيادة كبيرة . وليست اثير الى جوهر قضيتهم . فهذا كان دوما سليما ومثينا . وقد كان منطقته واخلاقيته — وحتى حقائقه الاقتصادية/السياسية — من القوة بحيث تحرك ضمائر الذين عرفوا هذه الامور . وبالفعل ، نادر هو حتى الاميركي المتوسط الذي زار الشرق الاوسط (وليس اسرائيل وحدها) ولم يعد اما ملتزما بالعدالة للفلسطينيين او ، على الاقل ، متزعزعا في التزامه بالكليشيهات الصهيونية التي جرى ارضاع الكثيرين خارج المنطقة « ليفكروا » بها . وربما لم يكن بالإمكان توقع أكثر من أمثال هؤلاء المؤيدين المخصصين والعزولين أحيانا كثيرة، فيما كان **الفلسطينيون أنفسهم** يناضلون من أجل الظهور .

واليوم ، بعد الرباط ومناقشة الجمعية العمومية ، لم يعد هذا كافيا اذا ما أريد للنضال الطويل ان يبلغ ذروته ذات يوم في حل مرتكز على العدالة الموضوعة موضع التنفيذ في المجتمع الحر والمنفتح الذي يعلن الفلسطينيون انهم يرغبون في إقامته مكان المجتمع المنغلق التمييزي للدولة الصهيونية .

ومن أجل تحقيق ذلك الهدف تسنح للفلسطينيين الآن الفرصة لتعزيز الوعي العالمي المنبه حديثا بالضمير العالمي الموقظ . ويتطلب فعل ذلك ان يتصرف الفلسطينيون الآن بأعظم قدر من المسؤولية . ولا تقتضي المسؤولية أن يتراجعوا — أو أن يسمحوا لانفسهم بأن يدفنوا — خارج الوعي العالمي الى القبول بغوامض « رجال الدولة » المتعمدة . كما لا يعني هذا ، من الناحية الأخرى ، اذا رفضوا ان يتجاهلهم العالم من جديد ، ان لا مسيل لهم الا القضيضة المطبقة والقنبلة البلاستيكية . فان استمرارهم في هذه التكتيكات الآن ، **الا اذا وقع اكبر استفزاز** ، سيحدث زدة فعل معاكسة في ضمير العالم — بالضبط لانهم بارزون في وعي العالم .

في ختام خطاب ياسر عرفات أمام الجمعية العمومية في الثالث عشر من تشرين الثاني ، رفع أولا احدى يديه ثم رفع الأخرى فوق رأسه . وقال بصورة رمزية انه يحمل في احدى يديه غصن زيتون وفي الأخرى بندقية جندي الحرية . وحث العالم — عن طريق الجمعية العمومية — على ألا تسمح لغصن الزيتون بأن يسقط من يده . وكان النداء مناسبا اذ ان العالم ، في الماضي ، سمح للعديد من أغصان الزيتون بأن تسقط من الايدي العربية .

ان الطريق التي تسير **قديما** بالفلسطينيين الى ضمير العالم لا تزال تتألف من الحق الذي لا بد من ترسيخه قبل ان يمكن اقامة العدالة . وهي في الدليل على الرأفة ، الآن وقد صار النصر يبدو النهاية الاكيدة للمد المعكوس في حياة الناس . وهي في الكرامة ، الآن وقد رد الوعي العالمي للوجود الفلسطيني ، الاحترام الذاتي الفلسطيني ، وهي في الافعال المستجيبة لتعطش عالم منذهل ، مرتبك وجريح ، الآن وقد شق الفلسطينيون — بثوتهم — طريقهم عبر غابة اللامسؤولية العالمية نحوهم في الماضي .

كل هذا هو مجرد افاضة لميلي الاولي الى رفض فكرة تقديم مجموعة ردود فعل للضمير مصنفة « يهودية » ، « مسيحية » أو « مسلمة » . فحيث تكون « الخطيئة الاصلية » فظيعة هائلة كتلك التي ارتكبت ضد الفلسطينيين ، يجب أن تقترب ردة فعل الضمير الحقيقي من المطلقات ، والكلي . لقد كنا جميعا مذنبين — حتى العرب الذين لم يقدروا تقديرا كاملا بعد الدور المعقد والموسع للوعي في عالم شهد تغييرا ثوريا منذ تلك الايام ، القاتمة جدا بالنسبة للفلسطينيين ، عند نهاية الحرب العالمية الاولي . واذا شاعت الثورة الفلسطينية الآن أن تجند ضمير البشرية — واذا كانت القضية الفلسطينية ، كما يعتقد الكثيرون ، هي نوع من الادريالين للشعب العربي بأسره — فانه لا بد لها ، اذن ، من أن تزيد انتاجها للحق ، والحقائق ، وصفات العدالة ، واظهار الرأفة والمسؤولية ، زيادة كبيرة كافية ليراها العالم . فالتناس لا يستطيعون الحكم على ما لا يعرفونه — او اذا هم فعلوا ذلك ، فان احكامهم تكون عرضة للاجحاف وقراراتهم عابرة .

ولذا فان نصيحتي « للعرب » — اذا كانوا يرحبون بها — هي الا يظنوا بشأن الضمير « اليهودي » . فبالنظر الى انعدام وجود المعلومات في جميع انحاء العالم في الماضي ، اعتقد ان الضمير « اليهودي » لم يوضع على المحك أكثر مما وضع الضمير « المسيحي » . فالضمير ، بوجه عام ، كان معطلا في مشكلة فلسطين ، أو انه ، اذا كان فعلا بأي شكل من الاشكال ، استجاب بطريقة ارتكاسية للصور المشوهة التي اختلقتها دعاوة صهيونية / اسرائيلية لا منازع لها تقريبا . وقد نجح هذا المنبه للضمير من جانب واحد بسبب وعي « العرب » غير الكافي لضرورة حمل قضيتهم بنشاط الى ضمير العالم ، مستخدمين الوسيلة المقبولة والمسؤولة لنشر الحقيقة والاخلاقيات الاخرى التي تحرك الضمير .

ثمة فقرة بليغة في « المقدمة لتقارير جزائرية » الرائعة لالير كامو ، التي يبدو انها قابلة للتطبيق هنا وتلخص ما حاولت أن أقوله :

صحيح ان القيم — سواء كانت قيم الامة أو قيم البشرية — في التاريخ ، على الاقل ، لا تبقى ما لم يناضل من أجلها ، والنضال لا يكفي لتسويتها . فالتضال نفسه ، بالاحرى ، يجب ان تبرره تلك القيم ، وتوضحه . وعندما تناضل من أجل الحقيقة ، عليك ان تحذر ألا تقتلها بعين الاسلحة التي تستخدمها للدفاع عنها — ولا تستعيد الكلمات معناها الحي الا في اوضاع مزدوجة كهذه . وللمفكر ، الذي يدرك ذلك ، دور تمييز الحدود الخاصة بالقوة والعدالة في كل ممسك . وذلك الدور هو توضيح التحديدات بغية ازالة التسم من العقول وتهدئة التعميمات ، حتى عندما يكون هذا ضد الاتجاه الراهن .

وفي مكان آخر تقول الروح المتوهجة نفسها « لصديق » صار عدوا ظالما : « علينا ان نثبت اننا لا نستحق كل هذا الظلم » .

سيقول البعض ان هذه النصائح هي اما غير عادلة ، او غير واردة ، في نطاق التحدث عن « الضمير اليهودي » . ربما . وانا ، على الاقل ، لن اقدم لهم أي دفاع عاطفي . بل سأقول : بما انني أعتقد ان « الضمائر اليهودية » لم تمتحن حقا في نيران المعرفة التامة للحقائق عن فلسطين ، هكذا كان الفلسطينيون ، حتى الان ، في هذه الاعوام من تاريخ بلادهم الكئيب ، منهمكين أكثر من اللازم بالتكتيكات والاستراتيجيات التي كانت ضرورية لاسماع صوتهم . وفيما عدا منظريهم ومفكريهم فقد كانوا يفتقرون

الى الاوضاع التي يشعر فيها الناس الضعفاء والعاديون عادة بأنهم يستطيعون تحمل ترف اطلاق العنان كاملا لضمائرهم .

ولذا بمعنى من المعاني ، فان لحظة الذروة للاعتراف السياسي والعسكري التي يبدو أن الفلسطينيين حققوها ، القصة المتكشفة والموضحة تدريجيا لما حدث فعلا في فلسطين خلال نصف القرن الماضي ، تتيح فرصة امام الضمير ليناشد الضمير ، فرصة ليدرك اليهود ان ضمائرهم خنقتها الدعاوة الصهيونية الشريرة والساخرة جدا ، وفرصة ليظهر الفلسطينيون ، كما لاحظ كامو ، انهم لا « يستحقون كل ذلك الظلم » .
 وتعبير آخر ، يعني هذا ان النضال الذي ما يزال يكمن في المستقبل من الايام يجب ان يخاض في النفوس البشرية لجميع الفرقاء المعنيين بقدر ما دار النضال ، في الماضي ، في ساحات القتال . ويستدعي ذلك ايصال اهدافهم الى بقية العالم على نحو افضل مما حاول « العرب » ، بمن فيهم الفلسطينيون ، جديا حتى الان ، وبالنسبة لليهود فانه يدعو الى فتح آذانهم لغير اصوات المزمريين الصهاينة الذين عزفوا اعلى الالحن لاعوام عديدة .

في مناسبتين اخيرتين اطل فيهما ياسر عرفات على الجماهير الغربية ، اعطى الدليل على بداية تحقيق الجزء العربي من هذه الصيغة . ففي مقابلة نشرت في صحيفة **نيويورك تايمز** ، في التاسع من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٤ ، نسب اليه قوله انه دعا الولايات المتحدة الى انهاء « دعمها الاقتصادي ، الدبلوماسي والسياسي » غير المميز « للطامع التوسعية والعنوانية » للصهيونية . واضاف ان هذا يمكن ان يحدث عن طريق « ضغط متواصل يمارسه المواطنون الاميريكيون الصادقون والشرفاء ، كما حدث مع الحرب في الفيتنام » .

وفي مقابلة متلفزة على شبكة ابي بي سي في العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ، كرر زعيم منظمة التحرير الفلسطينية الفكرة ، مضيفا الامل بان يمارس امثال هؤلاء الاميريكيين « ضغطا » على واشنطن عندما يفهمون كيف ان دولارات الضرائب اعانت سياسات العسكرية الصهيونية هذه . وانا اوافق على وصفة السيد عرفات . ولكنني اضيف التوضيح بان على « العرب » ان يتحملوا مسؤولية اكبر بكثير مما اضطلعوا بها حتى الان لينقلوا الى ٢١٠ ملايين امريكي « صادق وشريف » الحقائق ، الحق كما يرى العرب الحق ، والفرص لسلام لائق ، عادل وشريف . فغلك هي عناصر افعال الضمير ، وكما قال عرفات ، فان امثال تلك الضمائر الموقظة ، الموجهة على نحو مسؤول الى افعال ضغط سياسي ، كانت هي التي عدلت السياسة الاميريكية في الفيتنام .

لقد امضيت نصف حياتي البالغة — وحدي تماما في كثير من الاحيان — في مخاطبة أبناء وطني ، بمن فيهم أبناء طائفتي ، محاولا اطلاعهم على « الجانب الآخر » من المأساة الفلسطينية . وبالنظر الى مواردنا — مقابل موارد قوى الصهيونية — لم تكن انا وحفنة من الآخرين (يهودا ومسيحيين) بلا قدر من النجاح . اننا نعلم ، بكلام آخر ، انه عندما تصل الحقائق الى وعي الشعب الاميريكي ، فان ضمائر « الصادقين والشرفاء » تستجيب . وقد شملت الاستجابة ، وتستعمل ، اليهود .

وكما ينبغي علينا جميعا في ظل وعينا المختلف ان نتقاسم ضميرا مشتركا للحق

والباطل ، للعدالة والظلم ، للإنسانية والتجريد من الإنسانية ، هكذا فإن الطريق الى سلام شريف والى تحقيق ثورة فلسطين هي المهمة المشتركة للجميع . وقد يكون من الصعب على « العرب » أن يتصرفوا بطرق تهدف الى استشارة تجاوب ضمائر اليهود ؟ وربما **العكس بالعكس** . ولكن مما لا ريب فيه ان المحاولة مستحسنة كبديل للاحتمال المرعب ، احتمال الاستمرار والتوسع في استخدام القوة لاحداث تأثير على الوعي .

وستتطلب المحاولة ما سماه جبران على لسان نبيه « الذات — الله » لتميزها عن « الذات — القزمية » . ويقول لنا الشاعر ايضا ان طريق الارتقاء الى ذلك النبل هي في « النظر الى جميع الاعمال في الضوء الكامل » . وفي التقليد الديمقراطي الذي يطمح اليه اليهود ذوو الضمير والفلسطينيون ذوو الضمير ، نقول « ليعرف الناس الحق ، لان الحق سيحرركم » .

الكيان الفلسطيني ١٩٦٤ - ١٩٧٤

عصام سخيني

ان الانجاز الاعظم الذي حققته الثورة الفلسطينية في مسيرتها خلال السنوات العشر الماضية كان اثبات الوحدة الكيانية للشعب الفلسطيني وتثبيتها ، وبعث شخصيته الوطنية والمحافظة عليها ، ودفع هذه الوحدة الكيانية الى ان تكون ذات وجود دائم على كل صعيد . واذا كانت وحدة الشعب الفلسطيني وشخصيته الوطنية المستقلة تبدو الآن غير قابلتين للنقاش ، فان الالتفات الى الماضي يكشف ان هذه المسلمات - هي الآن فقط مسلمات - احتاجت الى أن تمر بجدل عنيف ، جدل دموي باهظ التكاليف غالي التضحيات ، كي يصبح لها الحضور الضاغط غير القابل للدفع والرد . فالحقيقة الفلسطينية ، كي تثبت نفسها ، كان عليها أن تخوض صراعا طويلا ضد كثير من القيم السائدة فتبدلها ، وكثير من المفهومات الخاطئة فتلغيها ، وكان على هذه الحقيقة أيضا ، كي تجذر نفسها في الوجدان والفكر الفلسطيني والعربيين والدوليين فترقى من ثم الى رتبة المسلمة ، ان تخوض صراع وجود (أن تكون او لا تكون) ضد ارادات محلية وأجنبية كانت مصلحتها أن تبقى هذه الحقيقة مطوية ، منسية أو ملغاة . واذا كان هذا الصراع قد حقق نتائجه سريعا على صعيد الشعب الفلسطيني نتيجة احساس الشعب الداخلي بهذه الوحدة الكيانية وايمانه بها رغم ما اعتورها من تزييف وأوهام ، فان انجاز هذا الهدف على الصعيدين العربي والدولي كان أصعب مراسا (بدرجات متفاوتة بين العربي والدولي ، كذلك بمراتب متراوحة على الصعيد العربي نفسه) بحيث كان توليد القناعات يمر دائما عبر مخاضات عنسيرة وخطرة ، وكان يصطدم دائما اما بالافكار المسبقة او بالتنظيرات غير المستندة الى ادراك معطيات الواقع ادراكا حقيقيا ، او - وهو الاغلب والاشد مقاومة - بالحفاظ على المصالح والأوضاع السياسية التي ترتبت على طمس معالم شخصية الشعب الفلسطيني وتدمير أسس كيانه الوطني .

لم ينطلق النضال الفلسطيني في تصديه لمسألة وحدة الشعب الفلسطيني الكيانية من فراغ ولم يتبدع جديدا ، فقناعاته الأساسية التي انطلق منها هي وحدة الشعب نفسها التي امتدت ديمومتها عبر اجيال عديدة . واذا كانت هذه الوحدة قد اعترتها لفترات أشكال من التزييف ومحاولات الالغاء ، واذا كانت الشخصية الوطنية للشعب تسد تعرضت للحذف أو الطمس أو التشويه ، فان هذه الاوشاب التي لحقت بالجواهر هي التي كانت هدف النضال الفلسطيني فقاتل من أجل تبديدها وازالتها ، ونجح في ذلك لانه سلم تسليمها بسلامة الجوهر وبعرضية ما سواه .

من خلال الصراع اذن كان اتبعات الشخصية الفلسطينية وتأكيد وحدة الشعب الكيانية ، حتى انه يجوز القول ان السنوات العشر الماضية كانت سنوات **النضال الكياني** التي ابتدأت منذ اواسط العام ١٩٦٤ عند قيام منظمة التحرير الفلسطينية (م ت ف) ثم بدء الثورة المسلحة في مطلع العام ١٩٦٥ ، وتنتهي بمحطتين تاريخيتين :

ثمة الرباط والدورة التاسعة والعشرين للجمعية العمومية للامم المتحدة . وان مهمة هذا البحث ان يستعرض هذا النضال خلال هذه المرحلة الماضية .

مرحلة ما قبل منظمة التحرير الفلسطينية

تعرض الشعب الفلسطيني بعد نكبة العام ١٩٤٨ الى عملية محو منهجية استهدفت انهاء وجوده الوطني المستقل بعد تجزئة وطنه ما بين الحركة الصهيونية والهاشمية في شرق الاردن مع بقاء شطيتين واحدة في الشمال (الحمة) واخرى في الجنوب (قطاع غزة) فقدتا ايضا اسم الوطن وأعطيتا اسم الموقع الجغرافي لكل منهما . وكانت أفدح مظاهر عملية محو الشعب تلك التي حدثت في المملكة الاردنية التي ضمت اليها ، وجنست بجنسيتها، الكتلة الاعظم من الشعب الفلسطيني تحت زعم «وحدة الضفتين» . اما خارج حدود المملكة الاردنية فقد تحول الشعب الى مجموعات من اللاجئين (لم يغير الحقيقة اطلاق تعبير النازحين ثم العائدين عليهم) مثلكتهم بلجوئهم ، وقضيتهم منظور اليها من هذا المنطلق .

في الثينات فقد الفلسطينيون مؤسساتهم السياسية ، فهم لم يحملوا معهم الى المهجر احزابهم ومنظماتهم التي كانت قائمة في عهد الانتداب ، وكان استمرار الهيئة العربية العليا لفلسطين التي كانت تطرح نفسها ممثلة شرعية للشعب الفلسطيني ، لا يعني في مطلق الاحوال ان هذه الهيئة لها صلة بحركة الشعب نفسه ، وظل وجودها هامشيا غير ذي تأثير ، وكذلك حكومة عموم فلسطين التي أنشأتها الهيئة والتي كانت تمثل فلسطين في جامعة الدول العربية تمثيلا رمزيا فيه الوفاء الشكلي للقطر الذي سلب . لقد كان غياب الادوات السياسية الفلسطينية القادرة على ضبط حركة الشعب وتمثيل مصالحه وابرار حقوقه والدفاع عنها سببا في نجاح عملية طمس الشخصية الفلسطينية . وكانت سببا كذلك الوصاية التي فرضتها الدول العربية لنفسها على الشعب والقضية الفلسطينية . فمنذ بدء الانتداب البريطاني والغزوة الصهيونية لفلسطين تميز الصراع في هذا القطر بأنه صراع فلسطيني في مواجهة الصهيونية والاستعمار البريطاني ، ولم يغير من هذه الحقيقة اشتراك مناضلين عرب غير فلسطينيين في هذا الصراع ، ولا المساعدات العربية (المحدودة) التي تلقاها الفلسطينيون ، ذلك ان الشعب الفلسطيني كان هو نفسه في المواجهة ، وكان هو نفسه المعنى بالدرجة الاولى بالصراع . وبدخول الجيوش العربية الارض الفلسطينية في ١٥ ايار ١٩٤٨ تغيرت الصورة وفقد الشعب الفلسطيني زمام المبادرة من يديه وأخرج من دائرة الفعل ووضعت قضية فلسطين بجمالها تحت الوصاية العربية ، وبذلك انهي دور الشعب من حيث هو شعب بعد ان تحولت قضيته الى مشكلة لاجئين من جانب وصراع على الحدود من جانب آخر .

كان يسير جنباً الى جنب هذه العواقب السلبية التي اسفرت عنها نكبة العام ١٩٤٨ اشتداد تيار القومية العربية وتصاعده . ويقدر ما يعني هذا البحث من هذا التيار انه اعتبر ان سبب هزيمة العرب في العام ١٩٤٨ يعود الى فقدان الوحدة بين اقطارهم ودخولهم المعركة متفرقين . ولمواجهة ذلك فقد كانت الاطروحة الاشد تأثيراً وشيوعاً في الفكر السياسي العربي الذي أعقب النكبة تلك التي تقول ان الوحدة العربية هي الطريق لتحرير فلسطين . ولم يكن الفلسطينيون بمعزل عن هذا الفكر ، وعلى العكس من ذلك فهم أثروا فيه وأثروه ، وجعلوا نضالهم جزءاً من نضال الاحزاب والحركات القومية التي استقطبت اهتمامهم ووجدوا فيها الادوات الصالحة التي تضع اقدامهم على ابواب تحرير وطنهم . ونتيجة لهذا الفكر الذي ساد والذي وجد في الناصرية

التعبير الأكثر كثافة عنه ، لم يكن لـ « الفلسطينية » أن تبرز أو يكون لها دور في الحياة السياسية العربية . ولعل نشرة « الثار » التي بدأت الصدور في العام ١٩٥٢ تعتبر أحد الرموز الأكثر دلالة على هذا النمط من التفكير .

صدر العدد الأول من النشرة في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٢ واستمرت في الصدور اسبوعيا حتى أواسط العام ١٩٥٨ ، وكانت من « منشورات هيئة مقاومة الصلح مع اسرائيل » التي كانت نواة لحركة القوميين العرب التي كان للفلسطينيين الدور الأكثر تأثيرا في بلورة افكارها ومنطلقاتها النظرية . لقد كانت الدعوة الى الوحدة العربية السمة المميزة للنشرة ، « ما لم توجد الدولة الموحدة التي تضم العراق والاردن وسوريا (كخطوة أولى) فان وقوفنا في وجه اليهود والمعسكر الغربي سيكون أمرا شبيهه مستحيل » (١) ، والنشرة تعتبر ان « المفهوم الاقليمي في معالجة قضية العرب في فلسطين سبب من اسباب النكبة » كما « رفضت اثاره موضوع فلسطين بشكل اقليمي قذر [التشديد في الاصل] يبعد بين عرب فلسطين والجماهير العربية الأخرى » (٢) . والامر الملاحظ في النشرة انها لم تستعمل قط تعبير الفلسطينيين ولا الشعب الفلسطيني ، وانما كان التعبير السائد لديها هو النازحون او النازحون العرب او عرب فلسطين (١) . وفي اعداد السنتين الاوليين من عمر النشرة لا يلحظ الباحث ان « الثار » تسند دورا حقيقيا لـ « النازحين » في النضال من أجل قضيتهم وعند مقاربة السنة الثالثة على الانتهاء بدأ التفات النشرة الى البحث عن دور لـ « النازحين العرب » فكتبت « النازحون العرب تحت خيامهم البالية في مخيمات الشقاء يستطيعون — اذا أرادوا — ان يصبحوا قوة فعالة في تقرير مصيرهم ومصير الوطن الذي سلبه اليهود . . . ان حوالي مليون نازح عربي ، عندما يقودهم شباب مخلص قادر يستطيعون ان يصبحوا قوة تفرض ارادتها وتساهم في رسم مستقبل شعبنا » (٤) . وفي هذه الفترة كذلك دعت النشرة الى ايجاد هيئة تمثل النازحين . « هيئة يستطيعون عن طريقها ان يساهموا في ابداء رأيهم وتدبير شؤونهم وتقرير أمورهم . . . ومن واجب النازحين ان يوجدوا الهيئة التي تمثلهم وتقودهم في طريق الحياة التي يريدون » (٥) . وقد وجد هذا الخط الوجودي — القومي في قيام الوحدة بين مصر وسوريا (الجمهورية العربية المتحدة) في العام ١٩٥٨ . باذرة عملية تشير اشارة مجسدة الى صحة نظرياته .

غير ان العام ١٩٥٩ شهد تطورا مفاجئا فقد اتخذت الدورة الحادية والثلاثون لمجلس جامعة الدول العربية في ١٩٥٩/٣/٩ قرارات تتعلق بالشعب الفلسطيني ، نص القرار الاول منها على « اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وابرار كيانه شعبا موحدا لا مجرد لاجئين يسمع العالم صوته في المجال القومي وعلى الصعيد الدولي بواسطة ممثلين يختارهم » ، كما نص القرار الرابع منها على « انشاء جيش فلسطيني في الدول العربية المضيفة » (٦) . وكانت تلك ، ربما ، هي المرة الاولى التي تبحث فيها على صعيد رسمي عربي مسألة كيان الشعب الفلسطيني ، فقد كانت حكومة عموم فلسطين هي التي تتولى رسميا تمثيل فلسطين في جامعة الدول العربية منذ العام ١٩٥٠ ، فما الذي كان وراء هذا القرار ؟

لقد اتخذ مجلس الجامعة قراراته بناء على توصية من وفد الجمهورية العربية المتحدة وهذه الواقعة يصح اعتبارها مفتاحا لتفسير الموقف كله . فقد جاءت قرارات الجامعة بعد مرور سنة على قيام الوحدة فهل يجوز القول ان جمال عبدالناصر ، وهو في أوج انتصاره القومي ، كان يضع باعتباره ، منذ ذلك الوقت ، الدور المستقل للشعب الفلسطيني ضمن التصور القومي الشامل الذي تمكن من تفكيره ووجهه ممارساته السياسية كلها ؟ لقد أوضح عبدالناصر في وقت لاحق لهذا القرار « ان

الغرض من انشاء كيان فلسطين هو مواجهة نشاط اسرائيل لتصفية المشكلة الفلسطينية واضاعة حقوق شعب فلسطين . واما الجيش الفلسطيني فالغرض منه في الواقع هو الدفاع عن حقوق عرب فلسطين «(٧) . وقد كشفت ممارسات عبدالناصر في المستقبل (عندما انشئت م ت ف) ان هذا الاعتبار الذي ذكرناه كان صحيحا باطلاق ، فتنظيم الشعب الفلسطيني بتعبير ، او ابراز كيانه الموحد بتعبير آخر ، كان جزءا من التصور القومي العام لعبدالناصر ، وقد عبر عن ذلك في غير مناسبة وفي غير أسلوب ، ففي خطاب له القاہ في المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في الجزائر في ٦٢/٧/٢ قال « انا حينما تكلمت مع ممثلي شعب فلسطين منذ أيام [امام أعضاء المجلس التشريعي في غزة بتاريخ ٦٢/٦/٢٢] قلت لهم ان النضال ان يكون شعب فلسطين هو الطليعة ويجب علينا ان نعزز هذه الطليعة بجميع الإمكانيات المادية والعسكرية للجمهورية العربية المتحدة . . . قلت صراحة لمثلي شعب فلسطين ان المسؤولية تقع عليهم كطليعة ولكن لا بد لهم من الاستعداد »(٨) .

لقد كان توقبت طرح الجمهورية العربية المتحدة مسألة الكيان الفلسطيني مرتبطا بما تردد عن الخلاف الذي نشأ بين الحاج أمين الحسيني والرئيس عبدالناصر عقب قيام دولة الوحدة عندما اقترحت الهيئة العربية العليا الاعتراف بها ممثلة مفوضة للشعب العربي الفلسطيني وضم فلسطين الى الجمهورية العربية المتحدة . ويبدو ان عبدالناصر لم يكن ليحمل على محمل الجد مسألة تمثيل الهيئة للشعب الفلسطيني فلدى مراجعتنا لمعظم خطب عبدالناصر وأحاديثه المتعلقة بالقضية الفلسطينية لم نجد اشارة واحدة تدل على ان الهيئة العربية العليا كانت تدخل في حساباته . ونعتقد ان القرار الذي اتخذته الجامعة العربية بتوصية من ج . ع . م . وبتأثير منها كان الخطوة الاولى نحو احلال بديل فلسطيني محل الهيئة العربية العليا . وقد استتبعتم تلك الخطوة مغادرة الحسيني القاهرة ثم التقارب الذي حدث بينه وبين عبدالكريم قاسم في العراق مما اسفر بتأثير من الحسيني عن اعلان تشكيل « فوج التحرير الفلسطيني » في العراق في شهر حزيران من العام ١٩٥٦(٩) .

كانت قرارات الدورة الحادية والثلاثين هدفا للتميع في الدورات اللاحقة ، ففي الدورة الثانية والثلاثين ، في الجلسة التي عقدت في ١٩٦٠/٢/٢٩ « تدارس مجلس الجامعة موضوع اعادة تنظيم الشعب العربي الفلسطيني وابراز كيانه شعبا موحد لا مجرد لاجئين . . . واطلع المجلس على وجهات النظر المتعلقة به ، وقسّر استكمال بحثه في الدورة القادمة » ، وفي الدورة الثالثة والثلاثين (نيسان ١٩٦٠) ارجىء بحث الموضوع الى دورة استثنائية ، وفي الدورة الاستثنائية التي عقدها المجلس في شتورا ما بين ٢٢ و ٢٨ آب ١٩٦٠ بحث الموضوع ضمن جدول الاعمال لكن دون اتخاذ قرارات محددة بشأنه ، وانما أكد المجلس « ان على الدول العربية ان تحافظ على الشخصية الفلسطينية ، وتجانب كل ما يؤدي الى اذابة هذه الشخصية »(١٠) . وقد طوي هذا الموضوع حتى الدورة الاربعين التي عقدت في العام ١٩٦٣ عندما بحث مجلس الجامعة امر تعيين ممثل لفلسطين خلفا لاحمد حلمي باشا ، رئيس حكومة عموم فلسطين ، الذي كان يمثل فلسطين حتى وفاته في العام نفسه ، وسنؤجل الحديث عن ذلك الى فقرة لاحقة .

في عهد الوحدة ، وهي الفترة التي تكرر فيها بحث مسألة الكيان الفلسطيني في الجامعة العربية ، لم تتوفر مؤشرات ، باستثناء وحيد ، الى ان هذه المسألة كانت تتفاعل تفاعلا مؤثرا على الصعيد الشعبي الفلسطيني بسبب هيمنة الافكار القومية على الرأي السياسي والحساس الذي قوبلت به الوحدة باعتبارها طريقا للتحرير .

والاستثناء الوحيد في هذا الشأن كان الافكار والتصورات التي طرحتها مجلة «فلسطيننا» عن الكيان . ومن أهم جدا ابراز هذه الافكار لانها كانت ترهص بميلاد فكر جديد يعتمد « الفلسطينية » مصادرة اساسية له . وقد بدأ صدور هذه المجلة في بيروت في العام ١٩٥٩ وعرف فيما بعد ان فتح هي التي كانت تشرف على سياسة المجلة وقد حملت بعض مقالات المجلة توقيع (فتح) أحيانا و (فاتح) أحيانا أخرى. ومن خلال الاعداد التي تسنى لنا الاطلاع عليها لاحظنا ان الحديث عن كيان فلسطيني بدأ أواخر العام ١٩٦٠ ، وسنستعرض فيما يلي بايجاز الاطروحات الأساسية التي بشرت بها المجلة في اعدادها اللاحقة .

المعادلة الاولى التي استندت اليها « فلسطيننا » في الدعوة الى الكيان هي ان الكيان يعادل حرية العمل للفلسطينيين ، فـ « حينما نطالب بكياننا فنحن بالفعل نطالب بحريتنا للعمل بحرية من أجل استرداد وطننا ، فنحن لم نعط الوصاية لاحد علينا ولا نريد ان يفرض احد ما وصايته علينا » (١١). وقد اوضحت المجلة « ان ايجاد هذا الكيان لا يعني اقليمية ما في مجالنا العربي بل هو لتنظيم وتعبئة وحشد قوى شعب فلسطين المشتتة في مختلف الامكن والبلاد . . . ان ايجاد هذا الكيان المستقل ينقل المعركة الى ايدي ابناء فلسطين والى ارض المعركة نفسها » (١٢). والامر الملاحظ في الدعوة الى الكيان أنها اتخذت لها شكلا محددا دار حول محورين : **الاول الدعوة الى انشاء حكومة فلسطينية ، والثاني الدعوة الى اقامة حكم وطني على الاجزاء العربية من فلسطين .** فعلى المحور الاول كتبت المجلة انه « يجب ان يكون للفلسطينيين جواز سفر وليست وثيقة سفر . وهذا الجواز يمنح لكل فلسطيني من قبل حكومة وطنية تتبع من صميم الشعب الفلسطيني الابي وتتولى قضيته وتزرع السير به الى الامام دون ان تظل قواه معطلة ويظل في خيمته وبؤسه . . . نطالب بأن يكون لنا حكومة وطنية ترعى مصالحنا في داخل البلاد العربية حاليا على الاقل » (١٣). أما الدعوة ضمن المحور الثاني فقد انطلقت من المنظور التالي : ان « قضية فلسطين ستبقى مجمدة لان ضم جزء من فلسطين الى بلد عربي معين [المقصود شرق الاردن] تم بمشورة الاستعمار واليهود وقد وافقوا عليه آنذاك ليمنعوا التفتح الثوري عن شعب فلسطين ويحاربوه بأيدي اخوانه من الخونة المسؤولين وجنود وضباط جاهلين أغبياء » (١٤). من هذا المنظور ومنذ ذلك الوقت المبكر حددت فتح في مجلتها هدفها في اقامة حكم وطني على الاقسام العربية من فلسطين وعلاقة ذلك بالتحريير . ففي مقال بتوقيع (فاتح) كتبت المجلة ما يلي : « ان هناك اقساما عربية من فلسطين ، وعلى هذه الاقسام ينبغي ان نشيد صرح حكم وطني فلسطيني ثوري قيادي يعمل بالتعاون مع الدول العربية لانقاذ فلسطين من اليهود المجرمين . . . طريق التحرير واضح وكل ما يحتاجه العرب لتحرير فلسطين هو جراحة تتيح للكيان الفلسطيني الظهور على ان يكون هذا الكيان ممثلا لارادة شعب فلسطين ، وهذا الكيان سيحقق انطلاقة الثورة فتحمي الدول العربية حدودها وتقدم المساعدة للحكم الوطني المتمثل بهذا الكيان » (١٥). وقد كررت المجلة هذه الدعوة غير مرة فكتبت ان « الشعب الفلسطيني سيسعى دوما لتحقيق حكم وطني فلسطيني في ارض فلسطين الباقية ليستطيع العمل بجد واثورية من أجل تحرير بقية وطنه المحتل » (١٦).

غير ان هذه الدعوة كانت مبكرة جدا ولم تكن الظروف الموضوعية التي سادت آنئذ لتسمح بايصالها لتكون هدفا مجسدا لنضال الفلسطينيين ، كما ان هيمنة الاردن على مقدرات الضفة الغربية ، وهي الارض الفلسطينية الصالحة اكثر من غيرها لاقامة حكم وطني فلسطيني ، كانت جدارا يصطدم به أي طموح فلسطيني يهدف الى التفكير بمصير

هذه الارض الفلسطينية تفكيرا مستقلا . وقد كان النظام الاردني حريصا في تلك الفترة على تثبيت سيطرته على الضفة الغربية بعد ان ارتفع الحديث في الجامعة وبتأثير من مصر عن الكيان الفلسطيني . ولكي يقطع النظام الطريق امام أي تفكير بالكيان يتجه نحو الضفة الغربية حرص الملك حسين على ان يضمن في كتاب تكليف وصفي التسل بتشكيل وزارة جديدة في الاردن في مطلع العام ١٩٦٢ نسا يقول : « نحن نعتقد ان أية فكرة تستهدف انتزاع الاخ الفلسطيني من أحضان أسرته الاردنية من غير التوصل الى حل عادل للقضية بمجموعها هي فكرة بعيدة عن خدمة الحق العربي في فلسطين واسترداده » (١٧). كذلك حرك بعض الرموز الفلسطينية المتعاونة معه الى الوقوف هذا الموقف . ففي الكلمة التي القاها نعيم طوقان ، نائب نابلس ، في اثناء مناقشة البيان الوزاري لحكومة وصفي التل وردت هذه الفقرة : « انني أعلنها صريحة بأننا معشر الفلسطينيين لا نقبل بأي كيان أو اية راية سوى كياننا الاردني الراهن وسوى راية العرش الهاشمي الممدى للذين لا نقبل عنهما بديلا سواء أجرى التوصل الى حل عادل للقضية بمجموعها أم لم يجر التوصل الى حل عادل لا سمح الله » (١٨) .

ان هذه الصورة التي وصفنا اضطربت اضطرابا عظيما بعد وقوع الانفصال بين اقليمي الجمهورية العربية المتحدة في العام ١٩٦١ . فالامل الذي حملته دولة الوحدة للفلسطينيين تدد ، وانتاب الشك الجماهير الفلسطينية في جدوى انتظار قيام الوحدة . وقد أعقب الانفصال اندياح موجة من العداة سادت العالم العربي عبرت عن نفسها بالحمالات والحمالات المضادة السياسية والاعلامية بين الدول العربية . وقد زاد هذا الخلاف الفلسطينيين اقتناعا بأن اعتمادهم على هذه الدول العربية المسك بعضها بخناق البعض لن يخدم قضيتهم . وجاء انتصار ثورة الجزائر في العام ١٩٦٢ ونيلها استقلالها من فرنسة ثولا فصلا في هذا الموضوع برهن عمليا على ان شعبا ممسكا بزمام قضيته ببيده قادر على تحقيق مطامحه القومية . ونتيجة ذلك كله فقد شهدت **السنوات القليلة التي اعقبت الانفصال انكفاء نحو ((الفلسطينية))** تجسد في قيام عدد كبير من المنظمات الفلسطينية وقد ذكر غسان كنفاني ان اعداد هذه المنظمات الجديدة التي نشأت بعد الانفصال والتي أعطت لنفسها في الغالب اسم جبهة واحيانا حركة ، وصلت الى نحو اربعين منظمة وجبهة وحركة « يتراوح عدد أعضائها من حد أعلى يبلغ بضعة مئات الى حد أدنى يبلغ (وهذا واقع) عضوين وآلة كاتبة » (١٩). وقد انعكست هذه « الفلسطينية » على الاحزاب القومية نفسها « فالتغير النوعي الذي طرأ على الساحة الفلسطينية بعد ١٩٦١ . . . لم يؤد الى انبثاق تنظيمات فلسطينية عديدة فقط بل أدى ايضا الى تغير مماثل تقريبا في بنية الاحزاب العربية القومية ، فقد أفرزت هذه **الاحزاب اعضاءها الفلسطينيين في أجهزة قطرية فلسطينية خاصة** ومنفصلة عن تنظيماتها القطرية الاخرى » (٢٠). بجانب ذلك فقد ادخلت هذه الاحزاب في صلب برامجها الدور المستقل للشعب الفلسطيني في النضال من أجل القضية . ومن ذلك القرار الذي اتخذته مؤتمر القيادة القومية السادس لحزب البعث العربي الاشتراكي المنعقد من ٥ - ٢٣ تشرين الاول ١٩٦٣ والذي نص على ما يلي : « درس المؤتمر بعناية المشكلة العربية في فلسطين في مرحلتها الراهنة وآفاق تطورها ، وانتهى الى ضرورة اعتماد **عرب فلسطين كأداة أولى في تحرير فلسطين واقر انشاء فكرة جبهة تحرير فلسطين** ، وهو يدعو الدول العربية بشكل عام والسلطة الثورية في سوريا والعراق بشكل خاص الى تقديم كل الامكانيات لاقامة هذه الجبهة وتنظيمها ، وان توجد لها الادوات والقيادات المؤمنة والثورية وان تكون بمنأى عن الخلافات بين الدول العربية » (٢١) . كذلك نشرت الحكومة العراقية مشروعا « لابرار الكيان الفلسطيني » يقوم على

التصورات التالية : • يقسم الفلسطينيون الى دوائر انتخابية تنتخب كل منها ممثلاً عنها . • يجتمع المثلون الفلسطينيون في مجلس وطني فلسطيني وينتخبون حكومة فلسطين . • تتولى حكومة فلسطين وممثلوها خارج الوطن العربي الدعوة لقضية فلسطين وتمثيل شعبيها في كافة المؤتمرات والمحايل والمناسبات الدولية . • تقوم حكومة فلسطين بتأليف جيش التحرير الفلسطيني . • يكون مقر حكومة فلسطين في أي قطر عربي تراه مناسباً وبموافقة حكومة ذلك القطر (٢٢) .

ان تلك كانت البدايات الاولى على صعيد فلسطيني وآخر عربي لبلورة فكرة الكيان الفلسطيني ، غير انها كانت فكرة تبحث عن تجسيد واقعي عملي . فالكيان هو التعبير الشامل عن الهوية القومية للشعب والاحساس بهذه الهوية شحذته العوامل التي أسفر عنها الانفصال على الرغم من انه كان يتنامى قبل ذلك بتدرج . وكان التجسيد الفعلي للفكرة والاحساس يحتاج الى الادوات التي تعطيهما المدلول العملي والوسائل التي من خلالها ينطلقان الى دائرة الفعل المحسوس . باختصار كانت الفكرة تحتاج الى وعاء مادي يستوعبها ويوفر لها الرموز الكفيلة بترجمتها الى محسوسات .

قيام منظمة التحرير الفلسطينية

في ايلول ١٩٦٣ عقدت الدورة الاربعون لمجلس الجامعة العربية واختير أحمد الشقيري ممثلاً لفلسطين لدى المجلس خلفاً لاحمد حلمي الذي توفي في وقت سابق في ذلك العام . وقد قرر المجلس لدى اختياره الشقيري ان يعهد اليه بزيارة الدول العربية « لبحث القضية الفلسطينية من جميع جوانبها والوسائل التي تؤدي الى دفعها الى ميدان الحركة والنشاط » (٢٣) ، ولم تشهد الاشهر القليلة التي أعقبت هذا القرار أية اجراءات فعلية يمكن ان يستدل منها ان هذا القرار يختلف في النوع عن القرارات الروتينية التي سبق ان اتخذتها الجامعة العربية والتي كانت تطوى قبل ان يجف حبرها . غير ان ثمة امراً واحداً يجعل هذا القرار ذا أهمية خاصة هو اختيار الشقيري ممثلاً لفلسطين وهو الذي تربطه علاقة وطيدة بمصر على الرغم من انه كان يشغل قبل ذلك منصب مندوب العربية السعودية في الامم المتحدة ، وقد انعكست هذه العلاقة على موقف السعودية منه فأنهت خدماته في العام ١٩٦٣ . وقد تحفظت السعودية (كذلك الاردن) على تعيين الشقيري ممثلاً لفلسطين في الجامعة (٢٤) . وقد اتاح هذا المنصب الجديد للشقيري ان يحضر جلسات مؤتمر القمة العربي الاول الذي عقد في الفترة ما بين ١٣ - ١٦ كانون الثاني ١٩٦٤ والذي بحث لأول مرة على أعلى صعيد عربي مسألة الكيان الفلسطيني .

لم يكن الملوك والرؤساء العرب متفقين على ماهية الكيان الفلسطيني وطبيعته وأهدافه . فمن خلال النقاش الذي دار في المؤتمر ظهر ان الملك حسين كان يصر على الا يظهر في بيان القمة تعبير الكيان الفلسطيني ، اما الرئيس السوري أمين الحافظ فكان يرى انه لا فائدة للكيان بدون ارض وانه يجب اعطاء الضفة الغربية وقطاع غزة الى الكيان الفلسطيني ، بينما كان الملك سعود يرى انشاء حكومة لفلسطين (٢٥) ، اما الرئيسان الحبيب بورقيبة واحمد بن بيلا فقد تقدما بمشروع لانشاء جبهة تحرير وطنية (٢٦) . ونتيجة اختلاف وجهات النظر جاء البيان الصادر عن مؤتمر القمة في ختام جلساته عاماً غير محدد في هذا الشأن فقد نص على ما يلي : « ان مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية . . . قياماً بواجب الدفاع المشترك وایماناً بحق الشعب العربي الفلسطيني المقدس في تقرير مصيره والتحرر من الاستعمار الصهيوني لوطنه . . . قد اتخذ القرارات العملية اللازمة لاتقاء الخطر الصهيوني المائل سواء في الميدان

الدفاعي أو الميدان الفني أو ميدان تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره» (٢٧)، كذلك فقد اتخذ المؤتمر قراراً عاماً كذلك بما يتعلق بتنظيم الشعب الفلسطيني، فقد قضى القرار بـ « أن يستمر السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالدول الاعضاء والشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » (٢٨).

ان ما نريد ابرازه هنا هو ان **القمة الاولى لم تقرر تشكيل كيان فلسطيني** وان كانت قد بحثته واختلفت الاراء حوله ، والشقيري نفسه يقر بأنه « تجاوز » المهمة التي اوكلت اليه فيقول : « قرار الملوك لم يخولني انشاء الكيان الفلسطيني اطلاقاً ... وكانت مهمتي في الواقع الاتصال والدرس ومن ثم تقديم تقرير الى مؤتمر القمة الثاني المزمع عقده في الاسكندرية في شهر آب ١٩٦٤ ، ولكني خشيت ان انفذ هذا القرار فقد كانت آراء الدول العربية متباينة بشأن كيفية تشكيل الكيان الفلسطيني واختصاصاته وكانت آراء التجمعات الفلسطينية متباينة كذلك ... وكان المفروض ان ابرز هذه التناقضات في تقرير اقدمه الى الملوك والرؤساء في اجتماعهم في الاسكندرية وانا اعلم ان مصير هذا التقرير هو احالة الموضوع الى الحكومات العربية مرة أخرى لمزيد من الدرس كما كان الحال لسنين عديدة مضت ... ولهذا فقد عازمت ان اضع الحكومات العربية والشعب الفلسطيني امام الامر الواقع فادعو الى مجلس وطني ... لينظر في الميثاق والنظام الاساسي ويعلن قيام (م.ت.ف.) وتشارك بعد ذلك في مؤتمر الملوك والرؤساء باسم (م.ت.ف.) لا تحت اسم ممثل فلسطين في الجامعة العربية » (٢٩).

على الرغم من الحكم الذي قطعناه بأن القمة العربية لم تكن هي التي شكلت الكيان، ففي المقابل ان الذاتية المفرطة التي تحت الشقيري من خلالها (في النص السابق) عن تشكيل الكيان لم تكن كذلك هي المكون الاساسي الذي بني فوقه الكيان الفلسطيني . ولا نقبل في ذلك من اهمية ما قام به الشقيري ، ولكن نعتقد ان حقائق المرحلة ، فلسطينيا وعربيا ، كانت تحتم طرح فكرة الكيان الفلسطيني والبحث في الوسائل الكفيلة باخراجه الى حيز الوجود . كان هناك دور ، اذن ، يبحث عن بطل ، فكان الشقيري . وفيما يلي محاولة للمس هذه الحقائق .

على صعيد فلسطيني ، ابرزنا في فقرة سابقة تأثيرات الانفصال وانتصار ثورة الجزائر على الاتجاه نحو « الفلسطينية » التي كان من مؤثراتها نشوء اعداد كبيرة من المنظمات الفلسطينية . واذا كان لهذا الامر من معنى فهو علامة واضحة على ان الفلسطينيين كانوا يبحثون عن ذاتهم ، عن شخصيتهم المستقلة ، عن ابراز كيان وطني لهم مستقل فاعل في الاحداث . ونستطيع ان نفترض ان انعقاد القمة العربية الاولى كان مناسبة لهذا الاتجاه لان ينطلق في حملة تعبوية داعيا الى تكريس نفسه على صعيد عربي . ومن مؤثرات هذه الحملة البيان الذي اصدرته جبهة التحرير الفلسطينية في ١٠/١/١٩٦٤ لمناسبة انعقاد القمة والذي طالبت فيه بالاعتراف بالشخصية الفلسطينية وبحق الشعب الفلسطيني بأن يكون طليعة العمل الثوري المسلح لاسترداد الوطن السليب (٣٠) . وقد وصف بيان للقيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي (٦٤/٣/٤) انعكاس الموقف الفلسطيني في القمة العربية كما يلي : « تجاه نضال أبناء فلسطين واصرارهم على ابراز كيانهم شعرت الحكومات العربية انها لا تستطيع الاستمرار في تجاهل هذا المطلب القومي الملح ... فلم يجد الرؤساء والملوك العرب في مؤتمرهم الاخير بالقاهرة سبيلا الا الاقرار مجددا بضرورة الكيان الفلسطيني وبحق الشعب العربي الفلسطيني في القيام بدوره في معركة العودة . ان اقرار مؤتمر الرؤساء

والملوك العرب بضرورة ابراز الكيان الفلسطيني هو اعتراف بحقيقة نضالية ، وهي ان الشعب الفلسطيني له دور طبيعي في تحرير فلسطين واعادتها عربية كما كانت «(٢١) . كانت هناك ارادة فلسطينية ضاغطة انعكست داخل المؤتمر في الاتجاه نحو بحث الكيان ، على الرغم من ان هذا البحث ، بسبب المواقف المتعارضة والمعارضة كذلك ، لم يتمكن من الوصول الى الصيغ المحددة المعبرة عن الكيان . وكان يمكن ايضا ان يلاقي قرار القمة بتنظيم الشعب الفلسطيني مصر القرارات السابقة التي اتخذتها الجامعة العربية في هذا الشأن وتنتهي الى ان تطوى في الملفات . غير ان الاستجابة الواسعة التي قابلت بها الجماهير الفلسطينية قرار القمة قطعت الطريق امام كل تراجع . فالقوى الفلسطينية فسرت قرار القمة بتنظيم الشعب الفلسطيني بأنه اعتراف من جانب الدول العربية بالكيان الفلسطيني و « كان موقف العناصر والقوى الثورية الفلسطينية موقفا ايجابيا رمى بثقله نحو العمل على انجاح مشروع الكيان والخروج به الى صيغة ثورية تستطيع ان تكون في مستوى المطامح الفلسطينية » (٢٢) . بجانب ذلك فينبغي عدم التقليل من موقف (ج.ع.م.) تجاه هذه المسألة . فالقاهرة التي كانت حينذاك تمسك بيديها بزمام العمل القومي العربي هيأت السبل امام انبثاق الكيان . وقد اوردنا في فترة سابقه بعض الحقائق المتعلقة بموقف الرئيس عبد الناصر من الكيان الفلسطيني . ووفقا للشقيري « كانت ج.ع.م. [بعد القمة الاولى] راغبة في انشاء الكيان اليوم قبل الغد » (٢٣) ، ولم يكن من قبيل الصدفة ان الشقيري قبل ان يبدأ جولته في الدول العربية واتصاله بالتجمعات الفلسطينية لمناقشة أمر تنظيم الشعب الفلسطيني حسب قرارات القمة ، قبل ذلك اجتمع في القاهرة (١١/٢/١٩٦٤) بالدكتور محمود فوزي ، وزير خارجية ج.ع.م. « وعرض عليه الخطوط العريضة لمشروع الكيان الفلسطيني وما يتعلق بجوانبه السياسية والعسكرية والمالية » (٢٤) . وقد كان موقف القاهرة الداعم لانشاء الكيان ، في صيغته التي عرضها الشقيري ، كفيلا بالحد من تأثير المعارضة التي ابدتها بعض الدول العربية والتي استمرت في المعارضة حتى بعد قيام م.ت.ف. فعشية انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني صرح فيصل بن عبد العزيز ، رئيس وزراء السعودية آنئذ ، لصحيفة « البلاد » في جدة بأن « كل عربي ومسلم يريد الكيان الفلسطيني ولكن على ان لا يفرض واحد على هذا الكيان . ليجتمع الفلسطينيون في كل قطر يكونون فيه وينتخبوا ممثلين منهم وتشكل من الممثلين هيئه تنتخب من بينها هيئة تنفيذية وهذه تدعى الكيان الفلسطيني » (٢٥) . وصبيحة المؤتمر المذكور كتبت « البعث » السورية تقول « اننا ونحن نرحب بكل لقاء يتم بين ابناء فلسطين نود ان ننبه الى خطورة النتائج التي نتجم عن كل محاولة تستهدف تحويل لقاء القدس الى مجلس وطني او صيغة نهائية للكيان . لقد قرر الرؤساء والملوك العرب تكليف السيد الشقيري بهمة استطلاع الآراء المختلفة لابناء فلسطين والحكومات العربية حول أفضل الوسائل لابراز الكيان الفلسطيني ليقوم برفعها الى مؤتمر القمة العربي في شهر آب القادم ، ولذلك فاننا نرحب بلقاء القدس كفرصة تتيح للسيد الشقيري ان يعرض آراء عدد من الفلسطينيين يجب ان تعرض على مؤتمر القمة المقبل » (٢٦) . وفي الاجتماع الذي عقده لجنة متابعة مقررات القمة في ١٩٦٤/٦/٥ عارض طاهر رضوان ، المندوب السعودي في اللجنة المذكورة ، مقررات المؤتمر الوطني في القدس وانشاء كيان فلسطين ، كذلك عارض منصور الأطرش ، المندوب السوري في اللجنة ، مقررات مؤتمر القدس واتهم الشقيري بتجاوز السلطات التي خوله اياها مؤتمر القمة العربي (٢٧) .

كانت هذه المعارضة تقابل بدعم من مصر ، التي كان تأثيرها في هذا الصدد قد بدأ منذ

اللحظة التي تم فيها اختيار الشقيري ، الذي تربطه علاقة وطيدة بالقاهرة الناصرية ، ممثلاً لفلسطين في الجامعة العربية على الرغم من تحفظ الاردن والسعودية . وقد كان الاختيار نفسه منسجماً مع وجهة نظر مصر الى الكيان ، فقد كانت ج .ع .م . تريد الكيان منبرا اعلاميا — كما يؤكد الشقيري نفسه — بمعنى ان يكون له دور دبلوماسي على الصعيدين العربي والدولي (٢٨) ، وكانت خبرة الشقيري الماضية في هذا الصدد تركبه للقيام بهذه المهمة .

في أي حال ، ومهما كانت التصورات المسبقة عن الكيان ، فقد كانت للقوى الفلسطينية العاملة آنذ افكار مقابلة ، اتفقت جميعها على ضرورة بعث الكيان ولكنها كانت غامضة ومتعارضة احيانا في كيفية ابرازه وفي التعرف على شكله العتيد . وينبغي ان نلاحظ هنا ملاحظة هامة هي ان الحديث عن الكيان في تلك الفترة لم يكن يعني الهوية القومية للشعب الفلسطيني او شخصيته الوطنية او وحدته الكيانية ، فقد كانت تلك مسلمات انطلقت منها القوى السياسية الفلسطينية للحديث عن الكيان بمعنى الاطر والمؤسسات المعبرة عن كل ما سبق والمهمات الموكولة الى تلك الاطر والمؤسسات وكيفية ادائها لمهامها بمختلف ابعادها . وكان هناك انفجار في التصورات بدأ مع بداية جولة الشقيري في الاقطار العربية في الفترة من ١٩٦٤/٢/١٩ الى ١٩٦٤/٤/٥ والتي شملت مصر والاردن وسوريا والبحرين وقطر والعراق والكويت ولبنان والسودان ، وقد عقد في هذه الجولة ٣٠ مؤتمرا مع الشعب الفلسطيني التقى خلالها مع آلاف منهم (٢٩) . وكان الشقيري قد اذاع في مطلع جولته في القدس (١٩٦٤/٢/٢٤) مشروعا من ٢٩ مادة « لميثاق قومي فلسطيني » تقوم عليه المبادئ الاساسية لتحرير فلسطين وقال انه سيدعو الى عقد مؤتمر وطني فلسطيني في القدس لطرحة عليه (٤٠) . وقد أسهم هذا المشروع في تفجير النقاش الذي ساد الساحة الفلسطينية والذي اتخذ له أكثر من مظهر كان احدها البيانات العديدة التي أصدرتها القوى السياسية والاتحادات الفلسطينية ، كما كان من مظاهرها الحوارات المباشرة بين الشقيري وهذه القوى . وقد سجل غسان كنفاني وصفا لاحد هذه المظاهر كما تمت في لبنان فكتب ان « الشقيري بدأ في بيروت اتصالاته على صعيدين : الصعيد الاول هو صعيد الخلية الاجتماعية حيث كان يصرف ساعات كثيرة في الاتصال المباشر بوفود الفلسطينيين القادمين من مختلف المخيمات والطبقات ، يستمع فيهم ويخطب فيهم ويحدد مفهوم الكيان السذي يريد ويستمع منهم الى مفهوم الكيان الذي يريدون . أما الصعيد الثاني فكان صعيد المناقشات والمباحثات مع ما صار يعرف بأنه القوى الثورية التي اتصل بها الشقيري . . . انها مجموعات المنظمات السرية والعلنية والمنظمات النقابية ومجموعة من المثقفين المستقلين المختصين بالقضية الفلسطينية » (٤١) . وقد ذكر الشقيري للكاتب الحالي ان هذه القوى التي أشار اليها كنفاني كانت في الاساس فتح وحركة القوميين العرب وجبهة التحرير الفلسطينية (٤٢) . وبهنا هنا ان نبرز افكار هذه المنظمات كما كانت آنذاك .

كان رأي فتح كما نشرته « فلسطيننا » كما يلي : « ١ — نحن نلتقي مع الجميع في اصرارهم على ان يكون الكيان ثوريا وذا مضمون ثوري . ٢ — نحن نتفق كل الاتفاق مع من ينادي بأن يكون الكيان مرتكزا للثورة المسلحة وليس بديلا لها . ٣ — نتفق مع الجميع في اعتبارهم التنظيم العسكري اساسا للكيان الفلسطيني . . . ٤ — نحن لا نختلف مع من ينادي بابراز الكيان عن طريق الانتخابات النزيهة أن أمكن ذلك ! [التشديد والتعجب في الاصل] ولكننا ننبه الى ان الانتخابات الحرة [التشديد في الاصل] قد تكون مستحيلة عدا عن انها ستنبش الاحقاد والتحزب الاعمى وحتما ستبعد العناصر

الثورية الاصلية لانها لا تملك أدوات التأثير المادية . وكذلك فهناك محذور آخر هو اكساب الشرعية لمثلين قد يخرجون على المسرح السياسي وينفذون قرارات يرغضاها الشعب الفلسطيني قطعاً ويحتمون بالشرعية «(٤٢)» .

أما حركة القوميين العرب وجبهة التحرير الفلسطينية — طريق العودة — فقد أصدرنا بياناً مشتركاً مع اتحاد طلاب فلسطين وأنشباب العربي الفلسطيني في لبنان ، أوضحنا فيه الرأي في الكيان واعتبرنا « البنود التالية هي الحد الأدنى مما ينبغي تحقيقه في ابراز الكيان الفلسطيني: ١ — طبيعة الكيان وفعاليتها: ١ — الكيان الفلسطيني تنظيم ثوري للشعب الفلسطيني يستهدف تحرير فلسطين واعادتها بأكملها عربية خالصة . ٢ — الكيان الفلسطيني المنظم بناء على الاسس الواردة في هذا البيان هو وحده صاحب الحق بتمثيل الشعب الفلسطيني والناطق باسمه . ٣ — الكيان الفلسطيني مستقل معنوياً ومادياً عنه معنوياً من المكانة السياسية ما لغيره من الكيانات السياسية العربية ويتمتع ممثلوه بالحصانة التامة في اداء واجباتهم ، أما من الناحية المادية فللكيان موارد مالية ثابتة عن طريق الجباية التي تقوم بها تشكيلات الكيان من الفلسطينيين ، وعن طريق التزام مالي ثابت تقوم به الدول العربية ويتقبل التبرعات من شعوب الدول العربية والدول الأخرى الصديقه . ٤ — الكيان الفلسطيني ينبثق عن انتخابات حرة تعبر عن ارادة الشعب الثورية الاصلية تعبيراً صادقاً . فإذا تعذرت الانتخابات لاسباب قاهرة فلا بد لارادة الشعب الثورية من ان تمثل في مؤتمر وطني عام ، وهذا المؤتمر تدعو اليه لجنة تحضيرية تمثل فيها جميع المنظمات الثورية والقوى العاملة بحسب الاسس التي تضمن للكيان طابعاً ثورياً . ب — القطاع العسكري في الكيان: ١ — يجند الفلسطينيون في الاطوار العربية المختلفة في وحدات عسكرية فلسطينية نظامية . ٢ — تخضع هذه الوحدات في تشكيلها وانضباطها لقيادة خاصة خاضعة بدورها للجهاز التنفيذي للكيان . ٣ — تكون القيادة الفلسطينية ممثلة تمثيلاً فعلياً في القيادة العربية الموحدة . ٤ — ترتبط هذه الوحدات في حركاتها العسكرية بالقيادة العربية الموحدة ضمن المخطط العربي العام . ج — الصلاحيات التنظيمية داخل الكيان : المؤتمر الوطني هو السلطة العليا في الكيان الفلسطيني . . . والمؤتمر الوطني ينتخب اللجنة التنفيذية . . . [التي هي] القيادة الجماعية الدائمة الانعقاد للكيان الفلسطيني «(٤٤)» .

ان فكرة الانتخابات التي وردت في النصين المذكورين كانت قد اثارتهما في وقت سابق وظلت تطالب بها لاحقاً ، الهيئة العربية العليا لفلسطين ، فقد أصدرت بياناً جاء فيه « ان الهيئة العربية العليا لفلسطين وهي الممثلة الشرعية لكفاح الشعب العربي الفلسطيني والمعبرة عن ارادته وامانيه واهدافه . . . تتمسك بمبدأ انشاء الكيان الفلسطيني عن طريق اجراء انتخابات عامة للشعب العربي الفلسطيني في مختلف ديار اقامته ، والهيئة تعتقد ان في الامكان اجراء انتخابات فلسطينية عامة في الظروف الحاضرة اذا توفرت النوايا الحسنة وابعدت قضية فلسطين عن مجالات التسخير والاستغلال والمزايدة «(٤٥)» .

بجانب ذلك كان للشقيري تصور خاص للكيان : « لقد قيل ان الكيان الفلسطيني يهدف الى غرضين اولهما سلخ الضفة الغربية واقامة حكومة فلسطينية وثانيهما ان تتخلى الدول العربية عن قضية فلسطين ، وكلا الامرين باطل من اساسه . . . الكيان الفلسطيني يهدف الى ان يصبح أهل فلسطين قوة وطنية عاملة تسهم في تحرير فلسطين «(٤٦)» ، كذلك « ان تنظيم الشعب الفلسطيني لا بد ان يعبر عن ارادة الشعب الفلسطيني وان تنضوي تحت لوائه كل المنظمات والهيئات الفلسطينية وان يكون مفتوحاً امام المواطنين جميعاً «(٤٧)» . أما الهيكل العام للكيان كما فكر فيه الشقيري فهو

يُقوم على أربع دعائم « أ - الجهاز العسكري ومهمته تمكين القادرين على حمل السلاح في خدمة وطنهم . ٢ - الجهاز التنظيمي وهو على شكل اتحادات ونقابات تشمل العمال والفلاحين والطلاب والمهنيين الخ . ٣ - الجهاز السياسي وله مهام اعلامية ودعائية . ٤ - الجهاز المالي وهو يشتمل على الصندوق القومي الفلسطيني وموارده من الشعب الفلسطيني والدول العربية والشعوب والدول الصديقة » (٤٨) .

بهذا التصور المحدد للمؤسسات المعبرة عن الكيان قام الشقيري بالدور الاساسي في اخراجه الى حيز الوجود . وفي ٢٨/٥/١٩٦٤ عقد مؤتمر فلسطيني في القدس حضره ٣٨٨ ممثلا منهم ٢٤٢ من الاردن و١٤٦ من سوريا ولبنان وغزة والخليج العربي والعراق اختارتهم لجان تحضيرية شكلها الشقيري من الفلسطينيين في هذه الاقطار (٤٩) ، وفي جلسة العمل الاولى انتخب الشقيري رئيسا للمؤتمر بالاجماع فأعلن ولادة منظمة التحرير الفلسطينية وتحول المؤتمر الى مجلس وطني للمنظمة واختتم أعماله في ٦/٢/١٩٦٤ بعد ان أقر الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الاساسي للمنظمة والنظام الاساسي للصندوق القومي الفلسطيني .

مرحلة البناء ١٩٦٤ - ١٩٦٧

كانت السنوات الثلاث التي أعقبت قيام م.ت.ف. هي سنوات البناء ، ان لجهة رساء المفاهيم الاساسية لمعنى الكيان من حيث هو تعبير عن الشخصية المستقلة للشعب الفلسطيني ووحدته القومية ، او لجهة اقامة المؤسسات والاعوية المادية التي تجسد الكيان بمعناه السابق تجسيدا محسوسا . لقد كان واضحا منذ المجلس الوطني الاول ومنذ اللحظة التي أعلن فيها عن قيام منظمة التحرير الفلسطينية انه اريد ان يكون هناك تطابق كامل دون اي هامش من فراغ بين مقولتين : الاولى الشعب الفلسطيني من حيث هو وجود واحد ، والثانية منظمة التحرير الفلسطينية ليس باعتبارها احدي المؤسسات التي أوجدها الشعب ، وانما من حيث هي **الشعب - في حالة التنظيم** . أي ان المعادلة الاساسية التي بنيت عليها المنظمة هي : **المنظمة = الشعب** . وقد توضح هذا القصد في النظام الاساسي للمنظمة الذي أقره المجلس الاول ، فقد نصت المادة الاولى منه على ما يلي : « يشكل الفلسطينيون فيما بينهم وفقا لاحكام هذا النظام منظمة تعرف باسم م.ت.ف. » . ويلاحظ في هذا النص الذي اختيرت الفاظه بدقة ان مسؤولية تشكيل المنظمة تقع على الفلسطينيين جميعا وهذه المسؤولية مستمرة في الزمان وقد اوحى بهذه الاستمرارية اختيار صيغة المضارع من الفعل « يشكل » ، كما ان تعبير « فيما بينهم » يوحي بمعنى تعاقد بين الفلسطينيين . ولتأكيد هذا القصد الذي اشرنا اليه نصت المادة الرابعة من النظام نفسه على ما يلي : « **الفلسطينيون جميعا أعضاء طبيعيين** في م.ت.ف. يؤدون واجبهم في تحرير وطنهم قدر طاقاتهم وكفاءاتهم . والشعب الفلسطيني هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة » . وبذلك حققت هذه الوثيقة ، من ناحية نظرية ، المطابقة الكاملة بين الشعب الفلسطيني وم.ت.ف.

وهذه المطابقة وحدها هي التي استقطت على م.ت.ف. معنى الكيان على الرغم من انه لم يرد هذا التعبير لا في ميثاق المنظمة ولا نظامها الاساسي ، فالكيان في الاصل معنى يتعلق بالشعب ، بوحدته القومية وبشخصيته المستقلة وباحساس الشعب بهما . والمبدأ الاساسي الذي انطلقت منه المنظمة هي وحدة الشعب الفلسطيني الكيانية ذات الشخصية الثابتة ، ففي الميثاق القومي الفلسطيني نصت المادة الخامسة على ان « الشخصية الفلسطينية صفة اصيلة لازمة لا تزول وهي تنتقل من الاباء الى الابناء » .

كما اكدت المادة الحادية عشرة من الميثاق القومي ان على الشعب الفلسطيني — في هذه المرحلة من كفاحه — « ان يحافظ على شخصيته الفلسطينية ومقوماتها ، وان ينمي الوعي بوجودها وان يناهض ايا من المشروعات التي من شأنها اذابتها او اضعافها » . واذا كانت الكيانية في الاساس تتعلق بالشعب ، والشعب الفلسطيني وحدة كيانية ، فمن خلال المعادلة التي سبق ذكرها ، تصبح المنظمة هي الكيان الفلسطيني المحسوس .

لقد قام البناء الهيكلي للمنظمة بحيث يرسخ في الواقع معنى الكيان فيها ولتأخذ شكل الدولة التي هي التعبير القانوني عن الكيان ، واطرها باستثناء الارض . فمن جهة اولى السكان جميعا الذين اكتسبوا جنسية الدولة هم مواطنو هذه الدولة ، وبذلك فالفلسطينيون جميعا اعضاء طبيعيين في م.ت.ف. كذلك فان الميثاق القومي والنظام الاساسي اللذين يحددان طبيعة المنظمة وشكل العلاقات بين هيئاتها وعلاقة المواطنين بها هما بمثابة الدستور في الدولة . ومن جهة ثانية فان هيئات المنظمة شبيهة بتلك التي للدولة فهناك السلطة التشريعية المثلة بالمجلس الوطني الذي يجتمع دوريا و « هو السلطة العليا لمنظمة التحرير ، وهو الذي يضع سياسة المنظمة ومخططاتها وبرامجها » كما نص على ذلك النظام الاساسي وهناك اللجنة التنفيذية التي هي « أعلى سلطة تنفيذية للمنظمة » وتتولى « تمثيل الشعب الفلسطيني ، الاشراف على تشكيلات المنظمة ، اصدار اللوائح والتعليمات واتخاذ القرارات الخاصة بتنظيم أعمال المنظمة ، تنفيذ السياسة المالية للمنظمة ، وعلى وجه العموم تبث في اللجنة التنفيذية مسؤوليات منظمة التحرير وفق الخطط العامة والقرارات التي يصدرها المجلس الوطني » كما جاء في النظام الاساسي .

واستنادا الى هذا الهيكل العريض عمدت المنظمة الى اقامة تشكيلات عسكرية وسياسية واعلامية خدمت من جانب تثبيت هذه الصورة من الكيان كما عمقت من جانب آخر الاحساس بالشخصية المستقلة لدى جماهير الشعب الفلسطيني . ومن هذه التشكيلات كان جيش التحرير الفلسطيني الذي هو التعبير العسكري عن الكيان . وكان النظام الاساسي الذي أقره المجلس الاول قد نص في احدى موادها على ان « تشكل وحدات فلسطينية خاصة وفق الحاجات العسكرية والخطة التي تقررها القيادة العربية الموحدة للاتفاق وبالتعاون مع الدول العربية المعنية » . ونتيجة لذلك ففتح معسكر للتدريب في غزة وظهر اول وجود علني للجيش الفلسطيني في احتفالات ج.ع.م. بعيد الثورة في ٢٣/٧/١٩٦٤ حيث اشتركت وحدات رمزية في الاحتفالات باسم جيش فلسطين . وفي مؤتمر القمة الثاني اقر انشاء جيش فلسطيني تابع لـ م.ت.ف. وورد في البيان الختامي ان المؤتمر « اعتمد قرار المنظمة بانشاء جيش التحرير الفلسطيني » . ولم يكد العام ١٩٦٥ ينتهي حتى استكمل بناء هذا الجيش بقواته الثلاث : عين جالوت في غزة وحطين في سوريا والقادسية في العراق .

بجانب ذلك انشأت المنظمة الاجهزة السياسية والاعلامية الكفيلة بتنفيذ خططها وتعميق صورتها الكيانية . وقد اولت المكاتب في الاقطار العربية والاجنبية اهتمامها الكبير لما تحمله هذه المكاتب من صيغة تمثيلية حرصت عليها المنظمة . وحتى منتصف العام ١٩٦٥ كانت المنظمة قد افتتحت مكاتب لها في القدس (المقر الرئيسي) ودمشق وغزة والقاهرة وبيروت والخرطوم وبغداد وطرابلس والجزائر والكويت وقطر والمغرب بالإضافة الى نيويورك وبلغراد وبكين . بموازاة هذه المكاتب التي كان من جملة مهماتها الاعلام والدعاية والنشاط السياسي باسم م.ت.ف. ورعاية شؤون الفلسطينيين بدأت

اذاعة تبث من القاهرة باسم « صوت فلسطين ، صوت م.ت.ف. من القاهرة » لعبت دوراً مهماً في التحريض السياسي والتعبئة . وكانت ساعات بثها الست مقسمة الى ثلاث فترات : ساعتين في فترة الصباح وساعة في فترة الظهر وثلاث ساعات في فترة المساء ، وكانت الاذاعة لفترة طويلة المنبر الاكثر أهمية في التعبير عن مواقف المنظمة وسياساتها وافكارها ، والوسيلة الاسرع تأثيراً في الاتصال بين م.ت.ف. والفلسطينيين في كل مكان . بالاضافة الى هذا فقد أنشأت م.ت.ف. مركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت في شباط ١٩٦٥ ليكون مكاناً لدراسة القضية الفلسطينية ومصدراً للمعلومات عنها . ومنذ تأسيسه مارس نشاطه بكثافة وكان دوره الاساسي في مرحلة البناء انه درس القضية الفلسطينية بطريقة علمية ، لأول مرة في العالم العربي ، مما أعطى فيها أفضل للقضية وحقائقها .

ينبغي ان نضيف الى هذه التشكيلات التي اقامتها المنظمة موقفها من التنظيم الشعبي والاتحادات الشعبية . ففي المجلس الوطني الثاني أقر قانون التنظيم الشعبي بحيث يشكل هذا التنظيم « الاداة القادرة على حشد الفلسطينيين بكل طاقاتهم وكنائهم لتحرير فلسطين ... وهذا المعنى يتطلب وجود عضوية عاملة في م.ت.ف. ... » والتنظيم الشعبي ليس بحزب وانما هو الوعاء الذي يضم قوى الشعب الفلسطيني العاملة » وكان بناء التنظيم الشعبي كما خطط له يتم على اساس الهيكل الهرمي ، قاعدته مؤلفة من وحدات محلية تشكل على اساس محلي كالمحلة او المدينة او القرية او المعسكر او التجمع المهني ، يضمها مؤتمر التنظيم الشعبي في المنطقة (ومكتب منبثق عنه) ، ويعلو ذلك مؤتمر التنظيم الشعبي في القطر (ومكتبه) وعلى رأس الهرم مكتب مؤتمر التنظيم الشعبي العالي الذي يتكون من اعضاء مكاتب الاقطار . ويتم اختيار جميع اعضاء هذه المسنويات بطريق الانتخاب الحر . غير ان هذه التجربة التي وضعت موضع التنفيذ فعلا لم يخب لها النجاح والاستمرار ولم تتواصل جماهيرياً ، وكانت تجربة الاتحادات الشعبية هي التجربة الاخرى اصالة وقدره على تنظيم قطاعات الشعب المختلفة . ولدى قيام المنظمة كان في الساحة الفلسطينية اتحادان : الاتحاد العام لطلبة فلسطين الذي تأسس في العام ١٩٥٩ واتحاد عمال فلسطين الذي تأسس في العام ١٩٦٣ ولم يكن بعد قد عقد مؤتمره العام الاول . وبعد قيام المنظمة أعلن الاتحاد العام لطلبة فلسطين (في مؤتمره الذي عقد في غزة في ١١/٦/١٩٦٤) انه قرر اعتبار نفسه جزءاً من المنظمة ، كما أكد الاتحاد العام لعمال فلسطين في مؤتمره الاول (في غزة ١٤/٤/١٩٦٥) ان م.ت.ف. هي الممثلة الوحيدة لشعب فلسطين والقائدة لنضاله ، وبذلك تحقق اندماج الاتحادين في المنظمة التي أخذت على عاتقها ايضا المبادرة لتأسيس اتحادين آخرين : الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في العام ١٩٦٥ والاتحاد العام للادباء الفلسطينيين في العام ١٩٦٦ ، بهدف بناء القواعد الشعبية التي يستند اليها الكيان .

وبهذه التشكيلات العسكرية والسياسية والاعلامية والشعبية (بالاضافة الى المالية الممثلة في الصندوق القومي الفلسطيني) استكملت المنظمة بناء الادوات المادية التي تجسد الكيان ، والتي في الوقت نفسه تمكن الشخصية الفلسطينية من التعبير عن نفسها من خلالها .

لقد ترتب على هذه المعادلة (المنظمة = الشعب) جميع البنى النظرية والممارسات السياسية للمنظمة المتعلقة بمسائل تمثيل الشعب الفلسطيني والتحدث باسمه ومسؤوليتها عن حركته ورعاية مصالحه ومعالجة قضيته . وقد جرى اول اعتراف عربي رسمي بالمنظمة بصفتها هذه بعد اسبوعين من قيامها . فقد وجهت الجامعة

العربية دعوة رسمية الى م.ت.ف. للاشتراك في الاجتماع الذي عقد في دمشق في نطاق الجامعة يوم ١٧/٦/١٩٦٤ لبحث شؤون اقامة اللاجئين في الدول العربية ، وقد رأس هذا الاجتماع سيد نوفل ، الامين العام المساعد للجامعة ، وحضره بالاضافة الى م.ت.ف. ممثلون عن الدول العربية المضيغة للاجئين ، مصر وسوريا ولبنان والاردن (٥١). بيد ان الاعتراف المعلن بالمنظمة تم في مؤتمر القمة العربية الثاني الذي عقد في الاسكندرية في الفترة من ٥ - ١١ ايلول ١٩٦٤ ، ففي البيان الختامي الصادر عن مجلس الملوك والرؤساء العرب ، جاء ان المجلس « رحب بقيام م.ت.ف. دعما للكيان الفلسطيني وطلبة العربي الجماعي لتحرير فلسطين » (٥١).

الى أي مدى استطاعت المنظمة في هذه المرحلة ان تجذر هذا المعنى في اوساط الشعب الفلسطيني ؟ يلفت النظر في هذا الصدد ما كتبه مجلة « فلسطين » ملحق صحيفة « المحرر » التي كان يرأس تحريرها غسان كنفاني ، بعد نحو سنة من قيام المنظمة ، معترضة على نص المادة الرابعة من النظام الاساسي التي ورد ذكرها ، فقد قالت المجلة « ان هذه المادة في النظام الاساسي للميثاق عاتمة ولا تعني شيئا . وقد كان انعدام التحرير [هكذا وردت والمقصود التحديد] في هذه المادة واحدا من الاسباب التي عكست نفسها على حقيقة الوضع التنظيمي كله في المنظمة وأدى الى ما يشبه القناعة في اوساط المنظمة ذاتها وبعض الاوساط الفلسطينية بأن دور المنظمة في الحقيقة هو دور أبوي ليس غير . « الفلسطينيون جميعا أعضاء طبيعيين » في المنظمة اصطلاح لا يعني شيئا وخاصة على صعيد التنظيم والعضوية ، والمطلوب من هذه المادة ان تكون محددة وواضحة وذات مدلول عملي ومقاييس لتصبح العضوية قضية مسؤولية مباشرة وعمل ، وليست مجرد انتساب عشائري . ان الاقتراح الاول بهذا الشأن هو التالي « للفلسطينيين جميعا الحق الطبيعي في عضوية منظمة التحرير ، ويعتبر عضوا عاملا كل فلسطيني يدخل في اطر التنظيم العملي ويقوم بأداء واجباته المتأتية عن ذلك الانتساب التنظيمي » (٥٢). وعلى الرغم من أنه لا يجوز تعميم هذا الرأي على الموقف كله الا ان النص الذي اثبتناه يحمل دلالة خاصة على ان المطابقة التي ارادتها المنظمة بينها وبين الشعب الفلسطيني كانت قابلة للنقاش سواء اسبب ان هذه المطابقة لم تكن مفهومة الاتاق العملية ام بدافع تحويل المنظمة الى جهاز تنظيمي . فالذي دعت اليه المجلة هو تحديدا تحويل المنظمة من صيغة المنظمة - الشعب الى صيغة المنظمة - الحزب ، وفهم المنظمة على هذا الاساس .

يضاف الى هذا المؤثر موقف فتح من المنظمة ، ففتح التي كان وجودها السياسي سابقا لقيام م ت ف والتي بدأت عملها العسكري بعيد قيام المنظمة بأشهر قليلة (مطلع العام ١٩٦٥) كانت تعتبر ان م ت ف « جهة فلسطينية » (٥٣) في أحسن الاحوال . ولقد كان نمو فتح على خط مواز لمنظمة التحرير الفلسطينية تأثير في اتساع الهامش الذي لم ترده المنظمة في أن تكون هي والشعب الفلسطيني وجهين لقطعة عملة واحدة .

ان هذا الذي ذكرناه سابقا لا ينبغي أن توى فلسطينية أخرى شاركت في اعمال المنظمة انطلاقا من ميثاقها ونظامها الاساسي . ففي محاضرة القاها صالح شبل ، احد أعضاء حركة القوميين العرب آنذاك ، في بيروت (٢١/٥/١٩٦٥) قال « لم يعد سرا البادرة الايجابية التي قام بها الجهاز الفلسطيني في حركة القوميين العرب حين انخرط في صفوف المنظمة وانضوى تحت لوائها » (٥٤). ويذكر الشقيري ان حركة القوميين العرب وجبهة التحرير الفلسطينية (ج ت ف) وفتح تمثلت في المجالس الوطنية الاولى (٥٥). وحسب توضيح فتح : « اننا حاولنا منذ البدء أن نكون ايجابيين مع المنظمة واشتركنا في أجهزتها كما اشترك سائر المواطنين الفلسطينيين وعملنا على اعطائها

نفحة الحياة المطلوبة ، ولكن الايام اثبتت ما توقعه الكثيرون من ان المنظمة ، وهي وليدة مؤتمر القمة ، ستترث من هذا المؤتمر دمه ولحمه وسوف تنعكس عليها طبيعة التناقضات التي تكشف عنها فيما بعد « (٥٦) . وقد كان لاشتراك هذه القوى في اجهزة المنظمة (كانت المشاركة شخصية أكثر منها تمثيلا لقوى منظمة كما كان الشقيري يصر على ذلك) ووصول بعضها الى اللجنة التنفيذية نفسها ، تعريزا شعبيا لأطروحة المنظمة الأساسية عن كونها الاطار الكياني الفلسطيني . وقد أسهمت الاتحادات الفلسطينية اسهاما كبيرا في هذا الشأن عندما اعتبرت نفسها جزءا من المنظمة وقاعدة لها (٥٧) . كذلك فان الاجهزة السياسية والشعبية والعسكرية التي اقامتها المنظمة كان لها الدور الاجرائي في ترسيخ مفهومها في أن تكون هي الكيان كما كان للممارك السياسية التي خاضتها اثرها الحاسم في تثبيت الوان الصورة . وقد رافق ذلك كله نوع من الاعتراف بالمنظمة من جانب بعض الهيئات الدولية الذي ظهرت بوادره في مؤتمر دول عدم الانحياز الذي افتتح في القاهرة في ١٠/١٠/١٩٦٤ . فقد كانت لجنة سفراء دول عدم الانحياز قد قررت في ٢٠/٩/١٩٦٤ أن تكون م ت ف ممثلة كمراتب في اجتماعات المؤتمر على أن تتولى ج ع م بوصفها الدولة الداعية للمؤتمر توجيه الدعوة (٥٨) . وقد تكرر هذا الاعتراف في المؤتمر الرابع لمنظمة تضامن الشعوب الامريقية الاسيوية الذي عقد في ويلبا في غانا في الفترة من ٩ - ١٦ ايار ١٩٦٥ حيث اعتبر المؤتمر م ت ف ممثلة للشعب الفلسطيني في منظمة التضامن . كذلك قرر مجلس السلم العالمي في رسالة وجهها الى المنظمة في ١٥/٢/١٩٦٦ اعتبار فلسطين عضوا فيه وقد مثلت المنظمة فلسطين في المجلس المذكور منذ ذاك (٥٩) .

وقد جعلت هذه المعطيات جميعا أحمد الشقيري يقول في المجلس الوطني الثالث (ايار ١٩٦٦) : « أريد أن أقول لكم جميعا يا رؤساء الحكومات العربية الذين تمثلون شعوبكم ، ان منظمة التحرير الفلسطينية تمثل الشعب الفلسطيني كما يمثل زكريا محيي الدين [الذي كان حاضرا حفل افتتاح المجلس] الشعب المصري « (٦٠) .

ان الفكرة التي أردنا بلورتها سابقا هي اكتساب م ت ف معنى الكيان ، غير ان وجود م ت ف نفسه قام بالمقابل بتعميق الكيانية الفلسطينية لدى الشعب الفلسطيني وجذر الاحساس بشخصيته الوطنية المستقلة ونمى شعور الفرد الفلسطيني بالانتماء الى الشعب الواحد . فلأول مرة منذ العام ١٩٤٨ يجري طرح موضوع الشخصية الفلسطينية علم ، هذا القدر من العلن والاتساع ، كذلك لأول مرة منذ العام ١٩٤٨ تأخذ جهة فلسطينية على نفسها مهمة ان تكون حركة الشعب الفلسطيني كله حيثما وجد وباختلاف الانتماءات الفكرية والمذهبية للفرد منه . وقد لعبت وسائل الاتصال بالجهاهير التي أسستها المنظمة والتي كانت قادرة على اقامة تماس مباشر بالتجمعات الفلسطينية الدور الاهم في ازالة التراكمات عن الشخصية المستقلة للشعب الفلسطيني وصقلها . وقد كان ظهور فتح في هذه المرحلة المهمة من التاريخ الفلسطيني وتبشيرها بالثورة المسلحة يخوضها الشعب الفلسطيني نفسه وممارستها العمل المسلح فعلا ، الرائد الآخر الذي فجر الثورة الكيانية الفلسطينية . وربما تعتبر الانتفاضة الجماهيرية التي أعقبت العدوان الاسرائيلي على قرية السموع من أعمال الخليل (١٣/١١/١٩٦٦) أكثر الرموز دلالة محسوسة على هذه الثورة الكيانية التي تحققت بقيام المنظمة وممارسة فتح العمل المسلح .

جاء الاعتداء اثر سلسلة كادت أن تصبح يومية من الاعمال الفدائية قامت بها العاصفة (الجناح العسكري لفتح) ، وفي وقت كانت م ت ف تخوض معركة سياسية واعلامية مع النظام الاردني بمطالب محددة منها تسليح القرى الامامية . وقد كان

الاعتداء الفتل الذي اشعل هبة جماهيرية في الضفة الغربية شملت جميع مدنها واستمرت نحو أسبوعين ، وسقط خلالها عدد من القتلى والجرحى . وإذا كانت الانتفاضات الجماهيرية عملا مميذا في تاريخ الحركة الوطنية في الأردن ، كثر تكرارها سابقا ، فان الهبة التي أعقبت السموع تميزت بكونها جزءا من الثورة للكيانية الفلسطينية : (١) لأول مرة في تاريخ الانتفاضات الجماهيرية في الأردن تنحصر التظاهرات في « الضفة الغربية » الفلسطينية ولا تتعداها الى الضفة الشرقية . فالتظاهرات الجماهيرية وبالتالي الصدام مع أجهزة الشرطة والجيش قامت في الخليل ونابلس وطولكرم والقدس وجنين حيث الفلسطينيين هم العنصر الوحيد . (٢) ان المطالب التي تقدم بها المتظاهرون هي مطالب فلسطينية بحتة ، ففي الخليل طالبوا « بضرورة تسليح كافة أبناء الشعب للدفاع عن حدودهم وكرامتهم » (٦١)، وفي نابلس (حيث شيع قتلى تظاهرة اليوم السابق وتحولت الجنازة الى مسيرة اثبتت مع قوات الامن فسقط قتلى وجرحى آخرون) قدم ممثلون عن المتظاهرين بيانا الى المسؤولين في قيادة المنظمة طالب بـ « التعاون مع م ت ف وتمكينها من الاتصال بالشعب والعمل في الاردن وعدم التعرض للفدائيين الفلسطينيين وعدم وثوق الحكومة في وجه الشعب عندما يبحث قضايا المصرية » (٦٢). ولدى مقارنة هذه المطالب الفلسطينية بالهجوم التي حركت انتفاضات الجماهير في ضفتي الاردن خلال السنوات التي سبقت (انتفاضة ١٩٥٦/١٩٥٧ كان هدفها الحكم الوطني، وانتفاضة ١٩٦٣ كان محركها محادثات الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق) يحق الاستنتاج ان انتفاضة ١٩٦٦ كانت علامة بارزة على النمو الفلسطيني الذي كان قد تحقق حتى ذلك .

ان أبرز انجازات سنوات البناء هو هذا النمو الفلسطيني الذي عبر عن نفسه بأشكال وصيغ متعددة ، احداها كانت انتفاضة ١٩٦٦ الفلسطينية ، ومنها كذلك قيام الاتحادات الشعبية والمهنية الفلسطينية التي هي في الاساس جهد سياسي يستهدف بعث الشخصية الفلسطينية ووضعها في مواجهة ، ولم يكن صدفة ، وانما هو صدى لهذا النماء الفلسطيني ، ان محمود درويش كتب قصيدته « عاشق من فلسطين » في هذه المرحلة بالذات والتي يجري فيها التأكيد على الفلسطينية بشكل يصلح عنوان مرحلة : « فلسطينية العينين والوشم / فلسطينية الاسم / فلسطينية الاحلام والهيم / فلسطينية المنديل والقدمين والجسم / فلسطينية الكلمات والصمت / فلسطينية الميلاد والموت » .

ان الامر الذي يجب التوقف عنده لدى الحديث عن بعث الشخصية الفلسطينية وترسيخ جذور الكيانية ، هو ان الشعب هو الذي كان معنيا بهذين الشائين دون الارض . فعلى الرغم من ان الميثاق نص في مادته الثانية على ان « فلسطين بحدودها التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني وحدة اقليمية لا تتجزأ » ، الا ان الهوية الفلسطينية للاراضي التي جزئت خارج فلسطين المحتلة في العام ١٩٤٨ (قطاع غزة والضفة الغربية ومنطقة الحمة) لم تبرز ابرازا منهجيا بحيث تربط الاجزاء جميعا ، المحتلة منها وغير المحتلة ، ضمن شامل واحد هو الوطن الفلسطيني . لقد اقتصر فهم المنظمة في هذه الفترة بالنسبة للكيان الفلسطيني على جانب واحد هو الكيان — الشعب، وجهت ان تشمل سلطتها — التي تشتتها من معادلة (الكيان = المنظمة) — الشعب الفلسطيني فقط دون الارض . ومن خلال هذا الفهم — الذي لم يكن فقط نتيجة عوامل ذاتية وانما بسبب خضوع الاراضي الفلسطينية لارادات غير فلسطينية — لم يدخل في حساب المنظمة ان تمارس السيادة على أي مسن الاراضي الفلسطينية غير

المحتلة . فوفقا للشقيري « الرئيس عبدالناصر في حديث له معي بعد انشاء م ت ف وممارستها لصلحياتها الكثيرة في قطاع غزة قال لي مرة اذا ارادت م ت ف ان تستلم قطاع غزة أتفضلوا خذوه . مش بس تنشئوا معسكرات ، والادارة أيضا لكم . قلت نعمل ايه ، ماذا نعمل بقطاع غزة ، نحمله على اكتافنا ؟ لا . كل ما نريده من أرضنا في قطاع غزة أن تكون كلها ثكنة عسكرية ، لكن الادارة لا تريد » (١٦) .

وإذا كان الامر كذلك بالنسبة لقطاع غزة فقد كان أكثر تعقيدا تجاه « الضفة الغربية » تحديدا والموقف بالنسبة للاردن بعامة . فمئذ المجلس الوطني الاول أعطيت «تطمينات» للاردن بأن المنظمة لن تمس « وحدة الضفتين » . ففي خطاب الافتتاح الذي ألقاه الشقيري أكد « ان انبثاق الكيان الفلسطيني في مدينة القدس لا يهدف الى سلخ الضفة [الغربية] عن المملكة الاردنية الهاشمية . . . ونحن لا نتعرض للكيان الاردني من قريب او بعيد » (٢٤) . وربما بتأثير من الاردن أدخلت المادة الرابعة والعشرون في الميثاق التي تنص على ما يلي : « لا تمارس هذه المنظمة أية سيادة اقليمية على الضفة الغربية في المملكة الاردنية الهاشمية ولا قطاع غزة ولا منطقة الحمة ، وسيكون نشاطها على المستوى القومي الشعبي في الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية » . غير ان المنظمة عندما ابتدأت تمارس « نشاطها على المستوى القومي الشعبي » اصطدمت بحقيقة ان تطبيق أهدافها في الاردن يعني منازعة النظام الاردني سيادته على الشعب حيث الاغلبية هم الفلسطينيون . فحسب مقررات المجلس الوطني الثاني (غزة ٥/٣١ - ١٩٦٥/٦/٤) كان مطلوبا من المنظمة ان تنجز « الاسراع في تحصين القرى والخطوط الامامية . . . الاسراع في تنفيذ التدريب الشعبي . . . فرض التجنيد الاجباري على جميع الفلسطينيين اينما كانوا اسوة بما طبق في قطاع غزة » بالاضافة الى أمور الجباية المالية والتنظيم الشعبي وحق تعبئة الجماهير الفلسطينية ، وجميعها تضع السلطة الفعلية على الجماهير بيد المنظمة . وكان من المنطقي جدا ان يكون الرفض هو موقف النظام والا فالنظام يكون قد نجر نعشه بيديه . وازاء هذا الرفض ذهب الشقيري الى النقيض وحاول ان يجعل الكرة في شبك النظام الاردني : على صعيد الكيان - الشعب حاول الشقيري ان يوسع الدائرة بحيث يشمل هذا الكيان المشرق - اردنيين كذلك . وقد جاءت هذه المحاولة عندما أدخل نجيب ارشيدات ، نقيب المحامين في الاردن ، وهو شرق - اردني ، اللجنة التنفيذية لم ت ف كذلك أعلن عن تعيين علي الحيازي (شرق - اردني كذلك) مديرا عاما للدائرة العسكرية . وأعلن في مؤتمر صحافي عقده في عمان (٦٥/٧/٢) « ان اختيار احد أبناء الضفة الشرقية ليكون عضوا في اللجنة التنفيذية هو تطور ثوري في هذه المرحلة من حياة م ت ف » . « الاردن هو وطن المنظمة وشعب الاردن هو شعب المنظمة » (٢٦) . وعلى صعيد الكيان - الوطن . ذهب الى ان شرق الاردن هي فلسطين وأعلن « ان فلسطين الكبرى [فلسطين وشرق الاردن] أصابتها تجزئة عام ١٩١٩ بسلخ الضفة الشرقية ، وأصابها التقسيم الشنيع عام ١٩٤٧ باقامة اسرائيل . وان عودة الضفة الشرقية الى الوطن الام ، عقلا وضميرا وروحا وجسدا ، هي خطوة أساسية نحو عودة الوطن السليب » (٢٧) .

كان هذا الموقف من الشقيري مبادرة شخصية لم يجر أخذ الرأي فيها في اللجنة التنفيذية التي أثارها في جلسة لاحقة لتصريحات الشقيري (الجلسة من ٤ - ٧ تموز ١٩٦٥) . وقد « قبلت » في اللجنة استقالة نجيب ارشيدات بعد أن تبين « ان اعماله كنتقريب للمحامين وواجباته الكثيرة الاخرى لا تتيح له أن يقوم بالتفرغ الكامل لاعمال المنظمة » (٢٨) . كما أصدرت اللجنة التنفيذية بيانا « جرى [فيه] التأكيد على تحرير

فلسطين هدفا نهائيا ، وعلى توكيد الشخصية الفلسطينية مبدأ ، وعلى المحافظة على الميثاق دستورا للمنظمة « (١٩) . وواضح من نص البيان انه يناقض اجراءات الشقيري وتصريحاته . وقد أوضح الدكتور فايز صايغ ، الذي كان رئيسا لدائرة الاعلام والتوجيه القومي ، في وقت لاحق حقيقة ما جرى ، فقال : « القضية التي نثيرها هذه التصريحات [تصريحات الشقيري] هي قضية الاساس الذي تقوم عليه المنظمة وليس قضية ثانوية أو جانبية ، هي قضية الشخصية الفلسطينية والمصر الفلسطيني وفهمنا لهما . فيبدو من مجموع التصريحات التي ادلى بها الاستاذ الشقيري في الاردن في اواخر حزيران وأوائل تموز ان له اجتهادا خاصا جديدا في حدود الارض الفلسطينية وفي هوية الشعب الفلسطيني وفي صلة خاصة تقوم بين الارض والشعب الفلسطيني وبين الكيانات السياسية العربية المجاورة دون الكيانات الاخرى . وهذا الفهم الجديد للوطن والشعب والصلة والمصير لا يتفق في نظري مع فهم أبناء فلسطين عموما لهذه المواضيع كلها ولا ينسجم مع نصوص الميثاق . . . ان المجلس الوطني لم ينظر في هذه التصريحات التي صدرت بعد انتهاء دورته الثانية كما ان اللجنة التنفيذية لم تتخذ أي قرار بتأييد هذه التصريحات او القبول بها أو تبنيها بعد صدورها . . . وفضلا عن ذلك فان اللجنة التنفيذية قد أبدت رأيا في هذا الموضوع بصورة قاطعة ، وذلك في البيان الذي أصدرته عند اختتام جلساتها في ٧ تموز [المذكور اعلاه] « (٧٠) .

وعلى الرغم من قرارات اللجنة التنفيذية فقد استمر الشقيري في طرح افكاره وتوسل الى ذلك بمختلف الوسائل حتى مجلس الجامعة العربية ، فقد قدم الشقيري اقتراحا الى المجلس في دور انعقاده السادس والاربعين (١٠ - ١٣ ايلول ١٩٦٦) نص على ما يلي « يقترح على الحكومة الاردنية ، كواجب قومي أسمي ، ان تبادر الى اعلان القدس عاصمة للبلاد بأسرها ، ومن جعلتها فلسطين المحتلة ، باعتبار ان الاردن هي فلسطين وأن فلسطين هي الاردن ، وان تنتقل الوزارات ومؤسسات الدولة الرئيسية الى مدينة القدس » وقد أحال المجلس الاقتراح الى « الحكومة الاردنية وسائر حكومات الدول الاعضاء والقيادة العربية الموحدة لتنظرها كل فيما يخصه » (٧١) .

لم تنجح هذه المحاولات في « فلسطينة » شرق الاردن فقد كانت الدعوة الى ذلك « دعوى كيدية » اكثر منها تفكيرا ومنهجيا وممارسة سياسية مبنية على قواعد شعبية تتلقف الدعوة وتكرسها في صفوف الجماهير . وكان ذلك على حساب النضال من أجل ابراز الهوية الفلسطينية لارض « الضفة الغربية » . وبالتأكيد فان ظروف المنظمة نفسها - بنيتها ومحتواها وارتباطاتها العربية - والظروف العربية كذلك لم تكن تسمح برفع شعار السيادة الفلسطينية على الارض الفلسطينية فكل شعار من هذا النوع كان لا بد من ان يدعج بتهمة الانفصالية وما كان يمكن ان يجد له الصدى المؤثر . من هنا كانت تأكيدات المنظمة دائما ان « ليس من سياسة المنظمة ان تسلخ الضفة الغربية عن الشرقية » (٧٢) .

الشرعية مقابل الرسمية

منذ العام ١٩٦٥ بدا واضحا ان هناك خطين متوازيين ، انطلقا في فترة واحدة تقريبا ، في مسألة التعبير عن الشخصية الفلسطينية وابرار الوجود الفلسطيني . فعلى جانب كانت م ت ف تجسيدا للكيانية السياسية للشعب الفلسطيني ، وفي الجانب الآخر كانت فتح تدعو للثورة المسلحة وتمارسها باعتبارها التعبير الاكثر جذرية عن الوجود الفلسطيني والوسيلة الاكفأ لتكتيل قوى الشعب وترسيخ وحدته القومية . وعلى الرغم من الجهود الكثيرة التي بذلت لجعل الخطين يتلاقيان الا ان هذه الجهود فشلت لسبب

واحد هو أن أي التقاء بينهما يفترض تطويع أحدهما للآخر ، فالمنطلقات وظروف النشأة مختلفة والممارسات المترتبة على هذه وتلك مختلفة أيضا واللقاء يحتم حذف كل ذلك لاي من الجانبين . ولم تكن الظروف التي سادت منذ العام ١٩٦٤ الى حرب العام ١٩٦٧ لتسمح بأن يحسم احد الخطين موقفه على حساب الآخر، فالعمل الفدائي، بدايات الثورة المسلحة ، كان محاصرا لدرجة تجعله غير قادر على نشر قناعاته وترسيخها فلسطينيا وعربيا ، غير ان التصميم الذي ميزه جعل امكانية احتوائه معدومة على الرغم من الامكانات الدعاوية التي توفرت لـ م ت ف . واذا كانت المنظمة قد رعت في أواخر العام ١٩٦٦ جهدا فدائيا (منظمة أبطال العودة التي أعلنت عن أولى عملياتها في تشرين الاول ١٩٦٦) فلم يكن ذلك يعني أن م ت ف قد تبنت الثورة المسلحة ، بمنطلقاتها وممارساتها ، نظرية في العمل ، ذلك بأن التصور العام الذي تحكم بفكر المنظمة هو الحرب النظامية الخاطفة التي كانت نظرية عربية سادت وانعكست في بناء قوات م ت ف المسلحة .

ولقد حسم الامر بعد حرب العام ١٩٦٧ ، فالهزيمة العسكرية التي لحقت بالجيش العربي كانت انتصارا في جانب منها لنظرية حرب الشعب ، وقد أتاح ذلك لفتح وفي ظل صمت البنادق العربية ، أن تضع اختياراتها — بعد أقل من مرور شهرين على الهزيمة — في المواجهة الوحيدة تقريبا وتخطف الاضواء الى منهجها في النضال . وكان بروز عدد من المنظمات الفلسطينية اثر ذلك (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والصاعقة وغيرها بعضها كانت بداياته قبل حرب ١٩٦٧) علامة بارزة على انتصار خط الثورة المسلحة . ولقد كانت معركة الكرامة في ٢١ آذار ١٩٦٨ (الانتصارات التي حققتها والحملة التعبوية الواسعة التي تبعتها) تكريسا نهائيا لهذا الخط وبداية واضحة لسيادته المطلقة .

لقد ترك ذلك بصماته العميقة على معنى الشخصية الفلسطينية التي أصبح الفدائي مكونها الرئيسي والأكثر وهجا . وزاد من تجذير هذا البعد الذي أصبح يميز الشخصية الفلسطينية ان العالم استقبل الفلسطينيين من خلال القتال ، فهم وحدهم الذين واصلوه ولفترة طويلة بعد هدوء الجبهات العربية . وكان تقديم الشعب الفلسطيني نفسه من خلال المقاومة ، ممارستها فعلا ومن خلال منظماتها ، يرسي أسس مقولة جديدة هي « الشعب — المقاومة » ، بحيث أصبحت المقاومة هي التعبير عن وجود الشعب والتجسيد المادي لهويته الوطنية . ولم تكن المقاومة هي التعبير الخارجي عن وجود الشعب الفلسطيني فقط وانما كانت كذلك تحت نمطا من الوعي متميزا في الجسم الفلسطيني نفسه ، موضوعته الاساسية هي ان الحضور الفلسطيني ما كان له ان يتحقق لولا وجود المقاومة نفسها . وقد أنجزت المقاومة ومنظماتها هذا الهدف انجازا باهرا وتكرس في الوعي الفلسطيني ان الوجود الفلسطيني نفسه رهين بالمقاومة .

لقد تم كل ذلك ونما خارج اطار الكيانية الرسمية الممثلة في م ت ف . حتى قوات التحرير الشعبية التي شكلتها م ت ف من كادرات جيش التحرير الفلسطيني التابع لها فقد كانت في ممارساتها جزءا من « العالم الآخر » الذي لم يكن للكيانبة الرسمية سيطرة عليه ، حتى انه يجوز القول ان قوات التحرير الشعبية نمت على الرغم من الكيانية الرسمية وليس بانسجام معها . ولقد خلق هذا الوضع الناشئ انفصالا في معنى الكيان الفلسطيني ، ففي جانب كان هناك الكيان من حيث هو التعبير الحقيقي عن وجود الشعب وعن وعيه على الحقائق الجديدة التي غرستها المقاومة واقتران هذا الوجود بالمقاومة نفسها ، وفي الجانب الآخر كان ثمة الكيان من حيث هو التعبير الرسمي عن هذا الوجود . اي ان الانفصام الذي حدث كان بين **الشرعية والرسمية** ، الشرعية

الضاربة بجذورها في الجسم الفلسطيني والضمير الجماهيري العربي والتي كانت بدأت تنس غصب العالم ، والرسمية التي تطفو على السطح وتكاد أن تجوف بفعل التحول عنها . وكان يمكن لهذا الانفصام أن استمر ان يحول م ت ف الى هيئة عربية عليا جديدة أو نسخة مكررة من حكومة عموم فلسطين . وقد كادت المنظمة أن تكونها في السنة الاولى التي اعقبت حرب حزيران عندما أصبح تأثيرها هامشيا على صعيد فلسطيني وآخر عربي وصار تمثيلها للشعب الفلسطيني « مجاملة » وشكلا .

كانت البداية الاولى التي أنهت هذا الانفصام الدورة الرابعة للمجلس الوطني الفلسطيني التي انعقدت بين ١٠ و ١٧ تموز ١٩٦٨ ، وهي دورة المجلس الاولى التي عقدت بعد حرب ١٩٦٧ ، والتي شاركت فيها منظمات المقاومة بصفاتها التنظيمية ، لأول مرة ، في أعمال المجلس . والأمر الجدير بالملاحظة ان دوافع هذا الاشتراك لم تنطلق من البحث في مسألة الكيان وإنما المدخل الاساسي كان هو ايجاد أرض مشتركة للقاء منظمات المقاومة او لما صار يعرف في الادبيات الفلسطينية بالوحدة الوطنية بتعبير ، وبوحدة أداة الثورة بتعبير آخر . وقد أوضحت فتح هذا الأمر في بيان فسرت فيه دخولها م ت ف . ففي هذا البيان تستعرض فتح ضرورة تحقيق « الوحدة الوطنية للشعب العربي الفلسطيني » كما تستعرض المحاولات الناجحة والفاشلة التي تمت في هذا الصدد وتنتقل الى تجربة المجلس الوطني فتقول « كان أمامنا سبيلان لا ثالث لهما ، الاول : ان تعتبر م ت ف واحدة من التنظيمات القائمة ونطرح على أخوتنا في الطلائع وفي الجبهة الشعبية ان تقوم بيننا وبينهم وبين منظمة التحرير جبهة وطنية على اساس من التكافؤ والمساواة ضمن برنامج عمل وطني محدد ، والثاني : ان تعتبر منظمة التحرير اطارا يجمع في داخله كافة التنظيمات الفلسطينية العاملة ... وكنا على استعداد ان نرضى بالسبيل الاول ونقدم له جهودنا ، ولكن القائمين على أمر المنظمة رفضوا أن تكون المنظمة تنظيما وتمسكوا بالميثاق الوطني الذي ينص على أنها جبهة وطنية للجميع ، وبناء عليه قررت الحركة ايمانا منها بأن الوحدة الوطنية مطلب جماهيري ، قررت الاستجابة لنداء اللجنة التنفيذية والدخول الى المجلس الوطني باعتباره أرضا مشتركة » . كما جاء في بيان سياسي أصدرته فتح حول م ت ف في ١٩٦٩/٢/٥ .

وعلى الرغم من هذا المدخل الذي عالجت به منظمات المقاومة علاقتها بم ت ف ، فان النتائج التي ترتبت على اشتراك المقاومة في المجلس الوطني ثم تسلمها قيادة م ت ف ، قد تجاوزت بأفاقها السياسية وبتطبيقاتها العملية ، المسألة المحددة : لقاء المنظمات على أرض مشتركة لتشكيل جبهة وطنية . فالنظور الاساسي الذي حدث هو أن « الشرعية » و« الرسمية » تطابقنا لتغطي الكيان (الكيان - المنظمة) مفهومنا جزائريا جديدا اكتسبت فيه « الرسمية » شرعيتها ليس من خلال الاعتراف بها من خارج ، وإنما من استنادها الى أنها تمثل حقيقة الشخصية الفلسطينية التي لم تعد مجرد رمز أو عنوان وإنما هي واقع تضالي محسوس يعبر عن الوجود الفلسطيني وتطلعاته . وقد انعكس هذا الأمر على الوضع البنيوي للكيان الذي أصبحت فيه المنظمات والانحادات هي الكتلة الاعظم في أجهزته التشريعية والتنفيذية ، باعتبارها هي الاطر النضالية للشعب الفلسطيني . وهذا الوضع البنيوي الجديد ان حافظ على موضوعه الاساسية بأن يكون الفلسطينيون جميعا أعضاء طبيعيين فيه وتمسك بها ، فان هذه العضوية الطبيعية أصبحت أكثر قدرة على التعبير عن ذاتها من خلال قوى الشعب المنظمة المشاركة في تحمل مسؤوليات الكيان ، وفي المقابل أصبح الكيان متمكنا

من أئنية هي هذه القوى نفسها يقيم بها اتصالا مباشرا ولموسا مع أعضائه الطبيعيين .

ولتكريس هذا الواقع الذي نشأ عدل الميثاق القومي الفلسطيني في هذه الدورة الرابعة (أصبح اسمه الميثاق الوطني الفلسطيني) لتتناسب موضوعاته مع المفهوم الجديد للكيان — المنظمة التي أصبح « يقع على عاتقها [كما نصت على ذلك مقررات المجلس نفسه] رعاية شؤون الفلسطينيين في مختلف أماكن إقامتهم ، وتعمل على تأمين حرية العمل الوطني لجميع الفلسطينيين باعتبار ذلك حقا طبيعيا وواجبا قوميا ، وتدافع عن الحريات السياسية لابناء فلسطين في كفاحهم الوطني من أجل تحرير بلادهم ، وتكون الجهة المسؤولة عن بيان الوضع الوطني الفلسطيني للأفراد والجماعات وتتولى معالجة قضايا السفر والإقامة والعمل للفلسطينيين » . وبذلك تشمل مسؤولياتها ليس الأمور النضالية للفلسطينيين بل كذلك الأمور الحياتية ، الأمر الذي يعزز القاعدة الرئيسية التي انطلقت منها المنظمة بأنها كيان فلسطينيين .

وكان لا بد للإجراءات التي اتخذت من فترة انتقالية بعد المجلس الرابع ، انتهت لدى انعقاد الدورة الخامسة (١ — ٤ شباط ١٩٦٩) حيث انتخبت قيادة جديدة للمنظمة في رئاسة الأخ ياسر عرفات ووضعت الإجراءات موضع التنفيذ .

الكيان في مواجهة التحديات

١ — قبل حرب تشرين الأول : ان أبرز ما يترتب على مفهوم الكيان أمور نابعة من معنى الكيانية نفسها تتعلق بمسألة تمثيل الشعب وتحديد حقوقه ومصالحه . وأكثر ما تثار هذه المسألة عند المنعطفات التاريخية ، أو توقعها ، عندما تصبح القضايا مصيرية على وشك الحسم والتقرير النهائي . وفي الفترة التي أعقبت حرب حزيران ١٩٦٧ حتى اعلان مشروع روجرز في صيف ١٩٧٠ لم يكن هناك ما يشير الى أن المنطقة ، وبالتالي القضية الفلسطينية ، مقدمة على تحول جذري يتطلب تغيرا في المواقف تثار فيها مسألة تمثيل الشعب الفلسطيني باعتبار أن هذه المسألة مرتبطة ارتباطا وطيدا بأي حل قد يفرض على القضية . ومن هنا ظلت هذه المسألة في هذه الفترة بعيدة عن متناول البحث ، حتى في ادبيات المقاومة ، وان كانت تتعمق في الواقع العملي بشكل ملحوظ . فالمقاومة التي نمت نموا كبيرا جذرت علائقها بالجماهير الفلسطينية واصبحت هي المعبرة عن طموحاتها والقادرة على قيادتها وتحديد حقوقها ومصالحها وفي النهاية تمثيلها والتحدث باسمها . وفي المقابل كانت الانجازات التي حققتها المقاومة بمنطلقاتها الفلسطينية تجذر الاحساس بالكيان الفلسطينية بمعنى وعي الذات الوطنية المستقلة .

وفي الاردن كان هذا النماء الفلسطيني خارجا عن كواح النظام الذي حاول افعال أكثر من ازمة لصدده (قبل معركة الكرامة في العام ١٩٦٨ وفي تشرين الثاني ١٩٦٨) وكان مصيرها الفشل . واذا كان النظام لم يقدم في تلك الفترة على مغامرة كبيرة لواد هذا النمو الفلسطيني او الحد من تأثيره وحصره ، فذلك يعود الى انه لم يكن ثمة من حل مطروح على النظام نفسه او في المنطقة بأسرها يمكن ان يكون الوجود الفلسطيني عقبة في سبيل تنفيذه . غير أن الصورة تغيرت بعد اعلان مشروع روجرز ، فهنا حل يلوح به ويجب ان يكون بعيدا عن ارادة الشعب الفلسطيني وعلى حسابه . وبجانب ذلك فان هذه الارادة يمكن في حال استمرارها في الوجود ان تعطل الحل كليا أو جزئيا . لذلك فان سحق هذه الارادة هو التمهيد الضروري لتمرير الحل . أدركت حركة المقاومة النتائج المترتبة على المشروع فقوامته وشددت حملتها بالنسبة لتمثيل

الشعب الفلسطيني وتأكيد حقها في هذا التمثيل من منطلق ان هذا الحق يعطيها حقاً مماثلاً في الدفاع عن قضيتها وتقرير مصيرها . وهكذا فقد أعلنت الدورة الاستثنائية للمجلس الوطني التي عقدت في عمان في آب ١٩٧٠ « ان حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة ممثلة في المجلس الوطني الفلسطيني واللجنة المركزية لم.ت.ف... هي الممثل الوحيد لشعب فلسطين استناداً الى حقها الطبيعي في كونها الثورة المعبرة عن آماني شعبنا وتطلعاته الاصلية في تحرير كامل تراب الوطن » (٧٢).

غير ان الخطة المعدة كانت تستهدف انهاء هذا الذي اعلنه المجلس الوطني توطئة لتمرير الحل . وكانت مجزرة ايلول والاحداث المتلاحقة التي اعقبت وانتهت بمجازر الاحراج في عجلون في تموز ١٩٧١ . وكان الناظم الذي يشدها جميعاً بسبب واحد هو الانفراد بالحل في ظل الغياب الفلسطيني سواء اكان هذا الحل عن طريق ما لوح به روجرز أم كان ما اعلنه الملك حسين عن استعداده للبحث « في اماكن الوصول الى اتفاق ثنائي مع اسرائيل اذا ما قدمت حكومتها اقتراحاً واضحاً لذلك » (٧٤) . ولتأكيد قدرته على التصرف فهو يعلن « ان التنظيمات الفدائية شبه محدودة ولا تمثل كل ابناء القضية » (٧٥) ، كما يعلن مجلس النواب الاردني ان « كل زعم وادعاء بتمثيل الشعب الفلسطيني انها هو مؤامرة تتطوي على قتل الوحدة الوطنية واثارة الانقسام والفرقة بين ابناء الوطن الواحد ، ويعلم باسم الشعب ان المملكة الاردنية الهاشمية بصفيتها تضم شعباً واحداً ضمن دولة واحدة يمثلها جلالة الملك المعظم وسلطات الدولة الشرعية » (٧٦) .

ناضلت حركة المقاومة في تثبيت حقها في تمثيل الشعب الفلسطيني مستندة في ذلك الى اساسين ، فهذا الحق اولاً « هو حقنا القومي المطلق المعترف به على المستوى الدولي ولا يشاركنا فيه أحد من غير اهلنا ، وهو ثانياً الحجر الذي نقيم على ارادة العملاء بالتصرف بحقوق شعبنا وأرضه وقضيته » (٧٧) . وقد وضع الملك نفسه على عتبة التصرف بجانب من القضية الفلسطينية عندما أعلن في آذار ١٩٧٢ مشروع الرامي الى اقامة « مملكة عربية متحدة » من اقليمين اردني وفلسطيني وهو مشروع حاول به جني الثمار التي زرع بذورها عندما صفى الوجود الفلسطيني العلني في الاردن . وينقلنا هذا الموضوع مباشرة الى هوية « الضفة الغربية » والتحدي الكبير الذي واجهته حركة المقاومة بشأنها .

لقد احدثت المجازر التي ابتدأت في ايلول ١٩٧٠ والتعبئة التي رافقتها وتبعتها الموجهة ضد الفلسطينيين شرقاً اقليمياً في المجتمع الواحد داخل الاردن . وعلى الرغم من ان حركة المقاومة كانت تؤكد في نضالها السياسي على « وحدة الشعب الفلسطيني الاردني » وادخلت نصاً في برنامجها السياسي الذي أقره المجلس الثامن (٢/٢٨ الى ١٩٧١/٣/٥) أعلنت فيه « ان حرصنا على وحدة الجماهير الفلسطينية الاردنية ... يؤكد ايماننا بأن وحدة فلسطين وشرق الاردن وحدة قومية نحن مطالبون بحمايتها وتوثيقها ومحاربة كل المحاولات الرامية الى اضعافها وتفكيكها » ، على الرغم من ذلك ، فقد كان واضحاً ان هذا الشرح أخذ في الاتساع بحيث جرى استغلاله في « الضفة الغربية » من جانب بعض الرموز المتعاونة مع الاحتلال للترويج لفكرة اقامة دولة فلسطينية هناك خارجة عن ارادة الاردن من جهة ولكن من جهة أخرى بعيدة ايضاً عن ارادة المقاومة . وقد وصف الاخ ابو عمار جانباً من هذه المحاولة في حديث له الى « المصور » القاهرية فقال « لقد جاء الى عمان عدد من شخصيات الضفة الغربية ، ليعرضوا على الموافقة على عقد مؤتمر في الارض المحتلة يعلنون فيه فصل الضفة الغربية عن الاردن بعد الاحداث الاخيرة [أحداث ايلول] ، وبعد تصورهم ان

السلطة قد نجحت في الاجهاز علينا . وسألتهم أين يعقد هذا المؤتمر فأجابوا في الارض المحتلة . قلت أي بموافقة سلطات الاحتلال ؟ اجابوا نعم . قلت علينا ان نفكر ما هي مصلحة السلطات الاسرائيلية في عقد هذا المؤتمر والى أي حد يخدم مخططاتهم ولماذا يسمحون بعقده ... بلغوا أهالي الضفة الغربية انه اذا ارتفع رأس مطالب بالدولة المسخ فسنقطعه . فالقضية أكثر من ردود فعل آتية وحماس ينسينا معركتنا الرئيسية « (٧٨) . وكان من أبرز المنظرين لهذه « الدولة » محمد ابو شلباية الذي دعا الى اقامة « دولة فلسطينية » بجانب « الدولة اليهودية » بقدمين عاصمتين للدولتين منفتحة أحدهما على الأخرى (٧٩) . كذلك عزيز شحادة الذي يعتقد ان « على الاسرائيليين ان يساعدونا لتستعيد كياننا قبل أي شيء » وعندها فقط نستطيع ان نفاوض من نشاء لاقامة فدرالية او كونفدرالية « (٨٠) ، والدكتور حمدي التاجي الفاروقي الذي اقترح بأن « يعيد اليهود لنا بعض الاراضي كي نتمكن من العيش سوية في اطار اتحاد فدرالي او كونفدرالي يضمن عدم وجود حدود مغلقة بين الدولتين » (٨١) .

هذه الاتجاهات الانحرافية في مسألة الكيان الفلسطيني شنت عليها حركة المقاومة حملة عنيفة ، وكان الاساس النظري لهذه الحملة ان اي « دولة » تقوم في تلك المرحلة سيكون ثمنها الاعتراف باسرائيل والتنازل عن الحق الفلسطيني في كامل التراب الوطني . ومن منطلق مختلف تماما قام الاردن بحملة كذلك على « الدولة الفلسطينية » . ففي خطاب العرش الذي القاه الملك امام مجلس الامة قال « ما مشروع الدولة الفلسطينية التي يروج لها أعداء الامة العربية حيننا بعد حين الا مؤامرة على وحدتنا في الاردن وضربا لمعنى الوحدة المقدسة في وجدان كل عربي » (٨٢) . غير ان هذه الدعوات التي كانت تظهر في « الضفة الغربية » كانت تضع امام النظام الاردني حقيقة ان الامر على وشك ان يفلت من يديه هناك ، خاصة وان بعض من دعوا الى « الدولة الفلسطينية » كانوا ممن تعاونوا مع النظام الاردني قبل حرب ١٩٦٧ . وبذلك يمكن فهم مشروع « المملكة العربية المتحدة » بأنه محاولة للسيطرة على الوضع من جانب النظام الاردني وتجييره لحسابه في ظل حل ثنائي بينه وبين اسرائيل .

كان موقف المقاومة من هذا المشروع حاسما فقد اعلنت اللجنة التنفيذية لـ م . ت . ف . اثر اجتماع عقدته في بيروت « رفضها الحاسم والنهائي للمشروع » ودعت اللجنة في بيانها « جماهير الامة العربية وطلاتها الثورية وقواها الوطنية والقومية والديموقراطية الى التحرك السريع الفوري لانفصال المشروع للتصفوي الهاشمي » (٨٣) . وقد انعكس هذا الموقف جماهريا ورسميا على الصعيد الفلسطيني والعربي مما سبب موانع حقيقية امام تنفيذه .

امام هذا التحدي الذي وجهت به المقاومة بالنسبة لهوية « الضفة الغربية » كان مطلوباً من المقاومة ان تحدد طبيعة العلاقة بين الضفتين من جهة وبين الشعبين الاردني والفلسطيني من جهة اخرى . وقد حدد المؤتمر الشعبي الذي دعت اليه م . ت . ف . وعقد في القاهرة في نيسان ١٩٧٤ لبحث مشروع المملكة المتحدة « ان المهمات الراهنة للجماهير الفلسطينية والاردنية في الضفتين تتحدد على اساس إعادة تصحيح وحدة الضفتين التي مزقتها النظام العميل وتجديدها ضمن نظام وطني ديموقراطي يقوم على الاتي : المساواة الإقليمية الكاملة في الحقوق والواجبات في اطار حكم ديموقراطي يوفر قاعدة آمنة رئيسية للثورة وحق الشعب الفلسطيني في حمل السلاح والتعبئة والانتفاف حول الثورة لمتابعة نضاله حتى تحرير كامل التراب الوطني » (٨٤) . وقد كان البرنامج السياسي الذي اقره المجلس الوطني في دورته الحادية عشرة

(٦ - ١٢/١/١٩٧٣) وهي الجلسة الأخيرة التي عقدت قبل حرب تشرين الأول ، أكثر وضوحاً وتحديداً في مجال علاقة الشعبين والصفين إذ طالب بـ « إقامة حكم وطني ديموقراطي في الأردن يخلق المناخ الملائم لمواصلة النضال من أجل تحرير كامل التراب الفلسطيني ويؤمن صون السيادة الوطنية للشعبين الأردني والفلسطيني ويضمن تجديد وتصحيح وحدة الصفين على أساس المساواة الوطنية الكاملة بين الشعبين بما يؤمن كامل الحقوق الوطنية والتاريخية للشعب الفلسطيني والحقوق الوطنية المراهنة للشعبين ، ويؤمن التطور الوطني المشترك لهما اقتصادياً واجتماعياً وحضارياً ويعزز علاقات الأخوة والمساواة بين الشعبين عن طريق الحقوق المتساوية دستورياً وقانونياً وثقافياً واقتصادياً ، وعن طريق وضع موارد أي من الشعبين بشرياً واقتصادياً في خدمة نموها المشترك » (٨٥) .

٢ - بعد حرب تشرين الأول : قبل الحرب لم تحسم مسألة التمثيل الفلسطيني بين الأردن وم.ت.ف. على الرغم من الاعتراف الدولي العريض التي حصلت عليه المنظمة بحقها في تمثيل الشعب الفلسطيني وقد كان أبرز مؤشرات الاعتراف آنذاك قرارات مؤتمر قمة عدم الانحياز الرابع (أيلول ١٩٧٣ ، الجزائر) التي نصت على أن المؤتمر « يعترف بم.ت.ف. ممثلًا شرعياً لنضال الشعب الفلسطيني » . غير أن حرب تشرين الأول حملت معطيات جديدة ، فاختلال ميزان القوى النسبي في الحرب لغير مصلحة إسرائيل ولد فتناعات بأن هناك تسوية قادمة لن تكون كلياً في مصلحة إسرائيل كذلك التي ستجد نفسها مضطرة إلى الانسحاب من بعض الأراضي العربية التي احتلتها في العام ١٩٦٧ بموافقي ذلك الأرض الفلسطينية التي احتلت آنذاك « فإذا كان موقفنا غير فاعل ومؤثر في الأحداث فستظل تلك الأراضي خاضعة لاحتمالات أخرى سلبية تدفع كلها باتجاه استمرار القضاء على شعبنا ووجوده وكيانه » (٨٦) ، بمعنى أن على الثورة الفلسطينية أن تستثمر نتائج حرب تشرين لمصلحتها في أن يكون من حقها تقرير مصير الأراضي الفلسطينية التي تجبر إسرائيل على الانسحاب منها . وللوصول إلى ذلك كان على م.ت.ف. أن تواجه مسألة حقها في تمثيل الشعب الفلسطيني وأن تخوض من أجل ذلك صراعاً طويلاً مع النظام الأردني المستفيد الوحيد من سلب المنظمة هذا الحق . وقد كسبت م.ت.ف. جولة أولى في هذا الصراع في مؤتمر قمة الجزائر الذي قرر « الالتزام باستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفق ما تقرره م.ت.ف. بصفته الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني » (٨٧) . وفي المجلس الوطني الفلسطيني ، دورته الثانية عشرة (١ - ٨ حزيران ١٩٧٤) ، أقر البرنامج السياسي المرحلي لم.ت.ف. الذي تنص مادته الثانية على أن « تناضل منظمة التحرير بكافة الوسائل وعلى رأسها الكفاح المسلح لتحرير الأرض الفلسطينية وإقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الأرض الفلسطينية التي تم تحريرها ، وهذا يستدعي أحداثاً يزيد من التغيير في ميزان القوى لصالح شعبنا ونضاله » . وكانت هذه المادة منسجمة مع ما قرره قمة الجزائر من أن م.ت.ف. هي التي تقرر حقوق الشعب الفلسطيني . غير أن البيان الأردني - المصري المشترك الذي صدر عن محادثات الملك حسين والرئيس السادات في الإسكندرية (١٨/٧/٧٤) ناقض هذا الحق عندما أعلن الجانبان « أن م.ت.ف. هي الممثل الشرعي للفلسطينيين باستثناء الفلسطينيين المقيمين في المملكة الأردنية الهاشمية . . . كما اتفق الجانبان على ضرورة التوصل إلى اتفاق فك الارتباط على الجبهة الأردنية كخطوة أولى نحو الحل السلمي العادل » . لقد وجه بيان الإسكندرية طعنة إلى انجاز ضخم حققته حركة المقاومة بنضالها العسكري والسياسي

طوال السنوات الماضية تمثل في اثبات وحدة الشعب الفلسطيني في مختلف أماكن تجمعاته ، في الوطن وفي المهجر ، ووحدة حقوقه ومصالحه ، وبالتالي وحدة تمثيله . وقد جاءت هذه الطعنة من خلال تقسيم الشعب الفلسطيني قسمين (ربما شعبيين) : من هم في المملكة الأردنية الهاشمية (بضفتيها) ومن هم خارجها ، وهذا هو أخطر تجزئ الشعب الفلسطيني وتجعله اثنين . بالإضافة الى ذلك فقد أعطى بيان الإسكندرية الدعم والتغطية لموقف النظام الأردني في تحركه السياسي الهادف الى اعادته سلطته (تحت راية فك الارتباط) على « الضفة الغربية » ، مما يفتح الباب واسعا أمام النظام للتصرف بقتل وافر من مستقبل القضية الفلسطينية .

كانت ردة الفعل الفلسطينية حاسمة وواضحة تجاه بيان الإسكندرية ، فقد أصدرت اللجنة التنفيذية بياناً قالت فيه « ان البيان المصري - الأردني ينقض حق شعبنا الفلسطيني في تقرير مصيره وسيادته الكاملة على أرض وطنه ويمس وحدة تمثيله . . . ان ما تضمنه البيان من محاولة لتجزئة الشعب الفلسطيني يخدم عملياً الحل الأميركي - الصهيوني - الهاشمي الذي يرمى الى حرمان شعبنا من حقوقه واقتسام وطنه وطمس شخصيته الوطنية المستقلة الواحدة وضرب ثورته ، وبالتالي تمرير مشروع المملكة العربية المتحدة التصفوي المشبوه » .

في الوقت الذي كان بيان الإسكندرية يشرك الأردن في تمثيل الشعب الفلسطيني وتقرير مصير جزء من ترابه الوطني كانت م.ت.ف. تحقق على الصعيد الدولي إنجازاً كبيراً في تلقيها الاعتراف من الاتحاد السوفياتي ودول المنظومة الاشتراكية بأنها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في أثناء زيارة قام بها وفد من المنظمة برئاسة الاخ ابو عمار الى الاتحاد السوفياتي وبولنده والمانيه الديموقراطية في الفترة من ٣٠ تموز الى ٩ آب ١٩٧٤ . وفي الوقت نفسه أيضاً اتخذ مجلس الجامعة العربية قراراً بـ « الموافقة على طلب ادراج قضية فلسطين بنداً مستقلاً في جدول أعمال الأمم المتحدة في دورتها التاسعة والعشرين . . . [٧] أن تعمل الوفود العربية لدى الأمم المتحدة على دعوة م.ت.ف. لعرض وجهة نظر الشعب الفلسطيني أثناء بحث القضية في الجمعية العامة للأمم المتحدة » . بجانب هذه المتغيرات كان نضال م.ت.ف. السياسي منصباً على إلغاء بيان الإسكندرية وابطال مفعوله والنتائج المترتبة عليه . وكل ذلك ، بالإضافة الى الموقف السوري ، جعل التراجع عن بيان الإسكندرية مسألة وقت . وفي ٢٠ و ٢١ ايلول ١٩٧٤ عقد في القاهرة اجتماع ضم اسماعيل فهمي ، وزير خارجية مصر ، وعبد الحليم خدام ، وزير الخارجية السوري ، وفاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية في م.ت.ف. ، وصدر عن الاجتماع بيان ثلاثي أعلن « تأكيد اقامة السلطة الوطنية الفلسطينية المستقلة على الأرض الفلسطينية التي يتم تحريرها سياسياً وعسكرياً ، الاستمرار في تقديم الدعم لم.ت.ف. بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني » . وفي ١٤ تشرين الأول صوتت ١٠٥ دول في الجمعية العامة للأمم المتحدة الى جانب قرار يدعو « م.ت.ف. الممثلة للشعب الفلسطيني الى المشاركة في مناقشات الجمعية العمومية حول قضية فلسطين في الجلسات العامة » ، وبذلك تكرر حق المنظمة في تمثيل الشعب الفلسطيني .

غير ان النظام الأردني قاتل معركته حتى الرمق الأخير . ففي مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذي عقد في الرباط تمهيداً لمؤتمر القمة العربي حاول الوفد الأردني ان يمنع اتخاذ قرار لصالح المنظمة ، الا ان المؤتمر اتخذ قراراً (في ١٠/٢٥) نص على « ان أي أرض من فلسطين يتم تحريرها عن طريق ممارسة الصراع بأساليبه المختلفة تعود

لاصحابها الشعب الفلسطيني تحت قيادة م.ت.ف. مع التأكيد على حقه في اقامة سلطته الوطنية المستقلة على الارض التي يتم تحريرها . وبذلك انهيته الوصاية الاردنية على ارض فلسطين الوسطى « الضفة الغربية » ، وقد أكد ذلك مؤتمر قمة الرباط (بين ٢٦ و ٢٩ تشرين الاول ١٩٧٤) الذي قرر « تأكيد حق الشعب الفلسطيني في اقامة السلطة الوطنية المستقلة بقيادة م.ت.ف. بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني على أية ارض فلسطينية يتم تحريرها » . ويلاحظ ان ثمة منعطفًا تاريخيا في هذه القرارات في مسألة الكيان الفلسطيني بدأ رسميا على الصعيد الفلسطيني في الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني ونقاطه العشر ، ويتمثل هذا المنعطف في ارتباط معنى الكيان بهدف تمكين الشعب (كوحدة كيانية واحدة ذات قيادة) من السيادة على ارضه (او جزء منها مرحليا) والتحكم بمصيرها . وان ادخال الارض — باعتبارها الاطار الأكثر صلابة في اظهار معنى الكيان — ضمن مقولات الكيان ، يجعل الكيانية الفلسطينية تأخذ ابعادا ذات تجسيدات مادية أرسخ وأوضح تعبيراً عن ذاتها . فمطابقة الشعب والارض — وان كانت لا تزال هدفا نضاليا — من خلال قرينة السيادة ، تجعل الكيان الفلسطيني واقعا ماديا محسوسا بعد أن كان تعبيراً عن وعي الشعب ذاته ، وعي وحدته القومية وشخصيته الوطنية المستقلة ، وعملا نضاليا من أجل تنميتها والحفاظة عليها .

وبتصويت الجمعية العمومية للامم المتحدة ١٩٧٤/١١/٢٢ على اعطاء م.ت.ف. وضع عضو مراقب انتهت مرحلة اساسية من النضال الفلسطيني كرس فيها وحدة الشعب الفلسطيني ، ووحدة حقوقه ، ووحدة قضيته وبالتالي وحدة تمثيله ووضع على اعتاب مرحلة جديدة بيني فيها النضال الفلسطيني انجازات قادمة على اساس ما تقدم .

- ١ — نشرة « النثار » ، ١٩٥٤/٣/٢٥ .
- ٢ — المصدر نفسه ، ١٩٥٤/١٢/٢ .
- ٣ — انظر : نشرة النثار — قراءة في مقومات الفكر المقاوم ، مجلة شؤون فلسطينية ، (مركز الابحاث ، العدد ٢١ ، ايار ١٩٧٣) .
- ٤ — نشرة « النثار » ، ١٩٥٥/٧/٢٨ .
- ٥ — المصدر نفسه ، ١٩٥٥/٨/٨ .
- ٦ — جامعة الدول العربية ، قرارات مجلس جامعة الدول العربية الخاصة بقضية فلسطين منذ الدورة الاولى حتى الدورة الخمسين (القاهرة ١٩٧٠) ص ٩ .
- ٧ — من حديث للرئيس جمال عبد الناصر ٢٥ نيسان ١٩٦٠ ، انظر : فلسطين من اقوال الرئيس جمال عبد الناصر ، (الدار القومية للطباعة والنشر ؟) ، ص ٨٢ .
- ٨ — المصدر نفسه ، ص ١٢٨ .
- ٩ — مزيد من التفاصيل عن فوج التحرير ، انظر :
- الفلسطينيين في العراق ، مجلة شؤون فلسطينية (العدد ١٣ ، ايلول ١٩٧٢) .
- ١٠ — جامعة الدول العربية ، المصدر السابق ، ص ١٦ — ١٨ .
- ١١ — مجلة « فلسطيننا » ، كانون الثاني ١٩٦١ .
- ١٢ — المصدر نفسه ، العدد نفسه .
- ١٣ — المصدر نفسه .
- ١٤ — المصدر نفسه ، ايار ١٩٦١ .
- ١٥ — المصدر نفسه ، تشرين الثاني ١٩٦٠ .
- ١٦ — المصدر نفسه ، آذار ١٩٦١ .
- ١٧ — الجريدة الرسمية الاردنية ، العدد ١٥٦٣ ، ١٩٦٢/١/٢٨ .
- ١٨ — محاضر جلسات مجلس النواب ، الجلسة العشرون من الدورة العادية الاولى ، ٢٧ شباط ١٩٦٢ ، ص ١٣٨٣ .
- ١٩ — غسان كنفاني ، فلسطين ملحق المحرر ، ١٩٦٥/١٢/٣٠ .

- ٢٠ - المصدر نفسه .
- ٢١ - صحيفة البعث السورية ، ١٠/٢٨/١٩٦٢ .
- ٢٢ - الجامعة الاميركية في بيروت ، الوثائق العربية للعام ١٩٦٣ ، ص ٦٨٨ ، نقلا عن صحيفة الجباهير ، ١١/٩/١٩٦٣ .
- ٢٣ - جامعة الدول العربية ، المصدر المذكور ، ص ٢١ .
- ٢٤ - المصدر نفسه .
- ٢٥ - أحمد الشقيري ، من القمة الى الهزيمة ، (بيروت ١٩٧١) ، صص ٤٦ - ٥٠ .
- ٢٦ - Leila S. Kadi, *Arab Summit Conferences and the Palestine Problem*, P.L.O. Research Center 1966, p. 99.
- ٢٧ - وزارة الارشاد القومي في ج.ع.م. ، ملف وثائق فلسطين ، الجزء الثاني ، ص ١٣٧٣ .
- ٢٨ - أحمد الشقيري ، المصدر المذكور ، ص ٥٠ .
- ٢٩ - المصدر نفسه ، صص ٦١ ، ٦٢ .
- ٣٠ - مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية للعام ١٩٦٤ ، ص ٦٢ .
- ٣١ - البعث السورية ، ١٩٦٤/٣/٥ .
- ٣٢ - من بيان لحركة القوميين العرب ١٤/٦/١٩٦٤ ، منشور في : الجامعة الاميركية في بيروت ، الوثائق العربية للعام ١٩٦٤ ، ص ٢١٥ .
- ٣٣ - أحمد الشقيري ، المصدر المذكور ، ص ٦٢ .
- ٣٤ - الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٤ ، المصدر المذكور ، ص ٧٢ .
- ٣٥ - نقلا عن النهار البيروتية ، ١٩٦٤/٥/٢٧ .
- ٣٦ - البعث ، ١٩٦٤/٥/٢٨ .
- ٣٧ - الجامعة الاميركية في بيروت ، الوقائع العربية (نيسان - حزيران ١٩٦٤) ، ص ٤٥٧ .
- ٣٨ - مقابلة خاصة مع أحمد الشقيري ، كينون ، ١٩٧٢/٥/١١ .
- ٣٩ - Leila S. Kadi, *Op. Cit.*, p. 103 .
- ٤٠ - الكتاب السنوي للعام ١٩٦٤ ، المصدر المذكور ، ص ٧٣ .
- ٤١ - غسان كنفاني ، المحرر ، ١٩٦٤/٤/٦ .
- ٤٢ - مقابلة خاصة ، المصدر المذكور .
- ٤٣ - فلسطيننا ، نيسان ١٩٦٤ .
- ٤٤ - المحرر ، ١٩٦٤/٣/١٦ .
- ٤٥ - صحيفة الحياة اللبنانية ، ١٩٦٤/٢/١٩٢ .
- ٤٦ - أحمد الشقيري ، المصدر السابق ، ص ١٦ .
- ٤٧ - مؤتمر صحافي عقده الشقيري في القاهرة في ١٩٦٤/١/٢٠ ، الكتاب السنوي للعام ١٩٦٤ ، صص ٧٠ ، ٧١ .
- ٤٨ - تصريح صحافي في بيروت ، الحياة ، ٢٨/٢/١٩٦٤ .
- ٤٩ - مجلة الحوادث اللبنانية ، ١٩٦٤/٥/٨ ، نشرت أسماء اعضاء اللجنة التحضيرية في لبنان ، والمحرر ، ١٩٦٤/٥/٩ ، نشرت اسماء اعضاء اللجنة في سوريا ، والمحرر ١٦/٥/٦٤ نشرت اسماء اعضاء اللجنة في قطر والخليج العربي ، والمحرر العراقية ، ١٩٦٤/٥/١٧ ، نشرت اسماء اعضاء اللجنة في العراق .
- ٥٠ - صحيفة الجهاد الاردنية ، ١٩٦٤/٦/١٨ .
- ٥١ - وزارة الارشاد القومي في ج.ع.م. ، ملف وثائق فلسطين ، الجزء الثاني ، ص ١٢٨٣ .
- ٥٢ - فلسطين ملحق المحرر ، ١٩٦٥/٥/٦ .
- ٥٣ - في المذكرة التي قدمتها فتح الى مؤتمر القبة الثالث المنعقد في الدار البيضاء في ايلول ١٩٦٥ ، تحدثت عن الموقف من المنظمة وقالت : « اتنا دائما نعلن استعدادنا للتنسيق والتعاون مع أية جهة فلسطينية او عربية تعمل او تنوي العمل من أجل التحرير ... » انظر : حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، الكتاب السنوي ١٩٦٨ ، ص ١١٨ .
- ٥٤ - المحرر ، ١٩٦٥/٥/٢٤ .
- ٥٥ - مقابلة خاصة مع أحمد الشقيري ، المصدر المذكور .
- ٥٦ - مذكرة فتح الى مؤتمر القبة الثالث ، المصدر المذكور .
- ٥٧ - راجع عن مواقف الاتحادات: تمثيل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية ، شؤون فلسطينية ، العدد ١٥ ، تشرين الثاني ١٩٧٢ .
- ٥٨ - الكتاب السنوي للعام ١٩٦٤ ، المصدر المذكور ، ص ٨٧ .
- ٥٩ - مقابلة خاصة مع السيد عبدالكريم الكرمي ، ممثل المنظمة في مؤتمرات التضامن ومجلس السلم ، دمشق ، آذار ١٩٧٢ .
- ٦٠ - كراس أصدرته م.ت.ف. عن : المجلس

- الوطني الفلسطيني ، الدورة الثالثة .
- ٦١ - مركز الابحاث الفلسطيني ، **اليوميّات الفلسطينية** ، المجلدان الرابع والخامس ، يوم ١٥/١١/١٩٦٦ ، نقلًا عن وكالة الانباء السورية .
- ٦٢ - المصدر نفسه ، يوم ٢٠/١١/١٩٦٦ .
- ٦٣ - م.ت.ف. (مكتب قطر والخليج العربي) ، نص خطاب الشقيري في ندوة مُنّت الشعب الفلسطيني في القاهرة ، اواخر العام ١٩٦٥ .
- ٦٤ - م.ت.ف. ، **المؤتمر الفلسطيني الاول** ، (كراس) .
- ٦٥ - أعلن عن ذلك في مؤتمر صحافي عقده في عمان (١٩٦٥/٦/٢٠) ، **الجهاد** ، ٢١/٦/٦٥ .
- ٦٦ - **الجهاد** ، ٤/٧/١٩٦٥ .
- ٦٧ - المصدر نفسه .
- ٦٨ - صحيفة **المنار الاردنية** ، ٨/٧/١٩٦٥ .
- ٦٩ - المصدر نفسه .
- ٧٠ - **المحرر** ، ٦/٧/١٩٦٥ .
- ٧١ - مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، **الوثائق العربية لعام ١٩٦٦** ، (بيروت ١٩٦٧) ص ٣٩٦ .
- ٧٢ - من مذكرة ايضاحية تقدمتها م.ت.ف. الى الحكومة الاردنية ، **المحرر** ، ٢٣/٢/١٩٦٦ .
- ٧٣ - صحيفة **فتح** ، ٢٩٠/٨/١٩٧٠ .
- ٧٤ - تصريح لصحيفة **لوي الفرنسية** ، انظر مركز الابحاث **اليوميّات الفلسطينية** ، المجلد ١٤ ، يوم ٢٥/١١/١٩٧١ .
- ٧٥ - تصريح لصحيفة **الانباء المغربية** ، انظر المصدر نفسه ، يوم ٤/٧/١٩٧١ .
- ٧٦ - المصدر نفسه ، يوم ٨/١٢/١٩٧١ .
- ٧٧ - تصريح لكمال عدوان ، **حصاد العاصفة** ، ٢٧/١١/١٩٧١ .
- ٧٨ - نقلته **المحرر** ، ١٣/١١/١٩٧٠ .
- ٧٩ - انظر : محمد ابو شلبية ، **لا سلام بغير دولة فلسطينية حرة** .
- ٨٠ - عزيز شحادة ، مقابلة في **عل همشمار الاسرائيلية** ، ٥/٨/١٩٧٦ .
- ٨١ - المصدر نفسه ، ٣٠/٨/١٩٧١ .
- ٨٢ - **الدستور الاردنية** ، ١٣/١٢/١٩٧٠ .
- ٨٣ - مركز الابحاث ، **اليوميّات الفلسطينية** ، المجلد ١٥ ، يوم ٧/٣/١٩٧٢ .
- ٨٤ - من البيان الختامي للمؤتمر الشعبي الفلسطيني ، كراس اصدرته م.ت.ف. عن أعمال المؤتمر .
- ٨٥ - من **مخفوظات مركز الابحاث** .
- ٨٦ - من تقرير اللجنة التنفيذية الى المجلس الوطني الفلسطيني في دورة انعقاده الثانية عشرة (حزيران ١٩٧٤) .
- ٨٧ - حسب نص **النهار** ، ٤/١٢/١٩٧٢ .

فلسطين الديمقراطية : هدف ، وخطة ، وحتمية تاريخية

الدكتور محجوب عمر

تحل الذكرى العاشرة للانطلاقة المسلحة للثورة العربية الفلسطينية وقد برزت شعاراتها اكثر فأكثر ، ليس فقط على الساحة العربية وانما ايضا على الساحة العالمية . ولم يكن من قبيل الحلم ، او الصدفة ، او المزايدة ، او التلويح للمساومة او الخداع والمراوغة ، الى اخر تلك الدوافع غير الموضوعية ، لم يكن من قبيل كل ذلك ان تقدم الثورة الفلسطينية من فوق منبر الامم المتحدة (١) ، حلها المقترح لمشكلة تواجد اليهود في فلسطين بعد تحريرها: الا وهو فلسطين ديموقراطية يعيش فيها الفلسطينيون بكل طوائفهم مسلمين ومسيحيين ويهود في مجتمع ديموقراطي واحد .

ان المكان الذي احتله شعار **فلسطين الديمقراطية** في الاشهر الاخيرة ، كان ثمرة نضال مسلح طويل ، ومواجهة شجاعة رائدة ، لمشكلة هي من أعقد المشاكل على الجانبين معا . فلولا الثورة المسلحة ، وتفاصيل نضالاتها اليومية ، لما كان من الممكن فهم ، فضلا عن تقبل شعار « فلسطين الديمقراطية » من جانب معظم القطاعات الجماهيرية العربية التي عانت وتعاني من العنصرية الصهيونية ، والتي كان من المنطقي ازاء هذه المعاناة ، ان تندفع هي الاخرى الى عنصرية مشابهة مناقضة . ولولا هذه الثورة ايضا ، وممارساتها المنفتحة على كل القوى الثورية في العالم ، بل وبين اليهود انفسهم ، لما أمكن ، كما لا يمكن في المستقبل ، طرح الحل الديموقراطي الفلسطيني لجانب من « المشكلة اليهودية » موجود في بلادنا ، وبالشكل الذي جعل قطاعات متزايدة من يهود الكيان الفلسطيني نفسه ، يتقبلون مبدئيا ، الدخول في حوار حول هذا « الحل المنشود » .

ومن قبل عام واحد ، بدا للكثيرين في أعقاب حرب اكتوبر / تشرين ١٩٧٣ ، ان مكان « فلسطين الديمقراطية » قد اُخلي ، لتحل محله الحلول الجزئية او المرحلية . ولكن أحداث الشهور الاخيرة ، اثبتت انه لا يمكن العزل بين « الموصوف » ومصدر « الصفة » ، بين الفلسطينيين وفلسطين . وانه عندما اضطرت نظم العالم الى التعامل مع « الفلسطينيين » بعد ان فرضوا وجودهم وشخصيتهم بقوة السلاح ، فان على هذه النظم باختلافها ان تحدد موقفها ايضا من « فلسطين » .

ومن حيث اراد « التسوييون » محاصرة النضال الفلسطيني في أعقاب حرب تشرين / اكتوبر ١٩٧٣ ، برزت « قضية فلسطين » كما لم تبرز من قبل طوال السنوات الماضية . وثبت ان سنوات النضال لم ، ولا يمكن ان تذهب هدرا . وبات واضحا للجميع « محورية » قضية فلسطين في النضال القومي العربي كله ، بل وبالنسبة لنضال قوى التحرير الوطني العالمية كلها . فمنذ عام قال كيسنجر : ان الصراع انتقل

من صراع محلي بين إسرائيل والفلسطينيين ، الى صراع منطقة الى صراع دولي ، وان مهمته هي اعادة الصراع الى حجه المحلي ثانية .

ولقد سعى كيسنجر طوال هذا العام الى تحقيق اتفاقيات فك الارتباط على الجبهات غير الفلسطينية ، آملا ان يؤدي ذلك الى حصار الثورة الفلسطينية ، او علسى جد تعبيره الى اعادة الصراع على حجه « المحلي » ثانية .

ولكن النتائج كانت على عكس ما يتوهم الكثيرون ، واولهم كيسنجر نفسه . فعلى اثر هدوء الجبهات ، برزت الجبهة الفلسطينية مرة اخرى ، وهي جبهة منتشرة انتشار الارض والشعب الفلسطيني ، برزت باعتبارها اكثر نقاط الصدام مع الاستعمار حدة وتأثيرا سواء على المستوى المحلي او المستوى الدولي . يقول ناحوم يارينج معلق جريدة دافار في ١٠/٢٠ : « انقلبت منظمة التحرير الفلسطينية من عامل عربي داخلي الى عامل دولي معترف به » (ن . م . د . ف . ، ١١/١/٧٤) . كما تحطمت زيارة كيسنجر الاخيرة للمنطقة على صخرة الموقف من منظمة التحرير الفلسطينية والذي تقرر في مؤتمر الرباط . ثم جاء خطاب الاخ ابو عمار امام الامم المتحدة ، لينهي مرحلة طالت ، سمي الصدام فيها بالصراع العربي الاسرائيلي ، او مشكلة الشرق الاوسط ، وليبدأ مرحلة طال انتظارها تكون فيها قضية فلسطين هي محور كافة النشاطات العسكرية منها وغير العسكرية .

ومن الان فصاعدا ، ستكون عبارة « فلسطين الديمقراطية » ، الهدف السذي يسعى الثوار لتجسيده ، ويسعى اعداء الثورة لتقويضه . ستكون محور الصراع بالافكار والبرامج والاتلام والبنادق .

فلسطين الديمقراطية : هدف وخطة وحتمية تاريخية :

اعلنت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » في العام ١٩٦٨ ، وللمرة الاولى بصفة رسمية برنامجا سياسيا يحدد بوضوح الهدف النهائي لكفاحها التحريري . وجاء في الاعلان المذكور ما يلي : « نحن نقاتل اليوم في سبيل اقامة دولة فلسطينية ديموقراطية يعيش فيها الفلسطينيون بكل طوائفهم مسلمين ومسيحيين ويهود في مجتمع ديموقراطي تقدمي ويمارسون عباداتهم واعمالهم مثلما يتمتعون بحقوق متساوية » (٢) .

ومنذ ذلك التاريخ تناول الكثيرون ، من مواقع مختلفة ، هذا الشعار بالبحث والتفسير ، وبالمعارضة والتخطئة ، وشارك في النقاش ايضا مع تصاعد النضال المسلح ، قوى سياسية داخل الكيان الصهيوني تراوح موقفها من الرفض الى القبول الشكلي ، الى التبني الكامل .

والحل المطروح ، وان يكن جديدا في صياغته ، الا انه ليس جديدا في جوهره . فلم يحدث منذ بداية المشكلة الفلسطينية ان وافق العرب على اي حل يقضي بالتسليم بأي بقعة ارض عربية للمستوطنين الصهاينة . لقد رفض العرب التقسيم وما يزالون . بل لقد سبق للفلسطينيين ان تقدموا من لجنة بيل عام ١٩٣٧ ، باقتراح يقضي بانشاء دولة تعيش فيها الطوائف جميعا على قدم المساواة . كما ان التاريخ القديم والمعاصر يخبرنا انه على ارض فلسطين عاشت وتعايشت طوائف مختلفة في سلام وتفاعل .

كل الذين قاوموا ، وعارضوا قيام الكيان الصهيوني ، لم يسلموا ولا للحظة واحدة ، في فلسطين ، ارضا ، واسما ، وصفة ، وهدفا للتحرير .

الجديد الذي طرحته «فتح» هو في كلمة «الديموقراطية» . وهي تطرح ليس فقط «صفة» للدولة المستهدفة اقامتها بعد التحرير الكامل لفلسطين ، ولا حتى منهاجها للعلاقات القانونية الدستورية فيها ، وانما أيضا ، قاعدة للعلاقات الاجتماعية بكل جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية بين سكان هذه الدولة ، فان شئنا الدقة فانها قانون ذلك المجتمع التقدمي الذي يتمتع فيه الجميع «بحقوق متساوية» .

كان معنى تحديد «فتح» لهذا **أهداف** ، انها كحركة ثورية ، تحترم الواقع ولا تتغافل عن عوامله ، ان وجود **ثلاثة ملايين يهودي** على ارض فلسطين هو بلا شك ايشع انواع الاحتلال الاعتصابي في التاريخ ، ولكن الزعم بامكان القاء ثلاثة ملايين من البشر في البحر ، هو أيضا من قبيل التسليم بوجودهم كما هم في نهاية الامر عندما يعجز المنادون بذلك عن تنفيذه . ان الثوار لا يلقون احدا في البحر ، ولكنهم يقاتلون من أجل تحرير اوطانهم ، وعندما يكون المحتلون «قوم» «هجروا» اوطانهم الاصلية ، ولم يعد لهم من الناحية الرسمية اوطان «يعودون» اليها كما كان الحال مع مستوطني الجزائر مثلا ، فان وجود هؤلاء يفرض على الثوار ضرورة طرح حلول تتفق ليس فقط مع انسانيتهم وانما أيضا مع منطق الحركة التاريخية .

هناك «مشكلة يهودية» في المجتمعات الرأسمالية الصناعية المتقدمة ، وهي مشكلة لها جذور تاريخية ، قديمة ، والحل الوحيد لهذه المشكلة في تلك المجتمعات هو بلا شك «**التمثيل**» اي «الذوبان» داخل كل مجتمع (**واكتمال ذلك مرهون بالقضاء على الاستغلال داخل هذه المجتمعات**) ، وقد بدأ من الممكن ان يؤدي التطور الرأسمالي العفوي الى هذه النتيجة ، وذلك يحدث جزئيا حتى الان ، الا ان الاحتكارات العالمية ، «استخدمت» هذه «المسألة اليهودية» لتحقيق اهدافها الاستعمارية في الوطن العربي ، وبذلك نقلوا هذه الملايين الى فلسطين ، وخلقوا بذلك مشكلة يهودية في «فلسطين» ، وعطلوا حل «المشكلة اليهودية» في بلادهم في نفس الوقت اذ خلقوا مشكلة الولاء المزدوج لليهود تلك البلاد .

ويمكننا القول بتبسيط جائز ، اننا امام مشكلة ذات وجهين . . الاول هو فلسطين المحتلة التي يجب تحريرها ، والثاني هو «جيش الاحتلال» ، المقدر عدده بثلاثة ملايين يهودي تقريبا ، والذي ليس امام افراده شاطيء ينسحبون اليه كجماعة موحدة . . كما حدث في الجزائر مثلا .

ولا شك اننا سنستعيد كل فلسطين ، سنحرر كل فلسطين ، اما بالنسبة للمحتلين الغاصبين ، فقد يرحل بعضهم الى حيث يمكن ان يستثمر كفاءته وقدراته كما يشاء ، كجزء من هجرة الادمغة التي تجري الان في عالمنا . وقد بدأ ذلك فعلا في الكيان الصهيوني . وتشير الصحف الاسرائيلية الى ظاهرتي التساقط اي عدم الوصول الى «اسرائيل» بعد الهجرة من البلد الاصيل ، والنزوح أي الهجرة من «اسرائيل» بعد الوصول اليها ، باعتبارهما في ازدياد مستمر . وطبقا لدراسات الصهاينة انفسهم فان اكثر من الفين «**متساقط**» موجودون الان ببلاد متعددة في اوربا ، وبعضهم نجح في الوصول الى الولايات المتحدة . كما تشير نفس الدراسات الى ان اتجاه النزوح بين الشباب هي : الى الولايات المتحدة ٢٢٪ ، كندا ١٨٪ ، استراليا وجنوب افريقيا ٩٪ ، فرنسا ٩٪ ، وسط اوربا (الرأسمالي) ١١٪ ، الدول الاسكندنافية ٣٪ ، والمانيا ٢٦٪ ، والى امريكا اللاتينية ٣٩٪ (٤) .

وقد يرحل البعض ، اذ لا تتحمل عنصريته الصهيونية البقاء مع عرب امثالنا . ولا شك ان كثيرين سيفضلون العودة الى بلادهم العربية ، بعد أن خدعتهم الدعايات

والمؤامرات الصهيونية فاخرجتهم منها . وقد بدأ ذلك أيضا ، كما تزايد الاتجاه نحوه ، وتشر الدراسات السابقة الى أن ٢٦٪ من « العينة » التي جرى عليها الفحص يريدون النزوح الى بلاد اسلامية كالمغرب وتركيا . ولا شك أنه مع تزايد القمع العنصري في الكيان الصهيوني ، والتقدم الاجتماعي في البلاد العربية ستزداد هذه النسبة .

ولكن كل تلك الاحتمالات لا تجعل الثوار يغيرون من مناهجهم ، انهم عندما يتناولون قضية فان « الحل » المفترض اقتراحه يجب ان يكون حلا يتفق وجوهر المشكلة (حل ديموقراطي في مواجهة عدوان عنصري) **والأ يتوقف على « الأعداد » كبرت أو صغرت** (ان قاعده الديموقراطية في العلاقات الاجتماعية لن تسري فقط على المسلمين والمسيحيين واليهود ، وانما على كل الطوائف الأخرى التي تعيش في فلسطين وبعضها لا يزيد عدده عن عدة آلاف) . ان الحل الذي يقدمه الثوار هو على الدوام حل شامل من رؤية شاملة ، ليس حلا جزئيا من اعتبارات عديدة . ذلك ما جعل « فتح » تؤكد أنها لا تميز بين يهودي ويهودي على الأرض المحتلة ، لا الان ولا عند النصر والتحرير ، لا بتاريخ الميلاد ، ولا بالبلد الأصلي ، الا بقدر وعلى أساس ما يتخذ هذا أو ذاك من الافراد أو الجماعات داخل الأرض المحتلة ، من مواقف ضد الصهيونية ومع الثورة الفلسطينية .

وأذ تقر « فتح » ان الأرض (أي أرض فلسطين) هي للسواعد المخلصة التي تحررها بالسلاح ، فإنها بذلك لا تقسم غنيمة بعد حرب ، وانما تضع قانونا لعلاقات البشر بعد التحرير (٥) ، ومن ثم للتمييز بينهم بمقياس لا عنصري ولا طائفي . ولا يمكن أن يكون هناك مقياس أكثر ديموقراطية وعدلا من هذا المقياس . من كل حسب قدرته ، ولكل حسب عمله ، أي من كل حسب قدرته ، ولكل حسب موقفه الفعلي ضد الصهيونية ومؤسساتها . ولا تفريق ولا تمييز الا على هذا الأساس بغض النظر عن الجنس أو اللون أو الدين أو العرق .

ان الثوريين اليهود في الوطن المحتل ، يدركون حقيقة وأهمية هذا المقياس ، فلنقرأ ما قاله الرفيق أهود أديف — أحد زعماء الجبهة الخمراء اثناء المحاكمة في حيفا منذ عامين تقريبا(٦) : « وهذا يمكن عمله (أي تحويل النضال من عرب ضد يهود الى مضطهدين ضد مضطهدين أي للنضال ضد دولة اسرائيل) بأن يقوم يهود وبيثون للعرب الذين يحاربون الصهيونية منذ عشرات السنين بأنهم (أي اليهود) يقفون الى جانبهم ومستعدون ان يضحوا بكل ما لديهم وان يتعرضوا للمعاملة ذاتها وان يقتسموا واياهم الامور دون أي تمييز أو افضلية لكونهم يهودا . **وبدون ذلك لن يثق أي عربي بصدق ثورية أكثر ثوري يهودي استقامة** » (التوكيد بالحرف الاسود من عندنا) .

لهذا أيضا ترفض « فتح » الافكار التي تقول بأن مثل هذه الدولة الديموقراطية يمكن ان تكون اطارا يجمع « الاسرائيليين » و « العرب الفلسطينيين » . فليس الأمر في النهاية أمر تسوية بين ما يسمى « بحقيقتين » !! تاريخيتين ، ولا هي صفقة بين « الاسرائيليين » و « العرب الفلسطينيين » ، وانما هو تناقض تاريخي أساسي لا حل له الا **بتلاشي أحد طرفيه** . ولما كان من المستحيل تاريخيا ان يتلاشى الشعب العربي الفلسطيني أو أرض فلسطين نفسها ، فان الذي سيعود ليحتل المكان عبر الحركة التاريخية ستكون هي « فلسطين » وشعبها ، ومن عليها سيكونون هم « الفلسطينيون » سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهود أو من أي ملة أو طائفة . . لا بد ان يتلاشى ذلك الكيان الصهيوني ، وهو عندما ينهار ، سيترك خلفه « المستوطنين » الذين سيكونون عندئذ اسرائيليين سابقين !! ليس امامهم الا ان « يتمثلوا » ليصبحوا

مواطنين في فلسطين الجديدة لا يتدخل أحد في عقيدتهم كيهود ولا يميزهم على هذا الأساس ، وإنما على الأساس الذي ذكرناه الا وهو قدر موقف كل منهم من معارضة الصهيونية أي من « الاسرائيلية » ، وتأييد الثورة التحررية العربية أي «الفلسطينية» .

فلسطين مستعود ، تلك حتمية تاريخية ، ولكي تكون « ديموقراطية » ، وهي لا يمكن أن تكون الا كذلك على المدى التاريخي ، لا بد من الثورة الشعبية المسلحة ، والتي لا بد ان يشارك فيها مناضلون من اليهود انفسهم ، الذين هم اليوم على ارضها مغتصبين . من هنا فان « الديموقراطية » هدف ، وخطة في نفس الوقت .

لقد اختار الثوار الفلسطينيون « الديموقراطية » لفلسطين حلا وهدفا يناضلون لتحقيقه ، ومن المؤكد ان هذا الاختيار هو رد الفعل الثوري الانساني على «العنصرية» التي انتصفت بها الهجمة الاستعمارية التي احتلت فلسطين واغتصبتها ، كان منطقياً (عقوياً) ، ان تؤدي الهجمة العنصرية الى نقيض عنصري ، ولكن ذلك لم يكن ليؤد الى **تحرير فلسطين** . بل الاغلب انه كان سيعمق من مشكلة الوجود العنصري الاستعماري نفسه (ولقد ادرك الصهاينة هذه الحقيقة فسعوا على الدوام الى تصوير المقاومة العربية ، باعتبارها موقفا عنصريا لاساميا ، وذلك بهدف المحافظة على عنصريتهم هم) . لذا فان هذا الاختيار الثوري الانساني ، يفرض على الثوار **طريقا محددا للتحرير** ، أي خطة محددة للقتال من اجل استعادة الارض المغتصبة وعودة الشعب المشرذ ، وفي نفس الوقت مواجهة « مشكلة يهودية » من نوع خاص ، مصدره الى بلادنا من البلاد الاستعمارية ، ومحاصرة تاريخيا .

ان استعادة الارض وعودة الشعب ، لا يتطلبان اكثر من تحقيق نفوق عسكري يمكن العرب من تحطيم القوة الرئيسية للعدو ، بحيث يجبر على التسليم . ولكن استيعاب وحل « المشكلة اليهودية » التي ستتخلف عن هذه الحقبة من القتال ، يحتم ان يدور هذا القتال بخطة واسلوب حرب الشعب طويلة الامد ، أي ان يكون قتالا جماهريا . بحيث تتخلص الجماهير المقاتلة من كل ردود الفعل العنصرية ، والمرارة والشك والثأرية ، وذلك عندما تدرك بتجربتها الذاتية ، عقم طريق التعصب ، وخصب الطريق الثورية الانسانية ، وعندما تسقط خلال طريقها الطويل كل القوى الرجعية والتعصبية التي سبق وان اضاعت فلسطين ، بل وتآمرت عليها مع المستعمرين والصهاينة .

ستدرك الجماهير العربية المفعمة بالمرارة ، ستدرك خلال القتال ، اذ يرافقتها سلاحها وقاتلها وتضحياتها جماعات من اليهود انفسهم ، ان عدوها هو الاستعمار والصهيونية وليسوا هم جماهير اليهود المضللين والمضطهدين في بلادهم الأصلية . كما ستدرك اعداد متزايدة من اليهود المستوطنين انفسهم ، ان الهروب من اضطهاد عنصري لا يكون باللجوء الى عنصرية أشد وافظع هي عنصرية الصهاينة انفسهم ضد فقراء اليهود وشرقيهم بعد طرد العرب الفلسطينيين .

ان خلق الانسان الفلسطيني الجديد ، يتطلب قتالا جماهريا طويل الامد ، تتراكم فيه الصفات الثورية المكتسبة من خلال هذا النضال ومعاناة الأجيال ، وسواء كان هذا الانسان الفلسطيني الجديد ، مسلما او مسيحيا ، او يهوديا ، او من اي طائفة كانت ، فانه سيكون بلا شك « عربيا » سواء بالاصل او « بالتمثل » . أي ان هذا القتال الجماهيري الطويل لا بد سيؤدي الى ما كان يجب ان يؤدي اليه تطور المجتمعات التي هرب منها اليهود وهجروها الى فلسطين .

ان حل المشكلة اليهودية لا يكون بالهرب من مجتمعات تحمل في باطنها (عنصرية) هي انعكاس لعلاقتها الاجتماعية وتسير حتما نحو التحرر منها ، كما تسير نحو التحرر

الاجتماعي ، الى تجمع صهيوني هو بؤرة العنصرية وليس له من مستقبل الا مزيدا من التفرقة والتمييز العنصري .

ان « التمثل » هو حل « المسألة اليهودية » ، والتمثل يعني التوحد القومي مع بقية الجماعة البشرية التي تعيش على نفس الارض وتساهم في عملية الانتاج الانساني فوقها .

لذا فان الجماعات اليهودية التي هربت من « التمثل » في مجتمعاتها الاصلية ، ليس امامها الا نفس الطريق على ارض فلسطين . ولا شك ان القتال الجاهري الطويل الامد ، اي حرب الشعب ، سيكون مساعدا للكثيرين منهم على ان يتبينوا الوجه البشع للصهيونية التي ضللتهم ثم جعلتهم وقودا لحرب استعمارية تشنها على الشعوب العربية . كما انه سيكون مساندا لجاهرنا في نفس الوقت على ان نتآخى معهم في ظل البنادق . ان « التمثل » في فلسطين يمكن فقط في ظل وحدة البنادق والنضال ضد الصهيونية التي هي بلا شك قمة القمع الاستعماري الاحتكاري في العالم ، ومن ثم قاع التمييز العنصري الفاشي فيه .

من هنا كانت « ديموقراطية فلسطين » خطة قتال وتحرير ، وليست حلا وهدفا فقط . فلئن كانت الرؤية التاريخية تبين ان تحرير الارض واستعادتها ، لا يمكن ان يتحقق لاسباب عسكرية ، وسياسية ، الا بحرب شعبية طويلة الامد ، تتفوق فيها الجماهير على عدوها الاستعماري المدجج بأحدث الاسلحة ، والمتفوق تكنولوجيا وحضاريا ، فانه من المؤكد انه لا سبيل على الاطلاق لفلسطين ديموقراطية الا بهذه الحرب الشعبية الطويلة ، التي تخلق وتبني الانسان الجديد على ارض فلسطين .

وحتى لو تدخلت ظروف طارئة ، كاجتماع عدة تناقضات في لحظة زمانية واحدة ، بحيث انهار الكيان الصهيوني ، ولم يكن قد اكتمل بعد طريق حرب الشعب (وهو احتمال بعيد ولكنه قائم نظريا) ، فان الذي لا احتمال غيره ، هو انه لا يمكن الوصول الى صيغة فلسطين الديموقراطية الا بحرب الشعب الطويلة وحدها .

في مواجهة هذه الخطة ، خطة القتال الجاهري الطويل الامد سبيلا لفلسطين الديموقراطية ، يعود البعض فيقدم من جديد ، فكرة أماكن الوصول الى هذا الهدف عن طريق التعاون السلمي بين اسرائيل غير عدوانية « او غير توسعية » وبين دولة فلسطينية تقوم على جزء من الارض الفلسطينية . تعاون سلمي تقوم في ظله علاقات متبادلة تجارية وثقافية وسياسية الخ (٧) .

هذه الفكرة ليست جديدة ، فقد تضمنها خطاب جاكوب ماليك عند اعلان موافقة بلاده على التقسيم في ١٩٤٧ ، أملا ان يؤدي التفاعل في المستقبل الى قيام دولة واحدة . وبقدر ما اثبتت السنوات السبع والعشرين الماضية ، استحالة ذلك ، بقدر ما أكدت سنوات القتال الاخيرة امكانية قيام هذه الدولة الواحدة (لا نقول الوحيدة) بشرط تصفية مؤسسة الكيان الصهيوني القائمة حاليا . ففي ظل وقف القتال (من ١٩٤٨ حتى انطلاق الثورة الفلسطينية) امكن للصهاينة والاستعمار ان يستمروا في صناعة كيانهم ، وفي محاولة احتواء تناقضاته الداخلية وفي نفس الوقت السيطرة على المنطقة العربية بالتهديد المستمر والحروب والاعتداءات المتكررة . اما سنوات القتال العشر فقد عمقت من التناقضات الداخلية لهذا الكيان بدرجة كشفت عن وجهه العنصري البشع للعالم كله ، وبالتالي اصبح من الممكن الحديث عن يهود مضطهدين داخل الكيان الصهيوني ، هم مثل العرب الفلسطينيين المضطهدين بسبب الكيان الصهيوني ، وهم اليهود الشرقيون . أي أصبح من الممكن رؤية حل صحيح للمشكلة ، حل يقوم على

« فكفكة » هذا الكيان الصهيوني والقضاء على مؤسساته بحيث يتحرر قسم كبير من الخاضعين لسيطرته سواء الفكرية أو السياسية أو العسكرية ، لينضموا الى الشعب العربي الفلسطيني في صراعه ضد هذا الكيان .

والسؤال الذي نطرحه على أصحاب « فكرة التعايش السلمي » هذه او التطور السلمي نحو فلسطين الديمقراطية على حسب قولهم : هل يمكن تحرير جماهير اليهود التي تعيش اليوم في ظل الكيان الصهيوني « اسرائيل » ، من سيطرة الصهيونية ، دون القضاء على المؤسسة الصهيونية كمؤسسة عنصرية استعمارية عسكرية غاشية ، مهما كانت مساحة الارض التي يغتصبها من فلسطين ؟ وهل يمكن تحقيق ذلك دون قتال ؟

ان اقامة علاقات سلمية بين « الكيان الصهيوني » والبلاد العربية ليس له سوى معنى واحد ، هو اخضاع هذه المنطقة العربية للسيطرة الصهيونية . ذلك هو حكم القوانين الموضوعية التي تحكم التطور التاريخي للتجمعات البشرية ، حتى داخل القومية الواحدة ، فما بالنار والامر متعلق بكيان غريب هو فرع من فروع الاحتكارات الاستعمارية مزروع في قلب المنطقة العربية ، ان تجربة تسلسل النفوذ الصهيوني الاقتصادي (فضلا عن السياسي والعسكري) عبر « الجسور المفتوحة » على نهر الاردن ، وتجربة اجتذاب القوة العاملة العربية للعمل في مشاريع صهيونية في ظل الاحتلال ، دليل بسيط وواضح على ما اسلفنا .

ولقد أورد مقال فلسطين الغد المنشور في شؤون فلسطينية عدد (٢) للدكتور نبيل شعث أرقاماً واحصاءات متعددة تبين كيف أدت سياسة الجسور المفتوحة والاندماج الاقتصادي الى اخضاع اقتصاديات الضفة الغربية وغزة الى الاقتصاد الصهيوني بعد ثلاث سنوات فقط من احتلالها .

ان « الترويج » لامكانية التفاعل السلمي بين كيان اسرائيلي « مسالم » وبين « كيان فلسطيني » ناقص ، هو تماما كالترويج لامكانية تفاهم سلمي بين أشكال الاستثمار الجديد (رؤوس الاموال الاجنبية المسيطرة والمستغلة) وبين الشعوب الفقيرة ، وهو تماما كالترويج لامكانية التفاهم بين الاحتكاريين والعمال . وفي الحقيقة فان الكيان الصهيوني هو في جوهره أعتى أشكال الاستعمار الجديد ، وأكثر مراكز الاحتكارات تقدماً في بلادنا وهي محاولة محتومة الفشل .

ذلك بأن « فلسطين الديمقراطية » ليست فقط هدفاً ، وليست فقط خطة للقتال ، وان هي أيضاً حتمية تاريخية . والحتمية التاريخية ، هي حالة محددة كيفية يمر بها طريق تطور مجتمع من المجتمعات او ظاهرة من الظواهر ، ولا يمكن أن يتخطاها الى ما بعدها من أشكال الا بعد أن تتحقق ومن بعد تفقد وجودها فتنفي الى حالة أرقى ، وذلك مهما تعددت طرق الوصول اليها ، ومراحل الانتقال على طريقها بل والتعرجات العنوية او المقصودة التي قد تعطل تحقيقها . فطالما هي ضرورة تاريخية ، فإنها ستتحقق حتماً .

وعندما يحدد الثوار ان وضعا ما ، هو حتمية تاريخية ، فان ذلك سيكون ملزماً لهم بأن يخضعوا كافة خططهم وتكتيكاتهم لهذه الرؤية . وازاء هذه المسؤولية فان الحكم ، بتاريخية « وضع ما » يستلزم الاثبات العلمي قبل اطلاقه .

فهل ينقص « فلسطين الديمقراطية » الدليل على انها حتمية تاريخية ؟ ربما كان ذلك منذ سنوات ، اما الان ، فكثير من الحقائق الموضوعية تشير وتنبئ وتكشف عن

العوامل والتغيرات التي تتفاعل على أرض فلسطين المحتلة ، وتكاد تكون جنينا لرؤيا المستقبل لفلسطين الديمقراطية .

ان « فلسطين ديمقراطية » مصغرة ، قائمة الان بالفعل داخل سجون ومعتقلات العدو . ففيها مناضلون عرب فلسطينيون من كل دين وطائفة ، ويمكننا في ايجاز أن نعدد أهم العوامل والحقائق الموضوعية التي تؤكد « حتمية » قيام فلسطين الديمقراطية في المستقبل كحل وحيد لمشكلة الاغتصاب العنصري لارضها :

١ - كما ذكرنا ، فان التمثل « هو الحل الوحيد للمشكلة اليهودية » سواء كان ذلك في فلسطين ، أو في غير فلسطين . والتمثل لا يمكن أن يتحقق الا بتحقيق « ديمقراطية حقيقية » بين أعضاء المجتمع الواحد . ان من بين ما يعرقل تمثل اليهود في بلادهم الاصلية هو بلا شك عدم ديمقراطية التنظيم الاجتماعي في هذه البلاد .

٢ - انه من غير الممكن ، أن تتطور ظاهرة التجمع الصهيوني الحالية ، الى ما يسميه البعض « قومية اسرائيلية في طريق التكوين » ، أو أمة اسرائيلية ، أو حتى ظاهرة اسرائيلية تستمر بدون اسرائيل* بحيث يتوجب عندئذ ان تعطى هذه الظاهرة فرصة تطوير نفسها ثقافيا وفكريا كمجتمع له كيانه الذاتي . ان خطأ واستحالة حدوث ذلك مبني على ما يلي :

١ - ان هذا التجمع « هو تجمع منقول » ، ومصطنع ومفروض بالقوة في موقعه الحالي سواء من الناحية البشرية أو الجغرافية أو الاقتصادية . بمعنى ان هذا التجمع لم يتطور تاريخيا بشكل طبيعي ، أي لم يكن نتاجا طبيعيا لتطور وتفاعل عوامل سابقة عليه تاريخيا . وما تزال « القوة » هي التي تفرض استمراره ، بل وتغير من تركيبه . فالعدو الصهيوني مثلا يسعى لتغيير التركيب البشري لتجمعه بالالاحاح على استيراد اليهود السوفيات (اشكنازيم) لمواجهة تزايد عدد وفعل وأثر اليهود الشرقيين (السفارديم) . فقلد تغير تركيب التجمع الاسرائيلي خلال موجات الهجرة ، بحيث يغلب عليه الان « عنصر » السفارديم (٦٠ ٪) بعد أن كان في البداية يقتصر تقريبا على الاشكنازيم (الموجات الاولى من الهجرة الصهيونية) .

اما عن موقع هذا التجمع الجغرافي فهو في تغير مستمر منذ اعلان كيانه الرسمي وهو ما يزال يعلن عن نيته ضم أراضي جديدة . كما لا يزال يعلن عن استعدادة للانسحاب من بعض الاراضي .

أما موقع هذا التجمع الاقتصادي ، فهو مجرد « فرع » للاحتكارات العالمية ، تثقل له رؤوس الاموال من الخارج باستمرار ، سواء على شكل معونات حكومية أو من المشاريع الخاصة أو تبرعات من الاحتكاريين اليهود الصهاينة . وهو ليس اقتصادا تابعا ، فالاقتصاد التابع لاقتصاد متخلف ، خاضع وهو يختلف اختلافا كليا عن الاقتصاد الرأسمالي العالي النمو سواء في شكل علاقات الانتاج أو في الانتاج نفسه (زراعي أو مواد أولية أساسا) ، أو في نصيب التراكم الاولي من تشكيل الدخل القومي العام (لا يكاد يذكر في التجمع الاسرائيلي) أو طريقة توزيع فائض القيمة (لا توجد طبقات متميزة داخل التجمع الاسرائيلي ، وانما التمايز يتم على أساس « عرقي »)

* يحاول أصحاب هذه النظريات تصوير الكيان الصهيوني باعتباره مجتمعا تهايز عبر السنوات الخمس والعشرين وان هناك تبعا لذلك ، « اسرائيليون » وبعضهم يقول بالقومية الاسرائيلية وما يزال البعض يتحدث عن الحقوق القومية (١١) للجماهير اليهودية ١١ .

بين الاشكنازيم والسفارديم ، ووظيفي متطابق مع الاساس السابق : قيادات اشكنازية ، وقواعد سفارديمية) . في الاساس يختلف اقتصاد التجمع الاسرائيلي ، عن الاقتصاد التابع في انه لم ينشأ نتيجة تراكم وتطور تاريخي بحيث يكون له مستقبل تاريخي . ان الاقتصاد المتخلف التابع لا بد أن يسير في طريقه الى التحرر من السيطرة والاستغلال الرأسمالي ، وأن يستقل ذاتيا . أما اقتصاد التجمع الاسرائيلي فان « مجرد الافتراض النظري بإمكانية اتجاهه للاستقلال عن الرأسمال العالمي ، تعني انتهاؤه تماما كما لو قام أحد البنوك العالمية باغلاق احد فروعها في بلد ما » .

ب — ليس أمام هذا التجمع أي فرصة لكي تتشكل له ما يمكن أن يسمى « مشاعر قومية » ، فضلا عن قومية صحيحة . فهو **تجمع متعدد اللغات** : وبرغم تركيز الصهاينة على نشر لغة واحدة بين المستوطنين ، فان جهودهم لن تنجح كما يصورون . خصوصا بعد ١٩٦٧ عندما لم تعد المؤسسات الصهيونية قادرة على « استيعاب » المهاجرين الجدد وتعليمهم العبرية قبل « دمجهم » في الحياة اليومية . ومن قبل ذلك ايضا كانت اللغة مشكلة بالنسبة لهم . ففي ١٩٤٨ كان $\frac{3}{4}$ السكان فقط يتكلمون « العبرية » الحديثة ، وفي ١٩٦٠ هبطت النسبة الى ٦٠٪ . كما ان اللغة التي يستعملونها في حياتهم اليومية ، لم تعد هي لغة التوراة العبرية التي يحرص « المتزمتون » من اليهود على التحدث بها في بلادهم الاصلية ، بل ان العلاقة بين هذه « اللغة الحديثة » وبين لغة « التوراة » هي كما يقولون هم انفسهم كالعلاقة بين اللغة الانجليزية الحديثة واللغة الانجليزية القديمة .

وهو تجمع متعدد **الاصول القومية** متناقض التكوينات النفسية . فقد قدم المستوطنون من أكثر من مئة بلد ، وهم ان كانوا يقسمون اليوم على أساس كونهم غربيون (اشكنازيم) وشرقيون (سفارديم) ، الا انه حتى بين كل طائفة منهم هناك تكوينات وأصول قومية مختلفة ومتناقضة نفسيا وثقافيا . ان يهود روسيا مثلا ، لا يتعاملون مع يهود رومانيا مع انها معا من الاشكنازيم . كما ان يهود المغرب يختلفون في سلوكهم عن يهود اليمن ، وهكذا يقول جان بول سارتر (وهو مناصر صريح لبقاء اسرائيل) « ليس ثمة وجود لتراث يهودي واحد ولا لتاريخ يهودي واحد » (كتاب اليهودي المعادي للسامية . نيويورك ١٩٦٨) . ولقد روج الصهاينة كثيرا لامكان اذابة المستوطنين في شخصية « اسرائيلية » واحدة ، الا أن ذلك فضلا عن انه مستحيل موضوعيا فقد فشل في الواقع العملي .

وهو تجمع يفترق الى قاعدة اقتصادية ذاتية كما اسلفنا ، ثم هو قبل كل شيء تجمع على أرض ليست له ، مقتنبة لها أصحابها الذين يقاتلون في سبيل استعادتها ، ولن يتركوه مستقرا أبدا .

وبالمثل فليس هناك أي فرصة تاريخية لكي يصبح هذا التجمع ، « محورا يهوديا اسرائيليا » ، يكون طرفا في صراع مع « محور اسلامي عربي » (٨) حتى ولو كان هذا الصراع سلميا . ذلك أن أي صراع يدور بين اليهود الاسرائيليين وبين العسرب (مسلمين ومسيحيين وغيرهم) ليس له الا أن يفرز احدى نتيجتين : إما مزيدا من عنصرية هذا الكيان ومؤسساته ، مع ردود فعل عنصرية على الطرف الاخر من التناقض وذلك في حال أن يدار الصراع انطلاقا من هذا التصور الفكري الخاطيء . وإما أن يقضي على هذا « المحور » « الكيان » وذلك في حال أن يدور الصراع على أساس علمي وثوري وانساني كما هو حادث الآن . ولا يوجد طريق ثالث .

ج — ان هذا التجمع يحكمه تناقض داخلي مدمر ، هو التناقض بين الاشكنازيم

والسفارديم أي بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين ، وبرغم أن جوهر هذا التناقض هو الصراع العرقي بين هاتين الجماعتين ، إلا أنه أيضا يعكس ويحمل كل ثقل التناقض بين المجتمعات الصناعية الفنية المتقدمة ، التي قدم منها الأشكنازيم ، وبين التجمعات الزراعية الفقيرة التي قدم منها السفارديم ، كما أنه يعبر عن نفسه كل يوم داخل التجمع الصهيوني في الصراع بين اليهود الغربيين (الأشكنازيم) الأغنياء ، واليهود الشرقيين (السفارديم) الفقراء ، والفجوة بينهما تزداد حدة على كل المستويات .

د - أن من يتبقى عن هذا التجمع بعد انهيار كياناته السياسية والعسكرية والثقافية سيكونون بلا شك أصحاب « ظروف » متخلفة من الفترة التي قامها هذا الكيان . ولكن هذه « الظروف الخاصة » هي بالطبع رجعية (مكتسبة من تشكيل رجعي هو الكيان الصهيوني) . ولا بد من العمل على إزالتها . وهي مهمة طويلة الأجل بلا شك ، ولا بد معها من اتباع أوسع أشكال الديمقراطية وأعمقها ، ولكن في اتجاه الإذابة ، لا في اتجاه التطور كما ينادي البعض بأن يكون لهم حق تطوير ثقافة خاصة . . الخ .

إن الموافقة على مثل هذا المطلب المنافي للضرورة التاريخية من شأنه أن يخلق « جيتو » جديد في فلسطين المحررة بدلا من الجيتو الكبير المسمى « إسرائيل » . وليس هذا هو المطلوب ولا المرجو من حرب التحرير الشعبية العربية .

هـ - أن هناك فرقا بين الصهيونية ، واليهودية ، وبين الصهاينة واليهود . والصهيونية تعني بالنسبة لنا ، وبشكل مباشر « إسرائيل » و« الاسرائيلية » وهو التعبير المجسد لها . وبالتالي فإن مستقبل الظاهرة الاسرائيلية الحالية هو نفس مستقبل الصهيونية ، أي الانتثار ، والتلاشي ، شأنها في ذلك شأن كسل الحركات والدعاوى الفاشية التي لا بد ستنتهي وتندثر بالقضاء على الاستعمار والاستغلال ، ولكن انتهاء الصهيونية لا يعني انتهاء اليهودية « كدين » ، وإنما يعني تحريره من كل استغلال سياسي له ، وذلك في حد ذاته يعني إطلاق حرية العقيدة ، ليس فقط لليهود وإنما لكل البشر .

٣ - أن تحرير فلسطين واستعادة أرضها وعودة شعبها إليها ، لا يمكن اتمامه ، فضلا عن ضمان استمراره ، ما لم تصبح فلسطين ، شأنها في ذلك شأن كل البلاد العربية الأخرى جزءا من دولة عربية موحدة تقدمية كبرى . أي أن التحرير يؤدي إلى الوحدة القومية . والوحدة القومية كما هو معروف تنفي التمييز على أساس عرقي أو لوني أو ديني ، أي أن شرط قيامها هو الديمقراطية . أن الديمقراطية ليست فقط هي الحل الوحيد بالنسبة لتمثل الجماعات اليهودية « القادمة من الخارج » وإنما هي أيضا الشرط الاساسي لكي تقوم أي وحدة عربية وتنجح في القضاء على مخلفات « الاقليمية » .

فلسطين الديمقراطية إذن ، حتمية تاريخية ، كما أنها هدف ، وخطة قتال ، ذلك يعني أنه بغض النظر عن الطرق والمراحل التي تفصل بيننا وبين فلسطين الديمقراطية فإننا لا بد أن نصل إليها . لا يمكن أن يتوقف الصراع قبلها . كما ستشمل كل محاولة للقفر من عليها إلى ما بعدها ، أو الانحراف بمسار التاريخ عنها ، أو الاكتفاء منها باسمها ، أو بجزء من أرضها . وستظل كهدف وحتمية تاريخية ، تفرض أسلوبا وحيدا للقتال في سبيلها ألا وهو حرب الشعب طويلة الأمد . فالديمقراطية تعني في جوهرها ، سلطة الجماهير المسلحة المقاتلة . بهذه الرؤية تمضي قوافل الثوار ، وتتحدد خطواتهم ، وتقيم انجازاتهم ، وتوجه بنادقهم ، وتتميز وسائلهم ، فتقصر أيام الشقاء ، وتقل مخلفات التعمصب والاستغلال ، ويتحقق الهدف الانساني الثوري العظيم : فلسطين الديمقراطية .

- وراجع تقرير خاص من مركز التخطيط حول الهجرة والهجرة المضادة من فلسطين المحتلة ، ١٩٧٤/٦/٢٧ . وراجع نشرات رصد اذاعة اسرائيل الصادرة عن مركز الابحاث في م.ت.ف.ف.
- ٥ - مبادئ وأهداف وأساليب حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح .
- ٦ - راجع نشرة الارض عدد ٧ - ٨ بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢١ .
- ٧ - ردد هذه الفكرة مؤخرا الاخوان محمود حسين في كتاب عرب واسرائيليون : اول حوار نشر بباريس بالفرنسية في ١٩٧٤/١٠ .
- ٨ - المصدر السابق .

- ١ - راجع خطاب الاخ ابو عمار في الامم المتحدة الدورة ٢٩ .
- ٢ - راجع كتاب نحو فلسطين ديمقراطية للدكتور محمد رشيد ، سلسلة ابحاث فلسطينية ، رقم ٢٤ - اصدار مركز الابحاث في م.ت.ف.ف.
- ٣ - راجع كتاب يوري افنيري ، للاستاذ كميل منصور الصادر عن مركز الابحاث في م.ت.ف.ف. وراجع دفاع الرفيق رامي ليفنه عضو الجبهة الحمراء خلال محاكمته في حيفا ١٩٧٣ . وراجع مقال فلسطين الغد للدكتور نبيل شعث ، مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٢ .
- ٤ - راجع ن.م.د.ف. عدد ٧٤/١١/١ .

حول الوحدة الوطنية الفلسطينية

منير شفيق

عندما تشكلت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ، حرصت هدفها بتحرير فلسطين . وقد طمحت لان تكون حركة التحرير الوطني الفلسطيني ، التي تضم كل القوى الفلسطينية المؤمنة بالتحرير والتي تضعه هدفاً فوق اي هدف آخر سواء ، وتتخلى عن حزبيتها السابقة ، وتنخرط في الكفاح المسلح باعتباره الاسلوب الوحيد للتحرير . وهي من هذا المنطلق لم تطرح نفسها كحزب سياسي له نظرة شمولية ، فلسفياً واجتماعياً واقتصادياً ، وانما كجبهة متحدة . ولكن تطور الوضع فلسطينياً ، وكذلك المسار الذي اخذه تطورها هي بالذات ، لم يؤدي الى أن تكون هي جبهة التحرير الفلسطينية ، وانما اديا لان تتطور كتنظيم قائم بذاته ويلعب دور العمود الفقري بين مجموعة من التنظيمات الفلسطينية . وراحت تتعامل مع الساحة الفلسطينية على هذا الاساس .

مرحلة تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية حتى ١٩٦٨/٧/١٠ :

انبتق مؤتمر القمة العربي الاول عام ١٩٦٤ عن قرار بتشكيل منظمة التحرير الفلسطينية ، وبالفعل عقد المؤتمر الاول الذي وضع ميثاق منظمة التحرير ، في القدس ، في ١٩٦٤/٥/٢٨ ، واستمر حتى ١٩٦٤/٦/٢ . وقد طرحت منظمة التحرير نفسها في هذا المؤتمر الجبهة العريضة للشعب الفلسطيني . وكانت الصورة التي رسمت للوحدة الفلسطينية تنطلق من اعتبار المنظمة هي الاطار العام الذي يوحد الفلسطينيين . ولكن هذا التوحيد لا يقوم على اساس اتحاد قوى منظمة وانما على اساس الانتساب كأفراد الى منظمة التحرير . وكان هذا يقضي بأن تحل المنظمات الفلسطينية نفسها وتخرط كإفراد في منظمة التحرير . وقد جوبهت « فتح » بهذه المسألة ، خاصة ، وان تشكيل المنظمة هدد بسلب شعاراتها ، وتفريغها من محتواها الثوري الكفاحي . لان فتح لم تكن تهدف من وراء ضرورة ابراز الشخصية الفلسطينية الى أن تتخذ تلك الشخصية طابع المؤسسة الرسمية ، وتتحول الى هيئة تمثيلية شكلية . ومن هنا كان من الضروري لها التأكيد على أن من العبث الحديث عن شخصية فلسطينية اذا لم تحمل طابع المقاتل الفلسطيني الذي يخوض الكفاح المسلح لتحرير وطنه . وانطلاقاً من ربط مسألة تكوين الوحدة الوطنية الفلسطينية وابراز الشخصية الفلسطينية بمسألة شن الكفاح المسلح لتحرير فلسطين ، لم تستطع فتح ان ترى بمنظمة التحرير الفلسطينية تحقيقاً لما كانت تصبو اليه من أهداف واستراتيجية . ولهذا لم تنضم للمنظمة ، وتحل نفسها ، رغم أنها شاركت من خلال بعض ممثليها في مؤتمر القدس .

عرفت الفترة الممتدة من ١٩٦٤/٥/٢٨ حتى ١٩٦٨/٧/١٠ ، من جهة الوحدة الوطنية الفلسطينية السمات التالية:

١ - وجود منظمة التحرير الفلسطينية على الصورة المذكورة اعلاه .

٢ - وجود مجموعة من المنظمات الفدائية ، كانت فتح أهمها ، غير منضوية تحت لواء منظمة التحرير .

٣ - شق طريق الكفاح المسلح بمبادرة من حركة فتح في ١/١/١٩٦٥ سرعان ما تبعتها في ذلك منظمات أخرى . وقد حاول السيد احمد الشقيري ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية انذاك ، الالتفاف على ذلك عن طريق اعلان تشكيل قوات فدائية تابعة لمنظمة التحرير . وقد أعلنت فتح في عام ١٩٦٦ فمهما للوحدة الوطنية على أساس الالتقاء في ارض المعركة . وكان ذلك يعني اعطاء الوحدة الوطنية الفلسطينية والشخصية الفلسطينية محتوى غير المحتوى الذي قامت عليه منظمة التحرير الفلسطينية . كما كان يعني ذلك انقاذ محاولات التوحيد ، أو التنسيق ، بين المنظمات الفدائية ، خارج منظمة التحرير ، من الدوران في نقاشات لا نهاية لها .

٤ - اشتداد الصراعات سواء في داخل منظمة التحرير الفلسطينية ، او بين منظمة التحرير والمنظمات الفدائية ، او فيما بين المنظمات الفدائية نفسها .

٥ - حاولت منظمة التحرير الفلسطينية ، وبناء على توصية من المجلس الوطني المنعقد في غزة ، ما بين ٢٠/٥/١٩٦٦ و ٢٤/٥/١٩٦٦ ، الدخول في حوار مع المنظمات الفدائية من أجل توحيدها في منظمة التحرير . وكان المطلوب هو « صهرها » في المنظمة وانهاء وضعها كمنظمات قائمة بذاتها . أي ليس على أساس الاتحاد ضمن إطار عمل جبهوي دون حل نفسها . ولكن ذلك التوجه مني بالفشل . وبقي الوضع على ما هو مذكور اعلاه ، ولم يكن من الممكن الوصول الى وحدة وطنية على تلك الصورة . وبهذا اثبتت التجربة العملية ان من غير الممكن تشكيل جبهة الشعب المتحدة في الساحة الفلسطينية على أساس الانتساب الفردي لها ، وصهر التجمعات المنظمة وحلها . أي من غير الممكن قيام الجبهة على أساس التنظيم الواحد الفرد حتى لو أخذ شكل « التحالف الجبهوي » . كما اثبتت ان تعدد التنظيمات في الساحة الفلسطينية ، مسألة موضوعية لا يمكن التفريط من فوقها اذا اريد للشعب العربي الفلسطيني أن يحقق وحدته الوطنية . ان هذا الاستنتاج لا ينبع من فشل تلك التجربة فحسب ، وإنما يمكن دعمه ايضا بتحليل سمات الوضع الفلسطيني والعربي .

مرحلة قيادة « فتح » لمنظمة التحرير الفلسطينية :

كانت مبادرة فتح في شن الكفاح المسلح الفلسطيني ضد العدو الصهيوني ، قد بدأت تعزز مكانتها في الساحة الفلسطينية وتطورها . ثم كانت نتائج حرب حزيران ١٩٦٧ . وما تلا ذلك من عودة فتح لامتلاك زمام المبادرة بشن حرب المقاومة المسلحة ضد العدو الصهيوني في مواجهة أوضاع ما بعد حرب حزيران ، ثم تتويج ذلك كله في خوضها لمعركة الكرامة ، وما تبع ذلك من التفاف جماهيري واسع حولها ، قد أوجد وضعاً أصبح معه لا مفر لقيادة منظمة التحرير ومجلسها الوطني من التخلي عن منظمة التحرير لفتح وللمنظمات الفدائية الأخرى ، حيث لم يعد من الممكن الاستمرار دون إعادة بناء منظمة التحرير على أساس ان تكون الجبهة المتحدة للمنظمات المقاومة ومعها الاتحادات الشعبية والشخصيات الوطنية الفلسطينية . وبالفعل عقد المجلس الوطني الرابع في القاهرة ما بين ١٠/٧/١٩٦٨ - ١٧/٧/١٩٦٨ من أجل هذا الغرض . وقد تم خلال ذلك اجراء التعديلات المناسبة على الميثاق الوطني والنظام الاساسي . وبهذا أصبحت تشكيلة منظمة التحرير تقوم على أساس قيادة المنظمات الفدائية لها ، بقيادة حركة فتح ، مع بقائها الاطار العريض الذي يضم الافراد والتجمعات الفلسطينية ايضا . وما زال الوضع حتى الان على هذه الصورة . وقد شكلت هذه الخطوة قفزة

نوعية الى امام في عملية تحقيق الوحدة الوطنية للشعب الفلسطيني ، فكانت دفعا قويا لتطوير الكفاح المسلح والتفاف الشعب حول الثورة الفلسطينية ، وخطوة رائدة في عملية تشكيل الجبهة المتحدة في الساحة الفلسطينية وكذلك في الساحة العربية .

على ان هذا التغيير الاساسي في وضع منظمة التحرير حين اعطاها سمة الجبهة المتحدة العريضة التي تضم منظمات فدائية - حافظت على تنظيمها المستقل - واتحادات شعبية ، وشخصيات وطنية ، افرز طرازا خاصا من الجبهة المتحدة ضمن الظروف الخاصة الفلسطينية والعربية .

فاذا كان هذا النوع من التحالف يختلف عن التحالف في الجبهة المتحدة التي تقوم على اساس التنظيم الواحد الا انه اختلف ايضا عن تلك الجبهات التي تشكلت في الهند الصينية - على سبيل المثال - من مجموعة احزاب وقوى سياسية وشخصيات وطنية ، حيث التزمت تلك الجبهات ببرنامج سياسي موحد ، وانتهجت خطأ تكتيكا سياسيا واحدا ، وكانت اجهزتها المتعلقة بالقوات المسلحة والاعلام والعلاقات الخارجية والعمل الجماهيري موحدة ، ولم تعرف التعدد ، كما حدث في الساحة الفلسطينية من ناحية القوات المسلحة ، ولم تقدم لجماهيرها ، وللراي العام العالمي انواعا متناقضة من التعبئة السياسية ، او المواقف التكتيكية . او بكلمات اخرى ، ان المنظمات المتحالفة في منظمة التحرير الفلسطينية لم تحتفظ باستقلالها التنظيمي ، وتلتقي فيما بينها كمؤسسات فحسب ، وانما ايضا ، بقيت تمارس مختلف نشاطاتها ، بصورة مستقلة وغير موحدة . بل عرف هذا التحالف ، باستمرار ، صراعات في داخله ، وعلى كل المستويات ، بما في ذلك ، حول الميثاق الوطني والبرنامج السياسي ، والتعبئة الشعبية والمواقف التكتيكية ، والعلاقات الخارجية والاعلام .

ان مراجعة قرارات المجالس الوطنية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، خلال الفترة الممتدة من ١٩٦٨/٧/١٠ حتى الان ، وكذلك البيانات المشتركة لمنظمات المقاومة ، او بيانات كل منظمة على حدة ، سوف تدهش المرء من كثرة ما أخذ من قرارات لتحقيق تنسيق عسكري فعال ، او وضع القوات المسلحة تحت قيادة واحدة ، او توحيد النشاطات السياسية والاعلامية الخ ولكن دون ان يجد ذلك كله طريقه الى التطبيق الفعلي ، وبقي الوضع بخطوطه العريضة كما هو . أي بقي متأرجحا بين وجود جبهة متحدة وبين عدم وجود جبهة متحدة - بالمعنى الدقيق للكلمة . وكذلك بقي متأرجحا بين أخذ قرارات باتجاه الوصول الى جبهة متحدة فعليا وبين عدم تنفيذ تلك القرارات . فمن جهة هنالك جبهة متحدة تضم كل المنظمات الفدائية وكل الاتحادات الشعبية وغالبية الشخصيات الوطنية . ومن جهة ثانية احتفظت كل منظمة بخطها السياسي ، وقواتها المسلحة ، واعلامها ، وعلاقاتها الخارجية ، ومواقفها العلنية المستقلة دون التقيد بأى شكل من أشكال المركزية الديمقراطية في داخل الجبهة المتحدة ، بما في ذلك الدخول في الصراعات العلنية والنزول الى الشارع في تحريض مباشر اما ضد هذه المنظمة او تلك . واما ضد المواقف الرسمية لقيادة منظمة التحرير . وقد وصلت الامور في بعض الاحيان الى ائتثال جزئي ، وان كان ، في العادة ، يحاصر ، ولا يستفحل . ان هذه الحالة قد ولدت شعورا مستمرا بأن لدينا وحدة وطنية وليس لدينا وحدة وطنية في الوقت نفسه .

هنا يمكن القول ان القانون الذي حكم العلاقة فيما بين منظمات المقاومة تميز بوجود صيغ للعلاقات الجبهوية غير مستقرة ومتناقضة . فاذا كانت جبهة تحرير فييتنام ، على

سبيل المثال ، جبهة متحدة لمجموعة من الطبقات ، ومشكلة في جهازها القيادي من الممثلين السياسيين لهذه الطبقات ، واذا كانت هنالك صراعات داخلية فيما بين هذه القوى المؤتلفة ، وذلك امر طبيعي وقانون موضوعي ، الا ان جميع تلك القوى التزمت بخط الجبهة في كل المجالات وأبقت صراعاتها الداخلية ضمن حدود معينة وضيقته وداخلية فعلا . وراحت تواجه عدوها ، وتواجه الرأي العام العالمي كجبهة متحدة تتبنى مواقف واحدة ولها خط سياسي تكتيكي واحد ، كما ان شعبها كان يلتمس انه متحد فعلا في جبهة غريضة موحدة . ان الوضع عندنا من هذه الزوايا كان مختلفا ، ولهذا ليس من العجب أن تكون شهرة المنظمات اكبر من شهرة منظمة التحرير التي تنطق باسمها جميعا . ولا يمكن تفسير ذلك الا كانعكاس لقوة الوجه الاخر الذي لا يعمل على أساس الجبهة المتحدة .

ان هذه السمات الخاصة التي حكمت الوضع عندنا هي نتاج مجموعة من العوامل الموضوعية التي تحكم حالة الشعب العربي الفلسطيني ، ونتاج مجموعة من العوامل الذاتية والتاريخية التي تحكم تركيبة المنظمات الفلسطينية ، والمتأثرة بالعوامل الموضوعية ، ونتاج الوضع العربي الجزا . من هنا يجب ان ننطلق في تحليل هذه الظاهرة في ثورتنا ليكون بالامكان أحداث التطوير المناسب . وليس الانطلاق كما فعل البعض من قوالب جامدة تستخدم لكي تثنى الهجمات على حركة فتح ، وتفسير الظاهرة كلها كمسؤولية فتح ، لان هذين المنهجين في معالجة الظاهرة سيقودان الى نتائج مختلفة . فاذا كنا نعالج وضعنا محددا ونعمل ضمن حدوده ، فلن نستطيع معالجته بناء على رغباتنا الذاتية او بصورة تجريدية لان ذلك سيقود الى خطأ في التحليل والمعالجة . وانما لا بد من الانطلاق منه والتحرك في قلبه وضمن ظروفه المعطاة حتى ولو ادى ذلك الى ان نتعامل مع ما هو غير مألوف في تجارب اخرى وفي حالات اخرى . او الى ان نتعامل في حدود ادنى من مطامحنا واماتينا ورؤيتنا « الصافية » للشكل الذي يجب ان تقوم عليه الوحدة الوطنية .

بعض خصوصيات الوضع الفلسطيني والوحدة الوطنية الفلسطينية

ان الوضع الفلسطيني شديد التعقيد وله خصوصيات بارزة :

١- فقدان المجتمع الفلسطيني الموحد على أرض واحدة ، ادى الى فقدان الانقسام الطبقي **الموحد والمحدد** ، الامر الذي ولد حالة خاصة لم تعرفها حركات التحرير الاخرى . لان تواجد الفلسطينيين في تجمعات منتشرة في مناطق متعددة ، وتحت ظروف مختلفة ، وعيشهم لتجارب نضالية متفاوتة على مدى عشرين عاما ، يجعل من الصعب ، وان كان من غير المحال ، ان تشكل منظمة تمتد فروعها الى كل التجمعات دون ان ينعكس هذا الوضع على تركيبتها ، خاصة ، اذا لم يكن عمرها قد تجاوز بضع سنين ، حيث كان لا بد من ان توجد في المنظمة الواحدة كل مفارقات التجمعات الفلسطينية التاريخية والطبقية والاقليمية ، وكل مفارقات تأثرها ، ايجابيا او سلبيا ، بهذا النظام العربي او ذاك ، او بمجموعة الانظمة العربية ، والحركات السياسية العربية . وكذلك بالنسبة للجبهة المتحدة ككل .

٢- التدخل العربي الذي لا مفر منه في القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني وذلك لما لفلسطين من أهمية على الوضع العربي ككل ، وعلى كل قطر من اقطاره . ولا شك في ان اللجوء الفلسطيني الى البلاد العربية اتاح ، ويتيح ، فرصا اكبر لزخم هذا التدخل وهو امر يسهل عمليات الانفلات وتاجيج الصراعات ، ويجعل مسألة فسررض الانضباط العام طريقا غير مأمونة العواقب .

٣ - وجود غالبية الشعب الفلسطيني خارج الارض الفلسطينية المحتلة ، وعدم التعرض المستر لهجمات العدو وبطشه ، لا يخلقان حاجة قصوى لاعلى درجات الاتحاد والانضباط ، على عكس الوضع في كمبوديا، مثلا، حيث يعيش الجميع تحت قصف الطائرات وهجمات الابداء مما يرفع الحاجة الى الاتحاد والانضباط الى اعلى المستويات ، ويحرم القوى المؤتلفة من ترف ممارسة الاختلافات والصراعات على « الطريقة الفلسطينية » .

ان هذه العوامل الموضوعية ، والى جانبها العوامل الذاتية والتاريخية ، اسهمت في اعطاء السمات الخاصة للجبهة المتحدة في الساحة الفلسطينية .

ولهذا فان وضع الوحدة الوطنية في الثورة الفلسطينية خلال فترة ما بعد ١٩٦٨ /٧/ تميز بما يلي :

١ - كان هناك اطار عريض يجمع منظمات المقاومة هو منظمة التحرير الفلسطينية، وكان يشكل حدا ادنى من الوحدة الوطنية .

٢ - كانت الوحدة الوطنية بين المنظمات ترتفع الى مستويات اعلى في فترات الازمات المباشرة حين كان الجميع يتعرض لخطر مباشر كما حدث في شباط، وحزيران، وايلول ١٩٧٠ في الاردن ، او كما حدث في نيسان ١٩٦٩ و ايار ١٩٧٣ في لبنان .

٣ - كانت تشتد الصراعات الداخلية وتصل الى مستويات حادة في الفترات الممتدة بين الازمات مع المحافظة على الوحدة الوطنية ضمن اطار منظمة التحرير .

٤ - كانت تتشكل محاور في ادارة هذه الصراعات داخل الجبهة العريضة ، ولكن هذه المحاور امتازت بعدم الاستقرار حيث راحت تتبدل التحالفات التي تشكل المحاور تبديلا مستمرا .

٥ - تشكلت مؤسسات موحدة وبقي الانفلات من تحتها قائما ، كما حدث مع قيادة الكفاح المسلح او الاعلام الموحد .

المجالات التي شملها الصراع

ان المسائل التي كانت تدور حولها الصراعات شملت قضايا الميثاق والبرنامج السياسي والتكتيك الى جانب وضع القوات المسلحة والتعبئة الجماهيرية والاتحادات الشعبية حيث برزت :

١ - خلافات على ميثاق منظمة التحرير ، خاصة في العامين ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، بما في ذلك ، على التحالفات حيث اثيرت موضوعات حول سقوط البرجوازية الوطنية والبرجوازية الصغيرة ، ورفض قيادتها ، وضرورة فضحها وتعريتها ، وشن الهجمات عليها . وكانت فتح هدفا يرمى بكل ذلك . كما شنت صراعات حول هدف اقامة دولة ديمقراطية علمانية في فلسطين تضم المسلمين والمسيحيين واليهود .

٢ - الخلاف حول سلسلة المواقف التكتيكية ، المتبعة في المجال العربي ، خاصة ، بالنسبة لسياسات منظمة التحرير من ناحية العلاقات مع الانظمة العربية حيث شنت هجمات على السياسة الرسمية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وضد فتح بالذات ، في هذا الصدد . وهناك قائمة طويلة من الدلائل على هذه المعارضة التي كانت تصل حدود الاتهام والشهر والاستعداد .

٣ - الخلافات حول ادارة الصراع في داخل الاردن وفي لبنان . وقد ادينت الاتفاقات التي عقدت عقب الازمات ابتداء من اتفاق القاهرة بين حكومة لبنان ومنظمة التحرير، وانتهاء باتفاقيات القاهرة وعمان بين حكومة الاردن ومنظمة التحرير .

٤ - الخلاف على جملة ممارسات مسلكية داخل الاردن او في لبنان ، او بين التجمعات الفلسطينية في المخيمات .

٥ - الخلاف حول ممارسات مسلحة في ادارة الصراع ضد العدو ، خاصة ، قبل ايلول ١٩٧٠ ، مثلا حول العمليات الخارجية .

٦ - الخلافات حول تقييم الوضع في تكوين الكيان الصهيوني حيث برزت اتجاهات تتحدث عن « امة اسرائيلية » في طور التكوين وما يتبع ذلك من تغيير اسلسي في جوهر الميثاق الوطني الفلسطيني .

ان هذه النقاط تساق على سبيل المثال لا الحصر لان الصراعات شملت كل المجالات تقريبا واصبحت اكثر من ان تحصى . وهذا يقود الى الاستنتاج ان الوحدة الوطنية الفلسطينية في اطار منظمة التحرير ، فقدت باستمرار شرط التزام اعضاء الجبهة المتحدة ببرنامج سياسي موحد يمثل الحد الأدنى ، او على الخط السياسي التكتيكي كما هو الحال في الجبهات المتحدة في بلدان مثل فييتنام ، وكمبوديا ولاوس ، ومع ذلك بقيت هنالك وحدة وطنية عريضة عامة ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية .

المحافظة على الاطار العام للوحدة الوطنية

اولا وقبل كل شيء ، كان هذا هو الواقع الذي حكم مسيرة الكفاح المسلح الفلسطيني ، بغض النظر عن ما يمكن ان يوجه له من نقد ، او يوجه له من تسوية . ولكن الواقع الاخر الذي صاحبه ان الثورة الفلسطينية استطاعت ان تحافظ على وجودها وتتقدم محرزة انتصارات عديدة ، رغم كل السلبات الناجمة عن مثل هذا الوضع . ولهذا فان من المشروع الاستنتاج ان اي تفكير يطمح لتطوير عمل الجبهة المتحدة الفلسطينية وتحقيق مستوى من التحالف ارقى ، لا بد له من ان يبدأ من المحافظة على مستوى هذا الاطار العام القائم وينطلق منه باتجاه تطويره .

واستنادا لما تقدم يصبح من البدهي القول ان قدرة حركة فتح على مجرد المحافظة على الوحدة العريضة التي ما زالت قائمة حتى الان ، رغم كل ما تعرضت له من هزات وصراعات ، يشكل عملا استثنائيا ضمن الوضع المعطى . وهنا يمكن تلخيص سياستها في هذا الصدد :

١ - المحافظة على الاطار العام للوحدة الوطنية الفلسطينية مع استمرار الصراع الديمقراطي من اجل الوصول الى مستوى توحيد القوات المسلحة والالتزام ببرنامج سياسي واحد وبخط تكتيكي واحد .

٢ - العمل على توحيد القوى ، والحيلولة دون الانقسام والاقنتال الداخلي ، مع ابقاء القيادة بأيديها ولعب دور العمود الفقري لمنظمة التحرير .

٣ - التحلي بروح ديمقراطية في معالجة صراعاتها مع القوى الاخرى التي كانت احيانا تصل الى حد الاستفزاز الذي لا يمكن ان تتسامح معه اية قوة اخرى غير فتح (ربما ساعدتها في ذلك تجربتها في بنائها الداخلي نفسه ، الى جانب ادراكها لطبيعة الوضع الفلسطيني والعربي) .

٤ - تغليب التناقض مع العدو الصهيوني على التناقضات في داخل صفوف الشعب .

٥ - الاعلان دوما عن حماية المنظمات الاخرى في وجه القوى المضادة للثورة . وعدم السماح بتصفية اية منظمة من منظمات المقاومة واعتبار اي اعتداء عليها اعتداء على فتح .

لقد لعبت هذه السياسة دورا رئيسيا في المحافظة على المستوى الأدنى من الوحدة الوطنية في وضع كان يهدد ، وما يزال ، بالتدهور الى مستوى الانقسام والافتتال الداخلي . وفي المقابل ساهمت المنظمات الاخرى ايضا وعلى درجات متفاوتة ، في ابقاء التحالف العام . وقد ساعد على ذلك :

١ - الخلافات فيما بين هذه المنظمات نفسها والتي كانت لا تقل ، عموما ، عن خلافات كل واحدة منها مع حركة فتح ، وهذا كان يجعل من الصعب ان تذهب منظمة بمفردها الى حد الانشقاق .

٢ - الميل لبقاء شعرة معاوية فيما يتعلق بالمحافظة على الوحدة الوطنية .

لقد انتقدت فتح بأنها كانت تأخذ احيانا ، مواقف واجراءات دون الرجوع الى قيادة اللجنة التنفيذية والحصول على موافقتها . ولكن ذلك لم يكن من السهل ايجاد صيغة حقيقية له في اللجنة التنفيذية وذلك بسبب تكوين مجمل الوضع في منظمة التحرير . ان التقيد بمستوى عال من المركزية الديمقراطية في اللجنة التنفيذية لم يكن مقبولا من مجموعة المنظمات . لان كل منظمة ابقته لنفسها الحق في عدم التقيد بقرار الاغلبية ، وابتحت لنفسها التصرف على اساس قناعاتها بما في ذلك النزول الى الشارع ، والتحريرض باتجاه سياساتها ، واجراء الاتصالات المنفردة لحسابها على كل المستويات سواء بالنسبة للعلاقات مع القوى والحزاب العربية او الانظمة العربية ، او العلاقات الدولية . ولهذا اذا اريد لهذا النقد ان يطرح بقصد الوصول الى صيغة اكثر ايجابية بين المنظمات فهذا غير ممكن ما لم يتفق الجميع على تبني رأي الاغلبية وتطبيقه .

وكان يؤخذ على فتح انها لا تحسم ، وكثيرا ما تعرضت لضغوطات لكي تقوم بعملية فرز لهذه الضغوط في داخل الساحة الفلسطينية . ولكنها رفضت الخضوع فقد كانت تجنح الى التحلي بالنفس الطويل وسعة الصدر . واذا حدث عكس ذلك في بعض الحالات في الماضي فقد كانت حالات جزئية واستثنائية . ولو انها رضخت لمثل تلك الضغوط لكانت خريطة الساحة الفلسطينية مختلفة ، ولربما كان وضع الثورة الفلسطينية مختلفا . ولكن ليس الى الافضل او الى امام قطعا . لان استرجاع الحالات التي اصطدمت فيها فتح مع هذه المنظمة او تلك ، في هذه الفترة او تلك ، تكاد تشمل الجميع . فماذا كان سيحدث لو راحت فتح تحسم وتصفي ، او تنتقل الى المواقف العدائية كلما تعرضت الى صراع داخلي ؟ ليس من الصعب الاجابة بان النتيجة هي التمزق وربما ضياع الثورة .

ان الوضع الفلسطيني قابل لكل اشكال المحاور والانقسامات والافتتال الداخلي ، وهو أشبه بالفتيلة الموقوتة من هذه الناحية . لهذا فان مجرد لجم هذه القابلية يعتبر انجازا ضخما . وذلك كخطوة اولى على طريق المضي قدما من اجل الوصول الى وحدة وطنية على مستوى عال . ولكن طوال فترة ، لن تكون قصيرة ، ستظل الوحدة الوطنية في الساحة الفلسطينية تراوح بين السمات التي حكمت الوضع ، في منظمة التحرير ، منذ انضمام منظمات المقاومة لها . وان تغيير هذا الوضع يتطلب حدوث تغييرات اساسية في مجمل الوضع الفلسطيني والعربي وفي اساس تركيب المنظمات القائمة .

المعالجة الاولى للوحدة الوطنية في الظرف الراهن

ان معالجتنا للقوانين التي حكمت الوحدة الوطنية في الساحة الفلسطينية حتى الان ، بكل ما فيها من ايجابيات وسلبيات ، ترفض النظر اليها كمجرد اشكال اعتبارية ، او عرضية ، او تفسيرها تفسيرات ذاتية محضة ، وانما تجنح لرؤيتها كنتاج لوضع

محدد موضوعيا ، فلسطينيا وعربيا ، ومرتبطة بتركيبة كل المنظمات ذاتيا وتاريخيا . وهذا يقود الى عدم معالجة مسائل الوحدة الوطنية انطلاقا من امان غير ممكنة في التطبيق العملي في المرحلة الحالية وضمن الظروف المعطاة . وهنا يمكن ايجاز منطلقات المعالجة كما يلي :

١ - يجب الا نتوقع في المرحلة الحالية وضمن الظروف المعطاة ، قيام وحدة وطنية على اساس مبدأ المركزية الديمقراطية او ندفع بالامور تسرا بانجاهها . وان كان ذلك لا يمنع من ان نجعلها هدفا نحاول الاقتراب منه ، خاصة ، اذا تغيرت الظروف تغيرا أساسيا .

٢ - تغليب التناقض الرئيسي فوق كل اعتبار . اي ان نبقي موحدتين ضد العدو . ولا نسمح بأن تتسع الصراعات الداخلية الى حد يفيد منها العدو . وهذا يتطلب الانطلاق من نظرة شمولية الى الوضع ، اولا وقبل كل شيء . ويتطلب المحافظة على الاطار العام للتحالف الوطني القائم ، وضرورة شن النضال ضد الانقسام والافتتال الداخلي .

٣ - عند معالجة اي تناقض في صفوف منظمة التحرير علينا ان نحدد بالضبط هل هو تناقض في داخل صفوف الجبهة المتحدة ومن ثم يعالج على هذا الاساس ، ام هو من طراز التناقض بيننا وبين العدو ليعالج على اساس العداء والافتتال . ان هذه المسألة حاسمة في معالجة كل تناقض .

٤ - لا بد من المحافظة ، ومن قبل الجميع ، على مستوى عال من الديمقراطية ضمن حالة الوضع الفلسطيني الحالي كأساس للحيلولة دون الانقسام . وان كان مسن الضروري بذل الجهود المضيئة من أجل عدم الذهاب بهذه الديمقراطية الى مستوى المهاترة أو التحريض العدائي ، أو الصدامات المسلحة .

حقا ان ما تقدم لا يلبي مطامح الجماهير ولا مطامح الكوادر التي تريد ان تصل الى وحدة وطنية ارقى على كل المستويات ، ولكن ما تقدم يشكل افضل معالجة لمثل هذا الوضع المعطى ، ضمن الظروف الراهنة .

وهنا يمكن ان يبرز اعتراض يقول : كيف يمكن ان يحافظ على وحدة عريضة ولا يوجد اتفاق على خط سياسي او برنامج سياسي موحد ، او على التكتيكات السياسية المطلوبة في هذه المرحلة ؟

لا ريب في ان الجبهة العريضة التي تعمل باقصى طاقتها تتطلب وجود اتفاق على برنامج سياسي يمثل الحد الأدنى ، وعلى الخط السياسي التكتيكي . ولكن في تاريخ منظمة التحرير في فترة ما بعد ١٩٦٨/٧/١ لم يحدث مثل هذا الاتفاق او يتقيد به عمليا . ومع ذلك بقيت منظمة التحرير متماسكة ضمن وحدة عريضة . ويرجع سبب ذلك الى عدم الحسم في هذه المسألة وانما معالجتها بالحوار الدؤوب وبالنفس الطويل . اما طرحها طرحا حديا بمعنى الاتفاق التام على البرنامج والتكتيك او الافتراق التام ، فكان من شأنه ان يقود الى التمزيق لا الى التوحيد في حين كان النهج الاخر يقول : اذا لم يكن الشكل الارقى من الوحدة الوطنية ممكنا ، فان الشكل الذي طبق عمليا يظل افضل الف مرة من تدهور الوضع الى مستوى تمزيق الوحدة الوطنية ، وسلوك طريق الانقسام الحاد والصراعات العدائية . لان في هذه الحالة سيجد الاعداء مدخلا مناسباً لتوجيه الضربات للثورة الفلسطينية ، خاصة ، في الظروف الراهنة التي أصبحت فيها اوضاع العدو في حالة ازمة وتدهور سريع ، وكذلك اوضاع الامبريالية الامريكية ، ولا

منفذ لهما الاحداث الانقسامات في جبهتنا سواء في الساحة الفلسطينية ، او في الساحة العربية .

اذا كان الطموح هو تطوير الوحدة الوطنية : فعلى الاقل لا بد من المحافظة على هذا الحد الأدنى ضمن الظروف الحالية . واذا كانت هنالك مجموعة من الاختلافات حول قضايا عديدة تواجه الوضع الراهن فان ذلك ليس بالامر الرهيب ، وقد اعتادت عليه الساحة الفلسطينية ، بل يمكن اعتباره استمرارا « لتقاليدنا » . ولكنه سيصبح رهيبا اذا لم يحافظ على التقليد الاخر وهو ابقاء « شعرة معاوية » والاستمرار ضمن اطار منظمة التحرير . وذلك كنقطة انطلاق لاجاد نقاط اتفاق ، خاصة ، في مواجهة العدو ، وفي مواجهة ما يمكن ان تتعرض له الثورة الفلسطينية من مؤامرات امبريالية امريكية مرشحة لان تكون ، في هذه المرحلة التي حققت فيها الثورة سلسلة انتصارات ، اشد شراسة ومكرا من سابقتها . ويمكن ان نذكر هنا خطورة الانقسام الداخلي على تسهيل مؤامرة العدو الرامية الى البحث عن حكم محلي في الضفة الغربية وقطاع غزة متعاون مع الاحتلال . لان من الخطأ اعطاء الفرصة لتلك الاصوات التي قد تستغل صراعات المنظمات لتقول لجماهيرنا في الداخل انظروا ماذا يفعلون ببعضهم وخير لنا الابتعاد عن كل ذلك وتدبير امورنا بأنفسنا ! .

ان هذا ليس طرحا اخلاقيا وعظليا وانما هو صيغة عملية لمواجهة وضع محدد يحمل سمات محددة . وان تلك الصيغة تحمل في طياتها مصلحة لمجموعة منظمات المقاومة ومختلف فئات الشعب الفلسطيني الوطنية وان كانت الافادة من هذه الوحدة ستكون على مستويات متفاوتة وهو امر طبيعي . ويجب الاتساق وراء تلك النظرة التي تقول ان المستفيد من مثل هذه الوحدة هو قيادة حركة فتح . ومن ثم تعارض هذه الصيغة لكي لا تنفيذ منها قيادة حركة فتح . لانه اذا كان صحيحا ان قيادة فتح ستفيد منه الا ان من الصحيح ايضا ان مختلف القوى الاخرى في الساحة الفلسطينية ستفيد منه ايضا ، والاهم من هذا وذاك ، هو ما يعطيه من فائدة عامة للشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية والقضية الفلسطينية آتيا وعلى المدى البعيد ، وما سينجم عنه من اضرار بالعدو الصهيوني والامبريالية آتيا وفي المدى البعيد . ان هذه النظرة الكلية للوضع ستظل صحيحة ما دام باب الصراع مع العدو مفتوحا . وما دام الوجه الرئيسي للوضع هو اشتداد الصراعات الوطنية ضد الكيان الصهيوني والامبريالية .

الاجراءات الاسرائيلية لتهود القدس بين ١٩٦٥ و ١٩٧٥

روحي الخطيب

المؤامرات الاسرائيلية على القدس ما بين ١٩٦٥ و ١٩٧٥ ليست الا حلقة من سلسلة مؤامرات - عبر التاريخ - ضد القدس بصورة خاصة ، وضد فلسطين والاردن وسوريا ولبنان والعراق ومصر وقبرص بصورة عامة ، غايتها البعيدة المدى كانت ولا زالت احتلال جميع هذه الاقطار واقامة دولة يهودية عليها ، اسمها « اسرائيل الكبرى » وتكون عاصمتها مدينة القدس .

والقدس كما يريدونها هرتسل - واضع قواعد الصهيونية - هي كما يقول بكل بساطة : « اذا حصلنا يوما على القدس ، وكنت لا ازال حيا وقادرا على القيام بأي شيء فسوف ازيل كل شيء ليس مقدسا لدى اليهود فيها ، وسوف احرق الاثار التي مرت عليها قرونا » .

وفي حرب ١٩٤٨ ورغم الكميات الكبيرة من الاسلحة التي خلفها الانتداب البريطاني لليهود ورغم تسهيل رجال الانتداب لرجال المنظمات اليهودية باحتلال معظم قطاعات المدينة خارج الاسوار قبل رحيلهم نهائيا صباح ١٤/٥/١٩٤٨ ، رغم كل ذلك ، فقد استطاع اهل القدس المدينون وبالتعاون مع فئات قليلة من جيش الانتقاذ والجهاد المقدس الدفاع عن القليل الباقي من الاحياء العربية خارج السور والصمود امام الكماشة من القوى اليهودية من خارج السور وداخله ، حتى جاء الجيش العربي الاردني وتمكن بالتعاون مع الفئات العربية المحاربة من صد الهجوم اليهودي اولا ، ثم ارغموا الفئات اليهودية داخل السور على الاستسلام وقاموا بهجوم معاكس في صميم الاحياء اليهودية خارج السور ، وكادوا يسجلون انتصارا ساحقا ويرغمون القوات اليهودية المحاربة على الاستسلام لولا التآمر الانجليزي مرة اخرى من جهة ، والتآمر الدولي مرة اخرى من جهة ثانية ، وذلك بحيلولة البريطانيين الذين كانوا مسؤولين عن قيادة الجيش الاردني تمهين القوى الاردنية المتقدمة بالذخيرة مدعين نفاذها ، وباعلان الهدنة الاولى التي مكنت الاجهزة اليهودية من تعديل مواقفها بالمؤن للحاصرين من السكان وبالمحاربين وبالاعتدة وبالمزيد من السلاح من اوربا ومن الولايات المتحدة الاميركية ، الامر الذي رجح كفتهم ومكثهم من الثبات في المواقع التي تراجعوا اليها ثم دفعهم لتوجيه هجوم جديد ، وجاءت الهدنة الثانية في ١٥/٧/١٩٤٨ فاقفقت القتال واعقبها قرار مجلس الامن الدولي في ٤/١١/١٩٤٨ الذي قضى بسحب القوات واقامة خطوط هدنة دائمة ، وتلا ذلك اتفاقية جبل سكوبس بين الحكومة الاردنية الهاشمية والقوات الاسرائيلية ثم اتفاقيات رودس بين كل من مصر وسوريا ولبنان والاردن على انفراد مع حكومة اسرائيل ، وكان من نتيجة تلك الاتفاقيات المعقودة بينها وبين الاردن سلخ منطقة المثلث وقراه في قضاء طولكرم وضمها بسكانها لدولة العدو ،

كما كان من جرائها تكريس مأساة تقسيم القدس واحتفاظ حكومة العدو الاسرائيلي بما يقارب من ٨٠ ٪ من مساحتها .

المؤامرات الاسرائيلية ضد القدس بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧

والحديث عن مؤامرات اسرائيل ضد القدس ما بين ١٩٦٥ و ١٩٧٥ يفرض على المتحدث استعراض ولو بايجاز ، الاحداث التي سبقت ، الى ما بين ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٥ ، وهي الفترة التي استغلتها اسرائيل لتنفيذ مخططاتها لتحويل المدينة المقدسة الى مدينة يهودية تكون عاصمة لاسرائيل الكبرى ، واستطاعت خلالها وبمواصلة الدعم الاميركي من جهة ، وبالتعويضات المالية والعينية الالمانية الغربية السخية من جهة اخرى ، وبسكوت الامم المتحدة من جهة ثالثة ، استطاعت ان تنفذ عددا من الاجراءات ضد المدينة المقدسة سكانا وارضاً وعقارات وحضارة ومقدسات وتنظيمها ، كان أبرزها :

أولاً - اعلان القدس عاصمة لاسرائيل بتاريخ ١١/١٢/١٩٤٨ ونقل مقر حكومتها من تل أبيب اليها ، وتبع ذلك تغاضي الامم المتحدة وسكوتها ، ثم تقديم سفراء الولايات المتحدة وبريطانيا اوراق اعتمادهم لرئيس حكومتها فيها في شهر تشرين الاول ١٩٥٤ ، ثم نقل سفارات بعض دول اميركا اللاتينية اليها . كل هذه الاجراءات عززت التحدي الاسرائيلي لقرارات الامم المتحدة وشجعتها على الاسترسال في تنفيذ المزيد من المؤامرات :

ثانياً : اصدار سلطات الاحتلال الاسرائيلي بتاريخ ٣١/٢/١٩٥٠ قانوناً اسمه (قانون اموال الفئتين لسنة ١٩٥٠) خولت بموجبه لنفسها سلطة وضع اليد على جميع الاموال المنقولة وغير المنقولة التي كان يملكها اي مواطن عربي او فلسطيني كان يقطن المناطق المحتلة وغادرها بعد ٢٩/١١/١٩٤٧ ، بالنسبة لمواطني البلاد العربية وبعد ١/٩/١٩٤٨ بالنسبة للمواطن الفلسطيني . وبموجب هذا القانون وضعت سلطات اسرائيل ايديها على جميع الاملاك المنقولة وغير المنقولة التي كان يملكها جميع اللاجئين من عرب القدس وكانوا يبلغون آنذاك حوالي ستين الفا ، وتقدر العقارات والاراضي الخاصة بهم بحوالي ٨٠ ٪ من القسم المحتل آنذاك .

ثالثاً : اصرار سلطات الاحتلال الاسرائيلي على منع اللاجئين من حق العودة ، رغم القرار رقم (١٩٤) - فقرة (٣) الصادر عن الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة بتاريخ ١١/١٢/١٩٤٨ والذي يتضمن ثلاثة مبادئ ، هي :

١ - اعادة اللاجئين الى بلادهم . ب - ورد ممتلكاتهم اليهم . ج - او تعويضهم . هناك اكثر من مائة الف عربي من أهل القدس يعيشون خارج بلدهم وخارج فلسطين المحتلة ، سبعون الفا منهم كانوا ضحايا النكبة الاولى سنة ١٩٤٨ وحوالي اربعين الفا من مواليدهم منذ ١٩٤٨ ولغاية اليوم ، وهؤلاء جميعاً تحرمهم قوانين وانظمة الاحتلال الاسرائيلي من حرية العودة الى بلادهم ، بينما هي تسمح بالدخول السى فلسطين المحتلة والى القدس منها بالذات ، لاي يهودي من يهود العالم ومن اي قطر يكون اية جنسية يحمل .

رابعاً : فتح باب الهجرة اليهودية على مصراعيها الامر الذي رفع عدد سكان اليهود في القدس نفسها من حوالي مائة الف سنة ١٩٤٨ الى لا اقل من مائة وتسعين الفا في حزيران ١٩٦٧ وما يقارب (٢٥٠) الفا اليوم .

خامساً : نقل وزارة الخارجية والبرلمان - الكنيسة - الاسرائيلي بصفة مؤقتة

سنة ١٩٥٢ للقدس وبناء عمارة خاصة له وافتتاحها في ٣٠/٨/١٩٦٦ كعملية تعزيز للكيان الاسرائيلي في المدينة المقدسة وكجزء من مخطط لنقل جميع الوزارات والمصالح الحكومية لها فيما بعد وتكريسا للمدينة كعاصمة لاسرائيل ومواصلة لتحتدي قرار الامم المتحدة .

سادسا : الاعداد عسكريا لاحتلال القسم الباقي من القدس ، واذكر بالمناسبة ان احد تناصل الدول الاجنبية نقل الي في ربيع ١٩٦٦ ملاحظتين هامتين الاولى منها كانت خلاصة ما سمعه عن جلسة لبلدية القدس المحتلة آنذاك ومضمونه ان بعض اعضاء المجلس البلدي الاسرائيلي تقدم باقتراح لبناء دار جديدة لبلديتهم ، لكن رئيسهم ، وهو الحالي ، ويدعى تيدي كوليك — وهو صهر الرئيس الاسرائيلي المتوفي دافيد بن غوريون — عارض الاقتراح وقال لاصحاب الاقتراح (نؤجل الموضوع قليلا حتى نحتل القسم الثاني من القدس ، وعندها نشيد دارا لائقة لعاصمة اسرائيل) . والملاحظة الثانية ، تقول انه (اي القنصل الاجنبي) كان يرى جموع طلبة المدارس الاسرائيلية تتقاد السى الحد الفاصل لشقي القدس وتلقن تاريخ اسرائيل من وراء الاسلاك الشائكة يتوخون من ورائها اثاره عواطفهم ودفعهم لبذل التضحيات في سبيل استرداد القسم الباقي من القدس وفلسطين واسرائيل الكبرى . واذكر اني تممت بنقل هاتين الملاحظتين في حينها للمسؤولين بالقدس ، كما اذكر انني سمعت منهم ان قواتنا لهم بالمرصاد .

الاجراءات الاسرائيلية ضد القدس ما بين ١٩٦٧ — ١٩٧٤

لقد كان احتلال اسرائيل للقسم الثاني من القدس حلم الاجيال اليهودية ، ولم يكد يتم صباح ٦/٧/١٩٦٧ ، حتى بدا عرب القدس يفاجأون بما اعد لهم ولبلديتهم من مؤامرات ومآس استهدفت ولا تزال تصفيتهم تدريجيا ، ومصادرة اراضيهم وعقاراتهم وطمس حضارة اجدادهم والاعتداء على مقدساتهم واذابة اقتصادهم وتغيير معالم البناء التي اشتهرت بها مدينتهم واستبدال كل ذلك بالانسان الاسرائيلي والملكية والحضارة والمقدسات والتنظيم الاسرائيلي وبالاختصار تهويد المدينة بأقصى ما يمكن من السرعة متحدين بذلك جميع الموثيق الانسانية ، غير عابئين بالشكاوى العربية او بالقرارات الدولية ولسان وقلب كل فرد منهم وكل هيئة بينهم دينيا كان او علمانيا او عسكريا يردد قول هرتسل : « اذا حصلنا يوما على القدس وكنت لا ازال حيا وقادرا على القيام بأي شيء ، فسوف ازيل كل شيء ليس مقدسا لدى اليهود فيها ، وسوف احرق الآثار التي مرت عليها قرونا » وكان أبرز ما كشفوه ونفذوه من هذه المؤامرات خلال السبع سنوات الماضية ما يلي :

اولا : استعمال الارهاب كوسيلة لطرد السكان — لجأت القوات الاسرائيلية في اليوم الاول من الحرب والايام التي تلتها وبرغم انسحاب القوات العربية منذ اليوم الثاني من القتال ، الى امطار المدينة وسكانها ، خارج السور ودخله بوابل من القصف المتواصل بالقنابل المحرقة جوا وارضا ، وبموجات من رصاص الرشاشات ، مما ادى الى استشهد حوالي (٣٠٠) مدني كان من بينهم عائلات بكاملها داخل منازلهم وبعضهم بالطرقات والازقة ، اثناء فرغهم وهروبهم من جحيم النيران المسلطة عليهم . وقد دمرت القنابل واحرقت مئات من العقارات السكنية والتجارية خارج السور ودخله ، والحقت اضرارا فادحة بعدد من الكنائس والمساجد والمستشفيات ومن بينها كنيسة القديسة حنة داخل السور (وكانت تعج بأكثر من ثلاثماية من اللاجئين الوافدين اليها من خارج السور) وكنيسة كلية شهيدت خارج باب العمود ، والواجهة الامامية للمسجد الأقصى ومئذنة باب الرحمة ومستشفى أوغستا فكتوريا على جبل الزيتون

(وكان مكتظا بالجرحي والمرضى) . ولقد تسببت هذه الموجات من الجرائم والارهاب الوحشي انذاك بنزوح حوالي خمسة الاف من السكان المدنيين معظمهم من اللاجئين سابقا .

ثانيا : استعمال النسف والهدم كوسيلة ثانية لطرد أعداد اخرى من السكان : وكان الاجراء الثاني ، سلسلة من اعمال الهدم والنفس لاملاك عربية داخل السور وخارجه ، بدأت في ١١/٦/١٩٦٧ ، أي بعد اربعة ايام من الاحتلال وفي أقل من اسبوع ازيل من الوجود العربي في المدينة ما يلي : ١٣٥ دارا للسكن في حي المغاربة الملاصق للمسجد الأقصى يسكنها ٦٥٠ شخصا ، مسجدا أحدهما مسجد البراق الشريف والآخر ملاصق له ، مصنع للبلاستيك قرب حي الارمن داخل السور يعمل فيه مائتي عاملة وعامل عربي ، مائتي منزل ومخزن في المناطق الحرام . وكان من نتيجة عمليات الهدم والنفس الاولى هذه ، تشريد ما يقارب من الف عربي آخر من أهل القدس وسكانها .

ثالثا : ضم القدس اداريا وسياسيا لاسرائيل : وبتاريخ ٢٧/٦/١٩٦٧ ، وخلال اليومين التاليين ، أصدرت سلطات اسرائيل المحتلة ، ببرلمانها وحكومتها وقوات دفاعها ، ثلاثة قرارات استهدفت بالتتابع تهويد السيادة والادارة والبلدية (الامانة) العربية .

في ٢٧/٦/١٩٦٧ ، اصدر البرلمان الاسرائيلي ، قرارا على شكل اضافة فقرة الى قانون اسرائيلي اسمه (قانون الادارة والنظام لسنة ١٩٤٨) وقد حولت تلك الفقرة حكومة اسرائيل تطبيق ذلك القانون على أية مساحة من الارض ترى حكومة اسرائيل ضمها الى أرض اسرائيل .

وبتاريخ ٢٨/٦/١٩٦٧ اصدر سكرتير حكومة اسرائيل ، امرا ، اطلق عليه (امر القانون والنظام رقم واحد لسنة ١٩٦٧) اعلن فيه أن مساحة أرض اسرائيل المشمولة في الجدول الملحق بالامر ، هي خاضعة لقانون قضاء وادارة الدولة الاسرائيلية . ويضم هذا الجدول منطقة تنظيم امانة مدينة القدس اي بلدية القدس ، التي تقع تحت الحكم الاردني العربي وهي تقع ما بين المطار وقرية قلنديا شمالا ، وبيت حنينا غربا ، وقرى صور باهر وبيت صفافا جنوبا ، وقرى الطور والعيزريه وعناتا والرام شرقا ، ويقطنها حوالي المائة الف من السكان العرب . أصبحوا بموجب هذا الامر وبدون موافقتهم أصبحوا خاضعين وتابعين للقانون وللسيادة الاسرائيلية مباشرة .

وبتاريخ ٢٩/٦/١٩٦٧ ، اصدر جيش الدفاع الاسرائيلي ، امرا يقضي بحل مجلس امانة القدس اي بلدية القدس العربي المنتخب من سكان القدس ، وبطرد أمين القدس (أي رئيس بلديتها) من عمله وبالحاق موظفي وعمال امانة القدس ببلدية القسم المحتل من المدينة . وقد نفذت السلطات العسكرية الاسرائيلية المحتلة هذه القرارات والوامر بشدة ، فاستولت على جميع ممتلكات واجهزة وسجلات الحكومة الاردنية ودوائرها ومحاكمها واستولت كذلك على جميع ممتلكات واجهزة واثاث وسجلات امانة القدس العربية والحققتها بدوائرها ومحاكمها وبلديتها الاسرائيلية ، ثم ألغت جميع القوانين والانظمة الاردنية واستعاضت عنها بالقوانين والانظمة الاسرائيلية وفرضت بالقوة جهازا عسكريا اسرائيليا ، واخضعت جميع السكان العرب لحكمه وجبروته .

رابعا : تهويد الاقتصاد العربي : ولاحكام عملية الضم الاداري والسياسي ، أقامت سلطات الاحتلال الاسرائيلي ومنذ الايام الاولى لاحتلال المدينة ، عددا من مراكز الحدود الجمركية على الطرق والمنافذ التي تربط القدس بالمدن والقرى العربية

الملاصقة والمجاورة ، واعتبرت القدس منطقة اجنبية بالنسبة لهذه المدن والقرى ، اقتضى في بادىء الامر الحصول على تصريح عسكري للداخل اليها او الخارج منها ، ثم الغي فيما بعد ، ثم اتبعت ذلك بسلسلة من الاجراءات التي تهدف الى تصفية الاقتصاد العربي واذابته تدريجيا في بوتقة الاقتصاد الاسرائيلي ، فأغلقت البنوك العربية القائمة ، وهي : العربي ، والقاهرة - عمان ، والعقاري ، والاردن ، والاهلي ، وانترا ، وصادرت اموالها كما اغلقت لفترة معينة البنوك الغربية الاخرين العثماني والبريطاني ، واستبدلت العملة الاردنية بالعملة الاسرائيلية ومنعت ادخال اي انتاج زراعي او صناعي او أية سلعة من القرى والمدن العربية المحيطة بالقدس ، والضفة الغربية ، الى اسواق القدس بينما اباحت في الوقت نفسه ادخال جميع أنواع البضائع والمنتجات الاسرائيلية اليها .

ولقد ادى هذا المنع ، الى حرمان سكان القدس العرب من استهلاك الانتاج العربي ، حتى ولو كان هذا الانتاج من مزارعهم او مصانعهم الخاصة واضطرارهم الى شراء حاجياتهم الضرورية من السلع الاسرائيلية والانتاج الاسرائيلي ، وفتح باب التعامل الاجباري بين بعض التجار العرب وبين بعض التجار الاسرائيليين ، كما حرم المنتج العربي المجاور من اسواق كانت تستهدف قسماً كبيراً من انتاجه . وادى هذا الحرمان الى تقليص بعض هذا الانتاج وبالتالي تخفيض الايدي العاملة فيه واضافتها اما الى طائفة العاطلين عن العمل او التحاق بعضهم امام ضغط الحياة للعمل لدى السلطات المحتلة او احدى مؤسساتها او اماكن العمل فيها .

وشجع هذا المنع ، فريحا من المنتجين الزراعيين والصناعيين في الضفة الغربية لمراجعة السلطات المحتلة لتسهيل نقل انتاجهم او بعضه الى أسواق الضفة الشرقية من الاردن ، وكأما جرى ذلك ضمن تخطيط اسرائيلي واسع يقصد به التفريغ الجزئي عن هذا الانتاج مقابل تثبيت المنع عن القدس ومقابل تأكيد فصلها عن الضفة الغربية واكراه المواطنين من جهة والجانب الاردني من جهة اخرى على استنساغة هذه الاجراءات وقبول الامر الواقع .

خامسا : اجراء احصاء لسكان القدس بعد الاحتلال ومصادرة املاك الغائبين منهم :
وفي ١٩٦٧/٧/٢٥ اجرت سلطات الاحتلال الاسرائيلي احصاء عاما لسكان القدس سجلت بموجبه اسماء جميع الموجودين فيها من مواطنين واجبرتهم خلال ثلاثة اشهر ، على الحصول على بطاقات هوية اسرائيلية (وهذه الهويات لا تفرض على حاملها الجنسية الاسرائيلية) . واعتبرت جميع ابناء القدس الغائبين بحكم العمل او طلب العلم او الزيارة او النازحين بسبب الحرب ، اعتبرتهم جميعا غائبين وحرمتهم من حق العودة لبلدهم .

وبعد اكتمال عمليتي ضم القدس واجراء الاحصاء السكاني فيها سارعت سلطات الاحتلال الاسرائيلي الى تطبيق قانون اموال الغائبين على جميع الغائبين العرب عن القسم المحتل الجديد ، وفتحت مكاتب حكومية بالقدس وباشرت بتسجيل جميع الاموال المنقولة وغير المنقولة التي تخص اولئك الغائبين . وكنتيجة لهذه الاجراءات وضعت سلطات الاحتلال الاسرائيلي ايديها على مساحات واسعة مما تبقى لعرب القدس من اراض وعلى قسم كبير مما تبقى من عقارات ، كما حجزت وما زالت تحجز ما يصل الى علمها من اموال منقولة وأسهم شركات تخص اولئك الغائبين ، وتحول الجميع الى املاك يهودية او واقعة تحت تصرف اسرائيل ، لتهودها تدريجيا ، كما فعلت باملاك العرب الذين طردوا او كانوا غائبين في المناطق الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٤٨ .

سادسا : نهب ومصادرة اموال المقيمين : وكجزء من المخطط الاسرائيلي لتهويد القدس ، فان سلطاتها لم تكف بما وضعت ايديها عليه من اراضي وعقارات الغائبين سنة ١٩٤٨ اولا ، وما تلاها بعد حرب سنة ١٩٦٧ ثانيا ، وتشكلان معا حوالي ٨٤٪ من اموال عرب القدس حتى سارعت لاغتصاب ما تبقى من اراض واملاك ، قطعة بعد قطعة ، مستندة في كل عملية منها الى ثنائون من القوانين التي وضعتها هي او التي وضعتها حكومة الانتداب قبلها ، وكلها غير شرعية ومخالفة للقوانين والقرارات الدولية وليثاق حقوق الانسان ، واستنادا الى قانون وضعتته حكومة الانتداب سنة ١٩٤٣ اسمه (قانون الاراضي - استملاك للمصلحة العامة - لسنة ١٩٤٣) بدأت سلطات الاحتلال منذ ١٩٦٨ باغتصاب مساحات كبيرة من الاراضي واعداد كبيرة من العقارات العربية بحجة لزومها للغايات او للخدمات العامة في المدينة . والغايات العامة ، كما يفسرها القانون الذي استندوا اليه ، هي ما كانت ستستعمل لخدمات السكان كالمستشفيات والمدارس والملاعب والحدائق العامة وخزانات المياه وغيرها ، وهذه لا تكون مساحتها في بلد مثل القدس او ما حولها لتزيد عن بضعة مئات من الدونمات على اكثر تقدير وليست بالالاف كما نهبت واغتصبت وما زالت تنهب وتغتصب ولغايات الاستيطان واستنادا الى هذا القانون وتلك الغايات ، قامت خلال سنوات ١٩٦٨ و١٩٧٤ بعمليات النهب التالية :

أ - في سنة ١٩٦٨ صادرت ما يقارب من اربعة آلاف دونم خارج اسواق القدس و(٥٩٥) عقارا تضم ١٠٤٨ شقة سكن ٤٣٧ مخزن ومكان عمل وأربع مدارس وزاويتين اسلاميتين ومواقع مسجدين بعد هدمها ، وكلها تقع داخل السور وتشكل بمجموعها اربعة احياء عربية هي - القسم الجنوبي من باب السلسلة وحي المغاربة وحي الشرف وسوقى الباشورة والحصر .

ب - في سنة ١٩٧٠ صادرت حوالي اثني عشر الف دونم ، قسم منها يقع في اراضي القدس والباقي وهو الاكبر انتزع من عشر قرى عربية تحيط بالقدس وهي قرى الرام وقلنديا وبيت حنينا شمالا ، والنبي صموئيل وبيت اكسا غربا ، وقرى بيت صفافا والشرفه وصور باهر جنوبا وازالوا ما عليها من مساكن عربية وشردوا أهلها .

ج - وفي سنة ١٩٧٢ صادرت خمسة الاف دونم من اراضي قرى عناتا والعيزرية وتقع شرقي القدس .

د - وها هي تعلن انها وضعت اليد مؤخرا ، على سبعين الف دونم من اراضي الخان الاحمر الواقعة ما بين القدس واريحا شرقا لينشئوا عليها مدينة صناعية .

وهم في كل عملية نهب للاراضي العربية ، يختار الاسرائيليون المحتلون المواقع التي تخدم استراتيجيتهم بحيث جاءت مواقع الاراضي المصادرة ، مطوقة لمن تبقى من عرب القدس وقراها غربا وشمالا وشرقا وجنوبا ، وجعلوهم محصورين ضمن رقعة صغيرة يطوقها السكان الاسرائيليون بثلاثة اطواق ، الاول يطوق منطقة الحرم الشريف ، والثاني يطوق من تبقى من عرب القدس والثالث يطوق القرى العربية المحيطة بالقدس ، الامر الذي يهدد الوجود العربي بالتخلص وبالتصفية .

سابعا : الحفريات كوسيلة لتصديع وهدم العقارات العربية فوقها او الجاورة لها داخل السور : وبحجة الكشف على التاريخ اليهودي وهيكل سليمان بالقدس ، بدأت سلطات الاحتلال الاسرائيلي حفريات في اماكن متعددة من داخل الاحياء العربية المصادرة داخل السور والمناطق الملاصقة للحايطين الجنوبي والغربي من الحرم الشريف ؛

وأتخذت من هذه الحفريات وسيلة لتصديق ما فوقها من ابنية سكنية وتجارية ودينية وحضارية ، والتسبب في انهيارها ثم هدمها واجلاء سكانها .

وقد استطاعت خلال السنوات السبع الماضية من التغفلل مسافة ٢٣٠ مترا أسفل العقارات الوقفية الاسلامية الملاصقة للحائط الغربي للحرم الشريف وبعمق ما بين (٩ - ١٠) امتار وبعرض ستة امتار. وقد تسببت في تصدع الزاوية الفخرية (مقر مفتي الشافعية) ، واربعه عشر عقارا ملاصقا لها وتلاصق المسجد الاقصى من الغرب ثم هدمها في حزيران ١٩٦٩ ، كما صدعت زاوية اخرى تسمى رباط الكرد ومدرسة قديمة اسمها المدرسة الجوهريه سنة ١٩٧٢ و ١٩٧٤ ، وكلا العقارين يقع في منتصف العقارات الملاصقة للحائط الغربي للحرم الشريف ، ويهدد انهيارها بتصديق وانهار ما يقرب من ثلاثماية عقار ملاصقة ومجاورة ومن بينها اربع جوامع واقدم سوق عربي في القدس يسمى سوق القطانين ومئذنة قاييتاي - اكبر مئذنة في الحرم - ويسكن في هذه المجموعة من العقارات حوالي ثلاثة آلاف عربي مهددون ، اذا استمرت الحفريات بالجلء وبالتشرد وهو ما تهدف اليه سلطات الاحتلال الاسرائيلي .

وتوغلت الحفريات الجنوبية في اختراق الحائط الجنوبي للحرم الشريف والاروقة السفلية للمسجد الاقصى المبارك في اربعة مواقع ، الاول أسفل محراب المسجد الاقصى المبارك والثاني أسفل جامع عمر - الجناح الجنوبي الشرقي للمسجد الاقصى والثالث تحت الابواب الثلاثة للاروقة الملاصقة للمسجد الاقصى وهنا توغلت عشرين مترا في داخل الحرم ، والرابع تحت الاروقة الجنوبية الشرقية للمسجد الاقصى ، واصبحت هذه الحفريات كما يقول المهندسون التابعون للوقف الاسلامي والمشرفون على اعمار المسجد الاقصى ، أصبحت تهدد المسجد الاقصى وسور الحرم الجنوبي بالتصدع والانهار .

لم يخف زعماء اسرائيل هدمهم من هذه الحفريات ، فقد سبق ان كشف وزير الاديان الاسرائيلي السابق في ٢٧/١٠/١٩٧٠ بحديث لمراسل جريدة يديعوت أحرونوت الاسرائيلية اليومية ونشرته في عددها الصادر بتاريخ ٢٨/١٠/١٩٧٠ جاء فيه ما يلي : « ان وزارة الاديان الاسرائيلية تسعى بواسطة عمليات الحفريات التي تجريها للكشف الكامل عن حائط المبكى ، بهدف اعادة هذه الدرّة الثمينة الى سابق عهدها » . وأضاف « ان هذه العمليات هي عمليات تاريخية ومقدسة تهدف للكشف عن الحائط وهدم وازالة الجاني الملاصقة له رغم العراقيل التي كانت تقف في الطريق » .

كما نقلت جريدة دافار الاسرائيلية اليومية الاخرى في عددها الصادر بتاريخ ٢/٨/١٩٧١ حديثا للجنرال دايمان - وزير الدفاع الاسرائيلي السابق جاء فيه : « يجب العمل على كشف واعادة ترميم كافة ما يتعلق بايالم الهيكل الثاني . وفضل ان ارى السور كما كان في عهد الهيكل الثاني ، ويمكن تصوير بقية الاثار ونخليدها وازالتها لانها تخفي وتمنع عنا رؤية الصورة كاملة كما كانت في حينها » .

لقد اثارته هذه الحفريات علماء الاثار الاجانب وفي مقدمتهم الدكتور كاتلين كنيون ، رئيسة مدرسة الاثار البريطانية في القدس واستاذة علم الاثار في جامعة اكسفورد فكتبت رسالة نشرت في جريدة التايمس اللندنية بتاريخ ١٧/٨/١٩٧٢ قالت فيها ما يلي : « في حزيران ١٩٧٢ كتب في عدة صحف ان السلطات الاسرائيلية الدينية قامت بحفريات بجانب السور الغربي للحرم الشريف بالقدس ، ولقد عدت لتوي من القدس واستطيع التاكيد بأن التقارير لم تتبالغ بما كتب .

وهناك اشاعات بأن الحفريات ستستمر على طول سور الحرم حيث تنتشر أروع الابنية الاسلامية التي بنيت في القرون الوسطى . ان ائتلاف مثل هذه الابنية يعتبر جريمة كبرى . ولا يعقل ان يتم تشويه الآثار القديمة بمثل هذه الحفريات في عام ١٩٧٢ . كانت الحفريات في عام ١٩٦٠ الطريقة الوحيدة لاكتشاف القدس ، والان يعتبر هذا النوع من الحفريات اسلوبا باليا في بلد يضم نخبة من علماء الآثار . **على الرأي العام العالمي تقديم كل دعم لاييقاف مثل هذه الاعمال البربرية** .

ومؤخراً أدانت منظمة اليونسكو بشدة استهترار سلطات الاحتلال الاسرائيلي على استهترارها لهذه الحفريات وطالبتها بالتوقف عنها فوراً ، وقررت كعقوبة ايقاف جميع مساعداتها الثقافية والفنية والمالية . وكان جواب اسرائيل على هذه الادانة ، تصريحات متلاحقة من حكومتها وزعمائها تعلن تصميمهم على استمرار الحفريات ، كما سارعت الولايات المتحدة باظهار عدم رضاها من هذه الادانة واتخاذ قرار بوقف مساعدتها المالية لليونسكو وتقدر بستة عشر مليوناً من الدولارات ، وسيزيد مثل هذا الموقف المستنكر ، اندفاع اسرائيل واسترسالها لاستكمال اعتداءاتها الاجرامية ضد الحضارة العربية وضد سكان القدس العرب وضد المقدسات الاسلامية .

ثامناً : اجلاء السكان العرب عن الاراضي والعقارات المصادرة بالقوة : وهذا فصل آخر من مؤامرات السلطات الاسرائيلية ضد القدس واهلها وسكانها العرب يكشف عن ناحية من مأساة اهلنا وما يتعرضون له من اجلاء عن مساكنهم وامكن عملهم تهويداً لاجلائهم عن مدينتهم ، خلافاً للمادة (٤٩) من اتفاقية جنيف بشأن حماية المدنيين وقت الحرب المؤرخة ١٩٤٩/٨/١٢ وتحديداً لقرارات هيئة الامم ومجلس الامن الدولي المتعاقبة حول مدينة القدس .

فقد بادرت سلطات الاحتلال في اعقاب اصدارها لوامر المصادرة واستيلاء للاراضي وللعقارات العربية ، بادرت باصدار اذاعات تدعوهم بموجبها للتفاوض على تعويض لما يملكون ، كما كانت في نفس الوقت ترسل اذاعات اخرى لسكان تلك العقارات او العاملين فيها او الذين يستغلونها — ان كانت اراضي — تطلب منهم التفاوض على الاخلاء خلال مدة معينة ، وكانت في الحالتين ، تنذر الفريقين باتخاذ الاجراءات القانونية في حالة التخلف .

ولقد عارض المهذبون بالاخلاء من عرب القدس كما عارض اصحاب العقارات ومعظمهم من سلالات عرب القدس لاجيال تمتد بعضها لثمانية قرون وبعضها لاكثر من اثني عشر قرناً ، عارضوا هذه الاجراءات ورفضوا التخلي عن املاكهم او مساكنهم او محلات عملهم او الاراضي التي يعيشون من زراعتها وارسلوا للسلطات المحتلة بمذكرات خطية استنكروا فيها هذه الاجراءات واعلنوا عن معارضتهم لها ، كما ارسلوا نسخاً منها في حينها للهيئات الدولية ، واعلنوا ان هذه العقارات والاراضي ، هي جزء من وطنهم ، وان التفریط فيه خيانة ، وانهم يرفضون أية مساومة كما يرفضون التخلية .

ولقد رفعت الحكومة الاردنية الشكوى تلو الشكوى في المحافل الدولية ضد هذه الاعتداءات وصدر عن مجلس الامن الدولي القرار تلو القرار وكلها تعتبر هذه الاجراءات باطلة وغير قانونية وتطالب سلطات الاحتلال الاسرائيلية بالغاءها والتوقف عن الاستمرار بها .

ورغم كل ذلك ، فقد واصلت تلك السلطات اخلاء هذه العقارات والاراضي بالقوة ، وتمكنت حتى اليوم من اجلاء ما يقارب من خمسة الاف عربي من مساكنهم وامكن عملهم داخل الاسوار ، وما يقرب من الف من السكان خارج الأسواق ، وحرمت لا اقل من

ألف آخر من العمل في عمليات الزراعة في الاراضي المصادرة خارج الاسوار ويعيلون لا أقل من خمسة الاف شخص ، وهي بالإضافة الى ذلك جادة ، كما نشرت صحف القدس مؤخرًا ، في ملاحقة الباقين منهم ويقدرون بحوالي الالف بالجلاء وبالتشرد .

ولم تقف هذه السلطات المغتصبة عند هذا الحد ، فقد كشفت لنا صحفهم مؤخرًا عن مؤامرة جديدة تستهدف اجلاء حوالي ثمانية عشر الفا من سكان الاحياء العربية داخل أسوار المدينة وخاصة الملاصقة والمجاورة لمنطقة الحرم الشريف من الجهتين الغربية والشمالية ، فقد أوردت جريدة دافار الاسرائيلية اليومية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٤/٦/٢٥ تفاصيل هذه المؤامرة التي تقرر تنفيذها هذا العام وتتضمن ما يلي :

(أ) القيام بحملة اعلامية محلية وخارجية تزعم ان المستوى الصحي للعقارات العربية الواقعة في احياء الواد والسعديه وباب حطه والقرمي ، هي دون المستوى الصحي المطلوب وان معظم العقارات القائمة فيها هي بحالة غير صالحة للسكن .

(ب) توجيه انذارات من بلدية الاحتلال لسكان هذه الاحياء ويقدرون بثمانية عشر الفا ، لتخليه أماكن سكنهم وعملهم من هذه الاحياء .

(ج) بناء ٧٥٠ وحدة سكن على بعض الاراضي المصادرة شرقي قرية العيزرية ونقلهم اليها .

(د) وقد باشرت بلدية الاحتلال الاسرائيلية بتنفيذ هذه المؤامرة وذلك بإرسالها انذارات لقبس من سكان حي القرمي ، يبلغ عددهم حوالي (٣٠٠) تنذرهم فيها باخلاء مساكنهم خلال مدة محددة وان لم يستجيبوا فستنقلهم بالقوة كما فعلت مع الالف السابقين من اخوانهم .

ان عقارات هذه الاحياء العربية التي تضلل اجهزة السلطة المحتلة الاسرائيلية بعدم لياقتها السكنية والصحية ، هي بعكس ما يدعون ، فجميعها متصلة بالمجاري العامة ، والغالبية الكبرى منها مزودة بالمياه والكهرباء ، وفي كل منها أكثر من مرحاض وحمام ، وأكثر من ٨٠٪ منها جرت عليه صيانات وهو بحالة جيدة وحوالي ١٠٪ أعيد بناؤه والقليل القليل ربما يحتاج الى بعض الصيانة ، وليس الهدم ، وليس هدم الكل كما يريد يعقوب وآل يعقوب ، فكل عقار من هذه العقارات ، هو جزء من التاريخ العربي والاسلامي من المدينة المقدسة ، وهي جزء من أروع الابنية الاسلامية التي بنيت في القرون الوسطى ، وان ائتلاف مثل هذه الابنية يعتبر جريمة كبرى — كما وصفتها الدكتورة كاترين كنيون ، استاذة علم الآثار في جامعة اوكسفورد ورئيسة مدرسة الآثار البريطانية في القدس في رسالة لها نشرت في جريدة التايمس اللندنية بتاريخ ١٩٧٢/٨/١٧ والتي اشترت اليها سابقًا .

تاسعا : الاستيطان الاسرائيلي على الاراضي والاحياء العربية المصادرة في القدس وما حولها : « تهدف الى جعل القدس مدينة يهودية » وهذا ما أعلنه وزير الاسكان الاسرائيلي في مؤتمر صحفي عقده في القدس يوم ١٩٧١/٢/١٥ وكشف فيه النقاب عن مؤامرة الاستيطان التي باثروها منذ ١٩٦٨ خارج اسوار القدس وداخلها وما حولها وتستهدف بناء (٣٥) وحدة سكن وتتسع لاسكان (١٢٢) الف اسرائيلي جديد كمرحلة اولى .

ولقد نفذت سلطات اسرائيل رغم الاحتجاجات والشكاوى العربية المتواصلة ورغم القرارات الدولية المتعاقبة بادانة اسرائيل ومطالبتها بالتوقف ، نفذت سلطات اسرائيل

هذا البرنامج خلال السنوات الست الماضية، وتم لها انشاء ستة عشر حيا او مستعمرة جديدة على انقاض ما هدم من احياء وقرى عربية ، وعلى ما صدر او اغتصب من اراض عربية داخل اسوار المدينة وخارجها وحول المنطقة التنظيمية منها ، مطوقة من تبقى من عرب القدس ضمن قلاع من الابنية السكنية والصناعية والعسكرية وحصرهم في منطقة ضيقة ، مهددون باستمرار في امنهم وما تبقى من مصادر رزقهم وممتلكاتهم ومقدساتهم .

وتضم هذه الاحياء منطقتين صناعيتين ، وواحدة عسكرية ، واخرى جامعية واثنى عشر وحدة سكنية منها واحدة داخل السور فوق انقاض اربعة احياء عربية اعدت لتضم خمسة آلاف اسرائيلي كبديل للستة الاف عربي الذين كانوا يسكنونها .

ومؤخرا نقلت لنا جريدة الشعب التي تصدر بالقدس في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٤/١١/٢٢ مخططا لمؤامرة استيطانية اسرائيلية جديدة ، منقولة عن جريدة جروسالم بوست الاسرائيلية ، كشفت لنا فيه النقباب عن مشروع بناء وامكان تكميلي للستة عشر حيا السابقة - يستهدف انشاء مساكن لاستيعاب اربعين الف اسرائيلي آخرين ، ضمن عدد من الاحياء يراعى في انشائها ان تسد الاطواق من الابنية القلاعية السكنية التي تم بناؤها ، كما يستهدف بناء مدينة صناعية في الخان الاحمر ، تتسع لاسكان مائة الف من العمال وعائلاتهم .

عاشرا : **تهويد القضاء النظامي والاسلامي** : على اثر الاحتلال الاسرائيلي للقدس في ١٩٦٧/٦/٧ ، اغلقت سلطات الاحتلال الاسرائيلي جميع المحاكم النظامية في المدينة ، واتخذت الاجراءات التهودية التالية : (أ) نقلت مقر محكمة الاستئناف العليا من القدس الى مدينة رام الله ، (ب) ادمجت محاكم البداية والصلح في القدس بالمحاكم الاسرائيلية المماثلة والقائمة بالطرف المحتل سابقا من المدينة ، ونقلت اليها جميع سجلاتها واثاتها ، (ج) طلبت من القضاة والموظفين العرب تقديم طلبات للالتحاق بوزارة العدل الاسرائيلية ، (د) فصلت القضاء النظامي القائم بالقدس عن شؤون الضفة الغربية والحقته كلياً بالقضاء الاسرائيلي .

اعتبر الجهاز القضائي العربي هذه الاجراءات تأكيدا لتهويد القدس ، فرفضها رجال الجهاز وامتنع عن التعامل والعمل مع سلطات الاحتلال (باستثناء اربعة) وما زالت الغالبية العظمى منهم ممتنعة عن مثل هذا التعاون ، مجمدة نفسها ، كل في منطقته ، حتى كتابة هذه المذكرة .

وقد شارك المحامون في القدس وفي الضفة الغربية ، والاسرة القضائية العربية برفض التعاون ورفض الظهور امام المحاكم الاسرائيلية ، النظامية منها والعسكرية معلنين تضامنهم مع اخوانهم القضاة العرب في رفض الاعتراف بضم القدس لاسرائيل ، وفصل قضائها عن قضاء الضفة الغربية ، وأكدوا هذا الرفض في عدد من المذكرات والوثائق رفعت للمقامات الدولية والسلطات المحتلة نفسها ، وما زالوا حتى اليوم يمتنعون عن الظهور والترافع امام المحاكم الاسرائيلية .

أما المحاكم الشرعية الاسلامية ، فقد تغاضت سلطات الاحتلال في بادئ الامر عن اغلاقها ، وحاولت استمالة قضاتها وموظفيها تحت عوايل الاغراء اولا ، ثم الضغوط والتهديد فيما بعد ، للالتحاق بأجهزتها . ولما لم تنجح في ذلك ، بادرت الى نفي رئيس المحكمة الشرعية الاسلامية ، سماحة الشيخ عبد الحميد السائح من القدس لعمان مؤملة من وراء ذلك اخضاع الباقين من رجال القضاء والشرع الاسلامي الى ادارتها .

استمر قضاء الشرع الاسلامي في القدس في رفض التعاون مع السلطات المحتلة وتضامن معهم جميع قضاة الشرع ، وأجهزة المحاكم الشرعية ، ودوائر الاوقاف في الضفة الغربية ، وما زالوا جميعا متمسكين بهذا الرفض حتى كتابة هذه المذكرة .

وكان من نتيجة هذا الموقف ، ان اوعزت سلطات الاحتلال الى اجهزة الاحتلال بعدم تنفيذ أي حكم او قرار للمحاكم الاسلامية ، كما تجاهلت كليا أية شكاية ترفعها اليها دوائر الاوقاف او رئيس الهيئة الاسلامية التي تألفت بعد الاحتلال في القدس لترعى شؤون المسلمين في الضفة الغربية بما فيها القدس . وقد شمل هذا التجاهل لقرارات وأعمال المحاكم الاسلامية عدم الاعتراف بشهادات الزواج والطلاق والارث والوصاية والموقف وغيرها مما له علاقة يومية بالاحوال الشخصية للسكان ، بما في ذلك أية ولادة جديدة تنشأ عن زواج جديد الامر الذي خلق التعقيدات المتتالية للقضاة الشرعيين وللأوقاف وللسكان المسلمين . ورغم كل هذه المتاعب ، فقد تحمل الجميع ما كتب عليهم بصبر وهدوء ألقنا السلطات المحتلة واضطراها مؤخرا الى اتخاذ اجراء معاكس تأمل من ورائه خلق جو من البلبلة والانقسام بين المسلمين ، وذلك بتعيينها قاضيا شرعيا ليانفا على ان يكون مسؤولا ايضا عن القضاء الاسلامي في القدس ، والطلب من السكان مراجعته واعتماده في كل ما يتعلق بشؤونهم الدينية . وقد رفض مسلمو القدس الاعتراف بهذا التعيين ، ورفضوا التعامل مع القاضي الجديد ، معتبرين اياه غير مؤهل للقضاء الاسلامي ، طالما كان يمارس عمله عن طريق الولاة لحكومة اسرائيل ، فضلا عن اعتباره ، بقبوله ذلك ، معترفا بضم القدس ، وهذا ما ينكرونه ويقاومونه .

حادي عشر : **تهويد التعليم العربي** : ولم تهمل سلطات الاحتلال الاسرائيلي قضية التعليم من مخططاتها التهودية ، فقد سارعت منذ ايام الاحتلال الاولى ، ووضعت أيديها على جميع المدارس الحكومية ومكاتب مدير التعليم الاردني في المدينة واعلنت عن اختصاصها باخضاع التعليم في جميع المدارس الحكومية ، لبرامج التعليم التي تطبقها على المدارس العربية في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، كما أعلنت في الوقت ذاته عن الغائها لبرامج التعليم الاردنية ولجميع الكتب المدرسية الخاصة بها ، وطلبت من مدير التعليم الاردني العربي وموظفي مكتبه ، وجميع مديرات ومديري ومعلمات ومعلمي مدارس القدس الاردنية العربية ، الالتحاق بأجهزة التعليم الاسرائيلية الخاضعة لوزارة التربية والتعليم وبلدية القسم المحتل سابقا من المدينة .

وقد رفض مدير التربية والتعليم ومساعدوه وجميع موظفي مكتبه والجهاز التعليمي مبدئيا التعاون ، كما رفضوا الانضمام الى اجهزة السلطات المحتلة رغم الاغراءات المالية التي عرضت عليهم ، وكانت حجتهم في ذلك ، انهم يرون في تنفيذ وتطبيق برامج التعليم الاسرائيلية ، التفسير بقبولهم لعملية ضم القدس لاسرائيل ، وهو ما يرفضونه الى ان يلغى هذا الضم . وكان رد سلطات الاحتلال على هذا الموقف ، اصدار الاوامر باعتقال مدير التعليم ومساعدوه ، وسجن كل منهما مدة ثلاثة أشهر ، ثم اصدار سلسلة من الاوامر لفتح المدارس في الاوقات المحددة لها ، والمباشرة بالضغط على اجهزة التعليم واولياء امر الطلاب بشتى الطرق ، للتعاون ولاستئناف السنة الدراسية .

وكان في القدس اثناء الاحتلال الاسرائيلي (٣٠) مدرسة حكومية عربية منها (١٨) للذكور ، و (١٢) للاناث ، بالاضافة الى (١٤) مدرسة طائفية واهلية وكان يدرس فيها حوالي (١٥) ألفا من الطالبات والطلاب .

فتحت المدارس الحكومية بالقوة ، والتحق بها بعض المعلمات والمعلمين لكن تقسما

كبيرا منهم امتنع وما زال ممتنعا . أما المدارس الطائفية والاهلية فقد اوقفت لفترة ، ثم ما لبثت ان واصلت التدريس ، بعد ان تراءى لها امكانية الاستمرار بتدريس برامجها الخاصة . وقد اغتتم عرب القدس فرصة افتتاح باب التعليم في المدارس الطائفية والاهلية فحولوا قسما كبيرا من الطالبات والطلاب اليها بعد ان تفاهموا مع ادارتها لتوسيعها ، وافساح المجال لاستيعاب أكبر عدد ممكن فيها ، وقد ادت هذه الاجراءات الى تخفيض اعداد الطلاب العرب في المدارس الحكومية وخاصة الثانوية منها ، بشكل أثقل السلطات المحتلة ، ودفعها الى اصدار قانون جديد أسمته (قانون الاشراف على المدارس لسنة ١٩٦٩) . نشر في مجلة القوانين الاسرائيلية العدد رقم ٥٦٤ الصادر بتاريخ ١٧ تموز ١٩٦٩ ، وتقرر العمل به اعتبارا من ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٧٠ .

والقانون في اجماله ، حلقة جديدة من حلقات التهويد الاسرائيلي للقدس . ويستهدف الاشراف الكامل على جميع المدارس الطائفية والاهلية ويفرض على جميع المدارس والجهاز التعليمي فيها ، الحصول على تراخيص اسرائيلية تجيز لهم ولها الاستمرار بممارسة المهنة ، كما يفرض عليهم الاشراف الاسرائيلي الكامل بالنسبة لبرامج التعليم وبالنسبة لمصادر التمويل .

وبرامج التعليم الاسرائيلي ، كما حللها رجال التربية العرب ، تستبعد كل ما ينمي روح القومية العربية ، وتستدرج الطلاب العرب ، وبخاصة الجيل الجديد منهم ، الى الابتعاد عن ثقافتهم وقيمهم العربية ، بحيث تزول في النهاية شخصيتهم وهويتهم الاصلية ، وينصهرون كليا في بوتقة الشخصية اليهودية والدولة الاسرائيلية .

ثاني عشر : **تهويد الانسان العربي** : وفي ٢٣/٨/١٩٦٨ اصدرت سلطات اسرائيل قانونا جديدا ، لتطبيقه على عرب القدس ، أسمته ، « قانون التنظيمات القانونية والادارية لسنة ١٩٦٨ » .

لقد اوضحت في فترات سابقة ، اجراءات سلطات اسرائيل المحتلة المتمثلة في عمليات تهويد القدس سياسيا ، واداريا وجغرافيا ، واقتصاديا ، وتعليميا . ويأتي مشروع القانون الجديد ليستكمل الفجوات الاخرى ، ويسعى لتهويد السكان العرب من مهنيين واصحاب حرف ومختلف اوجه النشاط العربي في المدينة ، ويضفي على هذه الاجراءات الصفة القانونية .

يفرض هذا القانون على عرب القدس ما يلي :

أ - ان يحصل كل عربي ، سواء كان صاحب عمل او مهنة ، وكان يمارس عمله او مهنته بموجب رخصة او اجازة حسب القوانين الاردنية ، ان يحصل على رخصة جديدة وبموجب القوانين الاسرائيلية خلال ستة أشهر انتهت في ٢٢/٢/١٩٦٩ ، وتضم هذه الفئات ما يقارب الخمسة آلاف ، بين اصحاب العمل واصحاب المهن والحرف .

ب - كل شركة عربية ، سواء اكانت خاصة ام عادية ام محدودة ، قائمة في القدس ، ومسجلة بموجب القوانين الاردنية ، عليها ان تعيد تسجيل نفسها لدى المحاكم الاسرائيلية وبموجب القوانين الاسرائيلية المرعية ، وحسما تقتضيه المصالح الاسرائيلية ، وان تقوم بذلك خلال مدة كانت محددة حتى ٢٢/٢/١٩٦٩ ، ثم مددت لثلاثة أشهر اخرى بحيث انتهت في ٢٢/٥/١٩٦٩ . وتشمل هذه العملية حوالي (١٨٠) شركة يبلغ رأس مالها المدفوع حوالي خمسة ملايين دينار ويبلغ عدد مساهميها حوالي اربعة آلاف ، كما يبلغ عدد موظفيها وعمالها حوالي اربعة آلاف آخرين .

ج - كل جمعية تعاونية عربية ، قائمة في القدس ومسجلة بموجب القوانين الاردنية عليها ان تعيد تسجيل نفسها لدى السلطات الاسرائيلية وبموجب القوانين والانظمة

الاسرائيلية ، خلال مدة انتهت في ١٩٦٩/٢/٢٢ ، ويبلغ عدد الجمعيات التي يشملها هذا القانون (٢٣) جمعية ، وتضم تحت لوائها (١٥١٨) عضواً .

د - كل طبيب أو مهندس أو مدقق حسابات عربي ما زال يمارس مهنته في القدس بموجب القوانين الاردنية ، عليه ان يتقدم بطلب الى السلطات الاسرائيلية ليحصل على اجازة تتيج له الاستمرار بمهنته وبموجب القوانين والانظمة الاسرائيلية ، وذلك خلال مدة انتهت في ١٩٦٩/٢/٢٢ . ويبلغ عدد هذه الفئات من اخواننا عرب القدس حوالي الثمانين .

هـ - كل محام عربي يتعاطى المحاماة في القدس بموجب القوانين والانظمة الاردنية وما زال مقيماً في المدينة عليه ان يسجل اسمه في نقابة المحامين الاسرائيلية ، بموجب امر يصدره وزير العدل الاسرائيلي ، وينشره في الجريدة الرسمية ، دون طلب من المحامي نفسه ، وذلك خلال مدة انتهت في ١٩٦٩/٢/٢٢ . ويبلغ عدد المحامين العرب في القدس حالياً حوالي الثلاثين محامياً .

و - كل صاحب امتياز او علامة تجارية او اختراع كان مسجلاً لدى الحكومة الاردنية وما زال يستغل امتيازها او اختراعه او علامته التجارية في القدس ، عليه ان يعيد تسجيل امتيازها او علامته التجارية او اختراعه لدى السلطات الاسرائيلية وبموجب القوانين والانظمة والتعليقات الاسرائيلية ، وذلك خلال مدة انتهت في ١٩٦٩/٢ .

ز - أي فئة من الفئات المشمولة ما بين أ - و آنفاً ، لم تحصل على ترخيص جديد بموجب القوانين والانظمة الاسرائيلية ، تعتبر مخالفة للقوانين والانظمة الاسرائيلية ، ويتعرض أصحابها للعقوبات والغرامات التي تنص عليها القوانين والانظمة الاسرائيلية . وفي حالة الاستمرار بالمخالفات يمنعون من تعاطي أعمالهم ، وبالتالي يتعرضون لتجميد أنفسهم والحيلولة دون كسب موارد رزقهم التي يعيشون منها ، الأمر الذي سيضطّرهم فيما بعد الى القبول بالتسجيل او النزوح والتشرد .

ح - ويضم هذا القانون مواد بشأن الاملاك اليهودية القائمة في القسم الغربي من المدينة ، تسمح بعودتها لاصحابها او ورثتهم من اليهود الذين كانوا يقيمون في القسم العربي ، بينما لا تسمح هذه المواد او غيرها للعرب المقيمين في القسم العربي ، من استعادة املاكهم في القسم الذي كانت تحتله اسرائيل قبل ١٩٦٧/٦/٥ ، وفي هذا منتهى التمييز في المعاملة .

ط - رفض عرب القدس هذا القانون ، وامتنعوا عن التقدم بطلبات للحصول على اية رخصة او اعادة تسجيل اية شركة ، مما اضطر سلطات اسرائيل لاصدار ملاحق للقانون ، تمنح أصحاب الاختصاص من وزرائهم ، التفويض الكامل بتجديد رخص جميع أصحاب المهن والحرف العرب الموجودين في المدينة تجديداً تلقائياً ، وكذلك اعتبار جميع الشركات والجمعيات والتعاونية واصحاب العلامات التجارية ، مسجلين بموجب الانظمة والقوانين الاسرائيلية .

ثالث عشر : **احراق المسجد الأقصى واستمرار الاعتداءات على الاماكن الدينية الاسلامية في القدس** : ولم يكن حريق المسجد الأقصى المبارك الذي حصل في ١٩٦٩/٨/٢١ الا حلقة من سلسلة حلقات المخطط الاسرائيلي لتهود القدس ، وهو يهدف الى القضاء على هذا المكان الاسلامي المقدس ، والقضاء أيضاً على مسجد الصخرة المشرفة المجاور ، والى الاستيلاء على الحرم القدسي بكامله ، والى تشييد هيكل اسرائيلي كبير على انقاضها ، والى مجابهة العالم فيما بعد بالامر الواقع .

وكانت سلطات اسرائيل قد مهدت لهذا الحريق بعدد من الاجراءات والتحريضات ومنها : ا - استملاكات ومصادرات وهدم ونسف العقارات الوقفية الملاصقة للمسجد الاقصى من الغرب والجنوب . ب - احتلال باب المغاربة ، احد ابواب الحرم الشريف الملاصق للمسجد الاقصى من الغرب ، واقامة مركز عسكري اسرائيلي فيه ، واباحة الدخول اليه من قبل جميع الزوار الاسرائيليين دون رقابة موظفي الوقف الاسلامي عليهم . ج - اقامة مظاهرات وصلوات يهودية داخل ساحات الحرم الشريف من قبل رجال الجيش الاسرائيلي ومنظمات اسرائيلية متطرفة وهيئات دينية . د - اجراء حفريات عميقة خلفه . هـ - تصريح لوزير الاديان الاسرائيلي زيراح غيرهافتيغ بتاريخ ١٢/٨/١٩٦٧ في مؤتمر ديني يهودي عقد في القدس جاء فيه : « ان تحرير القدس قد وضع جميع المقدسات المسيحية ، وقسما من المقدسات الاسلامية تحت سلطة اسرائيل ، واعاد الى اليهود جميع كنسهم فيها ، لكن لاسرائيل مقدسات اخرى في شرقي الاردن ، وفي الحرم القدسي الشريف ، وهذا الاخير هو قدس الاقداس بالنسبة لليهود » . و - تصريح لبن غوريون ، اول رئيس وزارة لاسرائيل ، قال فيه : « لا معنى لاسرائيل بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون الهيكل » ويعني موقع الحرم الشريف .

حاولت سلطات اسرائيل ، في بادئ الامر ، الصاق تهمة الحريق بشركة كهرباء القدس ، الا ان مبادرة الشركة بارسال مهندسيها وبقطع التيار الكهربائي عن الموقع فور كشف الحريق ، والقيام باجراء تحقيق فني بسرعة ، والاعلان عن سلامة الشبكة الكهربائية الموزعة والموصلة ، ونفي وجود اي علاقة بين الكهرباء والحريق ، فونت على تلك السلطات محاولة الصاق تهمة الحريق بها ، وقد اقلقها هذا ودفعها الى الصاق التهمة بشباب استرالي ، وجعلت من قضيته ، قضية تشابه المتهم بمصرع قاتل الرئيس كنيدي ، فالفت له محكمة صورية ، ولفقت ادلة جنونية ، وانتهت الرواية بوضع المتهم في مستشفى للأمراض العقلية لفترة من الزمن ، ثم اُخلت بعد ذلك سبيله واعلنت عن عودته لاستراليا .

ولقد اعلن رئيس الهيئة الاسلامية بالقدس سماحة الشيخ حلمي المحتسب ، في مؤتمر صحفي عقده في القدس بعد اطفاء الحريق جاء فيه ما يلي : ا - ان الحريق مفتعل ، وغير طبيعي ، وليس من جراء التيار الكهربائي . ب - ان مياه البلدية لدى سلطات الاحتلال الاسرائيلي قد قطعت عن منطقة الحرم الشريف فور ظهور الحريق . ج - ان سيارات الاطفائية التابعة لبلدية سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، قد تأخر وصولها ومباشرتها عملية الاطفاء . د - ان الذي ساهم وساعد على اخماد الحريق اطفائيات بلديتي رام الله والخليل .

ولقد كشف المهندسون العرب الذين انتدبتهم الهيئة الاسلامية في القدس ، ان الحريق قد شب في موقعين وليس في موضع واحد ، وكان الاول عند منبر نور الدين الفني والتاريخي فأتى عليه برمته ، وكان الثاني عند السطح الشرقي الجنوبي للمسجد فأتى على سقف ثلاثة اروقة وعلى جزء كبير من هذا القسم من المسجد . ولئن سلم القسم الاكبر من المسجد من هذا الحريق ، فان الخوف عليه من اي اعتداء اسرائيلي ما زال قائما طالما هو والقدس والديار المقدسة في ظل الاحتلال الاسرائيلي .

هذا فيما يتعلق بالحريق ، واما ما يتعلق باعتداءات السلطات والهيئات الدينية والافراد الاسرائيليين على الاماكن الدينية الاسلامية في القدس ، فانها لم تنقطع واذكر فيما يلي ابرزها : ا - استمرار احتفاظ سلطات الجيش الاسرائيلي بمفاتيح بساب

المغاربة ، أحد ابواب الحرم الشريف واقرب باب للمسجد الاقصى واستمرار اباحتهم للزوار الاسرائيليين بالدخول منه للحرم الشريف دون رقابة اسلامية . ب - استمرار اقامة مظاهرات وصلوات دينية يهودية في ساحات الحرم الشريف وامام مسداخل المسجدين الاقصى المبارك والصخرة المشرفة والتحريرض على ازالتهما وطمس معالمهما ، ج - التمهيد لوضع اليد الاسرائيلية على مقبرتي باب الرحمة واليوسفية الملاصقتين للحرم القدسي الشريف من الجهة الشرقية وضمهما لمنتره اسرائيل الوطني .

وقد مهد لذلك على مرحلتين :

الاولى : اقرار لجنة التنظيم المركزية الاسرائيلية لتخطيط منطقة القدس في ١٩/٨/١٩٧٠ على مخطط تصميم للبلدة القديمة بالقدس ولضواحيها ، ومصادقتها على خطة المنتزه حول اسوار المدينة ويسمونه بالمنتزه الوطني الاسرائيلي .

والثانية : اصدار وزير الداخلية الاسرائيلي امرا نشر في جريدة القدس بتاريخ ١٩٧٤/٣/٦ ، اعتبر بموجبها المنطقة المحيطة بسور البلدة القديمة من القدس ، حديقة عامة .

والمقبرتان المشمولتان بهذه المؤامرة الجديدة ، هما أقدم المقابر الاسلامية في القدس ، وتعتبران جزءا حيا من تاريخ الاسلام بالقدس ، وذلك بما تضمنانه من كبار رجال الفتح الاسلامي والمجاهدين الاوائل ورجال الحكم والقضاء والعلم على مدى اجيال ، وفي مقدمتهم الصحابيان الجليلان عباده بن الصامت البصري المتوفي سنة ٦٥٣ م وشداد بن اوس الانصاري المتوفي سنة ٦٧٧ م . وبلاضافة الى الاهمية التاريخية ، فان مجرد ملاصقتها للحرم الشريف شرقا ، ووضع اليد الاسرائيلية عليهما ، يزيد من تطويق الحرم بالحفريات جنوبا وغربا ، ويعرض الحرم بكامله لخطر مقلقة .

رابع عشر : الاعتداءات على الاماكن المسيحية الدينية والمقدسة : تميزت الاعتداءات الاسرائيلية على الاماكن المسيحية الدينية والمقدسة وعلى الطوائف المسيحية بالاتجاهات التالية :

الاول : الازعاج والتحقير للمقدسات . **والثاني :** الضغوط الشديدة المتوالية على رجالات الطوائف المسيحية الكبيرة لاجبارها على التنازل عن مساحات من اراضيها وعقاراتها في القدس سواء بالبيع المباشر او الاجارة الطويلة الاجل . **والثالث :** الارهاب لرجال الدين والافراد وحمل الكثيرين منهم على النزوح .

١ - فعلى صعيد الازعاج والتحقير للمقدسات فقد تعرضت كنيسة القيامة ، وهي اكبر واقدم كنيسة مسيحية في القدس وفي العالم ، تعرضت خلال السنوات السبع الاخيرة للحوادث التالية : ١ - سرق تاج السيدة العذراء في اواخر سنة ١٩٦٧ من قبل بعض الاسرائيليين . ٢ - تحطيم فتناديل الزيت والشموع التي فوق القبر المقدس في مدخل الكنيسة بتاريخ ١٩٧١/٣/٢٤ من قبل اسرائيلي امريكي . ٣ - محاولة سرقة اكليل مرصع بالماس قائم قرب صليب الجلجلة داخل كنيسة القيامة من قبل ثلاثة اسرائيليين ليلا واعتدائهم على راهب فرنسيسكاني والتسبب في الحاق اضرار بالغة فيه . وتعرض دير الاقباط ليلة عيد الميلاد الجيد في ١٩٧٠/١٢/٢٥ الى اعتداء على ممتلكاته ورهبانه من قبل عدد كبير من رجال البوليس الاسرائيلي . واحرق موتورون من الاسرائيليين المتعصبين في ١٩٧٣/٢/٦ المركز الدولي للكتاب المقدس على جبل الزيتون . كما احرقت اربع مراكز مسيحية في القدس في ١٩٧٤/٢/١١ .

ب - وعلى صعيد استملاك الاديرة المسيحية ، فقد خسرت المسيحية في القدس

وهي التي كانت طيلة الاجيال السابقة ، تسعى لضم المزيد لاملأها في المدينة المقدسة ، فقدت بفعل الضغوط الشديدة والمتواصلة على رجالها ، المواقع الهامة التالية :

١ - اراضي احياء المصلبه والقطمون وكرم الرهبان الواقع بين محطة سكة الحديد وفندق الملك داوود بالقدس ، وتضم مساحات واسعة من اراضي غرب القدس وكلها أجرتها بطركية الروم الارثوذكس للسلطات الاسرائيلية ، كما علمت ، لمدة ٩٩ سنة ، وقد اقيمت على هذه الاراضي احياء يهودية متعددة .

٢ - مدرسة سنلر الالمانية والمعروفة باسم مدرسة الايتام السورية، ومعها مساحة واسعة من الارض وعدد كبير من الابنية وتقع شمال القدس ، كانت تملكها جمعية خيرية المانية ، اضطرت لبيعها لسلطات الاحتلال الاسرائيلية تحت التهديد .

٣ - اراض وأبنية الكنيسة الروسية البيضاء والمعروفة (بالمسكوبية) وتقع في وسط القدس وتضم مساحة واسعة من الارض وعددا من العمارات الضخمة والتي منها المستشفى الحكومي وعمارات المحاكم النظامية وقيادة البوليس والسجن المركزي ، وجميعها تنازلت عنها الكنيسة الروسية البيضاء للسلطات الاسرائيلية تحت التهديد .

٤ - اراض وعقارات متعددة ومن بينها عمارة فندق فاست في وسط القدس ،

ج - وعلى صعيد الارهاب لرجال الدين المسيحي والافراد فقد تعرض الكثيرون منهم ، داخل الكنائس والاديرة وفي فترات متعددة ، وكان أبرز هذه الاعتداءات التالية :

١ - الاعتداء بالضرب الشديد على المطران فاسيلوس ، الرجل الثاني في البطركية الارثوذكسية للروم بالقدس ، من قبل اسرائيليين يوم ١٩٧٣/٢/٦ .

٢ - الاعتداء على رهبان دير الاقباط بالضرب ليلة عيد الميلاد المجيد في ١٩٧٠/١٢/٢٥ من قبل فوج من رجال البوليس الاسرائيلي .

٣ - تضيق الخناق على الافراد المسيحيين بالقدس مما اضطرت الآلاف منهم للخروج كما يتبين من الكشوف التالي :

الطائفة	عدد افرادها قبل الاحتلال سنة ١٩٦٧	عدد افرادها الان
الروم الارثوذكس	٥٠٠٠	٤٥٠٠
الكاثوليك	٧٠٠٠	٤٠٠٠
الارمن	٣٠٠٠	٢٠٠٠
الطوائف الاخرى	٣٣٠٠	٢٣٦٠
	١٨٣٠٠	١٢٨٦٠

ولقد اثارت هذه الاعتداءات والنتائج كبار رجال الدين المسيحي وفي مقدمتهم القاصد الرسولي في القدس رئيس الاساقفة لاشي الذي صرح ان نزوح السكان المسيحيين العرب من القدس ، سيؤدي الى نزوح المسيحية فيها معهم . وقال رئيس اساقفة الاسكا الكاثوليكي الاميركي جوزيف ريان ، عند زيارته القدس سنة ١٩٧٢ ، انه اذا استمر نزوح هؤلاء المسيحيين العرب من القدس فلن يبق فيها سوى الطارئة والقسيسون يقيمون ضمن كنائس تاريخية تتحول مع الزمن الى متاحف .

وفي بيان نشره نفس رئيس الاساقفة ريان عقب زيارته للقدس ، ووزعه على جميع مطارنة الكاثوليك في الولايات المتحدة الاميركية ، ناشدهم فيه ان يهبوا مجتمعين ويناشدوا حكومتهم التي تملك القوة والتأثير على اسرائيل ، ان تضغط عليها لايكاف الاعتداءات الاجرامية المتواصلة على القدس وعلى سكانها العرب وخاصة على المقدسات المسيحية .

خامس عشر : نقل مراكز الخدمات الصحية العربية من القدس الى رام الله .
وفي اوائل آذار ١٩٧٣ وجهت سلطات الاحتلال الاسرائيلي بالقدس ، الى رؤساء وموظفي الخدمات الصحية القائمة في القدس تطلب منهم الانتقال مع اجهزتهم الطبية وسجلاتهم الى رام الله ، وتبعد ستة عشر كيلومترا عن القدس اعتبارا من اول نيسان ١٩٧٣ وتهدهم بالفصل ان تخلفوا .
وتشمل هذه الخدمات المراكز التالية :

١ - مديرية الصحة العامة وعددهم ١٦ . ب - المختبرات الصحية العامة وعددهم ١٢ . ج - بنك الدم وعددهم ٨ . د - مكافحة السل وعددهم ١٠ .
ان هذه المراكز الصحية الانسانية كانت تعمل منذ انشائها ، بعضها استثنافا لعهد الانتداب والحكم الاردني وبعضها منذ اوجدته الحكومة الاردنية ، وكانت هذه المراكز وما تزال تعمل في خدمة عرب القدس بصفة خاصة ومحافظة القدس والضفة الغربية بصورة عامة .

فالمديرية العامة للصحة كانت بالاضافة لاشرافها الصحي على جميع مراكز الصحة في الضفة الغربية تضم مركز عيادة صحي يقدم العلاج لعرب القدس ولسكان اربعة وثلاثين قرية عربية محيطة بها ويقوم هذا المركز ايضا بتسجيل المواليد والوفيات لهذه المجموعة من السكان الذي يربو عددهم على مائة وخمسين الفا ، جميعهم سيصبح مضطرا لحمل آلامه ومتاعبه للانتقال الى رام الله او مراجعة مكاتب الصحة الاسرائيلية في القدس .

والمختبرات الصحية العربية في القدس كانت ترجعا اوليا لسكان القدس وقراها مضافا اليهم سكان محافظة الخليل ومناطق بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور ، والبره ورام الله واريحا وقراها ايضا ، أي ما يقارب من ثلاثمائة الف عربي فيها ، جميع هؤلاء سيضطرون لتحمل المزيد من التعب والنفقات او الاكراه النفساني واللجوء الى المختبرات الاسرائيلية في القدس .

ومركز مكافحة السل وبنك الدم ، كانا يخدمان عرب الضفة الغربية بأجمعها بما فيهم عرب القدس ، واكثرهم سيضطرون لتحمل المزيد من النفقات والتعب في وقت هم أحوج فيه لتخفيف الآلام ، اذا ما ولوا وجوههم شطر رام الله ويستزداد الآلمهم اذا ما اضطروا لمراجعة المراكز الاسرائيلية المماثلة في القدس .

ان هذه الاجراءات ، فضلا عن انها غير انسانية فانها تعتبر تكريسا لعمليات تغيير سياسي في المنطقة وحلقة من حلقات مخطط تهويد مدينة القدس .
ولقد تم حتى اليوم نقل مكاتب مديرية الصحة العامة والمختبرات الصحية ومكافحة السل ، ولم يبق الا بنك الدم ، المتوقع نقله هو الآخر في أية لحظة .

سادس عشر : اغلاق دائرة الشؤون الاجتماعية العربية بالقدس : وبتاريخ ١٦/٥/١٩٧٣ ، اضافت سلطات الاحتلال الاسرائيلي اعتداء آخر الى سلسلة اعتداءاتها على القدس وعلى عرب القدس ، وذلك باقتدامها على اغلاق دائرة الشؤون الاجتماعية

العربية في المدينة ، وتوزيع اختصاصها بين ثلاثة مكاتب هي : **الاول** : مكتب اسرائيلي مقره القدس وعلى رأسه موظف اسرائيلي ، اناطت به الاشراف على جميع الجمعيات الخيرية العربية القائمة في مدينة القدس ، و**الثاني** : مكتب فرعي ، مقره مدينة رام الله ، وجعلته تحت رئاسة موظف عربي واناطت به الاشراف على الجمعيات الخيرية الواقعة في رام الله والبيرة وقضاءها ، و**الثالث** : مكتب فرعي آخر ، مقره مدينة اريحا ، وجعلته تحت رئاسة عربي آخر واناطت به الاشراف على الجمعيات الخيرية العربية الواقعة في قضاءي بيت لحم واريحا .

ان هذه الاجراءات هي اجراءات سياسية يقصد بها تمزيق هذه الدوائر العربية الاردنية القائمة بالقدس والحاق جميع الجمعيات الخيرية العربية فيها بدائرة اسرائيلية تابعة للحكم الاسرائيلي المباشر كما يقصد منها ايضا فك ارتباط الجمعيات العربية الاخرى القائمة في الوبية رام الله واريحا وبيت لحم من الدائرة العربية الامم القائمة بالقدس ، واخضاعها للحكم العسكري الاسرائيلي المباشر الذي يشرف على ادارة الضفة الغربية حاليا ، وكلتا العمليتين يراد بها تكريس فصل القدس سياسيا عن الضفة الغربية وتكريس ضمها لسلطات الاحتلال الاسرائيلي .

وفي القدس حاليا أكثر من ثلاثين جمعية خيرية قائمة ، شملها التغيير السياسي الجديد ، وستصبح هي وجميع معاهدها العلمية والطبية والخيرية ، خاضعة للقوانين الاسرائيلية وللأشراف الاسرائيلي المباشر . وعلى رأس هذه المعاهد ، يأتي مستشفى المقاصد الخيرية الاسلامية والمستشفى وملجأ العجزة الارثوذكسي ومستشفى الهلال الاحمر ودار الطفل العربي ، والمعهد المهني للجنة اليتيم العربي والمعهد العربي العلمي وعشرات من العيادات والمدارس الاهلية الاخرى .

وتشكل هذه الاجراءات حلقة اخرى من حلقات اعتداءات سلطات الاحتلال الاسرائيلي على حقوق السكان المدنيين العرب في اسرائيل المحتلة خلافا لاتفاقية جنيف وخلافا لقرارات هيئة الامم المتحدة وقرارات مجلس الامن الدولي والتي جاء في الفقرة الثالثة من آخرها وهو رقم ١٩٧١/٢٩٨ المؤرخ ١٩٧١/٩/٢٥ ما يلي :

الفقرة الثالثة : ان مجلس الامن يؤكد في اوضح عبارات ممكنة ان جميع الاعمال التشريعية والادارية التي اتخذتها اسرائيل بما في ذلك مصادرة الاراضي والممتلكات ونقل السكان ووضع تشريعات تهدف الى ضم القطاع المحتل من القدس ، هي كلها اعمال باطللة ولا يمكن ان تغير ذلك الوضع .

سابع عشر : **ابعاد المواطنين** : كجزء من مخطط اسرائيل لتفريغ الوطن من أصحابه وفي محاولة لاضعاف روح الصمود واخماد المقاومة في الارض المحتلة ، لجأت سلطات الاحتلال الاسرائيلي الى ابعاد عدد وافر من رجال السياسة وممثلي قطاعات الشعب المختلفة عن بلدانهم الى الضفة الشرقية ومؤخرا الى لبنان بحجة قيامهم بأعمال تخل بأمن قوى الاحتلال بأسلوب تعسفي ارهابي يتنكر لكل المفاهيم الانسانية وتتجلى فيه طبيعة الغزو والقهر ، فقد كان الابعاد يتم بصورة مفاجئة ويبلغ المبعد أمر الابعاد على الجسر او الحدود ، دون ان يعطى أية فرصة للاتصال بعائلته او التزود بشيء من حاجياته الخاصة . ويتبع ذلك طبعا فصل المبعد عن عائلته ، وقطع سبيل العيش عليه . ولقد استرسلت اسرائيل في الابعاد حتى امتد الى صفوف العمال والمدرسين والطلاب فبلغ عدد المبعدين من الضفة الغربية حتى كتابة هذه المذكرة ما ينوف عن الف وخمسمائة ، ومن القدس خاصة ما يزيد عن المائة بينهم رئيس الهيئة الاسلامية العليا ، وأمين القدس ، ووزراء سابقون ، واعيان ونواب واطباء ومحامون ، ومدراء كليات

ومدارس ومعلمون ومزارعون وملاكون وتجار وعمال وطلاب ذكورا واناثا .
وتستهدف اسرائيل من وراء الابعاد تحقيق ما يلي :

- ١ — التخلص من عدد من القادة السياسيين والشعبيين العرب . ٢ — اضعاف روح المقاومة عند المواطنين بشغل عام خشيه التعرض لاجراءات الابعاد . ٣ — تخفيف عبء سلطات الاحتلال ، وذلك بالحلاص من عدد من الناس يشكل بقاؤهم في السجون دون محاكمة او تهم معينه ، عامل ضغط كبير بالنسبة للرأي العام الداخلي والخارجي .
- ٤ — في حالة التوسع في ممارسه الابعاد ، تكون قدرة السجون على الاستيعاب أكبر .
- ٥ — اضطرار عائلات المبعدين للحاق بهم لاسباب مادية ونفسية قاهرة .

ان سلطات الاحتلال تمارس الابعاد مستندة ، كما تدعي ، الى قانون للدفاع أيام الانتداب البريطاني وان ذلك القانون قد الغي بعد دمج الضفة الغربية في الأردن .
وان اجراءاتها تخالف : ١ — ميثاق جنيف المادة (٤٩) ، الاتفاقية الرابعة ، واسرائيل من ضمن موقعها ، وتنص على ان « النقل الاجباري للأشخاص المحميين من اراض محتلة الى اراضي دولة الاحتلال او اية ارض محتلة وغير محتلة محظور بغض النظر عن دواعيه » ، ٢ — قرار مجلس الأمن رقم (٢٣٧) بتاريخ ١٤ حزيران الذي ينص على « ضرورة تفادي الحاق الضرر بالمدنيين واسرى الحرب ، ورعاية حقوق الانسان والتقيد بميثاق جنيف » .

ثامن عشر : **تغيير أسماء الشوارع والطرق والمساحات العامة** : وهذه حلقة جديدة من حلقات مخططات سلطات الاحتلال العسكري الصهيوني لتهود مدينة القدس . وتشمل هذه الحلقة تغيير أسماء المساحات والشوارع والطرق العربية والتاريخية واستبدالها بأخرى يهودية ، كجزء من خطة تستهدف ازالة معالم الحضارة العربية والاسلامية عن المدينة المقدسة . وفيما يلي بعض هذه التغييرات :

الاسم القديم	الاسم الجديد
١ — طريق سليمان — خارج السور — والمعنى بسليمان — السلطان سليمان القانوني — باني سور القدس . وهي الممتدة من باب العمود حتى ساحة النبي غربا .	شارع المظليين
٢ — تل الشرفة — خارج السور ، وتضم القسم الشرقي من هضبة الشيخ جراح	جبعات هفتار
٣ — باب المفاربة — داخل السور (نسبة الى عرب شمال افريقيا) .	رحوب بيتي محسي
٤ — طريق الواد — داخل السور ، ويمتد من داخل باب العمود حتى ملتقى شارع باب السلسلة .	رحوب هكاي
٥ — حارة الشرف — داخل السور	مشقاف لداخ
٦ — سوق الحصر — داخل السور	حبساد
٧ — عقبة درويش — داخل السور	حبر حبيم
٨ — عقبة اغنيم — داخل السور	شونية هالكوت
٩ — طريق الفريز — داخل السور	هاحيم
١٠ — طريق المجاهدين — داخل السور	ديرخ شاعر هيروت
١١ — الهضبة الفرنسية او كرم لويز او تل المشارف	حي شابيرا
١٢ — ساحة باب الخليل	ميدان عودة صهيون
١٣ — عقبة ابو مدين الغوث الواقعة ما بين حائط البراق والحي اليهودي	عقبة الشاعر يهودا هاليفي

لكل اسم من الاسماء المستبدلة دلالة وتاريخ ، ترتبط كلها في تاريخ العرب والاسلام في المدينة المقدسة ، وان ازالة هذه الاسماء لتعتبر ازالة للدلائل وللتاريخ العربي والاسلامي ، كما تعتبر جريمة واعتداء بالغين على الحضارة وتاريخ القدس .

تاسع عشر : تنفيذ قانون اسرائيلي للتعويض عن املاك العرب الغائبين في القدس :
 أقر البرلمان الاسرائيلي في حزيران ١٩٧٢ مشروع قانون اسمه « قانون املاك الغائبين الاسرائيلي - تعويض - ١٩٧٢ » . ويدعو القانون عرب القدس ، الحاضر منهم والغائب للتنازل عن املاكهم مقابل تعويضات مالية ، وحدد النظام المنبثق عن هذا القانون ، الاجراءات التي يجب السير بموجبها للنظر في الطلبات المتقدمة ، وبغض النظر عن ضآلة قيمة هذه التعويضات وعن مدة تسديدها التي تمتد ما بين سنة وخمسة عشر سنة ، فان لهذا القانون ابعاده واهدافه السياسية الخطيرة ومن أبرزها ما يلي : ا - حرمان الغائبين من عرب القدس الذين طردتهم سلطات الاحتلال اثناء وبعد قتال ١٩٤٨ و ١٩٦٧ وعددهم يزيد على مائة الف ، حرمانهم من حق العودة لمدينتهم . ب - الضغط على اصحاب الاملاك العرب الموجودين جاليا وكذلك وكلاء الغائبين - الضغط على هؤلاء بثتى انواع الارهاب للتنازل عما يملكون في القسم المحتل من القدس بعد حرب ١٩٤٨ . ج - قيام سلطات الاحتلال ، بحملة تضليل في الاوساط الدولية والعالمية تزعم فيها ان عرب القدس قد باعوا ممتلكاتهم الى السلطات الاسرائيلية بمحض ارادتهم . د - ستتخذ سلطات الاحتلال من الاجراءين السابقين وسيلة مآكرة لدعم اجراءاتها في تكريس ضم القدس ، وبالتالي ترسيخ ادعائها بأن القدس عاصمتها . هـ - ستتؤدي هذه الاجراءات الى تقليص ملكية العرب في القدس وبالتالي الى تقليص الكيان العربي في القدس . و - يخشى ان يتخذ من هذا القانون سابقة لتطبيقه فيما بعد على باقي المناطق العربية المحتلة من فلسطين . ز - ان يتخذ من هذا القانون ، وسيلة شرعية لتصفية القضية الفلسطينية برمتها .

ولقد صرحت حين صدور القانون « ان عرب القدس ، وهم جزء من عرب فلسطين والامة العربية ، وهم الذين ساهموا في مقاومة وعد بلفور منذ صدوره وحتى زوال الانتداب ، ورفضوا الاعتراف بدولة البغي ، كما رفضوا الاعتراف بعملية ضم القدس ، وأبوا الدخول في أية مفاوضات للتنازل عن املاكهم المصادرة وعلنوا باستمرار ان وطنهم ليس سلعة للبيع وتحملوا في سبيل ذلك التضحيات تلو التضحيات ، ان هؤلاء الاهل انفسهم سوف يلتقون العدو ومناصريه درسا جديدا في التضحيات والتمسك بالوطن ، وسوف يفوتون على سلطات الخديعة والبغي ، هذه الدسيسة الجديدة من مخططات مكرهم واجرامهم ، من ان تنجح .

أما بالنسبة للرأي العام العالمي ، فيكفي الايضاح والاشارة ، بأنه لم يتقدم أحد من اصحاب الاملاك العربية في القدس (وهم الذين صودرت لهم أكثر من الف وتسعمائة عقار وما يزيد على اثنين وعشرين الف دونم في السنوات الاخيرة ما بين ١٩٦٨ و ١٩٧٤) وقد وصلتهم الدعوات الخطية من سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، تدعوهم فيها لراجعتهم للتفاوض معهم بشأن تعويضهم عن املاكهم واراضيهم المصادرة ، وهم يعدون بالآلاف وأكثرهم يعيشون عيشة بؤس وحاجة) ، لم يتقدم أحد من عرب القدس لمراجعة سلطات الاحتلال والتفاوض معها للتعويض عما صودر من املاك واراض عربية لهم ، وذلك على الرغم من الضغوط والاستفزازات والاعراض المتواصلة التي تعرضوا لها وما زالوا يتعرضون .

هذا ، ومما لا شك فيه ، ان المشروع الانف الذكر ، هو عبارة عن استفزاز وتحد جديدين ، ليس لعرب القدس وحدهم ، وانما للامة العربية جمعاء ، وعبارة عن

استفزاز وتحد للامتين الاسلامية والمسيحية ، وصفعة جديدة لهيئة الامم وللمبادئ الانسانية ، وللسلام العالمي » .

عشرون : **أقرار مشروع تنظيم مدن اسرائيلي جديد للقدس ولضواحيها** : اقرت لجان التنظيم الاسرائيلي بعد دراسة استغرقت ست سنوات ، مشروع تنظيم جديد للقدس وضواحيها ، يستهدف تغيير طابع المدينة الديني والتاريخي الفريد ، الى مدينة عصرية تشابه نيويورك ولوس انجلوس ، وتسلب القدس روحانياتها وعروبته ، وتحوّلها الى مدينة يهودية .

ولقد أثار هذا المشروع عواصف من الانتقادات المحلية والعالمية ، واشترك فيها كبار مهندسي التنظيم ، ومن بينهم رئيس كلية التخطيط في جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الذي طالب بوقف تنفيذ هذا المشروع وهدم جميع ما بني من عمارات متعددة الطبقات على الهضاب المحيطة بالقدس ووصفها بأنها عمل مخز يجب ازالته فوراً .

ومن أبرز محتويات هذا المشروع ، انشاء مركز تجاري رئيسي في وسط المدينة ، في مساحة تبلغ (٢٧٠٠) دونم وفي حدود تقع ما بين مقبرة مأمن الله الاسلامية غرباً وما بين منطقة المستشفى البلدي في طريق يافا شمالاً ، وبين محطة السكة الحديد جنوباً ، وسور القدس وحي وادي الجوز شرقاً .

والمناطق التي يشملها المشروع ، تضم الاحياء العربية التالية :

أ — حي باب الساهرة ، ويضم شوارع صلاح الدين وبورت سعيد والرشيدي وقسما من شارع الملك حسين ، وكلها سكنية وتجارية وسياحية ومدريسية ومكتظة بالسكان .
ب — حي باب العمود — خارج السور — ويضم طريق نابلس وقسما من شارع الملك حسين ، وهي معا تشكل قسما آخر من المناطق التجارية والسكنية والمدريسية والدينية ، وكلها مكتظة بالسكان . ج — حي الشيخ جراح ، ويضم مناطق سكنية ومدريسية وسياحية وتجارية وكلها مكتظة بالسكان . د — أجزاء من احياء المصراة وسعد وسعيد ، وهي مناطق سكنية وتجارية وسياحية ومكتظة بالسكان وهذه الاحياء ، هي من ضمن المناطق العربية التي تم احتلالها من قبل اسرائيل في حزيران ١٩٦٧ ، ويسكنها ويعمل فيها أكثر من ثلاثين الف عربي الان . ويضم المشروع ايضا ، احياء عربية اخرى ، سبق للعدو ان احتلها منذ سنة ١٩٤٨ وما زالت قائمة ، وتضم :

أ — أجزاء اخرى من احياء المصراة وسعد وسعيد ، وهي مناطق سكنية ومدريسية .
ب — باب الخليل وطريق يافا ، وهي مناطق تجارية وسكنية ودينية . ج — ساحة الساعة والمنشية ، وهي مناطق تجارية وسكنية . د — مأمن الله ، وتضم مناطق تجارية وسكنية وسياحية ودينية . هـ — الشماعة ، وتضم مناطق تجارية وسكنية .
و — حي جمعية الشبان المسيحية ، ويضم مناطق سكنية وسياحية وتجارية ومدريسية .
ز — المستشفى الطلياني وطريق الاحباش ، وتضم مناطق سكنية وتجارية وصحية .
ح — المسكوبية ، وتضم مراكز خدمات عامة ودينية وسكنية .

واكثر من ٩٠٪ من املاك هذه الاحياء هي املاك عربية الاصل والباقي للطوائف الدينية المسيحية .

هذه الاحياء العربية ، التي تشكل قلب القدس العمراني الحديث ، مهددة بواسطة المشروع الاسرائيلي التنظيمي الجديد لما يلي : أ — للتوقف عن النمو كمرحلة اولى .
ب — لتغيير المعالم ، سواء بالهدم الكلي والجزئي التدريجي كمرحلة ثانية . ج — للاضغوط المتواصلة على الملاكين والسكان واصحاب المهن والعاملين العرب فيها ،

واجلائهم عنها كما حصل لآخوانهم في الاحياء العربية التي أخضعت لإعادة التنظيم داخل الاسوار ، كمرحلة ثالثة . د - انشاءات اسرائيلية جديدة ويتبعها اسكان يهودي واسع كمرحلة رابعة . هـ - وازالة الحضارة والاسماء العربية عن هذه الاحياء واستبدالها بالحضارة والاسماء اليهودية ، كمرحلة خامسة .

هذا بعض ما يستهدفه هذا المخطط الاسرائيلي الجديد لوسط القدس ، وهو جزء من المخطط التهوديدي للمدينة المقدسة أرى فيه تهديدا خطيرا لتغيير معالم المدينة حضاريا وسكانيا ، وهو ما يتعارض وقرارات هيئة الامم ومجلس الامن ومنظمة اليونسكو ، وحقوق الانسان وميثاق جنيف لسنة ١٩٤٩ .

حادي وعشرون : **فك ونقل موتورات ومضخات محطات مياه عرب القدس** : وحتى محطات مياه عرب القدس لم تسلم من اعتداءات سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، فقد قامت سلطات الاحتلال العسكري الاسرائيلي مؤخرا بفك ونقل جميع موتورات ومضخات المياه التابعه لامانة القدس في خمس من محطاتها وربطت عرب القدس بشبكة المياه الخاصة ببلدية الاحتلال . كل محطة من هذه المحطات كانت تضم ما بين موتور وثلاثة ومثلها من المضخات ، وكانت مجموعها تضخ قرابة أربعة آلاف متر مكعب من المياه يوميا . ان فك هذه موتورات والمضخات ونقلها يشكل اعتداء متعدد الجوانب . فمن ناحية هو اعتداء سلب لممتلكات سلطة محلية مدنية ، ويخالف اتفاقيات جنيف ، ومن ناحية أخرى ، فهو اعتداء يربط عرب القدس بمياه بلدية الاحتلال الاسرائيلي ، ويشكل تغييرا اساسيا للوضع الراهن في القدس ، ويكرس عليا ضم القدس لسلطات الاحتلال ، الامر الذي يعتبر مناقضا ومخالفا لقرارات الامم المتحدة رقمي ٦٧/٢٢٥٣ و٦٧/٢٢٥٤ وكذلك مناقضا ومخالفا لقرارات مجلس الامن الدولي ارقام ٦٨/٢٥٢ و٦٩/٢٦٧ و٧١/٢٩٨ . العملية حلقة اخرى من مخططات تهويد القدس ، ولها ابعاد ومضاعفات ترتبط ارتباطا وثيقا بأي حل سلمي منتظر التوصل اليه .

ثاني وعشرون : **اعتداء سلطات الاحتلال الاسرائيلي على شركة كهرباء محافظة القدس وعلى حقوق امانة القدس فيها** : ومن بين الاعتداءات البارزة التي تساعد على تغيير الأوضاع في القدس ، الاعتداء الذي تعرضت له شركة كهرباء محافظة القدس مؤخرا ، واستهدف احلال بلدية القدس المحتلة الاسرائيلية مكان امانة القدس العربية في الشركة ، مساهمة واثمينا في مجلس مدراء الشركة ، بموجب مراسيم تشريعية غير قانونية وتحت الضغط والارهاب .

وتوصلا لذلك ، فقد أصدرت حكومة الاحتلال الاسرائيلي ، خلال السنتين الاخيرتين مرسومين مهدا لهذه الغاية هما :

الاول : مرسوم أصدره وزير العدل الاسرائيلي يعقوب س. شابيرا ، ونشره في مجلة الوقائع الاسرائيلية رقم ٢٦٠٧ الصادرة بتاريخ ١٩٧٠/٩/١ ، اسمه « مرسوم التنظيمات القانونية والادارية (اعضاء في مجلس مدراء لسنة ٥٧٣٠ - ١٩٧٠ » استند بموجبه الى المادة (١١) من قانون اسرائيلي اسمه « قانون التنظيمات القانونية والادارية (نص موحد) لسنة ٥٧٣٠ - ١٩٧١) » ، وامر ، استنادا الى الصلاحيات المخولة له بموجب ذلك القانون بضم عضوين يمثلان بلدية القدس المحتلة الاسرائيلية ، الى مجلس مدراء شركة كهرباء محافظة القدس بدل الممثلين عن مجلس امانة القدس في نفس المجلس .

والثاني : « وثيقة نقل اسهم » ، نقلت بموجبها حكومة اسرائيل - (٦١٨٦) سهما التي تملكها امانة القدس العربية في شركة كهرباء محافظة القدس ، نقلتها الى بلدية

القدس المحتلة الاسرائيلية ، بموجب اتفاق وقعه في اليوم الخامس عشر من ايلول ١٩٧١ نيابة عن حكومة الاحتلال الاسرائيلية كل من محاسبها العام ومساعدته ، ووقعها نيابة عن بلدية القدس المحتلة الاسرائيلية رئيس بلديتها ومدير ماليتها .

ان قانون التنظيمات القانونية والادارية الذي استند عليه وزير العدل لحكومة الاحتلال العسكري الاسرائيلي في اصدار المرسوم الاول ، هو نفس القانون الذي عارضت في اصداره الحكومة الاردنية الهاشمية سنة ١٩٦٩ وقدمت شكوى بخصوصه لمجلس الامن الدولي ، بحجة انه يهدف الى تغيير الاوضاع في المدينة المقدسة ، وقد أخذ مجلس الامن الدولي آنذاك بوجهة نظر الحكومة الاردنية الهاشمية واصدر قراره رقم ٦٩/٢٦٧ بتاريخ ١٩٦٩/٧/٣ الذي جاء في الفقرات ٣ و ٤ و ٥ منه ما يلي :

الفقرة ٣ — يوبخ مجلس الامن بأقوى تعبير جميع الاجراءات التي تم اتخاذها لتغيير وضع مدينة القدس .

الفقرة ٤ — يؤكد مجلس الامن ان جميع الاجراءات التشريعية والادارية وكذلك جميع اعمال اسرائيل الهادفة لتغيير وضع مدينة القدس ، بما في ذلك نزع ملكية الاراضي والممتلكات في المدينة ، هي لاغية قانونيا ، ولا يمكن لها ان تغير ذلك الوضع .

الفقرة ٥ — يطالب اسرائيل مرة اخرى ، بالحاح لكي تلغي فورا جميع الاجراءات التي اتخذتها والتي من شأنها تغيير مدينة القدس ، وان تكف عن جميع الاجراءات التي قد تؤدي الى مثل هذا التغيير .

ان المرسوم موضع البحث ، استند الى القانون الذي اعتبره مجلس الامن الدولي في قراره المشار اليه آنفا ، باطلا ولاغيا ، وان ما بني على باطل فهو باطل ، ولذلك فان موضوع استبدال مدرء مجلس الشركة هو اجراء باطل .

اما عملية نقل الاسهم ، التي جرت بموجب « وثيقة نقل الاسهم » المشار اليها آنفا فهي الاخرى عملية باطلة قانونا ، ذلك انه لا يحق لحكومة الاحتلال التصرف باملاك امانة القدس العربية ، فامانة القدس هي كغيرها من بلديات المدن المحتلة ، ولم تعترف هيئة الامم ولا مجلس الامن بحلها ، فقرارات هيئة الامم رقم ٦٧/٢٢٥٣ المؤرخ في ١٩٦٧/٧/٤ ورقم ٦٧/٢٢٥٤ المؤرخ في ١٩٦٧/٧/١٤ لم تعترف بعملية ضم القدس ، ولم تعترف بالاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لتغيير وضع المدينة وطالبتها بالفائها جميعها ، كما طالبتها بالعدول فورا عن اتخاذ أي عمل من شأنه تغيير وضع القدس . وجاءت قرارات مجلس الامن الدولي التي تلت قرارات هيئة الامم ، ذات الارقام ٦٨/٢٥٢ في ١٩٦٨/٥/٢١ ، و٦٩/٢٦٧ في ١٩٦٩/٧/٣ ، و٧١/٢٩٨ في ١٩٧١/٩/٢٥ جاءت كل هذه القرارات تؤيد عدم اعتراف مجلس الامن بعملية ضم القدس وعدم الاعتراف بالاجراءات الادارية والتشريعية التي قامت بها اسرائيل واعتبرتها باطلة ولاغية ، وفي مقدمة هذه الاجراءات حل مجلس امانة القدس ، وهو في نظرها يعتبر قائما ، ولا حق لحكومة الاحتلال التصرف بأمواله التي من جملتها أسهمه في شركة الكهرباء . ومن هنا فان عملية نقل الاسهم هي عملية غير قانونية وباطلة ولا حق لسلطات الاحتلال باجرائها .

ان امانة القدس كانت ولا تزال ترى في هذه الاعتداءات ابعادا سياسية وادارية واقتصادية واجتماعية خطيرة ، ابرزها : أ — انها تعزز بالقوة وبالباطل عملية ضم القدس . ب — وتعزز بالقوة والباطل أيضا عمليتي حل مجلس امانة القدس ودمج امانة القدس في بلدية القدس المحتلة الاسرائيلية . ج — القلق من امكانية تدخل بلدية القدس

المحتلة الاسرائيلية فيما بعد في شؤون مدن محافظة القدس وقراها واقتصادها ، والعمل على ضمها جميعا لمشروعها الذي تخطط له تحت اسم « القدس الكبرى » .

ثالث وعشرون : مشروع القدس الكبرى : وهذا مشروع مؤامرة قديمة جديدة ، يسمى « قانون القدس » وضعه أصلا النائب الاسرائيلي شمويل نامير وقدمه لمجلس برلمانهم بتاريخ ١٢/٢/١٩٧١ ، ولاسباب خاصة تأجل النظر فيه . وقد فوجئنا في مطلع شهر كانون الاول ١٩٧٤ باعلان سلطات الاحتلال الاسرائيلي على طرحه مجددا للبحث والسير قدما في تطبيقه .

والمشروع يقترح توسيع حدود القدس بحيث تضم بالاضافة للقدس ثلاث مدن و٢٧ قرية عربية مجاورة ، هي مدن بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور ، وقرى بئر ، الخضر ، بيت صفافا ، شرفات ، صور باهر ، أم طوبا ، والسواخرة ، هنبوبا . وأبو ديس ، العيزرية ، الطور ، العيسارية ، عناتا ، شرقا . وشعفاط ، حزما ، بيت حنينا ، الرام ، قلنديا ، بير نبالا ، الجيب ، النبي صموئيل ، شمالا . وبيت اكسا ، بيت سوريك ، بيت عنان ، رافات ، الجديرة ، قطنة ، والقببية ، غربا .

وسيخضع هذا المشروع ، ما ينوف على مائة الف عربي آخرين لحكم سلطات اسرائيل المباشر ، سياسيا وقانونيا ، وسيعمل بكل وسائل الضغط والارهاب على دمجهم اقتصاديا في بوتقة اسرائيل ، وسيطبق عليهم بالقوة برامج تعليم اسرائيل ، تماما كما يجري في القدس وفي الاربع قرى التي ضمت سابقا ، وتماها كما يجري في المناطق العربية التي وقعت تحت الاحتلال الاسرائيلي منذ سنة ١٩٤٨ .

هذه بعض مما كشفتها سلطات الاحتلال الاسرائيلي من مؤامرات وما نفذته من اعتداءات ضد القدس وضد أهلها العرب وضد حضارتها وضد مقدساتها ، وهي ما زالت تعلن وتكتشف في كل يوم عن المزيد من المخططات التهودية وتتبعها بالعمل السريع ، متحدية بذلك القمطين العربية والاسلامية والمواثيق والمقررات الدولية والانسانية .

القضية الفلسطينية والصراع العربي الاسرائيلي في الأمم المتحدة ١٩٦٥ - ١٩٧٤

الدكتور جورج طعمه

ثمة ثلاثة تحفظات أولية لا بد منها قبل ولوج هذا البحث :

أولا - ان حجم القضايا وعددها المتفرعة عن قضية فلسطين والتي عولجت خلال حقبة العشر سنوات موضع البحث هي من الكثرة والتنوع بحيث لا بد أن تكون هذه الحقيقة الدولية حاضرة في الذهن . ولاعطاء فكرة عددية عن حجم هذه المواضيع أذكر ما يلي : ان عدد القرارات التي صوتت عليها الجمعية العامة في هذه الحقبة بلغ ٦٢ قرارا بعضها - خاصة ما يتعلق ببند التقرير السنوي لمدير وكالة الاونروا - يشمل أربعة أو خمسة قرارات أوب وج ود وه ضمن قرار واحد . وعدد قرارات مجلس الامن هو ٣٥ من أصل ١٣٥ صوت عليها في عشر سنين أي ما يزيد عن الربع . المجلس الاقتصادي والاجتماعي ٤ . لجنة حقوق الانسان ٧ . اليونسكو ، المؤتمر العام والمجلس التنفيذي ، ٢٣ . منظمة الصحة العالمية ٨ . لجنة حقوق المرأة ١ .

وراء هذه القرارات التقارير السنوية والطارئة للأمين العام ومدير وكالة الاونروا ولجنة التحقيق في ممارسات اسرائيل في المناطق المحتلة وتقرير الفريق العامل المبتثق عن لجنة حقوق الانسان في الموضوع ذاته . وثمانية تقارير للأمين العام عن القدس وتقاريره عن مهمة يارنغ ومحاضر اجتماعات مناقشات الجمعية العامة ومجلس الامن واللجان السياسية الخاصة والثالثة (حقوق الانسان) والسادسة القانونية ومحاضر اجتماعات اللجان الأخرى والهيئات الاختصاصية التي عدناها بحيث يدخل عدد صفحاتها كلها في الآلاف في المئات .

ثانيا - نوعية هذه القضايا . انها تتناول أكبر قضايا القانون الدولي والقضايا السياسية والإعلامية والانسانية والتاريخية وميزان القوى الدولية كما ينعكس في هذه القرارات وتدرجها وتصعيدها وما يستتبع ذلك من ضرورة التحليل والتقييم الموضوعيين لها سنة بعد سنة .

ثالثا - تعتبر الدورة التاسعة والعشرين الحالية للجمعية العامة التي لما تنته بعد حدا فاصلا في تاريخ معالجة قضية فلسطين على صعيد الأمم المتحدة . واقتصد بالتخصيص إعادة ادراج « قضية فلسطين » كبند مستقل على جدول الاعمال . خلفيته كاملة ، أهميته ، أبعاده . ولئن اطلعنا على نصوص القرارات مترجمة لكن محاضر المناقشات التي دارت لم تعلن بعد حتى كتابة هذا البحث . وان أي تقييم نهائي لهذه الدورة التاريخية يكون ناقصا دون الاطلاع على كل ما قيل فيها اطلاقا كاملا ودقيقا .

ازاء هذه التحفظات الثلاثة وفي الحجم المحدد لهذا البحث فان أقصى ما يمكن أن

أطمح إليه هو وضع منهج له ورسم الاطر الكبرى التي يمكن أن تنضوي عشرات المواضيع ضمنها مع التوقف على المعالم الكبرى فيها فقط .

• • •

الاطار الشامل الكلي للسنوات العشر من حياة الثورة الفلسطينية هو أن الامم المتحدة بأجهزتها ولجانها الرئيسية كانت احدى الساحات الكبرى التي اختارتها اسرائيل لاعلان الحرب على الثورة الفلسطينية معتمدة على الاعلام الواسع المدروس والسياسة وتكثيف القوى داخل المنظمة للتشهير والتحطيم والتهديم ولتوجيه الضربة القاضية وتحقيق جريمة الاغتيال الجيو - سياسي لفلسطين وشعبها والقضاء نهائيا على جزء لا يتجزأ من الوطن العربي . ولقد أثبت تطور الاحداث التاريخية الجسيمة وضمنها حربا ١٩٦٧ و ١٩٧٣ أنها لم تنجح في تحقيق كامل أهدافها وان مجرى التاريخ أخذ يتحول تحولا حاسما ضدها .

ان فقدان رؤيا هذا الاطار الشامل الكلي والتاريخي يفرغ الاحداث الجسام التي تعاقبت فيه من مضمونها ويجعلها مجزأة مبعثرة لا خط ناظم أساسي لها ولا اطار واحد يحيط بها كلها أعود فأشدد عليه وهو : القضاء نهائيا على فلسطين وشعبها العربي ويرتبط بذلك ارتباطا عضويا ضرب مسيرة الأمة العربية بكاملها وبجميع اصولها وفروعها .

١٩٦٥ - ١٩٦٦ سنة اعلان الثورة . استمرت المنظمة في معالجة القضايا المتفرعة عن قضية فلسطين والتي سبق أن عالجتها تباعا وباشكال مختلفة منذ أن تسلمت المنظمة القضية عام ١٩٤٧ وهي :

١ - قضية اللاجئين ووكالة الاونروا . قامت سياسة اسرائيل داخل المنظمة بالحملة على الاونروا والدعاية ان مخيمات اللاجئين تحولت لمخيمات تدريب للفدائيين الفلسطينيين فلا يجوز والحالة هذه الاستمرار في تقديم المساعدات للوكالة .

٢ - الاعتداءات الاسرائيلية على البلاد العربية المجاورة وتصعيدها تنفيذا للسياسة التي اعلنت عنها من ان تحويل روافد نهر الاردن سيؤدي الى حرب بين اسرائيل والعرب .

٣ - التركيز على سوريا التي انطلقت الثورة منها والاعتداءات عليها في تموز (يوليو) واب (اغسطس) ١٩٦٦ والتشهير بها على مستوى واسع . وكان الاعتداء الاول موضع شكوى من سوريا لمجلس الامن لم ينته المجلس فيه الى قرار بسبب الضغط الاميركي .

٤ - شكوى اسرائيل على سوريا لمجلس الامن التي استغرقت مناقشتها من منتصف تشرين اول (اكتوبر) للعاشر من الشهر التالي ولم ينته المجلس الى قرار . قدم يوشانت خلالها تقريرين للمجلس في ١ و ٢ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ اثبتت فيهما تعطيل اسرائيل لاجهزة الامم المتحدة لحفظ السلام القائمة وفقا لاتفاقيات الهدنة بما في ذلك مقاطعة لجان الهدنة المشتركة واحتلال اقسام كبرى من المناطق المجردة بين سوريا واسرائيل خلافا لاحكام اتفاقيات الهدنة منذ عام ١٩٥٠ .

٥ - اعتداء اسرائيل على السموع في الاردن بتاريخ ١٣ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ الذي ادى الى عشرات القتلى والجرحى العرب والذي ادانته مجلس الامن بقراره ٢٢٨ تاريخ ٢٥ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ .

٦ - وقع تطور هام يتعلق بالاملاك العربية في فلسطين المحتلة اذ انهى خبير الامم المتحدة المعين من قبل لجنة التوفيق اعماله في تحديد وتقييم الاملاك العربية تنفيذاً لمهام لجنة التوفيق الدولية ومتابعة لعملها كما حدده قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ (الدورة ٣) تاريخ ١١ كانون اول (ديسمبر) ١٩٤٨ . واجتماع « لجنة خبراء عرب في الاراضي » بدعوة من الجامعة العربية وضعت نقداً للتقرير المشار اليه وقدم للامين العام للامم المتحدة . هذا العمل بالذات من بدايته للحد الذي وصل اليه جدير بان يعار اكبر الاهتمام والدراسة .

خلال هذين العامين ركزت اسرائيل جهودها ودعايتها على التمهيد للحرب مؤكدة باستمرار ان اتفاقيات الهدنة لا قيمة لها طالما انها لا تستطيع ردع الفدائيين وكأنها تعلن الحرب بصورة خفية على البلاد العربية المجاورة . وكان الرد العربي من المنظمة حاسماً بان الشعب العربي في فلسطين لا يمكن الحكم عليه بانتحار جماعي او بفقدان الذاكرة وانه شعب متميز له حقوقه الثابتة التي لا يمكن التنازل عنها .

١٩٦٧

١ - العنف من قبل اسرائيل على خطوط الهدنة والتمهيد لاتمام احتلال المناطق المجردة بين سوريا واسرائيل .

٢ - دعوة يوثانت في كانون الثاني (يناير) لعقد اجتماع استثنائي طارئ للجنة الهدنة المشتركة التي عطلتها وقاطعت اجتماعاتها اسرائيل بموجب تقريره المشار اليه في نوفمبر ١٩٦٦ منذ عام ١٩٥١ لاصرارها على تفسير احكام اتفاقية الهدنة وفقاً لما تريد والتي عقدت اجتماعاً طارئاً عام ١٩٦١ . خلال الاجتماعات التي عقدت في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٧ اصرت اسرائيل على جميع مواقفها وعدم التقيد بقرارات مجلس الامن التي ادانت مخالفتها واعتداءاتها وعدم التوصل لاية نتيجة .

٣ - تصعيد العنف من قبل اسرائيل الذي بلغ اوجه في معركة ٧ نيسان (ابريل) التي شنتها اسرائيل ضد سوريا واشترك فيها سلاح الجو الاسرائيلي باعداد كبيرة وقد شهدت سماء سوريا ودمشق خاصة معركة جوية كبرى كما شهدت خطوط الهدنة معارك حامية استعملت اسرائيل خلالها قنابل النابالم ضد المدنيين السوريين وذهب ضحيتها عشرات المدنيين الامنين . حقيقة تلك المعركة كما تروى في تقارير المراقبين الدوليين .

٤ - من ١٢ ايار (مايو) الى صبيحة ٥ حزيران (يونيو) تعاقبت الاحداث في هذه الفترة بحيث ان كل يوم جدير بان نتوقف عليه ونسجل احداثه - واحياناً بالساعات لا بمجرد الايام - لما كان يأتي به من تطورات او مفاجآت عربية ودولية . من هذه الاحداث نتوقف على ما يلي :

في ١٢ ايار (مايو) حددت الحكومة الاسرائيلية بشخص رئيس وزرائها اشكول وقادتها بشن حرب صاعقة سريعة على سوريا وكان يوثانت اصدر تصريحاً في ١١ منه ينبه الى تصعيد العمل الفدائي وما قد يؤدي اليه من خطر . وعاد بعد التهديد الاسرائيلي الذي نشر على الصفحة الاولى من النيويورك تايمس فصرح في ١٣ ايار (مايو) بان تفسيره لا يجب ان يفهم منه السماح باستعمال القوة وبماي شكل كان لحل المشاكل المتعلقة وكان بمثابة ردع قوي لاسرائيل وشجب لتصريحاتها . وفي تقريره المرفوع لمجلس الامن بتاريخ ١٩ مايو (ايار) ١٩٦٧ الرقم (A/6730 add) افرد فقرة خاصة لهذه التصريحات الاسرائيلية وما تنطوي عليه من اخطار .

من ١٦ - ١٨ ايار (مايو) تم سحب قوات الطوارئ الدولية مما كان احد الاسباب الرئيسية التي ادت لحرب ٥ حزيران (يونيو) كما روجت لذلك الدعاية الصهيونية ورسخته في الازدهان حتى اصبح بعض العرب مع الاسف يقولون به وهم دون ان يشعروا ضحايا حرب « الاستنزاف الفكري » التي شنتها وما تزال تشنها اسرائيل ضد العرب . انها مشكلة من المشاكل التي ثارت ويمكن ان تثار حولها اسئلة كثيرة وتقدم للمؤرخ مادة غنية للبحث والتقصي والدراسة واستخلاص النتائج نورد على سبيل المثال لا الحصر بعضها . فهل ان حكومة الـ ج ع م في طلبها الاول بين القادة العسكريين - القائد المصري من جهة وقائد قوة الطوارئ الدولية من جهة اخرى - طلبت سحب قوات الطوارئ بكاملها ام مجرد اعادة توزيعها بحيث اذا هاجمت اسرائيل سوريا كما هددت فعلا ، تتمكن مصر ، تنفيذاً لاتفاقية الدفاع المشترك ، من الدفاع عن سوريا دون تعريض قوات الطوارئ لاي خطر ؟ وان كان الامر كذلك كما تثبته وثائق المنظمة ذاتها فكيف فهمه او افهمه الامين العام يوثانت الذي انتهى الطلب اليه ؟ ما الذي دفع يوثانت لان يعطي مصر الخيار الصعب بين السحب الكامل او عدم اعادة توزيع قوات الطوارئ كما طلبت مصر في البدء ؟ ما هي القوى الخفية التي اثرت في موقف يوثانت وما كان دور مساعده في قضايا فلسطين بالذات رالف باننش - ما الذي تم في الاجتماعين للجنة الاستشارية للامين العام في قضية قوات الطوارئ التي اتخذت قرارا بسحبها كاملة ؟ ماذا كان موقف كل عضو من اعضاء اللجنة وباننش بالذات وتأثيره فيها ؟ وان كان سحب هذه القوات هو احد السببين المباشرين للحرب كما ادعت اسرائيل فلماذا رفضت وضع قوات الطوارئ على جانبها من خطوط الهدنة حين طلب اليها الامين العام ذلك ان كانت فعلا تحرص على السلام وتريد المحافظة عليه ؟ كلها اسئلة لم يجب بدقة عليها بعد .

ولقد سجل الامين العام يوثانت الظروف والتطورات التي رافقت سحب قوات الطوارئ بين ١٦ و ١٨ ايار (مايو) ١٩٦٧ ساعة ساعة في تقارير رفعها للجمعية العامة ومجلس الامن في غاية الاهمية . وهي التالية :

S/٦٦٦٩ و A/٦٧٣٠ تاريخ ١٨ ايار (مايو) ١٩٦٧

S/٦٦٦٩ add 1 و A/٦٧٣٠ تاريخ ٢١ (مايو) ١٩٦٧

S/٦٦٦٩ add 3 و A/٦٧٣٠ add 3 تاريخ ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٦٧

وهذه التقارير وما تضمنته من وثائق ورسائل متبادلة تعتبر وثائق تاريخية وما زال للتاريخ والمؤرخين ان يقولوا كلمتهم الاخيرة فيها .

في ٢٤ ايار (مايو) اعلن الرئيس ناصر اغلاق خليج العقبة باعتباره مياها اقليمية واعلنت اسرائيل بدورها ان هذا يشكل سببا مباشرا للحرب . هنا نجابه مشكلة قانونية تثير اسئلة كثيرة . هل يحق لاسرائيل ان تطلب حق « المرور البريء » في مضائق تيران وخليج العقبة ؟ هل لاسرائيل ان تطلب هذا الحق بعد ان احتلت اراض عربية خلافا لقرار التقسيم ولقرارات الهدنة عام ١٩٤٨ التي طلبت عدم تحرك الجيوش من خطوطها لكن اسرائيل تقدمت واحتلت تقسما من خليج العقبة ؟ وهل يمكن لهذا الحق الذي تنادي به ان تحد منه « حالة الحرب » القائمة بينها وبين البلاد العربية بما في ذلك الاسس ذاتها التي قامت عليها اسرائيل ؟ واذا اعتدنا المنظمة وريثة لعصبة الامم فهل نفذت موثيق العصبة من حيث المحافظة على الحقوق العربية ام كان التقسيم جريمة اغتيال سياسي وعنصري ؟ ثم بعد قيام اسرائيل الا يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار خرق اسرائيل للقانون الدولي لغزوها واحتلالها اراض عربية ورفضها

عشرين قرارا للامم المتحدة تؤكد حق الفلسطينيين العرب بالعودة او التعميض وهي حقوق طبيعية تاريخية اكدها الشرح الدولي فهل يمكن لاسرائيل ان تزعم حقا لها من جهة وتهمل حقوقا عربية من جهة اخرى ؟ ثم اذا عدنا لمضائق تيران وخليج العقبة وهي ممرات مائية داخلية ذات صفة تاريخية ثابتة لا مجال للجدل القانوني فيها فهل يمكن اعطاء ذات الحقوق التاريخية فيها التي ترجع لآلاف السنين لدولة جديدة غازية ؟ هل يعطي الغزو والاحتلال حقا قانونيا ؟ هل تطبق اتفاقية جنيف لعام ١٩٥٨ عن « البحار والبحار العالية والمناطق المحاذية » High Seas, Territorial Sea and Contiguous Zones في تحديد حق الاستفادة من الخليج والمضائق للدول المحاذية بصرف النظر عما اذا كانت اسرائيل دولة محاذية شرعية او صاحبة « حق مشروع » هل يشكل اغلاق المضائق والخليج عملا عدوانيا بمعنى الميثاق والقانون الدولي وخرقا له وبسببها Casusbelli للحرب كما ادعت اسرائيل عام ١٩٦٧ (١) ؟

ومهما يكن الامر فبين ٢٤ ايار (مايو) ١٩٦٧ و ٥ حزيران (يونيو) كان مجلس الامن يناقش هذه القضايا والكثير مثلها مما يقع في نطاق القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة واحكامه حين شنت اسرائيل هجومها المفاجيء وضربت ضربتها صباح ٥ حزيران (يونيو) . ومن الاحداث التي تعاقبت بعد ذلك اليوم حتى هذه السنة تتوقف على المعالم التالية : (١) علاقة الهجوم الاسرائيلي بالمادة ٥١ من الميثاق (٢) قرارات وقف اطلاق النار بين ٦ و ١١ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ دون طلب التراجع (٣) التسوية الشاملة كما تضمنها القرار ٢٤٢ (٤) مهمة يارنغ (٥) المشكلة الانسانية (٦) القدس (٧) مادة ما سمي بالارهاب والقرار المتخذ (٨) اقرار حقوق شعب فلسطين (الثابتة) Inalienable « التي لا يمكن التنازل عنها » (٩) حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ وقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ . (١٠) اعادة ادراج « قضية فلسطين » كبنء مستقل على جدول الاعمال في الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة والقرارات التي حولت عليها . وسنعالجها كلها بايجاز ضمن الحدود المرسومة ل حجم هذا المقال ويمكن القول ان النتائج السلبية القائمة على خرق القانون الدولي بين ٥ حزيران ١٩٦٧ ونهاية ذلك العام ما زلنا نعيش في نتائجها حتى اليوم بالرغم من انتصارات اخرى كبيرة تمت داخل المنظمة خلال العشرة اعوام موضع الدرس .

١ - المادة ٥١ من الميثاق . هذه المادة هي من الاهمية بمكان وذات علاقة عضوية وثيقة بما تم ، خاصة قرارات وقف اطلاق النار عقب الهزيمة العربية الكبرى ، بحيث يجب ايراد نصها الكامل وهو التالي :

ليس في هذا الميثاق ما يضعف او ينقص الحق الطبيعي للدول ، فرادى او جماعات ، في الدفاع عن انفسهم اذا اعتدت قوة مسلحة على احد اعضاء « الامم المتحدة » وذلك الى ان يتخذ مجلس الامن التدابير اللازمة لحفظ السلم والامن الدولي ، والتدابير التي اتخذها الاعضاء استعمالا لحق الدفاع عن النفس تبلغ الى المجلس فورا ، ولا تؤثر تلك التدابير بأي حال فيها للمجلس - بمقتضى سلطته ومسؤولياته المستمدة من احكام هذا الميثاق - من الحق في ان يتخذ في اي وقت ما يرى ضرورة لاتخاذ من الاعمال لحفظ السلم والامن الدولي او اعادته الى نصابه .

وهذه المادة واضحة من حيث انه يحق لدولة عضو او لمجموعة من الدول الاعضاء ان تنبرى لحق الدفاع المشروع عن النفس اذا وقع عليها عدوان مسلح على ان تبلغ مجلس الامن فورا ذلك و « الى ان يتخذ مجلس الامن التدابير اللازمة لحفظ السلم والامن الدولي » . لكن الامور سارت في منطق معكوس تماما . فمجلس الامن كان في

حالة انعقاد دائم منذ ٢٤ ايار (مايو) ١٩٦٧ يناقش ادق وأعوص مشاكل القانون الدولي حين شنت اسرائيل هجومها على مصر وسوريا والاردن خلافا لجميع احكام الميثاق وخاصة المادتين ١ و ٢ اللتين تحرمان استعمال القوة لفض المنازعات بين الدول الاعضاء واخذت القانون بيدها واحتلت مساحات شاسعة من اراضي الدول الاعضاء . لكن مصر وسوريا تنطبق عليهما المادة ٥١ من الميثاق حين شنتا حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ . المجيدة لان الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربيةية شكل ويشكل عدوانا دائما عليها وعلى الشعب الفلسطيني العربي فهم بموجب الميثاق يجابهون عدوانا اسرائيليا دائما وبالتالي لهم حق الدفاع المشروع عن النفس وفقا للمادة ٥١ لا سيما بعد فشل جميع الجهود الرامية الى اعادة الحق لنصابه . نعود لحزيران (يونيو) ١٩٦٧ فنجد ان الامور سارت في منطقتي معكوس . فنتيجة للانتصار الاسرائيلي الساحق والهزيمة العربية والاعلام الاسرائيلي الصهيوني الامبريالي الهائل على مستوى عالمي سادت شريعة الغاب لا حكم القانون . فأصبح المعتدي هو المعتدى عليه والمعتدى عليه هو المعتدي واتخذت القرارات التي جمدت الاوضاع حتى اليوم على هذا الاساس .

٢ - قرارات وقف اطلاق النار (٣) وهي التالية :

١ - القرار رقم ٢٣٣ تاريخ ٦/٦/١٩٦٧ الذي طلب فيه من الفرقاء المعنيين ان تتخذ **خطوة اولى** للتدابير اللازمة لوقف اطلاق النار فوراً ووقف كل نشاط عسكري في المنطقة .

ب - القرار ٢٣٤ تاريخ ٧/٦/١٩٦٧ الذي عبر فيه المجلس عن قلقه لاستمرار العمليات العسكرية في المنطقة بالرغم من قراره السابق وأكد طلبه الى الحكومات المعنية وقف اطلاق النار فوراً والامتناع عن القيام باي نشاط حربي **خطوة اولى** وذلك في تمام الساعة ٢٠.٠ (توقيت غرينتش) من ٧ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ .

لكن اسرائيل تابعت زحفها الى ان اكملت احتلال سيناء بكاملها والوصول الى الضفة الشرقية من قناة السويس رغم قبولها وقبول مصر قرار وقف اطلاق النار . وقبلت سوريا قرار وقف اطلاق النار في ٨ لكن اسرائيل شنت هجومها الصاعق على سوريا في الصباح الباكر من ٩ حزيران (يونيو) وكان المجلس ما يزال في حالة انعقاد . نلاحظ هنا الهجوم الاسرائيلي على باخرة التجسس الاميركية « ليبرتي » Liberty في ذات الوقت الذي تم فيه الهجوم على سوريا وقتل بنتيجته اربعون بحارا اميركيا . ان هذا الحادث الذي ما زال مكتنفا بالاسرار جدير ايضا بان يفرد له بحث مستقل . على اية حال تابع مجلس الامن انعقاده بالرغم من جميع العراقيل لاعاقبة اجتماعه وذلك لتمكين جيش اسرائيل من احتلال مرتفعات الجولان . انعقد مجلس الامن ظهرا وصوت بعد الظهر على :

ج - القرار رقم ٢٣٥ تاريخ ٩/٦/١٩٦٧ الذي اكد القرارين السابقين واثار الى قبول كل من اسرائيل وسوريا لهما وعاد فأكّد وقف العمليات العسكرية فوراً .

د - القرار رقم ٢٣٦ تاريخ ١١/٦/١٩٦٧ الذي صوت عليه بعد ان تابعت اسرائيل تغلغلها في الاراضي السورية واخذت تهدد دمشق بالذات وتوجه اذاعات لاهاليها عما يجب عمله حين دخول الجيش الاسرائيلي فأكّد القرار ان « طلب الامتناع عن كل النشاطات العسكرية يشمل منع اي تحركات عسكرية **الى الامام** لاحقة لوقف اطلاق النار » « ودعا الى اعادة اي قوات تكون قد تحركت الى الامام بعد الساعة ١٦٣٠

(توقيت غرينتش) في ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الى مراكز وقف اطلاق النار فوراً » .

لكن اسرائيل لم تتوقف في الاراضي السورية الا حيث كانت قد خطت من قبل متجاهلة كل التجاهل القرار السابق وبعد ان حققت اهدافها في الاحتلال .

هذه القرارات الاربعة التي كونت اول واخطر سابقة في تاريخ الامم المتحدة من حيث انها خلافا لجميع قرارات وقف اطلاق النار السابقة لم تطلب العودة الى الخطوط التي بدأت جيوش اسرائيل الهجوم منها صباح ٥ حزيران ، كرست العدوان والاحتلال الاسرائيلي مما يستوجب ان نتوقف عنده قليلا .

فالذي تجب ملاحظته هي ان القرارين ٢٣٣ و ٢٣٤ طلبا وقف اطلاق النار « كخطوه أولى » مما يوحي ان هناك خطوات اخرى ستلي بعد ذلك . ومن الطبيعي وفقا للميثاق وللسوابق التي اقامها مجلس الامن بالذات ومنها الاعتداء الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ والحروب الماثلة التي عالجها ان تكون هذه الخطوات التالية ارغام المعتدي في ٥ حزيران (يونيو) على العودة الى خطوط ما قبل الخامس من حزيران (يونيو) ومنعه من التمتع بثمار عدوانه . لكن شيئاً من ذلك لم يحدث وبذلك اتت هذه القرارات مبتورة من الناحية القانونية اذ ان المجلس فشل في اتمام المهمة التي اوكلها الميثاق اليه وهي ردع المعتدي عن عدوانه وحرمانه من الاستفادة من ثمار العدوان وعقابه وفقا للفصل السابع من الميثاق . وكان كل ذلك بضغط من اميركا التي جندت كل قواها لاستمرار الاحتلال الاسرائيلي واذلال العرب بل واغداق المساعدات على المعتدي لتمكينه من استمرار احتلاله وتمتينه . ولما كان الاحتلال يشكل عدوانا دائما فقد زرعت بذور حرب دائمة وسطرت بذلك اخطر خرق للقانون الدولي واستهتار بحق الشعوب مما ادى الى حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ ومما قد يؤدي الى حرب خامسة . وهكذا كان ضغط الولايات المتحدة السبب الاول الرئيسي في فشل مجلس الامن باداء مهمته بموجب الميثاق . ذلك ان عدة محاولات قامت في المجلس في تلك الايام العسيرة المحزنة لتمكين المجلس من القيام بمهمته بينها محاولات الهند وممثلو دول عدم الانحياز في المجلس والاتحاد السوفياتي اللذين قدما قرارات لإدانة العدوان الاسرائيلي وطلب من اسرائيل سحب قواتها . لكن اميركا مارست « فيتو » من نوع خاص وهو تأليب اصوات اعضاء المجلس ضد مثل هذه القرارات المنصفة للعرب وبالتالي اجهاضها وافشالها .

٣ - القرار ٢٤٢ كتسوية شاملة . القرار ٢٤٢ أصبح معروفا بجملته وتفاصيله وصوت عليه مجلس الامن بتاريخ ٢٢/١١/١٩٦٧ والمهم ان نلاحظ ان ستة أشهر تقريبا قد انقضت بين تصويت مجلس الامن على اول قرار بوقف اطلاق النار في ٦/٦/١٩٦٧ كخطوة أولى . ولقد كانت هذه الاشهر حاسمة في تجميد الموقف الى صالح اسرائيل . اذ عندما تبين ان مجلس الامن عجز تماما عن ردع المعتدي وارغامه على الانسحاب الى الخطوط التي شن هجومه منها في ٥ حزيران (يونيو) طلب الاتحاد السوفياتي عقد دورة طارئة استثنائية خاصة في ١٣/٦/١٩٦٧ افتتحت في ١٧/٦ واستمرت حتى ٢١/٧/١٩٦٧ للنظر في « الوضع في الشرق الاوسط » نظراً لاستيلاء اسرائيل على مساحات شاسعة من اراضي ثلاث دول اعضاء في المنظمة ومن أجل تصفية آثار العدوان الاسرائيلي . وقدمت مشاريع عدة من الاتحاد السوفياتي والدول الاسيوية ودول اميركا اللاتينية والبنانيا اختلفت في التفاصيل ولكنها اجمعت كلها على طلب انسحاب الجيوش الاسرائيلية من الاراضي العربية المحظلة كما اكدت ايمانها بأن من

المستحيل إقامة مجتمع دولي يحكمه القانون مع وجود الاحتلال بالقوة . لكن أميركا وضعت كامل قوتها من أجل افشال جميع المشاريع في الجمعية العامة كما فعلت في مجلس الامن . ولو نحن أخذنا المشروعين الاسيوي واللاتيني اللذين نالا ٥٦ و ٥٤ صوتا في تلك الدورة الطارئة لوجدنا ان الأغلبية الساحقة من الدول الاعضاء كانت متفقه على طلب الانسحاب وقد علق المستشار الاول في القانون السدولي John Lawrence Hargrave للوفد الدائم الاميركي لدى الامم المتحدة على كل ذلك بما يلي : « ان المادة ٥١ من الميثاق واضحة في ان استعمال القوة كحق لا يجوز الا اذا تعرضت الدولة لهجوم مسلح ولم يقم الدليل قط ان اسرائيل تعرضت لمثل هذا الهجوم . أما حجتها في الحرب الوقائية فلا أعرف أي عضو آخر في الامم المتحدة لجأ الى المادة ٥١ لتبرير حرب كالحرب التي شنتها . ولو افترضنا جدلا ان حشد جيوش مصر في سيناء واغلاق المضائق كان تهديدا لها فحربها الخاطفة ازالته هذا التهديد ولم يعد هنالك ثمة مبرر لبقائها في الاراضي الواسعة التي احتلتها وانعدم حقها تماما ان توجد على ارض اجنبية . ان المنظمة نتيجة للموقف الاميركي عجزت عن فرض سلطتها حين طلبت وقف اطلاق النار بدون تراجع » (٢) . ويتابع فيقول « ان الخيارات التي ارغمت عليها الامم المتحدة بضغط اميركا لم تكن قانونية قط لكنها ارادت استغلال الانتصار الاسرائيلي الى ابعد حد ممكن . وهناك سبب آخر وهو ان الوضع الداخلي في اميركا لم يكن ليقنعها بعكس ذلك » .

هذه هي المواقف التي انعكست في الفلسفة التي قام عليها القرار ٢٤٢ . ان طلب انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة الذي كان في حزيران ١٩٦٧ شعورا شبيهه غريزي لدى معظم الدول الاعضاء ناشئا عن مفهوم للميثاق أصبح في تشرين الثاني (نوفمبر) بعد ستة أشهر تنازلا رئيسيا من قبل اسرائيل واميركا — حتى لقد جاء تنازلا ضمن حدود بدليل عدم ورود «ال» التعريف «The» قبل «اراض» (في النص الانكليزي) مما ترك مجالا للتساؤل ان كان مجلس الامن يتوقع Envisaged الانسحاب من جميع الاراضي المحتلة بعد ٤ حزيران (يونيو) . ومقابل مبدأ الانسحاب طلب من العرب انهاء جميع حالات الحرب والاقرار بحق اسرائيل في ضمانات الامن الاساسية وفقا للميثاق وحرية الملاحة في الممرات المائية الدولية . أما اسرائيل فطلب منها ان تقبل مبدأ تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين وان يقبل الطرفان مبدأ وجود مناطق مجردة «(٤)» ويختتم Hargrave هذا المقطع بقوله :

« كانت النتيجة واضحة : ان جعل التزامات اسرائيل بالتخلي عن الاراضي العربية التي احتلتها بالقوة مشروطة بموافقة العرب على حل شامل جعل الامم المتحدة — ماديا (والبعض يقول قانونيا) عاجزة ومشلولة ان تنجز بذاتها حلا بالقوة وان تعطي موافقتها لتحقيق حل فرضته اسرائيل بالقوة » (٥) .

٤ — مهمة يارينغ :

عين الامين العام السفير السويدي غونار يارينغ ممثلا خاصا له ليقوم بالاتصالات المنوه عنها من الفقرة الثالثة من القرار ٢٤٢ . وتسلم السيد يارينغ مهمته في السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) وقام مباشرة باتصالات مع الجمهورية العربية المتحدة ، والاردن ، واسرائيل . ومنذ اللحظة الاولى لابتداء مهمته أخذت اسرائيل تضع العراقيل امامه . فقد أصرت على ان حل مشكلة الشرق الاوسط لا يمكن ان يتم الا بمفاوضات مباشرة بين الفرقاء تنتهي بمعاهدة سلام ، واقترح جدول أعمال يتضمن المشكلات السياسية والقانونية والارضية والامنية والملاحية والاقتصادية .

وكان رد الجمهورية العربية المتحدة والأردن على ذلك يتلخص بأن انسحاب القوات الإسرائيلية الى المواقع التي كانت تحتلها قبل حزيران ١٩٦٧ هو الخطوة الأساسية والتمهيدية لتسوية سلمية في الشرق الأوسط . ثم تقرر بعد ذلك ان تجري المباحثات مع المبعوث الخاص في نيويورك دون دعوة رسمية .

وخلال أشهر أيار وحزيران وآب وأيلول ١٩٦٨ اتصل السفير يارينغ في نيويورك بمندوبي الدول المعنية وبوزراء خارجيتها ، وقد اتضح له خلال هذه الاتصالات ان هناك وجهات نظر مختلفة لدى كل من الطرفين . فبينما اعتبرت اسرائيل ان قرار مجلس الامن ٢٤٢ هو مجرد بيان مبادئ على الفرقاء ان يتفاوضوا حول السلام في ضوءه ، اعتبرت مصر ان القرار هو خطة كاملة لتسوية النزاع في الشرق الأوسط وان على الفرقاء ان ينفذوها وفقاً لوسائل يعينها المبعوث الخاص . وكان هناك أيضاً خلاف حول المعنى الخاص بنصوص الانسحاب في قرار مجلس الامن ، فهي بالنسبة للدول العربية تشمل جميع الاراضي المحتلة منذ ٥ حزيران ١٩٦٧ ، أما بالنسبة لاسرائيل فهي تنطبق فقط ، الى الحد الضروري ، حين يتم التوصل الى اتفاق بين الفرقاء على حدود آمنة ومعترف بها بينهم ، وهكذا تجمدت مهمة السفير يارينغ حتى حزيران ١٩٧٠ حيث اقترحت الولايات المتحدة على حكومات اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة والأردن بأن تعلم السفير يارينغ (١) بأنها قبلت وستنفذ القرار رقم ٢٤٢ بكل أقسامه وانها ستعين ممثلين لمباحثات تجري تحت اشرافه . (٢) بأن الغرض من هذه المباحثات هو التوصل الى اتفاق على توطيد سلام عادل ودائم بينهم يركز على المبادئ التالية (١) الاعتراف المتبادل بين الاطراف المعنية بسيادة كل منها وسلامة اراضيها واستقلاله السياسي ، (ب) انسحاب اسرائيلي من الاراضي التي احتلت في حرب ١٩٦٧ وفقاً للقرار ٢٤٢ ، (٣) ان الفرقاء تسهلاً لتنفيذ مهمة السفير يارينغ سوف يحافظون اعتباراً من واحد تموز حتى اول تشرين الأول على الاقل على قرارات مجلس الامن الخاص بوقف اطلاق النار . وبعد ان وافقت الدول المعنية على هذا الاقتراح الامركي ابتدا السفير يارينغ بالاتصال بالفرقاء للقيام بمباحثات في نيويورك وقابل ممثلي الدول العربية ، ولكن الممثل الاسرائيلي رفض الاستمرار بالاشتراك في هذه المحادثات بحجة ان اتفاقية وقف النار لم تراعى تماماً ، وبذلك تجمدت المحادثات . وعندما أصدرت الجمعية العامة قرارها رقم ٢٦٢٨ (دورة ٢٥) تاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٧٠ ودعت الاطراف المعنية استئناف الاتصال مع السفير يارينغ ، دعا الممثل الخاص الاطراف لاستئناف المناقشات تحت اشرافه للتوصل الى اتفاقية حول اقامة سلام عادل ودائم . وقد أبدت كل من حكومة الجمهورية العربية المتحدة والأردن رغبتها في ذلك ، ووافقت اسرائيل على ذلك أيضاً . وبتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٧١ استأنف السفير يارينغ مناقشاته . وقد تلقى رسالتين من اسرائيل توضح فيها آراءها في مبادئ السلام ، وكذلك تلقى رسالة من كل من الجمهورية العربية المتحدة والأردن توضحان فيهما آراءهما الخاصة حول تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وقد اتضح من هذه الرسائل ومن الاجتماعات التي عقدها المبعوث الخاص مع مندوبي الدول المعنية على ان هناك اختلافاً جوهرياً في الرأي حول النظام الذي يجب ان تبحث المواضيع بموجبه . وأهم من ذلك ان كل فريق كان يصر على ان يكون الفريق الاخر مستعداً لالتزامات معينة قبل ان يستعد للانتقال الى مرحلة صوغ نصوص تسوية السلام . وقد أصرت اسرائيل على ان تقدم اليها الجمهورية العربية المتحدة التزامات محددة ومباشرة وانها ستكون مستعدة للدخول في اتفاقية سلام معها وعندما يتم التوصل الى هذه النقاط سيكون بالإمكان البحث في نقاط أخرى ومن ضمنها مشكلة اللاجئين ، أما مسألة الحدود الآمنة

والمعترف بها واتفاقيات الانسحاب والاتفاقيات الاخرى لضمان الامن فيجب ان يتم البحث فيها في الوقت الملائم . وكذلك فان الجمهورية العربية المتحدة استمرت على اعتبار قرار مجلس الامن قرارا يحوي نصوصا ليقوم الفرقاء بتنفيذها ، وعبرت عن استعدادها للقيام بالتزاماتها بموجب القرار بصورة تامة شرط ان تفعل اسرائيل مثل ذلك .

وفي الثامن من شباط ١٩٧١ وجه السفير يارينغ مذكرة الى كل من حكومتى الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل طالبا منهما ان يقدمتا له سلفا بعض الالتزامات . والقصد من هذه المحاولة هو ان الالتزامات يجب ان تقدم بوقت واحد وبصورة متبادلة وان تكون خاضعة للتقرير الرضائي النهائي لجميع مظاهر التسوية السلمية بما فيها ، وبصورة خاصة ، تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين . فاسرائيل سوف تعطي تعهدا بالانسحاب من اراضي الجمهورية العربية المتحدة الى الحدود الدولية السابقة بين مصر وفلسطين خلال الانتداب البريطاني ، وكذلك فان الجمهورية العربية المتحدة سوف تتعهد بعقد معاهدة سلام مع اسرائيل .

وقد وافقت الجمهورية العربية المتحدة بمذكرتها المؤرخة في ١٥ شباط على التعهدات الواردة في كتاب السفير يارينغ ، وذلك اذا اعطت اسرائيل بالمقابل تعهدات تشمل التزاماتها حسب قرار مجلس الامن بما فيها التعهدات بانسحابها من سيناء وقطاع غزة وايضا لاتهاام تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ، حسب قرارات الامم المتحدة .

اما جواب اسرائيل على مبادرة السفير يارينغ فقد رجب باستعداد الجمهورية العربية المتحدة لعقد معاهدة سلام مع اسرائيل . وتجاهل هذا الجواب النقطة المتعلقة بالانسحاب التي حاول السفير يارينغ ان يأخذ من اسرائيل تعهدا بها ، وفوق ذلك فان اسرائيل صرحت بانها سوف لا تنسحب الى حدود ما قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ . وكان رد فعل الحكومة المصرية على ذلك بأنه سوف لا يكون لجوابها للسفير يارينغ اي مفعول الا اذا تعهدت اسرائيل باعطاء الضمانات التي طلبها منها السفير يارينغ . وهكذا تجمدت المحادثات تحت اشراف الممثل الخاص للامين العام .

وبتاريخ ١٣ كانون الاول ١٩٧١ اتخذت الجمعية العامة قرارها رقم ٢٧٩٩ (٢٦) الذي لاحظت فيه بتقدير رد مصر الايجابي على مبادرة المبعوث الخاص وطلبت من الامين العام اتخاذ الاجراءات الضرورية لمبعث مهمة السفير يارينغ من جديد . وقامت عدة اتصالات بين المبعوث الخاص وبين ممثلي مصر واسرائيل اللذين اصرا على موقفهما . الاول اصبر على ان ترسل اسرائيل التعهدات المطلوبة بكتاب السفير يارينغ الموجه اليها بتاريخ ٨ شباط ١٩٧١ ، والثانية اصرت على اقامة مفاوضات بين الطرفين دون شروط مسبقة . وفي ٨ كانون الاول ١٩٧٢ اتخذت الجمعية العامة قرارها رقم ٢٩٤٩ (٢٦) الذي اكدت فيه قرارها رقم ٢٧٩٩ (٢٦) وعبرت عن تأييدها لجهود الامين العام ومبعوثه الخاص . وعادت مهمة المبعوث الخاص الى التجمد من جديد (١) .

٥ - القرارات الانسانية . اساس هذه القرارات كلها قرار مجلس الامن رقم ٢٣٧ الذي صوت عليها بالاجماع في ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ والذي طالب اسرائيل « احترام حقوق الانسان الاساسية التي لا يمكن التنازل عنها والتقييد باتفاقيات جنيف الاربعة لعام ١٩٤٩ وتأمين سلامة وخير وامن سكان المناطق التي جرت فيها عمليات عسكرية وتسهيل عودة اولئك الذين فروا من هذه المناطق منذ نشوب القتال » وطلب المجلس الى الامين العام للمنظمة « متابعة تنفيذ هذا القرار تنفيذا فعالا ورفع تقرير عن

ذلك لمجلس الامن « وفي ٤ تموز (يوليو) اكدت الجمعية العامة في دورتها الطارئة الخاصة هذا القرار بقرارها رقم ٢٢٥٢ وبأكثرية مائة صوت . وقد اصبح هذان القراران مرتكزا لجميع القرارات التي عرفت « بالانسانية » والتي تضمنت تعدادا بخرق اسرائيل لجميع الالتزامات القانونية الدولية الناشئة عن اتفاقيات جنيف الاربعة وتحذيد الجرائم التي ارتكبتها ضد العرب في المناطق المحتلة .

وقد اوفدت الجمعية العامة لجنا كما اوفد الامين العام ممثلا للتحقيق في ممارسات اسرائيل في المناطق المحتلة وفي ما يلي بيان بها :

أ - اوفد الامين العام تنفيذًا للقرار ٢٣٧ ممثلا خاصا له للمناطق المحتلة ورفع تقريره لكل من الجمعية العامة ومجلس الامن في ٢ (اكتوبر) تشرين اول ١٩٦٧ عن سكان هذه المناطق وعدم عودة النازحين عنها ومعاملة اسرى الحرب العرب .

ب - شكلت الجمعية العامة عام ١٩٦٩ لجنة خاصة من سيلان ويوغوسلافيا والصومال للتحقيق في انتهاكات اسرائيل لاتفاقيات جنيف . وقد رفضت اسرائيل التعاون مع هذه اللجنة لكنها قامت بعملها وزارات المنطقة وقدمت حتى الان ثلاثة تقارير وبالاستناد اليها صوتت الجمعية العامة منذ عام ١٩٧٠ على ثلاثة قرارات اعربت فيها عن قلقها البالغ العميق للانتهاكات التي ارتكبتها اسرائيل في المناطق المحتلة ووجهت دعوة شديدة لها للكف فورا عن اجراءاتها التعسفية ضد السكان العرب ودعتها للتقيد تقيدا دقيقا باتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ كما اكدت ان جميع التدابير والاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لتغيير معالم المناطق المحتلة واستيطانها وطرد السكان العرب تعتبر باطلة ولاغية ودعت اسرائيل للتعاون مع لجنة الامم المتحدة .

ج - شكلت لجنة حقوق الانسان ، اثر دراستها لقضايا حقوق الانسان في المناطق المحتلة في اذار (مارس) ١٩٦٩ فريق عمل مؤلف من النمسا وبيرو وتنزانيا والسنغال والهند ويوغوسلافيا للتحقيق في انتهاكات اسرائيل المستمرة لحقوق الانسان وخاصة لاتفاقية جنيف الرابعة . ورغم عدم تعاون اسرائيل مع هذا الفريق فقد قام بعمله وقدم تقريراً مفصلاً في ٢٠ كانون ثاني (يناير) ١٩٧٠ .

د - التقارير السنوية التي يقدمها للجمعية العامة المفوض العام للاونروا والتي تبحث في ما حل بالنازحين الجدد بعد عام ١٩٦٧ من اضطهاد وتشريد وعذاب وما لحق باللاجئين العرب في مخيماتهم في المناطق المحتلة التي هدم جيش اسرائيل بعضها ، وشرد من غزة بالذات عشرات الاف اللاجئين ، كما حولت منشآت اخرى للاجئين وبعض المدارس والمستشفيات الى منشآت وتكنات يستفيد منها الجيش الاسرائيلي . واستناداً لهذه التقارير كلها بالاضافة الى تقارير هيئات دولية اخرى كاللجنة الدولية للصليب الاحمر الدولي « والامнести انترناشونال » فان العديد من القرارات التي صوتت عليها الهيئات الدولية اكدت انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان وادانتها . نذكر على سبيل المثال لا الحصر ، ما ورد في بعض قرارات لجنة حقوق الانسان ، مما يشير بالتخصيص لخرق اسرائيل لاتفاقيات جنيف . فقد ورد في قرار اللجنة رقم ١٠ تاريخ ٢٣ اذار ١٩٧٠ ما يلي : « ان لجنة حقوق الانسان اذ تشير لقرار الجمعية العامة رقم ٢٥٣٥ لعام ١٩٦٩ الذي اعادت فيه تأكيد الحقوق الثابتة لسكان فلسطين ، ورقم ٢٥٤٦ الذي عبرت فيه الجمعية العامة عن قلقها البالغ من الانتهاكات المستمرة لحقوق الانسان في الاراضي التي تحتلها اسرائيل . وطلبت من اسرائيل ان تلتزم بمسؤولياتها طبقاً لاتفاقية جنيف الخاصة بحماية حقوق الافراد في زمن الحرب المعقودة في ١٢ اب (اغسطس) ١٩٤٩ .

« واذ تشير الى قرارها رقم ٥ ب الذي درست فيه انتهاكات اتفاقيات جنيف واعتبارها جرائم حرب واهانة موجهة للانسانية بالاضافة الى كونها جرائم حرب .
 « واذ تشعر بالقلق الشديد من التقارير الحديثة عن قيام سلطات الاحتلال الاسرائيلية بعملية طرد جماعي للاجئين الفلسطينيين (ويبلغ عددهم ٣٠٠٠٠ لاجيء) من قطاع غزة المحتل » .

ونصت الفقرة التنفيذية ٧ من القرار رقم ٣ الذي صوتت عليه لجنة حقوق الانسان في ٢٢ اذار (مارس) ١٩٧٢ على ما يلي : « تعتبر اللجنة ان المخالفات الخطيرة لاتفاقية جنيف الرابعة التي اقترفتها اسرائيل في المناطق المحتلة تشكل جرائم حرب واهانة للانسانية » .

وبالضبط ادانت الجمعية العامة ولجنة حقوق الانسان اسرائيل للانتهاكات التالية لاتفاقيات جنيف :

- ١ — التدمير الكلي او الجزئي لقرى ومدن في المناطق المحتلة .
- ٢ — اقامة مستوطنات اسرائيلية في المناطق العربية المحتلة .
- ٣ — عمليات ترحيل وطرود السكان المدنيين غير القانونية فرديا وجماعيا .
- ٤ — ارغام السكان المدنيين على التعاون مع سلطات الاحتلال ضد ارادتهم .
- ٥ — الغاء القوانين العربية القائمة في المناطق المحتلة .
- ٦ — كل سياسات واجراءات العقاب الجماعي .
- ٧ — استعمال وسائل القسر وتعذيب المساجين لانتزاع المعلومات والاعترافات .
- ٨ — سوء معاملة وقتل المدنيين دون استفزاز .
- ٩ — اعتقال الافراد عن طريق اوامر ادارية لفترات تجدد تلقائيا الى ما لانهاية .
- ١٠ — حرمان هؤلاء المعتقلين من اي ضمان خاص بمدة الاعتقال والمحكمة العادلة، وكذلك حرمانهم من استشارة محام يختارونه ومنع المحامي في الحالات التي يقع فيها اختيار المتهمين عليه من مزاوله واجباته بطريقة مرضية .
- ١١ — استملاك الممتلكات العربية المنقولة وغير المنقولة بالقوة .
- ١٢ — السطو على الاثار والممتلكات الثقافية .
- ١٣ — منع وصول الكتب المدرسية التي وافق عليها المدير العام لليونسكو لاستعمالها في مدارس الاونروا واليونسكو في المناطق المحتلة .
- ١٤ — حرمان النازحين الذين بلغ عددهم مئات الالاف من حق العودة الى المناطق المحتلة ، وهو حق امرته لهم الجمعية العامة بصورة مطلقة ودون ان يتوقف تنفيذه على اي قيد او شرط .

والادلة على استهتار اسرائيل باتفاقية جنيف الرابعة اكثر من ان تحصى نذكر مثلا ما ورد في صحيفة هآرتس عدد ٧٣/٩/٢٤ من ان العميد زئيفي استعرض اثناء لقائه مع المرسلين العسكريين عشية اعتقاله اوجه نشاطه في قطاع غزة واليهودية والسامرة فكشف انه في اليهودية والسامرة فقط تم منذ حرب الايام الستة اعتقال ٧٣٦١ شخصا وان ما يقرب من ثلثي هذا العدد قد اطلق سراحه . وقد جرت الاعتقالات الكبرى عام ١٩٦٩ حيث تم اعتقال ١٦٨٧ شخصا .

وذكرت دافار في ٧١/٩/٦ ان المرحلة الاولى من شق الطرق الامنية في قطاع غزة قد انتهت وانه تم هدم ١٠١١٠ منزلا يقطنها ٩٢٤ عائلة من المستأجرين يبلغ عدد افرادها ٦٥٠٣ نسمة .

جاء في هآرتس ٧١/٦/٢٩ ، ان عدد المهاجرين من قطاع غزة وشمال سيناء الى الضفة الغربية وسائر الدول العربية حتى نهاية حزيران (يونيو) ٧١ ، بلغ نحو ٧٠ الفا . وان الكثيرين من السكان يرغبون في الهجرة بسبب استمرار أعمال القتل والارهاب في القطاع .

وليس أدل على استهتار اسرائيل باتفاقيات جنيف من انها اصدرت تعليمات لايقاف العمل بها . فبعد دخول الجيش الاسرائيلي الى المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ، نشرت قيادة ذلك الجيش تعليمات بشأن اوضاع الامن في تلك المناطق اعلنت بموجبها انها تعتبر اتفاقية جنيف بشأن معاملة المدنيين ملزمة بالنسبة لها . فقد جاء في المادة ٣٥ من الامر بشأن تعليمات الامن (المنشور رقم ٣) الذي أصدره العميد حاييم هرتسوغ ، قائد القوات الاسرائيلية في الضفة الغربية يوم ١٩٦٧/٦/٧ ما يلي : « يترتب على المحكمة العسكرية ومديريتها تطبيق احكام اتفاقية جنيف المؤرخة في ٢ اب (اغسطس) ١٩٤٩ بخصوص حماية المدنيين اثناء ايام الحرب بصدد ما يتعلق بالاجراءات القضائية . واذا وجد تناقض بين هذا الامر وبين الاتفاقية المذكورة ، فتكون الافضلية لاحكام الاتفاقية » .

غير انه لم تمر الا بضعة اشهر حتى عادت السلطات الاسرائيلية ذاتها والفتت تلك التعليمات ووضعت محلها تعليمات ادارية اسرائيلية تنقض اتفاقيات جنيف . ففي ١٩٦٧/١٠/٢٢ صدر عن العميد عوزي نركيس امر يلغي المادة ٣٥ المشار اليها . (امر رقم ١٤٤) وكانت قد صدرت تعليمات مماثلة بالنسبة لقطاع غزة من قبل العميد مردخاي غور يوم ١٩٦٧/١٠/١١ (امر رقم ١٠٧) .

كذلك صادق وزير العدل الاسرائيلي في جلسة الكنيست المنعقدة بتاريخ ٦٨/١٢/٢ على اوامر الالغاء المذكورة ، مدعيا انه ليست هناك افضلية لاحكام اتفاقية جنيف على القانون الاسرائيلي وتعليمات القادة الاسرائيليين العسكريين المطبقة في المناطق المحتلة . وان الاشارة الى احكام اتفاقية جنيف في الاوامر التي نشرت خلال الحرب ، والتي تم الغاؤها كما ذكرنا ، انها جاء بطريق الخطأ .

وهكذا يتضح سواء من التشريعات الاسرائيلية او من تصرفات السلطات الاسرائيلية انها لا تقيم اي وزن لاتفاقيات جنيف او لقرارات الامم المتحدة والموضوع ما زال مدرجا على جدول اعمال الامم المتحدة تناقشه في كل دورة وتتخذ قرارات بشأنه بالاستناد الى التقارير السنوية التي ترفعها اللجنة الثلاثية للتحقيق في ممارسات اسرائيل في المناطق المحتلة بعد زيارتها لها كل سنة .

٦ - القدس : اكملت اسرائيل احتلال القدس خلال حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وضمت القدس القديمة الى القدس الجديدة تحت شعار توحيد المدينة المقدسة واخذت تطرد السكان العرب اكثر فأكثر تمهيدا لتهود القدس العربية كما فعلت بالقدس الجديدة بعد احتلالها عام ١٩٤٨ وتغيير معالمها . وقد نظرت الجمعية العامة خلال الدورة الطارئة الخامسة الخاصة المنعقدة من ١٧ حزيران (يونيو) الى ٢١ تموز (يوليو) ١٩٦٧ اثناء مناقشة ازمة الشرق الاوسط في قضية القدس . وكانت - الى جانب ما عرف « بالقضية الانسانية » - القضية الوحيدة من اوجه قضية فلسطين التي اتخذت الدورة الطارئة قرارات حاسمة بشأنها . ثم تبعتها قرارات كثيرة من عدة هيئات . ويمكن تقسيم هذه القرارات الى اربع فئات رئيسية : أ - ما يتعلق بالقدس خاصة . ب - ما يتعلق بالمناطق المحتلة عامة مع التفرد بذكر القدس . ج - القرارات التي صوتت عليها الجمعية العامة حول بند « الوضع في الشرق

الايوسط » . د - ما صوتت عليه لجنة حقوق الانسان حول المناطق المحتلة مع تشديد خاص على القدس .

بعد ان ناقشت الجمعية العامة في الدورة الطارئة بالتفصيل الاجراءات الاعتبائية التي نفذتها اسرائيل في القدس تبنت القرار رقم ٢٢٥٣ (ا. ط - ٥) في ١٩٦٧/٧/٤ الذي اعربت فيه عن قلقها الشديد للاجراءات التي اتخذتها اسرائيل في القدس واعتبرتها لاغية وطلبت من حكومة اسرائيل « الغاء كل التدابير التي اتخذت والامتناع فورا عن القيام باي عمل من شأنه ان يبذل من وضع القدس ، كما طلبت من الامين العام « اعلام الجمعية العامة ومجلس الامن عن الوضع في المدينة المقدسة وعن تنفيذ هذا القرار وذلك في غضون اسبوع بعد التصويت عليه » . وبالفعل قدم الامين العام تقريره في ١٠ تموز ١٩٦٧ (رقم S/٨٠٥٢ - A/٦٧٥٣) ووضح فيه ان اسرائيل لم تتراجع عن أي من الاجراءات التي اتخذتها وانها ماضية فيها . وفي ١٤ تموز (يوليو) عادت الجمعية العامة واكدت قرارها السابق بقرار ثان رقم ٢٢٥٤ (دورة ا. ط - ٥) الذي لاحظت فيه « بأسف وقلق شديدين عدم امتثال اسرائيل « بالقرار السابق ، « وأستنكرت فشل اسرائيل « بتنفيذه ، « وكررت دعوتها الى اسرائيل لالغاء جميع الاجراءات التي اتخذتها والامتناع في المستقبل عن القيام بأي عمل من شأنه ان يغير الوضع في القدس » . وقد عين الامين العام على اثر هذا القرار ممثلا خاصا له هو السفير ثالمان من سويسرا فذهب الى القدس ودرس الاوضاع فيها وقدم تقريرا ثانيا الى كل من الجمعية العامة ومجلس الامن في ١٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧ واتضح منه ان اسرائيل طبقت على القدس بكاملها وبعض المناطق العربية المحيطة بها التي كانت تابعة للاردن سابقا التشريعات الاسرائيلية كما اخذت في تهجير سكانها واستملاك الاراضي العربية .

وبتاريخ ٢٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧١ ، بعد ان درست الجمعية العامة تقرير اللجنة الخاصة للتحقيق في الممارسات الاسرائيلية التي تمس حقوق الانسان لسكان الاراضي المحتلة ، اتخذت قرارها رقم ٢٨٥١ (الدورة ٢٦) الذي اكدت ثانيا في فقرته الرابعة « ان كل الاجراءات التي اتخذتها اسرائيل لاستيطان الاراضي المحتلة ، بما في ذلك القدس المحتلة ، باطلة ولاغية كليا » .

اما القرارات الاخرى التي اتخذتها الجمعية العامة والمتعلقة بالاراضي العربية المحتلة فهي كثيرة ، نذكر منها :

أ - القرار رقم ٢٤٥٢ (الف) (الدورة ٢٣) تاريخ ١٩٦٨/١٢/١٩ الذي طلبت فيه من حكومة اسرائيل اتخاذ التدابير الفعالة الفورية اللازمة لعودة السكان الذين هربوا من المناطق المحتلة منذ نشوب الاعمال العدائية .

ب - القرار رقم ٢٨٥١ (الدورة ٢٦) تاريخ ١٩٧١/١٢/١٣ الذي طلبت فيه بقوة من اسرائيل ان تُلغى فورا كل الاجراءات وتكف عن كل السياسات والتصرفات مثل ضم أي جزء من الاراضي العربية المحتلة . وبنفس المعنى ايضا القرار رقم ٣٠٩٢ (ب) (الدورة ٢٨) تاريخ ١٩٧٣/١٢/٧ .

ج - القرار رقم ٣٠٨٩ (ج) (الدورة ٢٨) تاريخ ١٩٧٣/١٢/٧ الذي دعت فيه اسرائيل بان تمتنع عن القيام بالاجراءات التي تعيق عودة السكان المطرودين بما فيها الاجراءات التي تؤثر على التركيب الطبيعي والسكاني للمناطق المحتلة .

وهناك ايضا القرارات التي صوتت عليها الجمعية العامة حول بند « الوضع في الشرق الاوسط » التي تطبق على القدس ايضا واهمها القرار رقم ٢٦٢٨ (الدورة

٢٥) تاريخ ١٩٧٠/١١/٤ الذي اكدت فيه من جديد ان اكتساب الاراضي بالقوة امر غير جائز وانه يجب لذلك رد الاراضي التي تم احتلالها. على ذلك الوجه . وبنفس المعنى ايضا القرار رقم ٢٧٩٩ (الدورة ٢٦) تاريخ ١٩٧١/١٢/١٣ ، والقرار رقم ٢٩٤٩ (الدورة ٢٧) تاريخ ١٩٧٢/١٢/٨ .

وبتاريخ ١٤ اذار (مارس) ١٩٧٣ اصدرت لجنة حقوق الانسان قرارها رقم ٤ (٢٩) اكدت فيه من جديد بطلان جميع الاجراءات التي اتخذتها السلطات الاسرائيلية لتغيير الطابع السكاني والديمغرافي للمناطق العربية المحتلة وذكرت القدس بالتخصيص .

مجلس الامن :

لكن قرارات الجمعية العامة لم تردع اسرائيل من اتخاذ المزيد من الاجراءات الرامية الى تهويد القدس وجعلها « معرضا للصهيونية » فعمدت سنة بعد سنة الى استملاك الاراضي العربية — بما في ذلك املاك للاوقاف الاسلامية وارض لبعض الكنائس المسيحية — واخراج العرب مسلمين ومسيحيين من بيوتهم واملاكهم والاستيلاء عليها بالقوة والمجيء بعشرات الاف المهاجرين اليهود دفعة بعد دفعة ليحلوا محل العرب المطرودين المشردين . وحددت الهدف على انه المجيء ب ١٢٢٠٠٠ مهاجر يهودي وضمت لمدينة القدس اراض عربية من القرى المجاورة استولت عليها بالقوة . ونظر مجلس الامن ست مرات بموضوع القدس وصوت على ستة قرارات هي التالية :

- ٢٥٠ في ١٩٦٨/٤/٢٧ بدعوة اسرائيل لعدم اقامة عرض عسكري في القدس .
- ٢٥١ في ١٩٦٨/٥/٢ بشجب اسرائيل لاقامتها العرض العسكري رغم قراره السابق .
- ٢٥٢ في ١٩٦٨/٥/٢١
- ٢٦٧ في ١٩٦٩/٧/٣
- ٢٧١ في ١٩٦٩/٩/١٥ وفيه ادانة اسرائيل لحريق المسجد الأقصى وتدنيسه .
- ٢٩٨ في ١٩٧١/٩/٢٥

وفي جميع هذه القرارات تصعيد لقراري الجمعية العامة الخاصين بالقدس وبالإضافة الى ما جاء فيهما من احكام اكد المجلس « رفضه الاستيلاء على الاراضي بالقوة » وابدى اسفه البالغ لعدم ائتمان اسرائيل لهذه القرارات وعاد فشدد « انه يؤكد بأوضح العبارات ان جميع الاجراءات الادارية والتشريعية وجميع الاعمال التي قامت بها اسرائيل بما في ذلك مصادرة الاراضي والاملاك العربية التي من شأنها ان تؤدي الى تغيير معالم الوضع القانوني للقدس هي اجراءات باطلة » وطلب بشدة الغاءها وادان اسرائيل « لعدم تنفيذها قرارات الجمعية العامة ومجلس الامن في القرار المتخذ بشأن حريق المسجد الأقصى الذي وصفه بانه « عمل مقيت لتدنيس المسجد الاجرامي للمسجد الأقصى ولجميع المسؤولين عنه » (القرار رقم 3.1.1. EX/4 83 الأقصى » . وفعلت مثل ذلك اليونسكو فادان مجلسها التنفيذي اسرائيل « للحريق المتخذ في الجلسة رقم ٨٣ عام ١٩٧٠) وكان المؤتمر العام لليونسكو في قراره المتخذ بتاريخ تشرين اول / تشرين ثاني (اكتوبر / نوفمبر) ١٩٦٨ قد وجه لاسرائيل نداء دوليا ملحا لان تحافظ بكل دقة على كافة المواقع والمباني وغيرها من الممتلكات الثقافية ولا سيما في مدينة القدس القديمة وان تمتنع عن أي عملية من عمليات الحفريات أو أي عملية لنقل هذه الممتلكات أو تغيير معالمها أو ميزاتها الثقافية والتاريخية » . لكن اسرائيل لم تنفذ هذا القرار واستمرت في حفرياتها الاثرية مما اضطر المجلس التنفيذي

لان يصوت على قرار آخر عام ١٩٧١ أكد فيه جميع القرارات السابقة بما فيها قرارات المنظمة الام . وفي ١٩٧٤/١١/٢٠ اذانت اليونسكو اسرائيل لاستمرارها في حفرياتها وعدم التقيد بقراراتها السابقة وفرضت عقوبات عليها بأن منعتها من الاستفادة من المعونات العلمية والتربوية التي تقدمها لها . وفي ١٩٧٤/١١/٢١ صوتت على قرار آخر منعت اسرائيل بموجبه من المشاركة في أي من اللجان الخمس الاقليمية التابعة لها . وسيكون لهاتين السابقتين اثرهما الخطير لا على زيادة عزل اسرائيل في المجتمع الدولي فحسب بل أيضا في تطور القانون الدولي وفقه المنظمات الدولية بالذات وتكامله وذلك بجعله أكثر فعالية .

يلاحظ في القرارات المشار اليها ان مجلس الامن والجمعية العامة واليونسكو ولجنة حقوق الانسان بتأكيدهم ان كل ما اتخذته اسرائيل من تدابير واجراءات في القدس تعتبر باطلة ولاغية انما يعني عدم اعتراف المنظمات الدولية بسيادة اسرائيل على القدس . وبرفضها « احتلال الاراضي بالقوة » تنكر أي سيادة اسرائيلية وكل ما يتفرع عنها مما أخذته اسرائيل لذاتها بالاحتلال العسكري . فالغزو العسكري لا ينشأ عنه حق ولا يعطي سيادة . وبذلك تكون الامم المتحدة قد أكدت من جهة ثانية حق العرب في القدس أي حق السيادة عليها . ويشمل ذلك حق العرب الذين ما زالوا يقطنون في القدس ان يعيشوا فيها بأمن وطمأنينة دون ان يتعرضوا لاستملاك أراضيهم أو اخراجهم بالقوة . كما يشمل حق العرب الذين طردوا من القدس وحق الذين استمكنت أراضيهم وبيوتهم ان تعاد اليهم . وبكلمة اخرى ان الاحتلال لا يضي أي شرعية وأية سيادة طالما ان صاحب الحق لم يتنازل عن حقه بل هو متمسك فيه وطالما ان التشريع الدولي يقول ببطلانه والغاء نتائجه .

أما قرارا اليونسكو الاخيران بفرض العقوبات فان بحث ابعادهما ونتائجهما القانونية في مستقبل التشريع الدولي هو أكثر مما يمكن ان نتعرض له هنا ونأمل ان تكون لنا عودة اليه .

٧ - مادة ما سمي « بالارهاب الدولي » والقرار المتخذ :

اثر حادث ميونيخ طلب الامين العام فالدهايم في تاريخ ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢ ادراج بند جديد في جدول اعيال الجمعية العمومية عنوانه « اجراءات منع الارهاب وغيره من انواع العنف التي تهدد أو تؤدي بحياة الابرياء أو تعرض للخطر الحريات الاساسية » .

وبعد مناقشات طويلة وحادة نجح سفير المملكة العربية السعودية السيد جميل البارودي في ادخال اضافة على البند الذي اقترحه الامين العام هي الآتية : « ودراسة الاسباب وراء تلك الانواع من الارهاب وأعمال العنف الكامنة في البؤس والاحباط والاسى واليأس التي تتسبب في قيام بعض الناس بالتضحية بأرواح البشر بما فيها ارواحهم في محاولة لاجراء تغييرات جذرية » . وقد كان من نتائج الاضافة العربية انها غيرت اتجاه المناقشات لانها جعلت أمرا محتما وضروريا العودة الى تلك الاسباب العميقة الكامنة في البؤس واليأس - أي الى جذور المأساة العربية الحديثة - كما تتمثل في فلسطين وانها وجهت القرار الأخير الصادر عن الجمعية العمومية الرقم ٣٠٣٤ (الدورة ٢٧) تاريخ ١٩٧٢/١٢/١٨ في اتجاه مفيد للعرب بحيث تضمن في قسمه التنفيذي الفقرات الثلاث الآتية :

١ - تحث (أي الجمعية العمومية) الدول على تكريس عنايتها الفورية لايجاد حلول عادلة سلمية للاسباب الاساسية التي تؤدي الى أعمال العنف .

٢ - تعيد التأكيد على الحق الثابت في تقرير المصير والاستقلال لجميع الشعوب الواقعة تحت الاستعمار وأنظمة التمييز العنصري وأنواع السيطرة الأجنبية الأخرى ، وتدعيم شرعية نضالها ، خصوصا نضال الحركات التحررية ، وذلك وفقا لأغراض ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه وسواه من قرارات أجهزتها ذات الصلة بالموضوع .

٣ - تدين استمرار أعمال القمع والإرهاب التي تقوم عليها الأنظمة الإرهابية والعنصرية في إنكار حق الشعوب الشرعي في تقرير المصير والاستقلال ، وغيرهما من حقوق الإنسان وحرياته الأساسية .

وانها بالنتيجة جعلت عددا من الدول التي كانت متحمسة لادراج بند « الإرهاب » على جدول أعمال الجمعية العمومية تصوت ضد القرار السابق وجعلت بعضها الآخر يستنكف عنه . وقد طلب القرار في فقرته الثامنة من الأمين العام تقديم دراسة تحليلية حول الموضوع الى الدورة الثامنة والعشرين للجمعية العمومية وقد فعل . وجاء التقرير متضمنا أقساما تتناول نواحي شتى من الأسباب الخفية المؤدية الى « البؤس والاحباط والاسى واليأس » والتي ما كانت لتوجد في التقرير لولا صياغة البند على الشكل الذي صيغ فيه والذي أوردناه .

٨ - اقرار حقوق شعب فلسطين :

كان من نتيجة تصعيد نضال الشعب الفلسطيني والدول العربية على الصعيدين السياسي والعسكري أن ابتدأت الأمم المتحدة تعترف بحقوق الشعب الفلسطيني . ففي قرارها رقم ٢٥٣٥ ب (الدورة ٢٤) تاريخ ١٩٦٩/١٢/١٠ أكدت الجمعية العامة حقوق شعب فلسطين الثابتة التي لا يمكن التنازل عنها . وبالإضافة الى ذلك فان الجمعية العامة اعتبرت الاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية بمثابة استعمار وان نضال الشعب العربي هو نضال ضد الاستعمار وأكدت شرعية نضال الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية والأجنبية ، والمعترف بحقها في تقرير المصير لكي تستعيد ذلك الحق بأية وسيلة في متناولها (القرار رقم ٢٦٤٩ (الدورة ٢٥) تاريخ ١٩٧٠/١١/٣٠) . وفي قرارها رقم ٢٦٧٢ ج (الدورة ٢٥) تاريخ ١٩٧٠/١٢/٨ اعترفت الجمعية العامة لشعب فلسطين بالتساوي في الحقوق وبحق تقرير المصير ، وفقا لميثاق الأمم المتحدة وأعلنت أن الاحترام التام لحقوق شعب فلسطين الثابتة التي لا يمكن التنازل عنها هو عنصر أساسي في اقامة سلم عادل ودائم في الشرق الاوسط . كما أكدت أيضا في قرارها رقم ٢٧٨٧ (الدورة ٢٦) تاريخ ٦ كانون الأول ١٩٧١ شرعية نضال الشعوب في سبيل تقرير المصير والتحرر من الاستعمار والتسلط والاستعباد الاجنبي ولا سيما في افريقيا الجنوبية وعلى الخصوص شعوب زيمبابوي وناميبيا وموزامبيق وغينيا (بيساو) وكذلك الشعب الفلسطيني بكل الوسائل المتوفرة التي تنسجم مع ميثاق الأمم المتحدة ، وتأكدت هذه المبادئ أيضا في قراراتها رقم ٢٩٥٥ (الدورة ٢٧) تاريخ ١٩٧٢/١٢/١٢ وقرارها رقم ٣٠٣٤ (الدورة ٢٧) تاريخ ١٨/١٢/١٩٧٢ ، وقرارها رقم ٣٠٧٠ (الدورة ٢٨) تاريخ ١٩٧٣/١١/٣٠ وقرارها رقم ٣١٠٣ (الدورة ٢٨) تاريخ ١٩٧٣/١٢/١٢ . ولا بد من أن نسجل هنا ما أكده الأمين العام يو ثانت منذ عام ١٩٦٧ اذ جاء في تقريره السنوي المرفوع للجمعية العامة في أيلول (سبتمبر) « لكل شعب في أي حق طبيعي في أن يكون في وطنه وأن يبني مستقبله فيه . وهذا ينطبق من دون ريب على اللاجئين العرب من فلسطين » (التقرير رقم A/6701/add. 1 الفقرة ٧) .

٩ - القرار رقم ٣٣٨ :

وفي السادس من تشرين الاول ١٩٧٣ اندلعت الحرب من جديد على الجبهتين السورية والمصرية ، وبتاريخ ٧ تشرين الاول طلبت الولايات المتحدة اجتماعا عاجلا لمجلس الامن ، وعقد المجلس اربعة اجتماعات بين ٨ و ١٢ من شهر اكتوبر دون أن يتوصل الى أي اتفاق عما يجب أن يقوم به . واستمرت التقارير تتوالى على المجلس . وبتاريخ ٢١ اكتوبر عقد المجلس اجتماعا بناء على طلب الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبتاريخ ٢٢ اكتوبر تبنى المجلس قراره رقم ٣٣٨ (لم تشترك الصين بالتصويت) الذي دعا الى وقف اطلاق النار وانهاء العمليات العسكرية فوراً ودعا الاطراف المعنية أن تبدأ فور وقف اطلاق النار بتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٩٦٧/٢٤٢ ، وأن يباشروا المفاوضات تحت اشراف ملائم .

وبتاريخ ٢٣ من اكتوبر اجتمع المجلس بناء على طلب مصر للنظر في عدم تقييد اسرائيل بوقف اطلاق النار فاتخذ المجلس قراره رقم ٣٣٩ الذي أكد فيه قراره السابق وقرر تكليف الامين العام بارسال مراقبين عن الامم المتحدة ليشفروا على وقف اطلاق النار . وبتاريخ ٢٥ اكتوبر ١٩٧٣ تبنى المجلس قراره رقم ٣٤٠ الذي قرر فيه انشاء قوة طوارئ دولية ، التي أرسلت الى مصر وبتاريخ ٢٧ اكتوبر ١٩٧٣ الذي حدد مدة قوة الطوارئ ستة اشهر قابلة للتجديد بعد موافقة المجلس . وبتاريخ ١٥ كانون الاول عقد المجلس اجتماعا خاصا لمناقشة الاجراءات اللازمة للمؤتمر المصالح المقترح للشرق الاوسط واتخذ قراره رقم ٣٤٤ الذي أعرب فيه عن أمله بأن يساهم هذا المؤتمر بانشاء سلم عادل ودائم في الشرق الاوسط وعبر عن ثقته بأن الامين العام سوف يلعب دورا فعالا في هذا المؤتمر حسب القرارات الملزمة لمجلس الامن وأن يرئس هذا المؤتمر فيما اذا طلب منه الاطراف ذلك .

وبتاريخ ٢١ كانون الاول عقد مؤتمر السلام في جنيف بحضور كل من الجمهورية العربية المتحدة والاردن واسرائيل وذلك تحت اشراف الامين العام والرئاسة المشتركة لكل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة . وقد عقد المؤتمر اجتماعين عامين واجتماعا مغلقا ولخص الامين العام خلاله المؤتمر بقوله انه قد اتفق باجماع الآراء لاستمرار عمل المؤتمر بواسطة انشاء فريق عامل عسكري الذي سيناقش مسألة فصل القوات .

وبتاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٧٤ وقعت اتفاقية فصل القوات المصرية الاسرائيلية كنتيجة لمؤتمر جنيف .

وبتاريخ ٢٨ أيار ١٩٧٤ أعلم الامين العام مجلس الامن عن ترتيبات لاتفاقية فصل القوات بين سوريا واسرائيل التي ستوقع في جنيف وبتاريخ ٣١ أيار وقعت هذه الاتفاقية واقترنت على خطوط الفصل قوة انشأتها الامم المتحدة تدعى قوة مراقبي فصل القوات التابعة للامم المتحدة .

١٠ - اعادة ادراج « قضية فلسطين » كبنء مستقل على جدول الاعمال والقرارات

اللاحقة :

بحثت في مقال سابق خلفية طي « قضية فلسطين » كبنء مستقل على جدول الاعمال منذ الدورة السابعة المعقودة عام ١٩٥٢ وكيف كانت قضية فلسطين تناقش في اطار بنوء أخرى « كالوضع في الشرق الاوسط » أو « التقرير السنوي لمدير وكالة الاونروا » وغيرها (٧). وفي مطلع ايلول (سبتمبر) ١٩٧٤ أخذ مجلس الجامعة العربية قرارا بطلب ادراج القضية كبنء مستقل . وتقدمت وفود الدول العربية الدائمة لدى الامم

المتحدة بطلب الإدراج على جدول أعمال الجمعية العامة في دورتها التاسعة والعشرين . وقد وافقت الجمعية العامة بأكثرية ساحقة على ادراج « قضية فلسطين » كبند مستقل رقم ١٠٨ (أ) .

وفي ١٤/١٠/١٩٧٤ وافقت الجمعية العامة بأكثرية ١٠٥ أصوات على دعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك في مناقشاتها ونص قرارها على ما يلي :

« ان الجمعية العامة اذ تعتبر ان الشعب الفلسطيني هو الفريق الرئيسي المعني بمسألة فلسطين تدعو منظمة التحرير الفلسطينية ، وهي ممثلة الشعب الفلسطيني للمشاركة في مناقشات الجمعية العامة حول مسألة فلسطين في الجلسات العامة » وقد صوتت اربع دول ضد القرار فقط وهي اسرائيل ، امريكا ، بوليفيا ، جمهورية الدومينيكا .

وفي ٢٢/١١/١٩٧٤ صوتت الجمعية العامة على قرارين تاريخيين الاول يتعلق بحقوق شعب فلسطين . ولا يشير لاية قرارات سابقة للأمم المتحدة بل يعيد تأكيد الحقوق الثابتة لشعب فلسطين التي لا يمكن التنازل عنها ويحددها على انها حق تقرير المصير وحق الاستقلال والسيادة وحق عودة الفلسطينيين الى ممتلكاتهم ومنازلهم التي شردوا منها وان احترام هذه الحقوق شرط اساسي لتسوية قضية فلسطين واقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط وان الشعب الفلسطيني طرف رئيسي لتحقيق مثل هذا السلام وحق الشعب الفلسطيني ان يسترد هذه الحقوق بجميع الوسائل . وفقسا للميثاق ويوجه نداء لجميع الحكومات والمنظمات الدولية لمساعدة الشعب الفلسطيني في كفاحه من أجل استرداد حقوقه ويطلب الى الامين العام للمنظمة ان يتصل بمنظمة التحرير في جميع القضايا المتعلقة بفلسطين وان يقدم للدورة ٣٠ للمنظمة تقريرا عن وضع هذا القرار موضع التنفيذ وادراج بند « قضية فلسطين » على جدول أعمال الدورة المقبلة . ونال هذا القرار ٨٩ صوتا معه و٨ ضده و٣٧ امتناع بينها دول اوربا الغربية وامريكا اللاتينية . واما القرار الثاني فيعطي منظمة التحرير الحق في ان تتمثل بمراقب دائم لدى المنظمة . ونال هذا القرار ٩٥ صوتا معه و١٧ ضده و١٩ امتناع .

• • •

وفي اطار المنهج الذي تحدثنا عنه في مطلع هذا المقال يمكن اثاره ودراسة المواضيع التالية في حقبة العشر سنوات التي نبحث فيها :

- ١ - اختلاف ميزان القوى ومواقف الكتل والتصويت بين ١٩٦٥ و ١٩٧٤ . ٢ - ما هي وسائل المنظمة لفرض قراراتها وهل استعملت هذه الوسائل ؟ ٣ - ما هو دور المحكمة الدولية وفائدة اللجوء اليها ؟ ٤ - تكتل القوى الدولية داخل المنظمة ؟
 - ٥ - الدبلوماسية العربية والدبلوماسية الاسرائيلية في المنظمة . ٦ - الاعلام العربي والاعلام الاسرائيلي في المنظمة . ٧ - دور الامين العام .
- الى جانب مواضيع أخرى كثيرة .

• • •

وأخيرا عندما نلتفت عشر سنين الى الوراء نجد أن قضية فلسطين والثورة الفلسطينية قد خطت خطوات كبيرة في المنظمة ولا سيما بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) لعام ١٩٧٣ وفي طليعتها ان قضية فلسطين وضعت في اطارها الصحيح وان الشعب الفلسطيني العربي قد أصبح عاملا فاعلا مباشرا في القرارات التي تصاغ وتتخذ . ويتبلور ذلك كله في القوى الصاعدة للتاريخ والفاعلة فيه . لا ريب أن قضية

فلسطين كما تتجسم في حقوق الشعب الفلسطيني قد دخلت مرحلة جديدة واصبحت تركز الى شرعية دولية ثابتة قوية . هذه الشرعية لم تجد بها منظمة الأمم المتحدة لانها كانت أبدا ودوما كامنة في الشعب الفلسطيني ذاته . ولكن من الواجب ان نقول ان الطريق ما زالت صعبة وثقاة وطويلة لان دراسة الثورات الكبرى عبر التاريخ تثبت ان الحقوق الطبيعية والتاريخية والثابتة لاي شعب أو أمة تكتسب من خلال الدماء والدموع والضحايا ولا يمكن لظالم أو مغتصب لها ان يتخلى عنها طواعية بل مكرها .

١ - مجلس الامن عن أعمال المنظمة حول الوضع في الشرق الاوسط من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، رقم ١٠٩٢٩ / S في ١٨ ايار (مايو) ١٩٧٢ ، النص الانكليزي والترجمة العربية ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٣ .

٢ - راجع شؤون فلسطينية ، تشرين الاول (اكتوبر) ، ١٩٧٤ ، مقال « ادراج قضية فلسطين على جدول أعمال الأمم المتحدة » . وفي الممدد ذاته مقال الاستاذ منير شفيق « فلسطين في الأمم المتحدة ، خطوة نضالية » .

٣ - في عدد كانون الاول (ديسمبر) مقال الدكتور نبيل شعث « القصة الكاملة لادراج القضية في الأمم المتحدة » في مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٤٠ .

٤ - راجع : Bassiouni, C. and Fisher : E. «The Arab Israeli Conflict», *St. John's Review*, January 1970, pp.403 - 404.

٥ - من أجل النصوص الكاملة لهذه القرارات وجميع القرارات اللاحقة التي سيأتي ذكرها راجع : قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٣ .

٦ - John Lawrence Hargrave, «Aleating — the Middle East Crisis Through the United Nations (and Vice Versa)», *Kansas Law Review*, Vol. 19, No. 3, Spring, 1971, p.367.

٧ - المرجع السابق ، ص ٣٦٩ .

٨ - المرجع السابق ، ص ٣٦٩ .

٩ - راجع تقرير الامن العام للأمم المتحدة الى

حق الشعب الفلسطيني بأرضه والعودة إليها

انطلاقاً من شرعة حقوق الانسان وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها

صلاح الدين الدباغ

« ان قضية اللاجئين العرب الفلسطينيين قد نشأت نتيجة حرمانهم حقوقهم التي لا تتزعزع والتي نص عليها ميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان » .

الجمعية العامة للامم المتحدة - القرار رقم ٢٥٢٥

القسم ب (٢٤) الصادر بتاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٦٩

يشهد التاريخ المعاصر تصفية الاستعمار والامبريالية في العالم ويسير بخطى ثابتة نحو هذا الهدف . وفي الوقت ذاته نجد على الصعيد القانوني ان المبادئ القانونية في الحق العام التي تعطي الشعوب الحق في سيادتها وتقرير مصيرها قد ترسخت وتوطدت وتدعمت . بيد ان تاريخ فلسطين والشعب الفلسطيني يشكلان انحرافاً عن حركة التاريخ هذه . ففي الوقت الذي حصلت فيه شعوب كثيرة على حريتها واستقلالها واخذ الاستعمار يتهاوى أمام زحف حركات التحرير الوطنية ، تعرض شعب فلسطين الى نوع من أشد أنواع الاستعمار وطأة - هو الاستعمار الاستيطاني الصهيوني الذي لم يكتف بتجريد شعب فلسطين من حقه في تقرير مصيره ، بل واقتلعه بالقسر والارهاب من أرضه ووطنه . وان وقائع تاريخ فلسطين الحديث تثبت بوضوح كل ذلك .

ولئن كانت دراسة الوقائع تشكل امراً أساسياً لدى دراسة أي موضوع قانوني يتعلق بحالة معينة في الزمان والمكان ، فان دراسة وقائع الاستعمار الصهيوني ، بالنظر الى ما طبع عليه هذا الاستعمار من صفات عنصرية وتوسعية وعنق اراهابي ، تظهر بجلاء أكثر مدى حرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه الأساسية لا سيما حق تقرير المصير وحق العودة الى الوطن . ومن هنا فإنا سنستعرض في فصل أول من هذه الدراسة بعض الوقائع الرئيسية التي تشكل الخلفية الأساسية للموضوع والتي سنحاول فيها بعد تطبيق مبادئ تقرير المصير والعودة الى الوطن عليها ، وذلك بعد أن نكون في فصل ثان حللنا ماهية حق تقرير المصير وطبيعته ، كما حللنا حق العودة الى الوطن على ضوء الاعلان العالمي لحقوق الانسان وغيره من المواثيق والقرارات الصادرة عن منظمة الامم المتحدة .

الفصل الأول : فلسطين : الشعب والأرض

ان استعراض تاريخ فلسطين وتاريخ شعبها في العقود الخمسة الاخيرة يظهر ان شعب فلسطين لم يتخل قط عن حقه في تقرير مصيره كما أنه لم يترك بلاده طواعية بل اكره قسراً ورغم ارادته ومشيئته .

١ - مقدمة

١ - كانت فلسطين تشكل جزءا من الامبراطورية العثمانية - وفي اثناء الحرب العالمية الاولى التي شهدت انهيار هذه الامبراطورية دخلت الجيوش البريطانية الاراضي الفلسطينية واحتلتها عامي ١٩١٧ و ١٩١٨ .

٢ - ولاضفاء شكل من الشرعية على احتلال الحلفاء للبلاد التي كانت خاضعة للدولة المهزومة في الحرب العالمية الاولى ، اوجدت هذه الدول نظام الانتداب . وقد نص على هذا النظام ميثاق عصبة الامم الذي وافق عليه مؤتمر باريس للسلام والذي شكل جزءا من معاهدة فرساي . ومن ثم عهدت عصبة الامم رسميا الى بريطانيا بالانتداب على فلسطين بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٢٢ .

٣ - تحالفت السلطة البريطانية المنتدبة مع الحركة الصهيونية العالمية التي كانت ترمي الى انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . فبعد ان تثبتت الادارة البريطانية بموجب صك الانتداب ، اخذت هذه الادارة تضع البلاد في احوال سياسية وادارية تضمن تنفيذ وعد بلفور الذي تعهدت بموجبه الحكومة البريطانية من طرف واحد بتاريخ الثاني من شهر تشرين الثاني عام ١٩١٧ بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . فعينت اول مندوب سام لها السيد هيربرت صموئيل ، وهو يهودي معروف بميوله الصهيونية ، كما كان اول مدع عام لليهودي الصهيوني نورمان بنتويتش (١) .

٤ - وتنفيذا لهذه السياسة ميزت السلطة المنتدبة في معاملتها اليهود على العرب ، فسلحت اولئك بينما نزعحت السلاح من يد هؤلاء (٢) . ومدت يد العون والمساعدة لليهود وحجبتها عن العرب ، فسهلت لاولئك سبل الاقامة وشراء الاراضي كما فتحت لهم ابواب البلاد على مصراعها لدخول أعداد كبيرة ووفيرة منهم الى البلاد .

٥ - نتيجة لهذه السياسة زاد عدد اليهود في فلسطين من ٨٣٧٩٤ نسمة عام ١٩٢٢ اي ما كان يوازي ١١.٠٦ ٪ من مجموع السكان (٣) الى ٥٨٩٣٤٢ نسمة في نهاية فترة الانتداب اي ما يوازي حوالي ٣٠ ٪ من مجموع عدد السكان (٤) .

٦ - ونتيجة لهذه السياسة أيضا استطاعت الاثلية اليهودية الاستيلاء عام ١٩٤٨ بقوة السلاح على ٧٧.٤ ٪ من مساحة فلسطين بينما لم تكن تملك في ذلك الوقت سوى ٧.٦ ٪ من مجموع اراضي فلسطين كما تمكنت من اجلاء حوالي مليون من السكان العرب الفلسطينيين خارج بلادهم لتحل محلهم سكانا مستوردين .

٧ - وفي موجة توسعية جديدة عام ١٩٦٧ استولت اسرائيل على جميع اراضي فلسطين فضلا عن احتلال اراضي دول عربية اخرى . واضحى الشعب العربي الفلسطيني اما مشردا خارج بلاده او رازحا تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلي . ولكن شعب فلسطين طيلة فترة الانتداب لم يتنازل اطلاقا عن حقه في تقرير مصيره .

ب - تمسك شعب فلسطين بسيادته وعدم تنازله عن حقه في تقرير مصيره :

طيلة فترة الانتداب وشعب فلسطين يناضل نضالا متواصلا ومريزا من اجل الحفاظ على سيادته وتقرير مصيره بنفسه وقد اتخذ هذا النضال اشكالا عديدة ومختلفة . فمن مجرد التعبير عن الراي والاجتماعات وتقديم العرائض والتظاهرات انتقل هذا النضال الى المقاطعة الاقتصادية والاضرابات والامتناع عن دفع الضرائب ثم اتخذ في مرحلة متقدمة طابع الانتفاضات المسلحة والثورة الشعبية العامة (٥) .

١ - فمئذ عام ١٩١٩ عبر الشعب الفلسطيني بوضوح وجلاء تامين عن رفضه

الكامل للبرنامج الصهيوني الرامي الى اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . وقد بينت هذا الرأي لجنة كنج - كرين الامريكية التي انبثقت عن مؤتمر الصلح في باريس على الشكل التالي(١): « اذا كان هذا المبدأ (مبدأ تقرير المصير) هو الذي سيسود وتكون بالتالي رغبات سكان فلسطين حاسمة بالنسبة الى مستقبل البلاد ، فينبغي ان لا ننسى بأن سكان فلسطين غير اليهود ، الذين يشكلون تسعة أعشار جميع السكان تقريبا ، هم بصورة جازمة ضد البرنامج الصهيوني بأكمله . وتظهر الجداول (وهي جداول بالعرائض التي تلقتها اللجنة) بأن سكان فلسطين لم يتفقوا على أي أمر أكثر من اتفاقهم حول هذا الموضوع . ان اخضاع شعب بهذا الرأي الى هجرة يهودية غير محدودة واخضاعه الى ضغط اجتماعي ومالي متواصل من أجل التخلي عن أرضه يشكل خرقا كبيرا للمبدأ المشار اليه ولحقوق الشعب حتى ولو أبقى كل ذلك ضمن اشكال القانون »(٧).

٢- ومن مظاهر تمسك الشعب الفلسطيني بحقه في أرضه وسيادته عليها مقاومته لبيع أراضيها للمهاجرين اليهود بالرغم من الاغراءات المالية الكبيرة وبالرغم من الوسائل التي اتبعتها السلطة المحتلة لتكرهه على ذلك . فحتى آخر أيام الانتداب لم يتمكن اليهود من امتلاك سوى ٧٦ ٥٪ من مجموع اراضي فلسطين(٨) ، هذا مع العلم بأن قسما كبيرا من هذه الاراضي باعها اقطاعيون من غير الفلسطينيين . ففي تقرير لجنة التحقيق التي ارسلتها الحكومة البريطانية عام ١٩٣٠ لتقصي الحقائق اعترف خبير اللجنة التنفيذية الصهيونية بشؤون الاراضي الذي استمعت له لجنة التحقيق « بأن اليهود اشترؤا من الفلاحين مساحات صغيرة لا تزيد على عشرة بالمئة من مساحة الاراضي التي اشترؤوها بينما ان المساحات الاخرى ابتاعوها من أصحاب الاملاك الكبيرة الذين يقيم أغلبهم خارج البلاد »(٩).

٣ - وقد اتخذت مقاومة الشعب الفلسطيني الاحتلال البريطاني والمخططات الصهيونية شكلا متقدما من اشكال المقاومة هو شكل الكفاح المسلح . فتعددت الانتفاضات المسلحة عام ١٩٢٠ و١٩٢٩ و١٩٣٣ . واكبر هذه الانتفاضات المسلحة واهمها على الاطلاق هي الثورة الشعبية المسلحة التي امتدت من عام ١٩٣٦ الى عام ١٩٣٩ . وقد رافق هذه الثورة اضراب سياسي كبير لعله أكبر اضراب من نوعه شهده التاريخ اذ استمر ١٧٤ يوما وشمل كل مرافق الحياة . ولقد كانت الثورة الشعبية المشار اليها اجرا تحدا للامبراطورية البريطانية في العصر الحديث وجابهتها السلطة البريطانية بأشد انواع القمع كنسف الاحياء (نسف مدينة يافسا القديمة) وفرض الغرامات الجماعية على القرى والمدن . وكانت حصيلتها حوالي خمسة آلاف شهيد وخمسة عشر الف جريح من أصل مليون عربي . واذا ترجعت هذه الارقام الى ارقام بريطانية وامريكية حيث يبلغ عدد السكان ٤٠ مليونا و ٢٠٠ مليون على التوالي ، فان تلك الارقام تبلغ ٢٠٠.٠٠٠ بريطاني ومليون امريكي من القتلى و ٦٠٠.٠٠٠ بريطاني و ٣ ملايين امريكي من الجرحى . هذا فضلا عن المعتقلين الذين بلغ عددهم لعام ١٩٣٩ فقط ٥٦٠٠ معتقل اي ما يوازي ٢٢٤٠.٠٠٠ و ١٢٠.٠٠٠ معتقل بالنسبة الى بريطانيا والولايات المتحدة(١٠).

وبالرغم من جميع هذه التضحيات المستمرة والباهظة ، جرد شعب فلسطين وحرم من حقه في تقرير مصيره على أرضه وفي وطنه . ولكن مأساة شعب فلسطين لا تتقف عند حد تجريده من حقه في تقرير مصيره بل تتعدى ذلك الى اخراجه بالقوة والارهاب من دياره .

ج - اخراج شعب فلسطين قسرا من بلاده :

ان اخراج شعب فلسطين كان هدفا أساسيا من أهداف العقيدة الصهيونية القائمة على أساس وحدانية العنصر ، وعندما سنحت الظروف لليهود في فلسطين عام ١٩٤٨ عملوا على تحقيق هذا الهدف بأشجع ما عرف من أساليب الارهاب المادي والنفسي . وبعد قيام الكيان الاسرائيلي عام ١٩٤٨ ، استمرت السلطة الاسرائيلية في تحقيق أهدافها الرامية الى تصفية الوجود الفلسطيني بأشكال متجددة .

١ - ان قيام الغزاة الصهيونيين بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين كان متوقفا على طرد الشعب الفلسطيني ومشروطا به . اي ان هذا الكيان كان يستلزم لقيامه وانشائه كشرط مسبق ليس فقط هدر حقوق الشعب الفلسطيني وسحقها وابدانها ، بل تصفية وجود الشعب العربي الفلسطيني على أرضه ووطنه . فالحركة الصهيونية حركة عنصرية تؤمن بوحدانية العنصر وترمي الى تجميع اليهود في فلسطين وتصفية وجود كل ما هو غير يهودي عنها اي انها ترمي الى خلق كيان لليهود وحدهم ودون غيرهم . ولا يمكن للباحث في العقيدة الصهيونية الا ان يربط بينها وبين العقيدة النازية . فبينما آمنت هذه الاخيرة بأن حل المشكلة اليهودية في المانيا يكمن في تصفية الوجود اليهودي فيها تؤمن الاولى بأن حل مشكلة عرب فلسطين يكون بتصفية وجودهم واخراجهم منها .

والادلة على عنصرية الصهيونية وعلى أستهدافها طرد الشعب الفلسطيني كثيرة ومتعددة حسبنا ان نشير الى بعض منها :

- وضع مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل خطة تعود الى عام ١٨٩٥ تقضي باخراج السكان المعدمين عبر الحدود وذلك بعدم توظيفهم(١١) .

- ان الوطن القومي اليهودي الذي طالب الصهيونيون بالحصول عليه كان في ذهن زعماء الصهيونيين وطننا خالصا لهم ودون غيرهم . فعندما سأل وزير خارجية الولايات المتحدة عام ١٩١٩ زعيم الحركة الصهيونية آنذاك ، هاييم وايزمان ، والذي أصبح فيما بعد أول رئيس للدولة الاسرائيلية ، عما يعنيه بالوطن القومي اليهودي أجاب وايزمان : « فلسطين بالنهاية ستصبح نتيجة لهجرة اليهودية يهودية كما انجلترا هي انجليزية » (١٢) . وفي مكان آخر من مذكراته يوضح وايزمان هدف الصهيونية بأنه « استيلاء اليهود على البلاد » (١٣) .

- عندما بدأ اليهود حملتهم المنظمة لاستيطان فلسطين حصروا العمل في مستوطناتهم باليد العاملة اليهودية وحدها ومنعوا العمل عن العرب تنفيذا لاهدافهم العنصرية . ففي دستور الوكالة اليهودية (وهي الهيئة الرسمية التي كانت تعاون السلطة المنتدبة في انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين) ، الذي وقع في زوريخ في ١٤ آب ١٩٢٩ ينص البند الخامس من المادة الثالثة على ما يلي : « تنمي الوكالة الاستيطان الزراعي على أساس اعتماد اليد العاملة اليهودية . وفي جميع الاعمال او المشاريع التي تنفذها او تشجعها الوكالة فان المبدأ المقرر هو تشغيل اليد العاملة اليهودية » (١٤) .

وفي العقود التي كان يجريها الكرن هايسود - وهو الصندوق اليهودي الفلسطيني - والكرن كايمت وهو الصندوق القومي اليهودي ، نجد بنودا تستلزم حصر العمل باليد العاملة اليهودية دون غيرها . ففي عقود القروض التي كان يجريها الكرن هايسود مع المستوطنين في المستعمرات اليهودية تنص المادة السابعة على ما يلي : « يتعهد المستوطن في فترة استمرار القروض بأن يسكن على الارض الزراعية المشار اليها

وبأن يقوم بجميع الاعمال الزراعية بنفسه أو بمساعدة عائلته . وعندما يحتاج الى استئجار اليد العاملة ، فإنه يتعهد بتشغيل اليد العاملة اليهودية فقط «(١٥) .

ولئن كانت جذور المشكلة الفلسطينية ، لا سيما قضية عودة النازحين كأمينية في المفهوم العنصري للحركة الصهيونية التي حددت أهدافها بوطن قومي خالص لهم وحدهم لا يتسع لغيرهم ، فان الفرصة قد سنحت لليهود فلسطين لآخراج شعب فلسطين وافرغها عام ١٩٤٨ .

٢ - خلال الاشتباكات التي حصلت عام ١٩٤٨ بين العرب واليهود اتبع هؤلاء كافة أساليب العنف والفظائع والارهاب والحرب النفسية لاجلاء الفلسطينيين عن ديارهم . فمن المذابح التي تضد من ورائها اثاره الرعب بين العرب مذبحه دير ياسين الشهيرة (١٠ نيسان ١٩٤٨) وذلك لحملهم على مغادرة البلاد تحت وطأة التأثير النفسي السلبي . وقد فصل رئيس بعثة الصليب الاحمر الدولي في فلسطين انذاك بشاعة هذه الجريمة ومما جاء في وصفه ما يلي : « كان يعيش في هذه القرية . . . ٤ شخص استطاع منهم حوالي الخمسين من الهرب احياء . أما جميع الباقين فقد ذبحوا عن قصد ونية مبيتة دون أن يبدوا أية مقاومة »(١٦) .

وقد شبه المؤرخ الشهير ارنولد توينبي المذابح التي ارتكبتها اليهود عام ١٩٤٨ ضد العرب بتلك التي قام بها النازيون ضد اليهود في المانيا الهتلرية(١٧) .

ومن أساليب الحرب النفسية التي اتبعها اليهود لآكراه العرب على ترك بلادهم التحذيرات التي كانت توجهها الاذاعات اليهودية السرية الى العرب من أن امراض التيفوس والكوليرا ستتفشى بينهم بقوة اذا بقوا في البلاد . كما لجأوا الى استعمال مكبرات الصوت لدعوة الاهالي الى مغادرة مدنهم وقراهم في فترات محددة والا تعرضوا للقتل(١٨) .

ونجد في الكتاب الذي وجهه احد اليهود المقيمين في فلسطين الى الحاخام الصهيوني الاميركي كابلان دليلا على عمليات الارهاب هذه التي اكرهت العرب على مغادرة بلادهم ، ودحضاً لمزاعم الصهيونيين القائلة بأن العرب غادروا بلادهم بملاء ارادتهم : « اذا كان الحاخام كابلان يريد فعلا ان يعرف ماذا تم ، فنحن المستوطنون اليهود القدامى في فلسطين الذين شهدوا الحرب نستطيع ان نخبره كيف وبأية طريقة اكرهنا، نحن اليهود ، العرب قسرا على ترك المدن والقرى . فبعضهم ترك بقوة السلاح وبعضهم اجبر على ترك البلاد بالخداع والوعود الكاذبة . ويكفي ان نذكر مدن يافا واللد والرملة وبئر السبع وعكا من بين عدد لا يحصى »(١٩) .

٣ - بعد اعلان الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ اصدرت السلطات المحتلة قانون العودة عام ١٩٥٠ وقانون الجنسية عام ١٩٥٢ . وتنص المادتان الاولى والثانية من قانون العودة على ما يلي :

المادة الاولى : كل يهودي له الحق في العودة الى البلاد كيهودي مهاجر .

المادة الثانية : ١ - الهجرة تكون بتأشيرة مهاجر .

ب - تأشيرة المهاجر تمنح لكل يهودي عبر عن رغبته في الاستقرار في اسرائيل ، الا اذا اقتنع وزير الهجرة بأن طالب التأشيرة ، ١ - يقوم بنشاط موجه ضد الشعب اليهودي . ٢ - يعرض الصحة العامة او أمن الدولة للخطر .

وتنص المادة الثانية (١) من قانون الجنسية الاسرائيلي لعام ١٩٥٢ على ما يلي :

« كل يهودي مهاجر في ظل قانون العودة لعام ١٩٥٠ يصبح مواطناً إسرائيلياً » .
 وبصدور هذا القانون أصبح لكل يهودي أينما وجد في العالم الحق في اكتساب الجنسية الإسرائيلية بينما طرد السكان الشرعيون من بلادهم وحظرت عليهم العودة .
 وهكذا أكملت بهذا القانون الحلقة الأخيرة من حلقات السياسة العنصرية في العقيدة الصهيونية . فمن المقاطعة وعدم التشغيل (الحلقة الأولى حتى عام ١٩٤٨) ، إلى الطرد بالعنف والقوة (الحلقة الثانية عام ١٩٤٨) ، إلى السماح لكل يهودي بأن يحل محل السكان الأصليين ويصبح مواطناً إسرائيلياً (الحلقة الثالثة) .

ولاحكام طوق الحلقات السابقة ، أخذت السلطات المحتلة تمارس ضغوطاً حادة لا تحتل على القلة القليلة من العرب التي بقيت في فلسطين . فأخذت بمصادرة أراضيهم وكبت حرياتهم وأغلاق فرص التعليم بوجههم وبمتابعة تصفيتهم جسدياً عن طريق المذابح . ففي مذبحه كفر قاسم مثلاً عام ١٩٥٦ « قتلت قوات الحدود المسلحة التابعة للجيش الإسرائيلي ٤٦ رجلاً وامرأة وطفلاً بوحشية دون أي سبب » (٢٠) .

وبعد أن أحكمت سلطات الاحتلال قبضتها على الأراضي التي احتلتها عام ١٩٤٨ والتي تبلغ ٧٧,٤ بالمئة من مجموع أراضي فلسطين ، أخذت تتطلع إلى توسيع نطاق حدودها تنفيذاً للبرنامج الصهيوني . ففي عام ١٩٦٧ استولت إسرائيل في موجة توسعية جديدة على جميع أراضي فلسطين فضلاً عن احتلال أراضي دول عربية جديدة .

نتيجة الأحداث التي مرت بفلسطين في الخمسين سنة الأخيرة التي القينا الضوء على بعض جوانب منها في هذا الفصل ، أضحى الشعب العربي الفلسطيني أما مشرداً خارج بلاده أو رازحاً تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي .

وحسب احصاء أجرته وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين بلغ عدد اللاجئين المسجلين لديها عام ١٩٦٧ ١٦٣٤٤٤٥٧٦ شخصاً (٢١) . هذا فضلاً عن حوالي نصف مليون فلسطيني غير مسجلين لدى وكالة الغوث المذكورة لقدرتهم على إعالة أنفسهم و٠٠٠٤٢٣٤ (٢٢) لاجيء نتيجة لأحداث عام ١٩٦٧ .

وهكذا جرد الشعب الفلسطيني من حقوقه الأساسية كالحق في حمل جنسية بلاده والحق في ممتلكاته . ولكن أهم الحقوق التي حرم منها الشعب الفلسطيني على الإطلاق هو الحق في العودة إلى وطنه والحق في تقرير مصيره .

الفصل الثاني : ماهية الحق في تقرير المصير وطبيعة الحق في العودة إلى الوطن

سندرس في هذا الفصل طبيعة الحق في تقرير المصير والحق في العودة إلى الوطن ونظراً لأن الحق في تقرير المصير هو الأساس والحق في العودة إلى الوطن هو فرع من فروع ذلك الأساس ، فاننا سنركز على الأول أكثر من تركيزنا على الثاني .

أ - الحق في تقرير المصير

إن الفكرة الإنسانية في حق تقرير المصير تكمن في إعطاء الشعوب والأمم حرية اختيار مصيرها القومي دون قيود أو ضغط أو إكراه . ولقد أقر هذا الحق على الصعيد المبدي والنظري ومن ثم على صعيد القانون الوضعي الدولي .

١ - **حق تقرير المصير على الصعيد المبدي والنظري** : قبل أن يتكرس حق تقرير المصير في الميثاق والمعاهدات الدولية ، نادى به العديد من المفكرين ورجال السياسة كليتين ، وتوماس جفرسون ، والرئيس الأمريكي ودر وويلسون .

١ - أكد لينين على حق الشعوب والامم في تقرير مصيرها بصورة واضحة لا يشوبها لبس ولا ابهام . وعرفه بأنه حق انشاء دولة مستقلة ذات كيان سياسي خاص فهو يقول : « ... من غير الصحيح فهم حق تقرير المصير بأنه يعني شيئا غير حق الوجود كدولة مستقلة » (٢٣) .

— « يجب على الاشتراكية الظاهرة ان تقيم بالضرورة ديموقراطية كاملة ، وبالتالي لا ينبغي لها ان تحقق المساواة الكاملة بين الامم فحسب بل أيضا تحقق حق الامم المضطهدة في تقرير مصيرها » (٢٤) .

— « ان حق الامم في تقرير مصيرها يعني الحق في الاستقلال بمعناه السياسي » (٢٥) .

— « اننا قد اكدنا بأن رفض تطبيق مبدأ تقرير المصير للامم في نظام اشتراكي هو خيانة للاشتراكية » (٢٦) .

ب - أكد توماس جفرسون على حق الامم في تقرير مصيرها عندما كان ناظرا للخارجية الامريكية عام ١٧٩٣ حيث قال : « من المؤكد اننا لا نستطيع ان ننكر على اي امة ذلك الحق الذي تأسست عليه امتنا وهو ان لكل امة الحق في ان تحكم نفسها وفقا للشكل الذي تترأه وفي تغيير هذا الشكل متى ارادت » (٢٧) .

ج - من المعروف ان الرئيس الامريكي ودرو ويلسون قد نادى بفكرة حق الشعوب في تقرير مصيرها وفي اعطاء هذه الشعوب سيادتها بعد الحرب العالمية الاولى . وقد تضمن المشروع الذي وضعه لشرعة عصبة الامم نصا واضحا حول هذا الحق . وفي رسالته المقدمة للكونغرس الامريكي بتاريخ ١١ شباط ١٩١٨ ، أوضح الرئيس ولسون هذا الحق كما يلي : « ان المطامح القومية يجب ان تحترم ، والشعوب الان لن تحكم الا بارادتها . ان تقرير المصير ليس مجرد تعبير ، بل هو مبدأ ضروري للعمل ، ولا يجوز للسياسيين تجاهله دونما خطر » (٢٨) .

٢ - **حق تقرير المصير في القانون الدولي الوضعي** : تحول حق تقرير المصير في الاونة الاخيرة من حق نظري او طبيعي الى حق وضعي تكرسه المواثيق والشرعات الدولية . فالمادة الاولى من ميثاق الامم المتحدة قد اعتبرته من اهدافها حين نصت ان من اهداف الامم المتحدة : « اتما العلاقات الودية بين الامم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالمساواة في الحقوق بين الشعوب وبحقها في تقرير مصيرها » .

وكذلك نصت عليه المادة الخامسة والخمسون من هذا الميثاق كما يلي : « رغبة في تهيئة دواعي الاستقرار والرفاهية الضروريين لقيام علاقات سلمية وودية بين الامم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالمساواة في الحقوق بين الشعوب وبحقها في تقرير مصيرها ، تعمل الامم المتحدة على ... » .

ولقد اولت الامم المتحدة حق تقرير المصير اهتماما بالغا ، ففي قرار صادر بتاريخ ٤ كانون الاول عام ١٩٥٠ ، اعتبرت الجمعية العامة هذا الحق حقاً اساسياً (٢٩) . ومن ثم طلبت من لجنة حقوق الانسان دراسة الطرق والوسائل التي تؤمن حق تقرير المصير للامم والشعوب (٣٠) . كما ان الجمعية العامة كانت قد اتخذت قراراً قبل الانتهاء من صياغة شرعة الحقوق المدنية والسياسية وشرعة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بضرورة اذخال مادة خاصة تكفل حق الشعوب في تقرير مصيرها في مثل هذه الشرعات (٣١) .

وتأكيداً منها لاهمية حق تقرير المصير اتخذت الجمعية العامة قراراً خاصاً مؤرخاً في ١٦ كانون الأول عام ١٩٥٢ نص على ما يلي :

« حيث ان حق الشعوب والامم في تقرير المصير هو شرط ضروري للتمتع الكامل بالحقوق الاساسية جميعها ،

« حيث ان ميثاق الامم المتحدة بالمادتين الاولى والخامسة والخمسين يهدف الى انهاء علاقات الصداقة بين الامم على اساس احترام المساواة في الحقوق وحق الشعوب في تقرير مصيرها من اجل تدعيم السلام العالمي ،

« حيث ان ميثاق هيئة الامم يقر بأن اعضاء هيئة الامم المتحدة مسؤولون عن ادارة المناطق التي لم تبلغ شعوبها بعد درجة كاملة من الحكم الذاتي وتؤكد المبادئ التي يسترشدون بها ،

« حيث انه يتوجب على كل عضو من الامم المتحدة ، وفقاً للميثاق ، احترام الحفاظ على حق تقرير المصير في الدول الاخرى ،

« تومي الجمعية العامة بأن :

« ١ - تقوم الدول الاعضاء في الامم المتحدة بتدعيم مبدأ تقرير المصير لجميع الشعوب والامم .

« ٢ - تعمل الدول الاعضاء في هيئة الامم على تحقيق حق تقرير المصير لشعوب المناطق التي لا تتمتع بالحكم الذاتي ولشعوب المناطق التي تخضع للوصاية والتي تقع تحت ادارتها ، وتيسر سبل ممارسة هذا الحق لشعوب هذه المناطق وفقاً لمبادئ ميثاق الامم المتحدة وروحه ووفقاً للرغبات الحرة للشعوب المعنية . ويتثبت من رغبات الشعوب بواسطة الاستفتاءات او غيرها من الوسائل الديمقراطية المعترف بها . ومن المنفصل أن تجرى هذه الاستفتاءات وغيرها من الاجراءات تحت اشراف الامم المتحدة وبرتابتها « (٢٦) .

وكفلت حق تقرير المصير وكرسته شرعة الحقوق المدنية والسياسية في مادتها الاولى التي تنص على ما يلي :

« ١ - لجميع الشعوب حق تقرير المصير . وطبقاً لهذا الحق تقرر الشعوب وضعها السياسي بحرية ، وتعمل بحرية على تحقيق تطورها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي .

« ٢ - لجميع الشعوب الحق في أن تتصرف بحرية ، ولغاياتها الخاصة ، في ثروتها ومواردها الطبيعية دون الاضرار بأي التزامات تنشأ عن التعاون الاقتصادي الدولي المقام على اساس مبدأ المنفعة المشتركة والقانون الدولي . ولا يجوز بأي حال من الاحوال حرمان شعب من وسائل معيشته .

« ٣ - ان الدول الموقعة على هذه الشرعة ، بما فيها تلك المسؤولة عن ادارة المناطق غير المستقلة والمناطق الخاضعة للوصاية ، ستسعى لتحقيق حق تقرير المصير وستحترم ذلك الحق بما يتفق ونصوص ميثاق الامم المتحدة » .

ويشكل هذا النص عينه المادة الاولى من شرعة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وقد أقرت هاتين الشرعتين لجنة حقوق الانسان التابعة لهيئة الامم في دورتها العاشرة المنعقدة ما بين ٢٣ شباط و١٦ نيسان عام ١٩٥٤ (٢٣) وكذلك الجمعية العامة بالاجماع بتاريخ ١٦ كانون الأول سنة ١٩٦٦ (٢٤) .

وهكذا نرى ان مبدأ تقرير المصير قد أصبح احد المبادئ الاساسية التي يركز عليها المجتمع الدولي في الوقت الحاضر . وقلما تخلو وثيقة هامة من الوثائق الصادرة عن الامم المتحدة من التأكيد على أهميته . ففي اعلان التقدم الاجتماعي والانماء الذي أقرته الجمعية العامة للامم المتحدة بقرارها ذي الرقم ٢٥٤٢ (٢٤) يعتبر الاستقلال الوطني القائم على اساس حق الشعوب في تقرير مصيرها اول شرط من الشروط الاساسية للتقدم الاجتماعي والانماء (المادة الثالثة) . وفي الاعلان التعلق بتعزيز الامن الدولي

الذي أصدرته الجمعية العامة بتاريخ ١٦/١٢/٧٠ دعت الأمم المتحدة الدول الى الامتناع عن اي عمل من شأنه حرمان الشعوب من حقها في تقرير مصيرها ، كما دعت الحكومات الى تقديم العون والمبدد والمساعدة للشعوب المناضلة من أجل تحقيق استقلالها وممارسة حقها في تقرير مصيرها (المادة الثانية عشرة) .

بيد ان الحق في تقرير المصير ليس هو الحق الوحيد الذي أضحي حقاً وضعياً تركزه المواثيق والمعاهدات ، فالحق في العودة الى الوطن قد أضحي بدوره حقاً وضعياً راسخاً .

ب — الحق في العودة الى الوطن :

ان الحق في العودة الى الوطن هو من حيث الاساس والجوهر جزء و فرع من حق تقرير المصير وقد كتلت هذا الحق المواثيق الدولية . فالمادة الثالثة عشرة (الفقرة الثانية) من الاعلان العالمي لحقوق الانسان تنص على ما يلي : « لكل انسان الحق في ان يغادر بلده واي بلد آخر وفي ان يعود الى بلده » .

وكرست هذا المبدأ شرعة الحقوق المدنية والسياسية . فالفقرة الرابعة من المادة الثانية عشرة من تلك الشرعة تنص على ما يلي : « ولا يجوز حرمان احد بشكل تعسفي من حق الدخول الى بلده » .

درسنا في هذا الفصل حق تقرير المصير وحق العودة الى الوطن بصورة عاملة ومجردة ، وفي الفصل القادم سنحاول ان ننظر الى كل ذلك من زاوية الشعب العربي الفلسطيني .

الفصل الثالث : الشعب الفلسطيني وحق تقرير المصير وحق العودة الى الوطن

ان المجتمع الدولي لم يقر للشعوب بحقوقها في تقرير مصيرها والعودة الى اوطانها بصورة مجردة فقط ، بل انه قد أثر بهذه الحقوق بصورة خاصة لبعض الشعوب بما فيها شعب فلسطين .

١ — الشعب الفلسطيني وحق تقرير المصير :

بينما في الفصل السابق ان حق تقرير المصير قد اصبح بموجب المواثيق والشرعات الدولية الحديثة حقاً وضعياً يتيح للشعوب ان تقرر كيانها السياسي ومستقبلها الاقتصادي والاجتماعي ببلد ارادتها .

ووسيلة ممارسة هذا الحق هو الاستفتاء الذي يتيح للسكان ابداء رغباتهم حول مستقبل بلادهم السياسي . والاستفتاء هو الوسيلة الديمقراطية الوحيدة لتطبيق حق تقرير المصير . ومع ان الأمم المتحدة في اوضاع مشابهة لوضع فلسطين عام ١٩٤٧ قررت القيام باستفتاءات في بلدان عديدة كانت خاضعة لنظام الوصاية وذلك بقصد اتاحة حق تقرير المصير للشعوب (٢٥) ، فان الأمم المتحدة عندما أصدرت بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ قرارها بتقسيم فلسطين الى دولتين قد حجت هذا الحق عن الشعب الفلسطيني مما أدى الى حرمانه من وطنه بالارهاب والعنف الذي مارسه القوى الصهيونية في فلسطين وخارجها . ذلك ان قرار التقسيم قد قضى بتقسيم اراضي فلسطين الى قسمين وانشاء دولتين مختلفتين (الاولى عربية والثانية يهودية) في كل قسم دون استفتاء الشعب ، بل وضد رغبة أكثرية السكان وبالرغم عن ارادتهم . وتدل الطريقة التي تم بها التقسيم على المدى الذي امتن به حق تقرير مصير الشعب العربي الفلسطيني . فبموجب قرار التقسيم كان من المقرر ان تكون مساحة الدولة اليهودية

٥٦٤٧ بالمئة من مجموع مساحة فلسطين وكان من المقرر أن تكون مساحة الدولة العربية ٤٢٨٨ بالمئة، بينما لم يملك اليهود آنذاك سوى ٧٦ بالمئة من مجموع اراضي فلسطين وسوى ٩٣٩ بالمئة من اراضي الدولة اليهودية المقرر لهم (٢٦)، وبينما لم يشكل اليهود سوى حوالي ٣٠ بالمئة من السكان . ومن انغريب حقا أن يكون عدد السكان اليهود في الدولة اليهودية يزيد عن السكان العرب بألف شخص فقط (٤٩٨ ألفا مقابل ٤٩٧ ألفا) ، بينما لم يكن هناك سوى عشرة آلاف يهودي في الدولة العربية المقترحة .

بيد انه عندما أخذت سطوة الدول الاستعمارية الكبرى تنحسر عن منظمة الامم المتحدة ، وأخذت تتضح معالم تجريد شعب فلسطين من أبسط حقوقه الأساسية ، صدرت عن المنظمة العالمية قرارات تقر بحق هذا الشعب في تقرير مصيره ففي القرار ذي الرقم ٢٥٣٥ القسم ب (٢٤) الصادر بتاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٦٩ أقرت المنظمة الدولية بحقوق شعب فلسطين اذ ورد في القرار المذكور ما يلي : « ان الجمعية العامة ... اذ تقر بأن قضية اللاجئين العرب قد نشأت من حرمانهم من حقوقهم التي لا تززعزع والتي كفلها ميثاق الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان ، تؤكد مرة أخرى حقوق شعب فلسطين التي لا تززعزع » (٢٧) .

ثم أصدرت الجمعية العامة عام ١٩٧٠ قرارا آخر هو القرار رقم ٢٦٧٢ القسم ج (٢٥) المؤرخ في ١٢/٨/١٩٧٠ والذي نص على ما يلي : « ان الجمعية العامة :
١ - تقر بأن لشعب فلسطين الحق في المساواة في الحقوق وبتقرير المصير وفقا لميثاق الامم المتحدة . ٢ - تعلن أن الاحترام الكامل لحقوق شعب فلسطين التي لا تززعزع يشكل عنصرا أساسيا في اقامة سلم عادل ودائم في الشرق الاوسط » (٢٨) .

وعادت الجمعية العامة بتاريخ ١٢/٦/١٩٧١ بقرارها ذي الرقم ٢٧٩٢ ، القسم د (٢٦) فنصت مجددا على البندين الواردين في القرار السابق وعبرت الى جانب ذلك « عن اهتمامها الكبير بعدم تمكين الشعب الفلسطيني من التمتع بحقوقه التي لا تززعزع ومن ممارسة حقه في تقرير مصيره » (٢٩) .

ولعل أهم القرارات التي صدرت عن الامم المتحدة مؤخرا والتي تثبت حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، القرار رقم ٢٦٤٩ (٢٥) الصادر بتاريخ ٣/١١/١٩٧٠ والمتعلق بتأكيد حقوق تقرير المصير والاستقلال للشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية او لسيطرة اجنبية (٤٠) . ولاهمية هذا القرار فاننا نورد بعضا من بنوده :

« ان الجمعية العامة ... »

١ - تؤكد شرعية نضال الشعوب الخاضعة للسيطرة الاستعمارية او لسيطرة اجنبية التي اعترف لها بحق تقرير المصير من أجل استعادة ذلك الحق بأي وسيلة متاحة لها .

٢ - تعترف بحق الشعوب الخاضعة لسيطرة استعمارية أو اجنبية في ممارستها المشروعة لحقها في تقرير المصير ان تطلب وان تستلم جميع أنواع المساعدات المعنوية والمادية وفقا لقرارات الامم المتحدة وروح الميثاق .

٣ - تدعو جميع الحكومات التي تنكر حق تقرير المصير للشعوب الخاضعة لسيطرة استعمارية واجنبية للاعتراف بهذا الحق والتقيد به وفقا للمواثيق الدولية المتعلقة بذلك وفقا لمبادئ ميثاق الامم المتحدة وروحها .

٤ - تعتبر ان اكتساب الاراضي والاحتفاظ بها بما يخالف حق شعب تلك الاراضي في تقرير مصيره امر لا يمكن اقراره ويشكل خرقا كبيرا للميثاق .

٥ - تدعو الحكومات التي تنكر حق تقرير المصير للشعوب المعترف لهم بهذا الحق لا سيما شعب جنوب افريقيا وشعب فلسطين . »

ومما يستدعي التوقف عند هذا القرار ما يلي :

- ١ - لم يكن هذا القرار بتأكيد حق الشعوب في تقرير مصيرها بل انه أقر لها بالحق في النضال لاستعادة هذا الحق بأي وسيلة متاحة وممكنة .
- ٢ - أباح القرار للشعوب المناضلة من أجل تقرير مصيرها الحق في طلب المعونات واستلامها من باقي الدول .
- ٣ - أبرز القرار بصورة خاصة حق شعب فلسطين في تقرير مصيره ، اذ انه لم يخصص أي شعب بالذات سوى شعب فلسطين وشعب جنوب افريقيا .

ب - الشعب الفلسطيني وحق العودة الى الوطن :

لئن كان للأفراد الذين غادروا بلادهم بكل حرية الحق في العودة اليها وفقاً لإحكام المواثيق الدولية ، فمن باب أولى أن يكون للشعب الفلسطيني الحق في العودة الى وطنه . ذلك ان الشعب الفلسطيني قد أجبر على ترك بلاده ولم يتركها بمحض ارادته ، كما كان الاخراج جماعياً لحق بشعب بكامله ولم يلحق بأفراد .

وبالفعل ، فان المجتمع الدولي قد أقر للشعب الفلسطيني حقه بالعودة الى بلاده . فمنذ عام ١٩٤٨ اصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً يقضي بعودة اللاجئين الفلسطينيين الى بلادهم . وهذا القرار هو القرار ذو الرقم ١٩٤ (٣) الصادر بتاريخ ١١ كانون الاول ١٩٤٨ وينص البند الحادي عشر منه على ما يلي : « ان اللاجئين الذين يرغبون في العودة الى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم ينبغي ان يسمح لهم بذلك في أول فرصة ممكنة ، وينبغي دفع تعويضات عن أملاك أولئك الذين لا يرغبون في العودة كما ينبغي تعويضهم عن الخسارة وعن الاضرار اللاحقة بأملاكهم والتي توجب مبادئ القانون الدولي والانصاف على الحكومات او السلطات المسؤولة دفعها » (٤١) .

وقد أكدت الجمعية العامة هذا القرار سنة بعد سنة منذ عام ١٩٤٨ بقرارات أخرى هي التالية : القرار رقم ٣٠٢ (٤) تاريخ ٨ كانون الاول ١٩٤٩ ، والقرار رقم ٣٩٣ (٥) و ٣٩٤ (٥) تاريخ ٢ و ١٤ كانون الاول ١٩٥٠ ، والقرار رقم ٥١٣ (٦) تاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٢ ، والقرار رقم ٦١٤ (٧) تاريخ ٦ تشرين الثاني ١٩٥٢ والقرار رقم ٧٢٠ (٨) تاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٣ والقرار رقم ٨١٨ (٩) تاريخ ٤ كانون الاول ١٩٥٤ ، والقرار رقم ٩١٦ (١٠) تاريخ ٣ كانون الاول ١٩٥٥ ، والقرار رقم ١٠١٨ (١١) تاريخ ٢٨ شباط ١٩٥٧ ، والقرار رقم ١١٩١ (١٢) تاريخ ١٢ كانون الاول ١٩٥٧ ، والقرار رقم ١٣١٥ (١٣) تاريخ ١٢ كانون الاول ١٩٥٨ ، والقرار رقم ١٤٥٦ (١٤) تاريخ ٩ كانون الاول ١٩٥٩ ، والقرار رقم ١٦٠٤ (١٥) تاريخ ٢١ نيسان ١٩٦١ ، والقرار ١٧٢٥ (١٦) تاريخ ٢٠ كانون الاول ١٩٦١ ، والقرار رقم ١٨٥٦ (١٧) في ١٠ كانون الاول ٦٢ ، والقرار رقم ١٩١٢ (١٨) تاريخ ٣ كانون الاول ١٩٦٣ ، والقرار رقم ٢٠٥٢ (٢٠) تاريخ ١٥ كانون الاول ١٩٦٥ ، والقرار رقم ٢١٥٤ (٢١) تاريخ ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٦ ، والقرار رقم ٢٣٤١ (٢٢) تاريخ ١٩ كانون الاول ١٩٦٧ ، والقرار رقم ٢٤٥٢ القسم ب (٢٣) تاريخ ١٩ كانون الاول ١٩٦٨ ، والقرار رقم ٢٥٣٥ القسم أ (٢٤) تاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٦٩ ، والقرار رقم ٢٦٧٢ ، القسم أ (٢٥) تاريخ ٨ كانون الاول ١٩٧٠ ، والقرار رقم ٢٧٩٢ القسم أ (٢٦) تاريخ ١٠ كانون الاول ١٩٧١ .

اما بالنسبة الى العرب الذين أخرجتهم السلطات الاسرائيلية ابان العمليات الحربية التي رافقت حرب الخامس من حزيران وتلته ، فان الجمعية العامة قد قررت حقهم

بالعودة الى بلادهم وطلبت من السلطات الاسرائيلية اعادتهم . ففي القرار رقم ٢٤٥٢ القسم أ (٢٣) الصادر بتاريخ ١٩ كانون الاول ١٩٦٨ تأكيد لذلك على الوجه التالي :

« ان الجمعية العامة ... »

« وهي مقتنعة بأن احسن طريقة للتخفيف من كارثة الاشخاص المشردين هي عودتهم السريعة الى ديارهم والى المخيمات التي كانوا يشغلونها في السابق ،

« ومؤكدة بالتالي على ضرورة عودتهم السريعة :

« ١ - تدعو حكومة اسرائيل لاتخاذ الخطوات الفعالة والفورية لعودة السكان الذين غادروا مناطقهم منذ بدء المعارك ، دون تأخير .

« ٢ - تطلب الى الامين العام متابعة التطبيق الفعال لهذا القرار واعداد تقرير حول ذلك الى الجمعية العامة » (٤٢) .

ومن بين القرارات العديدة التي اتخذتها هيئات الامم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية بهذا الشأن نكتفي بايراد ثلاثة منها :

١ - قرار مجلس الامن رقم ٢٣٧ تاريخ ١٤ حزيران ١٩٦٧ : « ان مجلس الامن ... يدعو حكومة اسرائيل الى تأمين سلامة اهالي المناطق التي جرت فيها العمليات العسكرية وصالحهم وامانهم ، كما يدعوها الى تسهيل عودة الذين تركوا هذه المناطق منذ نشوب المعارك » (٤٣) .

٢ - قرار المجلس الاقتصادي والاجتماعي رقم ١٣٦٦ (٤٤) الصادر بتاريخ ٣١ ايار ١٩٦٨ (٤٤) . « ان المجلس الاقتصادي والاجتماعي ... ادراكا منه للبدء المقرر في الاعلان العالمي لحقوق الانسان المتعلق بحق كل شخص بالعودة الى بلاده ... يؤكد حق جميع الاهالي الذين تركوا بلادهم منذ نشوب المعارك في الشرق الاوسط بالعودة كما يؤكد بانّه ينبغي على الحكومة المعنية ان تأخذ الاجراءات الضرورية بغية تسهيل عودة هؤلاء الاهالي الى بلادهم دون تأخير » .

٣ - القرار رقم ١ الصادر عن المؤتمر الدولي لحقوق الانسان المعقود بطهران بتاريخ ٧ ايار ١٩٦٨ (٤٥) . « ان المؤتمر الدولي لحقوق الانسان ... مسترشدا بالاعلان العالمي لحقوق الانسان ... يؤكد الحقوق التي لا تززع لجميع الاهالي الذين تركوا ديارهم نتيجة لنشوب المعارك في الشرق الاوسط بالعودة وبمعاودة الحياة العادية ، واستعادة ممتلكاتهم ومنازلهم وبالاتضمام الى عائلاتهم عملا باحكام الاعلان العالمي لحقوق الانسان » (٤٦) .

بينا في هذا الفصل ان المجتمع الدولي قد أكد وثبت بوضوح واضحة لا يعترضها الغموض ولا يشتوبها اللبس والابهام حق شعب فلسطين في تقرير مصيره وحقه في العودة الى وطنه . ولكن ، بالرغم من العدد الوافر والمتراكم من هذه القرارات والمواثيق والشرعات ، فقد بقي شعب فلسطين تائها ، مشردا ، مجردا من ابسط حقوقه الاساسية . وهكذا انتظر الفلسطينيون المجتمع الدولي خمسا وعشرين عاما لوضع قراراته موضع التنفيذ ولكن دون طائل . ونسائل مع شعب فلسطين : ترى ما هو السبيل لوضع قرارات المجتمع الدولي موضع التنفيذ وما هي الطريق لانهاء ليل الفلسطينيين الدامس الطويل ؟

خاتمة : من حق تقرير المصير والعودة الى الوطن الى الحق في الكفاح المسلح والتحرير

عندما يمنع شعب ما بالقوة المجردة وبالقهر من تقرير مصيره فان حقوقه لا تضيع بل تتحول وتمتد لتصبح حقوقا في تحرير ارادته وأرضه من الغاصبين ومن المحتلّين ومن الغزاة ، ذلك ان التحرير ، تحرير الارض وتحرير الإرادة لا بد وان يسبق ممارسة حق تقرير المصير ، ولعل ابلغ مثل واقعي على ذلك هو مثل الشعب الجزائري . ففي الجزائر كما في فلسطين احتلت مجموعة من المستوطنين الغزاة الارض الجزائرية ، وبدلا من ان تعلنها دولة مستقلة الحققتها بفرنسا . وبالرغم من النصوص القانونية(٤٧) التي فرضتها السلطة الفرنسية على الشعب الجزائري والتي اعتبرت بموجبها الجزائر جزءا لا يتجزأ من الدولة الفرنسية والتي افقدت الجزائر شخصيتها وسيادتها وجعلتها جزءا لا يتجزأ من الدولة الفرنسية ، فان حق تقرير المصير للشعب الجزائري وما استتبع من حق في التحرير بقي كامنا فيه . ولم تستطع هذه النصوص المفروضة بالقوة ان تسلب الشعب الجزائري او تنتزع منه حقه في تقرير مصيره لان هذا الحق هو حق اساسي لا يقبل الانتزاع او التجريد . فكان ان قام الشعب الجزائري بتحرير وطنه تمهيدا لممارسة حقه في تقرير مصيره .

ان حق تقرير المصير هو في نهاية المطاف حق اختيار شعب من الشعوب لنوع السيادة التي يريد بملء ارادته ، اي حق تقرير الوضع الدولي لشعب من الشعوب .

ولقد كفل تقدم الفكر السياسي للشعوب حق تقرير وضعها الداخلي باختيار نظام الحكم الذي تريد . منذ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (والفكر السياسي للثورة الفرنسية والثورة الاشتراكية الكبرى دليل على ذلك) ، واتى القرن العشرين ليكتمل للشعوب حق تقرير وضعها الدولي .

فالمجتمع الدولي قد اقر بشرعية نضال الشعوب من اجل تقرير مصيرها ومن اجل التحرير من السيطرة الاستعمارية والاجنبية وذلك بجميع الوسائل والسبل المتاحة(٤٨) . والمجتمع الدولي قد اوجب على الدول مؤازرة نضال الشعوب من اجل التحرير وتقرير المصير كما اوجب عليها مد يد المساعدة والمعونة اليها(٤٩) .

ولئن كان اختيار نظام الحكم على الصعيد الداخلي بصورة ديمقراطية يؤدي الى تجنب اراقة الدماء ضمن الدولة ويحول دون القيام بالثورات لتغيير الانظمة القائمة ، فان تأسيس سيادات الدول على اساس حق تقرير المصير ووفقا لرغبات الشعوب يؤدي الى احلال السلم على الصعيد الدولي . وانطلاقا من هذا القياس ، فكما ان الحقول دون الشعب وممارسة خرياته واختيار نوع الحكم الذي يريد يعطي لذلك الشعب حق الثورة على حكامه ، فان الحيلولة دون اعطاء شعب من الشعوب حقه في تقرير مصيره والسيادة على اراضيه من قبل غاز او محتل اجنبي يعطي لـذاك الشعب ، على الصعيد الدولي ، حق حمل السلاح .

1 - wish Youth Comes Home; Israel Resurgent.

٢ - كانت السلطة البريطانية تدرّب يهود فلسطين وتقومهم في خبلاتها لقمع نضال عرب فلسطين نحو الاستقلال . راجع حول أعمال اخدى

1 - وقد شغل المذكور بعد انتهاء عمله مع الادارة البريطانية منصب استاذ العلاقات الدولية في الجامعة العبرية حتى عام ١٩٥٢ . وله العديد من الكتب الداعية لاسرائيل والمؤيدة لها منها :
Israel; Judea Lives Again, Je-

Israel Pocket Atlas and Handbook, (Jerusalem : The Universities Booksellers, 1961), p. 4)

٩ - الحكومة البريطانية ، تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب ١٩٢٩ ، (تقرير لجنة شو) الترجمة الرسمية العربية (١٩٣٠) ، ص ١٥٠ .

١٠ - Walid Khalidi ed., *From Haven to Conquest* (Beirut : the Institute for Palestine Studies, 1971), appendix (IV), pp. 846-847).

١١ - Theodore Herzl, *Complete Diaries*, Vol. I (1960), p. 88 (Entry of June 12, 1895), quoted by Erskine Childers, «Palestine: the Broken Triangle», *Journal of International Affairs*, Vol. XIX, No. 1, 1965, p. 93.

١٢ - Chaim Weizmann, *Trial and Error* (London. Hamish Hamilton, 1950), p. 305.

١٣ - المرجع ذاته ، ص ٢٢٤ .

١٤ - Great Britain, *Palestine, Report on Immigration; Land Settlement and Development* (London: His Majesty's Stationery Office, 1930), p. 52 et se.

١٥ - المصدر ذاته .

١٦ - Jacques de Reynier, *A Jérusalem un Drapeau Flottait sur la ligne de Feu* (Neu châtel : Edition de la Bococonnière, 1950), pp. 69-74. Reprinted by Walid Khalidi, ed., *From Haven to Conquest* (Beirut: Institute for Palestine Studies 1971), pp. 761-770.

١٧ - Arnold Toynbee, *A Study of History* (London: Oxford University Press, 1935-1954), Vol. VIII, p. 290, n. 3.

١٨ - Erskine B. Childers, «The Other Exodus», *The Spectator*, May 12, 1961, pp. 672-675.

١٩ - *Jewish Newsletter* (New York: 9/2/1959), cited in *Ibid*, p. 674.

انظر ايضا حول هذا الموضوع دراسة الاستاذ وليد الخالدي :

Arab League Office, *Why Did The Palestinians Leave?* (London 1963).

John F. Davis, *The Evasive Peace* (London : John Murray, 1968), pp. 57-60.

هذه الفرق اليهودية التي كان من بين اعضائها موشة ديان وبيتيادة البريطاني تشسترلرز اوردوينجات وما قامت به من عمليات ارهاب بشعة ضد العرب عام ١٩٢٨ ، الفصل الرابع من كتاب :

Leonard Mosley, *Gideon Goes to War* (London: Arthur Barker Ltd. 1955), pp. 55, 64.

٢ - *Statistical Abstract of Palestine 1936* (Jerusalem: Office Statistics, 1937), Table 5.

٤ - *General Monthly Bulletin of Current Statistics Jan. Feb 1948* (Jerusalem : Department of Statistics), p. 5.

٥ - من أجل مزيد من التفاصيل حول مقاومة شعب فلسطين أنظر عبد الوهاب كياتي (محرر) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨ - ١٩٣٩ ، (بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٦٨) .

٦ - في مؤتمر الصلح الذي انعقد في باريس في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، اتفق كل من دودرو ويلسون (الولايات المتحدة) ولويد جورج (بريطانيا) وكليمنسو (فرنسا) وارلاندو (ايطاليا) على ارسال لجنة تقصي الحقائق بغية التثبت من رغبات شعوب الشرق الادنى وامانها . ولقد خشي الانجليز والفرنسيون نتائج عمل هذه اللجنة فلم يرسلوا اي مندوب . فتألقت اللجنة من السيدين كنج وكرين الاميركيين كلجنة امريكية وتقدمت تقريرها الى مؤتمر السلم بباريس بتاريخ ٢٨ آب ١٩١٩ . ونظرا لما اوضحه التقرير عن رغبة سكان فلسطين في الاستقلال ومقاومة البرنامج الصهيوني فقد بقي محاملا بالسرية دون نشره بدءا من الزمن .

٧ - Harry V. Howard, *The King-Crane Commission* (Beirut: Khayats, 1963), p. 349.

٨ - Sami Hadawi, *Palestine-Loss of a Heritage* (San Antonio: the Naylor Company, 1963), p. 25.

ووفق الاحصاءات اليهودية بلغت مساحة الاراضي اليهودية عند انتهاء الانتداب ، ١٩٢٤ كيلومترا مربعا ، أي حوالي ٧٤,٣١٪ من مجموع اراضي فلسطين .

- نيسان ١٩٦١ .
- Sami Hadawi, *Palestine-Loss of a Heritage* (San Antonio: The Naylor Co. 1963), p. 25. — ٣٦
- GAOR (XXIV), Supplement No. 30, p. 26. — ٣٧
- GAOR, (XXV), Supplement No. 28, p. 37. — ٣٨
- GAOR, (XXVI), Part III, p. 31. — ٣٩
- GAOR, (XXV), Supplement No. 28, p. 74. — ٤٠
- GAOR, (III), Part I, p. 24. — ٤١
- GAOR, (XXIII), Supplement No. 18, pp. 21-22. — ٤٢
- Official Records of the Security Council (XXII), p. 5. — ٤٣
- Official Records of the Economic and Social Council (44), p. 19. — ٤٤
- Final Act of the International Conference on Human Rights, p. 5. — ٤٥
- ٤٦ — أنظر أيضا حول الموضوع ذاته القرارين الصادرين عن لجنة حقوق الانسان التابعة للمجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٦٨ و٤ آذار ١٩٦٩ ، والقرارين الصادرين عن منظمة الصحة العالمية بتاريخ ٢٣ ايار ١٩٦٨ و٢١ ايار ١٩٧٠ .
- ٤٧ — كدستور عام ١٨٧٥ الذي قسم الجزائر الى ثلاث محافظات (وهي وهران والجزائر وقسنطينة) واعتبرها جزءا من الدولة الفرنسية وتتبع وزير الداخلية الذي يدير شؤونها بموجب مراسيم ودستور عام ١٩٤٦ الذي نص في مادته المستتين على ان الجمهورية الفرنسية تتألف من فرنسا الاصلية ومن محافظات وأراضي ما وراء البحار ، والذي نص في مادته الاولى على ان الجمهورية الفرنسية هي جمهورية واحدة لا تتجزأ .
- ٤٨ — انظر قرار الجمعية العامة رقم ٢٦٤٩ (٢٥) تاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٠ ، وقرار المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة رقم ١٥٩٢ تاريخ ٢١ ايار ١٩٧١ .
- ٤٩ — أنظر الفقرة الثامنة عشرة من بيان تعزيز الامن الدولي الذي اقترته الجمعية العامة بتاريخ ١٦ كانون الاول ١٩٧٠ .
- Moshe Menuhin, *The Decadence of Judaism In Our Time* (Beirut : The Institute For Palestine Studies, 1969), p. 186.
- Report of the Commissioner - General of the United Nations Relief and Works Agency, 22 U.N. GAOR, Supp. 13. Tables I and 2. — ٢١
- ٢٢ — المصدر ذاته ، ص ١١ .
- Vladimir Lenin, *Questions of National Policy and Proletarian Internationalism*, (Moscow: Foreign Languages Publishing House), p. 63. — ٢٣
- ٢٤ — المصدر ذاته ، ص ١٢٥ .
- ٢٥ — المصدر ذاته ، ص ١٢٨ .
- ٢٦ — المصدر ذاته ، ص ١٥٣ .
- ٢٧ — اوردها السيد واتسون وايز ، مندوب الولايات المتحدة لدى الامم المتحدة في خطابه أمام اللجنة الثالثة في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٨ .
- المنشور في : Department of State Bulletin, XI, No. 1025 (1959), p. 172.
- U. S. Congressional Record, LNI, part 2, p. 1952. — ٢٨
- Resolution 421 D (v), GAOR, V, Supplement 20, p. 43. — ٢٩
- Resolution 637 C (VII) of 16/12/1952 GAOR, VII. — ٣٠
- Resolution 545 (VI), GAOR, VI, supplement 20, pp. 36-37. — ٣١
- Resolution 637 A (VII) GAOR, VII Supplement 20, p. 26. — ٣٢
- Official Records of the Economic and Social Council, XVIII Supplement 7. — ٣٣
- GAOR, XXI, Resolution No. 21. — ٣٤
- ٣٥ — بالنسبة الى الكاميرون البريطاني أنظر قرارات الجمعية العامة ذوي الارقام ١٣٥٠ (١٣) و١٣٥٢ (١٤) و١٤٧٢ (١٥) المؤرخة على التوالي في ١٣ آذار و١٦ تشرين الاول و١٢ كانون الاول من عام ١٩٥٩ ، وبالنسبة الى التوغولاند الفرنسي القرار ١١٨٢ (١٢) المؤرخ في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٧ ، وبالنسبة الى رواندا اوروندي القرار رقم ١٥٧٩ (١٥) والقرار رقم ١٥٨٠ (١٥) المؤرخين في ٢٠ كانون الاول ١٩٦٠ والقرار رقم ١٦٠٥ (١٥) تاريخ ٢١

الاعلام العربي واجتياح الحصار الاعلامي الاميركي - الصهيوني في امريكا

دور التنظيمات العربية والفلسطينية بعد حرب حزيران ١٩٦٧

الدكتور ابراهيم ابو لغد

خلفية تاريخية

لقد أدرك العرب ادراكا متفائوتا ان للاعلام عن القضايا المصرية والمتعلقة بالصراع الطويل مع الاستعمار الغربي والاستيطان الصهيوني في فلسطين دورا لا بد من أن يؤديه للوصول الى النصر على قوى الاستعمار . وقد ظهر هذا الادراك ، وانعكس اول ما انعكس في تأسيس مكاتب الاعلام العربي في كل من لندن وواشنطن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . فجاءت هذه المكاتب بدعم مادي من جامعة الدول العربية والعراق بشكل خاص لتقوم بما يمكن القيام به من اعباء اعلامية كان غرضها الاصلي والاساسي عرض حقوق الشعب الفلسطيني على المجتمع الاميركي الذي كانت تحتكره ابواق الدعوة الصهيونية المشوهة للواتع والتاريخ . وكان اول من أسس المكتب العربي في واشنطن الاستاذ أحمد الشقيري الذي بين في مذكراته عن هذه الحقبة من العمل والتاريخ مفهومه للاعلام ودوره في الصراع ، والذي اظهر كذلك الوسائل المادية والعلمية التي وضعت بين يديه لاداء مهمة الاعلام ، كما وضح اساليب عمله في محاولته التصدي للاعلام الصهيوني - الاميركي .

ومما لا شك فيه ، ان الاعلام في تلك الفترة كان أكثر من عاجز، اذ لم يكن المسؤولون عنه خبراء فيه ، وكان يعوزهم الفهم الحقيقي لتكوين المجتمع الاميركي ولوسائل الاتصال بالجمهور في هذا المجتمع . ونظرا للتخلف الحضاري العربي آنذاك ، لم يرافق هذه المحاولة الاعلامية تخطيط ما ، ولم يشعر الاعلام بضرورة الدراسات العلمية والتاريخية ، التي لا بد وان تشكل الخلفية الحقيقية للدعوة والتبشير . ورغم أننا لا ندعي مطلقا بإمكان تحقيق مكاسب اعلامية حقيقية في تلك الفترة التاريخية للقضية الفلسطينية حتى لو توفرت الادوات العلمية والدراسات والتخطيط والخبراء ، الا اننا نجزم بأن الاعلام آنذاك لم يترك أثرا يذكر .

ورغم بدائية هذه البداية ، الا أنها تلاشت بنشوء اسرائيل على انقاض فلسطين بدل أن تتضاعف وتستفيد من خبرتها المحدودة . واهملت الدول العربية بعد انهزامها العسكري في ١٩٤٨/١٩٤٩ الاعلام الخارجي وكان مشاكل التغيير العسكري والسياسي استحوذت على جل اهتماماتها ولم يعد للاعلام العربي الرسمي في امريكا وجود يذكر حتى سنة ١٩٥٤ تقريبا .

ومع ذلك ، فقد اهتم بعض أنصار العرب الذين ارتبطوا بالمنطقة العربية ومصليا كالمبشرين وبعض الاساتذة الذين خدموا في احدى البلدان العربية وبعض أصحاب

العمل بنقل بعض الحقائق الى المجتمع الاميركي ، وقام هؤلاء ببعض الجهود الاعلامية ، الا ان هذه الجهود كانت ضعيفة ، ينقصها التنظيم والدعم المادي ، وكانت نظرتها محدودة كذلك ، فركزت على مشاكل « اللاجئين » من الناحية الانسانية وحاولت ان تحصل على عطف الرأي العام الاميركي من ناحية انسانية ولم تجابه الاعلام الصهيوني السياسي على امس سياسي . ولم تحدث المواجهة الحقيقية للاعلام الصهيوني السياسي الا بعد نشوء اول تنظيم عربي في أمريكا اثر تكوين منظمة الطلبة العرب في اواخر عام ١٩٥١ . نذكر جيدا التدفق الطلابي العربي الى اوروبا وأمريكا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، فقد وفد الى أمريكا أعداد غفيرة من الطلبة العرب من فلسطين والاردن ومصر وسوريا ولبنان والعراق وتوزعوا في مختلف الجامعات الاميركية . وكان هؤلاء الطلبة على درجة عالية من النضج الثقافي والسياسي ، وشعروا باحتكاكهم المباشر بالحاجة الماسة الى اعلام سياسي وحضاري في أمريكا ، وقام الكثيرون منهم بالقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات المختلفة لتوعية مختلف القطاعات الاميركية ، وتصدوا رغم قلتهم للاعلام الصهيوني في اوساطهم . وكان لهذا الاندفاع الطلابي اثره في تكوين منظمة الطلبة العرب في أمريكا ، وقام ثغر منهم بالتجول في أمريكا للدعوة الى هذه المنظمة ، وكان لهذه الجهود اثرها فاجتمع الطلاب في مدينة المهرست لأول مرة في اول مؤتمر طلابي عربي في أمريكا ثم توالى مؤتمراتهم السنوية الى يومنا هذا . وعبر السنين تولت هذه المنظمة اعباء الاعلام العربي في أمريكا ، وكان لها دور هام أساسي في مواجهة الاعلام الصهيوني ، اذ ان المنظمة كانت مركزية ، ادارت شؤونها لجنة مركزية انتخبت سنويا ، مثلت الاتجاهات السياسية العربية المختلفة وكان أعضاؤها ينتمون الى دول عربية مختلفة . ثم تشكلت فروع كثيرة على المستويات المحلية وتولت هذه الفروع مهمات الاعلام العربي عن طريق الندوات والاجتماعات والمهرجانات الطلابية منتقلت ، خاصة الى الاوساط الطلابية الاميركية الجامعية ، مشاكل التطور العربي ، والتراث العربي اضافة الى مشاكل التحرير العربي وصراع العرب مع الاستعمار والاستيطان الغربي .

ولا ننغالي ان قلنا بأن الاعلام الطلابي العربي في أمريكا كان الاعلام الوحيد الذي حاول مواجهة الاعلام الصهيوني حتى سنة ١٩٥٤ .

ثم نشأت مكاتب الجامعة العربية لتتولى بعض مهمات الاعلام العربي وكانت في بدايتها متواضعة وجادة بان واحد ، اذ رغم ضعف موارد المكاتب قياسا الى موارد الحركة الصهيونية وطاقتها البشرية ، الا ان الرعيل الاول من موظفيها كانوا على درجة عالية من الكفاءة والقدرة ، كانوا قد اجتكوا بالمجتمع الاميركي وعرفوه معرفة جيدة ، وكان جلهم يعمل بهذه المكاتب لا في سبيل الرزق بل لتأدية واجب وطني . وكان لهذه المكاتب في السنوات القليلة التالية اثر طيب في أمريكا ، وسدت جزءا من الفراغ الاعلامي السابق ، فاوفدت موظفيها الى المؤسسات المختلفة للقاء المحاضرات او الاشتراك بالمناسبات ، واصدرت نشرات اعلامية تتفاوت في جودتها ، واصدرت مجلة العالم العربي وهكذا ، اضافة الى ان هذه المكاتب دعمت النشاط الطلابي العربي الذي تزايد عبر السنين . ويمكن ان يقال بان احتكار الصهيونية للاعلام في المجتمع الاميركي بدأ يعاني بعض المناسبات والتحديات في اواخر الخمسينات اثر نشوء منظمة الطلبة العرب ومكاتب الجامعة العربية التي اضافت قليلا الى تلك الجهود الضعيفة التي كان يبذلها الاميركيون ذوي المصالح الاقتصادية او الثقافية في المنطقة العربية .

كان لهذا التوجه الاعلامي العربي ، على ضعفه ، ان يتصدى للمشاكل الرئيسية التي تفترض تفهما واضحا للعلاقات العربية - الاميركية وكان عليه ان يوضح ويقنع فئات

المجتمع الاميركي بعدالة المطالب الكاملة للشعوب العربية ومن ضمنها الشعب الفلسطيني وعدالة صراع هذه الشعوب مع دول الاستعمار القديم في سبيل الحصول على الإستقلال الكامل وجلاء الجيوش الاجنبية عن اراضيها ، وحررتها في تقرير مصائرنا السياسية والاقتصادية . ورغم ان القضية الفلسطينية ، ومطالب الشعب الفلسطيني كانت موضوعيا اكثر الحاجا ، الا ان المشاكل والاضطرابات الآتية في العالم العربي كانت تفرض نفسها على الواقع الاعلامي الذي اضطر ان يدافع عن جميع هذه الاضطرابات ، فكان الاعلام يحاول تفسير نزعة الشعوب العربية في الابتعاد عن الاحلاف السياسية والعسكرية التي كان الغرب يحاول فرضها على الدول العربية ، وتبرير السياسات الاصلاحية التي تبنتها بعض الدول العربية المتقدمة وتأكيد الاسس التي افترض القوميون العرب وجودها كضرورة لتكوين مجتمع عربي موحد ، كما انه حاول ان يدافع عن حق كل وطن عربي بالاستقلال السياسي عن الدولة الاستعمارية الحاكمة وهكذا . وكان الاعلام العربي ، سواء الرسمي الذي كان يصدر عن مكاتب الجامعة العربية او غير الرسمي الذي قامت به منظمة الطلبة العرب يعبر القضية الفلسطينية جزءا من اهتمامه وكان في معظم الحالات يركز على قاعدتين : حق الشعب الفلسطيني اللاجيء بالعودة الى ارضه دون ان يلتزم الاعلام بهدف سياسي ثابت يصبو اليه هذا الشعب . واما القاعدة الثانية فكانت عدم عدالة وجود الدولة الصهيونية في فلسطين دون ان يقدم الاعلام البديل لهذا الوجود . ونظرا لكثرة المشاكل الاخرى ، وعدم وضوح الهدف السياسي للشعب الفلسطيني كما تصوره الاعلام العربي ، ركز الاعلام جهده حول المشاكل الانسانية للشعب الفلسطيني اللاجيء ، واكد على ضرورة ايجاد حل « عادل » لهذه المشكلة الانسانية ، دون ان يبرز مفهوما واضحا عاقلا لعدالة الحل الذي يرغب الشعب والحكومة الامريكية ان يلتزما به .

واكب هذا الاعلام العربي ، اعلاما امريكا آخر قامت به مؤسسات امريكية ارتبطت مصلحيا بالدول العربية ، فقامت مثلا جمعية اصدقاء الشرق الاوسط والتي تبين فيما بعد انها كانت تستمد معوناتها المالية من شركات النفط الامريكية والمخابرات الامريكية المركزية ، اضافة الى بعض المؤسسات الاهلية الاخرى كمنسية كانت او علمانية بمحاولات لتحسين مفهوم الامريكي للقضايا العربية ، وتبنت اساليب اعلامية لم تختلف كثيرا عن تلك التي استخدمها الاعلام العربي ، من نشرات او محاضرات او ندوات . ورغم اهتمام هذه المؤسسات بالقضايا العربية الاستقلالية الا انها اولت بعض اهتمامها لقضايا الشعب الفلسطيني على انه شعب لاجيء وجب على الانسان الاميركي وحكومته ان يساهموا في نجدته انسانيا ومعيشيا .

واهمل هذا الاعلام سياسية القضية الفلسطينية ونجح الى حد بعيد في ترسيخ التصور الاسرائيلي للقضية ، على انها قضية لاجئين لا بد من توطينهم في البلدان العربية ، وان الدول العربية هي التي تعرقل عملية التوطين لغرض في نفس يعقوب .

ورغم اننا لا نبتغي ان نبالغ في وجود اعلام فلسطيني خلال تلك الفترة ، الا اننا نستطيع القول انه كان هناك اعلام فلسطيني اشراف عليه مكتب فلسطين المنبثق عن الهيئة العربية العليا ، حيث كان يعمل الدكتور عزت طنوس وعيسى نخله . وعلى ضعفه ، الا ان هذا الاعلام ساير الاعلام العربي الى حد ما ، وبذل جهدا في ابراز اضطهاد اسرائيل للشعب الفلسطيني الذي بقي في ارضه ، اضافة الى اعلام الشعب الامريكي بمأساة اللاجئين . ورغم انه ندد بوحشية الصهيونية ، الا انه لم يتمكن من تقديم بديل سياسي عاقل للواقع المظلم ، ورغم الضعف الفكري

لإعلام الذي انبثق عن مكتب فلسطين ، الا انه في نشراته وكتيباته أكد على الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني في ارض فلسطين وحاول جاهدا ان يبين ، عن طريق الحجج الانجيلية أحيانا والتاريخية أحيانا أخرى ، عدالة مطالب الشعب الفلسطيني وشرعية ملكيته لارض فلسطين .

تصورات الاعلام

كانت هنالك مجموعة من التصورات تحكمت في نوعية الاعلام العربي وطبيعته في امريكا ، وانعكست هذه بالنشاطات المختلفة التي قامت بها منظمة الطلبة العرب ، ومكاتب الجامعة العربية ، والمؤسسات الامريكية التي صادقت العرب مصلحيا . ولا نغالي ان قلنا بأن الاعلام العربي في امريكا انطلق من منطلقين اساسيين : الاول ان تأييد امريكا للصهيونية وبالتالي لدولة اسرائيل ومدتها بالمعونات الاقتصادية والعسكرية ينبثق من مصدرين : الاول المؤامرة الصهيونية الكبرى والتي حاكها الصهاينة التي عبات القوى اليهودية المسيطرة على امريكا في سبيل التحكم بالسياسة الاميركية في الوطن العربي ، اما المصدر الثاني فهو الجهل الاميركي لحقائق الوطن العربي لحقوق الشعب الفلسطيني. اذن على الاعلام العربي ان يؤكد على ان السياسة الاميركية ، ان تحررت من قيود الصهيونية وتلاعبها ، لا بد وان تتبدل وتصبح أكثر عدالة وتفهما للشعوب العربية والقضية الفلسطينية ، وعلى ان الشعب الاميركي لا بد وان يتبنى وجهة النظر العربية ان علم « الحقائق » وازدادت ثقافته ومعرفته بالشعوب العربية .

اما المنطق الثاني ، للاعلام العربي فكان ان المجتمع الاميركي يشمل طرفين اساسيين : الطرف الاول هو الفئات اليهودية وهي التي آمنت بالصهيونية — وهنالك استثناءات طفيفة كالمجلس الاميركي لليهودية — والتي تحكمت بالاعلام الاميركي وبالتالي بالسياسة الاميركية ، اما الطرف الثاني فهو المجتمع الاميركي المسيحي الذي جهل الحقيقة والذي ذهب ضحية الصهيونية وبالتالي أيد المشاريع الاستيطانية الصهيونية في فلسطين وعادى القضايا العربية .

نتيجة لهذا التصور ، تمكن كثير من الذين عادوا اليهود كيهود (اللاساميون) من تأييد العرب لا لمعرفة الحقائق بل لتصورهم بأن النزاع في الشرق الاوسط هو نزاع عنصري بين العرب واليهود ، وكان هؤلاء ينتمون الى فئات سياسية يمينية رجعية مما جعل الاميركي يربط الانتصارات السياسية العربية بالفاشية . ثانيا ركز الاعلام العربي في مجاولته لاقتناع الفئات الاميركية المسيحية منها ، على ما اصطلح عليه بالمصالح القومية الاميركية في المنطقة العربية ، واكد على ان هذه المصالح ، سواء اكانت اقتصادية ، تجارية ، سياسية او عسكرية يتهددها الخطر ان استمرت امريكا باتباع سياستها المؤيدة لاسرائيل ، واكد على ان الدول العربية ، وهي تسمى للمحافظة على هذه المصالح ، تتعرض لضغوط شعبية تدعوها لاتخاذ اجراءات تاديبية لتتجلى الحكومة الاميركية عن سياستها المؤيدة لاسرائيل . وفي نهاية الامر اكد الاعلام العربي على ان الانفتاح العربي على الاتحاد السوفياتي وازدياد التفاعل العربي السوفياتي — خاصة بين الدول العربية التقدمية — يعود الى سياسة المعاداة الاميركية تجاه القضايا العربية المختلفة ومن بينها القضية الفلسطينية . وكان الكثيرون من الذين يعملون في ميادين الاعلام ، عربا كانوا او امريكيين ، يؤكدون باستمرار ان العرب يفضلون التعاون الكامل مع امريكا ولا يريدون التعامل مع الاتحاد السوفياتي الا ان سياسة امريكا المؤيدة لاسرائيل تشكل حاجزا مستمرا لاستمرار هذا التعاون .

كان لا بد للاعلام العربي ان يفشل فشلا ذريعا في الخمسينات والستينات في مهماته العديدة ، اذ كما حاولنا ان نذكر باختصار ، لم يدرك الاعلام الحقيقي الموضوعية للمجتمع الامريكى ، ولم يدرك اهمية التنظيمات العديدة ، العمالية ، والتجارية ، والكنسية والحزبية والسياسية الخ ، التي تمارس ضغوطا مختلفة على الحكومة الامريكية : البيت الابيض ، والكونجرس بمجلسيه وهكذا ، ولم يدرك الاعلام حقيقة الارتباطات والالتزامات المختلفة لكل من هذه الفئات التي تؤيد اسرائيل او تؤيد سياسة اميركة - غرضها الاساسي السيطرة والهيمنة الامريكية على مناطق العالم . ثانيا لم يدرك الاعلام العربي الرسمي ، حقيقة الارتباط الصهيوني بالحكومة الامريكية اذ ان الاعلام افترض بان الصهيونية هي العدو الرئيسي واغفل ان النظام الاقتصادي الامريكى والسيطرة العسكرية الامريكية تفترض وجود اجزاء في مختلف مناطق العالم لتلعب دورا مهما في تنفيذ اغراض السياسة الامريكية وان الحكومة الامريكية تؤيد اسرائيل لان هذه أداة من الادوات التي تستخدمها للسيطرة على المنطقة العربية وللمحافظة على المصالح الاقتصادية الامريكية في المنطقة التي استندت الى الاستغلال الرأسمالي . وفشل الاعلام العربي ايضا نظرا لانه ارتبط بانظمة عربية متضاربة في اغراضها ، وتصوراتها واهدافها ، اذ نعلم جيدا بان الانظمة العربية المختلفة نفسها لم ترتبط بسياسة محددة تجاه الشعب الفلسطيني وحقوقه ، ولم ترتبط بسياسة محددة تجاه اسرائيل نفسها ، وكان لهذا التضارب اثره على ما يحاول الاعلام ان ينقله الى الشعب الامريكى .

رافق هذا الفشل الاعلامي العربي نصر اعلامي صهيوني وضوح وضوحا جليا بانتهاء عقد الخمسينات ، اذ أصبح واضحا حينئذ بأن الحقوق السياسية للشعب الفلسطيني قد اندثرت ، كما اندثرت هويته الوطنية ، وأصبحت المشاكل الرئيسية في المنطقة العربية تتركز حول النزاع العربي - الاسرائيلي والتصور الامريكى بأن هذا النزاع مبعثه مطامع الدول العربية بارض اسرائيل نفسها ، ومحاولة هذه الدول القضاء على الشعب اليهودي . وقد أكدت وسائل الاعلام الامريكى ، ذلك الجزء الذي تسيطر عليه الفئات الصهيونية والجزء الذي تحركه المصالح الامريكية الاخرى ، على هذا النزاع من هذه الزاوية وتناسى كل من كتب عن المنطقة العربية وعن وجود الشعب الفلسطيني وحقوقه .

لا بد هنا من الاشارة الى ان الانتصار الاعلامي الصهيوني ، رغم ارتباطه بمهارة خبراء الاعلام الصهيونيين الذين يعملون مع الفئات اليهودية الصهيونية - مثل اللجنة الامريكية اليهودية ، او الكونجرس الامريكى اليهودي وغيرها من المنظمات اليهودية التي تخدم اسرائيل - فانه يرجع برأى الى ما هو اهم من ذلك ، وهو التحول الخطير في الاتجاهات السياسية الامريكية بعد الاعتداء الثلاثي على مصر ، اذ يدرك من تابع السياسة الخارجية الامريكية حينئذ ، بان الحكومة الامريكية وصلت الى نتيجة اساسية وهي ان الخطر الحقيقي في المنطقة العربية يكمن في نضج الحركة القومية العربية التي تمثلت بسياسة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وبسياسة حزب البعث العربي والتي حاولت تحرير الاراضي العربية باكملها من الاستعمار القديم والجديد ، ودعم حركات التحرير العالمي ، واتباع سياسة الحياد الايجابي ، اضافة الى التزامها بتحديث المجتمع العربي . وتصور المسيطرون على ادوات الحكم في امريكا بان نجاح هذه السياسة العربية القومية التقدمية سيؤدي في نهاية الامر الى الاصطدام المباشر بالمصالح الامريكية الاقتصادية والعسكرية في الاراضي العربية الاخرى ، وازاء هذا التشخيص والذي اشتركت فيه شركات النفط الامريكية ، تشكل

الحلف السياسي المصلحي الذي وجه الامور فيما بعد وحتى العدوان الاسرائيلي على مصر وسوريا والاردن في حزيران سنة ١٩٦٧ ، واعضاء هذا الحلف الذين تعاونوا سياسيا وعسكريا واعلاميا كانوا اسرائيل وادواتها في امريكا ، وشركات النفط الاميركية التي حفت البيت الابيض على اتباع سياسة عنف تجاه عبد الناصر والبعث والخارجية الاميركية التي تسهر على الهيمنة الاميركية في الخارج والتي شعرت بخطورة السياسة الخارجية المستقلة التي اتبعتها عبد الناصر والبعث .

واذا جاز لنا ان نفترض مواجهة اعلامية في امريكا في اوائل العقد الستيني نستطيع ان نقول بان محور هذه المواجهة تركز على ما تبغي الدول العربية التقدمية تحقيقه لشعوبها وللشعوب العربية والاسيوية والافريقية الاخرى . وان كان للشعب الفلسطيني وجود ، فقد كان ضمن القضايا العربية الاخرى .

واستمر هذا الوضع الى ان تشكلت منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٦٤ وتمكنت هذه من تأسيس مكتب متواضع في نيويورك يتولى الاعلام عن القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني . وتولى ادارته منذ ذلك الوقت الاخ سعادت حسن وساعده بعض الاخوان . وتمكن هذا المكتب رغم حدود امكانياته من المساهمة في توجيه الاعلام العربي في امريكا الى القضية الاساسية ، وطرح المشكلة من المنظور الفلسطيني لاول مرة منذ ١٩٤٨ ، واكد الاعلام الفلسطيني المنبثق عن هذا المكتب على ان النزاع الحقيقي في المنطقة هو النزاع الصهيوني - الفلسطيني حول مستقبل فلسطين السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، وبطبيعة الحال تجنب هذا الاعلام الفلسطيني التحدث عن القضية وكأنها قضية « لاجئين » وترك هذه الصفة الى الادوات الاعلامية الاخرى خاصة الاميركية . وكان لوجود المكتب اثر اعلامي طيب ، اذ تمكنت منظمة الطلبة العرب ان تشكل ندوات خاصة عن قضية فلسطين ، وتمكنت وسائل الاعلام الاميركية بين الفينة والاخرى التحدث عن اهداف هذه المنظمة وبدأ الفلسطيني تدريجيا رغم محاولات الصهيونية العديدة ، يعود مرة اخرى الى الوجود نظريا . وقد اكد الاعلام الفلسطيني هذا على ضرورة الكفاح المسلح كوسيلة لايجاد حل سياسي عادل لمطالب الشعب الفلسطيني ، ولم يستند الى « ضمير » العالم لاعادة هذه الحقوق الى الشعب المشرد . وما ان بدأت « فتح » عملياتها في الاراضي الفلسطينية المحتلة لتحقيق اغراض سياسية تحريرية فلسطينية واضحة ، حتى بدأ الاعلام الاميركي يعبر هذا التطور في المنطقة العربية اهمية محدودة وهكذا بدأ التساؤل .

الا ان الاعلام الصهيوني والحكومي الاميركي كانا ساهرين وذكيين ، وتصديا للاعلام الفلسطيني ، وحاولا ان يشوها طبيعة الحركة الفلسطينية الجديدة ، وركزا على انها اداة جديدة اظهرها عبد الناصر والحكومات العربية الذين يريدون ان يتستروا بها لتغطية نواياهم العدوانية تجاه اسرائيل . وبينما اكد مكتب منظمة التحرير على استقلالية المنظمة ، وعلى استقلالية الاهداف الفلسطينية ، حاول الاعلام المعادي ان ينفي هذه الاستقلالية ، ليقنع المجتمع الاميركي بان النزاع في المنطقة ان هو الا نزاع بين الدول العربية واسرائيل . ورغم استقلالية وانفراد الاهداف التحريرية الفلسطينية ، وتميز اهدافها ووسائل تحقيق هذه الاهداف عن تلك التي تبنتها الدول العربية الا ان وسائل الاعلام الاميركي اصرت في الفترة بين ٦٤ - ٦٧ على وحدة الاهداف العربية التي شملت منظمة التحرير الفلسطينية ، ورفضت الاعتراف بانفراد واستقلالية المطالب الفلسطينية عن مطالب واهداف الدول العربية . ولا شك ان الارتباط الذي مثله رئيس المنظمة السابق الاستاذ احمد الشقيري بالحكومات العربية

كان له اثر قوي ملموس على محاولات الاعلام الاميركي الاستمرار في تشويه الاهداف والمطالب الفلسطينية الاساسية .

وما ان قامت اسرائيل بعدوانها سنة ١٩٦٧ ، حتى اتجهت جميع وسائل الاعلام الاميركية بحملاتها العدوانية للدفاع عن الهجمة الاسرائيلية العنيفة وتبريرها . والذي يهمننا في هذا المجال هو ما عبر عنه هذا الاعلام الاميركي من المنظور الفلسطيني . يمكننا ان نلخص فحوى الهجوم الاعلامي الاميركي بأمر محدود : اولاً انه عبر وعكس شعوراً وفكراً عنصريين بصراحة تامة ، وانعكست هذه العنصرية في المئات من الصور والافلام السينمائية والتلفزيونية التي مثلت الشعوب العربية بكاملها على انها شعوب غبية حمقاء ، فقيرة تستغلها حكومات شتى لا تعرف معنى للصالح العام ، وانها شعوب مكبوتة نظراً لفشلها عبر القرون في المساهمة في الركب الحضاري . ثانياً عبر الاعلام الاميركي عن شعوره العدائى للشعوب العربية عامة - وعلينا ان نذكر بان الاعلام الاميركي في عام ١٩٦٧ لم يميز بين الشعوب التي تحكمها حكومات صادقت اميركا وأخرى قاومت الهجمة الاستعمارية الاميركية - معاداة مستمدة من التصور الحكومي الاميركي والمصالح الاقتصادية المتحكمة به بأن الشعوب العربية جزء لا يتجزأ من شعوب العالم الثالث وبالتالي التزمت ببرنامج سياسي واضح من شأنه ، ان تحقق ، ان يقضي على الوجود الاستعماري الغربي الذي تقوده اميركا ، فكما تكنت هذه الشعوب من الثورة الناجحة على الاستعمار الذي مثلته بريطانيا وفرنسا ، ومن القضاء على وجودهم الاستعماري ، فلا بد لهذه الشعوب ان تنجح بالقضاء على الاستعمار الجديد الذي تقوده اميركا . ثالثاً استفاد الاعلام الاميركي من الفئات الصهيونية والاسرائيلية التي غذته بما يلزمه لظهار العرب بالمظهر المتخلف الحقير الذي تبغي السياسة الاميركية تحسينه وتطويره رغم انف حكوماته التي تريد ابقائه على حاله . وقد ظهر جليا اثناء تلك الحملة الاعلامية المسعورة ان الاعلام الاميركي الذي وجهته الحكومة والمصالح الاقتصادية اضافة الى الفئات الصهيونية بان التخوف الحقيقي كين في امرين : الخوف من استمرار الاندفاع القومي التقدمي العربي وبالتالي تحويل هذا الاندفاع الى نظرية ثورية شعبية مسلحة تستند الى تحليل علمي لواقع الصراع العالمي ، اما الامر الثاني ان استمرارية الحركة الفلسطينية المناهية بالعنف الثوري لتحرير فلسطين من شأنها ان تغذي الثورة العربية وبالتالي الاطاحة بانظمة الحكم العربية التي حالفت الدول الاستعمارية .

تغيرات جذرية بعد هزيمة ١٩٦٧

بالرغم من ضخامة الهزيمة العربية العسكرية في حزيران ١٩٦٧ ، وهزيمة ما وجد من اعلام عربي في اميركا ، الا ان الاندفاع الفلسطيني الذي تمثل بالكفاح الفلسطيني المسلح بقيادة الثورة الفلسطينية سياسيا حرم الصهيونية والاستعمار الاميركي من مكاسبهم المؤقتة . وعلينا ان نتذكر جيدا ان وقف اطلاق النار الذي شمل منطقة النزاع العربية الاسرائيلية لم يشمل الطرف الفلسطيني الذي صعّد عملياته العسكرية والتنظيمية والسياسية في المناطق العربية والاراضي المحتلة بأن واحد ، ولاول مرة منذ هدنة ١٩٤٨ واجه الثوار الفلسطينيون الحركة الصهيونية وجها لوجه واعيدت القضية مرة اخرى الى اصحابها الاصليين . ومن هذه البداية الثانية تمكن الاعلام الفلسطيني الذي ناصر الثورة الفلسطينية ان ينطلق مستقلا الى حد ما من القيود السياسية والاعلامية العربية . وكان لهذا الاعلام الفلسطيني ان يستفيد من تغيرات جذرية حدثت على المستويات العربية والعالمية والاميركية ، يجدر بنا ان نتحدث عنها .

أما على المستوى العربي ، فقد تمكنت الثورة الفلسطينية لأول مرة في التاريخ الفلسطيني والعربي الحديث ان تطرح تصورات سياسية فلسطينية محددة لحقيقة المطامع الصهيونية ، اذ نعلم جيدا ان البرنامج السياسي الذي طرحته منذ سنة ١٩٦٥ ، والذي تبلور تدريجيا ، قدم البديل السياسي العاقل للدولة الصهيونية المرتكزة على وحدة الدين والعرق ، فطرح شعار الدولة العلمانية الديمقراطية التي أكدت الثورة الفلسطينية بأنها لا بد وان تشمل العرب واليهود الفلسطينيين على قدم المساواة ، كان عملا ثوريا كبيرا على المستويين السياسي والفكري ، ومكن هذا التصور العاملين في ميادين الاعلام الفلسطيني أن يميزوا بين العداء الفلسطيني للدولة العنصرية ولتصوراتها العنصرية وبين المواطنين اليهود . ثانيا جاء الفحوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي للبرنامج السياسي الذي طرحته مختلف الفصائل الفدائية ليؤكد بأن حركة التحرير السياسي الفلسطيني ان هي الا جزء من حركات التحرر العالمي من الاستعمار والظلم والاضطهاد العنصري ، فتمكن الاعلام الفلسطيني ان يتجه عالميا نحو الفئات المضطهدة في العالم ويميز تمييزا واضحا الفئات التي تتشكل منها المجتمعات العالمية ، وركز في حملاته على محاولة استقطاب الفئات الاجتماعية الكادحة والمظلومة عنصريا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا . ثالثا أكد البرنامج السياسي الذي وضعتة الثورة الفلسطينية على التزامه بايجاد مجتمع فلسطيني تقدمي تستند قواعده على العدل الاجتماعي والاقتصادي ، ولهذا رفضت الثورة البديل الاسرائيلي العنصري كما رفضت البدائل العربية الرجعية الطائفية والاقطاعية والراسمالية . وتمكن الاعلام الفلسطيني ان يتجه الى الفئات التقدمية العالمية التي آمنت ببرامج سياسية اجتماعية تقدمية . رابعا كان لايمان الثورة الفلسطينية بالكفاح المسلح والعنف الثوري كوسيلة لتحقيق برنامجها السياسي التحرري ان يوجه الاعلام الفلسطيني الى تلك الفئات العالمية التي آمنت بنظرية العنف الثوري للاطاحة بالتنظيمات المستندة الى الراسمالية الاقطاعية والتي تمارس الاستعمار والاستغلال العالمي .

أما عالميا فقد ادركت الثورة الفلسطينية التفسيرات الاساسية للترتيبات السياسية والصراعات الحقيقية الدائرة ، اذ كان واضحا أن حركات التحرير الافريقية كانت آتخذ في وضع يسمح لها ان تصعد ثورتها ضد الاستعمار العالمي والانظمة العنصرية التي تسنده ، وكما أدركت الثورة الفلسطينية الارتباط العضوي لاسرائيل بالاستعمار الامريكي ، أدركت الثورات الافريقية الارتباط العضوي للانظمة العنصرية والفاشية بالاستعمار الامريكي - الاوروبي والدور الجوهري الذي تلعبه منظمة حلف الاطلسي في محاولاتها لاحقاد الثورات الافريقية . وكما ان التقدميين العرب ساندوا الثورة الفلسطينية ، فقد قامت الحكومات الافريقية التقدمية بدور مساند وفعال في دعم حركات التحرير الافريقية ، وهنا نشأت وحدة المصير بين الثورة الفلسطينية وحركات التحرير في افريقيا ، التي كان من شأنها أن تلعب دورا هاما في تجريد الثورة الفلسطينية من صبغتها المحلية ، وتزويدها ببعند تحرري عالمي لا يعترف بالعرق والجنس والقومية والدين ، ولم تعد الثورة الفلسطينية والمطالب الفلسطينية ثورة او مطالب محلية تعتمد اعتمادا كليا على المساعدات الغربية او الاسلامية كما كان الحال في فلسطين اثناء الانتداب البريطاني .

وما أنطبق على افريقيا انطبق على آسيا ، اذ أن الثورة الفلسطينية أدركت ادراكا جيدا مغزى التطور الصيني على الصعيد العالمي ، وأدركت المعنى الحقيقي للثورة الفيتنامية وتصديها للهجمة الامريكية العنصرية العنيفة . وكان طبيعيا للثورة الفلسطينية

ان تتلاحم مع هذه الحركات التحررية الاسيوية وان تؤكد وحدة مضميرها معها ، ومن ثم دعمت هذه الحركات التحررية الثورة الفلسطينية . ولربما كان الالهم من هذا وذلك اعلاميا-التغيرات الجذرية التي حدثت في المجتمع الاميركي خلال النصف الثاني من الستينيات ، فقد ولدت حركة الحقوق المدنية ، والتي أدت الى الاضطرابات العنصرية والثورة السوداء ، ثم ثورة الفئات التقدمية الطلابية وغيرها ضد الممارسة العسكرية الاستعمارية الاميركية في فيتنام والتي عرفت فيما بعد بحركة انصار السلام ، ثورة اساسية-فكرية ضد الانسحاب التي يركز عليها نظام الحكم الاميركي ، وظهرت بوضوح للاعلام الفلسطيني الفجوات الكبيرة في المجتمع الاميركي ، وبيئت امكانية العمل مع فئات المضطهدين من السود ، وانصار السلام قائمة حقا . وكان لهذه الثورات الاميركية جانب مهم من حيث ارتباط المؤسسة الحاكمة بالصهيونية والفئات اليهودية الضاغطة والتي تتعامل مع المؤسسة الاميركية الحاكمة . فقد أدركت هذه الجماعات الثائرة بان الرجعية الفكرية والسياسية تسيطر على الفئات اليهودية ، مما جعل هذه الفئات تتعاطف مع المؤسسة الحاكمة التي صعدت عمليات الابادة ضد الشعب الفيتنامي الباسل ، وحمالات الارهاب ضد الفئات الاميركية السوداء . ونظرا للانتساب الفلسطيني الى حركات التحرر العالمي والمسوقف التقدمي الذي وقفته الثورة الفلسطينية ، تمكن الاعلام الفلسطيني في امريكا من الاتجاه الى الفئات الاميركية الثائرة واصبح واضحا خلال عام ١٩٧٠ وبعده بان المجتمع الاميركي منقسم على نفسه : ذلك القسم الحاكم الرجعي تسنده الفئات المحافظة والرأسمالية الصهيونية اليهودية ، والقسم الثائر والذي تكون من مساندي السلام في فيتنام والسود وبعض الطبقات الكادحة الاخرى ، وتدرجيا توجه هؤلاء الى الثورة الفلسطينية وكأنها حليف طبيعي لهم في الصراع العالمي بين المستعمر والمستعمر ، بين المستغل والمستغل .

ادوات الاعلام الفلسطيني الجديدة

في هذه البيئة المتغيرة تحرك الاعلام الفلسطيني في امريكا بأدواته وتنظيماته المختلفة . وهنا يحسن بنا ان نلتفت الى الفئات العديدة التي ساهمت بتعريف المجتمع الاميركي باقسامه العديدة بحقيقة الثورة الفلسطينية ومطالبها :

١ - منظمة الطلبة العرب ، وقد تحولت تدريجيا من منظمة عربية طلابية متعددة الأغراض الى منظمة عربية مساندة للثورة الفلسطينية . وتولت التنظيمات الطلابية في مختلف المدن الاميركية تنظيم الندوات العلمية والتي دارت كلها عن الثورة الفلسطينية . وكان لهذا التنظيم اثر كبير في الوصول الى المنظمات الطلابية التحررية الاخرى ، فتكونت علاقات حميمة مع المنظمات السوداء ، والمنظمات المؤيدة للسلام ، واتجهت بأعمالها نحو وجهات اخرى كالمسيرات الشعبية والمظاهرات ، مما كان له اكبر الاثر في حث وسائل الاعلام الاميركية على الاتجاه نحو الثورة الفلسطينية والتعريف بها وبمطالب الشعب الفلسطيني . وقد كان للعمليات العسكرية للثورة انعكاساتها على وسائل الاعلام الاميركية التي اضطرت ان تعترف بحقيقة الكفاح المسلح الفلسطيني وبالتالي بالمطالب الاساسية للشعب الفلسطيني رغم الحصار الحديدي الذي فرضته المؤسسة الحاكمة الاميركية والصهيونية على مطالب الشعب الفلسطيني . وتدرجيا تحول الشعب اللاجئ ، وتحولت قضية اللاجئين الى قضية سياسية تحررية ، وعاد الشعب الفلسطيني الى وجوده السياسي .

٢ - قام تنظيم جديد اثر حرب خزيان للدفاع عن القضايا العربية كليا بما في ذلك

حقوق الشعب الفلسطيني ، عرف بمنظمة الخريجين العرب في أمريكا ، شملت أعدادا غفيرة من أصحاب الكفايات والقدرة على المستوى الأمريكي الشامل . توجه هذا التنظيم في عمله السياسي والثقافي في اتجاهين مختلفين متممين لبعضهما . الأول تلخص في استقطاب المتزمنين سياسيا من أصحاب القدرة والكفاية وتجنيدهم في القناء المحاضرات ومواجهة الدعاية الصهيونية في الجامعات والاندية والمجالس القومية الاميركية والاشترك في المؤتمرات والندوات للدفاع عن شرعية مطالب الشعب الفلسطيني السياسية والدفاع عن البديل السياسي لاسرائيل الذي طرحته الثورة الفلسطينية والذي يتلخص في اقامة دولة ديمقراطية في فلسطين . كما ان هذا الاتجاه تمثل في سلسلة القرارات السياسية والإعلانات التي نشرت في مختلف جرائد أمريكا التي طرحت وفسرت البديل السياسي الفلسطيني ، مما أدى في نهاية الامر الى نعت هذه المنظمة بأنها « واجهة » للمنظمات الفدائية تعمل بتوجيه منها . ثانيا : اتجه هذا التنظيم اتجاها علميا لتوثيق حقوق الشعب الفلسطيني بشكل علمي واضح ، ولتوثيق عنصرية اسرائيل وتعسفها في فلسطين المحتلة والأراضي العربية ، فأصدر سلسلة من الكتب والكتيبات ذات المستوى العلمي الرفيع ليتناولها المثقف الأمريكي . وكان لوضوح الرؤيا السياسية لهذا التنظيم اثره الواضح في اتباع خط سياسي تقدمي تجاه الصراع في المنطقة العربية ، فكما انه وضح حقيقة الاستيطان العنصري الاسرائيلي ، أكد على ان الصراع في المنطقة العربية ان هو الا صراع مع الامبريالية العالمية التي تقودها وتتحكم بها أمريكا والتي تستخدم اسرائيل كأداة لتحقيق أهدافها الاستغلالية كما انها تستخدم الرجعية العربية في محاولاتها لضرب حركة التحرر الوطني العربي بما في ذلك الثورة الفلسطينية .

تمكن هذا التنظيم ، كمنظمة الطلبة العرب ، ان يتفاعل مع الحركات الثائرة في أمريكا وأن يسند أهدافها التحررية الأمريكية مما أدى الى تفهم هذه الحركات للمطالب السياسية الوطنية للشعب الفلسطيني . وتمكن هذا التنظيم من التعاون مع جميع هذه الحركات في تنظيم المسيرات الشعبية والاشترك في المهرجانات الاحتجاجية في المدن الأمريكية الكبرى والجامعات المختلفة . ولا بد من الإشارة هنا الى ان هذا التنظيم نجح كذلك في فك الحصار الحديدي الذي مارسته شركات النشر الأمريكية على كل ما يطبع ويؤيد حقوق الشعب الفلسطيني ، فكانت مطبوعات هذا التنظيم ، أو تلك المطبوعات التي أيدها ، مضدرا هاما لمختلف الفئات الأمريكية التي حاولت تدريجيا ان تعرف حقيقة الصراع في المنطقة العربية . ويعود الفضل في ذلك الى أمرين : الأول وجود تنظيم قوي عامل يعبى القوى وقادر على ممارسة الضغط على دور النشر الأمريكية ، وثانيا وجود عدد كبير من الاساتذة والمفكرين العرب الذين عملوا ويعملون في الجامعات الأمريكية ولهم مكانتهم ووزنهم العلمي قادرون على توجيه اهتمامهم ونشاطهم العلمي الى قضية فلسطين والثورة الفلسطينية . ويهنا ان نذكر بهذا الصدد ان هذين التنظيمين التزما التزاما كليا بأهداف الثورة الفلسطينية ورفضوا رفضا كاملا الإشارة الى قرارات الامم المتحدة التي انتقصت من حقوق الشعب الفلسطيني أو شوهتها ، كقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

٣ - منظمات عربية أو عربية اميركية على المستويات المحلية ، كان أبرزها منظمة « اللجنة العاملة للعلاقات العربية الأمريكية » والتي أسسها وحركها الدكتور محمد مهدي ، واختلفت هذه المنظمات في مناهج عملها وتوجهها السياسي والاعلامي ، فكان أنصار الدكتور مهدي من مؤيدي العمل النشط كالمظاهرات والمسيرات الشعبية ،

ومواجهة وسائل الاعلام مباشرة لتعريف الشعب الاميركي بحقيقة مطالب الشعب الفلسطيني ، كما ان منظمات أخرى عبات قوى مختلفة للاتصال بالجراند ووسائل الاعلام الأخرى ، او لتنظيم الجاليات العربية المنتشرة في أميركا وهكذا . أما المنظمات الأميركية البحتة فقد حاولت الاتجاه الى ثغرات معينة من المجتمع الاميركي كالكنائس او أفراد الحكومة الأميركية ، وكما ان معظم التنظيمات العربية والتي حالفت القوى الثائرة في أميركا التزمت بالتحزير الفلسطيني ، التزمت المنظمات الأميركية بالتصور القديم للفلسطيني اللاجئ ، او بقرارات الامم المتحدة كقرار ٢٤٢ وكان جل اهتمامها الضغط على الحكومة الأميركية لتنفيذ التزاماتها السياسية الدولية ولاتخاذ موقف « محايد » من الدول العربية واسرائيل . وكما ان التنظيمات العربية أكدت على الدور الاساسي الذي تلعبه الامبريالية العالمية بقيادة أميركا ، أكدت التنظيمات الأميركية المصادقة على الدور السيئ الذي تلعبه الصهيونية في الاطار الاميركي .

٤ - الاعلام الرسمي والذي تمثل في مكاتب الجامعة العربية كان خلال هذه الفترة مطلقا ، مشوها وغير ثابت . اذ بعد هزيمة حزيران تمكن بعض الأفراد العاملين في هذه المكاتب من فرض أنفسهم على هذه المكاتب والأفراد بسياسة اعلامية لم تلتزم احترام الدول العربية لقرارات الامم المتحدة بما في ذلك قرار ٢٤٢ ، فجاءت مثلا مجلة العالم العربي التي كان يصدرها المكتب الرئيسي في نيويورك مؤيدة تأييدا كاملا للثورة الفلسطينية ، الا ان الاتجاه العام للاعلام الرسمي كان مؤيدا لقرار ٢٤٢ ولا احترام حقوق الشعب الفلسطيني الانسانية ، ولم يتمكن الاعلام الرسمي العربي من الخروج بشكل عام عن القيود الأساسية التي تملها ظروف الجامعة العربية ، ولم يتمكن من التغلب على مشاكله التنظيمية التي أعاقته على مر السنين ، فبالرغم من ميزانيته المحدودة ، الا ان الاعلام الرسمي العربي لم ينجح في الاستفادة من هذه الموارد المالية التي لم تتوفر للتنظيمات الأخرى .

٥ - مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في نيويورك ساهم مساهمة فعالة في التعريف السياسي بالقضية الفلسطينية على انها قضية تحررية ، كما ساهم في توعية الجاليات العربية اضافة الى مهمته الأساسية في الامم المتحدة . وكان لوجود المكتب المستقل أهمية رمزية كبرى بالنسبة الى الاهداف السياسية الفلسطينية .

٦ - رغم ان الامم المتحدة ليست أداة من أدوات الاعلام ، الا انها خدمت الاعلام الفلسطيني خدمة كبرى دون ان تدرك ذلك بسلسلة القرارات التي صدرت عنها منذ عام ١٩٦٩ ، اذ اننا نعلم انه منذ قرارها في ديسمبر ١٩٦٩ والذي بموجبه أقرت بأن الشعب الفلسطيني له « الحق في تقرير مصيره » وقراراتها في السنوات التالية أكدت بأن اسرائيل هي الدولة التي تمنع الشعب الفلسطيني من ممارسة تقرير مصيره ، الى اقتزارها بشرعية اللجوء الى الكفاح المسلح وكل الوسائل الأخرى لتقرير مصيره أضفت شرعية مطلقة للمطالب الفلسطينية التي التزم بها الاعلام الفلسطيني في أميركا ، فتمكن هذا من الاستناد الى هذه القرارات ليدعم حججه بشرعية المطالب السياسية الفلسطينية ، وليدافع عن الكفاح المسلح كوسيلة شرعية لتحقيق هذه المطالب .

الإنجازات الرئيسية للاعلام

نستطيع الان ان نوجز الانجازات الرئيسية للاعلام العربي والفلسطيني في الساحة الأميركية : **أولا** تمكن الاعلام من إيصال الحقائق والمعلومات لاعداد غفيرة من الشعب الأميركي بما في ذلك بعض المسؤولين في الحكومة الأميركية مما أدى الى مناصرة محدودة لبعض المطالب السياسية الفلسطينية والعربية ، ويمكننا في هذا المجال ان

نشير الى بعض المواقف السياسية المعتدلة التي وقفها الشيخ فولبرايت ، وهاتفيلد وآخرون ، وبالرغم من ان التيار الجارف هو ذلك الذي يؤيد اسرائيل مطلقا ، الا ان هذا الدعم أصابه بعض الخدش الذي لن يؤثر في السياسة المعادية للاستعمار الاميركي . **ثانياً** نجح الاعلام الفلسطيني خاصة في تعبئته للقوى العربية الدفينة في المجتمع الاميركي والتي نشطت بعد عام ١٩٦٧ لتدعم الثورة الفلسطينية ولتوضح حقيقة الصراع في المنطقة . **ثالثاً** تمكن الاعلام من ايجاد وايصال الكتب والنشرات والاستفادة من وسائل الاعلام الاميركي الاخرى لفك الحصار الحديدي الامبريالي - الصهيوني عن القضية الفلسطينية ومطالب الشعب الفلسطيني . **رابعاً** أصبح واضحاً الآن وبعد مرور هذه السنوات على الكفاح المسلح الفلسطيني ، ان القضية الاساسية في المنطقة هي قضية الصراع الفلسطيني - الصهيوني ، ولم يعد أحد يتحدث عن الفلسطينيين كشعب لاجئ لا بد من توطينه في بلدان أخرى ، وبأن واحد أصبح الادراك واضحاً بأن النزاع العربي - الاسرائيلي ان هو الا نزاع ثانوي نتج عن الصراع الاساسي الفلسطيني - الصهيوني . **خامساً** أصبحت مطالب الشعب الفلسطيني السياسية مقبولة في اوساط اميركية عديدة ، ولهذا نجد اليوم فئات اميركية تؤيد الاتجاه المنادي بضرورة تكوين دولة فلسطينية مستقلة في جزء من الاراضي الفلسطينية . **سادساً**، أظهر الاعلام الفلسطيني - العربي بمعاونة أنصاره الاميركيين حقيقة اسرائيل العنصرية ، التوسعية ، التعسفية . **سابعاً** ، أظهر الاعلام الفلسطيني ان الشعب الفلسطيني رغم تشتته يمثل سياسياً في منظمة التحرير الفلسطينية .

على اننا يجب ان نؤكد في نهاية هذا المقال بأن هذه الانجازات رغم ضخامتها واهميتها لن تؤثر في الاتجاهات السياسية للحكومة الاميركية التي تتحكم بها قوى وامكانيات اخرى لا علاقة لها بالاعلام ، وان هذه ستتغير بعد ضربات اليمه للمصالح الاميركية في المنطقة العربية توجهها القوى الثورية التقدمية ، والى ان يحدث ذلك ، لا بد للاعلام ان يستمر في تأدية مهماته الاساسية لكسب أنصار من الفئات الشعبية الاميركية التي يستغلها النظام الاميركي الحاكم والذي يستفيد من وجود اسرائيل والصهيونية بأن واحد .

صدى الرصاصة الأولى

شفيق الحوت

المجابهة السياسية العريضة التي خاضتها منظمة التحرير الفلسطينية ضد العدو الصهيوني ، على امتداد الساحة الدولية ، وجملة الانتصارات التي احرزتها ، سواء في اتصالاتها المباشرة والتي تجسدت في العديد من البيانات الثنائية المشتركة ، او عبر المشاركة في التجمعات الاقليمية او المجموعات الدولية المختلفة ، والتي تجسدت في مقررات الجزائر ولاهور والرباط ، او عبر الامم المتحدة ، حيث كانت قمة هذه المجابهة التي نتجت بأهم قرار سياسي يصدر في تاريخ قضية فلسطين عن محفل دولي هام . . . هذه المجابهة السياسية ، تشكل مادة زخمة لكل المعنيين بقضية فلسطين ، من المؤرخ الى المحلل الى القانوني الى الناظر ، ولا سيما الناظر الفلسطيني ذاته الذي يجد نفسه ، ولاول مرة منذ ثورته عام ١٩٦٥ ، امام انجازات سياسية هامة كفيلا بمضاعفة ثقته بثورته وبالاستراتيجية السياسية التي تبنتها هذه الثورة .

كذلك ، لقد كان لهذه المجابهة السياسية وللنتائج التي ترتبت عنها ، وتلك التي قد تترتب عنها بعد تفاعلها مع عنصر الزمن ، الآثار الهامة على العدو الصهيوني داخل اسرائيل وخارجها في اطار دائرة التحالف الصهيوني الامبريالي الذي تتزعمه الولايات المتحدة .

ومن يطالع ردود فعل العدو يلاحظ بوضوح مدى الارتباك الذي يعم الاوساط الصهيونية والامريكية على حد سواء ، كما يلاحظ مدى انفضاح هذه الاوساط وعجزها عن الدفاع عن سياستها امام الهجمة الفلسطينية - العربية السياسية المشار اليها . ولقد سجل العديدون هذه الردود ، مما يعطينا عن ايرادها هنا الا حيث تدعو الحاجة للتدليل والتأكيد .

لقد كانت قمة هذه المجابهة في الامم المتحدة بين الثاني عشر والثامن والعشرين من شهر تشرين الثاني [نوفمبر] ١٩٧٤ ، اثناء انعقاد الجلسة الخاصة بمسألة فلسطين في الجمعية العمومية للامم المتحدة . ومع ان انعقاد هذه الجلسة ، ودعوة منظمة التحرير (الممثلة للشعب الفلسطيني) للمشاركة فيها ، قد جاءا كنتيجة حتمية لنضالات شعبنا الفلسطيني العسكرية والسياسية عبر تسع سنوات ، قدمنا خلالها الآلاف من الشهداء ، فان هذا لا ينفي أهمية الدور العربي في صراعنا مع العدو وانما يؤكد أهمية هذا الدور الذي تجلّى في حرب تشرين الجيدة التي قاتل فيها الانسان العربي وسط جو تضامني هام لعبت فيه ثروات امتنا ، ولا سيما النفط ، دورا آخر لا يمكن ولا يجوز التقليل من أهميته .

كذلك لا يجوز اغفال حقيقة موضوعية أخرى مهدت لنا طريق الوصول الى الامم المتحدة ، وهي أن بنية هذا المحفل الدولي بالذات ، قد تغيرت عما كانت عليه عام ١٩٤٧ ، عام الكارثة الفلسطينية ، وذلك بعد انضمام عشرات الدول الحديثة الاستقلال اليها ، وكلها دول عرفت معنى الاستعمار ومعنى النضال ضده ، كما وعت أهمية

التضامن الاممي في دعم الشعوب التي لم تصل بعد الى حريتها والتي لا تزال تناضل وتقاتل في سبيل ذلك .

وكما ورد على لسان اكثر من متحدث باسم هذه الدول ، فلقد كانت دعوة منظمة التحرير الى الامم المتحدة بمثابة نصر للامم المتحدة ذاتها بقدر ما كانت نصيرا لفلسطين وشعبها . ان هذه الخطوة من جانب الامم المتحدة ، التي تحدثت الشعوب الصغيرة من خلالها هيمنة الدول الاستعمارية والقوية ، تعتبر ارتقاء بالمؤسسة الدولية لممارسة الدور الذي خلقت من أجله ، كما تعتبر امتحانا لقدراتها في أن تكون البديل الممكن لتحقيق آماني الشعوب وتوفير الكثير من التضحيات الباهظة لتحقيق هذه الاماني . . . أو على الاقل لاضفاء الشرعية الدولية على نضالات الشعوب المشروعة ، والتي يحاول اعداء الشعوب تصويرها على انها أعمال ارهابية قمعية وليست حركات تحرير وطنية .

بعد صدور القرار السياسي ، سألني مراسل احدي الصحف الامريكية عن انطباعاتي . ورددت على السؤال بمثله ليحدثني هو عن انطباعاته ، فقال : قبل كل شيء أشكر الله اني لست اسرائيليا ولا صهيونيا . فمن المؤكد ان هذا اليوم ليس يومهم وما أصابهم من عزلة يجعلني أشكر الله اني لست منهم وبالتالي لست مضطرا لاعاني الالامهم . ثم أضاف : يكفي أنكم جنتم « ارهابيين » وعدتم « مناضلين من أجل الحرية » .

وعندما نتذكر ان هذا الكلام يصدر عن صحفي أمريكي قد يجرؤ على كتابة ما قال وان كان لا يضمن أن ينشر مثل هذا القول ، فلنا أن نتأمل عددًا من مواقف وأقوال من كانت انتماءاتهم تسمح لهم بالمزيد من حرية التعبير .

ولعل هذا التغيير في « صورة » الفلسطينيين هو من أكثر ما أزعج اسرائيل التي استطاعت خلال الخمسة والعشرين سنة ، التي غبنا فيها قسرا عن المحفل الدولي ، أن تصور الفلسطيني للعالم على غير حقيقته وبأبشع ما يمكن أن تكون عليه صورة انسان وشعب .

وأذكر في هذا السياق مثلا آخر ولا يخلو من الطرافة . فلقد حدثني صحفي لبناني مقيم في نيويورك ، انه جاء عشية وصول الوفد الفلسطيني الى فندق « والدورف استوريا » الذي اختير مقرا للوفد . وجلس في أحد صالونات الفندق ينتظر موعدا كان قد ضربه مع أحد أعضاء الوفد اللبناني الذي أقيم هو الآخر في هذا الفندق . وبينما هو ينتظر فتح حوارا مع أحد المستخدمين في الفندق . فقال له المستخدم الامريكي انه يعمل بالرغم عنه ، وان إدارة الاوتيل رفضت طلبا قدمه ليأخذ اجازته السنوية في هذا الوقت بالذات . ولما سأله الصحفي العربي عن السبب ، قال : يبدو ان كثيرين مثلي طلبوا مثل هذه الاجازة وذلك بمناسبة وصول الوفد الفلسطيني . . . ثم تردد قبل أن يضيف : — مالنا ولهذه المغامرة . من يعرف ماذا يمكن أن يقدم عليه مثل هؤلاء الارهابيين !!

ويقول صديقنا : وعدت بعد اسبوعين لاودع أعضاء الوفد ، والتقيت بالمستخدم اياه مرة ثانية وسألته عن رأيه فيما سبق وقال لي أول مرة ، واذا به يعتذر ويشتم في آن واحد . يعتذر عن جهله ، ويشتم أولئك الذين صوروا هؤلاء « السادة » المهذبن المتحضرين الرائقين . . . الخ . . . كارهابيين وقتلة !

ومن الممكن أن أسوق عشرات الامثلة المشابهة التي تثبت مدى الاثر البشع للدعاية

الصهيونية ، ومدى جهل المواطن الاميركي العادي بحقائق الامور في منطقتنا وبقية مناطق العالم .

اذن ، لقد جاء « الحضور » الفلسطيني بعد طول « غياب » منافسنا خطرا « للحضور » الاسرائيلي الدائم في الامم المتحدة والقارة الاميركية معا .

ان هذا الصراع بين « الحضورين » الفلسطيني والاسرائيلي عكس نفسه بنفس الحدة على قانونية كل ما صدر عن الامم المتحدة من قرارات تتعلق بمسألة فلسطين .
وخلافا لما تصوره البعض في الساحة الفلسطينية من مخاوف التوجه للامم المتحدة ، فان الذي حدث نتيجة هذا التوجه ، ان الاسرة الدولية التي كانت تعترف فقط « بالحق » الاسرائيلي الناتج عن « الحضور » الاسرائيلي ، وجدت نفسها ملزمة بعد اعترافها « بالحضور » الفلسطيني ان تعترف ايضا « بالحق » الفلسطيني . وبعبارة اخرى ، كانت الصورة قبل المجابهة السياسية التي خاضتها منظمة التحرير الفلسطينية تتلخص بوجود اسرائيلي وحق اسرائيلي يقومان على اساس غياب الوجود والحق الفلسطيني .

بعد المجابهة تغيرت الصورة واصبحت الاسرة الدولية معترفة بحقين ووجودين . ويديهي ان الوجود والحق الفلسطينيين تكرسا على حساب الوجود والحق الاسرائيليين . اي انهما انتقصا من وجود وحق اسرائيليين .

وهذا يضع صراعنا مع العدو الاسرائيلي على ابواب مرحلة جديدة ، ويعيد القضية ، دوليا وقانونيا ، الى عشية اليوم الذي اتخذ فيه قرار التقسيم الذي قامت بموجبه دولة اسرائيل ، وزالت نتيجة له ، مع اسباب اخرى ، كل مقومات الوجود الوطني الفلسطيني .

انها بداية لاعادة النظر في الخطأ التاريخي الذي وقع ، وهي بداية مشجعة ، وعلى شعبنا وقيادته ان يتقن عملية استثمار هذا الموقع الجديد من اجل تحقيق المزيد من شرعيتنا الدولية وجودا وحقوقا .

ولذلك لم يكن مفاجأة غير متوقعة ان يأتي القرار السياسي في ختام اعمال الجمعية برينا وغير ملتزم بأي قرار سابق للامم المتحدة ، كما انه جاء خلوا من اي ذكر « لاسرائيل » ، في الوقت الذي حلت فيه « فلسطين » كاسم شرعي وحيد في كل مرة توجب فيه ذكر الوطن .

حتى ان مندوب احدى الدول ، حاول ان يتخايب قبل ان يعلن امتناعه عن التصويت الى جانب القرار ، فألقى تساؤله عن أي « فلسطين » يتحدث القرار . فلسطين المعروفة أيام الانتداب ، أم قبله ، أم تلك التي بقيت بعد قيام اسرائيل ! وقد نال هذا المندوب ما استحق من تعقيب وتقريع ولم يجد من يسانده على الاطلاق .

ان هذا يذل بوضوح ان « الغموض » حول هذه النقطة بالذات كان متعمدا ولصالح نضال شعبنا وهدفه الاستراتيجي باقامة دولة فلسطين الديمقراطية العلمانية . وهو الهدف الذي تصر اسرائيل وحلفاؤها على اعتباره موازيا « لازالة اسرائيل » ، رغم كل توضيحات وتأكيدات الومد الفلسطيني الموقفة بأن مثل هذا الهدف هو الحل المثالي لانقاذ يهود بلادنا ، قبل أي فريق آخر ، ولدعوتهم للعيش معنا بمساواة واخوة بدلا من الحياة في « الغيتو » الكبير المسمى باسرائيل والحامل في داخله كل مشاكل وأخطار

« الغيتويات » الصغرى التي عاش فيها اليهود ، في شوارع وارسو وكيف وغيرهما من المدن الأوروبية التي يحملها الصهاينة تهمة التعصب والتمييز العنصري .

ولم يكن « الحضور » الفلسطيني ماديا او فيزيكيا وحسب ، بل كان كذلك حضورا حضاريا وانسانيا وثوريا . ولقد كان خطاب الاخ المناضل ياسر عرفات وثيقة تاريخية احتلت مكانها ومكانتها فور انتهائه من القائها . ولست أعالي ان قلت بأن مهمة الوفد الفلسطيني لدى الامم المتحدة قد أعطت ثمارها وحقت أهدافها فور القاء هذا الخطاب ، الذي قوبل بعواصف التصفيق وسط دهشة وحيرة القلة ممن كانوا في صف عدونا .

لقد كانت اطلالة شعبنا من خلال هذا الخطاب ، اطلالة تليق فعلا بتاريخ هذا الشعب ، بحضارته ، بمعاناته ، بتطلعاته المستقبلية التي تتجاوز الذات الى الاسرة البشرية بكاملها .

لقد كانت لغة الخطاب من لغة العصر ، ومضامينه واعية كل حقائق المرحلة التاريخية التي نعيشها ، وتحمل بين ثناياها العرض والتحليل والاستنتاج اللائق بثورة شعب مناضل استطاع ، وهو في محنته القاسية في المنفى والشتات ، أن يساهم بواجبه القومي والانساني في عمليات التنمية والبناء ، وهو الذي لا يملك الأرض والوطن .

كنا في الخطاب جزءا من ثورة العالم ترفض الا أن تكون طليعة وفيه لباقي حركات التحرر في كل مكان المناهضة للاستعمار المناضلة من أجل الحرية والعدل والسلام .

ومن هذا الموقع كان طرحنا لقضيتنا ، قضية فلسطين . ودخاننا بها من أوسع الابواب وأشرفها ، عندما أحس كل شعب بأن هذه الثورة ليست غريبة عنه وليست مؤثرة لمصلحتها على مصلحته ، وانما على عكس ذلك تماما رأوا في الثورة استكمالاً لثوراتهم وفي انتصارها انتصارا لهم .

وإذا تحدثت الخطاب بلغة العصر وهوموم ، فانه عبر عن ذلك بتعبير لم تستجد الالفاظ المتشجعة والهجاء العنصرية ، وانما بأسلوب الواثق من ثورته ، وعدالة قضيته والضامن للرهان على حركة التاريخ وتوجهات الانسان المعاصر نحو مجتمع عالمي لا مكان فيه لشعارات القرن التاسع عشر ومفاهيم الاستعماريين القديم والجديد . وليس أدل على ذلك من قول ابو عمار : « ان شعبنا يتكلم وهو يتطلع الى المستقبل أكثر مما هو مقيد بمآسي الماضي وأغلال الحاضر . وإذا كنا ونحن نتحدث عن الحاضر نعود الى الماضي فلأننا نريد أن نوضح بداية الطريق الذي نشقه الى المستقبل المشرق مع كل شعوب العالم عامة وحركات التحرير خاصة » .

ولم يكن الخطاب طوباويا ومثاليا ، بل كان كذلك واضحا في طرحه للمشاكل الراهنة . فطالب للمرحلة « بحق شعب فلسطين في تقرير مصيره » ، كما طالب « بتمكين شعبنا من العودة من منفاه الاجباري الذي دفع اليه تحت حراب البنادق وبالعسف والظلم ليعيش في وطنه ودياره وتحت ظلال أشجاره حرا سيدا متمتعا بكافة حقوقه القومية ليشاركوا في ركب الحضارة البشرية وفي مجالات الابداع الانساني بكل ما فيه من امكانات وطاقات وليحمي قدسه الحبيبة ، كما فعل دائما عبر التاريخ ويجعلها قبلة حرة لجميع الاديان بعيدا عن الارهاب والقهر » .

ولعل أروع ما في خطاب ياسر عرفات انه كان قادرا على مخاطبة الجميع بلغة واحدة. فلقد اعتاد بعض قادة العرب ، وخصوصا في المسألة الفلسطينية، أن يعتمدوا سياسة « لكل مقام مقال » . وما أكثر من كانوا يتحدثون في ساحة ما ، ويوجهون كلامهم الى ساحة أخرى ، مما افقدنا الكثير من مصداقيتنا أمام المراقبين والمحللين من اصدقاء واعداء ومحايدين على حد سواء .

أوليس مثيرا للاعجاب فعلا ان يقول رئيس منظمة التحرير الفلسطينية كلاما مصيريا ويلقى هذا الكلام في الامم المتحدة. نفس الحماس الذي يلقاه في مخيمات الفلسطينيين ومراكز تجمعاتهم في كل أنحاء العالم !

لم يختبئ أحد وراء اصبغه ، ولم يعتمد أي متحدث باسم الوفد الفلسطيني بعد خطاب عرفات على الحيلة في الصياغة او الاحتماء بالعموميات ، وانما كانت فلسطين هذه المرة واضحة وضوح العدل في قضيتها ، حاسمة حسم رصاص المقاتل من أبنائها. غصن الزيتون الاخضر بيد ، وبنديقية الثائر في يد . والتحذير بعدم اسقاط غصن الزيتون . أما البنديقية فبناحية ولن تسقطها قوة في الأرض . هكذا ببساطة وضدق ودون أي التواء كان الخطاب وكان الموقف ، فكان الرضى والتقدير فلسطينيا وعربيا ودوليا .

وهذا يعني ان شعب فلسطين من خلال تجاربه الميرة ، ومن خلال وعيه على الدروس والعبر المستقاة من هذه التجارب ، وبفضل وعي قيادته على هذه الدروس والعبر ، قد أصبح قادرا على ممارسة حقه في قيادة مسيرته وفي توجيهها لصالح أهدافه القومية . لقد سقطت الوصاية عنه ، كما سقطت المزايدة داخل صفوفه ، وبرزت قيادته القادرة عبر السياسة الثورية الواعية التي لا تراهن على الغيب ولا تنتقد برواسب الماضي ، وانما تشق طريقها من خلال وعيها على الحقائق المادية التي تحيط بواقع القضية وتعامل مع هذه الحقائق وفق خطط مستنيرة وفعل مبادر بعيدا عن انفعالات ردود الفعل والهروب الى الامام في ضباب اللفظية الثورية ومناهات الشعارات الطوباوية .

ماذا بعد هذا الانتصار ؟

طبعاً لست بحاجة الى الاشارة الى أن قرارات الامم المتحدة ستبقى مجرد قرارات لا تحمل أكثر من قيمتها المعنوية ، وانها ستبقى مجرد أحكام تنتظر من يجعلها سائرة المفعول . وبالتالي فان أماننا صراع طويل وقتال عنيف حتى تتحول القرارات من حبر على الورق الى ممارسات مادية على أرض الواقع .

بل أكثر من ذلك ، اني أرى في إنتصارنا في الامم المتحدة حافظا هاميا لاستئناف القتال في المنطقة . ولا شك ان اسرائيل ستبادر الى الحرب مع أولى بوادر ضغط دولي لتنفيذ قرارات الامم المتحدة .

ويجدد بنا هنا ان نشير الى بعض ردود فعل العدو على هذه القرارات . ولعله من المثير فعلا ان الرأي العام الاسرائيلي نفسه ، وقبل مسؤوليه لا يزال متمسكا بسياسة الغطرسة والتعصب .

فلقد نشرت هآرتس في ٢٤/١١/٧٤ استفتاء لرأي الجمهور أجراه معهد يوري لحسابها حول اجراء الاتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية . وقد وجه السؤال الى

١٢٦٠ شخصاً من جميع أنحاء إسرائيل . وأجاب ٧٣٤٪ من مجموع جمهور البالغين من سن ١٨ فما فوق بأن على إسرائيل أن تمتنع عن إجراء أي مفاوضات مع ممثلي منظمة التحرير وذلك على الرغم من الاعتراف الدولي بها .

وليس هذا سوى انعكاس لما يردده زعماء العدو الصهيوني وفي مقدمتهم رئيس وزرائه يتسحاق رابين الذي كرر أكثر من مرة بأن إسرائيل « لن تتكلم مع منظمة التحرير الفلسطينية الا في ساحة الحرب فقط » . بل أكثر من ذلك ان رابين ، بوقاحة الصهيوني العتيق ، يطمح الى تغيير مقررات الرباط ، فيقول في مقابلة أجرتها معه مجلة تايم الأميركية انه « اذا لم يغير العرب سياسة الرباط ، فعليهم أن يفهموا ان إسرائيل ستستمر في حكمها للصفة الغربية مدة طويلة جدا » ثم وصف خطاب ياسر عرفات « بأنه تهديد لجوهر وجود كل اسرائيلي وانه بمثابة اعلان حرب حتى النهاية بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية » .

ومع ان هنالك بعض اصوات خافتة داخل المجتمع الصهيوني تحاول على استحياء ان تخرج من المازق عن طريق اعترافات جزئية بشعب فلسطين وحقوقه ، الا أنه من الواضح ان التيار الصهيوني العام لا يزال يجرف بمنطقه العدواني الاستعماري الصوتين الرسمي وغير الرسمي داخل إسرائيل .

ولذلك فان انتصارنا السياسي في الامم المتحدة لا يدعونا للاستمرار في كفاحنا الثوري المسلح وحسب ، وانما يدعونا الى تصعيد هذا الكفاح وتكثيفه ولا سيما داخل الارض المحتلة وفي الاعماق .

ولكن هذا لا يعني ان نوقف نضالنا السياسي عند هذا الحد الذي وصلنا اليه ، وانما علينا متابعة هذا النضال وتصعيده هو الآخر والارتقاء بمستوانا التنظيمي الى مستوى الانتصارات التي أحرزناها .

فبعد قرارات الرباط والامم المتحدة ، تقدم الفلسطينيون نحو آفاق جديدة طالما ناضلوا من أجل الوصول اليها . أما وقد وصلوا فعليهم الآن مهمة تثبيت تواجدهم في هذه الآفاق وتعزيز هذا التواجد بدفع كوادر جديدة من مثقفينا الثوريين لاخذ مواقعهم في حركتنا السياسية الراهنة .

فعلى سبيل المثال ، ان عضويتنا الدائمة كمراتبين في الامم المتحدة تعطينا الحق الكامل في المشاركة في كل المؤسسات التابعة للمنظمة الدولية . كاليونيسكو واليونسيف والاونروا والفاو وغيرها وغيرها . ولذلك فليس من المعقول وقد أعطينا الحق بالمشاركة أن لا نبادر الى ذلك وأن لا نعمق علاقتنا مع مؤسسات المنظمة الدولية ومحاولة الاستفادة منها لصالح شعبنا على مختلف المستويات .

وكما على الصعيد الدولي ، كذلك على الصعيد العربي . فمقررات الرباط التي سلمت بالمنظمة ممثلاً شرعياً وحيداً ، وبالتالي التي سحبت من النظام الاردني ما كان يدعيه من صلاحيات ومسؤوليات ، يفرض علينا تثبيت هذا الانتصار وتحمل مسؤولياته . وأول هذه المسؤوليات التصدي للمحاولات الواضحة الهدف التي يقوم بها النظام الاردني بقصد ابتزاز الموقف الجديد ووضع المنظمة أمام تركة كبيرة من المسؤوليات . ان محاولات « الاردنة » التي يقوم بها النظام الاردني ليست بريئة على الاطلاق وانما هي محاولات استفزازية تستهدف نفس روابط الاخوة بين الشعبين الاردني والفلسطيني ، كما تستهدف احراج منظمة التحرير أمام الحاجيات اليومية الملحة لجهاير شعبنا في الاردن التي يحاول النظام تخييرها بين المنظمة والنظام على

أمل دفعها لخيار ثالث هو العودة الى النظام ليتحمل المسؤوليات اليومية والمصرية معاً .

كما أشرت في بداية هذا الحديث ، ان المجابهة السياسية التي تصدت لها منظمة التحرير الفلسطينية ، والتي أحرزت من خلالها انتصارات سياسية هامة ، تشكل مادة زخمة لاحاديث مطولة ومشعبة ، كلها هامة وكلها ضرورية من أجل توضيح ابعاد المرحلة المقبلة .

وكما قلت للأخ ياسر عرفات قبل السفر الى الأمم المتحدة للمشاركة في أعمال وفد منظمة التحرير الفلسطينية : مهمتنا اليوم لها أهمية أول مهمة عسكرية قام بها الثوار الفلسطينيون ليلة الأول من الشهر الأول من عام ١٩٦٥ . يومها أطلقتم الرصاصة الأولى في ميدان الكفاح المسلح ، واليوم سنطلق رصاصتنا الأولى في الميدان السياسي . وكما انتصرت الرصاصة الأولى سنتصر هذه الرصاصة ، لانها في الحقيقة ليست سوى صدى الرصاصة الأولى .

الخروج من دائرة الخطر

الدكتور كلوفيس مقصود

في الذكرى العاشرة للثورة الفلسطينية يمكننا ان نجزم — وان كان التحليل التاريخي لا يسمح بالجزم القاطع — ان اسرائيل أصبحت في بداية عملية التراجع والتقهقر ، في حين ان القضية الفلسطينية دخلت في حيز تحقيق الانتصار . هذا لا يعني بالطبع ان اسرائيل لن تحقق بدورها بعض الانتصارات وتعزل وتبطلء بسرعة التقهقر ، كما ان هذا لا يعني ايضا ان القضية الفلسطينية ستكون بمنأى عن الانتكاسات المرحلية والطارئة . لكن ما تم حتى الان هو ان التآكل الفكري والفلسفي بدأ ينهش في صميم العقيدة والكيان الصهيونيين ، بينما أخذ النضوج والتكامل يميزان فكر وتصور الثورة الفلسطينية .

بمعنى آخر يمكننا ان نؤكد ان القضية الفلسطينية صارت ، من حيث مصيرها ، بمنأى عن الخطر الحقيقي ، في حين ان الصهيونية — واسرائيل — دخلت في طور التشكيك بالذات ، وهو الطور الذي يتم تغطيته ولو آتيا بعمليات عبوانية مستشرية من شأنها تكثيف الغشاوة على بصره من تدعي اسرائيل انها حل جذري ونهائي لازمتهم وقلقهم — أي يهود العالم . واذا اردنا تحديدا اوضح يمكننا الان ان نقرر بان تقلص الحجم المعنوي والسياسي والدبلوماسي لاسرائيل دوليا ليس سوى نتيجة حتمية لتطور وزيادة حجم القضية الفلسطينية في وجدان وقناعات العالم ، يضاف الى ذلك ان اسرائيل اليوم تتصرف وكأنها تدخل معركتها الاخيرة في حين ان العرب بدأوا — فقط — يشعرون ويتصرفون وكأنهم داخلون في معركتهم الاولى الحقيقية بأهداف واضحة ومرحلية محددة نحو الانتصار الكامل .

قد يكون هذا الوصف مزيجا من التقييم الموضوعي والشعور بالتفأؤل . إلا ان الاحداث التي مرت بالقضية الفلسطينية في الاشهر الاخيرة — وحتى في الاسابيع القليلة الماضية — التي جاءت عشية هذه الذكرى العاشرة ترجح التفاؤل كحصول للتقييم الموضوعي . أي ان ما كان يمكن ان يعتبر عنصرين من عناصر التحليل جعلتهما الاحداث يمتزجان في نتيجة واحدة .

صحيح ان التفاؤل المستقبلي يلزم كل ثورة أصيلة منذ نشأتها . فالثورة لا تكون ثورة ما لم تنم بما هو أكثر من يهرد على واقع مرفوض . الثورة **تهرد وتنظيم وعمل وتصور** . ولا بد ان تتفاعل كل هذه العوامل حتى تستكمل الثورة معطياتها . ومع ان عاملا قد يطغى في مرحلة معينة على العوامل الاخرى أو يكون أكثر انكشافا ، الا ان تفاعل هذه العوامل بالنسب المطلوبة في مراحل معينة من شأنها تأمين شروط **استمرار** الثورة وتوسع رقعة فعاليتها . من هنا تصبح النزعة التفاؤلية كامنة في كل ثورة أصيلة لان نمو اطرها ونضوج مقدراتها على التنظيم ومجابهة التخديبات واستمرار وضوح الرؤيا والتصور تغطي للعناصر البشرية التي تتشكل منها الثورة الثقة بالقدرة الذاتية والتفاؤل بالمستقبل .

وبالرغم من خطورة تحول الثقة بالنفس الى نزف في السلوك او ان يتحول التفاؤل بالمستقبل الى تعام عن الحاضر بمشاكله وتعقيداته ، الا ان هذه السمات المرضية التي طالما تسربت الى جسم كل الثورات تبقى مرشحة للتعتيل بفعل المعاناة الصادقة التي يضمنها الالتصاق الحي بالواقع من قبل الثورة والتي يمكنها في نهاية الامر من توجيه الواقع نحو التصور المرغوب . لكن اذا فقدت الثورة قدرة التقييم الموضوعي للظروف التي تعيشها في مرحلة معينة فانها تصبح مرشحة للعزلة من خلال التزامتها التنظيمي او البدئي او للقمع اذا ما طالبت في مرحلة محددة بأكثر مما يمكن لها ان تحقق . من هنا تصبح الثورة علما بمقدار ما هي تنظيم وتصور .

ان الثورة الفلسطينية بعد السنوات العشر من تاريخها اثبتت انها وصلت الى مستوى تستطيع فيه ان تبحث مشاكلها بنفس الاصرار — ان لم يكن أكثر — الذي يميز رغبتها الطبيعية في غرض منجزاتها . فالثورة الفلسطينية تدرك ان انجازاتها اخرجتها من دائرة الحظر تاريخيا . لكن هذا بحد ذاته يحفز اسرائيل الى تصعيد حملتها التدميرية على الوجود الفلسطيني لانها هي بدورها ادركت انها دخلت — رغم انها لن تعترف الان بذلك — تاريخيا دائرة الخطر الحقيقي على وجودها الصهيوني .

هذا ما يفسر فقدان التوازن في فكر وتصرف الصهيونية العالمية اكان على مستوى « الدولة الاسرائيلية » ام على مستوى تصرف التنظيمات الصهيونية في العالم . ان فقدان التوازن في صميم المؤسسة التوجيهية للصهيونية يعود الى انها — كمثباتها من الحركات العرقية والطائفية المنغلقة والتي تتصور تمييز الانسان عن الانسان نهاية المطاف للالتزام — لم تعد ذاتها ولا دائرتها البشرية او من تدعي خدمة مصالحهم على استيعاب الحقائق المستجدة والوعي المتنامي لدى ضحاياها او الذين قامت كياناتهم العرقية والاستيطانية والاستعمارية على اساس نكريس منع الشعوب من ممارسة حقوقها الوطنية البديهية وحقوقها الانسانية الطبيعية . وكان كلما ظهرت دلائل التنظيم والفعل والتصور عند الشعوب المناهضة لهذه الكيانات العرقية والاستيطانية كلما ظهر عجز هذه الكيانات عن التكيف والظروف المستجدة المتطورة ، فلم تجد امامها سوى اللجوء الى مزيد من الانغلاق وامعان في الغطرسة وتكليف في عملية تغيب الحقائق عن قواعدها البشرية حتى تحول دون تفتح هذه القواعد على ما تنطوي عليه مسيرة التطور من نتائج تؤدي الى قوقعة مستشرسة لمصيرهم .

هذه الخطوط العريضة لمنهج السلوك العام للكيان الصهيوني لا تفتقر عن ردود الفعل التي ميزت كل قوى الاستعمار والرجعية والعنصرية في مراحل انحسارها وتقهقرها التاريخي وبالتالي زوالها التأسيسي والكياني .

ان فقدان التوازن في مؤسسة التوجيه الصهيوني على المستويين الكياني — أي اسرائيل — والشامل — أي المنظمات الصهيونية العالمية — يعود الى عجز الصهيونية ان تجيب على الاسئلة الملحة التي يطرحها باستمرار منطق التطور وتوسع رقعة الوعي والتحرر . في هذا المضمار تبقى الاسئلة المطروحة بالحاح من قبل اليهود الداخليين عن شناعة او عن ظروف استثنائية في اطر ومؤسسات الصهيونية بدون اجوبة محددة ، فتنسب الى داخل الكيان الصهيوني بوادر التشكيك الحقيقي في جدوى وصلاحيته وأهلية الصهيونية لحل ما سمي بـ « المشكلة اليهودية » .

ازاء هذا التحدي الصارخ وافتقار الصهيونية — من جراء التحجر الفلسفي الملزم لها — الى المقدره الفكرية والمنهجية لمواكبة التطور والاحداث والوقائع المستجدة ، تسخر الصهيونية ادواتها التنفيذية المتقدمة لخدمة الخيار الجنوبي المتبقي لاسرائيل

وللمنظمات الصهيونية نتيجة العشوائية الناتجة عن فقدان التوازن الفكري في مؤسساته التوجيهية .

هنا ممكن الخطر الداهم من كيان ذي أدوات تنفيذية متقدمة في خدمة فكر متخلف وصل الى درجة العشوائية في التعبير عن ذاته ؛ وهنا ايضا ممكن التفاؤل التاريخي الذي يلزم ويحتضن مسيرة الثورة الفلسطينية عشية ذكرها العاشرة .

في الاسابيع التي انصرفت شاهدا جميعا مخاض المعادلة الجديدة في واقع القضية الفلسطينية . شاهدنا كيف ان تصور الثورة الفلسطينية لمستقبل **الكل** الفلسطيني بات يشكل التهديد اليومي لما اعتقده العالم أحد الثوابت في تاريخ العالم المعاصر . واذ به يهتز من جذوره امام بساطة وبراعة وبديهية البديل الفلسطيني للكيان الصهيوني
كاننا بالثورة الفلسطينية تفكر عن كل ضحايا الصهيونية من عرب فلسطين وعرب الوطن العربي ويهود اسرائيل ويهود العالم والانسان في العالم . تصور الثورة الفلسطينية لاجتماع علماني ديمقراطي يشمل كل من في فلسطين وضع الصهيونية في مجابهة اعداء اليهود في العالم واذا بالعالم يبدأ باكتشاف ان الصهيونية هي من أبرز وافعل واوقع اعداء اليهود في العالم . هذا ما دفع بالصهيونية ان تجهز كل ما لديها من طاقات وامكانيات للاجهاز على فكر الثورة الفلسطينية وافتعال حالة تشكيك بمصداقية التصور عند الثورة الفلسطينية .

ان تصور الثورة الفلسطينية للبديل الديمقراطي العلماني للكيان الصهيوني هذب بدوره التجربة القومية للعرب فتطورت مفاهيمهم للحركة القومية وجعل التيار العام في الوطن العربي يسقط من حساباته كل الترسبات العرقية والقبلية والطائفية ، فكانت الثورة الفلسطينية من خلال هذا الطرح المتقدم تجهز على احتمالات الانجذاب للثأر والانتقام ، فنترجع عند شعوب الامة العربية المضامين الانسانية والحضارية المتطورة للانتماء القومي المعاصر . هذا بدوره جزءا الشعوب العربية على مجابهة اصابع الاتهام التي كانت تشير الى وجود سياسات او ممارسات تمييزية او خرق لحقوق الفرد او الجماعة ان ترد بوضوح وبدون تردد ان مثل هذا التمييز او التجاوزات الحاصلة داخل بعض المجتمعات العربية انما هي مشاكل وليست سياسة ، وهي مدعاة لخجل عربي عام وليست قناعات عربية شاملة في حين ان التمييز في اسرائيل سياسة عامة وقناعة مبدئية متكاملة . كذلك فان توجه العرب هو نحو ازالة ما تبقى من تمييز بينما يسعى الكيان الصهيوني الى ترسيخ وممارسة سياسة التمييز . تصور الثورة الفلسطينية للبديل الديمقراطي العلماني أسهم في وضع ما تبقى من فكر عربي متخلف على رصيف التاريخ العربي المعاصر ، ومكن قوى التجديد والتحديث والعلمانية في الامة العربية من السيطرة بنسب متفاوتة على مقدرات التوجيه المستقبلي للامة العربية .

تصور الثورة الفلسطينية للبديل الديمقراطي العلماني **للكل** الفلسطيني مكمن الفلسطينيين على الاخص ، والعرب بشكل عام ، من كشف المعايير المزدوجة التي يطبقها العالم الغربي عندما يستثنى اسرائيل من تطبيق القيم والشرائع والتعهدات التي يعمل او يدعي انه يعمل على تطبيقها وتنفيذها داخل مجتمعاته وفي العالم . والا فكيف يفسر الغرب دعوته الى قيام المجتمع التعددي حيث لا يشكل العرق او الدين او اللون اية ذريعة للتفريق او التمييز ويؤيد بنفس الوقت وبدون سؤال كيان اسرائيل القائم على التمييز والتفريق . بنفس الوقت يكشف تصور الثورة الفلسطينية للمجتمع

الديمقراطي العلماني في كل فلسطين زور الادعاء الاميركي - والغربي العام - بأن مفخرة كيانه انه مجتمع تذوب فيه الخلفيات العرقية واللونية والدينية في حين ان كل ما وجدته معظم سياسيي ومعلمي الولايات المتحدة هو ان تصور الثورة الفلسطينية - او ان حلم الثورة الفلسطينية كما قال ياسر عرفات - يعمل على ما يكاد يكون اجترارا للتجربة التعددية الفذة التي تدعى الولايات المتحدة انها تعيشها .

والغرب - واعظم دوله الولايات المتحدة - لم يتعود بعد ان تكشف له ازدواجية مقاييسه ، لانه اذا ما وضحت هذه الازدواجية امام رايه العام فاما ان يقرر الغرب - وكبرى دوله الولايات المتحدة - ان تجربته كاذبة او ان تبنيه لاسرائيل واهدافها مناقض لمعطيات تجربته الذاتية . واستمرار الثورة الفلسطينية في التزام هذا التصور المقتحم صار عاملا رئيسيا دافعا الى جعل المجتمعات ، كل المجتمعات ، تجابه ذاتها وتجد نفسها مضطرة لان تستجيب للتحدي الفكري الذي تشكله الثورة الفلسطينية او ان تجيب على الاسئلة التي يطرحها تصور الثورة الفلسطينية على كافة الاصعدة .

ان تصور الثورة الفلسطينية للمجتمع الديمقراطي العلماني على كل ارض فلسطين كجواب للنظرية العرقية الطائفية الاستيطانية التي تشكلها الصهيونية يهز دائرة يهود العالم في الصميم اذ ان هذا التصور الثوري الفلسطيني يضع نفسه في حالة تناقض كامل مع ما تعتبره الصهيونية من مسلمات . فالصهيونية تريد ان ترسيخ عند اليهود فتاعة بأن اللاسامية في بعدها - التمييزي والاضطهادي - حالة ثابتة دائمة من حيث كونها كامنة في المعادلة البشرية . اي ان الصهيونية تعتبر ان اليهودي هو في حالة اغتراب دائم من حيث « خصوصية » تجربته التراثية والانسانية ، فهكذا تعتبر ايضا اللاسامية بأن « خصوصية » التجربة الفريدة للانسان اليهودي تجعله منسلخا عن مجالات التفاعل والتعامل وبالتالي تؤكد حالة اللانتماء الى المجتمع الذي هو مواطن فيه . بمعنى آخر فان الصهيونية واللاسامية تنطلقان من فرضية خاطئة رجعية متخلفة وهي حتمية اللانتماء عند كل يهودي .

ولئن كان البعد الاضطهادي الذي عاناه معظم يهود المانيا النازية سهّل تمرير الصهيونية كاحدى الطول لمآسي تجربة اليهود في أوروبا فان هذا لا ينفي مطلقا ان التمرير شيء والافتناع بالحل الصهيوني شيء آخر ، فتمرير الصهيونية صار ممكنا بالشكل الذي حصل نتيجة عقدة الاثم الجماعية التي شعرها العالم الغربي بعد الحرب العالمية الثانية . جاءت الصهيونية تصر ان اليهود بحاجة الى تطوير « البيت القومي » الذي آمنه الوعد الاستعماري لبلفور نحو دولة صهيونية في فلسطين .

وجد العالم الغربي نفسه امام الخيار الصهيوني عاجزا عن مناقشة خيار غير الخيار الصهيوني . لم يجرى الغرب ليقول ان انهيار النازية وسحق مؤسساتها تعني انتصارا للقيم الديمقراطية . الصهيونية وحدها نشطت في استقطاب معاناة اليهود بعد تجربتهم المريرة المساوية مع النازية . وكان الغرب خارجا من الحرب رغم انتصاره ممزقا يلطم جراحاته ومؤسساته . طرحت الصهيونية نفسها حلا جاهزا فالتفتت الغرب بعد ان توجهت الصهيونية الى ربط نفسها مجددا مع محور القوة الجديد للامبريالية - أي مع الولايات المتحدة ، فكان ان فرضت هذه الاخيرة على الامم المتحدة قرار التقسيم ومررت الصهيونية ذاتها حلا لما سمي « بالمشكلة اليهودية » .

قامت الدولة الصهيونية واغلقت امام العالم وامام يهود العالم لمدة طويلة باب الاجتهاد واجهضت امام اليهود بالذات كل الخيارات الديمقراطية والانسانية التي من شأنها تأكيد حقهم في الانتماء الى اوطان تواجدهم والتي كان لا بد لها ان تحفز التصاقهم

المتزايد بالقيم الحضارية والانسانية للمجتمعات الديمقراطية والتقدمية الحقبة .

تعمدت الصهيونية ربط مصير اليهود بمصير كيان الاغتصاب الصهيوني . أكدت الصهيونية لليهود ان وجود اسرائيل ضمانا وحيدة لوجودهم . بدون «اسرائيل ثوية» تؤكد العقيدة الصهيونية فان اليهود معرضون لمزيد من الضطهاد . ثم تزيد الصهيونية وتؤكد ما دام التمييز ضد اليهود محتوما واضطهاد اليهود هو قدرهم في « المنفى » (الدياسبورا) لذا فانه بمقدار ما تزداد اسرائيل قوة وحرية في الحركة بمقدار ما تتضاءل اضرار التمييز وفرص الاضطهاد . هكذا عمدت اسرائيل الى ربط مصير يهود العالم بمصيرها وترجيح اولوية ولاءاتهم لها على انتماءاتهم لوطانهم . وكى لا يكون امام اليهودي مفر من المصير الصهيوني قامت المنظمات الصهيونية بزرع بذور التشاؤم المطلق عند اليهودي لدرجة ان مقياس سلامة يهودية اليهودي صارت تقاس باستجابته غير المتسائلة وغير المشروطة لاهداف اسرائيل ومدى قدرة اليهود الانتظام في قوى الصهيونية الضاغطة لجعل المجتمعات الغربية خاصة الولايات المتحدة ملبية بشكل تلقائي المطالب الاسرائيلية المستمرة . **كان الصهيونية أدركت ان قدرتها على تمرير مبادئها العدوانية والعرقية محدودة زمنيا ، عندها لجأت الى انتزاع التزامات غربية - امريكية مسبقة لاهدافها التوسعية اللاحقة .**

عندما حصل هذا التمرير للمآرب الصهيونية صعقت اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية حملتها الارهابية ضد كل من يتساءل او يشكك في منهجيتها او سلوكها او عقيدتها . هددت الغرب باعادة فتح عقدة الاثم ، وهددت اليهود المشككين بحملة تشهير تجعلهم يبدون وكأنهم خوارج .

الى حد ما نجحت اسرائيل الصهيونية في ادخال حالة من الرعب في نفوس المشككين اليهود . فمن اليهود كثيرون من شككوا بصحة نهائية وحتمية انفصالهم وانسلاخهم عن مجتمعاتهم الوطنية . كثيرون من اليهود تجاوزوا الصدمة المأساوية التي خلقتها النازية واصروا على مواكبة الوحدة العضوية للانسانية . كثيرون من اليهود اعلنوا ان معالجة مشاكل التعمير والاضطهاد لا تكون بالهروب من مجابهة اللاساميين بل بمزيد من الاصرار على المجابهة وحتى الاصطدام ، كثيرون من اليهود ادركوا ان اسرائيل تعمل على استعمارهم وقودا لمآربها ووسائل ضبط تحول دون عقلنة النظر الى اوضاعهم المرطية او مشاكلهم بشئى فروعها وواجهها . كثيرون من اليهود نفذوا الى حقيقة محور اسرائيل الصهيونية مع معاقل الامبريالية المعاصرة فنفروا من هذا التسخير ومن الاستغلال الرخيص الذي تقوم به اسرائيل لمعاناة معظم اليهود الحقيقية . وعدد وفير من اليهود وجد نفسه يعاني عقدة اثم من جراء تحميل الشعب الفلسطيني وزر اثم الغرب تجاههم ومن ثم جعل مأساة الفلسطينيين وتشريدهم بمثابة التعويض والعزاء الوحيد اللذين يمكن لليهود ان يقبلوا بهما . ثم كون الامعان بهذا الاتجاه كاد يحرك عند معظم اليهود الذين ادخلتهم الصهيونية ضمن اطرها المتعددة نزعة عنصرية تنحصر في معاداة العرب وتشويه صورتهم وبلورة نزعة الانتقام ضدهم بديلا لنزعة التصحيح في مختلف اوطانهم .

جاء تصور الثورة الفلسطينية للمجتمع العلماني الديمقراطي في كل فلسطين يجرى هؤلاء اليهود على مجابهة الصهيونية حتى اصبحوا يرون في مسيرة الثورة الفلسطينية ضمان الامان لمجاهتهم تحدي الصهيونية الوقح لقيم الانسانية والعقلانية والتقدمية عندهم . كما ان تصور الثورة الفلسطينية قد شمل كل اليهود المتواجدين الان على

ارض فلسطين مما جعل الثورة الفلسطينية اليوم في ذكراها العاشرة قادرة على ان تطرح تصورهما المستقبلي خيارا يخرج اليهود المصريين على انسانياتهم او اليهود المتزايدين الذين اخذوا في مراجعة ذواتهم من المآزق التي تعمل اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية على توريث اليهود فيها .

*

هذا التصور الفلسطيني مكّن العالم من استرجاع انفاسه بعد ان ارهقته اسرائيل ، فاستجمع قواه العقلية ووجدانه فكانت القرارات الفلسطينية في الامم المتحدة . وكان بدء حضور فلسطين الجديدة وبدء غياب اسرائيل الصهيونية . لكننا لا نزال في البداية ولا نزال اسرائيل والحركة الصهيونية قادرة على الحاق الاذى بنا . لكن ما لم يعد باستطاعة المحور الامبريالي - الاسرائيلي ان يعمل هو وقف مسيرة الثورة الفلسطينية او وقف التآكل الذي بدأ ينخر في كيان هذا المحور الحاقد المعزول .

في الذكرى العاشرة للثورة الفلسطينية يمكن ان نقول ان القضية الفلسطينية خرجت نهائيا من دائرة الخطر تاريخيا . لكن ثورتها لا تزال معرضة لآخطار كثيرة من جراء انفجار النزعة المجنونة عند من أصابهم تصور الثورة الفلسطينية في مقتلهم ، هذا ما يجعلنا متفائلين ، لكن بحذر .

مركز الأبحاث : عشرة أعوام من التجربة

الدكتور انيس صايغ

ليس من متعة تساوي المتعة في الحديث عن مركز الأبحاث إلا المتعة العمل في المركز ، وللمركز ، الى حد أخشى ان أتجاوز حدود الموضوعية إذا تناولت هذا الموضوع بالذات . وهذه الخشية هي التي كانت تدعوني دائما الى ان احول دون الكلام عن مركز الأبحاث في هذه المجلة الصادرة عن المركز نفسه طيلة السنوات الاربع الماضية . الا ان اخواني في اسرة التحرير رأوا ان حرمان هذا العدد الخاص ، الحافل بالكلام عن انجازات الثورة الفلسطينية ومؤسساتها ، من مقال عن المركز الذي يسهم في خدمة الثورة بقدر طاقاته ويكوّن أحد مجالات العمل المفكري فيها انها هو تقصير بحق القارئ . ومع هذا ، اذ البني رغبة الاخوان ، اعترف ، منذ البدء ، بانني لا استطيع ان اكتب في هذا الموضوع بالذات دون ان اكون منحازا بعض الشيء ، ودون ان تصدر بعض الكلمات من القلب ، مهما حاولت ان التزم بالموضوعية التي ادعو اليها واحاول ان اطبقها في كل نتاج المركز :

١. ص .

ان كان شعار « البندقية والقلم » ، الذي رفعتة معظم الثورات والحركات التقدمية في العالم ، قد استهلك من كثرة اعلانه وترديده ، فان الثورة الفلسطينية قد جسدتها بالفعل وبصورة ملموسة الآثار ، طيلة السنوات العشر التي مرت منذ مولدها . وقد نجحت الثورة في غرس فكرة حاجتها للبندقية وللقلم معا ، وفي آن واحد وفي معادلة منصفة ، بحيث انتشرت في الساحة الفلسطينية قناعة عامة بأن لا سبيل الى النصر الا باستمرار هذا اللقاء ، بل الاندماج ، بين الرصاصة والكلمة ، او قل بين القوة والمعرفة ، او بين السلاح والفكر . ولعل هذه القناعة هي التي قطعت الطريق ، او كادت ، على أصوات كثيرا ما كنا نسمعها (وننألم لسماعها) ، فيها مضي : نسمعها تهمس احيانا على لسان بعض « المثاليين » بأن يثريث النضال المسلح الى ان تكتمل ثقافة الشعب وينهض محصنا بالمدارس والكتب كشرط اساسي قبل اشتعال الثورة ، ونسمعها تصرخ ، احيانا اخرى ، على السنة بعض « الجماهيريين » ، بأن تمضي الثورة لوحدها دون ان تلهي نفسها بالنظريات والمطالعات لان الكتاب لن يقتل عدوا ولن يصد غارة . وان كان بعض هذا الكلام يتردد من حين الى آخر ، وفي المناسبات ، فان الخوض فيه أصبح بشكل عام ترفا وسفسطة يمتنع عنها أغلب الناس ، خاصة الثوار الذين اقتنعوا بملازمة الحرف للرصاص والعقل للمساعد .

عمليا ، انشأت منظمة التحرير الفلسطينية ، التي قامت في ١٩٦٤ ، مركز الأبحاث بعد أشهر قليلة فقط من انشائها لجيش التحرير الفلسطيني ، وبعد شهرين فقط من

انطلاق الثورة المسلحة . وقد ارادته معهدا ثقافيا يغذي أجهزة المنظمة وتشااطاتها الاخرى ، العسكرية والسياسية والاعلامية والمالية ، بالرأى . واناظت المنظمة بالمركز ان يوثق القضية الفلسطينية وان يعد الدراسات ويقدم المعلومات عنها . وقد قصد بتعبير القضية الفلسطينية معناه الاوسع : فلسطين (شعبا وبلدا وتراثا وتاريخا واقتصادا وجغرافية واجتماعا وادبا وفنا وعلما وسياسة وقومية وثورة ومنظمات ، الخ...) والعدو ، صهيونية (فكريا وتاريخا ومخططات) وكيانا مغتصبا (نظاما وجيشا وسياسة واحزابا واطماعا وثقافة واقتصادا وتآمرا ، الخ...) ، مع الابعاد والامتدادات ، العربية والدولية ، والتحريرية او الاستعمارية . وجعل لعمل المركز ثلاث قنوات يصب بها خدماته للثورة ولاجهزتها : جمع كافة المصادر المتعلقة بالقضية بمفهومها الشامل ، كتبنا وصحفا وبيانات واوراقا ومذكرات وموسوعات وخرائط ، مع فهرستها وتهيئتها للاستعمال وتسهيل مطالعتها ، اولا ، والاستعانة بالمعلومات الواردة فيها ومنها في الرد على أية استفسارات وطلبات ، للمقاومة أو لأي جهة كانت تسعى وراء الحقيقة ، ثانيا ، ودراسة الجوانب المختلفة للقضية الفلسطينية ، السياسية وغير السياسية ، وتجسيد هذه الدراسة بكتب ومقالات ونشرات تنشر بين الناس وتخلق ثقافة عامة في الموضوع .

ولتحقيق هذه المهام الثلاث بنى مركز الابحاث هيكله الوظيفي بهذا الشكل :

اولا ، اقسام التوثيق : وهي التي تبحث عن المصادر المتعلقة بالقضية ، وتجمعها وتبويبها . ويعمل فيها حاليا ١٤ زميلا موزعين على أربعة فروع :

١ - المكتبة العامة (المكتبة الام) ، تضم ما يزيد على عشرة آلاف مجلد في المواضيع الفلسطينية فقط . وهي ، حسب تقديري ، أكبر مكتبة متخصصة بالدراسات الفلسطينية في العالم ، خارج الارض المحتلة (اذ انشأ العدو مكاتب اختصاصية متفوقة) . ويصدر عن المكتبة فهرس شهري بالمطبوعات الحديثة في القضية الفلسطينية ، كتبنا او مقالات في الدوريات ، بعدد من اللغات الرئيسية . وتقدم المكتبة خدماتها لآلاف المراجعين سنويا ، وجلهم من الجامعيين (اساتذة وطلابا) ومن الكتاب والصحافيين ورجال الاعلام .

ب - المكتبة العبرية ، مختصة ، كما يبين اسمها ، بما يرد من الارض المحتلة من مطبوعات عبرية ، ومن بينها اربعون صحيفة . وهي ايضا تفهرس فهرسة جيدة - بل ان الفهرسة تشمل عناوين عدد من الصحف العبرية اليومية . وتحصل المكتبة على هذه الصحف بأقصى سرعة ممكنة . كما تعمل على تزويد نسخ اخرى من هذه الصحف للعديد من المؤسسات الثقافية العبرية .

ج - مكتبة الوثائق ، تحتوي الاوراق الرسمية وكافة ادبيات المقاومة الفلسطينية (بمنظمتها وبتحاداتها وجمعياتها) . ولعل البيانات والادبيات المتوافرة فيها تفوق ما هو متوافر للمنظمات نفسها . كما تحتوي وثائق واوراقا لشخصيات ومؤسسات مضت (بينهم الحاج امين الحسيني وجمال الحسيني وأحمد حلمي وفوزي القاوقجي وحسين فخري الخالدي وغوني عبد الهادي وعارف العارف وكمال ناصر وصبحي ياسين وحسني صالح الخفش وحنا عصفور واملي نيوتن) .

د - الارشيف الصحافي ، الذي يقتطع من ٨٠ صحيفة بعدد من اللغات الاوروبية (الانكليزية والفرنسية والالمانية والروسية) الى جانب العربية ، جميع ما يرد فيها ويتعلق بالشؤون الفلسطينية مباشرة او غير مباشرة . وتوضع هذه المقتطفات في

ملفات (تزيد على الفين) مقسمة على ٥٠٠ موضوع فرعي . وهي ، بحد ذاتها ، أغنى مادة صحافية في القضية الفلسطينية في أي مكان .

ثانيا ، أقسام البحث ، وهي التي تعد الدراسات لينشرها المركز ككتب أو كمذكرات أو كمقالات في الصحف (ومن بينها مجلة المركز «شؤون فلسطينية») ، وهي ثلاثة فروع يعمل فيها أربعة عشر باحثا :

أ - قسم الدراسات الاسرائيلية ، ويشترط بباحثيه معرفة العبرية والتخصص بالعدو . ويتعقب هؤلاء المصادر الاسرائيلية ويضعون حولها التقارير والدراسات . وينشر معظم انتاجهم في ملف خاص نصف شهري «قضايا اسرائيلية» الذي يعتبر من أفضل الدراسات المنتظمة حول العدو . والعمل في اعداد الملف جماعي . وتتناقل الصحف العربية تقارير الملف وكثيرا ما تنشرها باهتمام .

ب - قسم الدراسات الفلسطينية ، لمعالجة قضايا الشعب الفلسطيني في بلده المحتل وفي الشتات ، وخاصة في القضايا الحياتية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وقد أصدر القسم عدة دراسات .

ج - قسم الدراسات العسكرية ، لتغطية الشؤون العسكرية من جانبي المقاومة و «اسرائيل» . وقد نشر باحثو القسم خمسة كتب عسكرية ، الى جانب العديد من المقالات في «شؤون فلسطينية» ، كما يحررون ابوابا عسكرية في عدد من الصحف العربية .

ثالثا ، أقسام المعلومات ، وهي عبارة عن مشروعين رئيسيين لتقديم المعلومات المجردة الى الباحثين والدارسين . ويعمل في المشروعين أحد عشر زميلا :

أ - مشروع اليوميات الفلسطينية ، وهو عمل موسوعي نصف سنوي ، يؤرخ المسألة الفلسطينية ويسجلها موضوعيا منذ ١٩٦٥/١/١ ، حسب التسلسل الزمني للاحداث ، بشكل دقيق وامين ، مع فهرسة واسعة للمواضيع وللأسماء . ومن رأي الكثيرين ان لا غنى لأي باحث في القضية الفلسطينية عن هذا المشروع الذي بلغت مجلداته ، حتى الآن ، ستة عشر (تغطي ثمانية أعوام كاملة) .

ب - مشروع رصد الاذاعة الاسرائيلية ، العبرية . وهي نشرة يومية تترجم (تفصح) اذاعة العدو ، أخبارا وبرامج . وتوزع على المؤسسات ودور الصحافة والاعلام ، والحكومات . فتكون اقوال العدو تحت أنظار رجل السياسة أو الاعلام بعد ساعات قليلة من اذاعة تلك الاقوال .

يعمل ثلثا أفراد أسرة مركز الابحاث في الاقسام الرئيسية الواردة اعلاه . أما الثلث الاخير فان افراده العشرين يكملون المهام الثلاث ، التوثيقية والدراسية والاستعلامية ، ويمهدون لها ، ان في الشؤون الادارية الصرف ، او السكرتيرية ، او الطباعية ، او التوزيعية . ذلك ان مسؤولية النشر ، التي تلازم عملية الأعداد ، تتطلب قدرات وجهازا واسعا . خاصة وان حركة النشر في المركز نشيطة جدا . فبالإضافة الى نشر النشريات اليومية ونصف الشهرية ، والمجلة الشهرية ، ينشر المركز سنويا ما لا يقل عن ثلاثين كتابا ، ويوزعها توزيعا واسعا . وقد صدرت الكتب الثلاثمائة التي نشرها المركز حتى الآن في عدد من السلاسل المعروفة :

أ - سلسلة الدراسات الفلسطينية (. . . دراسة) ، وهي معالجات صغيرة الحجم نسبيا لمختلف نواحي القضية الفلسطينية ، وخصص معظمها للتعريف بالعدو وبمؤسساته ، ومعظمها بالعربية . وكتب غالبية كتبها مؤلفون غير متفرغين للعمل في

المركز . واعيدت طباعة معظم الاجزاء لنفاذها بعد وقت قصير من نشرها . وهي أكثر المطبوعات العربية في الموضوع رواجاً .

ب - سلسلة كتب فلسطينية (٦٠ كتاباً) ، للمعالجات الاطول ، وخاصة للكتب الموسوعية الاسلوب . ونصفها فقط بالعربية ، والنصف الآخر بلغات اوروبية ، أكثرها بالانكليزية .

ج - سلسلة ابحاث فلسطينية (٥٠ بحثاً) ، يتناول معظمها المواضيع المثيرة للنقاش . نصفها بلغات اجنبية . وهي رخيصة السعر نسبياً ليسهل توزيعها .

د - سلسلة حقائق وارقام (٥٠ حلقة) . وهي ، كما يبدو من اسمها ، تكتفي بتقديم المعلومات الجردة ، غير القابلة للطعن . ومعظمها اعلامي ينشر على نطاق واسع (طبع من بعضها واعيدت طباعته ، بعشرات الآلاف من النسخ ، وفي عدة لغات اوروبية الى جانب العربية) . وبعضها موجه للاعلاميين العرب ويقدم لهم المعلومات الاساسية . كما ان قسماً ثالثاً منها مخصص للمعلومات عن « اسرائيل » ويوجه لرجال المقاومة .

هـ - سلسلة اليوميات الفلسطينية (١٦ مجلداً) وقد ورد الحديث عنها آنفاً .

و - سلسلة خرائط وصور (١٠ مجموعات) .

ولو القى المرء نظرة سريعة على موضوعات هذه الكتب لوجد ان كلا منها يخدم غرضاً من الاغراض التالية :

اولاً ، كتب اعلامية (وبالتالي ، فهي بلغات اجنبية : الانكليزية فالفرنسية فالالمانية ، وقليل جداً بالهولندية والدانمركية والاسبانية والايطالية واليابانية ، وأحدها بلغة الانسبرانتو العالية !) . اهميتها انها قدمت المادة الاعلامية ، للقارئ الاجنبي ، بأسلوب هادئ رزين ، بعيد عن الانفعالات ، ومدعم بالحقائق وبالاستبانات التي لا شك بصحتها . والكتب المصوّرة منها قدمت المناسبة الفلسطينية بشكل مختلف عن الاسلوب المعهود الذي عجز عن استمالة القارئ .

ثانياً ، كتب في التعريف بالصهيونية وباسرائيل ، وهي باللغة العربية ، لذلك لا يقصد منها الاقناع بالحق العربي في فلسطين ولا تضطر الى اتباع الوسائل الاعلامية ، بل تكشف عن واقع العدو على حقيقته .

ثالثاً ، دراسات في الشعب الفلسطيني وفي التجمعات الفلسطينية .

رابعاً ، أعمال موسوعية ، جغرافية وادبية وفنية وبلدانية وتاريخية .

هذا استعراض سريع للمعلومات والحقائق الاساسية عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية . لكن هذه المعلومات لا تعطي القصة الحقيقية للمركز . فقصة المركز (ماهيته واهميته ومحاولاته) لا تروى من خلال تسجيل عدد منشوراته وباحثيه واقسامه ، بقدر ما هي تظهر في دراسة أساليبه وتجاربه ومعاناته ، التي خاضها في محاولاته لتحقيق الغايات المطلوبة منه . فأهم من الارقام التجارب التي لا تكشف عنها الارقام : أهم من الآلاف الاحد عشر من الكتب الموجودة في مكتبات المركز هو نجاح المركز في ان يكون للكتاب الفلسطيني مكتبة خاصة ، وان يكون لكتب العدو وجود في مؤسساتنا ، وان نحصل على صحف العدو بأي ثمن وجهد كان ، وان نشجع باحثينا ، وطلابنا واعلاميينا وسياسيينا وفدائيينا ، على مطالعة المصادر الرئيسية والاعتماد

عليها والانتقاس منها في كتاباتهم ، وان تكون مكتبتنا الناشئة قدوة للمكاتب العربية (وبالفعل) ، وفي اجتماع للمكاتب العربية ، اعتبرت مكتبة مركز الابحاث نموذجا للمكتبة المختصة) ، من جهة ، ومصدر ازعاج للعدو ، من جهة اخرى (وقد عبر العدو ، منذ أيام فقط ، عن انزعاجه هذا بأربعة صواريخ أخطأ أحدها ونجحت ثلاثة منها في اطلاق ربع محتويات المكتبة) . واهم من ان يصدر المركز ثلاثماية كتاب في اقل من عشر سنوات هو ان يعالج باحثو المركز هذه القضايا بمنتهى الموضوعية ، وان يلتزموا بأساليب البحث العلمي ، وان يخوضوا مواضيع لم يجروا أحد من قبل على الاقتراب منها ، وان يعرفوا القارئ على العدو لأول مرة . واهم من ان يصدر من شؤون فلسطينية اربعون عددا تضم الف مقال وتقرير ، هو ان تكون المجلة منبرا حرا للفكر الواعي يتسابق الى اعتلائه الكتاب من كافة الاتجاهات والجنسيات (بينهم عدد لا بأس به من اليهود غير الصهيونيين) ، وان تنقد نفسها والمركز الذي تصدر عنه ، وان تظهر في مطلع كل شهر بانتظام . واهم من ان يعمل في المركز حاليا اربعة عشر باحثا هو ان يكون المركز قد تعهد ، وخرّج ، اضعاف هذا الرقم من الباحثين ، الذين أصبح بعضهم ، وبفضل رعاية المركز له ، في مصاف كبار الكتاب الاختصاصيين في القضية الفلسطينية . وقد تعلموا على المركز وفيه عبروا مرحلة الاختيار وهو الذي تعهد أنتاجهم .

حقيقة مركز الابحاث ، اذن ، لا تكشف عنها الارقام ، على أهمية الارقام . بل هي تتم في التعرف على التجارب التي مر بها ، وفي الريادة التي حققها ، وفي التقاليد التي ارساها في عشرة اعوام فقط .

لقد بدأ مركز الابحاث من الصفر ، تقريبا .

نفى حقل التوثيق لم يكن في الوطن العربي كله من خليجه الى محيطه ، وبعد سبعين سنة من قيام المنظمة الصهيونية العالمية ، بنشاطاتها ومؤامراتها واستعانتها بالعلم والثقافة ، وبنجاحها في استلاب فلسطين واجزاء اخرى من الوطن العربي ، وتهديد سائر انحاء هذا الوطن تهديدا مباشرا عسكريا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا ، لم يكن في الوطن العربي ، قبل تأسيس مركز الابحاث في فبراير ١٩٦٥ ، مكتبة واحدة مختصة بالقضية الفلسطينية . لم يكن هناك ما يسمى بالمكتبة الفلسطينية . ولم يكن هناك ما يسمى بفهرس الكتب الفلسطينية .

وكان الكتاب الفلسطيني ، قبل ١٩٦٥ ، في حالة مزرية من الضعف ، ومع ان عدد الكتب التي صدرت من قبل لم يكن قليلا فقد اتصف معظمها بالسطحية في المعالجة والهزال في الغرض ، والضعف في التحليل . كما اتصفت بالمقاربة العاطفية وبندرة المصادر وبالغوغائية ، وكانت أعجز من ان تعطي ثقافة واعية للقارئ العربي او اعلاما جيدا للقارئ الاجنبي .

وكان الباحث الفلسطيني « قطعنا نادرا » ، قليل العدد وضعف الحصول عليه . وكان المتخصصون اقل بكثير من الحد الأدنى المطلوب لتغطية الحاجة . وبدلا منهم ، كثر عدد المبتدئين والمتمرنين والهواة ، الذين افتقد اغلبهم الى الثقافة الصحيحة في القضية والى المعلومات الأساسية ، وخاصة عن العدو .

واذا كان المركز قد بدأ من الصفر تقريبا في بناء مكتبة وفي نشر الكتاب واعداد الكاتب ، فلقد بدأ من تحت الصفر في موضوع الكتابة عن « إسرائيل » بشكل خاص . فعلى صعيد المكتبة والكتاب والكاتب ، الفلسطيني ، وجد المركز فراغا وشرع في املائه . اما على صعيد دراسة العدو بالذات فقد وجد المركز جدارا بناه المواطن ،

دون دراية ، حول فكره ، وحصن به عقله ضد معرفة العدو عن كُتبه . من هنا كانت خطة المركز الاولى في الانتاج ، وخاصة في السنوات السبع الاولى من تاريخه ، ان يكتب وان ينشر في هذا الموضوع المحرم حتى لا يظل محرما . وامام الكتب الكثيرة التي تناولت من قبل المسألة الفلسطينية واكتفت عند الكلام عن اسرائيل والصهيونية بايراد الشنائم والاشاعات والتهم العامة ، ظهر كتاب مركز الابحاث (ولحق به مئة كتاب اخر ، من اصدار المركز ، في مدى سبع سنين) عن اسرائيل : يعريها بدون شتية ، يكشف نواحي الحياة والتفكير والتأمر والعمل فيها اعتمادا على مصادرها ومنشوراتها وممارساتها . وكانت الصدمة قوية ، بادىء الامر ، لدرجة ان حملة قوية قامت في وجه المركز تعارض في هذا المسلك (ووصل الغضب بالبعض ان اتهم المركز بالخيانة والعمالة) بحجة ان اعطاء المعلومات للقارئ انما هو مغامرة خطيرة لان الكشف عن مواطن القوة في العدو (عسكريا او سياسيا او اقتصاديا او حضاريا) انما يزعزع ثقة هذا المواطن بنفسه وبجيوشه وبقدراته ويشككه بجدوى مجابهة العدو . اما مركز الابحاث فقد بنى ثقافته على ان المواطن ، الذي لا شك بحماسة واستعداده النفسي للبدل ، يبقى عاجزا عن القتال اذا بقي جاهلا للعدو ، وان النهيئة للحرب تفترض التسلح بالعلم ، والعلم يفترض جمع الحقائق ومعرفة الوقائع ، وخاصة عن العدو ، وان المواطن لن ينتصر على عدو يجهله (بينما يعرف العدو عن هذا المواطن كل شيء) ، وان وعي المواطن ووطنيته يقيان ناقصين اذا لم يقوموا على أساسين متين من المعرفة الصحيحة للعدو ، بقوته وبضعفاته .

بفضل مرحلة التجربة والخطأ التي مر بها مركز الابحاث خلال الاعوام العشرة التي مرت عليه ، استطاع ان يرسى عددا من التقاليد ، في العمل وفي الانتاج ، بحيث اتصفت به واصبح هو يعرف بها وتسجل له من اهم انجازاته لانها اهم ما في تجربته .
اولها اتباع الاساليب العصرية ، العلمية المتحضرة ، في جميع اعماله .

أ - الكتابة في المركز علم وليست هواية . وللعلم اصوله واساليبه ومقاييسه . ومهما اختلفت كتب المركز ، فيما بينها ، من حيث المستوى والمواضيع ، فانها كلها تنصف بالموضوعية . وكلها يحرص على ان يطبق الاساليب العلمية . والكتابة تخصص . والعموميات مرفوضة .

ب - اساليب العمل في المكتبة ، سواء في ترقيم الكتب او فهرستها او الاعلان عنها او في طرق الاعارة او في الاقتباس ، كلها تتبع الاساليب العالمية المتعارف عليها .

ج - يحرص المركز على اتباع دوام رسمي واضح ومحدد لسر العمل في جميع الاقسام وعلى مختلف المستويات . ويكاد مركز الابحاث يتفرد في هذه الصفة بين المؤسسات الفلسطينية الرسمية . وكان التقيد بالدوام ، غير المعهود كثيرا من قبل ، سببا في تعذر استمرار بقاء زملاء كثيرين في المركز . كما كان ، ولا يزال احيانا ، مدعاة للسخرية من قبل اخوان يفترضون ان الدوام والثورة يتعارضان بالضرورة .

د - والموعد ، مثل الدوام ، نفهمه تقليدا مسهلا للعمل ومنظما للانتاج ، ولذلك نتمسك به . ولا نقصد الحفاظ على المواعيد مجرد ساعات الاجتماعات واللقاءات ، بل اهم من ذلك الاوقات المحددة لصدور النشرات الدورية . ودقة مواعيد صدور كل من منشورات المركز الدورية الثلاثة (نشرة الرصد اليومية ، وقضايا اسرائيلية ، نصف الشهرية ، وشؤون فلسطينية ، الشهرية) هي مضرب المثل . وحتى العدوانات الاسرائيلية المتتالية على المركز لم تتسبب في تأخير صدور اي نشرة عن موعدها المحدد لها .

ثاني التقاليد الديمقراطية في العمل . والمركز مؤسسة عامة واسعة حجا ومسؤولية ، وليس مكتبا خاصا . لذلك يحرص على ان يسير العمل فيه حسب انظمة معروفة سلفا وواضحة ومحددة . لكن روح هذه الانظمة ، التي وضعت وتعديل حسب متطلبات العمل نفسه ، هي المشاركة الديمقراطية في تقديم الرأي وفي تحمل المسؤولية . وقد ارسى المركز ، خاصة منذ ان اتسع نطاق عمله قبل ثلاث سنوات (اذ زاد عدد العاملين فيه آنذاك على سبعين زميلا) قواعد لتنظيم هذه المشاركة . وتتجسد هذه المشاركة ، حاليا ، في ثلاث لجان تشرف على مهام المركز المختلفة . لجنة التوثيق (امينة المكتبة ومسؤولة الوثائق ومسؤول الارشيف) لمعالجة امور المكتبة ومشاكلها ، ولجنة البحث (رؤساء الاقسام البحثية الثلاثة الاسرائيلية والفلسطينية والعسكرية) تنظر في المشاريع البحثية وتقرر نشر الصالح من المخطوطات المعدة ، ولجنة الادارة (مسؤولو الادارة والمحاسبة والتوزيع) لمعالجة كافة الشؤون الادارية . وتقدم اللجان الثلاث توصياتها الى المكتب التنفيذي للمركز (مدير عام المركز ونوابه الاربعة) الذي يبت بكافة القضايا والمشاريع والافكار المطروحة . وقد اثبتت التجربة ان هذا التنظيم الواسع نسبيا للمسؤولية انها هو افضل اطار للموازنة بين استمرار العمل وسيره بشكل سليم وبين اعطاء العاملين في المركز اكبر مجال للتعبير عن مقترحاتهم بخصوص العمل ، بحيث تتوزع المسؤولية على عدد كبير من العاملين (نسبتهم الى مجموع العاملين تبلغ الربع) .

وعلى غرار تقليد تأمين الاطار الصحيح لديمقراطية العمل تأتي حرية التفكير بندا اساسيا ، بل هي البند الاساسي ، في قناعات مركز الابحاث وممارساته وتقاليدته ، فان هدف مركز الابحاث هو ان يخدم الثورة الفلسطينية بالعلم وبالحرية . واذا كان جانب العلم يتجسد في تقديم المعلومات الصحيحة والرأي السليم فان جانب الحرية يتجسد في تأمين مناخ سليم للباحثين والعاملين ليعبروا عن افكارهم ومعتقداتهم واجتهاداتهم تعبيرا حرا ، وفي دعوة جميع العاملين في الحقل الفلسطيني الى سلوك هذا المسلك وطرح كافة القضايا والافكار المختلف حولها للنقاش الهادف واعتماد الحجة والاقناع وحدهما سبيلا الى كسب الاخرين واستنكار القمع والكبت .

تقوم ثورتنا على الحق ، ومن اجل استرداد الحق السليب ، ولبناء مجتمع يقدر الحق . وقد كانت الحرية ، منذ الازل ، المناخ الذي لا وصول الى الحق بدونه ، والذي يسند الحق ويحميه . والحق والحرية صفحتا ورقة واحدة . وبالتالي لا يمكن لاية ثورة ان تنادي بالحق وتعمل له ما لم تؤمن بالحرية وتمارسها في كل مجال . ولعل مركز الابحاث ، وهو المؤسسة الفكرية المفروض فيها ان تدرك هذه القيم الانسانية وان تعتنقها وان تبشر بها ، مدعو اكثر من غيره وقبل غيره لتأمين هذه الحرية لباحثيه وكتابه ولجعلها منطلقا لنشاطه .

يعبر المركز عن صيانتته للحرية باكثر من اسلوب : يترك لافراد اسرته الحرية الكاملة في معتقداتهم وانتماءاتهم (ما دامت تدخل اطار الثورة الفلسطينية وتلتزم باهدافها) ويشجع الكتاب على تناول القضايا المثيرة للنقاش من الزوايا المختلفة ، وخاصة في مجلة شؤون فلسطينية ، بشرط ان تكون المعالجات موضوعية وهادئة وتهدف الى الاقناع والتقريب ولا تكون سبيلا للتفرقة والتطاحن . ولا ابالغ اذا قلت انه ما من عدد واحد من شؤون فلسطينية صدر بدون اعطاء الفرصة لكافة الاراء لتتناقش وتنازل بعضها بعضا بهدوء - سواء بكتابة المقالات او بنشر الندوات التي يتمثل بها اصحاب الاراء المختلفة . وفي الوقت الذي تتخلى فيه مجلتنا عن هذا الخط فتنحاز الى فريق ضد اخر وتغلق نفسها امام باقي الافكار المطروحة وتصبح لسانا

ينطق باسم جماعة واحدة انما تكون المجلة قد خسرت قيمتها وتنازلت عن مبرر وجودها .

ولا شك ان حرص شؤون فلسطينية على ان تخدم الثورة كمنبر حر للفكر الفلسطيني عرضها ويعرضها (كما عرض المركز نفسه ويعرضه) لنقد شديد من هذا الطرف او ذلك ، من بين الاطراف الفلسطينية او العربية المتنازعة حول موضوع سياسي معين . وقد كنا دائما ، في المركز عامة وفي المجلة خاصة ، نتجاهل الحملات ، ولم نرد على اتهام واحد (حتى حينما كان اصحاب الاتهام صحيفة يقرأها مئة قارئ ولنا نحن ، حسب الاحصاءات ، حوالي خمسين الف قارئ) ، ليس فقط لان الاتهام انما مبعثه الانفعال والتشنج ورغبة في التسلل الى المجلة بصورة غير شرعية ومحاولة في الابتزاز ، بل واطغر من ذلك لان مصدر الحملة هو عدم فهم رسالة المجلة وعجز عن ادراك حق المواطن ، فردا او مؤسسة بالتعبير عن رأيه . ونحن نعلم ان المجلة ستظل عرضة للنقد ما دامت هي مصممة على ان تبقى هذا المنبر وان تواصل رفع راية الرأي الحر عاليا . وحسبنا راحة بال ، واعتزازا ، ان عدد القراء الذين يطالبوننا بان نظل كذلك ، الذين يقرأوننا لاننا كذلك ، هم اضعاف اضعاف الذين يهاجموننا احيانا حتى ننفلق وحتى نخوض حلبة الشتائم والمرادحة . وحسبنا ان الذي يريد ان يزداد معرفة في اي موضوع فلسطيني يسعى الى هذه المجلة بالذات ، سواء كان هو نفسه مؤيدا لهذا الموضوع او معارضا ، وعضوا في هذا التنظيم او ذلك .

والواقع اننا ما كنا لننجح في مركز الابحاث في محاولتنا لتوطيد حرية الراي هذه لولا ثلاث بدهيات نتمسك بحذافيرها :

أ - ان مركز الابحاث ، بحكم انتمائه لمنظمة التحرير الفلسطينية وهي المنظمة الاطار لجميع المنتمين للثورة الفلسطينية ، هو لفلسطين ككل وليس لتنظيم معين . فلسطين اكبر : هذا هو الشعار الذي نردده دائما . اكبر من اي فرد واي رأي واي اتجاه واي تنظيم . ونحن نعمل لفلسطين ، وحتى حينما ينتمي احدنا لتنظيم فانما هو يقصد ان يخدم فلسطين من خلال هذا التنظيم . اما في المركز فلا فرق بين تنظيم وآخر . والمركز للجميع بدون استثناء وتنشر المجلة المقال الجيد مهما كانت وجهة نظر صاحبه . وترفض المقال السيء (السطحي او المنفعل او المغلوط او الشتائم) بغض النظر عن صاحبه .

ب - اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية ، منذ انشائها مركز الابحاث ، باستقلاله الفكري وصانت له هذا الاستقلال على مر السنين . والمركز ، الذي يتبع المنظمة اداريا تبعية كاملة ويتقيد بجميع انظمتها (وما اكثر ما يقاسي من جراء ذلك ، وخاصة من النواحي المالية !) مستقل في التعبير عن افكاره (اي افكار العاملين فيه) من ضمن تمسكه الكامل بالميثاق الوطني الفلسطيني وبتعديلاته وبقرارات المجالس الوطنية الفلسطينية . وما كان مركز الابحاث لينجح في ذلك لولا تقناعة منظمة التحرير ومباركتها . واذا كانت هذه القناعة تعبير عن ثقة المنظمة بالمركز وايمانها بالحرية ، فان المركز يعتز ، من جهته ، بهذه الثقة التي تزيد مسؤوليته وانباها .

ج - حق النقد هو الدليل الحسي على وجود الحرية وممارسة النقد الذاتي هو الدليل الحسي على استحقاق هذه الحرية . ولا احسب ان هناك مركزا غربيا ومجلة عربية يمارس نقد نفسه كما يفعل كل من مركزنا ومجلتنا . والامثلة على ذلك كثيرة . يكفي ان يعود القارئ الى باب المراجعات في المجلة ويطالع ما جاء فيه عن منشورات المركز والى اي حد كان كتاب المراجعات ينتقدون منشورات المركز . فنحن لا نسمح

فقط بنقد نتاجنا ، بل اننا ندعو الكتاب الى ذلك . اذ ان من ينتقد نفسه يستطيع ان ينتقد غيره بدون حرج .

التقليد الرابع للعمل في المركز هو التنسيق مع الاجهزة الاخرى في منظمة التحرير الفلسطينية . ذلك اننا جزء من الثورة الفلسطينية ، ولسنا متفرجين ولا حتى مؤيدين ومناصرين . وهذا الانتماء العضوي له نتائجه ومعانيه ، اذ هو يفرخ تبعات اصبحت احترام المركز لها تقليدا معروفا . فالمركز لا يعمل في فراغ . بل هو واحد من عدد من الاجهزة التي تنتمي الى المنظمة وتنشط معه ، كل منها في مجاله . لذلك يحاول المركز الا يتعدى مسؤولياته والا يتدخل في شؤون والا يتحمل مهامها هي ليست من اختصاصه بل من اختصاص اجهزة ومؤسسات اخرى في المنظمة . فالاعلام ، مثلا ، ليس من واجبات المركز (كما يظن بعض الناس خطأ) بل ان له دائرة خاصة في المنظمة هي دائرة الاعلام - وهي مؤسسة نشيطة ، لها اجهزتها ومكاتبها وصحفها وخبرائها ومنشوراتها . والتعبئة ليست من واجب المركز لان لها دائرة التنظيم الشعبي مثلا . وليس من واجب المركز اعداد المذكرات السياسية للاجتماعات والمؤتمرات لان للمنظمة دائرة سياسية ولدت قبل مركز الابحاث نفسه . كما ان للتخطيط مركزا خاصا ، ممتازا ، انيط به هذا العمل الهام جدا في ثورتنا . كذلك قل عن امور كثيرة . المهم ان يكون هناك تعاون وان يقوم تنسيق مثمر بين هذه المراكز ومن ضمنها مركز الابحاث ، بحيث لا يتداخل عمل احدها مع عمل الاخرين ، وبحيث يكون نتاج المؤسسة الواحدة في خدمة المؤسسات الاخرى . اذ ان لكل مؤسسة اسلوبها في استيعاب انتاج الاخرين والانفاد منه . وهذه الحقيقة هي التي تدعو مركز الابحاث الى الاعتذار عن تلبية طلبات كان يجب ان تقدم الى الاجهزة الاخرى . كما يحرص المركز ، في علاقاته مع المنظمات السياسية والشعبية ، وفي محاولاته خدمتها وتلبية حاجاتها ، الا يتحول الى مصنع لاعداد الخطب ليذهب انسان لتلاوتها في المؤتمرات بل ان يقدم المعلومات والبيانات التي تفيد المندوبين الى المؤتمرات ويتخذون منها مادة خاما لاعداد المذكرات والخطب .

وجدير بالذكر ان مركز الابحاث لا يزعم انه ينطق باسم منظمة التحرير ، على اعترازه بانتمائه للمنظمة . ولذلك يحرص ان يعلن دوما ، في جميع منشوراته ، ان الافكار الواردة تعبر عن آراء اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المنظمة بشكل عام . ذلك ان للمنظمة ناطقا رسميا يتكلم باسمها . ولها دائرة اعلام تتولى نشر البيانات الرسمية . ومع هذا ، مهم جدا ان يفهم ان المركز من اجهزة الثورة وان موقعه في داخل الخندق وليس وراءه من بعيد . وقد عبرت « اسرائيل » عن ادراكها لهذا الواقع اكثر من مرة ، بدليل غاراتها المتوالية عليه ، بالديناميت عام ١٩٧٠ ، وبالقنابل عام ١٩٧٢ ، وبالصواريخ عام ١٩٧٤ - وهي هجمات زادت وتزيد في صمود المركز ، والعاملين فيه واصرارهم على الاستمرار في العمل ، بحيث يواصل المركز اصدار الكتب وتلقي القنابل ، وهي معادلة ثمنها باهظ لكنها ضريبة نضال نسدها برضى وباعتزاز .

ومثلما يضع مركز الابحاث موضوع التعاون والتنسيق ، مع الاجهزة التابعة لمنظمة التحرير بحكم المشاركة في المسؤولية معها في مقدمة واجباته حتى اصبحت ذلك تقليدا معروفا ، كذلك رسخ المركز تقليدا اخر ، في التعاون والتنسيق مع مراكز البحث والدراسة ، التي تعنى بالقضية الفلسطينية ، كما يعنى بها مركزنا . وهنا ايضا لا يعمل المركز في فراغ . فان السنوات العشر الاخيرة التي شهدت مولد مركز الابحاث ونموه ، شهدت ايضا مولد عدد اخر من المؤسسات العلمية للقضية الفلسطينية ، ابرزها وانشطها واكبرها مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت ، وثلاثة مراكز

جامعية (بغداد ، وعمان ، والخرطوم) ، ومركزان ثقافيان سياسيان (مركز الدراسات الفلسطينية في جريدة الاهرام ، ومؤسسة الارض في دمشق) ، الى جانب قسمين جامعيين للدراسات الفلسطينية في القاهرة ، يتبع احدهما معهد الدراسات والبحوث الغربية التابع لجامعة الدول العربية (وقد تأسس في الواقع منذ الخمسينات) ومركز دراسات الشرق الاوسط في جامعة عين شمس . ومهما اختلفت نسب الانتاج والجودة والنشاط والقدرة بين مركز وآخر (اذ لا شك ان بعضها اكثر نشاطا وافضل مستوى من بعضها الاخر) ، ومهما تباعدت وتعددت انتماءات هذه المراكز وارتباطاتها الحكومية او السياسية ، فان هناك امورا مشتركة تجمع بينها وتفرض عليها التعاون ، منها الموضوع الرئيسي الواحد (اي الدراسة العلمية للقضية الفلسطينية) ، ومنها الحاجة الى المصادر الاصلية والى الباحثين والمترجمين ، ومنها التركيز على اهمية الادراك الصحيح لمواضيع البحث . من هنا كان مركز الابحاث مبشرا باستمرار ضرورة تنسيق الجهود بين هذه المؤسسات ، آخذين بعين الاعتبار التوزع الجغرافي للمراكز ، وقدراتها المتنوعة ، وارتباطاتها الجامعية او الحكومية . والواقع ان سياسة المركز باقامة عرى التعاون ، وجعل المركز الواحد مكملا للآخر بدل ان يكون منافسا له ، انما وجدت صدى مستحبا ومشجعا من سائر المراكز الاخرى ، حتى اصبح هذا التقليد عاما وشائعا بين المراكز كلها ، وحتى اصبح التعدد ، وزيادة المراكز ، بركة وسبيلا للمزيد من الانتاج بدل ان يكون مجرد محاولة للتنافس وللمحاكاة الجامدة .

هناك تقليد سادس لعمل مركز الابحاث ولد من خلال معاناة السنوات العشر : ان يكون المركز مؤسسة متطورة ، نامية ، تراعي في مشاريعها وانظمتها الحاجات والمؤثرات والضرورات . فالمركز ، من الجهة الواحدة ، لم يظهر الى الوجود دفعة واحدة . بل هو وليد السنوات العشر ، في كل يوم يولد من جديد ، بمشروع او مهمة جديدة ، وهو من الجهة الثانية ، لا يتسرع بالشروع في عمل جديد ، بل يعطي أية فكرة او اقتراح مجالا واسعا للتفكير والنظر في جدواه وفي ضرورته .

وخطط عمل المركز العامة أكثر ما تكون عرضة للفحص المستمر وللتعديل والتكيف حسب التطورات التي تتعرض لها المقاومة ككل . فقد شددنا ، في النصف الثاني من الستينات ، على اهمية تعريف المواطن على العدو ، كما ذكرنا آنفا . اما النصف الاول من السبعينات فقد اتجه نحو تكثيف الدراسات الفلسطينية ومعرفة اوضاع شعبنا ، مجتمعا ومقاومة وثقافة . وبينما استعانت المرحلة الاولى بمؤلفين ، افرادا ، من خارج المركز ، وضع عبء المرحلة الثانية على جماعات من الباحثين تعمل مكاتفة داخل المركز . ومثلما ينطبق على هذا الوصف على الخطط الشاملة والعريضة للمشاريع ، ينطبق ايضا على كافة نشاطات المركز التي تربطها دوما بمهامي القدرة والحاجة ، القدرة الذاتية على انجاز المشروع والحاجة الخارجية ، اي للمقاومة وللشعب الفلسطيني عموما ، له .

أما التقليد الاخير الذي اود ان اشر اليه فهو ايجاد صيغة توفيقية عملية بين الفلسطينية وبين العربية في البحث الفلسطيني . ونحن لا ننظر هنا الى الموضوع من زاويته العقائدية . اذ اتنا حينما نتكلم عن الفلسطينية في هذا المجال انما نعني فلسطينية المسألة ، وليس جنسية الباحث او العامل في المركز ولا اقليمية المعتقد . ذلك ان عددا كبيرا من كتاب المركز ، بما فيهم كتاب المجلة ، هم عرب غير فلسطينيين (حوالي الثلث) . كما ان بين الذين التحقوا بالعمل في المركز في السنوات العشر الماضية العشرات من الاخوان اللبنانيين والسوريين والعراقيين والمصريين والاردنيين - وكان بينهم عدد من رؤساء الاقسام . ولم يكن المركز في يوم من الايام اقلية بالمرغم من تركيزه الدائم على الا يتعاطى الا الشؤون الفلسطينية . وبعد ، انها اعوام عشرة من التجارب ، من الاخطاء والتقصيرات والعثرات ، ومن الانتاجات والنشاطات والخدمات . انها محاولات في خدمة الثورة الفلسطينية على صعيد ثقافي تأمل ان تسهم في تقريب النصر . والحكم النهائي على هذه التجارب والمحاولات متروك للزمن وللمستقبل .

علاقة المشكلة الفلسطينية بالتجزئة وبالصراع الاساسي في المنطقة العربية

هاني مندس

ينطلق هذا المقال في معالجته ، لما يسمى عادة ، بالمشكلة او القضية الفلسطينية من زاوية علاقتها : ١ - بعملية التجزئة الاستعمارية التي حدثت ، على وجه التحديد ، لسوريا العربية . ٢ - بالصراع الاساسي الدائر في المنطقة العربية . ولا يتوخى المقال في توجيهه الاساسي ، الى الخوص بنتائج تقريريه سريعة واحكام عامة ، (درج عدد من الكتاب والمفكرين العرب الى تضمينها كتاباتهم ، في هذه المرحلة ، دون الاستناد الى معطيات كافية او منهج علمي واضح) ، بل الى طرح بعض المنطلقات والتساؤلات المحورية - بالرغم من ان هذا المقال لا يخلو من بعض الاستنتاجات الضرورية - التي تطرح امام الفكر التاريخي العلمي مهمة التصدي لمعالجتها وبلورتها بغية تكوين ملامح الرؤية الاستراتيجية على قاعدة موضوعية صلبة .

لقد سبق للفكر القومي البورجوازي ، في مختلف تياراته المحافظة والوسطية والراديكالية وخاصة ابتداء من الثلاثينات والى اليوم ، ان حاول التصدي لتناول المشكلة الفلسطينية على اساس متقارب من الزاوية التي سنحاول ان نعالجها فيها ، الا ان هذا الفكر بقي يدور في حلقة مفرغة حبيس منهجه اللاتاريخي والتحليلات التقريرية الشكلية والشعارات والمفاهيم والاحكام الاخلاقية العامة دون ان يتقدم خطوات جادة الى الامام على طريق التحليل التاريخي العلمي لحركة الواقع الاجتماعية في مستوياتها المختلفة .

١ - علاقة المشكلة الفلسطينية بواقع ونتائج التجزئة

لا يمكن فصل المشكلة الفلسطينية عن واقع التجزئة التي فرضتها واصطنعتها القوى الامبريالية لضعاف امكانات نمو القوى المنتجة وبالتالي تعاضم الحركة الوطنية الثورية في سوريا العربية (التي تضم سوريا الحالية + الاردن + فلسطين + لبنان) ، وسائر مناطق الوطن العربي . وذلك تسهيلا لتحقيق اشكال اللاحق والتبعية للامبريالية . فلم تكن قط تجزئة المنطقة العربية تجزئة سياسية عبثية ، بل كانت عملية فصل بين قوى الانتاج مما يؤدي الى اعاقه عملية النمو في اجزاء معينة والى الغائها او تقليصها الى ابعد حد في اجزاء اخرى .

وقد ادت عملية التجزئة ، بوجه عام ، الى خلق كيانات سياسية لا مبرر تاريخي واقتصادي سياسي تحتمه قوانين التطور الداخلية (قوى وعلاقات الانتاج) في كل كيان منها . بل ان مبرر وجودها الاساسي نابع من دورها ضمن مخططات اللاحق واشكال التبعية الاقتصادية والسياسية والعسكرية للقوى الامبريالية في المنطقة . ان اقطارا كالاردن وفلسطين (قبل ١٩٤٨) ولبنان ، على اختلاف درجات التفاوت والتطور فيها بينها ، لا تملك مقومات البقاء والاستمرار الداخلية المستقلة لامتقارها الى الاسس

الاقتصادية الاجتماعية السياسية ، أي بكلمة الى أسس وجود مجتمع حقيقي .
فلقد كان استقلال كل كيان من هذه الكيانات ، من الناحية العملية ، هو استقلال عن سوريا الحالية وانعزال عنها واضعاف لها ولتطور قوى الانتاج فيها ، وبالتالي القيام بادوار سياسية واقتصادية وعسكرية (خاصة بعد وجود دولة اسرائيل) للحد من نموها وكبح تطور حركاتها الوطنية . ذلك ، لكون كل كيان من هذه الكيانات مرهون بمدى تبعيته الاقتصادية والسياسية ضمن استراتيجيات القوى الامبريالية في المنطقة .
ونستطيع أن نلخص طبيعة الادوار الامبريالية الاساسية لكل كيان من هذه الكيانات على الوجه التالي :

فلسطين : دور اقتصادي كومبرادوري يتلخص في (١) تسهيل مرور الاموال العائدة من النفط العربي (او المهربة الى لبنان بتاتر التحولات الجديدة لصياغة رأس المال في كل من مصر وسوريا والعراق في الستينات) الى الغرب الامبريالي او التوظيف الداخلي لجزء صغير منها في مجال قطاع الخدمات وبعض الصناعات التحويلية والتجميعية .
(٢) تسهيل مرور السلع والبضائع الاجنبية وعمليات الترانزيت الى الاسواق العربية وسواها .

الأردن : دور سياسي عسكري موجه نحو قمع وعرقلة نمو أي نهوض وطني فلسطيني - أردني والتصدي له قبل ان يأخذ دوره الفعال ضد اسرائيل . هذا بالإضافة الى مهمه عزل أطول حدود المواجهة العربية العسكرية المباشرة والحد من تشكيل أي خطر جدي ضد الوجود الصهيوني .

ومن المعروف ، من الناحية التاريخية ، ان امانة شرق الاردن قد تكونت بقرار صادر عن وزارة المستعمرات البريطانية على اثر المؤتمر الذي عقدته هذه الوزارة في القاهرة عام ١٩٢١ لضباطها العسكريين ولوظفيها الاداريين والسياسيين الذين « يشغلون مناصب حساسة في المنطقة » . وذلك على اثر تسلم تشرشل « بوصفه وزيراً للمستعمرات زمام المسؤولية عن دائرة الشرق الاوسط » . فقد اعتبر هذا المؤتمر « ان حكومة صاحبة الجلالة البريطانية مسؤولة فيما يتعلق بفلسطين ، عن انشاء وطن قومي لليهود فيها وذلك بموجب شروط الانتداب » . وأوصى المؤتمر « بأن تشكل شرقي الاردن مقاطعة عربية من فلسطين بقيادة الامير عبدالله شقيق فيصل بحيث يكون مسؤولاً امام المندوب السامي ، ولكن دون ان تكون هذه المقاطعة مشمولة في النظام الاداري لفلسطين وبالتالي دون ان تنطبق عليها شروط الانتداب . وفي مقابل ذلك كله وكذلك في مقابل تلقي مساعدة مالية ، تعهد الامير عبدالله - بعد عدة اجتماعات عقدها مع تشرشل في القدس - باحترام **الالتزامات البريطانية الدولية** سواء منها ما كان نحو فرنسا بشأن سوريا او نحو الصهيونيين بشأن فلسطين » (خط التشديد من الكاتب) . أما « الهدف الرئيسي من انشاء امانة شرق الاردن فكان ايجاد مأوى ومستوطن للفلسطينيين العرب الذين سوف يضطرون الى مغادرة فلسطين بسبب البرنامج الصهيوني » (١) .

فلسطين (قبل عام ١٩٤٨) : أدى عزل فلسطين سياسياً عن محيطها العربي الطبيعي والسياسي ، بالإضافة الى الوجود البريطاني العسكري المباشر ممثلاً في سلطة الانتداب ، الى تسهيل عملية الاستيطان الصهيوني واضعاف دور المواجهة العربية فيها ضد المشروع الامبريالي الصهيوني . وذلك نظراً لعدم تكافؤ أطراف الصراع : الشعب العربي الفلسطيني من جهة ، والاستعمار البريطاني والصهيونية من جهة ثانية .

كما لعبت فلسطين ، في ذلك الوقت دورا كومبرادوريا واضحا ولا سيما من خلال ميناء حيفا ومصفاة الاي.بي.سي.

فلسطين المحتلة (اسرائيل بعد ١٩٤٨) : دور سياسي عسكري على امتداد المنطقة العربية المجاورة لها . وخاصة لجهة عرقلة واستنزاف وضرب أية قوة سياسية في مراكز الثقل الحضارية والسياسية الاساسية (مصر ، سوريا ، العراق) ، من شأنها ان تهدد المصالح النفطية والامبريالية من خلال سعيها الى توحيد المنطقة العربية والسيطرة على الثروات القومية .

فخارج هذه الادوار الامبريالية الاساسية ، للكيانات — الانظمة المذكورة اعلاه ، لا وجود ، هناك ، لاي مبرر فعلي لاستمرارها وبقيتها . فمثلا لا يملك كل من الاردن ولبنان كتطرين معزولين ، نظرا لاعتمادهما في البقاء والاستمرار على دورهما في اطار المصالح الامبريالية الاقتصادية والسياسية ، الامكانيات الموضوعية والسياسية الكافية (القائمة او الكامنة) للتخلص من اطار التبعية بدون عملية الربط الجدلي السياسي — التنظيمي او الجبهوي لنضال الجماهير فيها بنضال الجماهير في سوريا ، بوجه خاص ، او مصر والعراق .

وبتعبير آخر ، فان القوى الوطنية الجماهيرية في هذه الكيانات لا تستطيع بقواها وحدها ، ومن خلال المعطيات الواقعية — الامكانيات الاقتصادية والشروط السياسية — ان تنجز مهام مرحلة التحرر الوطني ، التي تعني تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي ، دون العمل على الغاء الكيان السياسي الذي يعتبر ، في هذه الحالة التاريخية المحددة ، بمثابة الشرط السياسي للتبعية . وللدلالة على مدى ارتهان هذه الكيانات بعلاقات راسخة وجوهرية بالامبريالية ، فاننا نجد ، على سبيل المثال ، ان مجموع الايرادات المحلية للاردن عام ١٩٧٣ بلغ حوالي ٤٥ مليون دينار اردني ، وهو يعادل ميزانية الجيش وحدها التي بلغت لنفس العام حوالي ٤٤ مليون دينار اردني . هذا بينما وصلت الميزانية العامة الى حوالي ١٦٠ مليون دينار اردني . ويقوم بسد هذا العجز الضخم الحاصل في الميزانية الولايات المتحدة الاميركية والمانيا الغربية وبريطانيا وبعض الدول الغربية الاخرى ودول الخليج العربي والسعودية ، بشكل بارز ، وعدد من الدول العربية الاخرى .

ويلاحظ ان نسبة اعتماد الاردن على المساعدات الخارجية المباشرة كانت دائما تصل الى حوالي ثلثي الميزانية !

اما في لبنان ، فمن المعروف ان الدخل الناتج عن قطاع الخدمات ، المرتبط بصورة عضوية اساسا بعلاقات التبعية الامبريالية ، انما يصل الى حوالي ٧٠٪ من الدخل الاقتصادي العام .

ولكن ، ما يهمنا توكيده وابعازه ، هنا ، ان النضال الوطني الجماهيري المستقل في كل من هذه الكيانات المقترعة من سوريا العربية (الاردن ، لبنان ، فلسطين) ليس بمقدوره موضوعيا وذاتيا ، مهما بلغ من الشدة والتعاطف ووجود التنظيم السياسي الثوري من حسم مسألة السلطة وانجاز مهام مرحلة التحرر الوطني ، بدون الغناء الاساس السياسي للتبعية (الكيان السياسي) . وذلك من خلال التلاحم العضوي الجدلي السياسي — التنظيمي بالقوى الوطنية الثورية العربية ، وفي سوريا بوجه خاص .

فالنضال الوطني الجماهيري «المستقل» في هذه البلدان ، عدا عن العوائق الداخلية

الناجمة عن عدم نضج التركيب الاجتماعي - السياسي التي يواجهها وغياب الشروط والامكانيات الموضوعية لتحقيق الاستقلال الاقتصادي والسياسي ، سيجد نفسه ينزلق الى مخاطر الانحراف الموضوعي نحو الاصلاحية الاقتصادية وحصر حدود النضال ضمن مجال العمل على تحسين الشروط المعيشية ، نسبيا ، للجماهير الشعبية داخل اطار وهيئة علاقات التبعية .

ان ما اوردناه ، قبل قليل ، يطرح ، بصورة مباشرة وملحة ، على القوى الثورية الوطنية في هذه الكيانات بالذات الاجابة النظرية والعملية ، على ما يلي : « ماذا تعني ، هنا ، العلاقة الجدلية سياسيا وتنظيما ، وفي هذه المرحلة السياسية بالذات ، بين النضال المحلي القطري والقومي من المنظور الاشتراكي للثورة لا البورجوازي في كل كيان من هذه الكيانات ؟ اذ ان هناك علاقة عضوية تاريخية وسياسية مميزة بين كل من هذه الاقطار والقطر العربي السوري الحالي المنتزعة منه هذه الكيانات .

وتصورى ان شعار الوحدة العربية لا يبرز ، هنا ، كتبويج لتكامل النضال القومي بأفقه الثوري الاشتراكي ، بل كحاجة موضوعية سياسية واقتصادية لتوفير الشروط اللازمة لانجاز مهام مرحلة التحرر الوطني . هذا ، علاوة على ما يطرحه وجود اسرائيل المجاور لكافة هذه الاقطار من ضرورة ماسة لحشد اكبر القوى وتوسيع حدود المواجهة العسكرية (المقتصرة حاليا على رقعة جبهة الجولان الضيقة المساحة) للصمود امامها والتغلب على تفوقها التقني كأداة امبريالية .

والواقع ان مخططات التجزئة الاستعمارية التي جرت في سوريا العربية ، بشكل خاص ، والتي كانت تستهدف خلق كيانات سياسية اكثر من العدد المتبقي حاليا منها (كدولة اللاذقية ، ودولة جبل الدروز ، الخ . .) قد مهدت كثيرا وسهلت من مهمة انجاح المشروع الصهيوني ، مؤقتا ، في فلسطين .

فالقوى الاستعمارية ، لم يكن من مصلحتها الاستراتيجية البعيدة ، نظرا للاهمية الخاصة لمنطقة الشرق الاوسط في اطار المخططات الامبريالية ، الابقاء على مملكة فيصل ، بعد الحرب العالمية الاولى ، حتى كمملكة اقطاعية سياسية موحدة وحليفة للسياسة الاستعمارية في الوقت نفسه . . لان هذا من شأنه ان يفتح مجالا واسعا امام اضعاف حظوظ نجاح المشروع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين من جهة ، وامام امكان تطور القوى المنتجة وما يستتبعه ذلك من خلق قوة سياسية ثورية عربية واحدة في سوريا والعراق تسعى الى تحقيق الوحدة العربية مع مصر من جهة ثانية ، وهذا مما يعني عمليا التهديد المباشر بتصفية المصالح الامبريالية في المنطقة العربية وفي مقدمتها النفط .

ومن هنا ، فان مهمة تفتيت وفصل القوى المنتجة والسياسية في سوريا العربية - بهدف اضعاف قدراتها على التنمية ومواجهة الامبريالية والصهيونية - قد سارت جنبا الى جنب مع عملية صنع « دولة حاجزة » صهيونية لتقف سدا قويا بين سوريا والعراق معا وبين مصر فتعمل على استنزافهما واشغالهما بصورة شبه دائمة والحد من تطورهما وثموهما وتشكيل قوة سياسية عربية موحدة قادرة على تهديد وتصفية المصالح الامبريالية . فقد صرح وايزمن بكل وضوح « ان كومونة يهودية قوية قريبة من مصر ، يمكن ان تتحول الى سد منيع في وجه الاخطار المحتملة من الشمال » (٢) . وبالمقابل ، فقد جاء في مذكرة اعددها اركان الحرب في وزارة الحربية البريطانية عام ١٩٢١ ما يلي : « ان اقامة دولة يهودية حاجزة في فلسطين ، على الرغم من انها ستكون دولة ضعيفة بذاتها ، هي من الناحية الاستراتيجية شيء مرغوب فيه بالنسبة لبريطانيا

العظمى» (٢). كما كان بلفور قد صرح «... سواء أكانت الصهيونية عادلة أم لا ، حسنة أم سيئة ، فإن جذورها التي تأصلت ... وحاجات يومنا هذا وفي آمال المستقبل ، تفوق في أهميتها ومدلولها رغبات العرب ، الذين يقطنون هذه البلاد الموغلة في القدم» (٤).

وبعد ذلك أخذت «علاقات الصهيونية في فلسطين تتوثق مع الولايات المتحدة الأمريكية ، التي أمنت في الثلاثينات من هذا القرن حماية مصالحها «النفطية» ، بعد ان حصلت على امتيازات بترولية في البحرين والعربية السعودية ، حيث كان الاتحاد الاحتكاري «آرأبيان — أميركان أويل كومباني» يتحكم فيها منذ ١٩٣٩» (٥). «فتأسيس دولة صهيونية يملك مدلولاً عميقاً بعيد الأثر في مخططات الولايات المتحدة الاستراتيجية . إذ ان الدولة الصهيونية ستكون بمثابة دعامة حقيقية للامبريالية الأمريكية في صراعها ضد حركة التحرر الوطني للشعب العربي في الشرقين الأدنى والوسط» (٦).

وقبل ان نتعرض لسيمات الوضع الفلسطيني على ضوء نتائج التجزئة لا بد من ابداء الملاحظات التالية :

١ — ان الاساس الموضوعي لكون شعار الوحدة هو الشعار الاساسي المحرك للجماهير ، في كل من سوريا وفلسطين والاردن ولبنان ، طوال عشرات السنين التي خلت وحتى اليوم ، انما يعكس حقيقة موضوعية تتعلق بخصوصية التكوين السياسي لهذه المنطقة . وهو تعبير عميق عن ضرورة وحتمية تاريخية سياسية . وهذا مما يفسر ، بالتالي ، اسباب انطلاق أكثر الشعارات والدعوات والحدودية من سوريا العربية فمعظم الاحزاب الاساسية التي تصدرت الواجهة السياسية طوال السنوات السابقة ، رفعت شعار الوحدة كشعار أساسي ولو من منطلقات نظرية وسياسية مختلفة . وكما سبق وذكرنا ، فان الوحدة العربية ، هنا ، تبرز ، أمام الجماهير كطريق وحيد لاستكمال مهام مرحلة التحرر الوطني .

٢ — هناك اتجاه تتبناه بعض الحركات اليسارية في هذه المنطقة فحواه ان عمليات التجزئة التي حدثت في سوريا العربية ، وسواها من المناطق العربية الاخرى ، قد خلقت شروطاً موضوعية جديدة ، على كافة الاسعده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والايديولوجية ، في هذه الكيانات .

الواقع ان ثمة تغيرات وتطورات قد طرأت ، ولا شك ، على اوضاع الكيانات ، ولكن السؤال الجوهرى هو هل تمت هذه التغيرات والتطورات في اتجاه تدعيم أسس الاستقلال الاقتصادي والسياسي ، أم في اتجاه مزيد من الارتباط بأشكال التبعية الاقتصادية والسياسية للامبريالية ؟ وهل هذه التغيرات الجديدة تتيح مجالاً أمام نمو القوى المنتجة في الصناعة والزراعة أم انها تجري لصالح القطاعات الاقتصادية المرتبطة ، بحلقات متفاوتة ، بعجلة الاقتصاد الامبريالي وتقسيم العمل الدولي ؟ وذلك كتوسيع قطاعات الخدمات ونمو بعض الصناعات التحويلية والنجمية ؟

السيمات الخاصة للوضع الفلسطيني في ضوء نتائج التجزئة

ادت نتائج التجزئة الى وضع الشعب العربي الفلسطيني في مواجهة غير متكافئة ازاء الاستعمار الاستيطاني الصهيوني (الاداة الأكثر ضمانة وفعالية للامبريالية في المنطقة) والقوى الامبريالية والرجعية العربية المتعيشة على اوضاع التجزئة واستمرار التخلف .

فالأعداء الذين واجههم الشعب العربي الفلسطيني ، كانوا لا يستهدفون مجرد

الاكتفاء باقتلعه من ارضه ووطنه فحسب ، بل الى خلق اوضاع وشروط ملائمة ، ذات طابع استراتيجي ، لكبح واستنزاف وضرب أي محاولة وطنية ، وخاصة في مراكز الثقل السياسية والحضارية الاساسية في المنطقة العربية (لا سيما مصر وسوريا) ، تكافح من أجل كسر حلقة التخلف والسيطرة على الثروات العربية القومية .

فاسرائيل كاداة قهر امبريالية ، عمدت دائما الى عرقلة عمليات النمو والتطور في كل من مصر وسوريا واستنزاف طاقاتها في مختلف المجالات (حوالي ٦٠٪ من ميزانية سوريا ، قبل موازنة عام ١٩٧٤ ، و ٢٥٪ حسب موازنة ١٩٧٣ في مصر تذهب لاجراض الدفاع) .

وعليه ، فان المواجهة غير المتكافئة بين الشعب العربي الفلسطيني وبين الصهيونية والامبريالية والرجعية العربية ، اودت بكل التحركات والانتفاضات البطولية التي قام بها هذا الشعب الى الاحباط والفشل (حتى هزيمة ١٩٤٨) . وذلك بالرغم من التضحيات العظيمة وعنق أشكال المواجهة التي اتسم بها نضال الشعب الفلسطيني . وهذا الاحباط او الفشل لا يمكن الاكتفاء بتفسيره ، كما ينحو الى ذلك البعض ، في مجرد افتقار الشعب الفلسطيني الى قيادة ثورية بروتينارية توائم بين ممارسة أعلى أشكال النضال (الكفاح المسلح) وبين أعلى الأشكال السياسية — التنظيمية القادرة على صيانتته واستمراره فحسب ، بل ، ايضا ، الى عدم قدرة الشعب الفلسطيني وحده بطاقاته وامكانياته المحدودة — وخاصة بعد اقتلعه من ارضه عام ١٩٤٨ — على الحاق الهزيمة بقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية ، فعامل التفوق ، هنا ، في معظم المجالات ، لا يمكن تعديله بشكل جوهري وحاسم دون المشاركة الفعالة للشعوب العربية التي لها مصلحة حقيقية وحيوية في خوض غمار هذا الصراع .

علاقة فلسطين التاريخية والسياسية في سوريا العربية

فمن الوجهة التاريخية والسياسية « كانت فلسطين على الدوام جزءا من سوريا (أو الشام) ، وتذكر دائرة المعارف البريطانية ان المنطقة التي كانت تسمى فلسطينيا Philistia ، قد اعطت اسمها ، في القرن الثاني الميلادي ، الى سوريا الفلسطينية ، وهي الجزء الجنوبي من ولاية سوريا الرومانية » (٧) .

وبقيت فلسطين « جزءا من الشام حتى الاحتلال العثماني عام ١٥١٦ ، ولم يتغير وضعها بعد الاحتلال . وفي عام ١٨٤٠ ، الحقت القدس (بايالة صيدا) . وبعد عام ١٨٦٠ أقيم الباب العالي واليا على دمشق وصارت القدس متصرفية تابعة لولاية سوريا التي مركزها الشام (أي دمشق) . وبعد سنة ١٨٧٠ تعلقت رأسا بالباب العالي . ومع ذلك كانت متصرفية القدس تتبع ولاية بيروت في بعض الامور الثقافية والمالية ... صحيح ان فلسطين لم تكن حتى عام ١٩١٤ وحدة سياسية او ادارية مستقلة . لكن ذلك لا يعني ايضا أن شرق الاردن ولبنان وسوريا ، وهي أجزاء من بلاد الشام ، كانت جميعها وحدات سياسية او ادارية مستقلة . لقد كان لواء الكرك (وهو الان جزء من شرق الاردن) يتبع ولاية سوريا . كذلك كان لواء اللاذقية (وهو الان جزء من سوريا) يتبع ولاية بيروت . وضمت الاقضية الغربية (منطقة البقاع) من ولاية سوريا الى لبنان ... ونتيجة لكل ذلك فانه لم يكن من المتوقع ان تنشأ في فلسطين حركة وطنية مستقلة عن الحركة الوطنية العربية في سوريا ، وظلت الحركة الوطنية الفلسطينية تعمل ضمن الاطار العام للحركة الوطنية في سوريا حتى بعد الحرب العالمية الاولى » (٨) .

الان « المصالح المتضاربة للدول الاستعمارية هي التي رسمت حدود المنطقة البنيئة

(فلسطين — حسب خريطة اتفاقية سايكس — بيكو . الكاتب) وهي نفسها التي قررت (دوليتها) ، وهذا مما حدا بلورنس الى ان يؤكد ان اتفاق سايكس — بيكو كان منافيا للعقل والواقع في مسألة الحدود « (٩) .

ولقد ادرك وتنبه العديد من المفكرين والكتاب العرب والفلسطينيين ، بصورة مبكرة ، لدى الترابط العضوي السياسي بين فلسطين والاقطار التي تجاورها . ففي كتابه « يقظة الامة العربية » عام ١٩٠٥ نادى نجيب عازوري ، وهو لبناني الاصل مقيم في فلسطين ، « بضرورة فصل الاجزاء العربية من الامبراطورية العثمانية لاقامة دولة عربية واحدة مستقلة » . ويرجح ان يكون الدافع المباشر الذي حدا بنجيب عازوري على المطالبة بالانفصال الكامل عن الدولة العثمانية الاعتقاد باستحالة صد الخطر الصهيوني في اطار دولة مكبلة بقيود « الامتيازات الاجنبية » التي كان اليهود يستغلونها ايما استغلال « (١٠) .

كما صرح الكاتب الفلسطيني خليل السكاكيني في ١٩١٤ موضحا طبيعة التحدي الصهيوني وعلاقته بالتجزئة فقال « ان الصهيونيين يريدون ان يمتلكوا فلسطين قلب الاقطار العربية والحلقة الوسطى التي تربط شبه الجزيرة العربية بافريقيا . وهكذا يبدو انهم يريدون كسر الحلقة وتقسيم الامة العربية الى جزئين للخيلولة دون توحيدها » (١١) .

واثر الحرب العالمية كتبت صحيفة « الكرمل » ، التي لعبت دورا وطنيا اعلاميا بارزا في تلك الاونة ، « اننا لنحتج بشدة ضد عزل فلسطين عن امها سوريا وجعلها وطنيا قوميا لليهود » (١٢) .

ومن ناحية ثانية ، عبرت مختلف المواقف والنشاطات السياسية التي قام بها عرب فلسطين ، وذلك بصورة عفوية ودائمة ، عن استنكارها للمخطط الاستعماري الاستيطاني الصهيوني لعزله فلسطين عن سوريا العربية . فقد جاء في بعض قرارات المؤتمر العربي الفلسطيني الذي انعقد في القدس ، ما بين ٢٧ كانون الثاني و ١٠ شباط ١٩١٩ ما يلي :

« ١ — اننا نعتبر فلسطين جزءا من سوريا العربية اذ لم يحدث قط ان انفصلت عنها في أي وقت من الاوقات . ونحن مرتبطون بها بروابط قومية ودينية ولغوية وطبيعية واقتصادية وجغرافية .

٣ — ... اننا نعرب عن رغبتنا بان لا تنفصل سوريا الجنوبية او فلسطين عن حكومة سوريا العربية المستقلة وان تكون متحررة من جميع انواع النفوذ والحماية الاجنبتين » (١٣) .

ووقتها علق الكاتب كامب من دائرة الاستخبارات البريطانية على قرارات هذا المؤتمر ، بحس استعماري دقيق ، بقوله « بانضمام فلسطين الى سوريا العربية يصبح في وسع شعب فلسطين بمساعدة العرب الاخرين ان يتاوموا بنجاح الهجرة اليهودية » (١٤) .

اما المؤتمر السوري العام الذي عقد في دمشق عام ١٩٢١ وضم « مندوبي جميع المناطق الثلاث الجنوبية والشرقية والغربية ، والحائزين على اعتمادات سكان مقاطعاتهم وتفويضاتهم من مسلمين ومسيحيين وموسويين » ، فقد نص البنودان ٧ و ٨ من البيان الذي اصدره المؤتمر على :

« ٧ — اننا نرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبي من البلاد السورية ، اي فلسطين ، وطنيا قوميا للاسرائيليين ونرفض هجرتهم الى أي قسم من بلادنا لانه ليس لهم فيها ادنى حق ولاتهم خطر شديد على شعبنا من حيث الاقتصاديات والقومية والكيان السياسي ..

٨ - اتنا نطالب عدم فصل القسم الجنوبي من سوريا المعروفة بفلسطين والمنطقة الساحلية التي من جبلتها لبنان ، عن التطر السوري ونطلب ان تكون وحدة البلاد مصونة لا تقبل التجزئة بأي حال كان « (١٥) . وبالمقابل ، فقد سجلت لجنة كنف - كرين الدولية ، التي جاءت عام ١٩١٩ « لدرس قضية الولايات العربية والوقوف على رغبات سكانها » ، في نهاية دراستها « . لم يبد العطف على اقامة وطن قومي لليهود الصهيونيين في ذلك البلد سوى ما يقارب عشر مجموع عدد السكان . أما بقية السكان من مسلمين ومسيحيين على السواء فانهم اعربوا عن رغبتهم بالحفاظ على وحدة بلادهم مع سوريا التي يعتبرون فلسطين من كلتا الوجهتين التاريخية والجغرافية جزءا منها » (١٦) .

والحقيقة ان غالبية انواع المؤتمرات ومختلف الوان النشاطات السياسية والحزبية في فلسطين وسوريا والمنطقة العربية كانت تشدد وتؤكد على الوحدة الطبيعية والتاريخية والسياسية والنضالية التي تجمع بين فلسطين واقطار سوريا العربية بوجه عام . ففي عام ١٩٣١ عقد اجتماع ضم حوالي خمسين سياسيا من اقطار عربية مختلفة تم فيه وضع « ميثاق قومي » نصت بنوده على الدعوة لاستقلال البلاد العربية ووحدتها ورفض الاستعمار بجميع اشكاله (١٧) . وكان من ابرز الذين وقعوا البيان ، رياض الصلح وشكري القوتلي وعوني عبد الهادي .

وإذا ما القينا نظرة على مبادئ حزب الاستقلال ، الذي تأسس عام ١٩٣٢ في فلسطين ، فاننا نجد ان مبادئه الاساسية هي :

« ١ - استقلال البلاد العربية استقلالا تاما . ٢ - البلاد العربية وحدة تامة لا تقبل التجزئة . ٣ - فلسطين بلاد عربية ، وهي جزء طبيعي من سورية » (١٨) .

وقد جاء في مذكرة الحزب العربي الفلسطيني المقدمة الى لجنة التحقيق الانكلو اميركية عام ١٩٤٦ « ان اطلاقا بسيطا على تاريخ فلسطين يكفي للدلالة على ان تلك البقعة انما هي جغرافيا واجتماعيا واقتصاديا جزء من متحد اجتماعي اوسع ، وان فصلها عن جسم هذا المتحد ، وخلق كيان سياسي قائم بذاته فيها ، كان اجراء كفيلا تعسفا غير مستند على اساس اية اعتبارات طبيعية على الاطلاق ، بل ان هذه التجزئة (التي اثارت الاستنكار والاحتجاج داخل فلسطين وخارجها) قد احدثت اضرارا جسيمة بمصالحها القومية والاجتماعية والاقتصادية . لقد قامت في فلسطين ، منذ بدء التاريخ ، دورة حياة اجتماعية طلقة التفاعل وممتدة عبر الحدود الحالية لهذه البقعة ومتصلة بدورة الحياة في الاقطار المتاخمة » (١٩) .

آثار الانتداب البريطاني على الاوضاع الداخلية في فلسطين

شملت الآثار الضارة ، التي لحقتها سلطات الانتداب البريطاني الاستعمارية في فلسطين ، مختلف الاصعدة والجات السياسية والاقتصادية . فعلاوة ، على ما سبق ذكره ، من فصل فلسطين عن سوريا العربية وتسهيل وانجاح المشروع الاستيطاني الصهيوني ، فقد حولت بنود الانتداب الدولة المنتدبة بريطانيا « السلطة في التشريع والادارة » كما نصت على ذلك المادة الاولى من الانتداب .

هذا في حين لم تنص بنود الانتداب في كل من مصر وسوريا والعراق على ان للدولة المنتدبة مثل هذه السلطة المطلقة التي كانت لها في فلسطين .

لقد عملت بريطانيا على تنفيذ المخطط الامبريالي الصهيوني من خلال صك الانتداب . فقد جاء في المادة الثانية من صك الانتداب « الدولة المنتدبة مسؤولة عن جعل البلاد في احوال سياسية وادارية ، واقتصادية تكفل انشاء الوطن القومي لليهود » (٢٠) .

فما هي طبيعة هذه « الأحوال السياسية والادارية والاقتصادية » التي قامت بها بريطانيا؟ يقدم لنا وايزمن في مذكراته الاجابة الموجزة عن هذا السؤال « لقد اتفقت مع الحكومة البريطانية ، التي تبنت الحركة الصهيونية على تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب ، ولقد كان مقدرنا لذلك الاتفاق ان يتحقق في عام ١٩٣٤ ، لولا ان ثورات قام بها عرب فلسطين اعاقمت ذلك » (٢١) .

أما الاجراءات والخطوات ، التي قامت بها بريطانيا ، « بهدف تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب » فنذكر أهمها على الصعيد الاقتصادي - الاجتماعي: « اوقفت سلطات الانتداب بعد الحرب مباشرة القروض الزراعية ، وبدأت تجمع قروض البنك الزراعي العثماني . في وقت كان فيه الفلاحون أشد ما يكونوا عوزا وحاجة . وكان مما فعلت ايضا انها منعت تصدير المحصولات الزراعية كالقمح والزيت فهبطت اسعارها . وفي الوقت ذاته ، باعت السلطة المحتلة الدواب للفلاحين بأسعار خيالية .. ولما كان الفلاح مطالباً بدفع الدين المستحق عليه للإدارة العسكرية نقداً . ، واسعار المحصولات في انخفاض أصبح في وضع لا يحسد عليه » (٢٢) . وبعد ذلك « جاءت الحكومة تستوفي العشر منه (الفلاح) نقداً ، بدلا من ان تفعل كتركيا التي كانت تستوفي عينا بواسطة المتزمين ، وهذا مما زاد في ضيق الفلاح ، ثم خمست العشر ، أي فرضته على معدل خمس سنوات ، فازداد خرابه ، لان تخمينها كان بأسعار المسنين التي كانت فيها الاسعار عالية ، فكان يصل العشر الى ثلث الموسم (المحصول) أو أكثر .. ان اقراض الفلاحين من بنك باركليز هو أكبر عامل لخراب الفلاح ، فهذا المسكين يدفع ٩٪ فائدة ، وفي الحقيقة الفائدة تتجاوز ذلك كثيرا . وهو يلتزم ان يدفع الفائدة سلفا ورأس المال في آخر السنة ، وهو أمر لا يستطيعه ولا يد له فيه .. » (٢٣) .

وعلاوة على ذلك ، افرزت حكومة الانتداب البريطانية الاراضي المشاع في القرى لان « وجود المشاعات كان حائلا دون تمكين اليهود من شراء الاراضي » كما استخدمت القوة المسلحة في طرد ٢٧٤٦ عائلة عربية من ٢٢ قرية في مرج ابن عامر و ١٥٥٠٠ عربي من وادي الحوارث ، و ١٥ ألفا من الحولة ، والوفا آخرين من اراضي الساخنة ، وغور بيسان ، وطبعون ، والزبيدات ، والمنسى وغيرها » (٢٤) .

هذا ، مع العلم ان فلسطين كانت بلدا زراعيا ، بالدرجة الاولى ، اذ كانت « تبلغ نسبة الصادرات الزراعية حوالي ٩٠٪ من مجموع الصادرات ، ثم ان أكثر « الصناعات » وأكثر التجارة متعلق بالزراعة ومعتمد عليها » (٢٥) .

ويضاف الى ما ذكرنا التسهيلات التي قامت بها حكومة الانتداب لامتلاك المستعمرين الصهيانية أهم الاراضي الفلسطينية جودة وخصوبة .

وقد جاء في تقرير رفعه ج. س. سايمز حاكم نواء حيفا الى تشرشل في ٣/٤/١٩٢٢ عن أسباب استياء السكان العرب في منطقتهم « الأعمال في عكا وشفا عمر متوقفة ، وفي حيفا تكاد تكون جميع أنواع العمل التي تعود بالريح على العرب في تدهور .. كما أنه من الواضح ان الحواجز الجمركية مع سوريا أخذت تنقل تجارة الترانزيت .. فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع بالفرق يكاد يتوقف عن العمل . بل ان الحمالين وغيرهم ممن يمارسون الاعمال غير الدائمة ، فقد أخذ وضعهم يتأثر بسبب الأفضلية التي تمنحها المؤسسات اليهودية واصحاب العمل اليهود للمهاجرين الجدد من العمال .. وتعاني جميع طبقات سكان المدن من ارتفاع تكاليف المعيشة .. أما الطبقات الاجتماعية الاعلى نسبيا كالتجار الامتدعية ، فانهم يكادون يصلون الى حافة

اليأس . . وكثيرون منهم يواجهون الخيار بين الافلاس والهجرة . . وليست حالة مالك الارض الكبيرة خيرا من ذلك بكثير ، فهو مثقل بالديون وليس في وسعه ان يحصل على مزيد من القروض . فأسعار الحبوب منخفضة كما ان الاسواق الخارجية ، لسبب او آخر ، مغلقة في وجهه . . ويرى ساكن المدينة ان ما يعانيه من حالات العجز واليأس انما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية وما يترتب عليها من الهجرة اليهودية « (٢٦) .

ولقد ترتب ، عن تدفق الاعداد الكبيرة من المهاجرين الصهاينة على فلسطين واتباع سياسة « تهويد العمل » الحثاقي اضرار بالغة على مجموع التطور الاقتصادي والصناعي للسكان العرب . فحسب احصاءات الصناعة لعام ١٩٤٢ في فلسطين ، بلغ مجموع العرب الذين يعملون في الصناعة ٨٨٠٤ اشخاص فقط ، في حين بلغ عدد اليهود العاملين في الصناعة لنفس العام ٣٧٧٧٣ ألفا . وقد كان مقدار رأس المال العربي المستثمر في الصناعة ٢١٣١٠٠٠٠ جنيه فلسطيني ، مقابل ١٢٠٩٤٠٠٠٠ ر. ١٢ جنيه فلسطيني لنفس العام المذكور (٢٧) . وفي عام ١٩٤٣ « كان نصيب الرأسماليين الصهاينة « اليشوف » ٥٥٪ من مجموع المنشآت الصناعية في البلاد و ٨٠ - ٩٠٪ من مجموع التوظيفات في مجال الصناعة » (٢٨) .

هذه هي بايجاز بعض الملامح الاساسية التي خلفها تأثير الانتداب البريطاني على الأوضاع الاقتصادية - الاجتماعية في فلسطين .

٢ - موقع وعلاقة المشكلة الفلسطينية بطبيعة الصراع الاساسي في المنطقة العربية
يتحدد المنطلق الاساسي الثاني في فهم الوضع الفلسطيني ، من خلال توضيح موقع وعلاقة ما يسمى « بالمسألة الفلسطينية » من طبيعة الصراع الاساسي في المنطقة العربية .

الواقع ان ما يسمى بالمسألة الفلسطينية ليست سوى المظهر الحاد الطامح على سطح الجولات الاولى من الصراع الاساسي الدائر في المنطقة العربية . وهو صراع يدور بين الجماهير العربية من جهة ، وبين الامبريالية ، وخاصة الامريكية ، وادواتها السياسية في المنطقة والنظم السياسية التي تحول دون ممارسة الجماهير وحقوقها الديمقراطية ودورها السياسي في حوض الصراع من جهة ثانية .

وتلعب اسرائيل في هذا الصراع ، كاداة امبريالية ، دورا خاصا وخطيرا في عرقلة ومنع اية محاولة وطنية ، ولا سيما في مراكز الثقل السياسية والحضارية الغربية الاساسية (مصر ، سوريا ، والعراق) ، من كسر حلقة التخلف والتبعية وتشكيل قوة سياسية تكون مؤهلة للعب دور اساسي في توحيد المنطقة وتهديد المصالح الامبريالية ولا سيما استمرار تدفق النفط .

فالخطر الاساسي ، الذي يهدد المصالح الامبريالية في المنطقة ، انما ينطلق من البلدان العربية المشار اليها اعلاه . كمراكز ثقل حضارية سياسية اكثر تطورا وكثافة بشرية من غيرها من البلدان العربية الاخرى . مما يجعلها مرشحة اكثر للعب دور اساسي في مواجهة المصالح الامبريالية .

وقبل لقاء مزيد من الضوء على طبيعة الدور الاسرائيلي المعادي لاي نهوض ثوري عربي ، لا بد من الاشارة السريعة الى « المكائنة الخاصة » التي يحتلها « الشرق الادنى . . في مخططات السياسة الامبريالية » والمتأتية « من الاهمية السياسية والاقتصادية والعسكرية لهذه المنطقة . . اما منطقة الشرق الادنى وحوض البحر

الابيض المتوسط فتنظر اليهما الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وشركاؤهما في حلف شمال الاطلسي ، على اساس انهما رأس جسر للعدوان ضد الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الاخرى . فعبر الوطن العربي تمر أهم طرق المواصلات البحرية والجوية ، كما يلتصق مباشرة بافريقيا ، التي تخوض ضد الامبريالية صراعا من أجل حفظ مواعنها . كما تتركز في بلدان الشرق الأدنى احتياطات هائلة من النفط . وفي بداية السبعينات من هذا القرن اتضح انه يوجد في الاقطار العربية ما يعادل ٧٠٪ من احتياطي النفط المكتشف في العالم الرأسمالي «(٢٩)» .

فاسرائيل في مخططات الامبريالية العالمية لم تقم لأجل احتلال فلسطين وطرد الشعب الفلسطيني من أرضه فحسب ، بل من أجل ممارسة دورها في عرقلة وكبح واستنزاف اي نهوض وطني للشعوب العربية المجاورة ، وخاصة في مراكز الثقل الاساسية منها ، الذي من شأنه ان يهدد المصالح الامبريالية في المنطقة .

والحركة الصهيونية وضعت نفسها ، منذ البداية ، كعقبة لحركة التحرر الوطني للشعوب العربية . وقد كانت دائما توظف دورها وخدماتها الى جانب مركز الثقل الامبريالي على الصعيدين العالمي والمحلي .

وسوف نترك للمعلقين السياسيين الاسرائيليين انفسهم شرح طبيعة الدور الذي تقوم به اسرائيل ، في هذه المرحلة ، كاداة في خدمة المخططات الامبريالية الاميركية . وذلك من خلال الغاء او ابعاد اضطرار الولايات المتحدة الى التدخل ، بصورة مباشرة ، لحماية مصالحها في هذه المنطقة .

فقد كتب المعلق السياسي لجريدة هارتس يوثيل ماركوس ، في اعقاب الزيارة التي قامت بها جولدا مائير للولايات المتحدة في اذار ١٩٧٣ مفصحا عن طبيعة الحجج التي قدمتها جولدا مائير لنيكسون بهدف الغاء امكانية بحث مشروع روجرز ، كتب يقول : « لقد اوضحنا للدائرة وللجمهور الأمريكي انه ان تكون هناك فييناثام ثانية ، وانه لن يسفك هنا الدم الأمريكي ، وكما قال تشرشل في حينه لروزفلت قلنا نحن ايضا : اعطونا الادوات ونحن نقوم بالمهمة . . والحقيقة ان الأمريكيين لم يسمفكوا ولن يضطروا الى سفك دماهم هنا ، ما داموا يعطوننا المعدات اللازمة . . ان اسرائيل قوية هي في الحقيقة ضمانا للمحافظة على المصالح الاميركية في المنطقة . وقد اوضحنا ان الجيش الاسرائيلي بقوته المطلقة لا النسبية ، هو خط الدفاع الاول عن المصالح الاميركية في حوض البحر الابيض المتوسط أكثر من معظم دول الحلف الاطلسي . اضع الى ذلك اننا قلنا على مسمع الأمريكيين اننا ، ايضا ، الضمانة الوحيدة للمحافظة على الانظمة . . الموالية لهم في المنطقة ، ومهما يبدو هذا الامر غريبا فان اسرائيل في نهاية الامر ، هي التي تحمي نظام الاردن الموالي للغرب «(٣٠)» .

وفي وقت لاحق كتب شفيتسر وهو معلق صهيوني آخر في نفس الصحيفة الصهيونية بصورة لا تقل وضوحا عن ماركوس « ان اسرائيل كدولة قوية ، وذات قدرة عسكرية غير قليلة . . هي شريكة مرغوب فيها لتجسيد سياسة امريكية من النوع المذكور هنا . وهذا لا يعني اعطاء قواعد وما شابه ، بل وجود قوة عظمى في المنطقة كاسرائيل تتماثل مصالحها ، الى حد كبير ، مع المصالح الاميركية . ان الثمائل المصلحي هو ضمان استمرار تدفق النفط الى الأسواق الغربية . . وهناك الى جانب الواقع العسكري حقائق اخرى ، تثبت اهمية استمرار المشاركة ، ومنها ان هذه السياسة الامريكية تصطدم بعقبات محلية ، نابعة في الاساس ، من الحركة القومية العربية . .

ان شرط قيام هذه المشاركة مع الولايات المتحدة هو كون اسرائيل دولة عظمى في المنطقة» (٢١).

وبعد حرب تشرين علق جرشوم شوكن في نفس الصحيفة الصهيونية مؤكدا بان « أمريكا لن تخدم مصلحتها ، اذا هي رأت في دعمها لاسرائيل ، دعما لمحتاج ، عليه ان يدفع ثمن المساعدة .. وليس اتفاقا مجددا للمحافظة على المصالح الحيوية للولايات المتحدة» (٢٢).

وفي ١١/١١/٧٣ كتبت صحيفة هآرتس عن ان المبادئ الاساسية للعلاقات الامريكية - الاسرائيلية ، ما زالت ثابتة لا تتغير ، كما كشفت في الوقت نفسه حقيقة ما يسمى « بضغط » اليهود في اميركا ، فذكرت « ان المساعدات لا تأتي بضغط من يهود اميركا او بسبب وجود نظام ديمقراطي في اسرائيل ، وانما بسبب المصلحة المشتركة للدولتين . ومن هنا فليس على اسرائيل ان تنهج نهج الدولة التابعة ، وهي لا تستطيع البقاء اذا اصبحت هكذا . وكلما تراجعت اسرائيل قلت قيمتها في نظر اميركا .. واسرائيل المقلصة لا تستطيع ان تتطلع الى المساعدة الامريكية الضخمة ذاتها التي ستحتاج اليها الى الابد ، بل ستقلب الى مصدر ازعاج وستنبذ ... علينا الا نطلب من الولايات المتحدة عوناً ، وانما شبكة دفاع اقليمية مشتركة .. تضع طاقاتها في خدمة المصالح الامريكية ، وبذلك تصبح اسرائيل اهم بالنسبة لاميركا من أوروبا .. فقط كحليفة مستقلة ذات قوة كبيرة ضرورية لامن الولايات المتحدة تستطيع اسرائيل ان تتمتع بتعاون امريكي لمدة طويلة» (٢٣).

اذن ، فالدور الذي تقوم به اسرائيل في المنطقة ، لا يمكن تفسيره ، فقط ، باصرارها على احتلال فلسطين والاراضي العربية المحتلة عام ٦٧ بهدف تحقيق اطماعها الصهيونية الخاصة ، بل علينا ، بشكل رئيسي ، ان نتساءل عن طبيعة الوظيفة التي تؤديها للامبريالية الامريكية من خلال تمسكها باحتلال الاراضي العربية وخلقها لحالة شبه دائمة من التهديد العسكري وما يسفر عنها من استنزاف لا ينقطع لطاقات وموارد وامكانات مراكز الثقل السياسية العربية الاساسية واثقالها عما يجري من نهب للثروات البترولية العربية .

ومن هذا المنطلق ينبغي النظر الى طبيعة الصراع الاساسي في المنطقة وموقع المشكلة الفلسطينية من هذا الصراع ، والى التقييم والتفحص المتعمق لما يسمى بمحاولات التسوية السلمية .

فقد جاء في الخطاب التاريخي السياسي الهام الذي القاها الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية امام الجمعية العامة للأمم المتحدة « هذه الدولة العنصرية التي قامت على اساس الاستعمار الاستيطاني لم تكف بكل ذلك ، اذ جعلت من نفسها قاعدة للامبريالية وراحت تتحول الى ترسانة من الاسلحة لاكمال مهمتها في اخضاع الشعوب العربية والعدوان عليها ..» (٢٤).

الموقع والسمات السياسية المميزة للوضع الفلسطيني من الصراع الاساسي في المنطقة

لقد ادى الصراع في جولاته الاولى بين الشعوب العربية والامبريالية واداتها الرئيسية اسرائيل ، الى عملية اقتلاع وتشريد الشعب العربي الفلسطيني من معظم اراضيه . وذلك نظرا لطبيعة القوى الطبقة العربية الاساسية ، ووجود عامل التجزئة

ونتاؤها الخطيرة المشار إليها قبل قليل على فلسطين ، بالإضافة الى الدور التخريبي الذي قامت به الرجعيين العربية .

وتتجسد القضية الوطنية للشعب العربي الفلسطيني ، اي حقوقه الوطنية في وطنه وحقه في تقرير المصير على ارضه ، من الناحية السياسية في المرحلة الراهنة في حقه الكامل بالنضال جنباً الى جنب مع الشعوب العربية الأخرى (ولا سيما المجاورة) ضد الوجود الامبريالي في فلسطين خاصة والمنطقة عامة .

أما السمات السياسية المميزة للوضع الفلسطيني ، والناجمة عن الجولات الاولى من الصراع ، فهي ان الشعب العربي الفلسطيني بات يعاني ، في غالبته ، صنوفاً حادة متداخلة ، من القهر الوطني والاجتماعي والمعيشي لا تعانها بنفس الحدة والدرجة الشعوب العربية الأخرى المجاورة لفلسطين . وهذا مما يضع ، في التحليل النهائي ، موقع الشعب الفلسطيني من الحركة الاستيطانية الصهيونية الامبريالية ، التي سلبته الارض والتكوين الاجتماعي — السياسي ، في موقف التناقض المطلق معها وفي مختلف المجالات والاصعدة التاريخية والسياسية والايديولوجية .

وعليه ، فان **القانون الاساسي المحرك للنضال الفلسطيني (ولا سيما بعد ١٩٤٨)** ، هو ان الغالبية العظمى من هذا الشعب العربي لا تستطيع ، بحكم نتائج وآثار عملية الاقتلاع من الارض وما تلاها من تداخل القهر الوطني والاجتماعي معا ، ان تؤجل عملية الدخول والاسهام المباشر في الصراع والنضال ضد الصهيونية والامبريالية . فالشعب العربي الفلسطيني هو ، مثلاً ، الى جانب الناصرية في تناقضها النسبي ، اiban مرحلة صعودها ، مع علاقات النفوذ والسيطرة الامبريالية والوجود الصهيوني . وهو ، في المقابل ، على استعداد ان يكف عن ولائه للناصرية او سواها من الاتجاهات والحركات السياسية العربية والفلسطينية الأخرى عندما يبدأ يتقلص حجم تناقضها مع الامبريالية والصهيونية والرجعية في المنطقة .

فلقد « طبع جماهير الشعب الفلسطيني بنوع من العنف والحدة ، وبسرعة الاستجابة للتضامن مع أي نضال عربي ضد الاستعمار ، وبتأييد أي حركة وحدوية في الوطن العربي ، وعدم قبول الحلول الوسطية ، بسبب اقتناع الجماهير تاريخياً بعقم تلك الحلول ، مما أدى الى انغراس هذا الاتجاه بشكل مرضي في بعض الظروف ، ففقدت (الجماهير) صفة المرونة احياناً ، كما اتصفت جماهير الشعب بالحذر نتيجة التضليل الطويل الذي مارسه قيادة الحركة الوطنية في فلسطين (قبل عام ١٩٤٨) » (٢٥) .

ونحن نلاحظ ، في هذا الصدد ، ان النضال الفلسطيني الذي فجرته حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) عام ١٩٦٥ ، قد برز الى حيز الوجود المؤثر حين بدأت الحركات والقوى السياسية الممثلة لراسماليات الدولة تميل (بحكم حركة قوانينها التطبيقية الداخلية) الى المهادنة مع الامبريالية وأدواتها في المنطقة .

ففي بداية ومنتصف الستينات ، وبعد فشل تجربة الوحدة الاولى بين مصر وسوريا ، شهدت المنطقة تراجعاً واضحاً للحركات والقوى السياسية البورجوازية من خلال طرح « وحدة الصف » بذل « وحدة الهدف » وتحول شعار النضال ضد الوجود الصهيوني من مسألة الاعداد الحقيقي للتحرير الى مسألة تحويل رواند نهر الاردن . وليس من قبيل المصادفة العابرة ان تشهد الساحة الفلسطينية في هذه الاثناء ولا سيما خلال عامي ٦٤ — ١٩٦٥ ظهور ما يزيد عن ٤٠ تنظيمياً سياسياً فلسطينياً ، وصل عددها ، بعد عمليات التوحيد والدمج والحل ، الى حوالي ١١ تنظيمياً بعد هزيمة ١٩٦٧ ، ثم الى العدد الاساسي الحالي اليوم .

محاولات طمس الشخصية الوطنية النضالية الفلسطينية

وهنا علينا ان نوضح طبيعة الموقف الذي قامت به الانظمة العربية ، قبل البداية الجديدة للثورة الفلسطينية مطلع ١٩٦٥ ، تجاه طمس الشخصية الوطنية النضالية الفلسطينية والحاقتها في فلك سياساتها . فالرجعية العربية بعد هزيمة ١٩٤٨ ممثلة ، بصفة خاصة ، بالنظامين الاردني والملكي في مصر ، عمدت الى اقتطاع الاجزاء المتبقية من فلسطين (الضفة ، غزة) والحاقتها ، بأشكال متفاوتة بالاطار السياسي لأنظمتها . ولم تنسح الانظمة العربية الاخرى ، فيما بعد ، الى ابراز ودعم الشخصية الوطنية النضالية الفلسطينية ، بل اتجهت الى احتوائها ضمن الخط العام لسياساتها الرسمية المعلنة من جهة ، ومن خلال حركاتها واحزابها وتياراتها السياسية البورجوازية التي كانت تطرح في غالبيتها شعارات الوحدة والتحرر وتحرير فلسطين والاشتراكية من جهة ثانية .

وقد لاقت هذه الشعارات استجابة نضالية عالية من قبل جماهير الشعب الفلسطيني بحكم كون هذه الشعارات هي الشعارات المركزية لنضال الجماهير العربية . ولكن الفرق الجوهرى ، هنا ، ان هذه الشعارات كانت مطروحة من زاوية المنظور الايديولوجي والبرنامج السياسي للبورجوازيات . وذلك في مرحلة صعودها وتناقضها ، النسبي ، مع المصالح والمواقع الامبريالية في المنطقة العربية .

وبعد هزيمة ١٩٦٧ سعت السياسات البورجوازيات العربية الى تشجيع وتأييد النضال الوطني الفلسطيني من أجل امتصاص النقمة الجماهيرية من جانب ، والى محاولة توجيه هذا النضال وحصره ليأخذ طابع النضال فقط ضد اسرائيل . وذلك في محاولة منها لاستخدامه كورقة ضغط في المساعي المبذولة لابرار التسوية مع الامبريالية والصهيونية .

الا ان ما يهمنى توكيده ، هنا ، ان النضال الوطني الفلسطيني المستقل انطلق عام ١٩٦٥ مجددا بعد الاخفاقات (التي لها جذورها الطبقية - السياسية الداخلية) التي منبت بها مسيرة النضال الوطني التحرري من خلال المنظور والسياسة البورجوازية . ذلك النضال الذي انخرط فيه الفلسطينيون بحماسة فائقة ضمن ائتسكاله وأطره التنظيمية وآفاقه السياسية المتاحة وقتها .

وقد كان أهم ما يطرحه انطلاق النضال الوطني الفلسطيني المستقل ، هو قضية التعبير السياسي القوي عن وضع غالبية قطاعات الشعب الفلسطيني ، فهي لا تستطيع ان تتحمل مسألة تأجيل او تخفيف احتدام الصراع مع الامبريالية والصهيونية والرجعية . ومن جهة ثانية ، ادى ظهور حركة المقاومة الفلسطينية عام ١٩٦٥ الى النتائج الايجابية الاساسية التالية :

١ - ابراز الشخصية والهوية الوطنية النضالية الفلسطينية ، (ا) كقضية شعب (لا قضية لاجئين) له حقه في تقرير المصير ، (ب) كقضية تحرر وطني استطاعت ان تلعب دورا مؤثرا في النضال ضد اسرائيل والامبريالية والقوى الرجعية في المنطقة ، كما استطاعت ان تفرض نفسها بالكفاح والنضال على الساحتين العربية والدولية .

٢ - بعث الروح الكفاحية الصدامية الوطنية الفلسطينية في أعلى اشكال نضالها من خلال ممارسة أسلوب الكفاح المسلح لانتزاع حقوقها . وقد ساهم بعث هذه الروح الصدامية الكفاحية ، التي اكتسبها الشعب العربي الفلسطيني في خضم نضاله الطويل العنيد في مواجهة الصهيونية والامبريالية ، في نشر وتعزيز تقاليد الفداء والتضحية الوطنية على نطاق جماهيري عربي واسع .

٣ — بث عدد من الافكار الثورية في صفوف الجماهير ، كان أبرزها الفكرة القائلة ان حل المسألة الوطنية (انجاز مهام الاستقلال الاقتصادي والسياسي) انما يتم عن طريق تعبئة الشعب وتسليحه والدور الفعال الذي يقوم به في خوض الصراع .

٤ — تطوير الخبرات القتالية العسكرية لدى قطاعات واسعة من الجماهير الفلسطينية بصفة خاصة ، والجماهير العربية بصفة عامة .

٥ — لحم وتعبئة الشعب العربي الفلسطيني المشتت في بنى وأطر سياسية تنظيمية ، (مهما كانت أوجه القصور في بنائها السياسي والمآخذ عليها) ، فهي قد لعبت دورا ايجابيا في تنظيم جزء لا يستهان به من طاقات وفعاليات الشعب العربي الفلسطيني في مواجهة الصهيونية والامبريالية .

أبرز المعضلات والمهام الاستراتيجية

الا ان أبرز المعضلات والمهام الاستراتيجية التي يواجهها هذا النضال لكي يتصاعد ويلعب دورا أكبر هي : ١ — مسألة الاجابة عن كيفية التنسيق الوطيد مع النضال الجماهيري الثوري في البلاد العربية الاخرى . وذلك على ضوء المعطيات الواقعية والتطورات السياسية والاعتبارات التكتيكية التي تفرضها وتملبها طبيعة كل مرحلة سياسية . ٢ — مسألة النضال الدؤوب المستمر للملازمة بين طرح وممارسة أعلى أشكال النضال (أسلوب الكفاح المسلح) وبين أعلى الاشكال السياسية — التنظيمية والايديولوجية القادرة على ضيانه هذا النضال واستمراره ودفعه الى الامام .

وبصدد مركزية وأهمية التنسيق الوطيد بين النضال الوطني الفلسطيني والنضال الجماهيري في البلاد العربية ، فاننا نتساءل عن مدى توفر الشروط والامكانيات الموضوعية والسياسية التي ستجعل الشعب الفلسطيني ، بقواه الذاتية وحدها كعنصر رئيسي ، من تحقيق اهدافه الوطنية الاساسية وعلى مراحل . وذلك بدون عملية الترابط النضالي الجدلي مع نضال الجماهير العربية (من المنظور الاشتراكي لا البورجوازي للنضال) المعادي للصهيونية والرجعية وللإمبريالية في مختلف أشكال وجودها ونفوذها ومصالحها وللعوامل والقوى السياسية المعيقة التي تحول بين الجماهير العربية وبين تصفيته النهائية للوجود والمصالح الامبريالية من المنطقة العربية .

والواقع انه بعد هزيمة ١٩٤٨ ضعفت أكثر مقدره الشعب العربي الفلسطيني المستقلة على تحقيق انتصار حاسم على الصهيونية والامبريالية . اذ تم فقدان هذا الشعب للمصادر الاساسية لقوته المادية . فهناك حوالي ٧٠٪ من الشعب الفلسطيني يعيش خارج موطنه الاصلي بلا ارض ولا مقومات مادية اجتماعية سياسية كافية لكي تكفل له بقواه وحدها توفير عامل الحسم التاريخي تجاه استعادة حقوقه المغتصبة .

فمن الناحية السكانية لم يعد الشعب الفلسطيني يشكل الاغلبية السكانية على ارضه وكما كان الحال قبل عام ١٩٤٨ . ومن الوجهة العملية تؤثر تأثيرا قويا في الغالبية السكانية التي اقتلعت من فلسطين الشروط السياسية والاقتصادية التي تملبها طبيعة الاوضاع والنظم السياسية العربية المتفاوتة النضج والاشكال في الاقطار التي يعيش فيها الفلسطينيون .

وحاليا يتوزع الشعب الفلسطيني ، بشكل أساسي ، على الوجه التقديرى التالي بالارقام التقريبية : الاردن : مليون نسمة ، فلسطين الوسطى : ٦٥٠ الف نسمة ، غزة : ٤٥٠ الف نسمة ، فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ : ٤٠٠ الف نسمة ، لبنان : ٣٥٠ الف نسمة ، سوريا : ١٨٠ الف نسمة ، الكويت : ١٨٠ الف نسمة ، المهاجر الاجنبية

المختلفة (مع الهجرة قبل ١٩٤٨) : ٧٥ الف نسمة ، السعودية ودول الخليج : ٧٥ الف نسمة ، مصر : ٣٥ الف نسمة ، ليبيا : ٣٠ الف نسمة ، العراق : ٢٠ الف نسمة .

ويضاف الى عامل التوزيع الجغرافي - السكاني ، تعرض قسم غير ضئيل من الفلسطينيين الى الانتقال من مكان لآخر في البلدان العربية ولا سيما النفطية منها ، وذلك طلباً للعمل . هذا الى جانب صعوبات امتلاك الشعب الفلسطيني لحرية العمل السياسي الواسعة والمساهمة النشطة في القتال على نطاق اكبر ، دون توفر اوضاع عربية ملائمة ومشجعة . كما ان تنوع وتفاوت الاوضاع العربية السياسية والاقتصادية التي يعيش تحت ظلها الفلسطينيون (الى جانب الذين يرزحون تحت نير الاحتلال الصهيوني) تطلّي ضرورة توفير توجهات سياسية مركبة واشكال نضالية ملائمة .

وهذا مما يبين لنا مدى صعوبة تمكّن الفلسطينيين وحدهم من حسم الصراع نهائياً مع عدو صهيوني متفوق من النواحي التكنولوجية والعسكرية ، وتقف خلفه الامبريالية الامريكية بكل امكاناتها .

ان الشعب العربي الفلسطيني ازاء هذه المعادلة الصعبة وغير المتكافئة سيكون عرضة ، بالفعل ، للتصفية والانقراض والتشرذم والذوبان التدريجي ، لولا كانت قضية الصراع ضد الهجمة الصهيونية الامبريالية تستهدفه او تقع على عاتقه وحده بشكل رئيسي .

الا ان الصعوبات الموضوعية والسياسية التي يواجهها النضال الوطني للشعب العربي الفلسطيني لا تعني المطالبة بنفي دوره او الغائه واستبداله بنضال قومي « اكبر » ، كما كان الحال سابقا الى حد بعيد قبل ظهور المقاومة الفلسطينية ، وكما يتم طرح ذلك احيانا ، في هذه المرحلة ، من زاوية الفكر البورجوازي القومي . بل انه ينبغي العمل على : ١ - تعيين طبيعة التأثير السياسي الجدلي المتبادل بين النضال الوطني لجماهير الشعب الفلسطيني وبين النضال الثوري للجماهير العربية ، وذلك في ضوء ما تملبه طبيعة كل مرحلة سياسية من مراحل النضال الثوري التحرري في المنطقة . ٢ - كما ينبغي ، بالمقابل تحديد طبيعة الهوية السياسية الطبقيّة والايديولوجية لترابط النضال القطري الفلسطيني والعربي القومي الثوري تجاه حوض معارك الصراع الاساسي في المنطقة العربية .

والواقع انه عن طريق التحالف الثوري الاستراتيجي الوطيد بين حركة المقاومة الفلسطينية ونضال الجماهير العربية وتغيير نسبة القوى الطبقيّة العربية لصالح القوى الوطنية الثورية ، ومن خلال التحالف الثابت مع العالم الاشتراكي ، سيتمكن الشعب الفلسطيني من اقامة سلطته الوطنية ، ولو كبدائية ، على جزء صغير من ارضه . ولكن ذلك يمر ، في اللحظة السياسية الراهنة ، بالنضال ضد خط الردة الوطنية ، أي في مواجهة ما يفرزه الخط والنهج البورجوازي في حل المسألة الوطنية ضمن اطار علاقات التبعية الاقتصادية والسياسية للامبريالية . ذلك النهج (المدفوع بحركة قوائمه الداخلية وطبيعته الطبقيّة الى مرحلة هبوطه بافلاسه وعجزه التاريخي والسياسي) والذي يحاول حصر القضية الوطنية في استرجاع بعض الاراضي العربية المحتلة عن طريق ما يسمى « بالضغط » الامركي على اسرائيل ، وذلك في مقابل التخلي اكثر فأكثر عن أسس الاستقلال الاقتصادي والسياسي .

ان الضرورة الوطنية تقتضي ، في هذه الآونة ، التوكيد والتسكّر على حقيقة ان الامبريالية الامريكية ، من خلال ادائها الاساسية في المنطقة (اسرائيل) ، لا تستهدف مجرد احتلال الاراضي العربية من أجل التوسع والعدوان بحد ذاتها فحسب ، بل

بوظيفة التوسع والعدوان في خدمة مخططات الاستراتيجية الاميركية في المنطقة ، حيث تلعب اسرائيل دورها الاساسي في خلق حالة من التهديد العسكري شبه الدائم تؤدي الى استنزاف الطاقات والقوى في مراكز الثقل السياسية العربية الاساسية ، ومنعها من تشكيل قوة سياسية عربية موحدة من جهة ، والى تمكين الامبريالية من استمرار سيطرتها السياسية ، وبالتالي ، على مقدرات وثروات المنطقة وخاصة النفط من جهة ثانية .

فالامبريالية الاميركية من جانبها « تضغط » من خلال اسرائيل (وليس على اسرائيل كما يتوهم ذلك البعض من خلال استقراء بعد الظواهر الثانوية) من أجل المساومة ببعض الاراضي العربية التي تحتلها اسرائيل بهدف توفير شروط أفضل من التبعية في البلاد العربية .

وإذا كانت بعض اشكال وجليقات التسوية الراهنة تفرض ضرورة الملاءمة والتوفيق (غير المجاني بالطبع ولا المتوازن) بين مصالح الامبريالية الاميركية في المنطقة وبين الاهداف الخاصة للكيان الصهيوني (لا سيما فيما يتعلق بالاراضي) ، فان هذا لا يعني البتة ان الامبريالية الاميركية على استعداد — مهما ابدى البعض من تنازلات للامبريالية — على اتباع سياسة شبه « متوازنة » في المنطقة والتفكير بالتخلي عن عصاها الغليظة الجاهزة لممارسة دورها لخدمة علاقات التبعية للامبريالية الاميركية .

وعلى عكس مما يتصور البعض ، فان الولايات المتحدة لم تغير من قاعدة سياستها الاساسية في المنطقة العربية ، بعد حرب تشرين .

وتقوم هذه السياسة على قاعدة ان تكون اسرائيل قوة قادرة على تهديد أو ضرب مجموع القوى العربية المحيطة بها ، وبالتالي ، المحافظة على التخلف والتجزئة والنظم الرجعية ، فقد ذكر ، فورد ، بعد حرب تشرين مباشرة ، حين كان نائبا لنكسون : « ان اسرائيل القوية هي الضمانة الوحيدة لبقاء حكومات مسؤولة في المناطق الغنية بالنفط كالتي في الشرق الاوسط » . (ر . ا . ا . ، رقم ٥٢٤) .

وبعد الزيارة التي قام بها نيكسون لاسرائيل في حزيران ١٩٧٤ كتب المعلق السياسي لصحيفة « دافار » الصهيونية معلقا على الزيارة : « لقد عبّر (نيكسون وكيسنجر) . . عن خط سياسي صريح اساسه ان اسرائيل قوية ، متطورة ، متمتع بالامن ، وذات قوة رادعة مؤثرة ، فقط ، ستكون قادرة على ان تأخذ على نفسها مخاطر في الطريق الطويل المليئة بالعراقيل نحو تهادنات وتسويات ليست سهلة . وقد وثقا (يتصد نيكسون وكيسنجر — الكاتب) الى جانبها بكل وزن الولايات المتحدة . وينطوي هذا الامر على عودة وتعزيز واضحين وصريحين للخط السياسي الذي صمد في الاختبار ، والتي كسبت منه الولايات المتحدة كثيرا ، واستعانت به عند عودتها للشرق الاوسط . ولكنه ينطوي ، ايضا ، على الاعتراف بأنه اذا ضعفت اسرائيل . . . ستتهقر كل الاستراتيجية الاميركية الى الوراء » (٢٦) .

وفي الفترة نفسها ، كتب شلوم روزنفيلد في صحيفة « معرب » الصهيونية مؤكدا الفكرة نفسها « . . مفهوم اسرائيل قوية لا يزال أحد اركان السياسة الاميركية الخارجية ، وبأن واشنطن ستكون مستعدة ، ايضا ، في المستقبل لتجسيد هذا المفهوم بصورة عملية جدا . . » (٢٧) .

والواقع ان التعهدات الاميركية الاخيرة بضمن تزويد اسرائيل بما يزيد قيمته عن سبعة مليارات من الدولارات خلال السنوات الخمس المقبلة تدل بشكل قاطع على

« ان الولايات المتحدة لا تزال تعتبر ان اساس سياستها في المنطقة هو مبدأ « اسرائيل قوية » الذي يقابل بالضرورة مبدأ « منطقة عربية ضعيفة متخلفة مفككة » (٢٨) .

وبخصوص توضيح دوافع المساعدات الامريكية لاسرائيل كتب شمشون ارليخ المعلق السياسي لصحيفة هارتس الصهيونية في ١٩٧٤/٦/٢٣ : « قال احد الرجال المركزيين في الدولة ممن يمتنون بهذه الشؤون منذ سنوات عديدة ، عن هذا الدعم العسكري الخاص : لا تصدق من يقول لك انه قد احرز او انه قد اثر عليهم (يقصد الامريكان - الكاتب) لكي يبعثوا الاسلحة . لقد كان من شأن الامريكيين ان يبعثوها لنا حتى او كنا لا نريدها . وعلى حد قوله كان ذلك بمثابة قرار اميركي ذاتي ومحلي في اطار ما يبدو لهم كصراع عالمي دولي » (٢٩) .

ومن هنا ، فمن الوهم التصور « ان المعضلة الاساسية التي تواجه الولايات المتحدة في المنطقة العربية . . نكمن في كيفية احلال السلام بين الدول العربية واسرائيل . فاستراتيجيو الولايات المتحدة « مطمئنون » تماما الى ان مثل هذا السلام غير وارد . وتتبع الاستحالة المطلقة لقيام سلام حقيقي بين الاقطار العربية واسرائيل من كون الشرط الاساسي لقيام مثل هذا السلام يستند على تجريد اسرائيل من كونها « قوة عسكرية متفوقة » . ان تحقيق هذا الشرط لا يلغي المؤسسة العسكرية الصهيونية ولكنه يلغي الوجود الصهيوني بأكمله ، اذ يستحيل تصور « دولة يهودية » في فلسطين بدون مؤسسة عسكرية تملك تفوقا ساحقا على مجموع القوة العسكرية الموجودة في المنطقة المحيطة بها . ان مستقبل المنطقة - ضمن تركيبتها الحالية ، وضمن موازين القوى العالمي والمحلي القائم - لن يكون سوى سلسلة من الحروب تتخللها هدنات تقصر او تطول . . (و) عندما يكون تفوق « اسرائيل » العسكري واضحا ومعترفا به ومضمونا لفترة طويلة من الزمن ، فان الولايات المتحدة لا تعتبر انها تواجه معضلة (٤٠) .

وعليه ، يتعين عدم التعويل ، في المرحلة السياسية الراهنة ، على المنطق القائل بإمكان ممارسة « ضغط » اميركي على اسرائيل لكي تنسحب من كل او معظم الاراضي العربية والفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ .

ذلك لانه كما بينا ، آنفا ، ان الهدف الامبريالي الاستراتيجي من انشاء الكيان الصهيوني ودعمه يتجسد في وضع المنطقة العربية في حالة من التهديد العسكري شبه الدائم بغية صرف الاهتمام عن نهب الثروات النفطية ، واشغال مراكز الثقل الحضارية والسياسية العربية الاساسية في المنطقة واستنزاف طاقاتها ومواردها ومنعها من توظيفها في خدمة التنمية والسعي لتحقيق الوحدة العربية ومن تشكيل قوة سياسية قادرة على تهديد وضرب المصالح الامبريالية الاستراتيجية في هذه المنطقة . والا ، يحق لنا التساؤل ، ما هي الغاية الامبريالية البعيدة المدى من انشاء وخلق الكيان الصهيوني في وقت كانت فيه معظم بلدان المنطقة العربية ترزح تحت السيطرة الامبريالية بمختلف أشكالها ؟ . ومن الاجابة على السؤال تتجلى المكانة المركزية التي تمثلها المشكلة الفلسطينية من طبيعة الصراع الاساسي في المنطقة العربية .

المكانة المركزية للقضية الفلسطينية ودورها في الصراع الاساسي بالمنطقة

ان المكانة المركزية التي تحتلها القضية الفلسطينية الفلسطينية في مجرى نضال الطبقات الكادحة للشعوب العربية ضد علاقات وعوامل التبعية الامبريالية ، تؤهلها لان تلعب ، كعنصر تفجير ، دورا ثوريا وهاما في توسيع جبهة الصدام الجماهيري الوطني . وذلك نظرا لارتباط هذه القضية ، في واقع ووعي الجماهير العربية ، في آن معا ، بالسيطرة

الامبريالية المباشرة من خلال مشروع الاستيطان الاستعماري الصهيوني ، ولما مثلته اسرائيل على الدوام كاداة امبريالية من استنزاف هائل للاوضاع والامكانات والطاقات العربية بهدف الإبقاء على التخلف والتجزئة وعرقلة أي نهوض وطني بثسن الاعتداءات والحروب المتتالية ، وما يشكله ذلك كله من تحد حضاري وسياسي واستفزاز كبير للمشاعر الوطنية .

وهذا مما يقودنا بالفعل ، الى الاستنتاج بأن تحرير فلسطين ، او اجزاء منها ، انما مرتبط ارتباطا جدليا وعميقا بتحرر المنطقه من مختلف اشكال التبعية .

- لجنة التحقيق الإنكولأمريكية المشتركة حول قضية فلسطين ، اعداد وجمع جميل الشقيري ، (يافا : مطبعة النجاح التجارية ، ١٩٤٦) ، ص ١٦٦ .
- ٢٠ — الكيالي ، المصدر السابق ، ص ٢٩١ .
- ٢١ — حيدان حيدان ، إسرائيل وتحويل الاردن ، دار دمشق للطباعة والنشر ، (بدون تاريخ) ، ص ١٩ .
- ٢٢ — علوش ، المصدر السابق ، ص ١٥ .
- ٢٣ — خلة ، المصدر السابق ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .
- ٢٤ — خلة ، المصدر السابق ، ص ٣٨٨ .
- ٢٥ — علوش ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .
- ٢٦ — الكيالي ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ .
- ٢٧ — الكيالي ، المصدر السابق ، جدول رقم ٤٩ ، ص ٤٢٠ .
- ٢٨ — مجموعة من الكتاب السوفييت ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .
- ٢٩ — مجموعة من الكتاب السوفييت ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ .
- ٣٠ — هارتس ، ١٩٧٣/٣/٧ .
- ٣١ — هارتس ، ١٩٧٣/٧/٢٠ .
- ٣٢ — هارتس ، ١٩٧٣/٧/٢٣ .
- ٣٣ — هارتس ، ١٩٧٣/١١/١١ .
- ٣٤ — خطاب الاخ ابو عمار في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، الصحف ١٤/١١/١٩٧٤ .
- ٣٥ — خلة ، المصدر السابق ، ص ٩ .
- ٣٦ — دافار ، ١٩٧٤/٦/١٨ .
- ٣٧ — معريب ، ١٩٧٤/٦/١٦ .
- ٣٨ — نشرة الأرض ، دمشق ، العدد (٣-٢) ، ١٥/١٠/٧٤ ، ص ١٢ .
- ٣٩ — هارتس ، ١٩٧٤/٦/٢٣ .
- ٤٠ — الأرض ، العدد ٤٤ ، ١٩٧٤/١١/٧ ، ص ٥٠ .

- ١ — عبد الوهاب الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ، (بيروت المؤسسة العربية) ، المطبعة الاولى ١٩٧٠ ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .
- ٢ — مجموعة من الكتاب السوفييت ، الصهيونية نظرية وممارسة ، (بيروت : دار الطليعة) ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤ ، ص ٦٩ ، ٧٠ .
- ٣ — الكيالي ، المصدر السابق ، ص ١١٨ .
- ٤ — مجموعة من الكتاب السوفييت ، المصدر السابق ، ص ٦٧ .
- ٥ — مجموعة من الكتاب السوفييت ، المصدر السابق ، ص ٨٢ ، ٨٣ .
- ٦ — مجموعة من الكتاب السوفييت ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .
- ٧ — الدكتور كامل محمود خلة ، فلسطين والانتداب البريطاني ، (بيروت : مركز الابحاث) ، ١٩٧٤ ، ص ٥ .
- ٨ — المصدر السابق ، ص ٦ ، ٧ .
- ٩ — المصدر السابق ، ص ٩ .
- ١٠ — الكيالي ، المصدر السابق ، ص ٥١ ، ٥٢ .
- ١١ — الكيالي ، المصدر السابق ، ص ٧٩ .
- ١٢ — الكيالي ، المصدر السابق ، ص ١٦١ .
- ١٣ — الكيالي ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .
- ١٤ — الكيالي ، المصدر السابق ، ص ١٢٦ .
- ١٥ — الكيالي ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .
- ١٦ — الكيالي ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ .
- ١٧ — ناجي علوش ، المقاومة العربية في فلسطين ، (بيروت : دار الطليعة) ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٠ ، ص ٨٤ .
- ١٨ — علوش ، المصدر السابق ، نفس الموضوع .
- ١٩ — مجموعة الشهادات والمذكرات المتقدمة الى

عشر سنوات من الصراع بين الحكم الاردني ومنظمة التحرير الفلسطينية

عيسى الشعيبي

شكلت ولادة منظمة التحرير الفلسطينية ، انعطافا هاما في مسيرة القضية الفلسطينية ، وفي الحياة السياسية للشعب الفلسطيني . وتتبدى أهمية كل ذلك الآن ، بعد عشر سنوات على ولادة المنظمة عام ١٩٦٤ ، في التحولات النوعية التي طرأت على الوضع السياسي والقانوني للشعب الفلسطيني ، وفي التبدلات الهامة الأخرى التي جرت على علاقاته وفي موقفه بين أطراف الصراع بشكليه الرئيسيين : السياسي والعسكري ، في منطقتنا هذه . وتعتبر بلورة الشخصية الوطنية الفلسطينية ، خلال مسيرة السنوات العشر السابقة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، واكتساب الشخصية هذه ، شرعية واعترافا دوليا متزايدا بها ، أهم إنجازات المنظمة منذ قيامها .

وخاضت منظمة التحرير الفلسطينية جانبا أساسيا من صراعا لتحقيق ذلك ، ضد عملية القيد والمصادرة للهوية الذاتية للشعب الفلسطيني من قبل الحكم الأردني . وفي أغلب المراحل التي قطعتها القضية الفلسطينية خلال السنوات العشر الماضية على هذا الصعيد ، كان نضال منظمة التحرير الفلسطينية لتعزيز وضعها السياسي والقانوني موجها ، بالأساس ، ضد محاولات الحكم الأردني سلب منظمة التحرير دورها ومحتواها الوطني ، وسلبها الحق في قيادة الكفاح الفلسطيني ، السياسي والعسكري ، إلى آفاقه الوطنية . وبالتالي ، فإن تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية في السنوات العشر الماضية ، يعتبر في جانب رئيسي منه ، تاريخ صراع بينها وبين الحكم الأردني ، صعد في أحد أهم مراحلها إلى مرتبة الصدام الدموي الشامل . وبالنظر إلى الأهمية البالغة لهذا الجانب من تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية ، سوف يقتصر موضوعنا هذا ، على تتبع ودراسة مراحل سنوات الصراع العشر الماضية ، بينها والحكم الأردني ، لما له من آثار سياسية هامة على حياة الشعب الفلسطيني وقضيته السياسية .

لم تسر دفة الصراع بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكم الأردني على وتيرة واحدة . بل اختلفت أدوات الصراع وطبيعته وأشكاله ، باختلاف الظروف الموضوعية والذاتية التي مرت بها القضية الفلسطينية . ويمكن تقسيم تلك الفترة الحافلة بالتناسيل وجزئياته ، إلى المراحل الأساسية التالية : **أولا** : المرحلة الممتدة من العام ١٩٦٤ إلى العام ١٩٦٧ ، وهي الفترة التي شهدت ولادة منظمة التحرير ووقوع حرب حزيران . وفي هذه المرحلة قاد النظام الأردني زمام صراعه ضد منظمة التحرير الفلسطينية ، تحت شعار : « الأردن بلد الحشد ومتطلق التحرير » ، للحيلولة دون خطر ازدواجية الولاء السياسي للفلسطينيين في الأردن ، والحد من تطلعاتهم إلى بلورة ذاتهم الخاصة . **ثانيا** : المرحلة الممتدة من العام ١٩٦٧ وحتى العام ١٩٧٠ ، وهي الفترة التي ابتدأت مع انتهاء حرب حزيران ، وبداية مجازر أيلول الشهيرة . وفي هذه المرحلة استطاع

الشعب الفلسطيني ، عبر اطلاقه الكفاح المسلح واتخاذ الضفة الشرقية قاعدة ارتكاز له ان يقود الصراع من جانبه ضد محاولات التبييد والمصادرة ، وان يتعرف على هويته الذاتية المتصادمة مع الحكم الاردني ، من خلال عدة معارك يومية ورئيسية طسوال تلك الفترة . **قالنا** : المرحلة الممتدة من العام ١٩٧٠ وحتى صدور قرارات قمة مؤتمر الرباط في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ . وهي الفترة التي خاضت فيها المقاومة الفلسطينية معارك البقاء السياسي ومن ثم التمثيل الشامل للشعب الفلسطيني ، الى ان انتزعت ذلك نهائيا خلال انعقاد مؤتمر قمة الرباط الاخير .

[١] معركة الظهر المكشوف

تطلع الشعب الفلسطيني منذ اوائل الستينات ، الى أخذ زمام قضيته بيده ، بعد ان عجزت الوصاية الرسمية العربية على قضيته ، ان تقدم حلا لمعضلته الوطنية . وكان انتصار ثورة الجزائر ، **التي قام بها الشعب الجزائري** ، الهاما حقيقيا للشعب الفلسطيني وهاديا له في سعيه الدائب لتحقيق شعاره الدائم : التحرير والعودة . كما كان وقوع الانفصال بعد اول تجربة وحدوية معاصرة بين مصر وسورية ، هزة حقيقية في وجدان الشعب الفلسطيني ، وبالتالي دعوة له لاعادة النظر في المسئلة المعبر عنها بشعار : الوحدة طريق التحرير والعودة .

على هدي هذين الحدين الهامين ، بدأ الفلسطينيون بالبحث عن مخرج خاص بهم ، لحل معضلة النفي والتشتت واللجوء خارج الوطن . وظهرت خلال تلك الفترة عدة **منظمات فلسطينية** ، كتعبير عن ردة الفعل الفلسطينية تجاه حادثي الانفصال وانتصار الثورة الجزائرية .

من هنا ، فان قيام منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ ، في ظل الرسمية العربية ، لم يكن اكثر من استجابة لتطلع الشعب الفلسطيني الى أخذ دور خاص به لتحقيق شعار المرحلة : التحرير والعودة . الا ان ذلك لم يعن ان الرسمية العربية قد سلمت للشعب الفلسطيني بدوره الخاص وحقه في التعبير عن ذاته الوطنية . وتعتبر موافقة الحكم الاردني على قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، ومن ثم صراعه ضد بلورة مضامين حقيقية كفاحية للمنظمة ، المثل البارز والهام ، على التمسك العربي الرسمي باستمرارية الوصاية على الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية ، ودليلا على الصعوبات التي اقيمت في وجه التعبير السياسي الفلسطيني المحدد : منظمة التحرير الفلسطينية . واذا كان موضوعنا هذا يقتصر على دراسة جانب الصراع بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكم الاردني ، فليس لانه المثل البارز والهام على استمرار المحاولات الرسمية العربية فرض وصايتها على الشعب الفلسطيني فقط ، بل لان جملة من الظروف الموضوعية التي تتحكم في هذا الصراع قادت الحكم الاردني بالنتيجة الى الصدام المباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية . فآثر حرب العام ١٩٤٨ ضم الحكم الاردني الضفة الغربية الى سلطته ، واصبحت بالتالي « جزءا » من اراضي المملكة الاردنية الهاشمية . وبننتيجة الضم تلك ، اصبح السكان « الاردنيون » من أصل فلسطيني ، في مملكة الاردن الجديدة ، يكوئون أكثر من ثلثي عدد سكان المملكة . . . الخ .

كانت ، اذن ، عملية البعث الفلسطينية تصطدم بالضرورة ، بسياسة التبييد والمصادرة للهوية الفلسطينية في الاردن . وهو الامر الذي تنبه له السيد أحمد الشقيري مندوب فلسطين لدى جامعة الدول العربية آنذاك ، الذي انتدبه مؤتمر القمة العربي الاول ، للاتصال بتجمعات الشعب الفلسطيني والحكومات العربية ، لاستشارتهم

حول موضوع الكيان الفلسطيني . وحرصا من الشقيري على تيسير سبل مهمته هذه في الاردن ، صرح لدى وصوله مطار عمان في شباط (فبراير) ١٩٦٤ ، ان مشروع الكيان الفلسطيني الذي قدم الاردن للتشاور من أجله مع الحكومة ومع التجمعات الفلسطينية هناك ، يتضمن نصا صريحا بأن « الكيان الفلسطيني لا يهدف الى سلخ الضفة الغربية عن الاردن ولا ان يمارس سيادة اقليمية » (١) . وعاد الشقيري يؤكد على هذا المعنى بوضوح كامل ، في خطابه في المؤتمر الوطني الفلسطيني الاول الذي عقد في القدس في ايار (مايو) من ذلك العام ، بقوله : « ان انبثاق الكيان الفلسطيني في مدينة القدس ، لا يهدف الى سلخ الضفة الغربية عن المملكة الاردنية الهاشمية ، ولكننا نهدف الى تحرير وطننا المغتصب غربي القدس » (٢) .

استطاع تعريف المنظمة هذا لنفسها ، ان يكسب موافقة الحكم الاردني على انعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني الاول ، في مدينة القدس ، وافتتاح مكتب رئيسي للمنظمة في المدينة المقدسة ، وان يحصل اعضاء قيادة المنظمة على جوازات سفر اردنية خاصة .

لم تكن انجازات المنظمة هذه ، هي غاية ما انتدبت نفسها له ، بل كانت تلك ، المقدمات الاولى لبداية المسيرة الشاقة والطويلة التي تنتظرها . ورغم ان المنظمة بقيت تعرف نفسها على انها جاءت للتحرير وليس للحكم ، وطرحت شعاراتها بحذر بالغ ، حول التنظيم الشعبي ، واعداد وتعبئة وتنظيم الفلسطينيين ، استعدادا للمعركة ، فان مطالباتها تلك ، اعتبرت من قبل الحكم الاردني ، مسا خطيرا بالقاعدة الاساسية التي تركز عليها سياسته الفلسطينية ، الا وهي ان الاردن « بلد » الفلسطينيين وان سكان مملكة الاردن قد أصبحوا جميعا منذ عام ١٩٥٠ « مواطنين أردنيين » . وهكذا اصطلحت مطالبات منظمة التحرير هذه ، موضوعيا ، بالحكم الاردني وبسياساته القائمة على نفي الهوية الذاتية للشعب الفلسطيني . فبعد مرور سنة على موافقة مؤتمر القمة العربي الثاني الذي عقد في الاسكندرية في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٤ على قيام المنظمة ، لم تستطع قيادة منظمة التحرير ان تبقي على خلفها مع الاردن ، الذي بدأ مع بداية قيامها ، سرياً . فقد اذاع أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في ذلك الوقت ، خطابا له من راديو المنظمة من القاهرة ووزع على مختلف الصحف العربية ، تضمن نقداً لموقف الحكومة الاردنية الراض لمطالب المنظمة الخاصة بالتنظيم الشعبي ، وفرض خدمة العلم ، وحرية السفر والاقامة والعمل لبناء فلسطين . وبالرغم من ان مطالب المنظمة هذه ، قد وجدت رفضا من معظم الدول العربية المعنية ، الا ان قيادة المنظمة لم تجد في الرفض الاردني لهذه المطالب مسوغات عملية تتفق وواقع الحال الفلسطيني في الاردن . ففي معرض رد الشقيري على الرفض الاردني لمطالب المنظمة قال في خطابه ذلك : « ففي الاردن بقية وطننا وبقية شعبنا ، وحرام ان يحرم أبناء فلسطين من شرف التحرير ، كائنه ما كانت الاسباب » (٣) . الا ان الشقيري الذي كان يخوض مع الحكم الاردني ، معركة الظهر المكشوف ، لم يجد مسعفا له في مواجهة الرفض الاردني لمطالب المنظمة ، غير الاسترسال في حملته الاعلامية . وانطلاقا من انكشاف ظهر المنظمة أمام الحكم الاردني ، لم تتردد الصحف الاردنية ، الخاضعة لاشراف حكومي صارم ، يوما واحدا للرد على خطاب الشقيري ذلك . فهاجمت صحيفة الدفاع مطالب المنظمة في اليوم التالي لاذاعة الخطاب قائله ، ان الشقيري « يريد ان يتولى الاشراف على استقلال الاردن » (٤) ، مشيرة بذلك الى عين المخاوف الاردنية من مطالب المنظمة تلك . واما صحيفة المنار فقد رفضت مطالب المنظمة قائله ، ان الاردن « هو موضوع الحشد وخط الدفاع الاول ولن يكون غيره طليعة التحرير » (٥) ، مؤكدة بذلك رفض الحكم الاردني

مخاطر ازدواج الولاء الفلسطيني بينه وبين منظمة التحرير الفلسطينية . ولان قيادة المنظمة لم تكن تستند الى دعم شعبي منظم يدعها في معاركها السياسية ، افتتح وصفي النبل رئيس الحكومة الاردنية في ذلك الوقت ، حملته الواسعة على قيادة المنظمة وجهاز اعلامها الاذاعي ، تلك الحملة التي استمرت واتسعت منذ ان عقد النبل مؤتمره الصحفي لهذه الغاية في عمان بتاريخ ١١/١٠/١٩٦٥ (٦) .

لقد خاضت منظمة التحرير صراعها هذا ضد الحكم الاردني بغير اسلحة حقيقية . وكانت حملتها الاعلامية ضده ، تعول على التأييد الفلسطيني لها في الاردن ، وترتكز على انها وليدة التضامن العربي وقرارات مؤتمرات القمة التي يحاول الحكم الاردني نسفها والخروج عليها . من هنا فقد ابقت قيادة المنظمة في كافة مراحل صراعها ضد الحكم الاردني خلال المرحلة هذه ، على بعض الجسور معه ، معتدة سياسة الباب المفتوح . وانطلاقا من الحرص الاردني على عدم الخروج علانية عن روحية التضامن وقرارات القمة ، فلم يقطع كل خيوطه بالمنظمة ، الا بعد ان انتهت سياسات القمة عقب مؤتمرها الثالث في الرباط ، وبرزت كل التناقضات الرسمية العربية على السطح اواسط العام ١٩٦٦ . فعقب اول خلاف علني بين المنظمة والحكم الاردني ، الذي افصح عنه خطاب الشقيري المشار اليه ، وبالرغم من ردود الفعل الصحافية والرسمية الاردنية على ذلك الخطاب ، فقد ذهب الشقيري الى عمان ، بعد تدخل وواسطة عربية ، وبقي فيها عشرة ايام ، غادرها الى بيروت ليعلم ان الحكومة الاردنية « رفضت تلبية أي مطلب من مطالب المنظمة في التنظيم الشعبي والتدريب العسكري » (٧) . الا ان الوساطة العربية تدخلت مرة اخرى ، واثمرت هذه المرة عن اتفاق وقع في القاهرة بين الشقيري والسفير الاردني ، لم تلب الحكومة الاردنية من خلاله ، أي مطلب أساسي من مطالب المنظمة حول التدريب العسكري وتسليح القرى الامامية والتنظيم الشعبي (٨) . الا ان الحكم الاردني سرعان ما تراجع عن موافقته على المطالب الثانوية للمنظمة ، حين دعا الملك حسين اعيان ونواب الضفة الغربية وقادة الجيش الى الدبوان الملكي بتاريخ ١٥/١٠/١٩٦٦ ، والقى فيهم خطابا اتهم فيه قيادة المنظمة بانها تحاول «تفريق وحدة هذا البلد وتمزيق جيشه » . وحدد الملك في خطابه موقف حكومته على النحو التالي : « وبما ان هذا الشعب في هذا البلد هو شعب فلسطين ، فلا مجال ولا مكان اذن لاية تشكيلة عسكرية اخرى مهما صغرت لا تخضع لقيادته ولا تحمل شسعاراته ولا تنضوي تحت رايته » (٩) . وكان يشير بذلك الى مطالبة المنظمة بتشكيل وحدات عسكرية لجيش التحرير الفلسطيني في الاردن .

كانت روح سياسات القمة ، في هذه المرحلة ، ما زالت سارية . فاستطاعت الوساطة العربية مرة ثالثة التدخل في شباط (فبراير) ١٩٦٦ ، لانجاز اتفاق آخر جديد بين الحكم الاردني ومنظمة التحرير ، اذيع في اول اذار (مارس) من العام نفسه . وكان هو الاخر غير متضمن لاي من المطالب الرئيسية للمنظمة ، حول تشكيل وحدات جيش التحرير وتسليح القرى الامامية والتجنيد الاجباري والتنظيم الشعبي (١٠) .

دخلت السياسات العربية الرسمية ، بعد هذا التاريخ ، مرحلة جديدة ، هي مرحلة انقراط سياسات القمة . وبالتالي فقد دخلت علاقات المنظمة بالحكم الاردني مرحلة جديدة كذلك ، اتسمت بالحدة وانتهت بالتقطيع التامة ، اثر الخطاب الذي القاه الملك حسين بتاريخ ١٤/٦/١٩٦٦ في عجلون (١١) . وجاء خطاب الملك هذا مترافقا مع حملة القمع الواسعة ضد الاحزاب الوطنية في الاردن ، مما بدا معه اتضح النهج السياسي السافر عن معاداة الحكم الاردني للحركة الوطنية ومنظمة التحرير

الفلسطينية . وقد استمرت هذه المرحلة مليئة بالحملات المتبادلة بين الطرفين ، وبالمزيد من الإجراءات الأردنية المضادة ضد منظمة التحرير ، الى اواخر شهر ايار (مايو) ١٩٦٧ ، حين بدأت نذر حرب حزيران تلوح في الافق . ففي ذلك التاريخ ، عشية الحرب ، وصل الملك حسين بعد قطيعة طويلة الى القاهرة ، وعاد معه الشقيري على الطائرة الى عمان ، لتنتهي مرحلة وتبدأ مرحلة جديدة في ظروف صراع منظمة التحرير ضد الحكم الاردني .

[٢] الوجود العلني والسلطة غير المعلنة

كانت لحرب حزيران ١٩٦٧ ، نتائج بالغة الاهمية على الصعيد الفلسطيني . فهي من ناحية ، ادت الى وقوع كامل الاراضي الاقليمية الفلسطينية تحت الاحتلال الاسرائيلي ، ومن ناحية ثانية ، ادت الى ظهور المقاومة الفلسطينية وتصاعدها والتفاف أوسع الجماهير الفلسطينية حولها .

وأدت هاتان النتيجتان على صعيد علاقة الصراع بين الحكم الاردني ومنظمة التحرير الفلسطينية الى نتائج هامة كذلك . فالحكم الذي خرج مهزوما من الضفة الغربية ، فقد زمام مبادرته في ادارة دفة الصراع ضد منظمة التحرير الفلسطينية . كما ان صعود المقاومة الفلسطينية اعطى للمنظمة مضمونا جديدا ووزنا نوعيا مختلفا . وتبدى ذلك في دخول ممثلين عن حركة المقاومة الى المجلس الوطني الفلسطيني الرابع ، الذي عقد في اوائل العام ١٩٦٨ ، ومن ثم قيادة المنظمة بعد ذلك .

اتسم الصراع بين منظمة التحرير والحكم الاردني في هذه المرحلة بما افرزته مرحلة ما بعد حرب حزيران على هذا الصعيد . وكانت المنظمة خلال مرحلة الصراع هذه ، تمتلك لأول مرة « ظهرا » حقيقيا في صراعها ضد الحكم الاردني . وقد تمثل ذلك في نمو الجسم المادي لحركة المقاومة ومن ثم تأثيرها السياسي المباشر وتفاعلها مع الجماهير الفلسطينية . ولذلك فان « حرب » الحكم الاردني الاعلامية على منظمة التحرير طوال الفترة الماضية ، لم تكن كفيلة وحدها لتحقيق غاياته السياسية في الابقاء على زمام المبادرة بيده . من هنا فقد وجد الحكم الاردني نفسه ملزما بتصعيد مواجهته لمنظمة التحرير الفلسطينية بمضمونها الجديد ، الى مرتبة الحرب الفعلية . وهذا هو بالفعل ما طبع سياسات الحكم الاردني الفلسطينية طوال هذه المرحلة .

فلقد كان اول اذار بالحرب ضد المقاومة الفلسطينية ، في ١٩٦٨/٢/١ ، وبعد مضي اقل من ستة أشهر على وقوع حرب حزيران . وبالرغم من عدم حصول الصدام في هذا التاريخ ، الا ان استخدام القوة المادية المسلحة من قبل الحكم الاردني في عملية تطويق قوات المقاومة الفلسطينية في منطقة الكرامة في ذلك التاريخ ، كان مؤشرا فعليا على ما سوف ينتهجه الحكم ازاء حركة المقاومة الفلسطينية . وبالرغم ، ايضا ، من ان مصادر اجنبية قد ذكرت ان محاولة استخدام القوة من جانب الحكم الاردني ضد المقاومة في ذلك التاريخ ، جاءت متجاوبة مع اذار اسرائيلي للحكومة الاردنية بضرورة منع انطلاق رجال المقاومة عبر الاردن الى المناطق المحتلة ، فان اختبار القوة ذلك كان ضروريا من جانب الحكم الاردني ، للتعرف على عناصر الموقف عمليا بعد هزيمته في حزيران . وبالفعل ، فبعد ان اذاع وزير الداخلية الاردني تصريحاً جاء فيه ان السلطات الاردنية « ستضرب بيد من حديد كافة العناصر التي تعطي بأعمالها اسرائيل مبررا لممارسة الضغط على الاردن . . . وان الاشخاص الذين يعرضون الاردن لهجمات العدو سيتمعون بعد اليوم من اجتياز الاراضي الاردنية » (١٢) . . . هاجم عدد من الوزراء والمسؤولين الاردنيين تصريح وزير الداخلية ذلك ، وأعلن بعض ضباط الجيش الاردني

للصحفيين انهم « لا يستطيعون اطاعة الاوامر التي تقضي باطلاق النار على اخوان لهم . أما سكان المخيمات فقد طالبوا بالسلاح ، لان الرد على الاعتداءات الاسرائيلية لا يكون بالخضوع بل بالاستعداد والتسلح والمواجهة » (١٢) .

انتهى اختبار القوة اذن عند هذا الحد ، وتراجع الحكم الاردني بعد اكتشافه عناصر الواقع الجديد في الاردن بعد هزيمة حزيران . الا ان استمرار التهديد الاسرائيلي بالانتقام ، وقيام العدو بعدة غارات انتقامية محدودة من الاردن ، أعطى الحكم الاردني مجددا مبررا للانتقال مرة اخرى الى موقع التصادم مع المقاومة الفلسطينية في ١١/٤/١٩٦٨ ، وبعد ان اصبحت المقاومة جزءا رسميا من منظمة التحرير الفلسطينية .

كانت المقاومة الفلسطينية في ذلك التاريخ ، قد اصبحت ذات حضور مادي متملم في الاردن ، بعد معركة الكرامة الشهيرة في ٢١/٣/١٩٦٨ . وكانت ردة الفعل الشعبية تجاه النظام المسؤول عن احتلال الضفة الغربية من قبل اسرائيل ، ما زالت تفعل فعلها لمصلحة تيار المقاومة الفلسطينية الجارف . ولذلك فقد كانت حرب النظام الفعلية ضد المقاومة الفلسطينية هذه المرة ، في ١١/٤/١٩٦٨ حربا خاسرة ، خرجت منها المقاومة معززة وضعها السياسي والجهاري على حساب الحكم الاردني ذاته .

قبل الحكم الاردني ، بعد هزيمته العملية والعلنية الاولى امام المقاومة الفلسطينية ، التعامل مع الاخرة كحقيقة واقعة ، في محاولة لتطويتها واحتوائها . ومن هنا فقد شهدت الفترة التالية اجتماعات علنية وبيانات رسمية بين الطرفين . وكان ذلك بمثابة تسليم من الحكومة الاردنية بالامر الواقع المتمثل في وجود قوة مادية حقيقية هي حركة المقاومة الفلسطينية . وكانت اول اتفاقية علنية موقعة بين الطرفين تلك التي عرفت بـ « اتفاقية الاربعة عشر بندا » ، التي حاول فيها الحكم كسر شوكة المقاومة وتقييدها بمجموعة المحظورات مثل ، اعلام الجيش الاردني مسبقا بكل عبور لدوريات الفدائيين نهر الاردن ، ومنع الاشتباك مع العدو على مسافة تقل عن خمسة عشر كيلومترا غربي النهر ، ومنع منظمات المقاومة من اعتقال ومحكمة العناصر التي تتعامل مع العدو ، وحظر استخدام بعض المرات المؤدية الى فلسطين المحتلة . . . الخ (١٤) .

لقد بينت اتفاقية الاربعة عشر بندا تلك ، ان الحكم الاردني كان يعمل في تلك الفترة ، منطلقا من فكرة الاقرار بالواقع الجديد ومن ثم العمل على تطويقه ، على ان يجعل من المقاومة الفلسطينية مؤسسة اردنية خاضعة لتوجيهاته السياسية .

غير ان حركة المقاومة ، التي لاقت مزيدا من الدعم الشعبي لها في الاردن ، بعد مواجهتها الساخنة الاولى مع الحكم الاردني ، ومزيدا من تقديم الدعم المادي والسياسي من بعض الدول العربية الوطنية ، تجاوزت في مرحلة لاحقة اتفاقية الاربعة عشر بندا تلك ، مشكلة مع تعاضد الالتفاف الشعبي الفلسطيني حولها سلطة ثانية في الاردن . واصبحت الضفة الشرقية فعلا قاعدة الارتكاز الرئيسية للثورة ضد العدو .

كان طبيعيا اذن ان ينشب الصراع بين السلطتين ، فالسلطة الاردنية عملت من موقع حرصها على استمرار وجودها والحفاظ على هذا الوجود ، الى العمل بكافة الوسائل الممكنة لتكريس بقائها كسلطة فعلية ، وحماية مؤسساتها ووجودها المعنوي . اما حركة المقاومة فقد كانت حريصة هي الاخرى على توسيع قاعدة حريتها في العمل ضد العدو الاسرائيلي ، الامر الذي يستتبع تعبئة وتنظيم وتسليح الجماهير الفلسطينية في الاردن . ومن هنا فقد كان الصدام محتما في النهاية بين السلطتين . ومع ذلك فقد استمر هذا الوضع طوال العام ١٩٦٩ وحتى خريف العام ١٩٧٠ . فما الذي ادى الى تأجيل الصدام حتى ايلول ١٩٧٠ ؟

تأجل الصدام بفعل عاملين رئيسيين ، أحدهما ذاتي وثانيهما موضوعي . وتمثل العامل الذاتي ، في أن القوى الرئيسية والمهيمنة في حركة المقاومة ، لم تظهر في تلك الفترة ميلا علنيا للاستئثار بالسلطة وانتزاع مواقعها ، وبالتالي تهديد سلطة الحكم الأردني . وكان ما تجمع لديها من « سلطة » ناجم عن الاحساس بضرورة اتاحة فرص العمل أمامها ضد العدو وحفظ ظهرها من الهجمات الخلفية ، وهو الأمر الذي فرض عليها ازدواجية السلطة . واما العامل الموضوعي فنجد تمثل في ابتعاد فرص إمكانية تسوية سياسية في تلك المرحلة . وبما أن الحكم الأردني ، كغيره من المجموعة العربية المعنية بالتسوية ، كان عاجزا عن تحقيق مخرج لازمة الاحتلال الإسرائيلي ، فقد كان هناك اتفاق عربي رسمي ضمنى على أن تبقى المقاومة كورقة ضغط على الاحتلال الإسرائيلي ، من أجل تعديل شروط التسوية مع إسرائيل فيما لو أصبحت ممكنة .

إلا أن صعود المقاومة وتنامي وجودها العسكري وبالتالي تأثيرها السياسي ، قد أفقدها هذه الوظيفة من جانب الحكم الأردني والمجموعة العربية المعنية بتحقيق التسوية السياسية في تلك الفترة . فعهد الحكم الأردني في شباط (فبراير) ١٩٧٠ إلى شن حملة عسكرية ضد المقاومة ، ليس بهدف استئصالها من الأردن وإنما بهدف تحجيمها بما يتفق ووظيفتها السياسية المتفق عليها ضمنا مع المجموعة العربية المهتمة بالتسوية السياسية . فبعد عودة الملك حسين من اجتماع قمة دول المواجهة في القاهرة ، عقدت الحكومة الأردنية اجتماعا حضره الملك ، وشقيقه ولي العهد ، وقائد الجيش ، ومدير المخابرات العامة ، وأصدرت بيانا من اثنتي عشرة نقطة تستهدف بمجموعها تقييد حرية المقاومة واخضاعها لسلطة النظام والحد من تنامي حركتها الجماهيرية وبالتالي استفحال خطرها (١٥) . إلا أن سرعة وفعالية رد حركة المقاومة ، والموقف الجماعي الموحد الذي اتخذته إزاء منوعات الحكم الأردني الجديدة ، أخرج الحكم مرة ثانية مهزوما أمام حركة المقاومة . فوقع بيانا مشتركا مع وفد القيادة الموحدة للمقاومة نص على أن تترار مجلس الوزراء المشار إليه في حكم الملقى ، وعلى سحب الجيش من المدن وضواحيها ووقف أية عمليات مسلحة ، وأن يواصل العمل الفدائي حريته الكاملة في التحرك والتنقل ، وأن يواصل حريته في عملية تعزيز وتسليح الجماهير والتعبئة الوطنية والسياسية لها بكافة الأساليب (١٦) .

دفع الانتصار السياسي الذي حققته حركة المقاومة على الحكم الأردني في شباط ، بالوضع إلى مرتبة جديدة وخطرة . فمن ناحية أولى أدرك الحكم مدى التهديد الجدي الذي سيتعرض له باستمرار نمو حركة المقاومة وتأثيرها السياسي . كما أدرك أنه هو ، هذه المرة ، بغير « ظهر » شعبي ، يقاوم به ومعه ضد ذلك التيار الجارف في الأردن . واما من ناحية ثانية ، فقد رأت حركة المقاومة أن احتمالات التصادم مع الحكم باتت أكثر من مجرد احتمال ، وأن تحركات الحكم المتتالية ، تشير إلى ما يتجمع في سماء الأردن من نذر خطيرة . خاصة بعد تتالي المؤتمرات العشائرية وظهور قوى عسكرية خاصة ، أبرزها الشعبة الخاصة . ثم توالي حوادث تعرض قطاعات من الجيش الأردني لسيارات ودوريات الفدائيين الفلسطينيين . وهكذا انفجر الوضع مجددا في شهر حزيران (يونيه) ١٩٧٠ ، متخذا طابع الحدة والعنف ، حيث هاجمت قوات الجيش الأردني بأعداد وآليات كثيرة ، مواقع المقاومة في عمان العاصمة ، وقصفت بالمدفعية الثقيلة مخيمات اللاجئين الفلسطينيين . إلا أن الصدام الجديد هذا كان في محصلته النهائية هزيمة منكرة للحكم الأردني ، انتهت به إلى التسليم الكامل

بكافة المطالب العلنية لحركة المقاومة . فقد وافق الملك حسين على الاستجابة العلنية لهذه المطالب ، حين قطعت اذاعة عمان برامجها لتبث رسالة من الملك الى القوات المسلحة ، تليت بالنيابة عنه، أعلن فيها اعفاء اللواء ناصر بن جميل القائد العام للقوات المسلحة الاردنية ، واللواء زيد بن شاكر قائد سلاح المدرعات وكذلك محمد رسول الكيلاني مدير المخابرات العامة ، من مناصبهم جميعا(١٧) . ولكن ، هل كان باستطاعة الحكم الاردني أن يتجرع هزيمته القاسية هذه الى النهاية ؟

لقد بدا الحكم الاردني في تصريحات العديد من مسؤوليه ، بعد أحداث حزيران ، وكأنه يسير في اتجاه القبول بنتائج الواقع الجديد في الاردن . غير ان جملة الاجراءات والتدابير العسكرية التي كان يعدها على الصعيد العسكري ، كانت تشير الى عكس ما كان يصرح به كافة المسؤولين الاردنيين ، بعد ان توألى وصول مبعوثي الملوك والرؤساء العرب الى عمان للحيلولة دون توسيع النشقة و اراقة المزيد من الدماء . وقد تشكلت في تلك الاثناء لجنة عربية رباغية هدفها ايجاد أسس للتعايش بين الطرفين .

ولم تفلح كل تلك الجهود بالحد من اتساع النشقة وبالتالي الى دفع الطرفين الى الصدام الدموي رهيب في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . فما الذي عجل بانفجار الموقف والوساطة العربية لم تنه أعمالها بعد في عمان ؟

الى جانب الصمود الذي كانت تديبه حركة المقاومة في كافة معارك الحكم الاردني ضدها ، طوال فترة ما بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، فلقد كان هناك اجماع عربي ، على ان تظل المقاومة تقوم بدورها العسكري الخاص ضد الاحتلال الاسرائيلي ، على أن لا يخترق ذلك الدور سقف الرسمية العربية الساعية الى تحقيق التسوية السياسية . ومن هنا فقد رأت الانظمة العربية في استمرار وجود حركة المقاومة ورقة تكتيكية خاصة تحسن بها شروط التسوية تلك كما أشرنا . الا أنه بعد صدام حزيران ١٩٧٠ ، بدا أن المقاومة قد شبت على هذه الوظيفة التي قدرتها لها بعض الانظمة العربية ، وأصبحت بالتالي معرقلا للتسوية وليس عاملا تكتيكي في انجاحها . لذلك فقد عجزت امكانية تحقيق تسوية سياسية ، بعد طرح مشروع روجرز الشهير ، عملية الصدام الحتمي بين المقاومة والحكم الاردني . فمنذ أن قبلت مصر ثم الاردن بمشروع روجرز ورفضته المقاومة ، تتالت الاشتباكات المتقطعة بين المقاومة والحكم الاردني ، الى ان بدأت بدايتها الشاملة ، صبيحة يوم السابع عشر من أيلول ١٩٧٠ ، لفتح مجرى عميقا جديدا ، ليس بين حركة المقاومة والحكم الاردني فقط ، بل بين الشعب الفلسطيني بمجموعه وبين الحكم الاردني ، طوال الفترة اللاحقة لجازر أيلول .

[٣] الحسم على ارضية تشرين

كانت نتائج حملة أيلول الدموية ضد المقاومة الفلسطينية ، ذات آثار عميقة على الصعيد الفلسطيني في مستوييه ، العسكري والسياسي . فقد أدت نتائج الحملة هذه وما تبعها من معارك متتالية ، الى انتهاء الوجود العلني لحركة المقاومة في الأردن ، وبالتالي فقدان المقاومة لقاعدة ارتكازها الرئيسية في الضفة الشرقية . وأثر ذلك بدوره على مستوى الكفاح العسكري الفلسطيني في فلسطين المحتلة وخاصة الضفة الغربية . وأدت حملة أيلول وما تبعها من معارك مكشوفة الى تمكين الحكم الاردني من استعادة زمام المبادرة بيده وبالتالي الى تمكينه من الاقدام علانية على الغاء اتفاقيتي القاهرة وعمان ، اللتين تضمنتا الى جانب تنظيم العلاقة اليومية ، بندا نص عليه بروتوكول عمان ، بأن الثورة الفلسطينية هي الممثل للشعب الفلسطيني . وكان الحكم الاردني متلهفا الى الغاء المكاسب السياسية التي حققتها المقاومة طوال فترة تواجدتها العلني

في الأردن . فقبل أن ينقشع غبار آخر معركة كبيرة وعلنية بين الجيش الأردني وقوات المقاومة في أحرار عجلون وديين ، صرح ناطق رسمي أردني بأن حكومته تعتبر ان مفعول اتفاقيتي القاهرة وعمان قد انتهى ، وأنه لن تكون هناك اتفاقيات جديدة مع المقاومة (١٨) .

أحدثت معارك انتهاء الوجود العلني للمقاومة في الأردن ردود فعل عنيفة على الصعيدين الفلسطيني والعربي . فعلى الصعيد الفلسطيني قامت حركة المقاومة بإرسال عدة دوريات عسكرية خاصة الى الأردن من الحدود السورية واشتبكت هذه الدوريات مع الجيش الأردني عدة مرات طوال شهري تموز (يوليه) وآب (أغسطس) من العام ١٩٧١ . وعلى الصعيد العربي ، بذلت كل من مصر والسعودية جهودا خاصة ومكثفة لأرساء قواعد جديدة للتعايش بين الحكم الأردني وحركة المقاومة . وأسفرت تلك الجهود عن عقد مؤتمر جده في خريف العام ١٩٧١ . وكان هدف الحكم الأردني خلال ذلك المؤتمر ليس تصفية علاقاته مع المقاومة التي صفاها بالفعل على الأرض في الأحرار ، بل تصفية علاقاته مع الدول العربية ، وذلك بعد أن حجبت كل من ليبيا والكويت المعونة المالية عنه ، اثر المعارك التي شنها لتصفية وجود المقاومة في الأردن . استمر الحكم الأردني يراوغ في مؤتمر جده ، للحصول على مخرج لازمة علاقاته العربية . غير أن الرصاصات التي أطلقتها فدائيو منظمة أيلول الأسود على وصفي النتل رئيس الحكومة الأردنية يوم ٢٨/١١/١٩٧١ ، أنهت حوارات جده ، واية حوارات أخرى ممكنة بين الحكم الأردني والمقاومة الفلسطينية .

لم تنته معارك صيف العام ١٩٧١ الصراع بين الطرفين . اذ كان على حركة المقاومة بعد هذا التاريخ أن تخوض معارك متعددة ، للحفاظ على استمرار بقائها أولا والمحافظة على مبرر وجودها ثانيا . واستطاعت المقاومة رغم جراحها الثقينة أن تثبت استمرارية وجودها وقدرتها على الفعل ، من خلال قدرتها على مواصلة كفاحها العسكري ضد الاحتلال الاسرائيلي ، ذلك الكفاح الذي اعتبر مبرر وجود حركة المقاومة . الا أن الضعف النسبي الذي حل بحركة المقاومة بعد خروجها من الأردن مكن الحكم الأردني من توجيه معركته ، السياسية هذه المرة ، مع المقاومة ، في الاتجاه الذي يلغي مبرر وجودها على الأرض العربية وبين جماهيرها الفلسطينية . فطرح الملك حسين في آذار (مارس) ١٩٧٢ مشروع الاتحاد الذي عرف باسمه ، وهو مشروع الملكة العربية المتحدة . وقامت اسرائيل من جانبها ، بعد ذلك التاريخ ، باجراء أول انتخابات لمجلس البلديات في الضفة الغربية ، ملحقة بذلك هزيمة سياسية أخرى بالمقاومة ، بعد أن حاولت الأخيرة منع حدوث الانتخابات علانية ووقفت ضد اجرائها .

وعاشت المقاومة بعد ذلك التاريخ في معارك متصلة للدفاع عن النفس في وجه الهجمة السياسية الأردنية ، وفي وجه الهجمة المادية الاسرائيلية عليها . وشهد النصف الثاني من العام ١٩٧٢ ملاحقة اسرائيلية مكثفة لعناصر وقيادات حركة المقاومة شملت العالم بأسره ، وامتدت حتى خريف العام ١٩٧٣ ، أي الى وقوع حرب تشرين الاول (اكتوبر) . وبلغت الملاحقة الاسرائيلية ذروتها في نيسان (ابريل) ١٩٧٣ ، حين استطاعت وحدة اسرائيلية خاصة ، اقتحام عدة مواقع في بيروت واعتقال ثلاثة من قادة المقاومة البارزين ، وعدد آخر من عناصرها .

اختلف ميزان القوى المحلية بوقوع حرب تشرين الوطنية . وكان لهذا الخلل على صعيد علاقات الصراع بين الحكم الأردني والقوى المادية للشعب الفلسطيني المنظمة في منظمة التحرير الفلسطينية ، أثارا هامة ، عكست نفسها على مجرى الصراع العام

في المنطقة ومكوناته الاساسية . اذ انه في الوقت الذي امتنع فيه الحكم الاردني عن فتح جبهته العسكرية مع العدو ، وقام بعد عدة ايام من وقوع الحرب بارسال بعض وحدات جيشه الى الجبهة السورية ، من قبيل رفع العتب كما قال الرئيس السوري حافظ الاسد(١٩)، كانت المقاومة الفلسطينية تفتح جبهة عسكرية ثالثة مع العدو من الحدود الشمالية لفلسطين . وبما ان التحرك السياسي العربي بمجموعه ، تحدد بعد تشرين بالافاق السياسية التي حكمت العمل العسكري ، الا وهي تحقيق تسوية سياسية لمسألة الاراضي المحتلة في حرب العام ١٩٦٧ ، فقد أدى تخلف الحكم الاردني عن المساهمة الفعالة في الحرب ، الى اضعاف موقعه السياسي على خريطة التسوية . بينما أدت المشاركة الفلسطينية الفعالة في الحرب ، الى احتلال منظمة التحرير الفلسطينية ، موقع الشراكة والندية للطرف العربي التي حاربت لتحقيق تسوية على أساس وطني .

جرى التحرك السياسي للحكم الاردني بعد حرب تشرين ، منطلقا من ادراكه التام لحقيقة ضعف موقفه بين اطراف الصراع، خاصة ضعف موقفه ازاء الطرف الفلسطيني . فعهد ، لتغطية تخلفه عن المعركة العسكرية ، الى اعلان انسجام موقفه السياسي مع الموقف العربي العام ، الذي حدد ملامحه الاولى خطاب الرئيس المصري انور السادات يوم ١٦/١٠/١٩٧٣ . فقد عقد الملك حسين مؤتمرا صحفيا قال فيه : « اننا نعتبر موقفنا جزءا من الموقف العربي العام . وعندما يكون الامر متعلقا بالقضية الفلسطينية وحقوق اهلنا هناك ، فنحن معنيون مباشرة » (٢٠) . وترجمة للانسجام الاردني هذا مع الموقف العربي ، وتمسكا منه بحق التفاوض على مستقبل الارض الفلسطينية المحتلة ، جرى تحرك الحكم الاردني في اتجاه تحقيق موقع تفاوضي متوازن له في عملية التسوية السياسية . فطاف مبعوثو الملك حسين معظم العواصم العربية ، ثم قام الملك نفسه بزيارة هذه العواصم .

كان التحرك السياسي الاردني يستهدف تطويق الموقف الفلسطيني ، واستدراج الانظمة العربية الى وجهة النظر الاردنية القائلة ، بأن موضوع تحرير الارض يجب ان يحتل الاهتمام الاول لدى العرب في هذه المرحلة ، وان الخلاف الاردني مع منظمة التحرير الفلسطينية يجب ان يحل داخل جدران البيت العربي (٢١) . الا ان فشل الحكم الاردني في الحصول على موافقة عربية على وجهة نظره تلك ، دفعته الى خطوة تراجعية تكتيكية عشية انعقاد مؤتمر القمة العربي بالجزائر ، الا وهي طرح خيارات محددة امام الشعب الفلسطيني بعد استرجاع الاراضي المحتلة ، تتم من خلال استفتاء عام يتقرر بموجبه اما عودة الضفة الغربية الى سابق وضعها مع الحكم الاردني ، او اختيار صيغة اتحادية معه ، او الاستقلال عنه . غير ان منظمة التحرير الفلسطينية رفضت ان يستفتى الشعب الفلسطيني على فلسطينيته . فلم يأخذ مؤتمر قمة الجزائر بوجهة النظر الاردنية هذه ، واطر في ظل مقاطعة الملك حسين لجلسات القمة ، وجهة النظر الفلسطينية المنضمة لتحديد وحصر التمثيل السياسي للشعب الفلسطيني بمنظمة التحرير الفلسطينية .

اعتبر قرار قمة الجزائر ذلك ، نصرا سياسيا هاما لمنظمة التحرير الفلسطينية في مواجهة الحكم الاردني . الامر الذي دفع بالمسؤولين الاردنيين الى محاولة قطع الطريق على المنظمة ، عن طريق وضع اليد على الارض الفلسطينية ، من خلال « فصل » اللقوات الاردنية والاسرائيلية على جانبي نهر الاردن . وجرت بالفعل ، محاولات اردنية متعددة لتحقيق هذه الغاية ، خلال انعقاد الدورة الاولى من مؤتمر جنيف في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ (٢٢)، وبعد ذلك . الا ان التصلب الاسرائيلي افشل محاولات الحكم

تلك ، واعاده مجددا الى بذل محاولات جديدة على الصعيد العربي ، لكسر قرارات قمة الجزائر حول التمثيل الفلسطيني . وتحقق له ذلك من خلال اللقاء الذي تم بين الملك حسين والرئيس المصري انور السادات في تموز (يولييه) ١٩٧٤ بالاسكندرية .

كان هدف بيان الاسكندرية ذلك ، اعطاء دمع جديد لمحاولات الحكم الاردني تحقيق « فصل » القوات على نهر الاردن . وتعزز ذلك كله بتأخير انعقاد مؤتمر القمة العربي السابع ، لاعطاء الحكم الاردني مزيدا من الوقت لتحقيق غايته السياسية . الا ان التصلب الاسرائيلي قاد الحكم الاردني مجددا الى الفشل ، كما كان لنجاعة وسرعة التحرك السياسي الفلسطيني ، على الصعيدين العربي والدولي ، اثرا حاسما في اعادة تصحيح الموقف المصري من مسألة التمثيل ، بصدور البيان الثلاثي المشترك بين وزيرى خارجية مصر وسوريه ورئيس الدائرة السياسية بمنظمة التحرير الفلسطينية ، اثر اختتام اجتماعاتهم بالقاهرة في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٤ .

وانعقد مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط ، في اجواء الانتصارات السياسية الفلسطينية المتتالية ، خاصة على صعيد طرح القضية الفلسطينية كبنء مستقل على جدول اعمال الدورة التاسعة والعشرين لهيئة الامم المتحدة ، ودعوة منظمة التحرير الفلسطينية لافتتاح النقاش حول القضية هذه ، بأغلبية مئة وخمس دول . كما كان لانحياز اوسع الجماهير الفلسطينية في الضفة الغربية لصالح منظمة التحرير ، اثرا هاما في وضع الوفد الاردني لدى مؤتمر قمة الرباط في موقع التسليم لمنظمة التحرير الفلسطينية بحقها كطرف وحيد بتمثيل الفلسطينيين والتحدث باسمهم . وبنتيجة مؤتمر قمة الرباط ، وقراراته الفلسطينية ، انتهت منظمة التحرير صراعاها المتعدد الاشكال ضد الحكم الاردني ، والذي استمر عشر سنوات ، بنصر حاسم . وبنتيجة قرارات الرباط تلك ، بعد عشر سنوات من الكفاح الطويل والمرير للشعب الفلسطيني ، استطاع هذا الشعب ، أن يمسك بزمام قضيته السياسية بكلتا يديه ، وان ينفض عنه كل أشكال الوصاية العربية ، وأن يضع نفسه ويكتل كافة جهوده وطاقته ، لصراعه الطويل والمستمر مع العدو الاسرائيلي .

- ١ - من القمة الى الهزيمة مع الملوك والرؤساء العرب ، أحمد الشقيري ، دار العودة ، بيروت ، ص ٦٣ .
- ٢ - من القمة الى الهزيمة ، المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .
- ٣ - جريدة الاخبار البيروتية ، ١٩٦٥/١٠/١ .
- ٤ - جريدة الدفاع الاردنية ، ١٩٦٥/١٠/١ .
- ٥ - جريدة انار الاردنية ، ١٩٦٥/١٠/١ .
- ٦ - سلسلة سجل الآراء حول الوقائع السياسية في البلاد العربية ، دار الابحاث والنشر ، بيروت ، كاتون الثاني - شباط ١٩٦٦ ، عدد ١ .
- ٧ - جريدة المحرر البيروتية ، ١٩٦٥/١١/٢٦ .
- ٨ - « المحرر » ، ١٩٦٥/١٢/٢٦ .
- ٩ - « المحرر » ، ١٩٦٦/١/٦ .
- ١٠ - « المحرر » ، ١٩٦٦/٣/٢ .
- ١١ - سلسلة سجل الآراء حول الوقائع السياسية ، مصدر سابق ، حزيران ١٩٦٦ .
- ١٢ - جريدة النهار اللبنانية ، ١٩٦٨/٢/١٨ .
- ١٣ - جريدة الاهرام المصرية ، ١٩٦٨/٢/٢١ .
- ١٤ - مجلة الحرية اللبنانية ، ١٩٦٩/١/٦ .
- ١٥ - جريدة « النهار » ، ١٩٧٠/٢/١١ .
- ١٦ - جريدة الانوار اللبنانية ، ١٩٧٠/٢/١٤ .
- ١٧ - جريدة الحياة اللبنانية ، ١٩٧٠/٦/١٢ .
- ١٨ - اليوميات الفلسطينية ، المجلد الرابع عشر ، مركز الابحاث ، يوم ١٨/٧/١٩٧١ .
- ١٩ - مجلة الصياد اللبنانية ، ١٩٧٤/٣/٥ .
- ٢٠ - جريدة الدستور الاردنية ، ١٩٧٣/١٠/١٨ .
- ٢١ - « الدستور » ، ١٩٧٣/١٢/٢٥ .
- ٢٢ - « الدستور » ، ١٩٧٣/١٢/٢٤ .

النفط العربي وقضية فلسطين : علاقة جدلية

يوسف عبدالله صائغ

احاول في هذه الدراسة ان استكشف طبيعة العلاقة بين النفط العربي وقضية فلسطين وحدود هذه العلاقة، وذلك ضمن المدى الزمني الذي يتوقع ان يتطلبه النضال من أجل تحرير فلسطين واكتمال دورة الحياة العربية ، السياسية والاقتصادية ، بعد زوال الكيان الصهيوني الذي يعطل جريان هذه الدورة .

على انني في محاولتي هذه مدرك تمام الادراك لوجوب العودة الى الخلف ، الى الفترة الممتدة بين منتصف القرن التاسع عشر وعشرينات القرن الحالي ، ومنها الى الحقب الخمس التي تصل العشرينات بيومنا الحاضر ، اي التي تنتهي بحرب رمضان (تشرين الاول) ١٩٧٣ وبالعهد الجديد الذي اطلقته . هذه العودة الى الخلف ضرورية لان بروز خطوط « المشروع الصهيوني » في الاوساط اليهودية الصهيونية ، الرامي الى استعمار فلسطين واقتلاع اهلها العرب ، والذي امتد من ثمانينات القرن الماضي حتى وعد بلفور عام ١٩١٧ ، لازمه وسبقته في الاوساط الغربية السياسية اهتمام استعماري بوجود جالية يهودية كبيرة ومن ثم كيان صهيوني سياسي في فلسطين « يحرس » طريق الامبراطورية البريطانية الى الهند ويسمح للامبراطورية كذلك بموطء قدم في فلسطين القائمة على مشارف البحر المتوسط ، التي اتضح ان عمقها الجغرافي العربي والفارسي يختزن ثروة نفطية كبيرة : ثروة كانت الامبراطورية مهتمة كل الاهتمام بالسيطرة عليها واستخدامها وقودا لاسطولها وآلتها الحربية جملة ولصناعاتها المتسعة على السواء .

ولا بد لي من الاعتراف انني ، اذ اسجل هذا التلازم بين اسهام الامبراطورية البريطانية (ومن ثم دول غربية اخرى) في تحقيق وتجسيد المشروع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين ، من جهة ، وبين تطلعات المصالح الاقتصادية الغربية — والسيطرة على النفط العربي من ضمنها — من جهة اخرى ، واذا اشدت على كون ترسيخ الكيان الصهيوني والسعي الى امتلاك واستغلال النفط العربي هما ظاهرتان لمنحى واحد هو السيطرة الخارجية لقسرية على الوطن العربي : اذ اسجل هذا التلازم على النحو الذي فعلت دون ان اقدم الادلة والمستندات المأخوذة من المراجع والوثائق التاريخية والدبلوماسية ، فانني اعرض نفسي للانزلاق صوب اسلوب « البيت » المسبق ، او الاسلوب التأكيدي ، مما قد يشكل تحويلا متسرعا للفرضية المراد اثباتها الى نتيجة نهائية ، وهو منزلق كثيرا ما يقع فيه الباحث الملتزم .

غير انني اقبل كلفة هذه المجازفة الفكرية المحسوبة وارجو من القارئ ان يقبلها معي ، ذلك لاني ساكرس مدى هذا البحث للعلاقة الحالية والمتوقعة مستقبلا ، لا العلاقة التاريخية ، بين النفط العربي وقضية فلسطين ، ولان تاريخ العلاقة والتلازم بين السعي الاستعماري الغربي الى السيطرة على الموارد الاقتصادية العربية ، والسعي لقيام وتوطد المشروع الصهيوني الاستيطاني ، اصبح امرا ثابتا يدلل عليه

عدد — وان قليل — من الوثائق الدبلوماسية والبحوث التاريخية المتوفرة . (ولعل تقصي ابعاد هذه الخلفية وتسجيلها يستهوي الباحثين العرب ويحملهم على تقديم جهد مكثف لاجراء دراسة شاملة ومعقدة تدور حول التلازم الذي ذكرنا) .

الاستقلال السياسي للبلدان العربية : منطق جديد للعلاقة بين النفط وقضية فلسطين

حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وخلص معظم البلدان العربية من سلطة الاستعمار او الانتداب او الوصاية الغربية ، ظلت الدول الغربية الرأسمالية وحدها تنسج خيوط العلاقة والتلازم بين ما تدعي هذه الدول من مصالح اقتصادية — وبرزها النفط — ودعم الكيان الصهيوني في فلسطين ومن ثم تمكينه من ان يتخذ شكل الدولة ، كمرتكز للمصالح الغربية . وكنائب للدول الغربية يفرض على البلدان العربية « البقاء في بيت الطاعة » . وظلت عملية النسيج تسير في اتجاهين : تكثيف المعونة للصهيونيين ومن ثم للدولة الصهيونية لتلعب الدور الموكل اليها بالمزيد من القدرة والفاعلية ، والمساعدة في استغلال الموارد النفطية العربية لتمكين الدول الغربية من مد مركبها الصناعي والعسكري بالوقود والمواد الصناعية ولتتمكن بالتالي من توفير المزيد من الدعم للكيانات والبلدان الدائرة في فلكها — ومنها الكيان الصهيوني .

وهكذا لم يبرز في الذهن الغربي في فترة الحرب وفي مطلع عهد الاستقلال اي تصور واضح لامكان توجيه العلاقة بين النفط العربي وقضية فلسطين في منحى جديد يخدم البلدان العربية بالذات كما يخدم القضية الفلسطينية . وكل ما داعب الخيلة العربية اثناء الحرب كان الامل الخجول ، لدى لقاء الرئيس الامريكى روزفلت بالملك عبدالعزيز آل سعود عام ١٩٤١ ، في ان يتمكن الملك من التأثير في موقف الرئيس بالنسبة لفلسطين من خلال تذكيره بأن تحقيق التطلعات الامريكية النفطية في العالم العربي (وكانت بعد تطلعات حينذاك) يمر عبر تحقيق تطلعات الفلسطينيين العرب في وطنهم .

... الى ان جاء خريف عام ١٩٥٦ . وللمرة الاولى جسد العرب بالفعل الحاسم ادراكهم المتزايد لاهمية النفط العربي في تحريك الاقتصادات الغربية وتسيير آلتها العسكرية ، ومارسوا دورا رادعا متواضعا ، حين قطع السوريون انابيب شركة نفط العراق التي تحمل نفط العراق عبر سورية الى شاطئ البحر المتوسط في اعقاب العدوان الثلاثي الاسرائيلي البريطاني الفرنسي ضد مصر في قناة السويس . وكان الرد السوري اول انتفاضة نفطية عربية في وجه الغرب وفي خدمة القضية الفلسطينية ، ذلك لان العدوان على القناة انما كان فصلا من فصول الصراع العربي الصهيوني الناشئ عن استعمار الصهيونيين لفلسطين .

وكما في ١٩٥٦ كذلك في ١٩٦٧ ولكن على نطاق اوسع . فقد حجبت البلدان النفطية (ولو لفترة قصيرة) نفطها عن امريكا وبريطانيا عند قيام اسرائيل بهجومها في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وفعلت ذلك خدمة لمسرة القضية الفلسطينية . (من ثم في آب ١٩٦٧ طلبت الحكومة العراقية ان يتوقف تصدير النفط كليا لمدة اقلها ثلاثة شهور .) على أن ظاهرة جديدة برزت في اعقاب مؤتمر الخرطوم في ايلول ١٩٦٧ حين قررت البلدان العربية دعم صمود بلدين من بلدان « المجابهة » هما مصر والاردن ، (باستثناء سورية التي لم تحضر المؤتمر) ومن اجل ذلك تعهدت ثلاثة بلدان نفطية رئيسية هي السعودية والكويت وليبيا بدفع ما مجموعه ١٣٥ مليون استرليني سنويا لمصر والاردن . وهكذا اتخذت الخطوة الكبيرة الاولى في مسيرة استخدام الموارد المالية المتحققة بفضل تصدير النفط الخام من اجل فلسطين .

غير أن استخدام النفط في استراتيجية المجابهة العربية الاسرائيلية (عبر حجبه عن البلدان الغربية المائلة والمساندة لاسرائيل) ظل محدودا في ابعاده وفي آثاره حتى حرب رمضان (تشرين الاول) ١٩٧٣ — وذلك بالرغم من تعاضم موقع النفط العربي في مجمل الصورة النفطية العالمية ، وتعاضم موقع النفط بين مصادر الطاقة المختلفة ، ومن ادراك العرب لهذه التطورات ، ومن المبادرة المالية الاولى في دعم صمود اثنتين من دول المجابهة .

كانت وراء هذا الاستخدام المحدود جدا عدة اسباب ومبررات ، تتطلب شيئا من التمعن . اول هذه الاسباب ان السيطرة العربية على الموارد النفطية ، سواء بالنسبة لحجم الانتاج او اسعار الخام او التسويق ، كانت شبه معدومة كما كانت البلدان النفطية في معظمها تعاني من مركب النقص معتقدة انها لا تستطيع ان تنتج النفط وتسوقه ان هي أخذت مقدراته في يدها . الى جانب هذا السبب الذاتي كان هنالك عامل موضوعي آخر هو أن وضع السوق النفطية العالمية في الخمسينات وحتى اواخر الستينات كان يتميز بشيء من وفرة العرض بالنسبة للطلب (أي أن السوق كانت « سوق مشتريين » كما يقول المصطلح الاقتصادي) . وقد ترتب على هذا الوضع ممارسة الحذر الشديد من قبل المنتجين . اما السبب الثالث فهو عدم اكتمال التكتل الفعال لدى الدول العربية المنتجة فيما بينها والضعف العام الذي كانت « منظمة الاقطار المصدرة للبترول » (اوبك) تشكو منه حتى ابتداء حقبة السبعينات — مما لم يسمح للبلدان العربية ان تتصرف ككتلة في مجابهة البلدان الغربية الاستعمارية وعلى الأخص الولايات المتحدة الاميركية . اما السبب الآخر ، ولعله الاكثر أهمية فهو عدم نزوج الروح النضالية العربية بشكل عام من ضمن ارادة مشتركة للتحرك فسي مجابهة الاستعمار الغربي في معقله : فلسطين ، والنفط .

ولعل السبب الاخير الذي قدمته يؤكد على استنتاج في غاية الخطورة يثبت استقراء الاحداث : ذلك هو التلازم الواضح والتوى بين ارادة النضال العربية للتصدي لاسرائيل وللمجابهة مع البلدان الغربية في الحقل النفطي . وهكذا يشاهد ان استخدام النفط في المجابهة بشكل فعال لم يمارس بين ١٩٥٦ و ١٩٧٣ الا عندما تصدت الامة العربية عسكريا لاسرائيل . ويلاحظ ايضا ان التلازم المشار اليه وجها اخر هو أن السعي — مهما كان محدودا ومرحليا — لتحرير فلسطين كان يرافقه سعي واضح — مهما كان هو الاخر محدودا ومرحليا — لتحرير ارادة الدول النفطية وولد سيادتها على موارد النفط وتوسيع رقعة قدرتها على اتخاذ القرارات الرئيسية بالنسبة لحجم انتاج النفط وتسعيه وتسويقه .

النظرة المستقبلية : العلاقة الجدلية الفاعلة

في اتجاهي تحرير النفط وتحرير فلسطين

قد يقال ان البلدان النفطية في سعيها لاستكمال سيطرتها على النفط انتاجا وتسعيًا وتسويقا وتصنيعا انما تتحرك من منطلق المصلحة الذاتية الوطنية لا القومية ، وبالتالي ان دلالة هذا السعي بالنسبة لقضية فلسطين انما هي دلالة هامشية ، وان اية افادة تجنيها قضية فلسطين من استكمال السيطرة العربية على النفط انما هي افادة عارضة تتحقق صدفة كمحصول ثانوي لا عن سابق تصور وتصميم . وقد يكون في هذا الادعاء شيء من الصحة . غير أنني اعتقد أن مقدار صحة الادعاء لا يمكن احتسابه بشكل ثابت ومطلق . انه على العكس مقدار متغير . فلو كان الادعاء المذكور صحيحا الى حد بعيد قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، الا انه اصبح قابلا للدحض الى مدى يذكر خلال

هذه الحرب وفي الفترة التالية لها . ان تأكيدى هذا ينبغي الا يفهم منه أن البلدان النفطية تضع خدمة قضية فلسطين في قلب استراتيجيتها واهتماماتها النفطية وانها تضع مصلحتها الذاتية الوطنية على هامش هذه الاستراتيجية والاهتمامات . ان مقولة كهذه لا يمكن الدفاع عنها كما انها غير معقولة ، اذ لا يجوز أن يتوقع احد ان ايا من البلدان العربية يغلب المصلحة القومية العربية (وقضية فلسطين مركز الثقل فيها) على المصلحة الوطنية القطرية . غير انه مع هذا يمكن القول ، باستقراء المواقف والتصرفات العربية منذ مطلع السبعينات وحتى اليوم ، ان خدمة قضية فلسطين أصبحت حافزا ذا شأن في تقرير الاستراتيجية والسياسات العربية النفطية ، منتقلة بذلك من الهامش الى موقع أقرب من قلب اهتمامات البلدان النفطية في تقريرها لاستراتيجيتها وسياساتها النفطية هذه .

ولعل عام ١٩٦٧ كان عاما فاصلا بالنسبة لجعل قضية فلسطين مدخلا (input) من ابرز المدخلات في سعي الدول العربية النفطية للسيطرة على نفطها ، اذ شهد هذا العام للمرة الاولى حوارا وتحليلا جيدا على المستوى الرسمي لمسألة استخدام النفط في المجابهة العربية الاسرائيلية سواء أكان ذلك في الاتصالات التي جرت خلال حرب حزيران ١٩٦٧ او في مؤتمر بغداد في آب ١٩٦٧ ، او في مؤتمر الخرطوم في ايلول ١٩٦٧ . غير أن هذه المسألة وضعت على الثلج حتى مطلع السبعينات حين تحولت الى قضية عامة تناولها عدد من المفكرين العرب بحيث خلقت مقدارا محسوسا من الضغط على السياسيين العرب . وهكذا أخذ المجلس الاقتصادي في جامعة الدول العربية مبادرة درس موضوع استخدام المصالح الاقتصادية (ومنها النفط) في الضغط على الدول الغربية المساندة لاسرائيل لتحريك قضية فلسطين ، وان اقتصر غرض هذا التحريك على حمل اسرائيل على الانسحاب من الاراضي العربية التي احتلتها في يونيو ١٩٦٧ وعلى تمكين الفلسطينيين من استرداد حقوقهم « المشروعة » . وقد شكل المجلس الاقتصادي لجنة من الخبراء لتقييم المصالح الاقتصادية وسبل استخدامها لصالح القضية الفلسطينية وقامت اللجنة بتقديم تقريرها في ربيع ١٩٧٢* . ولئن لم تبرز على السطح دلائل تشير الى اتخاذ البلدان العربية مقررات واضحة وصريحة بهذا الشأن الا انه لا ريب في أن الاهتمام العربي بمسألة استخدام النفط في خدمة قضية فلسطين كان قد أصبح اهتماما ثابتا وجادا . وما ان جاءت حرب اكتوبر ١٩٧٣ الا وتأكد هذا الاهتمام عبر تجسيده في القرارات المتخذة يوم ١٧ اكتوبر في الكويت من قبل البلدان النفطية الخليجية العربية ، والقاضية بخفض انتاج النفط عامة وبحجبه عن بعض البلدان الغربية أبرزها الولايات المتحدة الامريكية بسبب موقفها المعادي جدا لقضية فلسطين .

يشكل اجتماع البلدان الخليجية النفطية في الكويت منعطفا رئيسيا في تاريخ العلاقة بين النفط وقضية فلسطين ، اذ سبق القرارات المتصلة بخفض الانتاج وبحجب النفط قرارات اخرى اتخذت (بحضور ممثلي البلدان النفطية العربية الخليجية زائدا ممثل ايران) في اليوم السابق اي ١٦ اكتوبر وهي تتصل بأسعار النفط . ان التطابق الزمني بين الاجراءات المجسدة لتعميق السيطرة على مورد النفط وتلك المتصلة باستخدام النفط لدعم قضية فلسطين لم يكن صدفة . على العكس فانه يضع خطأ عريضا تحت التلازم بين النضال من أجل تحرير النفط من السيطرة الاجنبية (انتاجا وتسعيرا وتسيوينا) والنضال من أجل تحرير فلسطين — هذا مع الادراك ان النضال من أجل

* بالنسبة للنفط ، انظر مقالى « النفط العربي في استراتيجية المجابهة العربية الاسرائيلية » في شؤون فلسطينية عدد ١٦ ، كانون الاول ١٩٧٢ .

السيطرة الكاملة على النفط تسارع بشكل واضح جدا مما يسمح بالامل ان تتم هذه السيطرة في أعماق معانيها ومدلولاتها في وقت قريب جدا ، في حين ان تحرير فلسطين يتطلب مدى زمنيا أطول ونضالا أشد عنفا ومرارة .

يجدر بنا عند هذه النقطة ان نتمعن بالمزيد من التدقيق والتعمق في طبيعة وحدود العلاقة بين النفط العربي وقضية فلسطين من زاويتين اثنتين تربطهما معناه أرض مشتركة هي أرض التنمية العربية في أوسع معانيها : الزاوية الأولى هي النفط وتحتدي التنمية والثانية هي تحدي تحرير فلسطين والتنمية . ولئن كانت الزاوية الأولى واضحة المعالم فإن الثانية بحاجة الى شيء من الإبراز ، وعلى أي حال فإنني سأكرس ما تبقى من هذا البحث لدراسة كل من زاويتي النظر ولدراسة ارتباطهما وكيفية تفاعلها .

غير ان من الضروري التشديد على وجهين من أوجه دور النفط في خدمة قضية فلسطين بالرغم من أنهما بديهيان ولا يحتاجان الى المزيد من البحث ، ولا يقعان ضمن اطار الحديث عن التنمية بشكل مباشر . ما أقصده هنا هو أولا تمكن البلدان النفطية بفضل الموارد المالية الناجمة عن نشاط قطاع النفط من تمويل جميع حاجاتها الدفاعية ، ونصيب يذكر من حاجات الدفاع والصمود في بلدان المواجهة المباشرة . ولقد أظهرت حرب اكتوبر ١٩٧٣ اتساع نطاق المشاركة العربية في النضال المسلح ضد إسرائيل ، كما أظهرت ضرورة صياغة استراتيجية الدفاع والتسلح على نطاق الوطن العربي بشكل تتحقق معه الفائدة القصوى من الانفاق العسكري . أما الوجه الثاني فهو استخدام النفط كجهاز ضغط سياسي على البلدان الممائلة لإسرائيل ، أو كرادع لها من الاستمرار بمواقفها المعادية للعرب . ويتخذ هذا الاستخدام شكل حجب النفط ، وضغط الانتاج ، وسحب الارصدة المالية النفطية من أسواق البلدان المعادية ، كما قد يتخذ اشكالا أخرى .

النفط وتحدي التنمية :

التنمية التي هي محور الاهتمام في هذا القسم من البحث ليست مجرد تزايد في الدخل الفردي من ضمن « الدورة الاقتصادية العادية » ، فهذا المفهوم يشكل مقاربة بريئة ومفرقة بالتبسيط . بل انني لا أقصر مفهوم التنمية على كونها عملية تصنيع ، مع ان هذا المفهوم يشكل مقاربة أكثر صقلا . ذلك ان التصنيع في ذاته مع ما يعنيه من ادخال التكنولوجيا الحديثة الى النطاق الانتاجي والتنظيمي والتوزيعي أي ولوج « عصر الحضارة الصناعية » بحدودها الاقتصادية والمؤسسية، يظل خلوا من المحتوى الاجتماعي والسياسي الصريح .

ان مفهوم التنمية الذي أرمي اليه يتناول التنمية كعملية ثورية تحريرية متكاملة ذات محتوى سياسي مؤسسي اجتماعي ، وثقافي علمي الى جانب المحتوى الاقتصادي . فهي تعني تزايد الدخل الفردي واستمرار ارتفاعه ، وتحقيق النمو بفضل جهد المجتمع الذاتي المتواصل ، كما تعني كذلك ولوج عصر الحضارة الصناعية ، ولكنها تمتد الى ما هو أبعد من ذلك . وبالتحديد فالتنمية ضمن المفهوم المتكامل لا يمكن ان تتم دون حدوث تبدلات سياسية واجتماعية جوهرية تسمح باستيفاء الشروط الاقتصادية المتصلة بالنمو السريع والمستمر . من هنا يتضح ان التنمية المتكاملة تطلق تحديات ضخمة للمجتمعات والمؤسسات والافراد تتخطى في هويتها وفي أثرها التحديات الاقتصادية مهما كان شأن هذه وجعلها .

من البديهي ان يتركز دور النفط في عملية التنمية المتكاملة من ضمن اطار مفهومها

الواسع . على انني لن أدخل في بحث مستفيض للتنمية ومقرراتها ، فليس هذا هو المجال الملائم . ولذلك سأقتصر على تعداد النواحي الإنمائية التي يستطيع النفط ان يسهم فيها ، وأهمها في اعتقادي :

(ا) توفير الموارد المتزايدة للتمثير بفضل المداخل النفطية ، على الصعيدين الوطني (القطري) والقومي ، وهذا يعني فيما يعني تلبية الحاجة الى الموارد التثميرية لدى البلدان العربية غير النفطية والاستغناء عن مصادر التمويل الاجنبية مع ما يلزم المعونات الاقتصادية الخارجية من محاذير سياسية ونفسية واجتماعية ، واقتصادية كذلك .

(ب) تمكين الوطن العربي من القيام بمقاربة عربية شاملة لموضوع استخدام العائدات النفطية — اي استخدام العائدات على مستوى الوطن العربي ضمن مختلف صيغ التتمير المشترك ، وبالتالي تسهيل عملية التكامل الاقتصادي العربي .

(ج) استخدام النفط لتطوير التكنولوجيا وجعلها تتلاءم مع الحاجات والمعطيات الوطنية والقومية ، كمرحلة لاحقة لمرحلة استيراد التكنولوجيا الجاهزة وأرفع منها . ان هذا يستوجب تطوير العلم وتعميقه وتوسيع مدهاء في الوطن العربي وجعله منبعاً من منابع تطوير التكنولوجيا ، كما يستوجب مقاربة عربية مشتركة ، لا قطرية مشتتة ، للبحث والاختبار العلمي والدراسة الجامعية العليا .

(د) استخدام النفط لتحسين نوعية التعليم ونوعية القوى البشرية ، ولايصال فرص التعليم والتدريب الى اصغر فلاح في أقصى قرية .

(هـ) استخدام النفط لايجاد توزيع أكثر عدالة للنتائج القومي المتزايد مع أخذ عدد من التحفظات بالاعتبار . هذه التحفظات تشمل فيما تشمل الحذر من « الطلاق بين الجهد والمردود » مما يشاهد على نطاق واسع ومتزايد في البلدان النفطية الغنية ذات الاحجام السكانية الصغيرة ، وهي ظاهرة تنطوي على أخطار اجتماعية وقومية لا يجوز التغافل عنها أو اهمالها . كذلك ينبغي الالتفات الى خطورة تشتت الموارد المالية وهدرها بسبب وفرتها في استخدامات استهلاكية هوجاء او ثميرية خاطئة . وعلى الصعيد الوطني ينبغي الاهتمام بتحقيق مزيد من العدالة في التوزيع لا بين الافراد فحسب بل كذلك بين المناطق وبين القطاعات ، مع الاخذ بالاعتبار في هذا السياق ضالة نصيب العاملين في القطاع الزراعي في عملية التوزيع . وأخيراً ينبغي الحذر من خطر الاقتلاع الاجتماعي بفضل الطفرة المالية ، ومن خطر افراغ الريف وخلخلة التوازن السكاني .

(و) استخدام النفط بشكل يتحقق معه اندماج قطاع النفط في الاقتصاد الوطني ، من خلال انشاء شبكة من الصناعات والنشاطات المكتملة والمتكاملة ، على الاخص تلك التي تستخدم النفط والغاز ومشتقاتهما كمداخلات انتاجية .

(ز) استخدام النفط لتدعيم القدرات العربية العسكرية من أجل الدفاع عن المكتسبات الإنمائية وعن الموارد والحقوق الاقتصادية تجاه اسرائيل وتجاه الامبريالية ، ومن أجل الدفاع عن قضايا الوطن العربي ومصالحه . وينبغي التأكيد في هذا الصدد انه لا يقوم تعارض بل تلازم وثيق بين استخدام الموارد للحاجات الإنمائية واستخدامها للحاجات الدفاعية . فالتنمية تشكل قاعدة صلبة للدفاع ، كما ان الدفاع يشكل سياجا واقياً لمكتسبات التنمية .

(ح) اتمام السيطرة على النفط انتاجاً ، وتسعيراً ، وتسويقاً ، وتصنيعاً ، وتصرفاً بالدخل النفطي — كل ذلك كوجه من أوجه امتداد السيادة القومية لتغطي جميع الموارد

العربية وكوسيلة من وسائل ضمان توفر الموارد لعملية التنمية على الصعيدين الوطني والقومي .

بعبارة مختصرة نستطيع أن نقول أن دور النفط في عملية التنمية المتكاملة هو تمكين العرب من الانطلاق بهذه العملية لترفع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والسياسية في الوطن العربي اي لترفع القدرة العربية الذاتية .

من الواضح ان استخدام النفط لهذا الغرض لا يتم بفضل قوى ميتافيزيقية مبهمه خارجة عن ارادة الانسان وفعله ، بل انه لا يتم بفضل جهود فردية متناثرة لا ضابط لها . فلا بد من قيام نظم سياسية اجتماعية اقتصادية ذات طابع وطني تقدمي وتحريري ، تقدر على ايجاد نمط لاتخاذ المواقف والقرارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية تستوفي عددا من الشروط ، اهمها : القدرة على استيعاب متطلبات التنمية المتكاملة ، والقدرة على وضع سلم اولويات صحيح لاستخدام الموارد النفطية وتعيين السياسة الانتاجية في ضوء ما يوحي به سلم الاولويات هذا ، وكذلك القدرة على استيعاب متطلبات العلاقات الدولية وتكييفها في ضوء المصلحة القومية لا الهلع منها والرضوخ لابتزازها والوقوع في أسرها ، واخيرا القدرة على بلوغ الرؤية القومية الواسعة من أجل الاستخدام الامثل للموارد النفطية على المستوى القومي .

ان قيام نظم سياسية هذه مواصفاتها يشترط قيام وتطور مؤسسات ديمقراطية حقيقية فاعلة ، ووجود مشاركة جماهيرية واسعة ، مما يمكن السلطات الوطنية من أن تعبر بصدق عن المصالح والحاجات والتطلعات الجماهيرية ، وان تجسد وجهة نظر الجماهير ومصالحها في المقررات السياسية الاقتصادية التي تتخذها ، وبالتالي ان تحقق التناسق بين الديمقراطية الاقتصادية الاجتماعية من جهة والديموقراطية السياسية من جهة اخرى .

عندئذ ، وعندئذ فقط ، يوضع النفط بفاعلية وبكامل ثقله في مواجهة تحديات التنمية الحقيقية والعميقة . ولا بد من التأكيد هنا انه في غياب شمول الرؤية الانمائية لا يتعدر وضع النفط في مواجهة التحديات فحسب ، وإنما قد يؤجل ذلك طويلا ، وقد يهتـز الانسجام بشكل خطير بين التنمية الاقتصادية من جهة والتنمية الاجتماعية السياسية من جهة أخرى .

آمل أن تكون قد اتضحت صلة التنمية بقضية فلسطين . غير ان لا ضرر من لم خيوط الافكار التي طرحت حتى الان . وأستطيع أن اوجز قناعاتي حول الموضوع المطروح بالقول أن التنمية التي يستطيع النفط ان يكون وقودا لمحركها (ان لم يكن محركا لمجالاتها) ذات صلة أساسية بتحرير فلسطين من خلال الاسهامات الاربعة التالية :

١) خلق المرتكز الاقتصادي الاجتماعي الصلب للتحرير وتكوين القدرة العربية على النضال الطويل المدى .

ب) تطوير المجتمع الفاعل ، المتحرر في ذاته وتطلعاته ، الواثق من نفسه .

ج) بلورة الارادة والروحية والنوازع النضالية التي لا بد من بلورتها اذا كان للتنمية المتكاملة أن تنطلق .

د) تمكين القيادات العربية ، من سلطات واحزاب وقوى وطنية ، من ادراك دور المتاح من الموارد في عملية التنمية وادراك الترابط بين التنمية والتحرير ، وبالتالي تمكين هذه القيادات من حسن استخدام المتاح من الموارد .

تحرير فلسطين والتنمية :

قد لا يكون الترابط بين التنمية والتحرير واضحا لبعض من يعنون بهذين الشأين . بل ان عددا ليس بقليل من المسؤولين العرب يتكلمون ويتصرفون كأن التنمية والتحرير أمران متناقضان لانهما ، كما يبدو لمن ينظر سطوحيا الى الامور ، يتنافسان على نفس الموارد ويتنازعان جهد المجتمع واهتماماته . ولا بد من أجل التعرف الى هوية الجسر الذي يربط بين التنمية والتحرير ان يكون لدى المحلل أفق اجتماعي تقدمي والا حجت رؤية هذا الجسر عن البصرة . **ان جسر الترابط هو التحرر الاجتماعي** . فالتنمية تخدم هدف التحرير بفضل ما تحققه للانسان من تحرر مما يجعل المجتمع يصر على التحرير ويسعى اليه ويضحى من أجله رافضا ان يعيش في اطار غير اطاره . ولا يستطيع النمو الاقتصادي مهما بلغ شأنه في رفع الناتج القومي وتحسين مستوى الاداء الاقتصادي ان يحقق تحولات في المجتمع تحمله على الاصرار على التحرير ما لم ترافق هذا النمو وهذا الاداء تحولات علمية واجتماعية وسياسية ، تشكل في مجموعها محتوى التحرر ، وتتيح للمجتمع ان يلتزم بأهدافه بعقلانية وفاعلية ، مما يستطيع المجتمع معه ان يبلغ الرؤية القومية الصحيحة وان ينهض بمسؤوليات التحرير ويتحمل تضحياته .

هذا الترابط بين التنمية والتحرير عبر التحرر ، مع عدم وضوحه لعدد من المعنيين بشأين التنمية والتحرير ، يظل أكثر وضوحا من دور التحدي المتمثل في السعي الى تحرير فلسطين في عملية التنمية . ان المقولة التي أطرحها هنا أن عملية تحرير فلسطين بدورها تفعل كمحرك ودافع للتنمية ، وبالتالي أن هناك تفاعلا تصاعديا ذا اتجاهين بين التحرير والتنمية مما يحدد طبيعة العلاقة بينهما كعلاقة جدلية . اما آلية فعل قضية فلسطين في عملية التنمية فيمكن وصفها بأنها تعمل باتجاه تحرير فلسطين من خلال سبل ثلاثة :

(ا) للحاح منطلق التحرير على ضرورة التحول ، والتحول السريع ، في النطاق العلمي والتكنولوجي والانمائي كما في النطاق العسكري والسياسي والاجتماعي .

(ب) الحاح منطلق التحرير على ضرورة حسن استخدام النفط والموارد النفطية كجهاز ضغط سياسي على القوى المساندة لاسرائيل ، مما يوجب تدعيم المنطلق الانمائي ليصبح هذا الجهاز الضاغط أكثر فاعلية بالنسبة لهدفه وأقل احتمالا للاضرار بالمصالح العربية التي تستخدمه .

(ج) اثر بروز الروح النضالية التي تحرك الفلسطينيين والعرب في اتجاه التحرير ، في انتشار روحية النضال في النواحي الاخرى للحياة العربية ومنها السعي الى التنمية والتحرر .

يتضح من سياق البحث حتى الان أن الضرورة الاولى أي التحول الشامل اكبر شأننا بكثير من الضرورة الثانية أي استخدام النفط كرادع وضغط سياسي ، لان اثر منطلق التحرير والسعي الى التحرير على التحولات المشار اليها دائم وعميق ، في حين ان استخدام النفط كجهاز ضغط سياسي انما هو أمر عابر . أما اثر بروز الروح النضالية التحريرية على عملية التنمية والتحرر فسنعود اليه فيما بعد .

لعل أول ما يتبادر الى الذهن هنا هو خطورة اغفال دور تحدي التحرير في اطلاق عملية التنمية وخطر هذا الاغفال . فليس من قبيل الابتزاز أو الارهاب الفكري أن يشدد الفلسطينيون واخوانهم العرب المعنيون باخلاص بتحرير فلسطين على المخاطر الضخمة

التي تحيق بالبلدان النفطية ان هي أهملت أو تجاهلت تحقيق تنميتها الذاتية ولم تسهم اسهاما بعيد المدى في تنمية شقيقاتها الأقل حظا منها . هذه المخاطر تنشأ من مصدرين : أولهما ، الجماهير الفلسطينية والعربية الراقبة في التنمية قاعدة للتحرر وللتحرير وهدفا في ذاتها على السواء ، وثانيهما إسرائيل والأمبريالية اللتان تقتربان بالعرب انتظارا لاية سانحة تدلل على الضعف والتراخي واستكشافا لاية ثغرة تستطيعان أن تنفذا منها الى الوطن العربي لتفتتا ارادته ولتحققا ما تقدران عليه من سيطرة على هذا الوطن ، مهما كان شكل السيطرة أو صيغتها ، أ عسكرية كانت أم سياسية أم اقتصادية ، أم مزيجا من هذه .

ولعل هذه المخاطر كانت ستنشأ ، ولكن حتما بمقدار أصغر من الحدة ، لو لم تكن قضية فلسطين قائمة . فالبلدان الغربية الرأسمالية وقد ساءها وآلها امتداد الاستقلال والسيادة العربيين الى الموارد الاقتصادية العربية وأبرزها النفط ، كانت حتما ستعتمد الى ايداء العرب ما استطاعت ردا على ممارسة العرب لسيادتهم على قطاع النفط بالنسبة للإنتاج والتسويق والتصنيع . على ان حدود الاذى الذي كانت البلدان الغربية ستعتمد الى ايتاعه بالعرب كانت عندئذ ستظل دون الحدود التي قد يبلغها الغرب اليوم بكثير . فالانتفاضة العربية منذ مطلع السبعينات ، وعلى الاخص منذ اكتوبر ١٩٧٣ ، تنطلق في سهمين كلاهما يؤلم الغرب لانهما موجهان معا الى السيطرة الغربية : تحرير النفط العربي ، ومحاولة تحرير فلسطين .

غير ان ما هو أكثر دلالة بالنسبة لتحليل دور تحدي التحرير في اطلاق عملية التنمية ، من العامل السلبي أي خطورة اغفال هذا الدور ، وهو ما كنت بصدد عرضه ، هو اثر بروز الروح النضالية التحريرية على جميع نواحي الحياة العربية ، وهو جانب ايجابي ومركز الثقل الرئيسي في آلية تأثير النضال من أجل تحرير فلسطين على انطلاق عملية التنمية . فالتحدي الكبير المتمثل في الاصرار على تحرير فلسطين يعمل كما بينت على تسريع عملية التنمية ، لا بفضل الحاح تحدي التحرير فحسب ، بل — وهذا ما هو أعظم شأننا — بفضل اثر الانتفاضة النضالية التي يطلقها الاصرار على التحرير على جميع أوجه وجوانب الحياة العربية .

ان الروح النضالية المتوجهة أساسا صوب التحرير والتي تتحدى السيطرة الخارجية المتجسدة في وجود إسرائيل واستمرارها ، أطلقت وتستثمر في اطلاق تيارات من التحدي في وجه السيطرة الخارجية على الموارد العربية وأبرزها النفط، كما انها أطلقت وتستثمر في اطلاق تيارات من التحدي في وجه التفتت والتناحر العربي ، والتخلف الاجتماعي ، والجهل ، والاتكالية ، والخنوع .

خاتمة

لقد أسهم النفط في مطلع القرن في انشاء وترسيخ المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين . وهو قادر اليوم أن يسهم في تحرير فلسطين من هذا المشروع . وان البصيرة لتقادرة أن ترى الترابط بين مصير النفط وقضية فلسطين : فهما اما أن يتحررا معا من السيطرة الاجنبية — بكل ما يعنيه هذا التحرير من مدلولات ، أو يظلان معا عرضة للخضوع لهذه السيطرة . (ولا ننسى في هذا المجال التهديدات الامبريالية الصريحة والبطنة على السواء الموجهة الى البلدان النفطية التي « خرجت عن الطوق » الغربي في سياستها النفطية) . كذلك تستطيع البصيرة أن ترى الاثر المشترك لتحرير النفط وحسن استخدامه في الوطن العربي ، وللسعي لتحرير فلسطين ، على مسيرة الوحدة العربية أو على الأقل على التعاون المكثف بين البلدان العربية .

من خلال هذا جميعه ، ومن سياق هذا البحث ، يتضح اننا في صدد ثلاث عمليات هي التنمية والتحرر والتحرير . كذلك يتضح ان هذه العمليات انما هي جوانب ثلاثة لمطلب عربي واحد . ومن هنا فان العلاقة الجدلية بين النفط وقضية فلسطين ، في محتواها وحدودها ، وفي تفاعلها وتصاعدها مما أثرت اليه في البحث ، ان هذه العلاقة الجدلية تنتهي بالتزاوج بين عمليتي التحرير : تحرير النفط وتحرر المجتمع من جهة ، وتحرير فلسطين من جهة أخرى . ولعل حرب أكتوبر ١٩٧٣ وضعت العرب في مطلع طريق الالف ميل صوب تحقيق هذا التزاوج .

يبقى أن يفعل الوطن العربي ، من خلال النفط وبفضله ، بروح نضالية حركية ، وضمن نمط تصرف عقلاني وعصري ، فالعاصرة ، التي لا يجوز ان تنسلخ عن تراث الماضي في جوانبه الايجابية القيمة ، انما هي ضمان لتحقيق الرؤية المستقبلية المشعة .

سلام النفط من الشعار الى الواقع

الدكتور عوده ابو ردينة

قال الرئيس الراحل جمال عبدالناصر ذات مرة : « النفط هو العصب الحيوي للمدنية ، وبدونه لا تتحرك اعمالها العظيمة واسلحتها ومواصلاتها . ويمكننا ان نعتبر انفسنا اقوياء ، اقوياء بفهمنا الكامل لقوة هذه الصلة التي تربطنا وتجعل أرضنا واحدة » (١) .

تقاس قوة بلد من البلدان بمعياريين اثنين ، قوتها العسكرية وقوتها الاقتصادية ، وتكمل القوتان احدهما الاخرى عادة ، فلا تستطيع احدهما أن تدوم طويلا دون الاخرى . ولذا فان العالم العربي هو احدى اقوى الامم في العالم وفقا لواحد من المعيارين الاثنين المذكورين آنفا . وفي لعبة البقاء الوطني، يستخدم الاستراتيجية الحكيم اقوى سلاح لديه في الوقت الاكثر استراتيجية ومناسبة — وهذا ما يجب ان يحدث بشأن النفط العربي .

والعالم العربي مهم في صورة الطاقة على نطاق عالمي بالنظر الى احتياطيه الهائل . وليس ثمة بديل للنفط العربي . وخلال الاعوام القليلة الماضية ازداد اعتماد العالم على النفط الى حد كبير فيما تحول سكان المنازل من الفحم الى النفط للتدفئة . كما تحولت محطات الطاقة الى الغاز الطبيعي أو النفط . وقد ازداد عدد السيارات ، واكتشف مستخدمو النفط الصناعيون تطبيقات جديدة للوقود السائل . ونجد اليوم ان النفط يقدم اقل من ٥ بالمائة بقليل من الطاقة الاجمالية في العالم غير الاشتراكي . ولا بد من الإشارة الى ان « النفط بوصفه مزلق المدنية لا يحل ثانيا الا بعد الغداء بوصفه أهم سلعة في العالم ، الوسيلة التي لا غنى عنها للانتصار في الحرب والمصدر الرئيسي للازدهار في السلام . وما من أمة خلال القرن الماضي استطاعت أن تصير دولة رئيسية دون مصادر مضمونة للنفط » (٢) .

خلال عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ عارضت مؤسسة الدفاع الاميركية ، وبخاصة سلاح البحرية ، خلق دولة يهودية في فلسطين لان ذلك من شأنه ان يهدد بالخطر مصالح الولايات المتحدة النفطية التي تعتمد عليها حليقات الولايات المتحدة . وكان برنامج استعادة العافية الاوروبية، الذي انفقت الولايات المتحدة عليه مبلغ ... ر.٣٠٠.٠٠٠.٠٠٠ دولار عام ١٩٤٨ ، يرتكز على أمل تلبية ٨٢ بالمائة من احتياجات أوروبا للنفط من النفط العربي (٣) . ومن الناحية الاخرى ، اعترض الصهاينة وأصدقاؤهم على النظرية القائلة بأن خلق اسرائيل سيهدد المصالح الاميركية بالخطر . الا أن رفض العالم العربي في ١٩٤٧ — ١٩٤٨ ان يهدد مصالح الولايات المتحدة النفطية برر اعتراض الصهاينة وحلفائهم في أميركا في حين انه أضعف الثقة في الجماعات الاميركية التي كانت تضغط ضد خلق اسرائيل . وكما علقت مجلة **يو اس نيوز أند ورلد ريبورت** في الرابع من

حزيران (يونيو) عام ١٩٤٨ : « ان الحكام العرب ... الذين يحصلون على ٢٣ سننا للبرميل الواحد ، يمنعمهم اهتمامهم الشديد بعائداتهم النفطية من ايقاف الانتاج في الابار انتقاما من دعم الولايات المتحدة لاسرائيل » (٤).

ولذا فان رفض العالم العربي استخدام النفط كسلاح دبلوماسي واقتصادي اقتنع رسمي السياسة الاميركية بأن لا صلة هناك بين سياسة الولايات المتحدة نحو اسرائيل ومصالحها النفطية في العالم العربي . ولم يستخدم العالم العربي النفط كسلاح سياسي في نضاله ضد اسرائيل ، لا في عام ١٩٤٨ ، ولا في عام ١٩٥٦ ، ولا في عام ١٩٦٧ . ويقول العميل السابق لوكالة الاستخبارات المركزية في الشرق الاوسط مايلز كوبلاند ان الرئيس الراحل عبدالناصر كان ، قبل موته ، يخطط تخطيطا جادا لحمل العالم العربي على استخدام النفط كسلاح بطريقة موحدة منسقة ضد الولايات المتحدة . وقد انذر كوبلاند من انه « ستكون هناك متاعب في المستقبل ، وستكون متاعب للمصالح الاميركية وليس لاسرائيل » (٥) . وهكذا كان موت الرئيس عبدالناصر مصدر ارتياح عظيم للولايات المتحدة . وبعد موت الرئيس عبدالناصر ، استكشف الرئيس السادات سبلا عديدة لالغاء هزيمة عام ١٩٦٧ . وحصل على أسلحة ودفاع جوي من الاتحاد السوفياتي . وعام ١٩٧١ أكد لوسيط الامم المتحدة ، غونار يارينغ ، استعداداه للقبول باتفاق سلام ، لكن اسرائيل ابت ان تلزم نفسها بالانسحاب . وفي تموز (يوليو) ، ١٩٧٢ ، أخرج الرئيس السادات السوفيات من مصر ، وكان أحد الاسباب هو عدم تزويدهم مصر بأسلحة هجومية ، ولكن السبب الآخر هو امله في اقناع الولايات المتحدة بالضغط على اسرائيل للقبول بتسوية . على ان الولايات المتحدة لم تستجب . وفي النصف الاول من عام ١٩٧٣ ، استخدم الرئيس السادات التأييد من اخوانه العرب ، ولا سيما العربية السعودية ، كما استخدم التهديدات البتونة حول مصالح الولايات المتحدة النفطية . ولكن بدا ان ايا من هذه التحركات لم تقرب الرئيس السادات من التسوية .

وقبل فرض حظر النفط العربي في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، لم تكن التهديدات العربية باستخدام النفط كسلاح سياسي تؤخذ على محمل الجد . ولم تكن الولايات المتحدة تشعر بتقدير كبير لقدرة العرب على ممارسة أكثر من ضغط اقتصادي مقطوع ضد مصالح الولايات المتحدة في العالم العربي . وهكذا طالما ظلت الولايات المتحدة تعتبر ان اسرائيل لا تشكل خطرا جديا على مصالحها ، لم يكن ثمة ما يدعوها الى تخفيف دعمها لاسرائيل .

ويقول الاستاذ مايكل هدسون من جامعة جونز هوبكنز ان رسمي السياسة الاميركية كانوا ينظرون الى الحكومات العربية على انها ضعيفة ومتخلفة . « ان التهديدات والوعود العربية تفتقر الى المصدقية ، ومهما كان السلوك الذي يظهره العرب — سواء كان عنقا أم اعتدالا — فانه سيفسر على الأرجح كعلامة على الضعف ، او النفاق ، او اللاعتقالية ، ولا يمكن توقع استمراره في أية حال . ولذلك فان الاستجابة الاميركية المناسبة للمناورات العربية المعادية هي تجاهلها لاطول مدة ممكنة » (٦) .

وكان راسمو السياسة الاميركية على يقين تقريبا من انه ما لم تصب المصالح الاميركية في العالم العربي بضرر مباشر — وهو أمر كان يعتبر غير محتمل — فستبقى مصالح الولايات المتحدة النفطية غير متأثرة بالحالة السياسية في المنطقة — او حتى بحرب جديدة .

في شباط (فبراير) ١٩٧٣ ، سئل وزير الدفاع الاسرائيلي السابق موشي دايان اذا كان يخشى من أن أزمة النفط العالمية قد تدفع الولايات المتحدة ذات يوم الى تبني سياسة منصفة نحو النزاع العربي - الاسرائيلي . فأجاب دايان بطريقة جافة : « ان تقديري الكبير لاميركا يمنعني من التفكير بأنها سترضى بأن تملى عليها السياسة الخارجية لان ملكا عربيا ما يملك نفطا » (٧) . وإلى ذلك ، جادل وزير خارجية اسرائيل السابق ابا ايان بأن الدول العربية « لا خيار لها سوى أن تباع النفط لانه لا يوجد لديها أية مصادر أخرى على الاطلاق » (٨) . وادعى الكثيرون من الاسرائيليين الآخرين بأن الملك فيصل يقم روابطه الاميركية تقييما كبيرا يمنعه من أن يلعب لعبة سياسية بالنفط . وقال احد الدبلوماسيين الاسرائيليين في واشنطن : « لا نعتقد اننا يجب ان نخشى أي نوع من أنواع الابتزاز العربي . ان مثل هذا الكلام هو اختراع مصطنع » (٩) . وصرح السناتور هنري جاكسون ان « علاقتنا الوثيقة والتعاونية مع اسرائيل تعمل على دعم المصالح الاميركية الاخرى ، وليس على تقويضها » (١٠) . وقال جاكسون ان وجود اسرائيل في الشرق الاوسط هو عامل استقرار للعربية السعودية وغيرها من الدول المنتجة للنفط والمشيدات العربية ، وجادل بأن وجود اسرائيل قوية من شأنه أن يكبح الراديكالية والقومية العربيتين ، اللتين تشكلان خطرا بعيد المدى على ممالك النفط هذه .

لقد كانت السياسة الاسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ ، ودعم الولايات المتحدة لها، يرتكز ان على المقدمة المنطقية بأن اسرائيل هي دولة محلية قوية وفقا لمقاييس الشرق الاوسط وبأن سيطرتها التكنولوجية ستزداد مع الزمن . وإلى ذلك ، لم يكن الدعم الاميركي لاسرائيل يهدد مصالح الولايات المتحدة النفطية في العالم العربي . وفي الواقع ، ازداد انتاج النفط زيادة كبيرة وارتفعت أرباح الشركات بسرعة .

وكانت أول ضربة كبيرة أصابت مصالح النفط الاميركية هي التي وجهها العراق ضد شركة نفط العراق (ا.ي . بي . سي .) التي يملكها الغرب في حزيران (يونيو) من عام ١٩٧٢ . وقد اغفيت الحصة الفرنسية في شركة نفط العراق من عملية التأميم . وقالت الحكومة العراقية انها قامت بهذه الایماء نحو فرنسا تقديرا منه لموقف فرنسا المشرف المؤيدة للعرب في نزاع الشرق الاوسط . « ان العراق ، تقديرا منه لموقف فرنسا المشرف من القضية العربية وبغية المحافظة على علائق طيبة بين البلدين ، مستعد للدخول في مفاوضات مع الجانب الفرنسي حول قانون الحكومة المؤمم لشركة نفط العراق ، اذا كان الجانب الفرنسي يرغب في ذلك » (١١) . وكان اقدام حكومة العراق الثورية على تأميم شركة نفط العراق عملا مهما ذا دلالة لانها المرة الاولى التي ينفذ فيها أحد البلدان العربية تهديداته ضد شركات النفط الغربية .

ومنذ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ ، كان الشعور المعادي لاميركا قد ابتدا يرتفع من جديد . وكان قد أضحى واضحا لمصر وسوريا أن اسرائيل قانعة بوقف النار وبيعائها في الاراضي المحتلة . ولم تظهر اسرائيل اي اهتمام في تغيير الوضع القائم . فقد كانت الاراضي المحتلة توفر لها منطقة عازلة ، وسهولة الحصول على النفط ، ومناطق للاستغلال والاستيطان ، وأيد عاملة عربية . ولن تؤدي المفاوضات الا الى التضحية ببعض هذه الفوائد . ولذا واجهت مصر وسوريا احتمال أن اسرائيل ستعمل بثبات على ترسيخ سيطرتها عن طريق الاعتماد على الدعم الاميركي .

وإلى ذلك ، كان قد أضحى واضحا أن اسرائيل تتمتع بحماية من الولايات المتحدة ، وانه لا يسعها البقاء في الاراضي العربية دون الدعم المالي والعسكري والدبلوماسي

الاميركي . وكانت النظرية التي دافع عنها الكثيرون هي ان تهديد مصالح الولايات المتحدة في العالم العربي من شأنه ان يجعلها تسارع الى تبني سياسة منصفة . وقد عبر محمد حسنين هيكل ، رئيس التحرير السابق لصحيفة **الاهرام** عن ذلك بقوله انه سيكون من الخطأ « القبض على الثور الاميركي الغاضب والمجنون من قرنيه . فالثور يجب ان يقتل في المنطقة العربية ، بلاريب ، ولكن ينبغي ان يتم ذلك على طريقة مصارع الثيران ، باستنزاف دمه » (١٢) . ومضى السيد هيكل يقول انه ، الى جانب القتال على قناة السويس ، يجب ان تخاض « الحرب » الحقيقية في البلدان العربية الغنية بالنفط (١٣) .

وبنمو الشعور المعادي لاميركا نظرا الى دعم الولايات المتحدة الاعمى لاسرائيل ، ارتفعت من جديد الاصوات المحرزة على استخدام سلاح النفط ، والنظريات حول افضل طريقة لاستخدامه . ووافقت اللجنة الاقتصادية التابعة للجامعة العربية رسميا ، ومن حيث المبدأ ، على استخدام النفط العربي والموارد الاقتصادية الاخرى كأداة للضغط . وفي اجتماع عقد في بغداد ، عام ١٩٧٣ ، ذهب الاتحاد الدولي لنقابات العمال العربية ، ومركزه القاهرة ، الى حد دعوة اعضائه الى « استخدام مختلف وسائل النضال » للاطاحة بالانظمة التي تعيق « الروابط الاقتصادية » مع الولايات المتحدة والى الشروع في تدمير المصالح الاميركية في العالم العربي . وفي نيسان (ابريل) عام ١٩٧٣ ربطت العربية السعودية ، لأول مرة ، تدفق نفطها الى الولايات المتحدة بسياسة واشنطن في الشرق الاوسط . وقد حمل الانذار السعودي الى واشنطن الشيخ اليماني . وقال الملك فيصل في مقابلة رسمية مع مراسلين صحافيين اميركيين في تموز (يوليو) عام ١٩٧٣ : « ان الولايات المتحدة لا تكسب شيئا من دعمها لاسرائيل ، التي هي عبء عليها . والمصلحة الحقيقية للولايات المتحدة في هذه المنطقة هي في التعاون مع العرب » . وازداد الملك قائلا : « اننا نرغب في استمرار الروابط الودية مع الولايات المتحدة » غير ان هذا سيكون « صعبا » الا اذا اظهرت الولايات المتحدة « سياسة اكثر انصافا وعدلا » (١٤) .

واعتقد الكثيرون من الخبراء داخل الحكومة الاميركية انه يمكن استرضاء الملك فيصل عن طريق عرض تقديم الخبرة الصناعية الاميركية ، وعن طريق الاسواق المضمونة والتمثير في الولايات المتحدة ، وربما بتقديم بعض المدافع والطائرات .

ولم يسبب تأميم شركة نلسون بنكر هنت للنفط في حزيران (يونيو) ١٩٧٣ اي قلق بين راسمي سياسة الطاقة . الا أن العمل الليبي كان الاول الذي تقوم به امة عربية مستخدمة السياسة الاميركية في الشرق الاوسط كسبب رئيسي للمصادرة . ووصف الرئيس المصري السادات تأميم شركة نلسون بنكر هنت للنفط بأنه « بداية معركة ضد المصالح الاميركية في المنطقة العربية بأسرها » (١٥) . واستطرد الرئيس السادات يقول ان « على اميركا ان تدرك انه لا يسعها ان تحمي مصالحها اذا ما استمرت في تحدي الامة العربية ودعم اسرائيل بلا حدود » (١٦) .

وقال الرئيس القذافي في خطاب القاها بمناسبة الذكرى الثالثة لطرد القوات الاميركية من قاعدة ويلوس الجوية : « لقد حان الوقت لان نوجه الى اميركا صفعه قوية في وجهها البارد المتغطرس » (١٧) . ومضى الرئيس القذافي يقول : « لقد حان الوقت لان يتخذ العرب خطوات جديدة لتقويض المصالح الاميركية في المنطقة . لقد تخطت الامبريالية الاميركية كل حد . . . فالاميركيون يدعمون عدونا الاسرائيلي » (١٨) .

وكما ذكرنا سابقا ، لم تكن التهديدات من العالم العربي في الماضي تؤخذ على محمل

الجد في واشنطن . وقد تجاهلت العاصمة الاميركية كلمات الملك فيصل والرئيس السادات والرئيس الغدافي . وقبل حرب تشرين (اكتوبر) عام ١٩٧٣ بتسعة عشر يوما ، صرح هنري كيسنجر قائلا : « لا يبدو ان هناك أي بديل قصير المدى لزيادة الواردات من الشرق الاوسط . لدينا علاقات ممتازة مع موردينا الرئيسيين في الشرق الاوسط ، العربية السعودية وايران ، ولا نتوقع أية ظروف تقومان فيها على قطع امدادنا » (١٩) . والى ذلك ، ففي ايلول (سبتمبر) عام ١٩٧٣ قال الرئيس نيكسون لدول النفط العربية انها ستجد نفسها بلا أسواق غربية اذا ما استخدم النفط كسلاح سياسي . كما انه ذكر الدول العربية المنتجة للنفط بما حدث لمصدق عندما أمم هو مصالح النفط الغربية في ايران . ولم يكن الرئيس نيكسون يفكر تفكيرا عقلانيا ، ربما بسبب فضيحة ووترغيت ، وتجاهل حقيقة انه لا يمكن مقارنة سوق البائعين الغالية بسوق المشترين التي كانت سائدة لعشرين سنة خلت . فالولايات المتحدة وحليفاتها تحتاج الى النفط العربي اكثر مما يحتاج العرب الى المال .

لقد استخف الاميركيون بالعرب . واستمرت الولايات المتحدة تعتقد انها غير مضطرة الى الاختيار بين المحافظة على الغزو الاسرائيلي وارضاء مصدري النفط العرب . وفي الثلاثين من كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ ، علقت صحيفة وول ستريت جورنال ، منبر دوائر الاعمال الاميركية ، قائلة : « لقد عجز المناضلون العرب حتى هذا التاريخ عن حمل الحكومات المصدرة للنفط على استخدام وقودها للضغط السياسي . ورغم الكثير من الكلام الشامخ حول الاخوة العربية ، فحتى جارات مثل سوريا والعراق واجهت صعوبات في الاتفاق على أمور مثل الرسوم المناسبة على خط انابيب يحمل النفط من العراق عبر سوريا الى البحر الابيض المتوسط » (٢٠) .

ولكن فجأة اندلعت حرب تشرين (اكتوبر) ووجدت اسرائيل نفسها في مأزق ، ولولا شحنات الاسلحة الاميركية الهائلة عن طريق الجو ، لكانت هزمت اسرائيل . غير ان شحنات الاسلحة الاميركية المنقولة جوا لتعزيز الغزو الاسرائيلي أنتجت تحركا سياسيا واقتصاديا غير متوقع . فالعالم العربي ، الذي عمل بصورة مجتمعة لأول مرة ، استخدم اكبر أداة للقوة لديه - نفطه . وتم فرض حظر للنفط ضد الولايات المتحدة ، والبرتغال ، وجنوب افريقيا ، وهولندا . واتخذ قرار بخفض الانتاج ١٠ بالمئة كل شهر الى أن تنسحب اسرائيل من جميع الاراضي العربية المحتلة .

في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ ، كان متوفرا للولايات المتحدة ١٧٦ مليون برميل من النفط يوميا (بما في ذلك النفط المحلي والمستورد) . وفيما أخذت الدول المعنية تشعر بتأثير الخفضات العربية ، هبطت الامدادات بصورة حادة في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ واستمرت تهبط حتى آخر شباط (فبراير) ، عندما بلغت أدنى نقطة - عند مستوى ١٦٣ مليون برميل يوميا ، نحو ٧٤ بالمئة أدنى من مستوى ايلول (سبتمبر) .

ويبدو ان الولايات المتحدة خسرت بصورة متوسطة خلال الازمة نسبة من امدادات النفط اكبر مما خسرت بقية العالم . فالولايات المتحدة ، خلال أسوأ أربعة أشهر من الازمة ، انخفض امدادها متوسط اربا بالمئة مما كان عليه في ايلول (سبتمبر) ، في حين لم ينخفض امداد بقية العالم خلال أسوأ أربعة أشهر من الازمة الا بمعدل ٣٤ بالمئة مما كان عليه في ايلول (سبتمبر) (٢١) . وأدى فرض الحظر ، مقرونا بطقس الشتاء ، الى نقص في الوقود . واضطرت مصانع الى التوقف عن العمل ، وظلت منازل بلا تدفئة ، وكان على الناس أن ينتظروا ساعات في الصف لشراء البنزين .

لذا كان لاستخدام النفط كسلاح سياسي فعل الصدمة بالنسبة للولايات المتحدة .

وكان الاستثمار في فرض الحظر سيهدد الاقتصاد الأمريكي بالخطر ويعرض الكثيرين لخسارة أعمالهم ، وقد قدر باحثو « آرثر ليتل وشركاه » ، المؤسسة الاستشارية الشهيرة دولياً ، أن استمرار الحظر « يمكن أن يؤدي إلى معدل بطالة يبلغ ٦ بالمائة إلى ٧ بالمائة » (٢٢) . وتمكن مقارنة هذا المعدل بالمعدل السابق لتشرين الأول (أكتوبر) الذي كان يبلغ ٥٤ بالمائة ، واعتبر أحد أدنى المعدلات في الأعوام الأخيرة . وقد شعرت بالنتائج المتسلسلة لحظر النفط العربي قطاعات أساسية مثل صناعات الكيمياء والنحاس الأحمر والصلب والسيارات والسكن .

وغير استخدام النفط كسلاح ترتب أولويات جديدة تماماً في الدبلوماسية الأمريكية . وأخذت الولايات المتحدة تنفر إسرائيل بجهودها لتحسين العلاقات مع العالم العربي . كما أن استخدام النفط كسلاح سياسي هدد المصالح الحيوية لأمريكا في العالم العربي . ولأول مرة صار ينظر إلى التزام أمريكا لإسرائيل كعبء ثقيل . وقد نجح سلاح النفط في عزل إسرائيل سياسياً . ووصف جوزف س . هارش ، محلل السياسة الخارجية المعتبر لصحيفة كريستشبن سيانس مونيتور ، استعمال النفط كسلاح وصفاً ملامئاً : « أنه الاستعمال الأكثر تأثيراً ، وقد يصير أول استعمال ناجح ، للعقوبات الاقتصادية في التاريخ الحديث » (٢٣) .

وصار للعالم العربي نفوذ في واشنطن ولدى واشنطن نفوذ كبير في إسرائيل نظراً إلى اعتماد إسرائيل التام على أمريكا . ولا يعني أي من هذا أن أمريكا ستتخلى عن إسرائيل أو تسمح باجتيابها . فالمجموعة الضاغطة لمصلحة إسرائيل في واشنطن ما تزال قوية النفوذ إلى حد هائل . كما أن الأصوات والأموال الموالية لإسرائيل في أية انتخابات ما تزال حثيثة هائلة في نظر السياسيين . وقد تحدث الجنرال جورج براون ، رئيس هيئة الأركان المشتركة الأمريكية ، عن النفوذ اليهودي - الصهيوني في الولايات المتحدة ، فقال : « انه قوي إلى حد لا يصدق . فالإسرائيليون يأتسون إلينا لأجل المعدات . فنقول لهم انه لا يعقل أن نتمكن من حمل الكونغرس على تأييد برنامج كهذا . ويقولون لنا : لا تهتموا بالكونغرس ، فنحن نتدبر أمر الكونغرس . والذي قال هذا هو شخص من بلد آخر » (٢٤) . وأضاف براون : « ولكنهم يستطيعون فعل ذلك . فهم ، كما تعلمون ، يملكون المصارف في هذا البلد ، والصحف ، انظروا فحسب أين توجد الأموال اليهودية في هذا البلد » (٢٥) .

وتنعكس سيطرة إسرائيل على الكونغرس الأمريكي في نقل كميات ضخمة من الإمدادات العسكرية النادرة إلى إسرائيل . وأحدى نتائج الإمدادات العسكرية الأمريكية لإسرائيل هي الحقيقة المذهلة التالية : أن أحدث طراز لدبابات م - ٦٠ التي جرى شحنها جواً من المستودعات العسكرية الأمريكية في ألمانيا الغربية إلى ساحة حرب الشرق الأوسط لم يتم استبدالها في مستودعات الأسلحة الأمريكية حتى الآن ، أي بعد مرور سنة كاملة .

وثمة أمثلة أخرى على انخفاضات خطيرة في مستوى القدرات العسكرية الأمريكية . وذكر أن حوالي ٦٠ دبابة من طرازي م - ٦٠ وم - ٤٨ ، قد شحنت على جناح السرعة إلى إسرائيل ، وهذا يشكل نحو ١٠ بالمائة من مجموع ما تملكه القوات الأمريكية العاملة . وحمل الجسر الجوي الأمريكي إلى إسرائيل ما يقارب نصف المخزون الأمريكي من صواريخ « تاو » الشهيرة المضادة للدبابات التي توجه سلكياً . وقد حصلت إسرائيل على قوافل لصواريخ « تاو » بالإضافة إلى ٢٠٠٠ صاروخ وهذا يشكل حوالي ٢٥ بالمائة من مجموع المخزون الأمريكي (٢٦) . وقد عوضت الولايات

المتحدة طائرات الفانتوم الاربعة والثلاثين التي فقدتها اسرائيل خلال حرب تشرين (اكتوبر) ، و اضافت ٢٠ طائرة فانتوم اخرى ، ويتوقع ان تقدم ٤٨ طائرة اخرى قبل اوائل الصيف (٢٧) .

لكن نفوذ النفط يوازن نفوذ المجموعة الضاغطة لمصلحة اسرائيل . وترغب واشنطن الآن في تسوية تتركز على قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ مع بعض التعديلات لاخذ الشعب الفلسطيني في الاعتبار .

لقد أنتج سلاح النفط تضمينات عميقة للقضية الفلسطينية . فمقابل أربعة أصوات « سلبية » و ٢٠ امتناعا عن التصويت ، وافق ١٠٦ من أعضاء الامم المتحدة على قرار للجمعية العمومية يسمح لمنظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات بأن تأتي الى الامم المتحدة في نيويورك وتشارك في المناقشة حول فلسطين . وفي ما عدا بلدين اثنين من أمريكا اللاتينية ، كانت الولايات المتحدة هي البلاد الوحيد الذي انضم الى اسرائيل في الاقتراع ضد القرار .

وتتشعر اسرائيل الآن بالعزلة أكثر من أي وقت منذ تأسيسها لست وعشرين سنة خلت . والامر الاسوأ من هذا هو انها تخشى أن يكون الرئيس فورد ووزير الخارجية كيسنجر يتحركان نحو الاعتراف بوجود منظمة التحرير الفلسطينية — الى جانب كل بلد آخر في العالم تقريبا .

ورغم الاقتراع الامريكى السلبي حول قرار الامم المتحدة ، فان سياسة الولايات المتحدة تتحرك بكثير من الدقة نحو موقف مؤيد لدولة فلسطينية بوصفها الطريقة الوحيدة لحل القضية الفلسطينية التي تدور حولها جميع مشكلات الشرق الاوسط الاخرى . وبالرغم من سياسة واشنطن المعادية لمنظمة التحرير الفلسطينية فان راسمي السياسة الامركية يشعرون بأن قمة الرباط تمثل قرارا متصليا اتخذه زعماء واثقون من أن قوتهم الاقتصادية الجديدة — النفط والمال — ستزعم الولايات المتحدة واسرائيل في النهاية على الاتفاق مع الفلسطينيين ، كما ان الدبلوماسيين الامريكيين في اسرائيل أكدوا لواشنطن ما سبق لمؤتمر قمة الرباط أن اكده وهو أن عاطفة الشعب في الضفة الغربية مؤيدة وموالية بقوة لمنظمة التحرير الفلسطينية . ويقال ان كيسنجر قال لبضعة أسابيع خلت : « لو كنت استاذا وليس وزيرا للخارجية لقلت انه من الضروري التعامل مع الفلسطينيين بغية المحافظة على السلام في الشرق الاوسط » (٢٨) . وتدرك الولايات المتحدة تمام الادراك أن حظرا ثانيا للنفط سيسبب « تمزقا رهيبا » . وقد ألمح الى ذلك رئيس هيئة الاركان المشتركة الامركية الجنرال جورج س. براون في خطاب القاها في العاشر من تشرين الاول (اكتوبر) ، عام ١٩٧٤ . ويشعر الرئيس فورد ان الولايات المتحدة بحاجة ماسة الى تسوية ، تتم قريبا . وقد قال لمجلة يو اس نيوز اند ورلد ريبورت : « يجب ان يكون واضحا للجميع انه لا يسعنا الاستمرار لفترة غير محدودة بالظروف الدقيقة جدا القائمة بين اسرائيل ومصر ، وبين اسرائيل والاردن ، وبين اسرائيل وسوريا ، أو أن نمتنع عن أخذ المصالح الشرعية للشعب الفلسطيني بعين الاعتبار . وبالإضافة الى ذلك ، لدينا مشكلة الاحتمال بأنه اذا ما وقعت مواجهة جديدة بين الاسرائيليين والعرب ، فقد تواجه إمكانية حظر نفط آخر . . . » (٢٩) .

في هذه اللحظة الحاسمة في تاريخ العالم العربي وبتنوع خاص تاريخ الشعب الفلسطيني لا بد من التوضيح للولايات المتحدة بأن أية محاولة تقوم هي بها لاجهاض خلق سلطة وطنية فلسطينية لن تسفر الا عن فرض حظر ثان أشد من الحظر الاول . ومن جهة اخرى ، يجب أن يقال لاسرائيل ان العالم العربي سيخوض الحرب حول

الصفة الغربية أو الفلسطينيين بحد ذاتهم . وحتى لحظة كتابة هذه السطور ، يبدو أن رابين وحكومته قانعين تماما باحتمال استمرار الطريق المسدود حول الصفة الغربية . ويعتقد رابين منذ وقت بعيد بأن العالم العربي لن يخوض حربا حول الصفة الغربية .

وأخيرا ، لم يعد راسمو السياسة الاسرائيلية والاميركية في مركز يمكنهم من الاعتماد على الشقاق العربي ليسهل لهم الامر في الحرب او المفاوضات بعدما اثبتت الايام خطأهم في التكهانات بأن العرب المنقسمين انقسامها عميقا على أنفسهم لن يستخدموا النفط كسلاح بصورة فعالة .

- ١٦ - في المرجع نفسه .
- ١٧ - في المرجع نفسه .
- ١٨ - في المرجع نفسه .
- ١٩ - بلاتس اويلغرام ، ١٧ أيلول (سبتمبر) ، ١٩٧٣ ، ص ٢ .
Platt's Oilgram
- ٢٠ - وول ستريت جورنال ، ٣٠ كانون الثاني (يناير) ، ١٩٧٣ ، ص ١٥ .
- ٢١ - تصريح ادلى به روبرت ستوبو Stobaugh أمام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ في ٢٥ تموز (يوليو) ، ١٩٧٤ .
- ٢٢ - وول ستريت جورنال ، ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٧٣ .
- ٢٣ - كريستشين سيانس مونيتور ، ١٨ كانون الاول (ديسمبر) ، ١٩٧٣ ، ص ب ٩ .
- ٢٤ - واشنطن بوست ، ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٧٤ ، ص ٩١ .
- ٢٥ - واشنطن بوست ، ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٧٤ ، ص ٩١ .
- ٢٦ - واشنطن بوست ، ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٧٤ ، ص ٢٣ .
- ٢٧ - كريستشين سيانس مونيتور ، ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٧٤ ، ص ١٩٧٤ .
- ٢٨ - واشنطن بوست ، ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٧٤ ، ص ٢٦ .
- ٢٩ - يو أس نيوز أند ورلد ريبورت ، ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٧٤ ، ص ٢٤ .
- ١ - Richard O'Connor, *The Oil Barons*, Little, Brown and Company, Boston, p. 348.
- ٢ - المرجع السابق نفسه .
- ٣ - يو أس نيوز أند ورلد ريبورت ، ٤ حزيران (يونيو) ، ١٩٤٨ ، ص ٢١ .
- ٤ - المرجع السابق نفسه .
- ٥ - لايف ، ٩ تشرين الاول (اكتوبر) ، ١٩٧٠ ، ص ٣٧ .
- ٦ - Michael Hudson, «Towards A Critique of U.S. Middle East Policy», *Middle East Forum*, Summer, 1971.
- ٧ - نيوزويك ، ١٩ شباط (فبراير) ، ١٩٧٣ ، ص ٤٩ .
- ٨ - مانسستر غارديان ويكلي ، ١٥ أيلول (سبتمبر) ، ١٩٧٣ ، ص ٤ .
- ٩ - وول ستريت جورنال ، ١٥ آب (أغسطس) ، ١٩٧٣ ، ص ١ و ١٩ .
- ١٠ - ناشنال ايزيرفر ، ١٦ حزيران (يونيو) ، ١٩٧٣ ، ص ٣ .
- ١١ - واشنطن بوست ، ٢ حزيران (يونيو) ، ١٩٧٣ ، ص ١٦ .
- ١٢ - مانسستر غارديان ويكلي ، ١٥ أيلول (سبتمبر) ، ١٩٧٤ ، ص ٤ .
- ١٣ - المرجع السابق نفسه .
- ١٤ - كريستشين سيانس مونيتور ، ٦ تموز (يوليو) ، ١٩٧٣ ، ص ٨ .
- ١٥ - واشنطن بوست ، ١٣ حزيران (يونيو) ، ١٩٧٣ ، ص ٤١ .

عشرة اعوام من عمر الكفاح المسلح الفلسطيني

المقدم الهيثم الايوبي

الثورة تعبير جماهيري منظم عن رفض واقع ظالم لا يحتمل ، والسعي الى تغييره بمختلف الاساليب العنيفة . وفق مخطط واضح المعالم ، مع السير على خط التطور التاريخي تحت لواء قيادة موهوبة واعية (فرد ، او مجموعة ، او حزب) مؤمنة بالجماهير وقادرة على تجسيد تطلعاتها . وان فقدت الثورة طابعها الجماهيري غدت انقلابا بلانكيا ، وان اضاعت مخطتها أصبحت حركة فوضوية او «بولانجية» تدور في مكانها ولا تصل الى هدف محدد ، واذا لم تنتج لها القيادة الموهوبة الواعية تبعثرت جهودها وتضاربت نشاطاتها وتشرذمت على الطريق ، وان توفرت لها جميع الشروط ، وسبحت رغم ذلك عكس تيار التطور التاريخي ، فقدت صفتها كثورة ، وغدت ثورة مضادة (دينيكن ، كولتسك ، بيغن) .

واذا انطلقنا من هذا التعريف العلمي للثورة ، وجدنا ان حركة النضال المسلح الفلسطيني التي انطلقت قبل عشرة اعوام كانت ثورة بكل ما في الكلمة من معنى . فلقد انطلقت كتعبير مسلح عن رفض الجماهير الفلسطينية لواقع القهر الصهيوني — الامبريالي ، وحددت لنفسها هدفا بعيدا هو تخليص العرب واليهود من الفكرة العنصرية الصهيونية ، وبناء دولة ديمقراطية يعيش فيها الجميع بسلام . وسارت نحو هذا الهدف الواقع على مسار خط التطور التاريخي ، تحت لواء قيادات واعية لاهدافها وامكاناتها وحقائق الظروف المحلية والدولية المحيطة بها ، تعمل مع الجماهير المتفتة حولها من أجل تحقيق تطلعات هذه الجماهير واهدافها العادلة .

وكان اختيار « الكفاح المسلح » كوسيلة لمجابهة العدو نابعا من تقييم طلائع الثورة الفلسطينية لطبيعة العدو (الصهيوني — الامبريالي) والقوى المحلية المتحالفة معه بالفعل او بالصمت وعدم الفعل المضاد ، وحقيقة التناقض العربي مع العدو بكل أشكاله . فلقد عت طلائع الثورة ان العدو يملك قوة تقنية وتفوقا صناعيا يتحول الى قوة حربية متقدمة ومنظمة . كما يملك خبرة طويلة في عمليات القمع واجهاض الثورات . ويتمتع بقسط كبير من العدوانية والثراسة ، ويؤمن بأن العنف القمعي هو الوسيلة الوحيدة لأخضاع الشعوب ، ويتمتع « هدف النزاع » بالنسبة اليه باهمية مصرية تدفعه الى القتال من أجلها ، ولو اضطره الامر الى خوض معركة يائسة حتى النفس الاخير ، وظهره الى البحر . كما عت هذه الطلائع ان **التناقض مع العدو تناقض عدائي** . وان العدائية مع اطراف التحالف المعادي متباينة ، وهي تبلغ الذروة في التناقض مع العدو الاسرائيلي . ويرجع السبب في ذلك الى : ١ — طبيعة الاستعمار الاستيطاني الذي لا يستهدف احتلال البلاد واضطهاد اهلها ونهب خيراتها وتركيز قواعده القمعية فيها فحسب ، بل يستهدف ايضا طرد شعب من وطنه والقائه خارج الحدود لاخذ مكانه ، وتصفيته « تصفية جسدية وثقافية ومادية كاملة » (١) . والانطلاق بعد ذلك الى اخضاع الامة العربية ، ومنع وحدتها وتطورها ، ومساعدة الامبرياليين

على نهب خيراتها ، ٢ - لجوء الاستعمار الصهيوني منذ بدايات الاستيطان الاولى الى استخدام العنف والارهاب بكل اشكاله ليثبت وجوده وسط مجتمع يرفضه ويعتبره نفيا ماديا وحضاريا لوجوده ، ٣ - وجود غالبية الشعب الفلسطيني خارج ارضه ، واستخدام السلاح لمنع من العودة اليها ، ٤ - عجز المجتمع الدولي عن تنفيذ مقررات هيئة الامم المتحدة الخاصة بحقوق الشعب الفلسطيني، وافلاس الاساليب السياسية الرامية الى تحقيق ما يصبو اليه هذا الشعب ، الامر الذي يجعل العنف (الكفاح المسلح) الوسيلة الوحيدة لتحقيق الاهداف الوطنية ، ٥ - لجوء العدو الاسرائيلي الى استخدام كل اساليب القمع لمنع سكان الاراضي المحتلة من ممارسة أي شكل من أشكال النضال المدني ضد النكبان الصهيوني ، وتطبيق القوانين العنصرية التي تحرم النشاط السياسي الرامي الى حل التناقض القائم بأساليب مشروعة ، ٦ - ارتفاع مستوى التعبئة الصهيونية داخل المجتمع الاسرائيلي بشكل ظلب الاسطورة السي قناعات راسخة غير صحيحة علميا ، ولكنها اخذت بالنسبة الى الانسان الاسرائيلي حجم المسلمات التي تستحق القتال من أجلها ، ٧ - حقائق تاريخ صراع الشعوب التي أكدت ان الاستعماريين لا يتخلون عن مواعدهم ومكاسبهم عن طيب خاطر، وان الوسيلة الوحيدة للتخلص من قهرهم واستغلالهم هي اللجوء الى العنف التحريري مقابل العنف القهري .

ولقد ساعد تحليل نضالات الشعب الفلسطيني وانتفاضاته المسلحة وثوراته منذ بداية الغزوة الصليبية الجديدة على ترسيخ هذه الافكار لدى طلائع الثورة ودفعها الى «اعتماد الكفاح المسلح والثورة الشاملة كأسلوب وحيد لتحرير فلسطين وتصفية الكيان الصهيوني» (٢). وكان هذا القرار بالاحتكام الى السلاح ، واللجوء الى العنف ، الذي طالما استخدمه العدو ضد الشعب الفلسطيني ، مبرر وجود الثورة الفلسطينية في المنطقة ، وسمة تميز هذه الثورة عن الانظمة العربية التي كانت تبدو آنذاك وكأنها قابلة بالوضع الراهن او عاجزة عن تبديله . وهكذا انطلقت الثورة « من آلام وقهر شعب خسر كل شيء ، وصار على هامش التاريخ بلا أرض ولا معنى ، وظل له شيء واحد كان اخر اختياره وهو على حافة الاحتضار : ان يموت فوق ارضه واقفا ، او يموت خارجها راکما مندحرا » (٣).

ولم يلاق هذا الاختيار الصعب في البداية تأييدا شاملا . وقوبلت العملية العسكرية الاولى التي قامت بها داخل الارض المحتلة « أجنحة من القوات الضاربة في ليلة الجمعة ٢١/١٢/١٩٦٤ » (٤) بكثير من الحذر . وتم جدل طويل حول توقيت الانطلاقة الثورية التي تم الأعداد لها حوالي ٧ سنوات ، منذ ان بدأ تشكيل اول خلايا حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » في الكويت عام ١٩٥٨ .

ولقد رأى منتقدو الانطلاقة ان الوقت غير ملائم لفتح معركة مسلحة مع العدو ، وان البدء بهذا العمل فلسطينيا يعني **توريط** الاقطار العربية في صراع لم تستعد له بعد ، **وانفرادا** لا مبرر له . وان الثورة صغيرة الامكانيات **غامضة** الافكار والمنطلقات . ورأت طلائع الثورة ان أصحاب هذه الانتقادات أشخاص واقعون تحت تأثير الردع الاسرائيلي ، او قطريون يغلبون مصلحتهم الخاصة على كل العوامل الاخرى ، او اناس عاجزون عن الرؤية الموضوعية للتطور الذي يتم في المنطقة ، وينظرون الى تطور القوة الذاتية العربية متجاهلين قدرة العدو على الافادة من عامل الزمن ويتجاهلون تسارع التطور الذي يتم داخل مجتمع العدو في ظل الهدوء واستقرار الأوضاع .

وكانت وجهة نظر الرواد الاول لبدء المجابهة تتلخص في النفاط التالية : ١ - ان تأجيل الصدام مع العدو الصهيوني حتى تحل المشكلات الداخلية في الوطن العربي ، وتختفي العقلية القبطرية ، وتحقق الوحدة ، امر لا يؤدي الى حل المشكلات المطية والقومية ، لان الوجود الصهيوني الذي يعتبر نتيجة من نتائج هذه المشكلات ، هو في الوقت نفسه سبب من اسبابها ، وعامل من اهم العوامل التي تعتمد حلها ، ٢ - ان فتح المعركة مع العدو لا يشكل توريطا للامة العربية ، بل يشكل على العكس حافزا يدفعها الى وعي الخطر القومي والاستعداد له . وهو « توريط واع » للجماهير العربية لا للانظمة العربية ، لانه يضعها في حالة يقظة وتحفز ، ويحرك بالتالي اقوى العوامل الفاعلة في المعركة (الجماهير) ، ٣ - ان بدء المعركة ، وظهور الخطر الخارجي بكل ابعاده سيدفع الى وحدة القوى الثورية العربية التي ستعتبر الحركة الثورية الفلسطينية المسلحة « نقطة التقاء للقوى العربية وقاعدة لتوحيد جهودها » (٥) ، ٤ - ان ضعف امكانات الثورة لا يعني عدم البدء بها ، لان من الطبيعي ان تبدأ الثورة ضعيفة ماديا ما دامت تملك القوى المعنوية التي تؤمن لها التطور والنمو في المستقبل . والثورة الفلسطينية - ككل ثورة - عبارة عن رد الضعيف ماديا على قوة مسلحة قاهره متفوقة أساسا ، ومن اولى واجباتها السعي خلال النضال الى تعديل ميزان القوى عن طريق النمو المادي واستخدام القوى المعنوية كعامل معدل في موازين القوى ، ٥ - ان عدم الانتقال من التنظير الى العمل ، ومن الوعي الى الفعل ، يؤدي الى اهتراء الثورة من الداخل ، وابتعادها عن الجماهير التي لا تؤمن الا بالعمل الملموس ، ولا تلتف حول الطلائع الثورية الا اذا برهنت هذه الطلائع عن نضالية عملية خلال مجابهة العدو ، ٧ - ان الثورة غير غامضة ، فهي تجسد افكارها بحمل السلاح ضد العدو الصهيوني ، وتعتبر العمل النضالي المسلح من أجل التحرير ، المؤثر الاساسي الذي يحدد ماهيتها وطبيعتها واهدافها وحقيقة القائمين بها ، ٨ - ان على الشعب الفلسطيني الذي عزل عن المساهمة في وضع الخطط اللازمة للتحرير ، ووضعت مقدراته بيد الدول العربية المهتمة بأوضاعها الداخلية ، ان يعود الى الساحة ، ويحطم طوق العزلة والصمت ، ويجابه العدو بنفسه ، ويصنع مستقبلا من خلال المعركة .

وإذا ما عدنا الى تقييم افكار انصار الانطلاقة وافكار معارضيهها بعد مرور عشرة اعوام على بدء هذه المرحلة من مراحل الصدام المسلح بين الشعب الفلسطيني والغزوة الصهيونية ، وجدنا ان الظروف الموضوعية لم تكن بالفعل ناضجة ، وان الاوضاع الذاتية والمحلية والدولية لم تكن مؤهلة لشن الثورة . وان الرواد الاوائل الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية بدء الكفاح المسلح لم ينطلقوا من اوضاع مريحة ، ولم يجابهوا العضلات التنظيمية والعسكرية التي تجابهها كل ثورة مسلحة فحسب ، بل جابهوا أيضا مهمة تسريع انضاج الحالة الثورية ، وحملوا كل الاعباء التي يتطلبها هذا العمل ، وكان عليهم ان يذللوا العقبات التي يفرضها العدو من جهة وحالة الجمود من جهة اخرى ، وان يزعجوا العدو من خلال تحطيم الجهود وتسريع الانضاج الثوري ، وأن يسرعوا هذا الانضاج على نار الكفاح المسلح رغم التضحيات الجسام التي يتطلبها شن الكفاح المسلح في مثل هذا الوضع غير الملائم .

ولقد تابعت « فتح » مسيرتها رغم الانتقاد والتشكيك ، وانضم الى هذه المسيرة قبل حرب ١٩٦٧ منظماتان ثوريتان : « منظمة أبطال العودة » ، و « جبهة التحرير الفلسطينية » . وكانت العمليات العسكرية ضد العدو في البداية محدودة العدد والحجم . وكانت نقاط انطلاقها موزعة بين الضفة الغربية ، وسورية ، وجنوب

لبنان . وادى صغر الامكانيات ، والصعوبات التي يلاقيها أي عمل ثوري في بداياته الاولى ، وتحديدات العمل العربية ، كما سنرى ، الى جعل عمليات الثورة الفلسطينية في بداية انطلاقها عبارة عن « حرب عصابات سرية صغيرة » تشنها طلائع مسلحة ، تتعاطف الجماهير مع أهدافها ، ولكنها لا تلتف حولها لمشاركتها وحمايتها وتزويدها بزخم كبير من المناضلين . لذا كانت منظمات الثورة في تلك الفترة أشبه بالبور الثورية التي تشن عمليات الدعاية المسلحة (العمليات العسكرية) ، لا لزجاج العدو والتأثير على معنوياته فحسب ، بل ايضا لاكتساب ثقة الجماهير داخل الارض المحتلة وخارجها ، وتحريك النزعة النضالية في داخلها ، وكسر حالة اللاتقنة واللامبالاة والخوف التي نمت بين صفوفها بعد حربي ١٩٤٨ و ١٩٥٦ . وهكذا كان على طلائع الثورة ان تشق طريقها الى قلوب الاعداء والاصدقاء وعتولهم على السواء ، وان تزرع في معسكر العدو حالة انعدام الامن ، وان تعطي لمعسكر الاعداء شعورا بالامن والثقة بالمستقبل .

وبالاضافة الى الصعوبات الذاتية ، واجهت الثورة منذ بداية انطلاقها صعوبة موضوعية (عربية) . ويرجع السبب في ذلك الى ان الثورة الفلسطينية لم تنطلق في عام ١٩٦٥ من داخل الارض المحتلة ، ولم تكن فواعدها الاساسية محاطة بجماهير تعيش تحت نير الاحتلال وتحثك بأجهزة قمعه يوميا ، ولكنها انطلقت من اراض عربية لا تخضع لسلطتها مباشرة ، بل تخضع لسلطة انظمة متناقضة مع العدو الصهيوني ، وخاضعة في الوقت نفسه لعوامل جذب عكسية (الفكر القطري ، الردع الاسرائيلي ، مشاكل التنمية ، الصراعات العربية - العربية ... الخ .) بشكل يمنعها من الاستعداد لمجابهة العدو القومي بشكل عنيف وحاسم ، ويدفعها الى وضع هذه المجابهة والاعداد لها في الصفوف الخلفية من اهتماماتها .

ولقد انعكس هذا الوضع - وهو خاصية من خصائص الثورة الفلسطينية - على موقف الانظمة العربية من الثورة ، وجعل هذا الموقف يتراوح بين التأييد الحذر المشروط والعداء المكشوف . وكانت الانظمة العربية البعيدة عن مسرح الصدام ترى ان تأييد الثورة يكسبها الشعبية في الداخل دون ان يعرضها لخطر خارجي . على حين كانت الانظمة العربية الوطنية القريبة من مسرح الصدام ترى ان التأييد يكسبها الشعبية في الداخل ، ويضع في مجابهة العدو قوات ثورية تعمل وراء الخطوط ، ولكنه يعرضها لانتقام اسرائيلي لا تستطيع الرد عليه ، حتى لا يصعد العدو المجابهة الى « عتبة » لا تريدها ، وان المخرج من هذه المعضلة هو « التأييد المشروط » للثورة . اما الانظمة العربية التقليدية القريبة من مسرح الصدام ، فكانت ترى ان لا مصلحة لها في استفزاز العدو وتلقي ضرباته الانتقامية التي تهدد أمنها القطري . ومن هنا كان خطها العام الحد من نشاط قوات الثورة على اراضيها ، ومنعها من اجتياز الحدود - ولو ادى ذلك الى استخدام القوة (صدام دوريات الثورة مع القوات الاردنية في ١٦/١١/٦٦ ، و ١٨/١١/٦٦ ، و ١٥/١٢/٦٦ و ١٦/١٢/٦٦ ، و ٢١/١٢/٦٦ على الحدود الاردنية - الاسرائيلية ، وصدام دوريات الثورة مع القوات اللبنانية في ٦/٥/٦٧ و ١٤/٥/٦٧ على الحدود اللبنانية - الاسرائيلية (١) .

ورغم محدودية عمليات الثورة في هذه الفترة ، فقد كانت مؤشرا خطيرا بالنسبة الى اسرائيل ، لانها برهنت على ثلاث حقائق : **أولاهما** ، ان الشعب الفلسطيني ، الذي يعتبر قضية التحرير قضيته الاولى ، دخل مساحة المعركة كتقوة محفزة للعرب ، **وثانيتهما** ، ان الثورة الفلسطينية حملت لواء الكفاح المسلح مدخلة بذلك تطورا نوعيا على طبيعة المجابهة واسلوبها ، ومتجاوزة تأثيرات الردع الاسرائيلي الذي ضمن

استقرار « الوضع الراهن » منذ حرب ١٩٥٦ ، وثالثتها ، ان الثورة اعتمدت حرب العصابات كوسيله لعملها ، مع الطموح الى تنمية نوايا « حرب العصابات الصغيرة » وتطويرها وتعميق جذورها بين الجماهير حتى تصل الى مستوى « حرب العصابات الكبيرة » التي تشكل اداة هامة وفعالة من ادوات حرب التحرير الشعبية .

وكان من الطبيعي ان تتحرك الدولة الصهيونية بسرعة لمجابهة الخطر الجديد ، فهي تعرف ان ضرب حرب العصابات ، وكل أشكال الحرب الثورية ، يعطي أفضل النتائج اذا ما تم في الوقت الذي تكون به قوى الثورة في حالتها الجنينية ، وان تأخر الرد بسبب ضعف الديناميكية ، او تحت تأثير عوامل خارجية أو داخلية او بسبب الرغبة في شن حرب مضادة متدرجة ، يعطي الثورة الزمن انلازم للنمو والتجذر . وان افضل وسائل اجهاض الثورة التي تعتمد على قواعد خارج الحدود هو الاعتماد على التغطية السياسية التي تقدمها له الامبريالية العالمية ، وضرب القواعد نفسها ضربات لا تتمكن القوات العربية في الدول المجاورة من صدها او الرد عليها بضربات انتقامية . وان ضرب القواعد المتمركزة في المناطق العربية الحدودية سيؤدي الى تناقض عربي - فلسطيني ، ويدفع الجيوش العربية الى أخذ دور « حرس الحدود » بالنسبة الى اسرائيل . ولكن حجم الرد الاسرائيلي على الثورة بقي محدودا بمحدودية عمليات الثورة نفسها . ولم يخرج في البداية عن مستوى دوريات الحدود ، ونصب الكمائن عند الممرات الاجبارية ، وتدعيم قوات الحراسة الذاتية في المستعمرات ، ومراقبة عرب الارض المحتلة بعناية ، وتسديد بعض الضربات الانتقامية للمواقع العربية بغية الحفاظ على مستوى الردع في الخارج ، ورفع معنويات الاسرائيليين في الداخل .

وفي الخامس من حزيران (يونيو) اندلعت الحرب العربية - الاسرائيلية الثالثة ، وشاركت فيها قوات الثورة الفلسطينية ، وخاصة عنى الجبهة السورية ، ضمن حدود امكانياتها وطبيعة العمليات نفسها وسرعة وتيرتها . واعتقد العدو بعد انتصاره على الجيوش العربية ان بوسعه ان يغمد السيف ويخاد الى الهدوء فترة طويلة من الزمن ، ويضمن استقرار « الوضع الراهن » كما ضمنه بعد حربي ١٩٤٨ و ١٩٥٦ . ولكن الثورة الفلسطينية لم توقف القتال الذي بدأته قبل حزيران (يونيو) ، وقررت متابعته بعده . وساعدها على اتخاذ هذا القرار عدم تدمير قواعدها وكوادرها في حرب ١٩٦٧ ، واتساع رقعة الاراضي المحتلة ، وتزايد عدد الجماهير الخاضعة لتهور العدو الاسرائيلي ، وارتفاع التناقض العربي الاسرائيلي الى ذروة حادة وصدامية ، وتضائل التناقض بين نشاط الثورة الفلسطينية المسلح ضد العدو الاسرائيلي ، وموقف دول المجابهة التي يحتل العدو جزءا من اراضيها ويرفض التخلي عنه بالوسائل السياسية ، واستعداد هذه الدول لدعم المجابهة المسلحة الفلسطينية - الاسرائيلية (مصر وسورية) ، او التساهل في فرض التحديدات عليها (الاردن) .

ووسط هذا المناخ الملائم اكثر من مناخ ما قبل حرب ١٩٦٧ ، تصاعد الكفاح المسلح داخل الارض المحتلة ، وتدعمت مواقع المنظمات التي بدأت الكفاح المسلح قبل الحرب ، وانضمت الى صفوف الثورة في فترات متعاقبة منظمات عديدة : « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ، و« الصاعقة » ، و« جبهة التحرير العربية » ، و« قوات التحرير الشعبية » ، و« جبهة الفضال الشعبي » و« قوات الانصار » ... وغيرها . ولقد رأت هذه المنظمات ان الظروف الموضوعية التي افرزتها هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ والمتبثلة في احتلال اسرائيل لكامل ارض فلسطين ولقسم من الاراضي المصرية والسورية ، كانت من العوامل التي أدت الى تصاعد العمل الثوري ، وتحول تفكير الجماهير نحو الكفاح المسلح والعنف الجماهيري التحريري « فانضمت [الجماهير] في قطاعات هائلة العدد للثورة الفلسطينية بسبب فقدان الثقة ، واليأس من الحركات

السياسية والانظمة التي كشفتها واسقطتها الهزيمة « (٧) . واخذت الثورة من حيث شرارتها ومن حيث مركز الثقل فيها طابع « ردة فعل وتحرر ورفض للوضع العامة ولواقع ازمة الثورة العربية ، ازمة حركة التحرير العربي » (٨) . خاصة وان حرب حزيران كانت « نتيجة حتمية لواقع التكوين الطبقي والايديولوجي والسياسي لحركة الثورة العربية . وقد جاءت حركة المقاومة العربية في الارض المحتلة كرد عملي وثورى على واقع الهزيمة ، وتعبير عن ارادة الجماهير على الصمود وتصفية العدو الصهيوني الامبريالي . فمثلت حركة المقاومة الجانب الايجابي في الوضع العربي بعد الهزيمة » (٩) .

ويمكن القول هنا انه اذا كان النشاط الثوري الفلسطيني بمختلف اشكاله قبل حرب ١٩٦٧ كان عملية تسريع في انضاج الظروف الموضوعية للثورة ، فان النشاط الثوري بعد الحرب كان عملا يتم في ظروف ناضجة — محليا على الاقل — ومؤهلة لتسريع الانضاج خارجيا . ولقد استخدم هذا النشاط الثوري العاملين السياسي والعسكري بشكل متناسق . وكان العمل السياسي يطرح مسألتي : **التحرر الوطني ، والوحدة الوطنية** لانجاح « المناورة السياسية الداخلية » التي لم يكن نجاحها يحتاج الى كسبر عناء نظرا لتجاوب الجماهير العربية معها بشكل مسبق . كما كان يطرح مسألتي : **الدولة الديمقراطية ، والتمييز بين اليهودي والصهيوني** لتأمين نجاح « المناورة السياسية الخارجية » داخل الراي العام العالمي وداخل المجتمع الاسرائيلي نفسه . وكانت عدالة هاتين المقولتين وراء نجاح « المناورة السياسية الخارجية » على الصعيد العالمي ، وان كان نجاحها في اسرائيل وفي صفوف الصهيونية محدودا بسبب ديناميكية العقيدة الصهيونية وقدرتها على استقطاب يهود العالم ، واستغلال عقدهم ، والغاء تناقضاتهم الطبقية وتعبئتهم نفسيا ضد العرب .

اما العمل العسكري فكان يستخدم مختلف الاساليب العنيفة التي يمكن تطبيقها في حرب العصابات ضد عدو يملك اداة عسكرية متطورة سريعة الحركة ومستنفرة باستمرار ، ويعتمد على سكان مستوردين معادين للثورة ، ويقاوم على ارض تسمح بالحركة السريعة ولا تؤمن الاخفاء بشكل كامل ، ويمتلك الخبرة في العمل العصابي والحرب المضادة للعصابات . ولم تكن اساليب العمل العسكري نفسها متماثلة في جميع المناطق ، وفي مختلف مراحل الصراع ، بل كانت تتحول مع تحول موازين القوى ، وتتطور بتطور اساليب العدو المضادة . ويمكن على هذا الاساس تقسيم العمل العسكري الى مراحل متعددة . وتحديد الاساليب الثورية المستخدمة خلالها ،

أ — مرحلة النمو الجيني (كانون الثاني ١٩٦٥ — حزيران ١٩٦٧)

بدأت هذه المرحلة في مطلع العام ١٩٦٥ ، واستمرت حتى حرب ١٩٦٧ . وكانت في جوهرها ، كما قلنا من قبل ، « حرب عصابات صغيرة » تقوم بها دوريات صغيرة تنطلق من الدول العربية المجاورة ليلا — بموافقة ضمنية من هذه الدول (سورية) أو بدون موافقتها (الاردن ولبنان) — وتنفذ عمليات التخريب وزرع الالفام ونصب الكمائن الصغيرة داخل الارض المحتلة في العام ١٩٤٨ ، والتي تقطنها غالبية من السكان المعادين ، ثم تعود الى قواعد الخارجية السرية في الليلة نفسها ، أو تختفي وراء الحدود فترة من الزمن (عدة ايام) لتعود بعد ذلك الى قواعد مستفيدة من الظلام . وكانت هذه الدوريات تتوخى عدم الصدام مع العدو ، وتفضل تنفيذ مهمتها والعودة الى قواعد قبل أن تتمكن قوات المطاردة الاسرائيلية من الوصول الى مكان

العملية . وهذا ما دفعها في أغلب الاحيان الى استخدام الألغام والمتفجرات الموقوتة التي يتم انفجارها بعد ساعات تسمح بالابتعاد عن الهدف والنجاه من المطاردة .

ورغم صغر هذه العمليات وقلة تواترها ، فقد خلقت في الجليل وسهلي الحولة وطبرية ، وبعض المناطق المجاورة للحدود الاردنية - الاسرائيلية ، بداية حالة انعدام الامن ، التي لم يكن العدو يسمح بها او يقبل بتصاعدها الى « عتبة » أعلى .

ب - مرحلة القواعد المتحركة (آب ١٩٦٧ - مطلع عام ١٩٦٨)

بدأت هذه المرحلة مع عودة الثورة الى العمليات العسكرية في آب ١٩٦٧ ، بعد توقف مؤقت أعقب هزيمة حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وافادت قوى الثورة من الوضع الجديد ، وحصلت على مساعدات تسليحية ومالية من الدول العربية ، واستطاعت جمع كميات كبيرة من الاسلحة الخفيفة والمتوسطة التي تركت على مسارح العمليات في سيناء والجولان والضفة الغربية وقطاع غزة ، وانضم الي صفوفها مقاتلون مدربون من صفوف المقاومة الشعبية وجيش التحرير اللذين تم انشاؤهما وتسليحهما وتدريبهما على يد السلطات المصرية في قطاع غزة قبل حرب ١٩٦٧ ، بالإضافة الى مناضلي الضفة الغربية المعبين سياسيا ، والمستعدين لمقاومة الاحتلال رغم الضربات التي سددها النظام الاردني الى الحركة الوطنية الفلسطينية في عامي ٦٥-١٩٦٦ . وأصبح بوسع الثورة العمل بين جماهير عربية مؤيدة في قطاع غزة والضفة الغربية ، وتجنيد المقاتلين من بين صفوف الفلسطينيين القيمين داخل الأراضي المحتلة وخارجها ، واستقطاب مناضلين عرب قرروا ردف الثورة والعمل بين صفوفها .

ولقد حظيت الثورة الفلسطينية خلال هذه المرحلة بدعم الجماهير العربية وتأييدها العفويين ، بعد أن رأت هذه الجماهير ان البندقية الفلسطينية هي السلاح العربي الوحيد المرفوع في وجه الاحتلال ، وان صوت الثورة هو الصوت الذي يجسد رفض الهزيمة وضرورة استنزاف المقاومة رغم قوة العدو العسكرية وقدرته على تدمير الجيوش العربية النظامية خلال أيام . **وكان قرار الثورة في متابعة النضال قرارا علميا ومبدئيا ومحتما** . اذ أن لقاء السلاح بالنسبة اليها ، كان يعني العودة الى حالة الجمود التي سادت بعد حرب ١٩٥٦ ، والتي كان اطلاق الرصاص الاولي في العام ١٩٦٥ تعبيرا عن رفضها والرغبة في تحطيمها ، كما انه يعني التخلي عن المهمة التاريخية التي حملت الثورة اعباءها . وكان عدم الاستمرار في الكفاح المسلح يعني أيضا الخضوع لارادة الخصم ، والقبول بتصفية قضية الشعب الفلسطيني ووضع هذا الشعب على هامش التاريخ . ولقد اعتمد القرار في جوهره على مبادئ الحرب الثورية التي تقول بأن هزيمة أمة من الامم واحتلال أرضها في العصر الحاضر لا ينهي النزاع الذي تكمن وراءه اهداف مصرية ، وان بوسع الشعوب المقهورة متابعة النضال بوسائل مادية محدودة ، طالما انها تملك القوة المعنوية الدافعة، و ارادة القتال ، وترفض الخضوع لارادة الخصم ، وتحظى بتأييد عالمي (محدود في البداية) ، وتتلقى الدعم السياسي والمادي من دول صديقة بعيدة كانت أم قريبة .

ولقد افادت الثورة الفلسطينية في هذه المرحلة من اتساع مسرح العمليات ووجود الجماهير المؤيدة ، وعدم قيام العدو بالترتيبات الكافية لمراقبة المناطق المحتلة والحدود العربية - الاسرائيلية . فنظمت صفوفها في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وأمنت الاتصال مع خلايا الداخل ، ودفعت الى الأرض المحتلة كوادر قيادية سياسية وعسكرية ، واخرجت من الضفة الغربية عن طريق الجسور المفتوحة مناضلين ثوريين

لتدريبهم في قواعد الخارج واعدتهم الى الارض المحتلة للقيام بعمليات عسكرية ، وارسلت الى الاراضي المحتلة وخاصة الى الضفة الغربية - التي كانت شبه مجردة من السلاح - دوريات نقل السلاح والذخيرة ، واستقطبت عددا كبيرا من عرب المنطقة المحتلة في العام ١٩٤٨ ، فتصاعد العمل الثوري ضد العدو ، وشاركت فيه كافة فئات الشعب في الارض المحتلة . وعملت المرأة الفلسطينية الى جانب الرجل في تخطيط العمليات العسكرية وتنفيذها . وكانت الهياكل التنظيمية لخلايا الثورة في الداخل تعتمد الى حد بعيد على الهياكل التنظيمية للاحزاب الوطنية القائمة ، كما تعتمد على الشخصيات الوطنية التي عرفت في الماضي بنضالها الفكري او العملي دون أن تنظم في صفوف الاحزاب .

من هنا جاء ارتفاع حدة العمليات العسكرية ضد المحتلين وانتشارها الجغرافي . ولقد أخذت هذه العمليات شكلا أكثر جراءة واشد تنظيما . وكانت تتمثل في الاغارات على المستعمرات ، ونصب الكمائن لدوريات العدو وآلياته المنعزلة ، بالإضافة الى عمليات النسف وزرع الالغام . ورافق هذه العمليات العسكرية نضال جماهيري داخلي (اضرابات ، اعتصام ، حركات احتجاج ، عصيان مدني ، امتناع عن العمل في مؤسسات العدو الاقتصادية) . وكان الاتصال بين مناضلي الداخل والخارج متينا ومستمر . وكانت قواعد الخارج منتشرة في سورية وغور الأردن ومرتفعات السلط وجنوب لبنان . ولم تكن مهمة هذه القواعد مقتصرة على تدريب المقاتلين واعدادهم عسكريا ونفسيا ، ودفع دوريات الامداد والتموين الى الداخل فحسب ، بل كان من مهماتها أيضا دفع دوريات قتالية للقيام بعمليات متعددة الاغراض في عمق الارض المحتلة وفي منطقة القشرة (اغارات على كمائن العدو التي تراقب الحدود ، ونصب كمائن للدوريات الالية التي تحاول منع التسلسل مع زرع الالغام على مسالك سيرها) .

ج - مرحلة القواعد الثابتة (مطلع عام ١٩٦٨ - آذار ١٩٦٨) .

لقد كان من سمات القواعد الخارجية في الفترة السابقة انها صغيرة ، ومنتشرة ، ومتحركة ، ولا تحظى بالشرعية اللازمة . ولقد رأت الثورة في مطلع العام ١٩٦٨ ، وبعد أربعة أشهر من العودة الى العمليات العسكرية ، ان عليها ان تنتهي هذه المرحلة بتثبيت القواعد والمعسكرات ، واعطائها طابعا شبه شرعي . وهكذا ظهرت القواعد الخارجية العلنية . وفسرت الثورة هذا التحول بقولها « لقد استطعنا خلال اربعة شهور ان نسترجع آذان العالم وعيونه . واخذت الجماهير العربية ، من خلال عملياتنا تتحسس الشعور بالانتصار الذي أصبح غريبا عنها » . . . « تجربة الشهور الماضية اقنعتنا بان علينا ان نكتفي بما حققناه من نتائج ، وان نتهي مرحلة المشردين الهائمين بسرعة ، لان القتال بهذا الاسلوب لا يمكن ان يكون استراتيجية طويلة الامد ، اذ أن الاستنزاف الذي يعاني منه كل المشردين الهائمين ، نظرا لعدم القدرة على التعويض السريع للخسائر ، يجعل انهاء الذات أمرا صعبا . ومن هنا كان لا بد من الجروء على خوض النضال ، والاقدام من أجل الحصول على القاعدة الامنة . . . » « ومن هنا وقع الاختيار على الاغوار لتكون منطقة العمل العلني (القاعدة الامنة) والضفة الغربية ساحة قتال » (١٠) .

وانتشرت القواعد العلنية بعد اتخاذ القرار على طول الضفة الشرقية لغور الاردن ، وكان لكل منظمة قواعدها ومعسكراتها ، ثم انتقل بناء القواعد العلنية الامنة الى سوريا ولبنان ، واخذت في كثير من الحالات صفة شرعية كاملة او شبه كاملة .

وانتزعت الثورة حقها في الوجود على جزء غير محتل من الارض العربية للقيام بعملياتها بغية تحرير الجزء المحتل من هذه الارض . ولقد ادى ظهور هذه القواعد الى نتيجتين : **اولاهما**، تزايد الدور العسكري — السياسي الذي تلعبه في مناطق نشاطها على الضفتين الشرقية والغربية . **اما الثانية** ، فهي استقطاب ردود فعل عسكرية اسرائيلية تمثلت في القصف المدفمي والجوي للقواعد ، واختراق الحدود العربية لمطاردة الدوريات عند عودتها من مهماتها الى قواعدها الخارجية ، مع الاستمرار في تهديد الدول العربية المجاورة وقصف التجمعات السكانية وراء الحدود لتنشيط الردع . وكانت ردود الفعل العسكرية الاسرائيلية تعتمد على مبدأ تجاهل الحدود السياسية باسم الامن ، ورسم الخطط القمعية وفق خط الحدود الايديولوجية ، اي خط الحدود الذي تستطيع قواتها الوصول اليه لضرب الثوار مع الاخذ بعين الاعتبار لكل « تحديدات العمل » المحلية والعالمية .

ولم تكف سلطات العدو بضرب منابع الثورة الخارجية بل عمدت الى اتخاذ التدابير اللازمة لعزل قواعد الداخل وضربها . وكانت هذه التدابير تتمثل في تكثيف الدوريات الالية على الحدود ، واستخدام الادلاء والكلاب البوليسية لاقتفاء الاثر ، ومراقبة المخاضات على نهر الاردن ، وشن حملة اعتقالات داخل الارض المحتلة ، تستهدف كشف الخلايا وتدميرها . وكان نجاح اجهزة العدو في ضرب خلايا الداخل ملحوظا نظرا لضعف تدابير الثوار الامنية ، والروابط الحزبية او المحلية (العشائرية والقروية والعائلية) التي كانت تربط اعضاء التنظيم ، وتساعد على كشفه بمجرد كشف احد افراده ، مع الافادة من الوثائق الامنية المتعلقة بالمنظمات والاحزاب والشخصيات الوطنية ، والتي تركتها السلطات الاردنية عند انسحابها من الضفة الغربية ، فاستخدمها المحتلون كنقطة انطلاق مادية لمجابهة الخلايا الثورية التي اعتمدت قبل كل شيء على هذه التنظيمات والاحزاب والشخصيات .

ولم تستطع جميع هذه التدابير ايقاف المد الثوري . ولذا رأت اسرائيل ان عليها توجيه ضربة قوية لقواعد الثورة في الخارج بغية قضم ظهرها وتصفيتها ماديا . ومن هنا جاءت فكرة التخطيط لعملية الكرامة التي ارادها العدو ضربة نهائية لقوى الثورة الخارجية التي اجبرتها مصادماتها المتكررة مع السلطة الاردنية على التجمع في الكرامة والكريمة . وعندما احسث الثورة باستعدادات الهجوم على معسكر الكرامة ظهروا داخل منظمات الثورة راين : يقول **الاول** الذي تبنته « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » بأن من الضروري تطبيق مبادئ حرب العصابات (الانسحاب امام العدو المتقدم ، وضرب العدو المنسحب) واخلاء الكرامة عند تقدم العدو حتى تقع ضربته في الفراغ . ويقول **الثاني** الذي تبنته « فتح » و « قوات التحرير الشعبية » ، بأن من الضروري خلق ملحمة بطولية ، والصمود امام العدو ، والدفاع عن القاعدة بقوة ، وصدده ان امكن ، لتنتهي مرحلة الانتصارات الاسرائيلية والهزائم العربية ، وتبدأ مرحلة جديدة تذوق فيها اسرائيل طعم الخسائر والهزائم . وانسحب من المدينة معظم عناصر اصحاب الرأي الاول ، بعد ان تركوا في الكرامة مجموعة صغيرة مكلفة بالانسحاب الى تلين واقعين شرقي المدينة عندما تبدأ العملية ، لحماية خط رجعة القوات المدافعة . وبقيت في المدينة للدفاع عنها قوة ثورية كبيرة تضم ٤٢٢ مقاتلا من قوات العاصفة و٣٣ مقاتلا من قوات التحرير الشعبية (١١) . وعندما شن العدو هجومه في يوم ٢١/٣/١٩٦٨ مستخدما المدرعات والمشاة الميكانيكية والمدفعية والطيران والقوات المحمولة بالهليكوبتر جابهته الثورة بمقاومة عنيفة ، وتضافرت مجموعة من الظروف الملائمة : ١ — شراسة المقاومة ، ٢ — استهتار العدو ، ٣ —

وجود دبابت أردنية وأسلحة مضادة للدبابات في مواقع مختفية . ٤ - هبوط الضباب على مواقع العملية الأمر الذي أدى الى تأخر اقلاع طائرات الهليكوبتر التي تقل المظليين المكثفين بتطويق المدينة ، وقيام الطائرة المكلفة بالقاء المنشورات فوق الكرامة بعملها قبل احتلال المظليين لمواقعهم ، الأمر الذي اندرقت قوات الثورة بشكل مبكر ، ٥ - اشتراك المدفعية الاردنية بالرمي على المهاجمين رغم الاوامر المعاكسة، ٦ - اضطرار الاسرائيليين (سياسيا) لانسحاب من الضفة الشرقية ، ٧ - طابع المغامرة الذي اتسمت به العملية المحرومة من أي افق استراتيجي .

وأدى كل ذلك الى فشل الاغارة الاسرائيلية في تحقيق اهدافها ، واصابة المغيرين بخسائر كبيرة ، واضطرارهم الى ترك عدد من قتلاهم ومعذاتهم على ارض المعركة . وعلى الرغم من ضخامة القوة المعادية المشتركة في الاغارة، وحجم الخسائر المادية التي حققتها بقوات الثورة ، فقد كانت نتيجتها العامة معاكسة للغرض المتوقع منها ، واخذ صمود الثورة امام قوى العدو المعتادة على الانتصار حجما معنويا هائلا ، واثبتت الثورة انها تجاوزت مرحلة الولادة واصبحت قادرة على الوقوف على قدميها ، والاشتباك في القتال في معركة غير متكافئة . وخلقت الملحمة التي كانت منعطفا حدد مرحلة جديدة من مراحل العمل الثوري .

د - مرحلة الصعود الثوري (آذار ١٩٦٨ - تموز ١٩٧٠)

لقد كان لمعركة الكرامة صدى كبير بين الجماهير العربية التي أحست ان في صمود الكرامة صمودها ، وفي فشل العدو وعجزه عن تحقيق اهدافه استرداد لكرامتها . وتصاعدت هيبه الثورة بين صفوف هذه الجماهير ، وتدفق المتطوعون الى الانخراط في منظمات الثورة ، واخرق الكفاح المسلح الجدار الاعلامي المعادي ، واصبح للثورة سمعة عالمية كبيرة . وانعكس ذلك على المساعدات العربية المادية والمعنوية ، وتزايد حرية العمل والحركة على الاراضي العربية المجاورة لاسرائيل ، وخاصة الاردن . الامر الذي سبب بالتالي تصاعد العمليات العسكرية الثورية الى حد بعيد . وكانت هذه العمليات في جوهرها خلال الشهور التسعة الاخيرة من العام ١٩٦٨ مائتة لعمليات المرحلة السابقة ، وان كانت اكبر حجما واشد تطورا . وفي العام ١٩٦٩ شهدت الثورة الفلسطينية مدا كبيرا ، ووصلت هيبتها وحجم عملياتها الى الذروة . وبالرغم من الانشقاقات التي اصاب عددا من المنظمات ، فان الخط العام كان يسير نحو ايجاد صيغة لتحقيق الوحدة الوطنية رغم الاختلافات الايديولوجية القائمة بين المنظمات . ولقد ادى التنافس بين المنظمات الى ظاهرتين : **ظاهرة ايجابية** تتمثل في تصعيد العمل العسكري داخل الارض المحتلة ، و**ظاهرة سلبية** كان من أبرز اشكالها عرقلة الوحدة الوطنية ، والازدواجية في الاعلان عن العمليات وتبني عدة منظمات لبعض العمليات ، والدخول في حوار مكشوف ، وعنيف احيانا حول هوية المنظمة القائمة بالعملية .

وكانت هذه الفترة ، فترة اتساع التواعد في جنوب لبنان وازدواجية السلطة في الاردن . ولقد جربت السلطات اللبنانية استخدام العنف لابقاف عملية « اردنة » جنوب لبنان (أحداث تشرين الثاني ١٩٦٨ ونيسان وتشرين الثاني ١٩٦٩) . كما حاولت السلطات الاردنية حسم ازدواجية السلطة بالقوة (أحداث تشرين الثاني ١٩٦٨ وشباط وحزيران ١٩٧٠) ، ولكن هذه المحاولات لم تؤد الى النتيجة المرجوة منها ، وتساعد العمل العسكري الفلسطيني ، وحصل فيه تبدل نوعي ملحوظ تمثل في المظاهر التالية : ١ - استخدام أسلحة أكثر تطورا وعددا وخاصة على صعيد

الاسلحة المضادة للدبابات، ٢ - استخدام اساليب متقدمة في حرب الالغام والمتفجرات (التفجير عن بعد ، وشبكات الالغام) ٣ - القيام باغارات مشتركة كبيرة (عملية الجمة ٢ أيار ١٩٦٩) ، ٤ - التطلع نحو رفع مستوى العمليات الى مستوى العمليات الكبيرة والحرب المتحركة ، كعملية « حراب فتح » و« الحزام الأخضر » و« رأس الحربة » و« الأرض الطيبة » ، و« فرحان السعدي » ، و« عبد القادر الحسيني » - ولقد نفذت بعض هذه العمليات عناصر من « فتح » كما نفذت البعض الآخر عناصر من فتح وجيش التحرير (القادسية) وقوات التحرير الشعبية . وعمليتي « الخط الأحمر » ، و« هوشي منه » اللتين نفذتهما الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، ه - تساعد حدة المجابهة المسلحة في قطاع غزة ، وتزايد القاء القنابل على الدوريات الاسرائيلية في شوارع مدن القطاع ، وخاصة خلال العام ١٩٧٠ الذي سمي « عام القنابل » وسيطرة الثوار على القطاع وتأثيرها على مجرى حياة السكان فيه ، وحصول الثوار على تأييد الجماهير التي كانت تقدم لهم الملجأ والغذاء وتردقهم بالمتطوعين « حتى غدت الفتح والجبهة الشعبية تسيطران على المواطنين ، على حين يسيطر الجيش الاسرائيلي على الأرض » (١٢) .

وكان من الممكن ان يصل التصعيد العسكري في هذه المرحلة الى درجة اعلى ، لولا الفشل في تحقيق الوحدة الوطنية ، وتبديد جزء من الطاقات في الصراعات الداخلية (الفكرية والمسلحة) بين المنظمات ، ومضايقات السلطة الاردنية التي كانت تستنزف قوى الثورة بشكل مستمر ، وتفرض عليها اقتطاع جزء من قواتها وتبديد قسط كبير من جهودها لحماية مواقعها من الضربات التي تأتيها من الخلف .

ولاقت الثورة الفلسطينية خلال هذه الحقبة صعوبات اخرى نجمت عن تدابير العدو المضادة . فلقد شددت سلطات الاحتلال قبضتها على سكان المناطق المحتلة ، واستخدمت الابعاد ، والاعتقال الاداري ، ونسف المنازل ، وتهجير السكان كأدوات لقمع الثورة ، وانتهت في هذه الفترة بناء خط الحواجز الذي بدأت بنائه في العام ١٩٦٨ ، وأقامت فيه الاسلاك الشائكة ، والاسلاك المكهربة ، وأجهزة الانذار الاليكترونية ، والكشافات والالغام والمواقع الدفاعية على طول غور الاردن . وأنشأت على محاذاته « طريق البراشة الترابي » الناعم لكشف آثار اقدام الدوريات المتسللة وتحديد اتجاهها . وكانت دوريات القتال أو التموين التي تحاول اجتياز الخط مضطرة الى قطع المسافة القائمة بين نهر الاردن والمناطق الأهلة بالسكان في الضفة الغربية للذوبان بعد ذلك بين الاهالي خلال ليلة واحدة ، والا استطاعت طائرات الهليكوبتر ودوريات العدو كشف مكان تسللها، وتحديد مواقعها التقريبية، واستدعاء القوات الميكانيكية المستنفرة لنطويق المواقع وتمشيطها بحثا عن المتسللين الذين كثيرا ما كشفت مواقعهم بهذا الشكل ، فحوصروا واضطروا الى القتال في معركة غير متكافئة ، تشترك فيها من جانب العدو وحدات آلية ومظلية كبيرة مدعومة بالطائرات احيانا، الامر الذي يحرم قوات الثورة من تطبيق مبدأ هام من مبادئ حرب العصابات : تحقيق التفوق التكتيكي رغم عدم وجود التفوق الاستراتيجي .

وأمام كل هذه الصعوبات برزت أهمية البحث عن حل لمعضلتين رئيسيتين : **حماية ظهر الثورة ، ومتابعة العمليات ضد العدو** . وكان الحل الامثل للمعضلة الاولى هو اعطاء الثورة عمقا عربيا بشريا وجغرافيا ، اي خلق « هانوي عربية » تسمح بعمل القواعد الثورية دون ان تتأثر بعمليات العدو الانتقامية ، ودون ان تدفعها هذه العمليات وتأثيرات الردع الى التناقض مع الثورة وتهديد أمنها . أما حل المعضلة الثانية فكان بحاجة الى ايجاد الزدود الثورية على التدابير الاسرائيلية المضادة . ولقد

نجحت الثورة نسبيًا في إيجاد الحلول للمعضلة الثانية ، وأوجدت أساليب تقنية لاجتياز الحاجز ، واستطاعت استغلال طول الحدود الأردنية وصعوبة مراقبتها لتتسلل عبر منطقة النقب ، ونقلت بعض نشاطها إلى جنوب لبنان ومنطقة الجولان ، وركبت البحر منذ عام ١٩٧٠ للقيام بعمليات كوماندوس بحري على شواطئ الأرض المحتلة ، أو لتموين قواعد الداخل بحرا . وتابعت ازعاج العدو عن طريق القصف بالهاون وصواريخ كاتيوشا التي استخدمت لأول مرة في ليلة ١٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ . ولكن منظمات الثورة الفلسطينية عجزت عن حل المعضلة الثانية (معضلة الأمن) رغم محاولاتها الجادة والمخلصة للتعايش مع النظام الأردني . فلقد كان التناقض في المصالح والتباين في المفاهيم وتقييم العدو وأسلوب مجابهته ، يغلقان السبيل أمام كل المحاولات ، كما كان نمو الثورة الفلسطينية وامتلاكها لقلوب الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة وخارجها ، يعني تجريد الملك من سلطته على معظم رعاياه (سكان الضفة الغربية و ٦٠٪ من سكان الضفة الشرقية) . وكان المخرج النظري الوحيد لهذه المعضلة : **اسقاط النظام الأردني ، واقامة نظام وطني ديمقراطي في الضفة الشرقية يسمح بمتابعة النضال ضد العدو الإسرائيلي دون التعرض لضربات من الخلف** . بيد أن مجموعة من العوامل الذاتية والعربية والدولية والإسرائيلية جعلت من المتعذر تنفيذ هذا الحل عمليا ، حتى ولو تطلعت للقيام به الحركة الوطنية الأردنية نفسها . لهذا بقيت ازدواجية السلطة ، واستمر استنزاف النظام الأردني للثورة .

هـ - مرحلة الحبوط الثوري (تموز ١٩٧٠ - تشرين الأول ١٩٧٣) :

في تموز (يوليو) ١٩٧٠ ظهر عامل موضوعي جديد أثر على الوضع الثوري في المنطقة . فلقد طرح وزير الخارجية الأمريكي روجرز في هذا الشهر مشروعه الخاص بانسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة ، ووافق عليه الرئيس جمال عبد الناصر ليكشف التعنت الإسرائيلي أمام الرأي العام العالمي وأمام الولايات المتحدة نفسها ، وعارضته غالبية منظمات الثورة الفلسطينية ورأت فيه مؤامرة أمريكية مخادعة ، فحصل من جراء ذلك انشقاق فكري داخل الحركة الوطنية العربية ، ودخلت الثورة الفلسطينية . وكان وضع هيئة الرئيس جمال عبدالناصر وشعبيته مقابله هيئة الثورة وشعبيتها لعبة أمريكية ذكية ، أفاد النظام الأردني من نتائجها ، واستغل حادثة خطف الطائرات من قبل ج. ش. ت. ف. وانزالها في مطار الثورة في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، وسدد إلى الثورة ضربة أيلول التي هزت الأسس المادية والمعنوية للمنظمات .

ورغم الوساطة العربية ، والمواثيق التي قطعتها السلطة الأردنية على نفسها ، والاتفاقات التي تم توقيعها ، وانسحاب قواعد الثورة من المدن إلى جرش وعجلون ، وسحب أسلحة الميليشيا من المدن وما خلقه هذا السحب من احتكاكات داخل صفوف الثورة ، فقد تابع الأردن مخططه لتصفية الثورة . وكانت الفترة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ وتموز (يوليو) ١٩٧١ ، فترة حرب استنزاف نشط ، شنتها القوات الأردنية ضد قواعد الثورة المنسحبة إلى الجبل (أحداث كانون الثاني (يناير) عند مثلث جلعند - رميمين - أم الجوزة ، وفي عمان والزرقاء والرصيفة ومخيم شتار ومخيم البقعة ، وأحداث شباط (فبراير) في جبل هملان والهائشمي والنصر والمحطة ، وأحداث آذار (مارس) في أربد ، وأحداث نيسان (أبريل) في الأغوار وأم السرب وجابر والشجرة والمشرفة والروسان ودير الكهف وجبل ساكب ، وأحداث أيار (مايو) في رميمين ، وعرقلة عملية إمداد القواعد المتفق على بقائها في الأغوار وأحراش جرش وعجلون طوال أشهر أيار (مايو) وحزيران (يونيو) ، والنصف الأول من تموز (يوليو) . ورافق حرب الاستنزاف المادي حرب استنزاف معنوي ، سلاحها التشهير بمبادئ

الثورة وقادتها ، والتشكيك بأهدافها وأساليبها . وادى الاستنزاف المادي والمعنوي الى اضعاف فاعلية الثورة التي أصبحت مسائل الامن والامداد والتموين والدفاع عن النفس تشكل القسط الأكبر من طاقتها وتحرمها من العمل بكل إمكاناتها ضد العدو الاسرائيلي .

ولم تكن الثورة أساسا في وضع يسمح لها بتحمل هذا الاستنزاف بعد أن فقدت في أحداث ايلول عددا كبيرا من مقاتليها وكوادرها ، وخسرت معظم قواعد الانطلاق والامداد في الغور ، وخسرت جميع قواعد وادي عربة . وخرج معظم قيادي الصف الاول من الاردن ، وانسحب جزء من المقاتلين الى سورية ولبنان ، وانخفض عدد ومستوى معسكرات التدريب ، وابتعدت قواعد الثورة عن جماهيرها التي تردفها بالرجال وتمنحها الزخم المعنوي ، واضطرت للعيش في منطقة تندر فيها مصادر المياه والغذاء ، ولا تشكل امتدادا لارض صديقة مجاورة ، ويقطنها سكان غير مواليين للثورة ومعيقون ضدها . لهذا جاءت الهجمة الأردنية (١٣ - ١٩ تموز) في ظروف مناسبة للقوات الأردنية النظامية المتفوقة عدديا وتسليحا ، والتي قاتلت قوات شبة نظامية غير معدة للاشتباك في معركة تقليدية . وانتهت المجابهة الأردنية - الفلسطينية في تموز (يوليو) بتصفية قواعد الثورة الفلسطينية . وانتهت الحملة العسكرية الأردنية التي وصفها ضابط اسرائيلي بـ « انها اكبر عملية اقتحام لنا منذ عام ١٩٦٧ » (١٣) . واستعادت السلطات الأردنية بعد هذه الحملة زمام السيطرة على كافة اراضي الضفة الشرقية ، وحرمت الثورة الفلسطينية من قواعد انطلاقها السابقة ، ودفعت مقاتلي الجبل ومناضلي المدن الى ترك الاردن والانتقال الى سورية وجنوب لبنان .

ورغم كل هذه العوامل والاحداث المعيقة ، فقد مارست الثورة الفلسطينية النضال بجزء من قواها ضد العدو الصهيوني . واذا كانت حرب الاستنزاف الأردنية قد أضعفت فاعلية عمليات الثورة عبر الحدود الأردنية دون أن تستطيع ايقافها قبل تموز (يوليو) ١٩٧١ ، فان عمليات الثورة عبر الحدود اللبنانية والسورية وداخل الارض المحتلة استمرت بلا انقطاع . وكانت عمليات القشرة في العام ١٩٧١ على الحدود اللبنانية - الاسرائيلية أفضل نوعا وأكثر عددا من العمليات المماثلة في العام ١٩٧٠ . وكانت بمجملها من نوع عمليات القشرة التي شنتها الثورة عبر الحدود الأردنية في مرحلة صعود الثورة . ولم يكن العمل من جنوب لبنان يلاقي صعوبات العمل من غور الاردن نظرا لطبيعة الارض الملائمة للتسلل ، وعدم وجود حاجز مائي ، وعدم وجود خط حواجز اسرائيلي على طول الحدود اللبنانية ، وقرب الاهداف المنوي ضربها ، وعدم انتشار الجيش اللبناني بكثافة على الحدود مع العدو ، ووجود المخافر والدوريات اللبنانية على الطرقات وفي المناطق الحساسة فقط .

وهنا أيضا جابهت الثورة الفلسطينية تحديات العمل اللبنانية . وكانت هذه التحديات حتى منتصف العام ١٩٧١ قليلة يمكن تجاوزها، رغم ان اعتداءات العدو على القرى اللبنانية، لاستتغار السلطة ضد الثورة، وخلق شرخ بين الثورة وسكان جنوبي لبنان قد بدأت منذ عملية العرقوب الاولى (أيار ١٩٧٠) ، واستمرت بعد ذلك . وكانت ترافقتها دائما عمليات نسف بيوت واختطاف قرويين مع شن حملة نفسية تفتيتية . وكانت غاية العدو من كل ذلك منع « أردنة » الجنوب ، وابعاد الخطر عن منطقة الجليل الحساسة الحيوية المكتظة بالسكان . وفي النصف الثاني من العام ١٩٧١ شهدت الارض اللبنانية حملة دعاوية واسعة ضد الوجود العسكري الفلسطيني وكانت هذه الحملة تركز على السيادة اللبنانية ، والأخطار الاقتصادية والامنية الناجمة عن الوجود العسكري الفلسطيني ، وتطالب بتجاهل اتفاقية القاهرة كما تجاهل الاردن

اتفاقيتي القاهرة وعمان . ولقد استمرت الحملة طوال النصف الاول من العام ١٩٧٢ . وزاد من حدتها تصاعد الاعتداءات الاسرائيلية (عملية العرقوب الثانية شباط ١٩٧٢ ، واجتياح القطاع الاوسط في الجنوب ايلول ١٩٧٢) . وكانت الثورة الفلسطينية تحسن بأن ضربة ما تعد لها في لبنان . ولقد تزايد الشك والتوتر بعد العملية الاسرائيلية ضد مخيم نهر البارد ومخيم البداوي (شباط ١٩٧٣) ، وعملية اغتيال القادة الثلاثة: كمال ناصر وكمال عدوان ومحمد يوسف النجار (نيسان ١٩٧٣) وسلبية القوات المسلحة اللبنانية خلال كل هذه الاحداث . واخيرا انفجر الموقف في ايار (مايو) ١٩٧٣ ، وكان المطلوب في هذه العملية رأس الثورة الفلسطينية ، ولكن موازين القوى ومجموعة من العوامل المحلية والعربية لم تسمح بذلك . وجاءت الوساطة العربية لتهدئ الوضع من جديد شريطة ابعاد القواعد عن الحدود ، ومنع التسلل الى الارض المحتلة عن طريق لبنان .

ولقد نشطت الثورة الفلسطينية في هذه الفترة على هضبة الجولان وكانت تشهد في فترة ١٩٧١ - ١٩٧٢ حوالي ٢٠ - ٥٠ عملية شهريا ، وكانت عملياتها تتم تحت اشراف السلطات السورية . ولكن العدو رد على ذلك بسرعة حتى لا يسمح للثورة بتحقيق مكاسب صغيرة تتراكم مع الزمن . ولم تنشأ اسرائيل الرد على العمليات المحدودة بعمليات محدودة ، بل سعدت الرد على « عتبة » استخدام الطيران لقصف قواعد ومعسكرات الثورة في العمق السوري ، وقصف قرى حوران ، والحق الخسائر بالمدنيين ، الامر الذي أدى الى تخفيض عدد عمليات الثورة على هذه الجبهة الى حد بعيد .

وكان استمرار العمليات داخل الارض المحتلة في مرحلة الحبوط ناجما عن رغبة قيادة الثورة الفلسطينية في نقل عملياتها الى الداخل وتصعيدها للبرهنة على ان الثورة مستمرة رغم الاستنزاف الاردني وضربتي ايلول وجرش ، وللد على القائلين بأن الثورة تنامت العمل ضد العدو الاسرائيلي ، واهتمت بالتأمر على الانظمة العربية . وكانت الثورة أمام اختيار صعب ، فهي بحاجة لفترة النقاط أنفاس واعادة تنظيم ، وتعلم ان تكثيف العمل في الداخل يحتاج الى اعداد طويل ، ولكن الظروف تفرض عليها الانتقال بمركز ثقل العمل الى الارض المحتلة رغم كل الصعوبات . واختارت الثورة « العبور من الباب الضيق » . وكانت معظم عمليات الداخل تتمثل في حرب الالغام والمتفجرات ، واطلاق الصواريخ الموقوتة ، ونسف السكك الحديدية ، ونصب الكمائن ، واغتيال العملاء ، والقضاء القنابل اليدوية على الدوريات . وكانت اسرائيل تعتقد ان ضربة الاردن قد أجهضت الثورة نهائيا . واذا بها تكتشف ان الثورة « أفلت ولكنها لم تمت ميتة كاملة ونهائية » . . . « وانه سيكون بمثابة استخفاف اعتبار الخربين عاملا فارق الحياة ، وسيشكل التصرف على أساس وجهة نظر كهذه خطرا أمنيا شديدا » (١٤) .

ولقد جابهت اسرائيل الحالة الأمنية على الحدود السورية واللبنانية وفي الضفة الغربية والمنطقة المحتلة في العام ١٩٤٨ بأساليبها السابقة . ولكن هذه الأساليب فشلت فشلا ذريعا في قهر مقاومة قطاع غزة . ولقد وصف روبرت غراهام مدينة غزة في مطلع العام ١٩٧١ (أي في مرحلة خطيرة من مراحل الحبوط الثوري) بقوله : « الشوارع مغلقة تقريبا الا من سيارات الدوريات المصفحة التي تنقل جنودا اسرائيليين . وهناك حظر تجول مشدد في جزء من المدينة حول مخيم اللاجئين الرئيسي . بايجاز ، ان في غزة كل مظاهر المدينة المحاصرة » (١٥) . ولجابهة الحالة الأمنية المتدهورة في القطاع صوتت الوزارة الاسرائيلية في ١٩٧١/١/٣ على سياسة أمن صلبة جديدة ، واستندعت الى غزة وحدة من قوات حرس الحدود (ذوي القبعات الخضراء) . واستخدمت هذه الوحدة مختلف التدابير الوحشية لقمع الحركة الثورية ،

وردت الثورة باستخدام أساليب الحرب السرية بمجموعات صغيرة، واللجوء الى حرب المخابىء والانفاق . وكان الثوار يشنون العمليات يوميا . وكان ٤٠ ٪ من العمليات الفء-قنابل ، و٢٥ ٪ زرع الغام ، و٣٥ ٪ عمليات منفردة . ولم يقتصر مناضلو القطاع على العمل في قطاعهم الضيق (٢٥ ميلا x ٦ أميال) بل دفعوا بمجموعات للعمل في النقب وسيناء وضد المستعمرات المحيطة بالقطاع . واستمر الوضع على هذا الشكل طوال العام ١٩٧١ والنصف الاول من العام ١٩٧٢ ، ثم تناقصت وتيرة العمليات في قطاع غزة وان لم تتوقف حتى نهاية فترة الحبوط الثوري .

ومن الجدير بالذكر هنا ان رد العدو على العمليات الخارجية اخذ في هذه الفترة طابعا دفاعيا - هجوميا . وكان الدفاع يتمثل في زيادة تدابير الامن على المؤسسات الصهيونية والاسرائيلية في الخارج . أما التدابير الهجومية فكانت تتمثل في مطاردة الفدائيين وضرب قياداتهم وقواعدهم داخل الارض العربية ، وملاحقة قادة الثورة وممثليها في الخارج وتنظيم عمليات اغتيالهم المباشر أو بالطرود البريدية . ولست قد تصاعدت هذه العمليات المضادة واخذت شكلا هجوميا عنيفا بعد تزايد عمليات الثورة ضد الصهاينة والدبلوماسيين الاسرائيليين في الخارج ، وقتل الرياضيين الاسرائيليين في ميونيخ ، بتاريخ ١٩٧٢/٩/٦ على يد مقاتلين من منظمة ايول الاسود التي ظهرت الى الوجود لأول مرة في عملية اغتيال وصفي التل في القاهرة (١٩٧١/١١/٢٨)، واخذت السلطات الاسرائيلية على عاتقها تصفية الفدائيين حيثما وجدوا ، ولكن أحداثا عسكرية ضخمة اندلعت في المنطقة ، وحرمتها من الانفراد بالثورة الفلسطينية ، وأجبرتها على تقليص احلامها والركون مؤقتا الى الدفاع .

ويمكن ايجاز العمل العسكري في هذه المرحلة بأنه كان في ثلثها الاول مرحلة دفاع ضد الهجمة الاردنية ، وكان في ثلثها الثاني مرحلة التقاط أنفاس وتكثيف للعمل في الداخل ، وكان في ثلثها الثالث محاولة للعودة الى مرحلة الصعود الثوري في الداخل والخارج ، (مع تصعيد في العمليات العسكرية) ، رغم تحديات العمل العربية وتدابير العدو الصهيوني القمعية المتطورة . ولقد حاولت الثورة في هذه المرحلة الاستناد الى تجارب الماضي ، والعمل على التخلص من سلبيات التجربة السابقة والسير بخطوات أسرع على طريق الوحدة الوطنية ، وخاصة وحدة قوات الميليشيا في المخيمات ، رغم جو الركود الجزئي الذي ساد منظمات الثورة وادى الى عدد من التوترات والانشقاقات الجانبية .

ز - **مرحلة استعادة الفاعلية العسكرية وتعزيز الموقف السياسي** (تشرين الاول ١٩٧٣ - كانون الثاني ١٩٧٤) :

في السادس من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، حطمت القوات العربية حالة « اللاسلم واللاحرب » التي خيمت على المنطقة ست سنوات ، وعبرت الحدود لتحطم قوات العدو الاسرائيلي . وكان عبورها المكاني على مسرح العمليات عبورا في الزمان أيضا ، لانه كان انتقالا من مرحلة الردع والغطسة الاسرائيليين الى مرحلة المبادرة العربية الفعالة على طريق التحرير . وكانت القوة المسلحة الفلسطينية جزءا أساسيا من المعركة ، فلقد اشتركت قوات جيش التحرير الفلسطيني مع القوات العربية على الجبهتين المصرية والسورية ، وقامت بعمليات كوماندوس ضمن اطار خطة العمليات العربية العامة ، وقامت قوات الثورة الفلسطينية المتمركزة في سورية بالعمل وراء خطوط العدو ، وشنت قوات الثورة وقوات جيش التحرير المتمركزة في لبنان عمليات عسكرية جريئة وواسعة النطاق في الجليل ، وتحركت خلايا الداخل لضرب العدو

المنشغل على الجبهتين بشكل دفع المعلق العسكري الإسرائيلي حاييم هرتزوغ الى التحدث عن « الجبهة الثالثة » ، وارتفع عدد العمليات التي شنتها قوات الثورة في فترة الحرب الى أكثر من ٢٠٠ عملية (١٦) ، ولو قُيِّض للثورة الفلسطينية او لكتيبة جيش التحرير المتمركزة في الاردن العمل عبر الحدود الاردنية ، وتسديد الضربات لاهداف العدو في الضفة الغربية وصحراء النقب ، لقامت بأعمال تشتيئية كبيرة تؤثر على جهد العدو العسكري في الجولان وسيناء ، ولكن النظام الاردني حال دون ذلك .

ولم تكن مساهمة الثورة الفلسطينية في حرب ١٩٧٣ مقتصرة على ما قامت به من عمليات عسكرية خلال القتال . بل كان لها أيضا مشاركة استراتيجية غير مباشرة ، ساعدت الجيوش العربية على تحقيق المفاجأة . وتتمثل هذه المشاركة في لفت انظار استخبارات العدو الإسرائيلي الى عمليات الثورة في الداخل والخارج منذ عملية ميونيخ ، وتشتيت جهودها في محاربة الفدائيين ودرء أخطارهم ، الامر الذي شغلها عن الاهتمام الكلي بمراقبة الجيوش النظامية . وبالإضافة الى ذلك ، فقد أفاد أسوريون والمصريون من عملية صواريخ روما (أيلول ١٩٧٣) ، وتهديدات اسرائيل بالرد على هذه العملية عن طريق تسديد ضربة انتقامية الى سورية ، فحشدوا قواتهم الهجومية تحت ستار الاستعداد للدفاع وصد العدوان ، ثم أخذوا المبادرة الهجومية التي وقعت على الجيش والمجتمع في اسرائيل وقع الصاعقة .

وأدى تحطيم الردع ، وكسر حالة الجمود ، واهتزاز العسكرية الاسرائيلية بعد حرب ١٩٧٣ الى استعادة الثورة لفاعليتها العسكرية في الداخل وعبر الحدود السورية واللبنانية ، رغم تكامل خط الحواجز الذي نصبه العدو على الحدود اللبنانية — الاسرائيلية ، والذي يشبه خط الغور الى حد بعيد . واستمرت العمليات العسكرية رغم توقف اطلاق النار وفصل القوات على الجبهتين المصرية والسورية ، وبقيت البندقية الفلسطينية ، كما كانت بعد حرب ١٩٦٧ ، السلاح الوحيد المشرع في وجه الاحتلال ، مع اختلاف جذري في الوضع الاستراتيجي للمجابهة ، يتمثل في انعدام الردع الاسرائيلي ، ووجود قوات عربية مستنفرة ومستعدة لشن الحرب على نطاق واسع ، وانشغال العدو باتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة الجيوش العربية المحتشدة على الجبهتين .

وهناك ثلاث ظواهر أخذت حجما كبيرا وبدأت تطلق الاسرائيليين وتضعهم في حالة هستيرية : **أولاها** ارتفاع مستوى معنويات سكان الارض المحتلة ، وازدياد أملهم بالتحرير ، وانخفاض تأثير عمليات القمع عليهم ، واستعدادهم لتابعة النضال بشكليته المدني والعسكري ضد العدو الصهيوني . والظاهرة **الثانية** استمرار عمليات التسلل الى الارض المحتلة رغم الحواجز المنتشرة على طول الحدود ، ورغم القصف الجوي للقواعد والخيمات ، واستخدام البحر كمدخل الى قلب منطقة العدو الحساسة . أما الظاهرة **الثالثة** فهي لجوء قوات الثورة (فتح ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين — القيادة العامة — الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين) الى القيام بعمليات انتحارية نهز المجتمع الاسرائيلي من جذوره ، وتهدد الحالة الامنية بالتدهور رغم كل تدابير الحيلة والحراسة ، لان وجود مفارز انتحارية تعمل بأسلوب « الكاميكاز » أحبط كل تدابير العدو وحرمها من فاعليتها .

لقد اثبتت الثورة الفلسطينية خلال مسيرتها النضالية الطويلة خلال عشرة أعوام انها المفجر الثوري والقوة المحركة لكل جمود عسكري في المنطقة . وهي تقف اليوم

أمام العدو الصهيوني بكل صلابة وتصميم. ، لتكتب بالرصاص مستقبيل الشعب الفلسطيني . ولقد استطاعت الصمود عشر سنوات رغم مجابهتها لأشرس قوة عسكرية عرفتها المنطقة ، ورغم محاولات تطويقها في البداية ، والضربات التي سددت الى ظهرها خلال مرحلة الصعود الثوري. ولقد تعرضت هذه الثورة لكثير من النكسات، وتكدت خسائر بشرية كبيرة ، وعانى مناضلوها كل أنواع التعذيب والقهر في سجون العدو ، ولكن هذا لم يثنها عن عزمها ، ولم يجبرها لحظة واحدة على إيقاف القتال ، وعرفت هذه الثورة كيف تجتاز أزماتها الذاتية الداخلية ، وكيف تخفف الى الحد الأدنى الآثار السلبية للظروف الموضوعية السيئة ، وكيف تعيد تنظيم قواها المادية والمعنوية بعد كل نكسة ، لتتابع الطريق ، وكأن شيئاً لم يكن .

ولقد استطاعت هذه الثورة الانتقال بنجاح من مرحلة النمو الجنيني الى مراحل أكثر تطوراً . وعملت داخل الارض المحتلة وخارجها، ومدت نشاطها الى الأهداف الصهيونية والامبريالية خارج المنطقة ، وتمكنت من تشتيت قوى العدو ووسائله وأنتباهه ، والحققت به خسائر كبيرة ، واثرت على الحالة الامنية في المناطق المحتلة ، وأفادت من تجارب الشعوب ونضالاتها الكثير من الدروس الثورية فأخذت عن الصينيين مبادئ الحرب الطويلة الأمد، والالتصاق بالجماهير. واقتبست من الجزائريين اساليب الحرب السرية المدنية (غزة) ، وطبقت الى حد ما حرب الخنادق والانفاق التي مارسها الصينيون والفيتناميون ، ومارست العمليات الكبيرة الفيتنامية ضمن حدود إمكاناتها ، وأخذت عن الثورة الروسية فكرة المفوض السياسي، وعن الكوريين والفيتناميين مسألة تنظيم القواعد الخارجية ، وحاول عدد من المنظمات في فترة من الفترات تطبيق نظرية البؤرة الثورية وفق الأسلوب الكوبي . ولكنها لم تنقل التجارب بجمود ، بل ادخلت عليها الكثير من التعديلات لتجعلها متلائمة مع ظروفها والمعضلات التي تجابهها . بيد ان عدداً من الظروف الذاتية والموضوعية لم تسمح لها حتى اليوم بالوصول الى مرحلة « حرب العصابات الكبيرة » وشن الهجوم الاستراتيجي الذي أخذته الدول العربية على عاتقها في حرب ١٩٧٣ ، وشاركت الثورة خلاله مشاركة فعالة .

ويمكن القول ان استمرار الثورة الفلسطينية وبقائها ونموها كانت رداً عملياً على اقوال المشككين الذين طالما تحدثوا عن ضعف قوى الثورة ، وصغر عملياتها ، وعدم قدرتها على الانتقال من مرحلة الدفاع الاستراتيجي الى مرحلة الهجوم الاستراتيجي ، وفق ما تعلموه في الكتب عن مراحل الحرب الثورية (البذرة ، النمو ، حرب العصابات الصغيرة ، حرب العصابات الكبيرة ، تنظيم الدفاع عن المناطق المحررة ، الهجوم الاستراتيجي) . وكان هؤلاء المشككون قد تناسوا اربع حقائق هامة في الصراع العربي الاسرائيلي : تتعلق **أولاً** بموازين القوى وطبيعة العدو الصهيوني ، وتتعلق **ثانياً** بعروبة المعركة ودور الجيوش العربية الوطنية فيها، وتتعلق **ثالثاً** بأن الحرب الثورية لا تمر دائماً وبالضرورة بكل هذه المراحل ، وان هناك حروباً ثورية انتصرت ووصلت الى التحرير دون المرور في مرحلة الهجوم الاستراتيجي (الجزائر) ، أما **الرابعة** فهي تتعلق بفهم العلاقة الجدلية بين الصراع السياسي والصراع العسكري مع العدو، وتأثير هذين الصراعين المتكاملين ضمن اطار استراتيجية الانهك التي لا تستهدف تدمير قوى العدو المادية فحسب، بل تستهدف أيضاً تأمين تأكله من الداخل، وتدمير قواه المعنوية، واصابته بالملل ، وتحقيق النصر عن طريق الإقناع المسلح الذي يجبر الغزاة على وعي استحالة تحقيق النصر بالقوة ، وعدم إمكانية الاستمرار في الصراع الى ما لا نهاية ، والصمود امام الضغوط العالمية المتزايد ، أي تحقيق النصر بملل العدو لا بتدمير قواه المادية بعملية كبيرة تقصم ظهره .

ومن المؤكد ان المشككين الذين توجهوا بانتقاداتهم تحت ستار الدفاع عن الثورة الفلسطينية ، كانوا يطالبون هذه الثورة بتنفيذ مهمات لا تدخل في اطار مهماتها ، ولا تتناسب مع قواها ، ويتعذر القيام بها الا بتلاحم قوى الثورة الفلسطينية ، مع القوى الثورية العربية الواعية لخطورة الغزوة الصهيونية — الإمبريالية ، والمستعدة لجابقتها حتى النصر .

ولقد اشترك العدو الاسرائيلي في هذه الخطيئة القاتلة منذ البداية . ودفعه عماه الاستراتيجي الى تجاهل حقائق العصر . فقيم الثورة عند انطلاقتها بأنها قوة محدودة القوى والإمكانات، وان من الممكن التغلب عليها بالتدابير البوليسية والحواجز وعمليات القصف الجوي . ولقد حققت هذه التدابير بعض النتائج ، وخاصة في فترات التناقض الاستراتيجي بين الدول العربية والثورة الفلسطينية ، ولكنها لم تستطع اخماد الثورة .

ويكمن خلل التقييم الاسرائيلي في عدم فهم الظروف الدولية المتغيرة ، وعدم وعي أهمية العامل المعنوي الذي يدفع الفلسطينيين الى القتال حتى النهاية ، وضخامة « هدف النزاع » بالنسبة الى شعب يجد نفسه معرضا للشطب من التاريخ . وكان فهم العدو الاسرائيلي لاسلوب العمل النفسي الموجه لسكان الارض المحتلة فهما قاصرا ، لذا اعتبر عملية الانعاش الاقتصادي والسكون الذي ساد المناطق المحتلة في بعض الفترات دليلا كافيا على خضوع شعب كامل لارادته ، ولكنه لم يلبث ان اكتشف بأن عرب المناطق المحتلة في العام ١٩٤٨ والعام ١٩٦٧ يتعاطفون مع الثورة ، وينضمون اليها ، أو ينظمون صفوفهم داخل خلايا قتالية مستقلة عن تنظيمات الثورة ، ولكنها تسير على خطها ، وتقاتل المحتلين بأسلوب الحرب السرية .

والخلل الاكبر في تفكير الاسرائيليين ، هو عدم فهمهم لاهمية الردع العالمي ، ومدى تأثير الرأي العام العالمي وتعاطفه مع الثورة الوطنية المسلحة التي تقاتل من أجل أهداف عادلة ، وخطورة محاولة تطبيق الاستعمار في عصر تصفية الاستعمار، وتزايد نفوذ الدول الاشتراكية في العالم ، واستحالة الاعتماد على القوة المادية التمهية في العصر الحاضر لتهر شعب ونشريده وحرمانه من حقوقه اذا حمل هذا الشعب السلاح، وحصل على التأييد المادي والمعنوي من دول مجاورة وقوى عالية صديقة محبة للسلام ومعادية للاستعمار .

ولقد أفادت الثورة الفلسطينية من كل هذه الاخطاء الاسرائيلية ، ومن غرور القوة المادية الاسرائيلي ، وعدم استعداد غالبية دول العالم لتقبل المقولات الاسرائيلية غير العادلة ، فنمت ، وحافظت على قواها ، وأبقت الشعلة متقدة ، وكانت تكتفي في كثير من الحالات بالحفاظ على البقاء ، الذي يعتبر في حالات الحبوط الثوري نجاحا في حد ذاته .

ولم تكتف الثورة بالعمليات العسكرية ، بل كانت تمارس نشاطا اعلاميا سياسيا خارجيا مكثفا تستخدم فيه كافة السبل بما في ذلك العمليات الخارجية . وأدى توافق العاملين السياسي والعسكري الى اكتساب « المناورة السياسية الخارجية » . واستطاعت الطلائع الثورية الفلسطينية لفت انظار العالم الى قضية شعب كامل ، وحصلت على اعتراف معظم دول العالم بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على أرضه ، وانزعت من الولايات المتحدة نفسها — وهي جزء من معسكر العدو — الاعتراف بمصالح الشعب الفلسطيني . وتحولت المسألة الفلسطينية على الصعيد العالمي من مسألة انسانية (مسألة لاجئين) الى مسألة سياسية (مسألة شعب يطالب بحقوقه مغتصبة) . وجاء مؤتمر القمة في الجزائر (١٩٧٣) ليعترف بأن منظمة

التحرير هي الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني، وكانت معارضة الأردن العنيفة الوحيدة أمام الاعتراف العربي الكامل . ولكن مؤتمر القمة في الرباط (١٩٧٤) استطاع تجاوز هذه العقبة ، واتحدت كلمة العرب حول الاعتراف بالطليعة الثورية الفلسطينية .

وعلى الطريق الوعر الذي رسمته دماء المقاتلين الفلسطينيين ، سارت الطليعة الثورية حتى هيئة الامم المتحدة رغم معارضة اسرائيل والولايات المتحدة والدول العنصرية السائرة في ركبها ، وبدأت ادانات العالم للاحتلال الصهيوني تأخذ شكلا رسميا وحادا ومتصاعدا ، ودعيت منظمة التحرير كعضو مراقب دائم في الجمعية العمومية . وظهرت بدايات ملامح الانتصار الاستراتيجي رغم سلامة قوى العدو العسكرية ، ولم تعد الثورة الفلسطينية قوة معزولة تصرخ في واد ، بل غدت قوة معترفا بها ، وعاملا فعلا في الصراع العربي - الاسرائيلي ، وعنصرا أساسيا من عناصره .

ولا تزال الثورة الفلسطينية ، بعد عشرة أعوام ، تحمل البندقية بكل صلابه ، وتنادي بتحرير اليهود والعرب من الطغمة الصهيونية التي تخلق الاضطراب في المنطقة وتهدد السلام العالمي . وهي تمارس عند طرح مقولاتها السياسية عملا سلميا حضاريا ، وتمارس في حمل البندقية عملا حضاريا أيضا ، لان بندقيتها بندقية تحرير لا بندقية قمع .

- ١ - بنير شنيق ، « في التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية » ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١٤ .
- ٢ - بيان سياسي صادر عن فتح ، بمناسبة الذكرى الرابعة لاطلاق الثورة الفلسطينية ، ١/١/١٩٦٩ ، وثائق عسكرية ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ .
- ٣ - مجلة الثورة الفلسطينية ، عدد ٨ ، حزيران (يونيو) ١٩٦٨ ، ص ٩ .
- ٤ - وثائق عسكرية « فتح » ، ج ١ ، ص ٩ .
- ٥ - كراس « دراسات وتجارب ثورية » ، من منطلقات العمل الفدائي ، ص ٢٧ ، من فصل بيان التوقيت .
- ٦ - وثائق عسكرية « فتح » ، ج ١ ، ص ٧٢ - ٧٣ - ٨٢ - ٨٥ .
- ٧ - الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) ، كراس « استراتيجية الكفاح المسلح » ، ص ٢٨ .
- ٨ - من حديث الدكتور عبد الوهاب كيالي ، أمين عام جبهة التحرير العربية ، شؤون فلسطينية ، عدد رقم ٧ ، آذار (مارس) ١٩٧٢ ، ص ٣٧ .
- ٩ - كراس « نحو فهم علمي لمهية الثورة في الارض المحتلة وانعكاساتها السياسية والطبقية على الصعيدين القومي والاممي » ، الساعة ، ص ٤٢ - ٤٤ .
- ١٠ - كفاحنا المسلح بين النظرية والتطبيق ، فتح ، دراسات عسكرية ، ١٩٧٠ ، ص ١٨ .
- ١١ - أربع معارك كبيرة لقوات العاصفة ، فتح ، ١٩٧٠ ، ص ٣٢ - ٤١ .
- ١٢ - عل همشمار ، ١١/١٢/١٩٧٠ .
- ١٣ - الفارديان ، ٧/٢٠/١٩٧١ .
- ١٤ - دافار ، ٢٢/١٠/١٩٧١ .
- ١٥ - فايننشال تايمز ، ٣/٢/١٩٧١ .
- ١٦ - جدول العمليات العسكرية ، شؤون فلسطينية ، عدد ٢٧ ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ .

ميزان القوى العربي - الاسرائيلي في عشر سنوات

١٩٦٥ - ١٩٧٥

محمود عزمي

درج الاعلام الصهيوني على تصوير ميزان القوى العربي - الاسرائيلي على اساس وضع الدول العربية كلها من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي في كفه تضم مختلف عناصر قوتها البشرية والاقتصادية والعسكرية ، ووضع اسرائيل بمفردها في كفة مقابلة لها ، ومن ثم تبدو كفة العرب راجحة بصورة تؤكد للعالم مدى خطورة الموقف الذي تتعرض له اسرائيل نتيجة عدااء الدول العربية وحاجتها الشديدة الى الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري من الدول الغربية ، كما تتأكد في الوقت نفسه مدى كفاءة الجيش الاسرائيلي الذي استطاع ان يلحق الهزيمة بالجيوش العربية في حرب ١٩٦٧ وأن يصد هجومها في حرب ١٩٧٣ .

ولما كان واقع المواجهة العربية - الاسرائيلية في العشر سنوات الاخيرة يوضح أن مصر وسوريا هما الدولتان اللتان وقع عليهما العبء الرئيسي في المواجهة ، سواء من الناحية العسكرية أو الاقتصادية ، فان دراستنا لميزان القوى العربي - الاسرائيلي ستركز أساسا عليهما ، مع اضافة الاردن بسبب اشتراكه في حرب ١٩٦٧ والاحتمال الذي كان قائما أمام اسرائيل لاشتراكه في حرب ١٩٧٣ ، وسنضيف العراق أيضا نظرا لمساهمته في كل من حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ بدرجة متفاوتة من الفاعلية ولاحتمال اشتراكه في الحرب الخامسة المتوقعة .

أما بقية الدول العربية فمنها من لم تشارك اطلاقا في القتال ، ومنها من ساهم مساهمة رمزية مثل الكويت والمغرب والسعودية لا تدعو الى حساب قوتها ضمن ميزان القوى ، أو من حاول أن يساهم مساهمة فعالة ولكن قواتها كانت تصل بعد توقف القتال بسبب بعد المسافة وذلك مثل الجزائر وليبيا ولذلك لن نستطيع اضافة حسابات قوتها الى الجانب العربي في ميزان القوى .

وتتناول دراستنا لميزان القوى العربي - الاسرائيلي ، ضمن الاطار المذكور ، مختلف عناصر قوة طرفي الصراع ، والتي تشمل القوى البشرية والموارد الاقتصادية والموقع الجغرافي - الاستراتيجي والقوة العسكرية والقيم المعنوية والعلاقات الدولية والقدرات التنظيمية والقيادية .

١ - عنصر القوى البشرية : يشمل هذا العنصر في حسابات علاقات القوى بين اطراف الصراع النسبة العددية لمجموع السكان ، ونسبة الافراد الذين في سن الخدمة العسكرية منهم ، ونسبة المتعلمين من هؤلاء الافراد نظرا لان جزءا متزايدا من الاسلحة والمعدات الحربية الحديثة أصبح يتطلب ضرورة توفر حد أدنى معين من التعليم ، والاكثر أهمية بعد ذلك كله معرفة اجمالي عدد الجنود الذين يستطيع كل طرف من اطراف الصراع تعبئته وحشده في ساحات القتال خلال المراحل المختلفة لفترة الدراسة .

تفيد الإحصاءات التقريبية لعدد السكان في مصر عام ١٩٦٥ بانهم كانوا نحو ٢٩ مليون نسمة ، وفي سوريا حوالي ٥٢ مليون نسمة ، وفي الاردن نحو ٢ مليون نسمة ، وفي العراق ٨١٦١٠٠٠ نسمة ، أي ان إجمالي عدد سكان الدول الأربع كان يقدر بنحو ٢٤٦١٠٠٠ نسمة . على حين ان عدد سكان اسرائيل من اليهود كان يقدر بنحو ٢٠٢٩٠٠٠ نسمة ، أي ان الجانب العربي كان يتمتع بنسبه تفوق في العنصر البشري بصفه عامه تصل الى ٢٠٠٢٠ . ومن الصعب التوصل الى احصائيه دقيقة لعدد السكان المتعلمين الى الحد الذي يسمح باستيعاب الاسلحه الحديثه ، ولذلك سنعتبر إجمالي عدد الطلبة في المدارس الثانوية والمهنيه ومدارس المعلمين والتعليم العالي (الجامعي والمعاهد العليا) بمثابة مؤثر هام يوضح نسبة تقريبيه للأفراد الممكن اعتبار مستواهم التعليمي صالحاً كأساس لاستيعاب المعدات القتاليه الحديثه . لقد كان عدد هؤلاء الطلبة في مصر عام ٦٤ - ٦٥ نحو ٤٢٦ الف طالب وفي سوريا نحو ٩٢ الفاً وفي العراق ٢٥٦ الفاً ، وذلك مقابل حوالي ١٢٩ الف طالب يهودي في اسرائيل ضمن هذه المستويات التعليميه (١) .

أي أن نسبة عدد الطلبة الى إجمالي السكان في مصر كانت حوالي ١٥ ٪ ، وفي سوريا حوالي ٢ ٪ ، وفي العراق أكثر قليلاً من ٣ ٪ ، أما في اسرائيل فكانت النسبة حوالي ٦ ٪ ، وهذا النقص في نسبة المتعلمين لدى الجانب العربي كان له أثره على المستوى الثقافي العام لجنودهم عشية حرب ١٩٦٧ وبالنسبة للمستوى الصحي للسكان والذي يؤثر بدوره على نسبة الأفراد ذوي اللياقة الصحية اللازمة للمقاتلين بصفة عامه ، فانه من الصعب التوصل الى احصائيات دقيقة لقياس هذا المستوى في كل دولة من أطراف الصراع العربي - الإسرائيلي ؛ ولذلك سنذكر احصاء مقارنا لعدد الأسرة في المستشفيات لدى كل دولة كمؤثر هام دال على حجم الخدمات الصحية المتاحة موضوعياً للسكان . ففي عام ١٩٦٤ كان يوجد في مصر ٥٢٢٧٠ سريراً بالمستشفيات الحكومية بمعدل سرير واحد لكل ٥٠٠ فرد تقريبا ، وفي سوريا كان يوجد عام ١٩٦٣ في المستشفيات الحكومية ٤٣٠٧ أسرة ، بمعدل سرير واحد لكل ١١٦٠ فرداً تقريبا . وفي العراق كان يوجد ١٥٠٨٤ سريراً عام ١٩٦٣ بمعدل سرير واحد لكل ٥٦١ فرداً تقريبا . على حين ان اسرائيل كان فيها ١٦٧٤٤ سريراً بمعدل سرير واحد لكل ١٥٠ فرداً تقريبا (٢) .

وفضلاً عن ذلك فقد كان معدل الوفيات بصفة عامه في مصر عام ١٩٦٣ يبلغ ١٥٣ فرداً من كل ١٠٠٠ من السكان ، كما كان معدل وفيات الأطفال في السنة نفسها ١١٨ طفلاً من كل ١٠٠٠ طفل . على حين ان معدل الوفيات العام كان في اسرائيل وقتئذ ٦ أفراد من كل ١٠٠٠ من السكان اليهود ، ومعدل وفيات الأطفال ٢٢٧ طفلاً من كل ١٠٠٠ طفل من السكان اليهود .

وفي عام ١٩٧٣ بلغ عدد السكان في مصر نحو ٣٥٧ مليون نسمة ، وفي سوريا نحو ٦٧٧ مليون نسمة ، وفي العراق حوالي ١٠ ملايين نسمة ، أي ما مجموعه حوالي ٥٢٥ مليون نسمة . مقابل نحو ٢٦٧٨٠٢ مليون من السكان اليهود في اسرائيل عام ١٩٧٢ (٣) .

أما عدد طلبة التعليم الثانوي والتعليم العالي (وما يعادلها) فقد بلغ في مصر عام ٧١ نحو ٨٢٢ الف طالب ، وفي سوريا نحو ١٤٢ الف طالب ، وفي العراق حوالي ٤٠٥ الاف طالب ، وذلك بالنسبة لأعداد السكان التقديرية التالية على التوالي : حوالي ٣٤ مليوناً في مصر ، و٦٤ مليوناً في سوريا ، و٩٧ مليوناً في العراق ، أي بنسبة تقل عن

٢٥٪ في مصر ونسبة ١/٤ ٢٪ في سوريا ، ونسبة ٤٪ تقريبا في العراق .

اما في اسرائيل فقد كان عدد الطلبة المذكورين عام ١٩٧١ حوالي ١٤٥ الف طالب يهودي مقابل نحو ٢٦ مليون من السكان اليهود ، أي بنسبة ٥٥٪ تقريبا . ومعنى هذه الأرقام ان اسرائيل ما زالت تتمتع بنسبة تفوق واضحة في عدد السكان المتعلمين بالنسبة لدول المواجهة رغم التحسن النسبي الذي طرأ على عدد المتعلمين في مصر وسوريا والعراق ، ولذلك اضطرت مصر بإحداث عقب هزيمه ١٩٦٧ أن تركز في عمليه التجنيد العسكري على خريجي المدارس الثانوية والجامعات والمعاهد العليا ، وان تستبقهم أطول فترة ممكنه في الخدمة العامله للقوات المسلحة لتستفيد من نسبة تفوقها الكمي في عدد هؤلاء الخريجين بالنسبة لاسرائيل في سد فجوة تخلف المستوى الثقافي لغالبية جنودها بالقياس لجنود الاسرائيليين خلال حرب ١٩٦٧ ، ولكن ذلك تم بطبيعته الحال على حساب التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي افتقدت جزءا رئيسيا من العناصر البشرية المؤهلة علميا . ويرجع انخفاض المستوى الثقافي والصحي للسكان في دول المواجهة العربية الى تركه التخلف المثقله التي ورتتها هذه الدول من عصر الاستعمار والاقطاع ، والى استنزاف مواردها الاقتصادية في سباق التسلح واعادة التسلح نتيجة لصراعها المسلح ضد السيطره والتوسع الاسرائيلي ، فقد اضطرت مصر أن تنفق خلال عام ١٩٦٤ مثلا على الدفاع مبالغ تفوق نسبتها المؤتية عن نسبة ما أنفقته على التعليم والخدمات الصحية بحوالي ٢١٩٪ ، كما بلغت النسبة المذكورة في سوريا خلال العام نفسه ٣٥٩٪ وفي العراق ٢٠٦٪ وفي الاردن ٥٢٥٪ ، على حين النسبة المذكورة كانت في اسرائيل خلال العام نفسه ١٨٨٪ (٤) . هذا بالإضافة الى ضخامة المساعدات الخارجية المالية لاسرائيل سواء من الولايات المتحدة أو ألمانيا الغربية (التعويضات الألمانية) والدور الهام الذي تلعبه في دعم الاقتصاد والنفقات العسكرية الاسرائيلية دون أن يؤثر ذلك كله على خدمات التعليم والصحة ، كما ان نسبة كبيرة من السكان اليهودتائي الى اسرائيل عن طريق الهجرة من مجتمعات اوروبية متطورة علميا وصحيا وتدعم القاعدة البشرية الاسرائيلية دون أن تكبد الاقتصاد الاسرائيلي نفقات اعدادها .

وفي النتيجة كانت اسرائيل تستطيع دائما في كل الحروب السابقة لحرب ١٩٧٣ أن تعبئ وتحشد قوات تفوق قوات المواجهة العربية ، التي تتمتع احصائيا بميزة التفوق البشري الضخم . ففي حرب ١٩٤٨ كان لها في المراحل الاخيرة من الحرب نحو ٨٠ الف جندي مقابل حوالي ١٨ الف جندي مصري على الجبهة الجنوبية ، التي كانت قد اصيحت هي الجبهة الوحيدة المقاتلة . وفي حرب ١٩٥٦ كان لدى الجيش الاسرائيلي ١٩٠ الف جندي عند التعبئة العامة مقابل نحو ٩٠ الف جندي لدى الجيش المصري (لم يتوفر الوقت الكافي والظروف المناسبة لحشدهم بسرعة وفعالية في سبب نتيجة للتدخل العسكري البريطاني - الفرنسي) ، وفي حرب ١٩٦٧ كان لدى الجيش الاسرائيلي نحو ٢٦٥ الف جندي ، مقابل ١٦٠ الف جندي يتألف منهم الجيش المصري (٥) (كان يوجد منهم نحو ٣٠ الف جندي في اليمن) و٦٥ الف جندي بالجيش السوري وحوالي ٥٠ الف جندي بالجيش الاردني . أي ان مجموع القوات العربية المتاحة عمليا كان يبلغ نحو ٢٤٥ الف جندي ، ومعنى هذا ان اسرائيل كان لها ، نظريا ، ٢٠ الف جندي أكثر من الجيوش العربية في الميدان .

أما في حرب ١٩٧٣ ، نتيجة للجهود المصرية والسورية المضنية في انشاء قوات مسلحة قوية عقب حرب ١٩٦٧ (نتيجة لاخذ المبادرة الهجومية التي كفلت تحقيق حشد متفوق مستبق) ، فقد كان لدى الجيش المصري نحو ٢٦٠ الف جندي ، والجيش

السوري حوالي ١٢٠ الف جندي ، اي ٣٨٠ الف جندي للجيشين معا ، مقابل نحو ٢٧٥ الف جندي كانوا بالجيش الاسرائيلي عند التعبئة العامة (٦) ، اي ان الجيوش العربية (قبل ان تنضم القوات العراقية الى الجبهة السورية في مرحلة صد الهجوم المضاد الاسرائيلي) كانت تفوق الجيش الاسرائيلي بحوالي ٢٨ ٪ بالنسبة لقوته البشرية ، اي ان كل ١٤ جندي عربي كان يواجه جنديا اسرائيليا . ورغم هذا التحسن النسبي في عنصر القوة البشرية العربية الا ان نسبة التفوق هذه بقيت دون النسبة المتعارف عليها دوليا كحد أدنى لتحقيق التفوق بالقوات المحاربة اللازم للطرف المهاجم وهي ٢ - ١٠٠٣ .

وتشير الأرقام التقديرية لقوة طرفي الصراع خلال النصف الاخير لعام ١٩٧٤ والنصف الاول لعام ١٩٧٥ بانها على النحو التالي : الجيش المصري حوالي ٢٨٠ الف جندي ، والجيش السوري حوالي ١٢٥ الف جندي ، والجيش العراقي نحو ١٠٠ الف جندي ، اما الجيش الاسرائيلي فيقدر بحوالي ٣٧٥ الف جندي (٧) ، وقد تمت هذه الزيادة الواضحة في القوة البشرية للجيش الاسرائيلي خلال السنة الاخيرة نتيجة لتقليل حالات الاعفاء من التجنيد التي كان يجري التوسع فيها قبل حرب ١٩٧٣ (تحت شعور الاستهانة بالقوة العسكرية العربية الذي كان مسيطرا على المؤسسة العسكرية الاسرائيلية) ولاستدعاء كثيرين من الاسرائيليين العاملين في الخارج (بالولايات المتحدة وكندا أساسا) من سبق لهم الخدمة الميدانية بالجيش ، وذلك ضمن سلسلة الاجراءات التي تتخذها اسرائيل لزيادة قوتها العسكرية عقب حرب ١٩٧٣ . ومعنى ذلك ان القوة العسكرية العربية الاساسية في حالة نشوب حرب خامسة خلال عام ١٩٧٥ ستكون حوالي ٤٠٥ الف جندي مصري وسوري ، ذلك لاننا لا نستطيع حاليا تقدير حجم القوات العراقية الفعلية التي يمكن دفعها الى القتال قبل ان يتم انتهاء الصراع المسلح الدائر مع اكراد « الملا مصطفى البرازاني » وتخفيف التوتر على الحدود العراقية - الايرانية . وبهذا تصبح النسبة التقديرية للتفوق البشري العربي حاليا ضئيلة اذ انها لا تتعدى ٨ ٪ فقط . الامر الذي يؤكد ضرورة التركيز على رفع الكفاءة القتالية للمقاتلين العرب بصفة عامة (حتى تكون الوحدات العربية المحدودة الحجم التي تصل الى ساحات المواجهة ذات فاعلية حقيقية) وللمقاتلين المصريين والسوريين بصفة خاصة ، سواء على مستوى الامرد او التشكيلات او القيادات وعلى المستويات العملية - الاستراتيجية على وجه الخصوص ، والاهمية القصوى لاعداد وتدريب اطقم احتياطية عديدة من الجنود ذوي التخصصات القتالية الدقيقة مثل اطقم الدبابات والصواريخ المضادة للطائرات او للدبابات واطقم اخلاء المعدات واصلاحها بسرعة ، والفنيين الذين يستخدمون أجهزة الاتصال والاذنار المبكر وخدمات القوات الجوية المختلفة الخ ، نظرا لان العدو الاسرائيلي يتمتع بميزة التفوق الكمي والنوعي في العناصر البشرية المؤهلة تقنيا لادارة المعدات القتالية المتطورة ، ولاستطاعته الحصول على اعداد كافية من هذه العناصر والاطقم من الولايات المتحدة الامريكية عند الضرورة بفضل القانون الامريكي الذي يسمح للمواطن بالجنسية الامريكية والجنسية الاسرائيلية في آن واحد ، الامر الذي يسهل على اسرائيل سرعة استيعاب الاسلحة الجديدة المرسلة لها خلال الحرب بواسطة الجسر الجوي الامريكي ، ووفر على اسرائيل في الوقت نفسه نفقات تدريب واعداد هذه الاطقم الفنية الاحتياطية .

ان تأمين الكفاءة النوعية للجنود العرب الى أقصى حد ممكن ، وتوفير أكبر قدر مستطاع من الاحتياطي المرتفع النوعية للقوات العاملة العربية ، هو السبيل الرئيسي لاستثمار ميزة التفوق البشري العربي ، المتمثلة أساسا في توفر خامة بشرية احتياطية

تستطيع ان تمتص حجما اكبر ونسبة اعلى من الخسائر بالقياس لمحدودية الاحتياطي البشري الاسرائيلي ، وذلك متى امكن اعداد هذا الاحتياطي البشري على النحو المطلوب في الحرب الحديثة ، خاصة وان الصراع العربي المسلح مع اسرائيل ما زالت تحكمه قوانين الحرب القصيرة ، ويبدو أنها ستظل تحكمه لفترة طويلة مقلبة ، ومن ثم فإن المعادلة الصعبة المطروحة على التخطيط الاستراتيجي العسكري العربي هي كيفية اطالة الحرب القصيرة مع الحاق اكبر قدر ممكن من الخسائر البشرية والمادية بالعدو ، مع توفر القدرة على امتصاص الضربات المعادية والخسائر المترتبة عليها ، بحيث تفوق كثيرا قدرة العدو على تحمل الخسائر عند انتهاء مرحلة الصدام المسلح . وضمن هذا الهامش يمكن للعرب ان يستفيدوا من ميزة تفوقهم البشري الاحصائي .

٢ - عنصر الموارد الاقتصادية :

يشمل هذا العنصر القيمة الاجمالية للنتاج القومي ، والموارد المالية المتاحة لكل طرف محليا ودوليا ، والثروات الطبيعية المتوفرة من المواد الخام اللازمة للمجهود الحربي ، ومصادر الطاقة المختلفة ، والامكانات الصناعية والزراعية ، والنسبة المستخدمة من الدخل القومي للاتفاق الحربي ، والقدرة الاقتصادية والمالية على تحمل الخسائر المادية الخ .

ونظرا لان الصراع العربي - الاسرائيلي المسلح يدور حتى الان ، ولمستقبل ليس قصيرا ، ضمن اطار معين من الظروف الخاصة انني لا تخضع لها الحروب التقليدية عامة ، من حيث قصر فترات الصدام المسلح الشامل ومن حيث الاعتماد شبه الكلي للاطراف المشتركة فيه على مصادر تسليح وعتاد وذخيرة خارجية (نظرا لعدم وجود انتاج حربي محلي يعتمد به في تقرير مجرى الحرب) ، ومن حيث اعتماد هذه الاطراف بدرجات ونوعيات مختلفة على المساعدات الخارجية في تمويل صفقات الاسلحة الرئيسية ، فان عددا من عوامل العنصر الاقتصادي في حسابات ميزان القسوى التقليدي ، لا تحتل الاهمية نفسها التي تحتلها عند دراسة هذا العنصر بالنسبة لدول اخرى دخلت او من المحتمل ان تدخل في صراعات مسلحة مع دول مماثلة لها في مستوى التطور الصناعي والاقتصادي . ومن الامثلة على ذلك ان وجود المواد الخام اللازمة للانتاج والمجهود الحربيين كالحديد والمنجنيز والنحاس والنفط والمطاط لدى دول المواجهة العربية او اسرائيل لا يمثل ، حتى الان ، عنصرا هاما من عناصر الموارد الاقتصادية اللازمة لادارة الحرب ، مثلما كان الحال خلال الحرب العالمية الثانية لدى المانيا وايطاليا واليابان من جهة والولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتي من جهة اخرى ، فأي قدر متوسط من الخزون في المحروقات لدى مصر وسوريا من جهة واسرائيل من جهة اخرى كان كافيا لتشغيل عجلة المجهود الحربي والعمليات العسكرية خلال حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ، وكذلك الحال بالنسبة للمنتجات الزراعية والصناعية التي تلعب دورا هاما في تعزيز القدرة الدفاعية لاطراف الصراع ، من حيث توفيرها لكثير من متطلبات القوات المسلحة والسكان المدنيين دون الاضطرار الى القاء مزيد من الاعباء المالية على ميزان المدفوعات ورصيد العملة الصعبة ، ولكنه في الوقت نفسه ليس الدور الذي تلعبه كميات ونوعيات هذه المنتجات في الحروب العادية الاخرى التي تسري عليها كل قوانين الحرب .

ولذلك فان عنصر الموارد الاقتصادية في حسابات ميزان القوى بين دول المواجهة العربية واسرائيل يتركز اساسا في القيمة المالية لهذه الموارد المتمثلة في اجمالي الناتج القومي والدخل القومي ، وما ينتجه ذلك من موارد مالية لازمة للدفاع ولدعم القاعدة

الاقتصادية للمجتمع وتخفيف آثار اعباء الدفاع وخسائر الحرب . وضمن هذا الاطار سنبحث عنصر الموارد الاقتصادية ومدى تأثيرها على ميزان القوى العربي - الاسرائيلي .

في عام ١٩٦٥ كان الناتج القومي في مصر يقدر بنحو ٢٤.٥٨ بليون جنيه مصري وانفق على الدفاع مبلغ يقدر بنحو ٢٥١٤٦ مليون جنيه ، اي بنسبة ١٢٤٢ ٪ من اجمالي الناتج القومي ، وفي سوريا قدر الناتج القومي في العام نفسه بنحو ٥٤٢٦٨ بليون ليرة وانفق على الدفاع مبلغ يقدر بنحو ٤٣٤٤٨ مليون ليرة ، اي بنسبة ٨٤٣ ٪ . أما اسرائيل فكان ناتجها القومي يبلغ عام ١٩٦٥ نحو ١٠٤٢٠٢ بليون ليرة اسرائيلية وانفاقها العسكري يقدر بنحو ١٤١٧٠٤٨٠٠٠٠٠٠ ليرة، اي بنسبة ١١٦٥ ٪ من اجمالي الناتج القومي . وحتى نتضح لنا صورة المقارنة بعض الشيء نورد ارقام الانفاق على الدفاع لدى الدول الثلاث بالدولار وكانت على التوالي : ٥٧٥٠٢ مليون دولار لمصر، ١٠٧٤٦ مليون دولار لسوريا ، ٣٩٠٤٣ مليون دولار لاسرائيل* . كما ان الناتج القومي الحقيقي لمصر (على أساس اسعار عام ١٩٥٠) كان يزيد عن الناتج القومي الحقيقي لاسرائيل عام ١٩٦٥ بنسبة ٦٦ ٪ فقط(٨)، وذلك بعد أن كان يزيد عنه بنسبة ١٣٤ ٪ عام ١٩٥٥ ، ويرجع ذلك الى سرعة نمو الاقتصاد الاسرائيلي نتيجة للمساعدات الامريكية والالمانية الغربية وقلة عدد السكان .

وفي عام ١٩٧٣ بلغ اجمالي الناتج القومي في مصر نحو ٨٤٤ بليون دولار ، على حين انه بلغ في اسرائيل حوالي ٨٤٧ بليون دولار . اما سوريا فبلغ ناتجها القومي في العام نفسه ٢٤٥٣ بليون دولار(٩) . أي ان اجمالي الناتج القومي لمصر وسوريا ١٠٤٤٥٣ بليون دولار مقابل ٨٤٧٠٠ بليون دولار لاسرائيل ، وهي نسبة لصالح اسرائيل متى أدخلنا عدد السكان لدى كل طرف ، ولذلك كان دخل الفرد في اسرائيل ١٩٦٢ دولارا في السنة ، في حين لا يزيد عن ١٩٧ دولارا للفرد في مصر و٢٧٩ دولارا للفرد في سورييا .

وبلغت تقديرات الميزانية العسكرية في مصر عام ١٩٧٣ - ١٩٧٤ حوالي ١٧٣٧ مليون دولار ، وفي سوريا حوالي ٢١٦ مليون دولار ، وفي اسرائيل ١٤٧٤ مليون دولار، واذا ما وضعنا عدد السكان لدى كل دولة من الدول الثلاث في الحساب اتضح لنا ان تكاليف الدفاع بالنسبة للفرد الواحد كانت في اسرائيل عام ١٩٧٢ نحو ٤٦٣٤٥ دولارا وفي مصر عام ١٩٧١ حوالي ٤٨ دولارا ، وفي سوريا عام ١٩٧١ نحو ٣١٤٩ دولارا(١٠) . وهذه مؤشرات كافية للدلالة على مدى الارتفاع وكثافة الموارد المالية المخصصة للدفاع في اسرائيل ، وقد تضاعفت هذه النسبة حاليا ، اذ بلغت ميزانية اسرائيل العسكرية عام ٧٤ - ١٩٧٥ حوالي ٣٦٨٨ مليون دولار ، وهو مبلغ يمثل ٤٧٤٨ ٪ من اجمالي(١١) ناتجها القومي .

أما مصر فقد بلغت ميزانيتها العسكرية عام ٧٤ - ١٩٧٥ نحو ٣١١٧ مليون دولار ، وهو مبلغ يمثل ٣٢٤٨ ٪ من اجمالي ناتجها القومي ، وبلغت ميزانية سوريا العسكرية في العام نفسه حوالي ٤٦٠ مليون دولار ، وهو مبلغ يمثل ١٤٤٩ ٪ (١٢) من اجمالي ناتجها القومي . أي ميزانية كل من مصر وسوريا خلال العام الحالي تبلغ ٣٥٧٧ مليون دولار ، وهو مبلغ يقل عن ميزانية اسرائيل بنحو ١١١ مليون دولار ، واذا ما وضعنا نسبة السكان بين الطرفين في الاعتبار تبين لنا بوضوح مدى كثافة الموارد المالية المخصصة للانفاق العسكري في اسرائيل ، ومدى جدية الاستعدادات التي تجريها لشن حرب جديدة خامسة تحاول ان تزيل بها اثر النصر المعنوي الذي احرزته مصر وسوريا في الحرب الرابعة .

- وقد أدت زيادة النفقات العسكرية بعد حرب ١٩٧٣ ، فضلا عن آثار التضخم المالي العالمي الى زيادة اضطراب ميزان المدفوعات الاسرائيلي ، رغم اعتماده شبة الكامل على الهبات والمساعدات الامريكية ، ونقص احتياطي العملة الصعبة بصورة كبيرة ، الامر الذي دفع الحكومة الاسرائيلية في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ الى اقرار خطة تقشف اقتصادي شديد تضمنت خفض سعر الليرة ورفع أسعار السلع الكمالية وتقييد الائتمان ، وذلك لزيادة الصادرات وتقليل الإنمتهلاك وتوفير العملة الصعبة بعد ان ارتفعت نفقات استيراد الاسلحة من حوالي ٧٠٠ مليون دولار سنويا قبل حرب ١٩٧٣ الى ٢٣٠٠ مليون دولار عام ١٩٧٥ ، وبعد ان زادت نفقات استيراد المواد الغذائية من ١٧٠ مليون دولار عام ١٩٧٣ الى ٧٠٠ مليون دولار (١٣) ، عام ١٩٧٥ الخ .

وبطبيعة الحال لم يكن من الممكن للاقتصاد الاسرائيلي ان يعتمد على موارده المحلية في تمويل نفقات التسلح والدفاع الباهظة في جميع مراحل الصراع العربي - الاسرائيلي وخاصة في المرحلة التي اعقبت حرب ١٩٧٣ ، بدون المساعدات المالية الخارجية التي تأتي اليه من الولايات المتحدة بصفة أساسية .

وكذلك الامر بالنسبة لمصر وسوريا اللتين لم يكن من المستطاع لهما اقتصاديا وماليا إعادة بناء قوتيهما العسكرية عقب حرب ١٩٦٧ ، (وكذلك خلال حرب الاستنزاف بالنسبة لمصر عامي ٦٩ و ١٩٧٠) وتعويض خسائره في الاسلحة والعتاد وتدعيم قوتيهما وتطويرها بعد حرب ١٩٧٣ ، بدون المساعدات العسكرية الوفقيية ، ولكن المساعدات العسكرية والمالية الامريكية لاسرائيل تعد أكثر كثافة وتركيزا بالقياس لعدد السكان لدى الطرفين وارتفاع تكاليف الدفاع بالنسبة للفرد الواحد ، فضلا عن أن كفاءة الإدارة الاقتصادية وسرعة استيعاب العتاد والسلاح الحديث في اسرائيل (نتيجة للظروف التي تعرضنا لها بالنسبة لعنصر القوة البشرية) تتيح لها تحقيق مردود أكبر من وراء هذه المساعدات في وقت أقصر من الوقت الذي تحتاجه مصر او سوريا لتحقيق المردود نفسه من وراء المساعدات العسكرية والاقتصادية السوفيتية .

كما ان اضطراب كل من مصر وسوريا الاحتفاظ بقوات عاملة كبيرة ضمن أسلحتها البرية والجوية والبحرية (نظرا لعدم كفاءة نظام الاحتياطي من حيث سرعة استدعائه والحفاظ على ارتفاع مستوى تدريبه ومن ثم صعوبة حثه واستخدامه بفاعلية في زمن قصير) بلغت نحو ٢٩٨ الف رجل عام ١٩٧٣ في مصر وحوالي ١٣٢ الف رجل في سوريا في العام نفسه مقابل نحو ١١٥ الف رجل في القوات المسلحة الاسرائيلية العاملة ، كان يتيح دائما لاسرائيل القدرة على انفاق نسبة أكبر من ميزانيتها العسكرية على الاسلحة والعتاد من تلك التي تنفقها مصر وسوريا عليهما بالقياس لنسبة الانفاق على الافراد ، الامر الذي ساعد اسرائيل على زيادة القوة النارية لاسلحتها والقدرة الحركية لقواتها ومستوى أعلى من التدريب سواء للقوات العاملة او الاحتياطية .

ولا شك ان الدعم المالي المقدم من دول النفط العربي لمصر وسوريا قبل وبعد حرب ١٩٧٣ قد لعب دورا في دعم القدرات الاقتصادية والعسكرية للدولتين (غير معروف بدقة ارقام هذا الدعم) ولكن هذا الدعم كان سيؤتي ثمارا أفضل قريبا لو كانت نسبته في ميزانيتي الدولتين العسكرية أكبر خلال السنوات السابقة للحرب ، بل ان الرقم المالي لهذا الدعم الذي اعلن ضمن مقررات مؤتمر القمة العربي في الرباط والبالغ قدره مليار دولار لكل من مصر وسوريا خلال ميزانية ٧٤ - ١٩٧٥ لا يعد كافيا بالدرجة

الملائمة لدعم القدرات الاقتصادية اللازمة للمجهود الحربي في الدولتين ، وخاصة بالنسبة لمصر التي تقدر ميزانيتها العسكرية خلال هذا العام بنحو ٣١١٧ مليون دولار والتي تقل عن ميزانية إسرائيل العسكرية بمبلغ ٥٧١ مليون دولار ، وذلك متى وضعنا في الاعتبار التفاوت في عدد السكان بين مصر وإسرائيل والبالغ نسبته حوالي ١٠١٢ ، وحتى تقل الاعباء الاقتصادية الواقعة على كاهل الاغلبية الساحقة من الستة والثلاثين مليوناً الذين يؤلفون سكان مصر حالياً نتيجة للاستنزاف الاقتصادي المستمر عبر العشرين عاماً الماضية من الصراع العربي - الإسرائيلي وما يصاحبه من انخفاض مستمر في مستوى المعيشة ودخل الفرد ، علماً بأن دخل دول النفط العربي قد ارتفع بدرجة كبيرة نتيجة لرفع اسعار النفط المترتبة على حرب ١٩٧٣ .

٣ - عنصر الموقع الجغرافي - الاستراتيجي :

تحيط دول المواجهة العربية بإسرائيل ، أي بالأرض المحتلة في فلسطين ، من الشمال والشرق والجنوب ، على حين يشكل البحر الأبيض المتوسط الحد الغربي للدولة الصهيونية ومنفذها الوحيد إلى العالم الخارجي . ويوفر هذا الوضع الجغرافي إمكانية موضوعية للجيوش العربية لكي تعمل على «الخطوط الخارجية» ، كما يقال في لغة الاستراتيجية العسكرية ، التي توفر لها ميزة الهجوم من عدة اتجاهات جغرافية في آن واحد تتلاقى كلها في مركز واحد في نهاية الأمر . ولكن هذه الإمكانية الموضوعية الملائمة للعرب تتطلب للإفادة الحقيقية منها تحقق عدة أمور أساسية ، أولها مدى استعداد دول المواجهة المباشرة جغرافياً بأن تتحول إلى دول مواجهة مسلحة فعلياً تحشد مواردها وطاقاتها الاستراتيجية وتنسق خططها في الحشد والتنظيم قبل بدء العمليات القتالية بفترة كافية لتحقيق مشاركة فعلية ذات اثر ملموس ، وليس مجرد مشاركة متعجلة تجري عشية بدء القتال كما حدث بالنسبة للاردن في حرب ١٩٦٧ ، وذلك لان طبيعة ظروف الحركة على الخطوط الخارجية بالنسبة لحدود دول المواجهة العربية المحيطة بإسرائيل ، تجعل من المستحيل تقريباً ، في ظل عدم وجود اتصال بري مباشر بين جميع دول المواجهة وقوة الطيران الإسرائيلي التي تهدد الملاحة في البحر الأبيض المتوسط بين مصر وسوريا ، اجراء تنقلات اساسية للقوات العربية من جبهة إلى أخرى ، خاصة في الاطار الزمني المحدود للحرب القصيرة التي تحكم الصراع العربي - الإسرائيلي المسلح .

وبالإضافة إلى ذلك فإن وجود قيادة عسكرية وسياسية مشتركة وفعالة السيطرة والقدرة ، قبل واثناء احتدام الصراع المسلح ، بين دول المواجهة المباشرة (وخاصة بين مصر وسوريا) يشكل الشريط الرئيسي لاستئجار ميزة الوضع الجغرافي - الاستراتيجي المتاحة لهذه الدولة ، وهو الأمر الذي لم يتحقق في حرب ١٩٦٧ وكان بذلك أحد أسباب الهزيمة ، والذي شهدت حرب ١٩٧٣ درجة جيدة من بداية تحقيقه على مستوى التنسيق والاعداد المسبق وكانت عاملاً هاماً من عوامل النجاحات العربية التي تمت خلال الحرب المذكورة ، وكان من الممكن ان تزيد نجاحات هذه الحرب او أن تقل سلبياتها على الأمل لو تحققت لقوات دول المواجهة قيادة مشتركة سياسية وعسكرية ، كما اظهرت التجربة العملية في المراحل المتوسطة والاخيرة من الحرب والمرحلة التي سبقت اتفاقيتي فصل القوات على كل من الجبهتين المصرية والسورية .

ولقد كان من الممكن لدول المواجهة العربية ان تستفيد من ميزة وضعها الجغرافي - الاستراتيجي على نحو أخطر بالنسبة لإسرائيل لو كان الاردن ، او ما يسمى بالجبهة الشرقية ، له دور فعال في الصراع المسلح ضدها . فلقد كانت هذه الجبهة

وما زالت تشكل بصورة موضوعية اخطر طرق الاقتراب المباشر الاستراتيجي نحو قلب اسرائيل ، نظرا لانتساع مواجهتها بصورة كبيرة . تفوق مواجهة الجبهة المصرية (الجنوبية) البالغ طوله عام ١٩٦٥ نحو ٢١٠ كلم و ١٨٠ كلم عام ١٩٧٣ ، ومواجهة الجبهة السورية (الشمالية) البالغ طوله ٥٦ كلم عام ١٩٦٥ ونحو ٨٠ كلم عام ١٩٧٣ ، ذلك لان طول المواجهة على الجبهة الاردنية (الشرقية) عام ١٩٦٥ كان يبلغ نحو ٥٣ كلم وعام ١٩٧٣ نحو ٤٨٠ كلم (بما في ذلك طول البحر الميت البالغ عند منتصفه ٨٣٠٥ كلم) . ولهذا نجد « آلون » يقول في كتابه « انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي » في معرض حديثه عن الوضع الجغرافي - الاستراتيجي لاسرائيل قبل حرب ١٩٦٧ « كانت القوة العسكرية الرئيسية للعرب كامنة في مصر ، وكان الضعف الجغرافي - الاستراتيجي الرئيسي لاسرائيل كامنة في السهل الساحلي المواجه للاردن . فان نظرة خاطفة الى الخريطة كانت كافية لاطهار مدى قابلية اسرائيل للهجوم من هذا الجانب . ذلك لان الاراضي التي كانت تحتلها الاردن على الضفة الغربية لنهر الاردن كانت تواجه « اسفل البطن الطري » في خطوط اسرائيل الدفاعية . وان اي قوة عسكرية مهاجمة تحاول تقطيع اسرائيل الى جزئين او ثلاثة كافتتاحية لهجوم عام على عدد من الجبهات » (١٤) .

وبطبيعة الحال لم تكن اسرائيل غافلة عن المزايا الاستراتيجية للجبهة الشرقية حال وجودها بصورة فعلية ، ولذلك بادرت بضرها خلال حرب ١٩٦٧ بمجرد أن اظهر النظام الاردني رغبة شبه شكلية في مشاركة مصر وسوريا دورهما الرئيسي في مواجهة اسرائيل عسكريا ، كما اعتبرت اي خطوة تحمل طابع الجدية في خلق وتدعيم هذه الجبهة احد المبررات الرئيسية التي تعطيها الحق في شن حرب وقائية ضد الاردن ، وكان ذلك التهديد أحد العوامل الاساسية التي جعلت النظام الاردني يحجم عن المشاركة الفعالة في حرب ١٩٧٣ ويكتفي بإرسال اللواء المدرع ٤٠ الى الجبهة السورية كرمز للمشاركة في الحرب .

ولقد كان لاتباع دول المواجهة العربية المباشرة استراتيجية دفاعية ضد اسرائيل في المراحل السابقة لحرب ١٩٧٣ ، اثره ايضا في عدم تحقق الاستفادة الممكنة موضوعيا من ميزة الحركة على الخطوط الخارجية التي يتيحها الوضع الجغرافي - الاستراتيجي لهذه الدول بالنسبة لاسرائيل ، التي ساعدتها العوامل المذكورة آنفا سواء في حرب ١٩٦٧ او حرب ١٩٧٣ في الاستفادة من ميزة الحركة على الخطوط الداخلية التي يوفرها لها وضعها الجغرافي - الاستراتيجي ، والتمثلة أساسا في قدرتها على نقل قواتها الضاربة الجوية والبرية بسهولة نسبية من جهة الى اخرى نظرا لوجود شبكة جيدة من الطرق تربط البلاد من شمالها الى جنوبها . ففي عام ١٩٦٥ كان في اسرائيل طرق معبدة بالاسفلت طولها ٣٦٨٢ كلم تقوم الحكومة بصيانتها او المساهمة في صيانتها فضلا عن طرق اخرى تنفق عليها السلطات المحلية طولها ٣٧١٥ كلم (١٥) ، اي ما جيلته ٧٣٩٧ كلم ، وبلغت جملة مساحة مسطحات هذه الطرق حوالي ٤١ الف متر مربع (اذ كان متوسط عرض الطرق حوالي ٥٠٣ متر) ، وهي نسبة عالية من اطوال الطرق ومساحتها بالقياس لمساحة اسرائيل وقتئذ البالغة ٢٠٠٧٠٠ كلم مربع . كما كان لديها خطوط سكك حديدية اساسية طولها ٤٦٤ كلم ، و ٣١٤٩٣ سيارة نقل تجارية و ٢٩٢٧٧ سيارة نقل ركاب (اتوبيس) ومعظمها يستخدم في الجهود الحربية وفي اجراءات التعبئة العامة .

على حين أن مصر كان لديها عام ١٩٦٤ طرق معبدة طولها ١٧٠٠٥٨ كلم وخطوط

سكك حديد اساسية طولها ٤٢٣١ كلم و ٢٢٤٧٠٠ شاحنة و ٦٥٠٠ سيارة نقل ركاب (اوتوبيس) مقابل مساحة جغرافية تبلغ ١٦٠٠٢٦٠٠ كلم مربع (منها ٣٦ الف كلم مربع تقريبا مساحة المنطقة المسكونة و ٦١ الف كلم مربع مساحة سيناء) . اما سوريا فكان لديها عام ١٩٦١ طرق معبدة بالاسفلت طولها ٤١٩٤ كلم (وطرق غير معبدة لا تصلح في الشتاء عامة طولها ٩٥٩٤ كلم) و ١٢٧٧٨ سيارة نقل و ١٨٤٨ سيارة نقل ركاب (اوتوبيس) عام ١٩٦٣ ، وذلك مقابل مساحة جغرافية تبلغ ١٨٤ الف كلم مربع (١٦) . (منها ١١٥٠ كلم مربع في هضبة الجولان) .

وتوضح هذه الارقام بكل جلاء مدى التفوق الذي كان لدى اسرائيل عشية حرب ١٩٦٧ في طرق ووسائل المواصلات والنقل بالنسبة لكل من مصر وسوريا ، الامر الذي سهل عليها موضوعا امكانية الاستفادة من ميزة العمل على الخطوط الداخلية القصيرة ، خاصة في ظل الظروف المتصلة بعدم قدرة العرب من الاستفادة الواجبة من ميزة العمل على الخطوط الخارجية الطويلة ، وعلى ضوء عنصر السيطرة الجوية الاسرائيلية على سماء المعركة بصفة كاملة الذي ضمن تأمين نقل القوات البرية من جبهة الى اخرى .

وبعد حرب ١٩٦٧ زادت مساحة الارض المحتلة من قبل اسرائيل بحيث أصبحت جملتها ٨٩٣٥٩ كلم مربع (نتيجة لاحتلال شبه جزيرة سيناء البالغ مساحتها ٦١٩٨١٩٨ كلم مربع وقطاع غزة البالغ مساحته ٣٦٣ كلم مربع والضفة الغربية ومساحتها ٥٨٧٨ كلم مربع والجولان ومساحتها ١١٥٠ كلم مربع) ، وبطبيعة الحال أدت هذه المساحات الجديدة الى تعقيد الحركة على الخطوط الداخلية نسبيا ، خاصة في سيناء ، الا ان استمرار تفوق الطيران الاسرائيلي خارج مناطق الدفاع الجوي العربي فوق جبهات القتال خلال حرب ١٩٧٣ ، مكن القيادة الاسرائيلية من الاستفادة من ميزة الحركة على الخطوط الداخلية ، خاصة بالنسبة للقوة الجوية الضاربة .

ولقد أضافت الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ عمقا استراتيجيا لاسرائيل أفضل بكثير مما كان متاحا لها قبل ذلك ، مكنها من صد الهجوم المصري في سيناء وتركيز ضربتها المضادة الاولى في جبهة الجولان ضد الجيش السوري (ساعد على ذلك محدودية الهدف الاستراتيجي العسكري المصري واستمرار سيطرة الطيران الاسرائيلي النسبية فوق الجولان وفوق العمق الدفاعي لاسرائيل) دون تعرض المناطق الحيوية فيها لمخاطر الهجوم العربي والقتال الجوي . الا ان دولتي المواجهة العربيتين ، مصر وسوريا ، ما زالتا تتمتعان بميزة العمق الجغرافي — الاستراتيجي ، وان كان ذلك بدرجة أقل مما كانت عليه الحال عام ١٩٦٧ بعد أن قلت المسافة الفاصلة بين القوات الاسرائيلية والمدن المصرية والسورية الرئيسية (خاصة العاصمتين دمشق والقاهرة) ، وذلك يوقر لمصر وسوريا ميزة الاستفادة من عنصر الكثافة السكانية بالكامل فيما لو استطاعتا تحقيق الشروط اللازمة لاغراق رأس الحربة الاسرائيلية في بحر حرب الشعب المسلح .

وفي حالة اذا ما تحقق التعاون والتنسيق العسكري العربي بصورة فعالة بين مصر وسوريا بصفة خاصة ، وبينهما وبين الدول العربية الاخرى المجاورة لهما (العراق والاردن بالنسبة لسوريا والسودان وليبيا بالنسبة لمصر) مع توفر اكبر نسبة ممكنة من تعاون الدول العربية الاخرى الاكثر بعدا على المستويين العسكري والاقتصادي ، فان عنصر الوضع الجغرافي — الاستراتيجي سيصبح عنصرا شديدا الفاعلية في الصراع العربي — الاسرائيلي المسلح ويحقق قدرة ممتازة على امتصاص أي ضربة خاطفة اسرائيلية ، بل قدرة فعالة على مواجهة أي تدخل عسكري امريكي يتم لصالح اسرائيل او من أجل السيطرة على منابع النفط العربي .

٤ - عنصر القوة العسكرية : يشمل هذا العنصر اجمالي القوات المسلحة لكل من الطرفين من حيث عدد الافراد والاسلحة الرئيسية ، ونوعيتها ودرجة تطورها التقني ، ومستوى التدريب الفردي والجماعي وقدرات الحركة والصيانة والاصلاح وتعويض الخسائر وتوفير قطع الغيار الخ .

لقد كان لدى اسرائيل في بداية عام ١٩٦٥ (وفقا لتقديرات تقارير معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني التي سنتخذها أساسا نسبيا للمقارنة رغم تحفظاتنا الخاصة على بعض أرقامها بالنسبة لاسرائيل) حوالي ٦٠٠ دبابة ونحو ٣٠٠ طائرة حربية (باستثناء طائرات النقل والهليكوبتر) وكانت قواتها المسلحة عند التعبئة تضم حوالي ٢٥٠ الف رجل . وأصبح لديها عام ١٩٧٣ ، عشية حرب أكتوبر ، نحو ١٧٠٠ دبابة وحوالي ٥٠٠ طائرة حربية ونحو ٣٠٠ الف رجل في قواتها المسلحة . أي أنها زادت دباباتها بنسبة ١٨٣ ٪ تقريبا وزادت طائراتها الحربية بنسبة ٦٧ ٪ على حين ان نسبة زيادة عدد أفراد قواتها المسلحة لم تزيد عن ٢٠ ٪ ، وذلك فيما بين ١٩٥٥ و١٩٧٣ . أما مصر فكان لديها عام ١٩٦٥ نحو ٩٠٠ دبابة وحوالي ٤٠٠ طائرة حربية ونحو ١٨٠ الف رجل في قواتها المسلحة العاملة (١٧) (لن ندخل قوات الاحتياطي في الحساب وهي تقدر بنحو ١٢٠ الف رجل) ، وأصبح لديها عام ١٩٧٣ حوالي ١٩٥٠ دبابة ونحو ٤٢٠ طائرة حربية (باستثناء طائرات التدريب والنقل والهليكوبتر) وبلغ اجمالي عدد أفراد قواتها المسلحة العاملة نحو ٢٩٨ الف رجل (١٨) . ومعنى ذلك أنها زادت قوتها من المدرعات بنسبة ١١٦ ٪ وزادت طائراتها الحربية بنسبة ٥ ٪ كما بلغت نسبة زيادة عدد أفراد قواتها المسلحة العاملة ٦٥ ٪ تقريبا . ويلاحظ مدى ارتفاع نسبة نمو قوة الدبابات والطائرات لدى اسرائيل خلال الفترة الزمنية محل المقارنة بالقياس لمصر ، مع انخفاض نسبة الارتفاع في عدد الرجال ، (حاليا ارتفعت نسبة الأفراد في القوات المسلحة الاسرائيلية بنسبة ٣٣ ٪ خلال السنة الاخيرة تقابلها نسبة ٨ ٪ تقريبا زيادة في أفراد القوات المصرية) أما انخفاض نسبة نمو قوة الطائرات الحربية المصرية الشديد بالنسبة لاسرائيل ، فيرجع الى تدمير نحو ٣٠٠ طائرة مصرية خلال حرب ١٩٦٧ واستبدال طائرات « الميغ ١٩ » بعدد مماثل من طائرات « سوخوي ٧ » واختفاء معظم القاذفات « اليوشين ٢٨ » من الخدمة ووجود عدد اكبر من طائرات « الميغ ٢١ » عما كان موجودا عام ١٩٦٥ . أما سوريا فكان لديها عام ١٩٦٥ قوات مسلحة يبلغ عددها نحو ٧٠ الف رجل ، ونحو ٣٥٠ دبابة وحوالي ٨٠ طائرة حربية (باستثناء طائرات التدريب والنقل والهليكوبتر) . وفي عام ١٩٧٣ أصبح لديها نحو ١٠٣٢ الف رجل ونحو ١٢٧٠ دبابة وحوالي ٣١٠ طائرة حربية ، أي ان قوتها البشرية زادت خلال هذه الفترة بنسبة ٩٠ ٪ ، وارتفعت قوتها من الدبابات بنسبة ٢٦٢ ٪ تقريبا وقوتها الجوية بنسبة ٢٨٨ ٪ .

ويرجع ارتفاع معدلات نمو القوة السورية خلال هذه الفترة بالقياس لمعدلات نمو القوة المصرية ، والقوة الاسرائيلية أيضا ، الى صغر قوتها نسبيا عام ١٩٦٥ وضخامة الجهود التي بذلتها القيادة السورية السياسية والعسكرية من أجل تطوير قوتها العسكرية عقب حرب ١٩٦٧ ، والتي دعمتها المساعدات العسكرية السوفيتية الكبيرة ، فضلا عن عدم تعرض القوة العسكرية السورية لاستنزاف مماثل للاستنزاف الذي تعرضت له قوة مصر العسكرية والاقتصادية خلال حرب الاستنزاف في عامي ٦٩ ، ١٩٧٠ . أما ارتفاع نسبة نمو قوة المدرعات والطائرات لدى اسرائيل بالقياس لمصر فيرجع الى ارتفاع نسبة انفاقها على الاسلحة بدرجة تفوق نسبة انفاقها على

الأفراد كثيرا نتيجة لصغر حجم قواتها العاملة بالنسبة لقواتها الاحتياطية ، كما سبق أن أشرنا عند تناولنا لعنصر الموارد الاقتصادية .

ولا يكفي في حساب علاقات القوى العسكرية بين طرفي الصراع أن نحدد عدد الدبابات ونسبة تفوقها الكمي ، أو أن نحدد عدد الطائرات لديهما ونستخرج نسبة التفوق الرقمية ، حتى لو كانت الطائرات محل المقارنة كلها من طائرات الصف الأول الحديثة . وذلك نظرا لان اختلاف نوعية السلاح والتقنية ومدى قدراته التكتيكية تخل بالضرورة بالمقارنة الرقمية المجردة .

فلقد كان لدى مصر وسوريا مثلا عشية حرب ١٩٧٣ نحو ١١٠ طائرات « سوخوي ٧ » و ١٨٠ « ميغ ١٧ » و ٤١٠ « ميغ ٢١ » و ٢٥٠ قاذفة متوسطة « ت يو ١٦ » ، أي ما مجموعه ٧٢٥ طائرة حربية . ويضاف إليها نحو ٢٠ طائرة هوكر هنتر عراقية كانت موجودة في مصر وشاركت في الحرب ، وحوالي ٣٨ طائرة « ميراج ٥ » ليبية اشتركت في القتال بطيارين مصريين ، مقابل ٥٠٠ طائرة حربية لدى إسرائيل (١٩) . وتتفاوت حسابات القوى بين القوتين الجويين عند اجراء المقارنة بينهما في حالة القصف الارضي ، عنها في حالة القتال الجوي الاعتراضي . ففي الحالة الاولى نجد أن الطيران الاسرائيلي يتمتع بتفوق واضح في القوة النارية إذ أن الحمولة القصوى لمجموع طائراته في الطلعة الواحدة تبلغ نحو ١٥٨٥ طنا من القنابل ، على حين أن الحمولة القصوى لمجموع الطائرات المصرية والسورية في الطلعة الواحدة تبلغ حوالي ٩٤٥ طنا من القنابل ، يضاف إليها نحو ٢٢٦ طنا أخرى تستطيع طائرات الهنتر العراقية والميراج الليبية أن تحملها في الطلعة الواحدة . وتتفوق معظم طائرات السلاح الجوي الاسرائيلي على طائرات السلاحين الجويين العربيين في بعد المدى ، باستثناء « الميغ ٢١ » المتطورة التي يبلغ مداها القتالي نحو ١١٠٠ كلم ، والقاذفات « ت يو ١٦ » التي يمكن أن يصل مداها في حالة حمولة ٣٠٠٠ كلغ من القنابل وسرعة ٧٧٠ كلم الى ٦٤٠٠ كلم . وذلك كما يوضح جدول الخصائص الفنية المقارن للطائرات العربية والاسرائيلية المرفق بهذه الدراسة .

أما بالنسبة لحالة القتال الجوي الاعتراضي فإننا نعتقد على أساس دراسة قدرات السرعة والمناورة والمدى والتسليح لطائرات الطرفين ، وكميات الطائرات من كل نوع ، ومع الأخذ في الاعتبار مزايا « فانتوم » المتفوقة في القتال الجوي ، أن الطيران المصري والسوري معا كانت لديها فرصة موضوعية لتحقيق درجة معقولة من التوازن في السيطرة الجوية مع الطيران الاسرائيلي ، فيما لو توفرت لهما قيادة مشتركة ومستوى أرفع من التدريب والخدمات الأرضية وإدارة العمليات الجوية ، لأن ٣٠٠ طائرة « ميغ ٢١ » تقابل في ظروف ملائمة لها من حيث عدم التوغل في عمق إسرائيل تستطيع أن تواجه تحدي ٩٥ طائرة « فانتوم » في ظل الشروط المذكورة آنفا ، و ١٨٠ طائرة « ميغ ١٧ » و ١١٠ طائرات « ميغ ٢١ » المتبقية تستطيع أن تواجه طائرات « السكاى هوك » و « الميراج » و « الميسير » و « الاورغان » الاسرائيلية .

أما بالنسبة للمدركات فلقد كانت القوات المصرية والسورية تملك تفوقا واضحا في كميته (٣٢٢٥ دبابة ، فضلا عن نحو ٤٠٠ دبابة عراقية وصلت سوريا عند مرحلة صد الهجوم الاسرائيلي المضاد) مقابل ١٧٠٠ دبابة اسرائيلية وفقا لتقدير معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني أو ٢٤٠٠ دبابة وفقا لتقدير أمريكي آخر) يدعمه توازن تقريبي في القدرات الفنية والقتالية مع نوعيات الدبابات الاسرائيلية ، وذلك كما يوضح جدول وخصائص الدبابات العربية والاسرائيلية المرفق ، بل أن معظم الدبابات

العربية تتميز على معظم الدبابات الاسرائيلية في السرعة والمنورة وبعد مدى عملياتها وانخفاض هيكلها الذي يقلل نسبة اصابته من المسافات البعيدة في الاراضي المنبسطة . وتتفوق الدبابات الاسرائيلية المسلحة بمدفع عيار ١٠٥ مم على الدبابات العربية المزودة بمدفع عيار ١٠٠ مم أو ٨٥ مم في بعد المدى (حوالي ٣٠٠ متر) ونوعية الذخيرة الخارقة للدروع ، ولكن ارتفاع مستوى التدريب وادارة العمليات المدرعة وسرعة الصيانة والامداد بالذخيرة والوقتود كان يمكن أن يعادل هذه الميزة ويحقق تفوقا في نتيجة العمليات المدرعة (نظرا للتفوق الكمي الملحوظ ، والبالغة نسبته وفقا لاعلى التقديرات لقوة المدرعات الاسرائيلية ، ومع عدم اتخال الدبابات « ت ٦٢ » السورية في الحساب البريطاني لميزان القوى عام ٧٣ - ١٩٧٤ ، نحو ٣٣ ٪) ، ولكن استمرار احتفاظ الطيران الاسرائيلي ببعض تفوقه في سماء المعركة خارج نطاق مظلة الدفاع الجوي العربي الميداني كان له اثره غير المباشر في الحد من امكانية تفوق المدرعات العربية ، التي تقيد مدى مناورتها الهجومية بحدود حماية مظلة الدفاع الجوي ولحقت بها خسائر فادحة نتيجة القصف الجوي الذي تعرضت له خارج نطاق هذه المظلة ، خاصة في الجولان وفي الجبهة المصرية عقب الثغرة التي حدثت في جدار الصواريخ . فضلا عن ارتفاع مستوى تدريب اطقم وتشكيلات المدرعات الاسرائيلية الذي يزيد مردودها بنسبة لا تقل عن ٢٠ - ٣٠ ٪ ، والخبرة السابقة لها في عمليات حرب الحركة عام ١٩٦٧ ، وسرعة اخلاء واصلاح وصيانة الدبابات وتزويدها بأطقم جديدة في الجانب الاسرائيلي بالقياس لسرعة الجانب العربي في هذا الخصوص ، (حيث تبرز مزايا الاعداد النوعي للقوة البشرية) وكل هذه العوامل حالت دون استفادة الجيوش العربية من تفوقها في المدرعات . وهناك عامل آخر يلعب دورا غير مباشر في عنصر القوة العسكرية وتفوقها أو توازنها بين الطرفين (التفوق كان في حرب ١٩٦٧ والتوازن كان في حرب ١٩٧٣) وهو أن اسرائيل تتصرف دائما في الادوات العسكرية المتاحة لديها ، وهي تشعر أن الدعم العسكري والسياسي والاقتصادي الأمريكي يشكل ضمانا قوية لها ضد أي هزيمة أو خسارة كبيرة قد تلحق بقواتها (الجسر الجوي الأمريكي وعلان حالة الطوارئ النووية خلال حرب ١٩٧٣ نموذجان بارزان لهذه الضمانة الدولية غير العادية) الامر الذي يجعلها تستخدم قوتها بالكامل دون أن تهتم كثيرا للمشكلات الاحتفاظ باحتياطي هام لمواجهة الطوارئ أو بارتفاع نسبة الخسائر في العتاد والسلاح ، كما حدث بالنسبة للطيران خلال الايام الاولى في الجولان ، الامر الذي يجعل هذه الحماية أو المظلة الامريكية تشكل بعدا رابعا خفيا ، أو غير مباشر ، ضمن أبعاد حساب ميزان القوى في الوسائل العسكرية كما ونوعا ، يعوضها جانبا هاما من النقص الكمي الذي قد تجد نفسها تواجهه في القتال ضد الجيوش العربية ، ذلك لانه يحزر تفكير القيادة الاستراتيجية من ضغوط حساب الاحتفاظ باحتياطيات هامة في مختلف مراحل العمليات الحربية .

وفي المقابل يتمتع الجانب العربي بدعم وتأييد الانحاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية بصفة عامة ، على المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وبدون هذا الدعم كان يستحيل على الجيوش العربية النظامية ان تواجه التصدي الاسرائيلي - الأمريكي ، ويدخل هذا الدعم بطبيعة الحال في تقدير القيادة العربية السياسية والعسكرية وهي تخطط أو تنفذ عمليات عسكرية ضد اسرائيل ، ولكن نظرا لاختلاف نوعية العلاقة السياسية والعقائدية التي تربط نول المواجهة العربية بالاتحاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية عن تلك التي تربط اسرائيل بالولايات المتحدة الامريكية ،

فان دول المواجهة العربية لا تستطيع ان تمضي في شوط استخدام قوتها العسكرية حتى نهايته بالطريقة نفسها التي تنتهجها اسرائيل .

ويصعب التوصل حاليا الى حساب تقريبي للقوة والوسائل العسكرية لدى الطرفين ، نظرا للتغيرات السريعة المتلاحقة التي تجري في عمليات استيراد الاسلحة بين شهر وآخر وصعوبة تقدير كمياتها بدرجة معقولة من الدقة .

ويمكن ان نقدر علاقات القوى في الوسائل العسكرية المتاحة لكل من مصر وسوريا من جهة واسرائيل من جهة اخرى في نهاية عام ١٩٧٤ على نحو تقريبي ومع مراعاة التحفظات السابقة ، في ضوء التقديرات التي يقدمها معها الدراسات الاستراتيجية البريطاني وأخبار بعض صفقات الاسلحة التي تذكرها وكالات الانباء والصحف والمجلات العالمية على النحو التالي : يقدر حجم الجيش المصري البري بنحو ٢٨٠ الف جندي موزعين على ٣ فرق مدرعة ولوائين مدرعين مستقلين و ٣ فرق مشاة ميكانيكية و ٥ فرق مشاة عادية ولوائين مشاة مستقلين ولوائين قوات محمولة جوا ولواء مظلات و ٢٦ كتيبة مغاوير و ٤ ألوية مدفعية ولوائين هاون ثقيل وفوجي صواريخ ارض - ارض من طراز « سكود » بضمان ٢٤ صاروخا ، وفوج صواريخ ارض - ارض من طراز « فروغ ٧ » ، وبطاريات عدة من صواريخ سام ٢ ، ٣ ، ٦ ، وتضم قوة المدرعات نحو ٢٠٠٠ دبابة من انواع ت ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٢ ، و « ب ت ٧٦ » و « ت ١٠ » و « ستالين ٣ » ، فضلا عن نحو ١٢٠ مدفع ذاتي الحركة « س يو ١٠٠ » و « ج س يو ١٥٢ » وحوالي ٢٠٠٠ ناقلة جنود مصفحة من مختلف الانواع .

اما الطيران المصري فتقدر قوته الاساسية بنحو ٢٠٠ « ميغ ٢١ » و ١٠٠ « ميغ ١٧ » و ١٠٠ « سوخوي ٧ » وعدد قليل من « الميغ ٢٣ » وعدد قليل من « الميراج ٣ ي » و ٢٥ قاذفة متوسطة « ت يو ١٦ » و ٥ قاذفات خفيفة « اليوشين ٢٨ » . وتضم القوة البحرية المصرية الرئيسية ٥ مدمرات و ١٢ غواصة و ١٨ زورق صواريخ سطح - سطح و ١٢ زورق قنص للغواصات و ٢٩ زورق طوربيد (٢١) .

أما سوريا فيقدر حجم جيشها حاليا بنحو ١٢٥ الف جندي موزعين على فرقتين مدرعتين ولواء مدرع مستقل و ٣ فرق مشاة ميكانيكية و ٣ ألوية مشاة ميكانيكية مستقلة و ٥ كتائب مغاوير و ٣ كتائب مظليين ولوائي مدفعية وتشكيلات غير معروف حجمها من صواريخ « سكود » و « فروغ ٧ » ، وبطاريات عدة من مختلف أنواع صواريخ « سام » المضادة للطائرات .

وتضم قوتها المدرعة نحو ١٦٧٠ دبابة (من بينها حوالي ٥٠٠ ت ٦٢) ونحو ٧٥ مدفع ذاتي الحركة « س يو ١٠٠ » وحوالي ١٤٠٠ ناقلة جنود مصفحة . كما يضم سلاحها الجوي نحو ٢٠٠ « ميغ ٢١ » و ٤٥ « ميغ ٢٣ » و ٦٠ « ميغ ١٧ » و ٣٠ « سوخوي ٧ » وعدد غير معروف من « سوخوي ٢٠ » وعدد آخر من القاذفات الخفيفة « اليوشين ٢٨ » ، و ١٠ طائرات هليكوبتر مضادة للغواصات « كوموف - ٢٥ » . اما قوتها البحرية فتضم ٦ زوارق صواريخ و ١٢ زورق طوربيد .

ويقدر حجم الجيش العامل الاسرائيلي بنحو ١٢٥ الف جندي والجيش الاحتياطي بنحو ٢٥٠ الف جندي (وهذا بخلاف القوات الجوية والبحرية) ، ويصعب تقدير عدد التشكيلات الاسرائيلية المقاتلة عند التعبئة الشاملة ، ونحن نعتقد انها تضم نحو ٢٠ لواء مدرعا و ١٠ ألوية ميكانيكية و ١٠ ألوية مشاة صف أول و ٦ ألوية مظليين و ٣ - ٤ ألوية مدفعية بخلاف عدة ألوية مشاة من الصف الثاني ووحدات الدفاع المحلي . كما نعتقد أن القوة المدرعة الاسرائيلية ستصبح في أوائل عام ١٩٧٥ نحو ٣٠٠٠ دبابة

معظمها، « باتون » بنوعها « م ٤٨ » و « م ٦٠ » . (فقد حضت اسرائيل على نحو ٤٥٠ دبابة امريكية وهي في طريقها كي تحصل على ٥٥٠ دبابة امريكية اخرى وحوالي ٤٠٠ دبابة سنطوريون البريطانية ، فضلا عن اصلاحها لبعض دباباتها المصابة في حرب ١٩٧٣ وبعض الدبابات العربية المتروكة على ارض المعركة) ، ونحو ٣٦٠٠ ناقلة جنود مدرعة .

اما الطيران الاسرائيلي فتقدر قوته الحالية بنحو ١٥٠ طائرة فانطوم (ومن المقرر ان تبلغ قوته نحو ٢١٠ فانطوم في المستقبل) ونحو ١٨٠ « سكاى هوك » (وهناك عدد آخر تحت الطلب) و ٢٥ « ميراج ٣ » و ٢٠ « براك » (وهي ميراج مزودة بمحرك واحد من النوع الذي تستخدمه الفانتوم) وحوالي ١٢ طائرة « سوبر ميستير » و ٢٠ « ميستير ٤ » و ١٠ « فوتور ٢ » و ٣٠ « اورغان » (والنوعين الاخيرين في المخازن) . وتضم البحرية الاسرائيلية غواصتان (فضلا عن ٣ اخرى يجري تصنيعها في بريطانيا) و ١٦ زورق صواريخ (وهناك اثنان تحت التصنيع) و ٩ زوارق طوربيد (١٢) .

ومن المتوقع ان تزود الولايات المتحدة اسرائيل قريبا بنحو ١٠٠ صاروخ ارض - ارض من طراز « لانس » (الذي يصل مداه الى نحو ١١٠ كلم ويستخدم من فوق آلية مدرعة « م ١١٣ » كما يمكن نقله مع منصب وجهاز اطلاق بواسطة طائرة هليكوبتر طراز « شينوك » س ه - ٤٧ سي) تكفي لتسليح لوائي صواريخ (١٢) . وتستطيع هذه الصواريخ ان تحمل رأس متفجر تقليدي وزنه حوالي ٤٥٠ كلغ أو رأس نووي ، ويمكن ان يصل مداها اذا ما تسللت بها هليكوبتر داخل الاراضي العربية الى ٢٩٥ كلم (يبلغ مدى الهليكوبتر من طراز شينوك نحو ١٨٥ كلم) . كما تزودت اسرائيل بنحو ٢٠٠٠ صاروخ « تاو » مضاد للدبابات وبعده من طائرات الهليكوبتر المسلحة طراز « كوبرا » التي تحمل الواحدة منها ٦ صواريخ من هذا النوع ، وكذلك بكميات من صواريخ « مافريك » المضادة للدبابات والموجهة تليفزيونيا وبصواريخ « شرايك » الموجهة ضد أجهزة الرادار ، وبطائرات الاستطلاع التي تعمل بدون طيار .

وعلى ضوء هذه التقديرات الاولى يمكن ان نقول ان هناك توازنا في القوة البشرية للطرفين (ما لم يغيره تواجد قوات عربية اخرى فعالة حجما ونوعا في وقت مناسب من بدء القتال) وأن هناك تفوقا طفيفا في المدرعات يقدر بنسبة ٢٠ - ٢٥ ٪ لصالح العرب (خاصة مع زيادة نسبة الدبابات « ت ٦٢ » لدى الجيش السوري) ، وان الطيران الاسرائيلي ما زال متفوقا في القوة النارية ، اي في عمليات القصف الارضي ، اذ انه يستطيع ان يحمل حمولة قصوى من القنابل في الطلعة الواحدة تقدر بنحو ١٩٦٣ طنا ، مقابل نحو ٩٧٠ طنا حمولة قصوى للطائرات المصرية والسورية في الطلعة الواحدة (لم ندخل طائرات الميغ ٢٣ في الحساب لان عددها وحمولتها غير معروفة بدقة) ، ولكن قدرات القتال الجوي لدى السلاح الجوي السوري والمصري ستتحسن كثيرا نتيجة لوجود طائرات « الميغ ٢٣ » التي تتفوق في تقديرنا على « الفانتوم » ولارتفاع مستوى التدريب والخبرة اثر الحرب الاخيرة وتوقع ارتفاع مستوى ادارة العمليات الجوية أيضا. والواقع ان تطوير الطيران العربي اصبح يشكل جوهر التحدي مع القوة العسكرية الاسرائيلية حتى يمكن مواجهة تسليح الطيران الاسرائيلي بالصواريخ جو - ارض التي تهدف لتدمير بطاريات الصواريخ العربية من خارج مداها الفعال ، وحتى يمكن اعطاء فرصة افضل لحركة وقتال المدرعات العربية بعيدا عن تهديد صواريخ « تاو » و « مافريك » المحمولة بطائرات الهجوم الارضي والهليكوبتر .

٥ - عنصر القيم المعنوية : يشمل هذا العنصر مجموعة الافكار والمبادئ والدوافع

السياسية والأيدولوجية المحركة للصراع بين الطرفين المتجاوبين ، وتشكل كلها عنصراً هاماً في كيفية استنفاده كل طرف من مجموع عناصر قوته المختلفه التي عرضناها سابقاً ، نظراً لاتصالها بنوعية وكمية الزخم النفسي الكامن وراء السلاح والموارد الاقتصادية والقوه البشريه والمزايا الجغرافيه — الاستراتيجية ، والذي يستطيع ان يضاعف او يقلل من حجم وفاعلية هذه العناصر في الاستخدام العملي لها .

ويتوقف أثر عنصر القيم المعنوية ، ضمن مجموع عناصر القوة الأخرى ، على مدى صحه وعداله وموضوعيه الاهداف النضالية في كل مرحلة تاريخية من مراحل الصراع العربي — الاسرائيلي ، ومدى كفاءة الحشد المعنوي لهذه القيم . ولا شك ان الشعوب العربية ، خاصة شعوب مصر وسوريا وفلسطين ، تملك أهدافاً نضالية وطنية وقومية عادلة ومشروعة وفقاً لكل المقاييس ، كما أنها تمتلك خامة طيبة من الزخم النفسي والشجاعة القادرة على دفع حركة الصراع المسلح العربي من أجل تحقيق هذه الاهداف ، ولكن كفاءة الحشد المنظم لهذا الزخم واستمرار المحافظة على قوة دفعه تتوقف على كفاءة القيادة السياسية العربية وانتهاجها أسلوب ديمقراطي يعتمد على الالتصاق الشديد بحركة الجماهير العربية في ممارستها السياسية الداخلية والخارجية ، وهو الأمر الذي لم يتحقق حتى الآن على النحو المطلوب ، والذي بدونه سيبقى قدر أساسي من جوهر الطاقة البشرية العربية شبه معطل وغير موظف على نحو فعال في الصراع ضد العدو الاسرائيلي .

٦ — **عناصر العلاقات الدولية** : يشمل هذا العنصر نوعية وحجم الروابط القائمة بين طرفي الصراع والقوى الدولية الأخرى المؤيدة لكل طرف منها أو المحايدة ، ومدى توفر التأييد الدولي أو التخليد الدولي بالنسبة لبعض القوى العالمية تجاه أهداف وشعارات كل طرف في كل مرحلة من مراحل الصراع . ولقد نجحت إسرائيل عشية حرب ١٩٦٧ في كسب درجة كافية من التأييد أو التخليد الدولي بالنسبة لهدفها المنظور وتقتنذ ، وهو تعرضها لخطر الإبادة من جانب العرب ، نتيجة لفشل المناورة الخارجية العربية المترتب على عدم وضوح أهداف المرحلة بصورة جيدة والمغالاة الشديدة في طرح شعارات دعائية غير قابلة للتنفيذ العملي مرحلياً .

أما عشية حرب ١٩٧٣ فقد نجح العرب في مناورتهم الخارجية ، نتيجة اتضاح أهداف نضال المرحلة وعدالتها الكاملة وتكثف النوايا اعدوانية والتوسعية الاسرائيلية بصورة لا تقبل الشك ، وتخلي العرب عن الشعار الدعائي الخاص بإزالة دولة إسرائيل ، وجاءت انتصاراتهم الأولى واستخدامهم لسلاح النفط مدعماً للتأييد الدولي المتاح لها من دول المعسكر الاشتراكي وحركات التحرر الوطني ودول عدم الانحياز ، ومحيطة عديد من دول أوروبا الغربية . وبذلك حقق العرب تفوقاً في عنصر العلاقات الدولية ، كما حققوا خلال السنة الأخيرة مزيداً من أنجاحات في محيط العلاقات الدولية (باستثناء التوتر الذي ساد العلاقات المصرية — ايسوفيتية) متجسداً في قطع معظم دول أفريقيا علاقاتها بإسرائيل ودخول منظمة التحرير الفلسطينية هيئة الأمم المتحدة والاعتراف المتزايد عالمياً بحق الشعب الفلسطيني في إقامة سلطة وطنية على كل ارض ينسحب منها العدو الاسرائيلي ، واتخاذ معظم دول أوروبا الغربية موقفاً أكثر تعاطفاً مع العرب الخ ، ولا زال في إمكانهم المحافظة على هذا التفوق حتى يتم على الأقل تحرير الارض المحتلة عام ١٩٦٧ وإقامة دولة فلسطينية ، متى طبقوا استراتيجية سياسية سليمة بتنسيق وتعاون كامل فيما بينهم وبين بعضهم البعض ، وبالمحافظة على دعم وتطوير علاقاتهم مع المعسكر الاشتراكي وحركات التحرر الوطني .

عنصر المقدرة التنظيمية والقيادية : ويشمل هذا العنصر مدى القدرات الإنشائية المتاحة عمليا في كل مرحلة من مراحل الصراع على تحويل كل العناصر المختلفة السابقة الى طاقات فعالة تعطي مردودها الاقصى في الصراع المسلح الجاري بين الطرفين او المحتمل ان يجري .

اي ان هذا العنصر يشمل قدرات التخطيط لاستخدام موارد القوة البشـرية والاقتصادية والعسكرية وامكانات الوضع الجغرافي والطاقة المعنوية الكامنة والعلاقات الدولية وكيفية استثمارها عمليا بنجاح . وهذا يعني انه يشمل مجالات الاستراتيجية العسكرية وادارة العمليات والتكتيك والتعبئة وتنظيم المواصلات والحشد والتخزين الاستراتيجي لحاجات الجهود الحربي ، وتنظيم القوات المقاتلة سواء من حيث نوعية وحجم التشكيلات الميدانية التي توفر اقصى مردود ممكن للأسلحة والعتاد الحربي يتفق مع حقيقة امكاناتها الفعلية الكامنة ، او من حيث طريقة توزيع وتحريك هذه التشكيلات قبل وخلال القتال العملي ، وايجاد التنسيق الفعال بين فروع التشكيلات القتالية المختلفة اثناء المعارك والتحركات ، وكذلك من حيث كفاءة خطط واساليب اعاشة و امداد وتعزيز هذه التشكيلات ، وكفاءة اساليب تنظيم اقتصاد الحرب والدفاع المـدني والاستخبارات وحماية المؤخرة البعيدة ، الخ...

ولقد كانت اسرائيل متفوقة بوضوح كامل على العرب بالنسبة لهذا العنصر خلال حرب ١٩٦٧ ، وهذا التفوق في المقدرة التنظيمية والقيادية لدى اسرائيل كان النسبـي الحقيقي الكامن وراء عناصر القوة العسكرية الاخرى ، وساعد عليه تخلف المستوى التقني والثقافي للجنود والقادة العسكريين واتباع استراتيجية دفاعية سلبية من جانب القيادات السياسية العربية وضعف التنسيق والتعاون العسكري العربي .

ولقد شهدت حرب ١٩٧٣ تطورا واضحا في عنصر المقدرة التنظيمية والقيادية لدى الجانب العربي ، ساعد عليه حسن استيعاب الخبرة العسكرية السوفيتية والتخطيط والتدريب السابق واتباع استراتيجية هجومية اعطت العرب المبادأة ، ولعب دوره الهام في فرض حالة شبه التوازن التي انتهت اليها الحرب ، ولكن نجاح اسرائيل في صد الهجوم العربي والانتقال الى الهجوم المضاد العام ، يعكس بطبيعة الحال تفوق الجانب الاسرائيلي نسبيا في عنصر التنظيم والقيادة ، وهو تفوق دعمته من قبل خبرات حرب ١٩٦٧ ومحدودية الاستراتيجية العليا للحرب من الجانب العربي وعدم تحقق درجة ارقى من التنسيق والتعاون العسكري والسياسي العربي .

والخلاصة ان دول المواجهة العربية المباشرة ، أي مصر وسوريا ، قد انتقلت من مرحلة التفوق الاسرائيلي التي كانت سائدة منذ ١٩٦٧ ، الى مرحلة توازن تقريبي في القوة عقب حرب ١٩٧٣ ، وهي تستطيع ان تنتقل الى مرحلة التفوق العربي على اسرائيل اذا ما عملت بجدية كاملة ، وضمن استراتيجية سياسية واضحة وسليمة ، على تطوير مختلف عناصر قوتها البشرية والاقتصادية والجغرافية — الاستراتيجية والعسكرية والمعنوية والدولية والتنظيمية ، بدعم الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي والقدرات المالية العربية النفطية ، التي ما زالت اقل من المستوى المطلوب لتطوير عناصر القوة العربية ، بمعدل سريع يتفق وسرعة الاستعداد الاسرائيلي — الامريكي لشن حرب خامسة تعيد الاوضاع العربية الى ما كانت عليه قبل حرب ١٩٧٣ .

جدول رقم (١)
أبرز خصائص الدبابات العربية ١٩٦٥ - ١٩٧٥

طراز الدبابة	الوزن بالطن	قوة المحرك بالحصان	السرعة (١) كم/ساعة	مدى (٢) العمل كلم	التسلح الرئيسي ضد الدروع بالمتر	المدى الفعال ضد الدروع بالمتر	قدرات أخرى
ت ٢٤	٣١٤٥	٥٠٠	٥٠	٣٥٢	مدفع ٨٥ مم	١٠٠٠	عبور مخاضات ماء حتى عمق ١٤٣٠ بدون تجهيزات
ستالين ٢	٤٥٤٨	٥١٩	٣٧	٢٠٨	مدفع ١٢٢ مم		عبور مخاضات ماء حتى عمق ١٤٣٠ بدون تجهيزات
ت ٥٤	٣٥٤٤	٥٢٠	٥٠	٦٢٠	مدفع ١٠٠ مم	١٢٠٠	عبور مخاضات حتى عمق ٥٤٤ متر مع تجهيزات ، معدات ليلية
ت ٥٥	٣٦	٥٨٠	٥٠	٦٢٠	مدفع ١٠٠ مم	١٢٠٠	عبور مخاضات حتى عمق ٥٤٤ متر مع تجهيزات ، معدات ليلية
ت ٦٢	٢٨	٧٠٠	٥٥	٦٠٠	مدفع ١١٥ مم	١٦٨٠	مخاضات حتى عمق ٤ متر مع تجهيزات ، معدات ليلية
بيت ٧٦	١٤	٢٤٠	٤٠	٢٤٠	مدفع ٧٦ مم	١٠٠٠	دبابة برمائية سرعتها في الماء ١١ كلم/ساعة

- ١ - السرعة القصوى على الطرق (وكذلك بالنسبة للدبابات الاسرائيلية) .
٢ - المدى الاقصى على الطرق (وكذلك بالنسبة للدبابات الاسرائيلية) .

جدول رقم (٢)
أبرز خصائص الدبابات الاسرائيلية ١٩٦٥ - ١٩٧٥

طراز الدبابة	الوزن بالطن	قوة المحرك بالحصان	السرعة كم/س	مدى العمل كلم	التسلح الرئيسي ضد الدروع بالمتر	المدى الفعال ضد الدروع بالمتر	قدرات أخرى
سوبر شيرمان	٣٩٤٦ (٢)	٤٦٠	٤٥	٢٤٠	مدفع ١٠٥ مم	١٥٠٠ للاول	عبور مخاضات حتى عمق ٠.٤٩ متر
أم أكس ١٣	١٥	٢٥٠	٦٠	٣٣٦	أو مدفع ٧٥ مم	١٠٠٠ للثاني	
سنتوريون	٥٢	٦٥٠	٣٤	١٩٠ (٢)	مدفع ١٠٥ مم	١٥٠٠	معدات ليلية
باتون ٤٨م	٤٧٤٢	٨١٠	٥١	٤٦٤	مدفع ٩٠ مم	٤	مخاضات حتى ٢٤٤ متر بتجهيزات ومعدات ليلية
باتون ٦٠م	٥٢	٧٥٠	٤٨	٥٠٠	أو مدفع ١٠٥ مم	١٥٠٠	مخاضات حتى ٢٤٤ متر بتجهيزات ومعدات ليلية
ت ٥٤/٥٥ (١)	٣٥٤٤	٥٢٠	٥٠	٦٠٠	مدفع ١٠٥ مم	١٥٠٠	مخاضات حتى ٥٤٤ متر بتجهيزات ومعدات ليلية

- ١ - دبابات مصرية وسورية غنمت عام ١٩٦٧ وأعيد تسليحها بمدفع عيار ١٠٥ مم .
٢ - وزن السوبر شيرمان المسلحة بمدفع ١٠٥ مم .
٣ - يقول الاسرائيليون انهم ضاعفوا مدى السنتوريون بعد تجهيزها بمحرك أمريكي يعمل بالديزل .

جدول رقم (٣)
أبرز خصائص الطائرات الاسرائيلية ١٩٦٥ - ١٩٧٥

الطراز	القوة الدافعة	السرعة القصوى كلم/ساعة	مدى العمل (كلم)	التسلح / حمولة قصوى	الارتفاع على ارتفاع منخفض	الارتفاع على عال	محرك/كلم	قصف
ميراج ٣	٤٢٥٠/١	٢٣٠٠	١٤٩٠	٢٢٧ (أ)	٧٦٠	٢ رشاش ٣٠ مم	٩٠٠ كلغ قنابل	٣ صواريخ جو-جو
سوبرميستر	٢٤٠٠/١	١١٩٥	١١٠٤	٤٢٥	٧٠٥	٢ رشاش ٣٠ مم	١٠٠٠ كلغ قنابل	٢ صاروخ جو-جو
ميستر ٤	٣٥٠٠/١	٩٨٥	١٠٣٥	٤٥٦	٧٨٠	٢ رشاش ٣٠ مم	٩٠٠ كلغ قنابل	
موتور ٢	٣٥٠٠/٢	٤	١١٠٤	٤	١٢١٠	٤ رشاشات ٣٠ مم	١٨٠٠ كلغ قنابل	
اورغان	٢٢٥٠/١	٨٥٥	٩٣٥	٤	٤٤٨	٤ رشاشات ٢٠ مم	٩٠٠ كلغ قنابل	
فوغاماجستر	٤٠٠/٢	٧١٥	٦٥٠	—	٩٢٥	٢ رشاش ٧٤٥ مم	١٠٠ كلغ قنابل	
فانتوم	٥٢٨٥/٢	٢٤١٤	١٤٦٤	٢١٥	١٦٠٠	٢ رشاش ٢٠ مم	٧٢٥٧ كلغ قنابل	٨ صواريخ جو-جو
سكاي هوك	٤٢١٨/١	١٠٣٠	١١٠٢	—	٥٤٧	٢ رشاش ٣٠ مم	٤١٧٠ كلغ قنابل	

- ١ - القوة الدافعة محسوبة للمحرك الواحد بدون استخدام الحراق الخلفي وذلك بالنسبة لجميع الطائرات بالجدول .
- ٢ - مدى العمل في المهام الاعراضية محسوب على اساس تسليح اعتراضى كامل وبدون حمل خزانات وقود اضافى .

جدول رقم (٤)
أبرز خصائص الطائرات العربية ١٩٦٥ - ١٩٧٥

الطراز	القوة الدافعة	السرعة القصوى كلم/ساعة	مدى العمل (كلم)	التسلح / حمولة قصوى	الارتفاع على ارتفاع منخفض	الارتفاع على عال	محرك/كلم	قصف
ميغ ١٧	٢٧٠٠/١	١٠٢٢	١١٠٧	٤	٧٥٠	٣ رشاشات ٢٣ مم	٥٠٠ كلغ قنابل	
ميغ ١٩	٢٥٦٦/٢	١٤٥١	٤	٤٥٠	٢١٨٤	٣ رشاشات ٢٣ مم	٩٠٠ كلغ قنابل	
ميغ ٢١	٥١٠٠/١	٢٢٣٠ (١)	١٣٠٠	١١٠٠	١٨٠٠	٢ رشاش ٢٣ مم	١٠٠٠ كلغ قنابل	
سوخوي ٧	١٠٠٠٠/١ (١)	١٧٠٠	١١٦٠	—	٤٦٠	٢ رشاش ٣٠ مم	٢٠٠٠ كلغ قنابل	
اليوشين ٢٨	٢٦٩٨/٢	٩٢٣	٩٢٨	—	٢٤١٤	٢ رشاش ٣٠ مم	٢٠٤١ كلغ قنابل	
ت يو ١٦	٩٥٠٠/٢	٩٤٥	—	—	٤٨٠٠	٧ رشاشات ٢٣ مم	٩٠٠ كلغ قنابل	

- ١ - البيانات الموضوعة بين أقواس في الميغ ٢١ خاصة بالنوع القديم الذي كان موجودا عام ١٩٦٧ .
- ٢ - قوة دفع محرك « السوخوي ٧ » محسوبة على اساس استخدام حراق خلفى بخلاف بقية الطائرات .

- ١٢ - المرجع السابق .
- ١٣ - نشرة « قضايا اسرائيلية » ، عدد ٢٨ / ١١ / ١٩٧٤
مركز الابحاث م.ت.ف. ، بيروت ، ص ١٦٢ .
- ١٤ - آلون ، ايغال ، انشاء وتكوين الجيش
الاسرائيلي ، بيروت ، دار العودة ، ص ١٨٦ .
- ١٥ - *Statistical Abstract of Israel* - 1973, 536, 537
- ١٦ - *The Statesman's Year Book*, 1965-66
- ١٧ - *The Military Balance*, 1965-66
- ١٨ - *The Military Balance*, 1973-74
- ١٩ - المرجع السابق .
- ٢٠ - Brower-Kenneth, «Armor in the October War», *Armor*, May-June 1974, p. 10, 11.
- ٢١ - *The Military Balance* 1974-75, p. 32, 33
- ٢٢ - المرجع السابق ، ص ٣٤ .
- ٢٣ - *Aviation Week*, 18-11-1974
- ١ - *The Middle East and North Africa*, 1967-68, London, Europa
- ٢ - *The Statesman's Year - Book*, 1966-67, London, MacMillan
- ٣ - *Statistical Abstract of Israel* 1973, p. 21
- ٤ - Safran. Nadav, *From War to War*, New York, Pegasus, 1969, p. 195
- ٥ - *The Military Balance*, 1966-67
- ٦ - *The Military Balance*, 1973-74
- ٧ - *The Military Balance* 1974-75
- * - صفران نداف ، المرجع السابق ، صفحات ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٧٠ .
- ٨ - المرجع السابق ، ص ٢٠١ .
- ٩ - *The Military Balance*, 1974-1975
- ١٠ - الهيثم الايوبي ، هشام عبدالله ، ميزان القوى العربي - الاسرائيلي ، مركز الابحاث م.ت.ف. ، بيروت ، ص ١٩٤ ، ٤٤ ، ٨٣ .
- ١١ - *The Military Balance*, 1974-1975

النظرة الاسرائيلية للشعب الفلسطيني بعد عشر سنوات من الثورة

صبري جريس

مع مرور عشر سنوات على انطلاقتها المسلحة ، وبعد صدور قرارات مؤتمر القمة العربي السابع المنعقد في الرباط في اواخر تشرين الاول الماضي واعتراف الدول العربية بالاجماع بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني ، ثم صدور قرارات مماثلة عن الامم المتحدة في تشرين الثاني ، بعد مرور ٢٧ عاما على صدور قرار تقسيم فلسطين لسنة ١٩٤٧ ، تجد الثورة الفلسطينية نفسها — ومعها الشعب الفلسطيني — في مركز الاحداث التي تمر على المنطقة ، بأبعادها المحلية والعالمية . ومن الواضح ايضا ان نجاح الثورة الفلسطينية المسلحة في اثبات وجودها ، ومن ثم احياء القضية الفلسطينية وارجاعها الى حجبها الطبيعي لم يقتصر ، محليا ، على الصعيد العربي فقط وانما تعداه ودخل في صميم المجال الاسرائيلي ايضا ، بحيث ظهر وكأن القضية الفلسطينية هي احدى القضايا الرئيسية — ان لم تكن القضية الرئيسية — التي تشغل بال الاسرائيليين ، حكومة وشعبا ، رغم عمق وحدة المشاكل الاخرى التي تجابهها ، وبعد ان كادوا يقتنعون ، قبيل انطلاق الثورة المسلحة ، بأنهم قد ربحوا الجولة الهادئة الى تثبيت وجودهم في المنطقة على الصعيد الفلسطيني ، وبعد ١٧ عاما فقط من اقامة دولتهم ، ولم يبق امامهم الا احراز نفس التقدم على الصعيد العربي ، الى ان جاءت أحداث السنوات العشر الماضية لتثبت لهم عكس ذلك .

لا يمكن القول ان الاسرائيليين ، او دوائر معينة منهم على الاقل ، لم تتوقع حدوث ما حدث خلال العقد الاخير ، وان تجد اسرائيل نفسها في نهاية الامر في نفس الوضع الذي تعيشه حاليا ، وهي تجابه القضية الفلسطينية بكل أبعادها ، وعلى الصعيد المحلي والعالمي ، وتشاهد فشل محاولاتها المتكررة للالتفاف حول الفلسطينيين بسفيها الدائم الى حل مشاكلها مع العالم العربي مباشرة من خلال تجاهل العنصر الفلسطيني من جهة ، وعودة المسألة الفلسطينية الى المسرح الدولي وتعاضم التأييد العالمي للفلسطينيين ومطالبتهم بالحصول على حقوقهم المشروعة من جهة اخرى . بل ، وعلى العكس من ذلك ، يبدو من استعراض مواقف اسرائيل والاجراءات التي اتخذتها لمجابهة التطورات على الصعيد الفلسطيني ، في الداخل والخارج ، ومنذ سنة ١٩٦٤ وحتى اليوم ان الاسرائيليين تنبهوا باكرا الى امكان حدوث تلك التغييرات التي يجابهون نتائجها الان ، وحاولوا العمل على احتوائها او ، على الاقل ، الحد من الاضرار التي قد تصيبهم من جراء ذلك . فسلطات اسرائيل ، اولا ، تنبهت باكرا الى اقامة منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٦٤ ، ولم يقلل من قيمة هذه الواقعة اعتبار اسرائيل المنظمة ، يومها ، بمثابة اداة في ايدي الدول العربية لا تستطيع ان تتحرك الا بموافقة تلك الدول الاجماعية ، مما يعني في ضوء الواقع العربي المنقسم على نفسه أنئذ عدم قدرة المنظمة

على اتخاذ أية إجراءات ذات معنى يمكن ان تمس بإسرائيل ومصالحها ، محطيا وعالميا . ولكن على الرغم من ذلك ، لم تتردد إسرائيل في اتخاذ بعض الاجراءات ، على صعيد اعادة تنظيم بعض أجهزتها الامنية ، التي اعتقدت انها ضرورية لجباية أي تحد قد يتخض عنه المستقبل ، ولا يقلل من قيمة الهدف « الفلسطيني » لتلك الاجراءات كونها جاءت ، ايضا ، تحديا لتطورات سياسية على الصعيد الداخلي في اسرائيل ، بعد ان استقال الرجل القوي هناك ، بن غوريون ، من منصبه كرئيس للحكومة وراح يشن حملات دون - كيشوتية على وريثه اشكول ، رغم انه اختاره بنفسه . كذلك حظيت ، ثانيا ، انطلاقا الثورة الفلسطينية المسلحة في مطلع سنة ١٩٦٥ ، رغم بدايتها المتواضعة ، باهتمام بالغ لدى معظم أصحاب النفوذ في اسرائيل ، ان لم يكن كلهم ، الذين قدروها ، ومنذ اول خطواتها ، معربين عن تخوفهم من تعاضلها وكانهم يستطلعون المستقبل ويخشون من ان يجدوا انفسهم ، في نهاية الامر ، في جباية اوضاع كهذه التي يملكون فيها الآن . ولعل تصرف السلطات العسكرية الاسرائيلية بتلك الطريقة العصبية التي تصرفت بها مع اول أسير من حركة « فتح » يقع في أيديها ، محمود حجازي ، وأصدار حكم بالاعدام عليه من قبل محكمة عسكرية اسرائيلية ، بعد ان وجهت اليه تهمة لا تستوجب اصدار مثل هذا الحكم بحسب أي عرف دولي ، ورغم ان حكما كهذا لم يصدر بحق أي لاجئ فلسطيني كان قد دخل اسرائيل في السابق وقام بأعمال مماثلة او أكثر منها ، ثم اضطرارها الى إعادة المحاكمة وتخفيض الحكم الى السجن المؤبد ، بعد ان كادت المسألة تتحول الى نضيحة شبه دولية ، خير دليل على نية تلك السلطات في العمل على خنق ذلك الكفاح المسلح في مهده ، وقبل ان يستفحل أمره ويصل الى ما وصل اليه حاليا .

لم تستطع اسرائيل ، بالطبع ، اتخاذ أية إجراءات تذكر لجباية تلك التطورات ، المتمثلة في اقامة منظمة التحرير الفلسطينية على الصعيد الرسمي العربي وبروز فكرة الكفاح المسلح الى حيز الوجود على الصعيد الشعبي الفلسطيني ، خارج حدودها . ولكنها ، في مقابل ذلك ، سرعان ما فتحت عينها لاعادة النظر في اوضاع تلك القلة من العرب الفلسطينيين الذين كانوا يعيشون داخلها منذ سنة ١٩٤٨ ، ويشكلون ما يزيد قليلا عن عشر سكانها ، واتخاذ اجراءات قد تمنع تسرب « العدوى » عبر الحدود اليهم . وكانت اسرائيل قد اتبعت ، منذ قيامها ، سياسة عدوانية واضحة المعالم تجاه تلك الاقلية من العرب الفلسطينيين تمثلت ، باختصار ، في فرض الاحكام العسكرية الدائمة عليهم ومصادرة اراضيهم وتضييق سبل العيش امامهم ، بالإضافة الى التنكر لحقوقهم القومية ، الى ان وجدت ان اغلبية اولئك السكان تبادلها عداء بعداء . واذا كانت اسرائيل قد استطاعت « احتواء » ذلك الموقف العدائي للسكان العرب ، بعد ان تكفلت أجهزتها الامنية « بمعالجته » ، فقد اقتنعت بعد تلك التجربة ، من ناحية ثانية ، انها لن تستطيع الاستمرار في ذلك طويلا ، بينما راح بعض المسؤولين الاسرائيليين يبدون تخوفهم من امكان تأثير التطورات الخارجية على الصعيد الفلسطيني على اولئك العرب ودفعهم الى السير في طريق لا تحمد عقباه بالنسبة لاسرائيل . وقد كان هذا الشعور الذي ساد لدى اولئك المسؤولين الاسرائيليين فاتحة لمداورات ، استمرت فترة غير قصيرة ، توصلت الاجهزة الاسرائيلية المعنية في نهايتها الى نتيجة تقضي بتغيير سياسة اسرائيل الرسمية تجاه سكانها العرب وذلك ، على وجه التحديد ، بالغاء قيود الحكم العسكري التي كانت مفروضة على الجماهير العربية وقصرها على قلة من « المشاغبين » العرب ، والعمل على « استيعاب » السكان العرب هناك في حياة الدولة ومحاولة حل مشاكلهم المعيشية . وعلى الرغم من ان هذه السياسة الاسرائيلية

« الجديدة » تجاه السكان العرب لم تضع حلالاً لمشاكلهم ولم تسفر عن تغيير جذري في أوضاعهم ، فمن الواضح على أية حال أنها خنقت بالنسبة لأولئك السكان ظروفًا أحسن من تلك التي كانت قائمة قبل إقرارها ، بحيث تكون الثورة الفلسطينية المسلحة قد حققت بهذا ، ولو بطريقة غير مباشرة وربما غير مقصودة أيضًا ، أول انتصار من انتصاراتها .

إن الإجراءات التي اتخذتها سلطات إسرائيل تجاه السكان العرب هناك ، كما أشرنا ، لم تقر أو تنفذ بين ليلة وضحاها ، إذ إن المداولات بشأنها استمرت خلال عامين كاملين ، ١٩٦٥ و ١٩٦٦ ، ولم تدخل حيز التنفيذ إلى أواخر سنة ١٩٦٦ ، بحيث لم يمر على بدء العمل بها إلا نصف سنة ، حتى نشبت حرب حزيران ١٩٦٧ ووجدت إسرائيل نفسها ، نتيجة لذلك ، تسيطر على كل الأراضي الفلسطينية ، بالإضافة إلى أراضٍ مصرية وسورية ، وتحكم ما يقارب من نصف أبناء الشعب الفلسطيني ، وتقف وجهاً لوجه مقابل القضية الفلسطينية بكل أبعادها .

ولكن على الرغم من هذا الانتصار ، الذي غير خارطة المنطقة السياسية ووضع تحت تصرف إسرائيل معطيات جديدة ومنحها قاعدة قوية تستطيع منها الانطلاق للتعامل مع المشكلة الفلسطينية وبوسائل لم تكن ، بالطبع ، تحت تصرفها في الماضي ، لم يتبدل القيادة الإسرائيلية شيئاً من نظرتها إلى الفلسطينيين أو تغير موقفها منهم ، بحيث لم تكن السياسة التي اتبعتها تجاه سكان الضفة الغربية وقطاع غزة ، في جوهرها ، إلا امتداداً لتلك السياسة التي اتبعت في الماضي تجاه العرب داخل إسرائيل ، وفق طبيعتها المنقحة في ضوء التجربة التي مرت بها السلطة الإسرائيلية في تعاملها مع السكان العرب منذ ١٩٤٨ ، وكما كانت نافذة المفعول في منتصف الستينات . فلقد كان واضحاً منذ الخطوات الأولى التي اتخذتها سلطات الاحتلال الإسرائيلي في المناطق التي استولت عليها أن الهدف الأول لتلك السلطات كان تأمين سيطرتها الأمنية - العسكرية على تلك المناطق والحفاظ على الهدوء فيها ، بما يكفل لها ضمان مصالحها الاقتصادية ، كاستغلال تلك المناطق كسوق لبضائنها أو الاستفادة من القوة العاملة فيها لدعم الاقتصاد الإسرائيلي ، أو ما يساعدها على إقامة المستوطنات اليهودية هنا وهناك . كذلك كان واضحاً ، من ناحية ثانية ، أن السلطات الإسرائيلية استفادت ، عند اتباعها هذه السياسة ، من التجربة الغنية التي مرت بها في هذا المجال من خلال تعاملها مع السكان العرب داخل إسرائيل ، بحيث أوجهت إلى تنفيذ تلك الإجراءات التي تخدم مصالحها فقط ، أمنية كانت أو اقتصادية أو سياسية ، ومن خلال التدخل بأقل مدى ممكن في شؤون معيشة السكان اليومية ، دون اللجوء إلى ذلك النوع من الخطوات الانتقامية ، الهادفة إلى اضطهاد السكان حياً في اضطهادهم فقط ، ودرجة يمكن معها القول أن تلك السياسة الإسرائيلية التي اتبعت تجاه السكان في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ كانت فعلاً ، إذا ما قيست بتلك التي كانت من نصيب أولئك الذين عاشوا داخل المنطقة المحتلة منذ ١٩٤٨ ، « لبيرية » للغاية .

من الواضح أن سياسة إسرائيل هذه في المناطق المحتلة ، المستندة إلى عدم التدخل في شؤون معيشة السكان اليومية أو عدم مضايقتهم ما لم تكن هناك مصلحة إسرائيلية حيوية تستوجب ذلك من جهة وأبعادهم عن الاهتمام بالأمور السياسية ، ناهيك عن القيام بنشاط سياسي فعلي ، حتى وإن كان مثل هذا النشاط متعلقاً بتصميم قضاياهم المصرية من جهة أخرى ، لم تكن إلا جزءاً مكملًا للموقف الإسرائيلي الرسمي الذي يصر على اعتبار أهالي تلك المناطق مجرد سكان فيها محرومين من ممارسة حقوقهم السياسية ، أو لا حقوق سياسية لهم ، يبيت في مصيرهم ، وعندما يحين الوقت لذلك ،

من خلال اخذ المصالح الاسرائيلية الآنية أو المستقبلية بالاعتبار أولا . ولقد ثابر حكام اسرائيل على اتباع سياستهم هذه ، منذ سنة ١٩٦٧ وحتى اليوم ، دون ادخال أي تغييرات تذكر عليها ، رغم الاوضاع المتقلبة التي كانت تسود تلك المناطق ، أو خارجها ، من حين لآخر ، والتي كاد يظهر معها ، أحيانا ، ان هناك مبررات لاعادة النظر في تلك السياسة على الاقل . ولم يكن في بروز العمل الفدائي ، ثم تعاظمه أيضا ، اذا كان ذلك على الحدود الاردنية أو داخل الضفة الغربية خلال السنوات ١٩٦٨ — ١٩٧٠ ثم ، وبعد أحداث أيلول ١٩٧٠ في الاردن ، في قطاع غزة حتى سنة ١٩٧٢ ، ما يدفع سلطات اسرائيل على تغيير سياستها تلك ، التي اكتفت ازاء هذا بالعمل على ضرب ذلك النشاط الفدائي أو محاولة احتوائه ، ومن خلال اجراءات تهدف الى المس بمن يقومون بذلك النشاط فقط وانزال العقوبات بهم أو الانتقام منهم ، مع مراعاة عدم التعرض لاغلبية السكان أو اثاره غضبهم قدر الامكان . واذا كانت اسرائيل قد حادت عن هذه الطريق من حين لآخر ، ولجأت الى تطبيق العقوبات الجماعية في هذه المنطقة أو تلك ، كهدم البيوت والاحياء أو طرد السكان من بيوتهم أو قمع المظاهرات والاستيلاء على الاملاك ، فان هذه الاجراءات لم تطبق ، عامة ، الا في أماكن معينة وخلال فترات محددة أو ردا على تحركات آنية ، ولم تكن الا من قبيل التصرفات الشاذة التي تثبت القاعدة الاساسية وتدعمها .

ان الظروف الجديدة والتغييرات التي طرأت على المنطقة خلال السنوات العشر الاخيرة ، على الصعيدين العربي والفلسطيني ، لم تكن كافية ، اذن ، لاحداث أي تجديد يذكر في سياسة اسرائيل ومواقفها ، على الصعيد الاسرائيلي الداخلي ، من السكان العرب الذين يقعون تحت حكمها ، اذ ان السياسة التي اتبعت تجاه السكان العرب في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ لم تكن ، كما أشرنا ، الا استمرارا لتلك التي طبقت على العرب داخل اسرائيل منذ ١٩٤٨ والتي لا تعترف أساسا بأية حقوق قومية أو سياسية لأولئك السكان وتتنكر ، بالطبع ، لحقهم في تقرير مصيرهم . كذلك فان تلك الظروف نفسها لم تستطع أيضا ادخال أي تغيير على سياسة اسرائيل الخارجية أو في مواقفها السابقة من القضية الفلسطينية وطرق حلها ، اذ ان سلطات اسرائيل ، ورغم تصاعد العمل الفدائي الفلسطيني وتعاظم شأنه ، ثم بروز العنصر الفلسطيني وتبلوره ، وفرضه وجوده على الساحة العربية ثم الدولية ، اكتفت لكي تتخلص من مجابهة النتائج السياسية المترتبة على ذلك النشاط بأن تسكت تلك الاصوات الداعية الى العمل على ايجاد طرق جديدة لحل القضية الفلسطينية ، بعرض النشاط الفدائي على انه « أعمال تخريبية » يتزعمها « مخربون » لا يمتون الى الشعب الفلسطيني أو القضية الفلسطينية بصلة ، مبرره الدعم المالي أو الادبي الذي يقدم له من قبل جهات عربية معينة ، خدمة لاغراضها . ومن الواضح ، بالطبع ، ان هذه الادعاءات لم تكن الا اعدارا واهية ، القصد من ورائها كسب الوقت والابقاء على الوضع الراهن بشكل يخدم المصالح الاسرائيلية ، الآنية أو المستقبلية ، على أحسن وجه ، اذ ان اسرائيل لم تكف فقط بالاعلان عن رفضها الاعتراف بحق الفلسطينيين خارج المناطق المحتلة في « التدخل » في شؤونها الداخلية ، أو بحقهم في ابداء الرأي في مصير الفلسطينيين أو طرق حل قضيتهم ، اذ أنكرت ذلك أيضا على السكان العرب الذين يعيشون داخل المناطق المحتلة نفسها ، وحظرت عليهم القيام بأي نشاط سياسي مهما كان طابعه ، رغم مطالبة دوائر اسرائيلية عديدة بتغيير هذه الطريق ودعوتها الى خلق زعامة محلية في تلك المناطق ، أو السماح بتبلور مثل هذه الزعامة التي يمكن لاسرائيل أن تصل يوما ما الى حل القضية الفلسطينية معها ، مصررة على موقفها السابق الداعي الى ايجاد

حل للقضية من خلال المفاوضات مع الدول العربية المجاورة . ولا تزال اسرائيل حتى الآن عمليا عند موقفها هذا ، رغم قرارات مؤتمر القمة العربي الاخير في الرباط المدعومة بقرارات الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، التي يمكن اعتبارها بمثابة « اشارة » عربية وعالمية لاسرائيل بوجود حل للقضية الفلسطينية مع الشعب الفلسطيني بالذات ومن خلال ممثليه الشرعيين ، وان أي حل كهذا قد يحصل على « تغطية » عربية وعالمية أيضا ، ما دام الطرف الاساسي فيه الشعب الفلسطيني نفسه . وحتى الموقف الاسرائيلي هذا ، الذي يصر على التعامل مع الدول العربية ، أو بصورة أوضح مع غير الفلسطينيين بالذات ، لحل القضية الفلسطينية ليس جديدا ، كما هو معلوم ، وتعود جذوره الى أواخر الثلاثينات ، عندما عملت بريطانيا على اشراك بعض الدول العربية في المساعي التي بذلت لايقاف الثورة العربية الكبرى يومها ، قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية ، وهو « الاختراع » الذي سرعان ما نقلته الصهيونية عنها ، ولا تزال منذ ذلك الحين تصر على تطبيقه .

ينضح مما تقدم ، اذن ، ان عشر سنوات من الكفاح الفلسطيني المسلح لم تكن كافية لاحداث أية تغييرات جوهرية في سياسة اسرائيل ومواقفها من الشعب الفلسطيني أو حقوقه ، عدا عن تغيير بسيط يقضي بالاعتراف بمدى أكبر من الحقوق المدنية أو « الانسانية » للسكان العرب الذين يعيشون في ظل الحكم الاسرائيلي ، وهو التغيير الذي أحدثه الكفاح المسلح عندما بدا وكأنه جاء مكملا للنضال اليومي الذي خاضه العرب في الداخل دفاعا عن وجودهم في وجه التحدي الصهيوني الذي جابههم . كذلك من الواضح أيضا ان حصيلة هذه السنوات لم تكن كافية لزعزعة العقيدة الصهيونية الاسرائيلية أو لإختراقها على نطاق ملحوظ ، رغم الحديث الكثير الذي يدور حول ذلك في اسرائيل وخارجها والذي يفسره البعض على أنه نوع من الكفر بالمسلمات الصهيونية ، اذ عدا عن ذلك التغيير الطفيف الذي طرأ بعد حرب تشرين ، والمتمثل في اعلان الجناح العمالي الحاكم في اسرائيل عن « اعترافه » بوجود « فلسطينيين » أو « شعب فلسطيني » ، لم يسجل أي « انقلاب » آخر في العقيدة الصهيونية ومواقفها من الفلسطينيين خاصة والعرب عامة ، وحتى ذلك الاعتراف جاء مشروطا بالاعلان عن النية على حل القضية الفلسطينية مع جهة غير فلسطينية . واذا كان الجناح العمالي قد اكتفى بالاعلان عن مثل هذا التغيير في موقفه ، فان جناحي اليمين واليمينين ، اللذين يمثلان نحو نصف سكان اسرائيل في برلمانها ، لا يزالان يتمسكان بمواقفهما السابقة من الفلسطينيين والعرب ، والتي لم تتغير منذ أربعين عاما أو أكثر . صحيح ان اجنحة العمال واليمين واليمينين ليست كل اسرائيل ، وان كانت تمثل الاكثية الساحقة هناك وتتحكم بمصير البلد ، فهناك أيضا دوائر أخرى ، برز من بينها خلال السنين الاخيرة من سجل العديد من الاعتراضات على المواقف الصهيونية التقليدية وطالب بتغييرها ، وذلك بالإضافة الى ما يسمى حركات الاحتجاج التي يطالب بعضها باتخاذ مواقف مماثلة ، إلا ان هذا كله تم ، ويتم ، من خلال الالتزام بالعقيدة الصهيونية وبأهدافها النهائية .

لقد قطعت الثورة الفلسطينية المسلحة ، خلال عقدها الاول ، شوطا كبيرا على طريق الاعتراف بالشعب الفلسطيني وحقوقه ، على الصعيدين العربي والدولي . ولكن يبدو ، في مقابل ذلك ، انها لا تزال في بداية الطريق على الصعيد الاسرائيلي .

الكفاح الفلسطيني وعلاقات إسرائيل الدولية

الدكتور محمد الحلاج

عندما صوتت الجمعية العمومية للأمم المتحدة على إدراج القضية الفلسطينية في جدول أعمالها للدورة الحالية ، لم تجد إسرائيل من بين المئة وثمانية وثلاثين عضواً في المنظمة الدولية سوى ثلاث دول تؤيدها . ولما اقرت للشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره والسيادة على أرضه والنضال من أجل ذلك الحق ، لم تجد إسرائيل سوى سبع دول تعارض معها اقرار توصية أسقطت أي ذكر لإسرائيل وحقها في الوجود ؛ ولم تكن هذه الاحداث سوى رمزا لدرجة العزلة الخانقة التي أصبحت الدولة الصهيونية تحياها على المسرح الدولي وانعكاسا لمدى التدهور الذي انتاب علاقاتها الدولية .

لا شك أن انهيار مكانة إسرائيل في المجتمع الدولي ، والذي يتمثل في عزلتها المتزايدة ، جاء نتيجة لعدد من العوامل منها جسعها الذي ساقها الى حروب عدوانية توسعية متكررة ، وتصحيح التشويه الذي كان يسود المجتمع الدولي نتيجة لغياب أكثر شعوب الأرض عن المسرح العالمي ، وتجاهل إسرائيل المستثمر لنداءات الرأي العام العالمي . لكن فشل سياسة إسرائيل الخارجية جاء بشكل أساسي نتيجة لانهاية الدعامتين الرئيسيتين اللتين ارتكز عليهما نجاحها في الماضي ، وهما تحالفها مع الاستعمار وقدرتها على اخفاء ضحيتها .

وكان للكفاح الفلسطيني المسلح دور رئيسي في تقويض هذه الاسس التي قامت عليها الدبلوماسية الصهيونية . فقد ساهم في حرمان الصهيونية من الاستمرار في التمتع بخيرات تحالفها مع الاستعمار دون تحمل اعبائه ، وكان وحده قادرا على الكشف عن أن للصهيونية ضحية بريئة . وما حياة المنبوذ التي تحياها إسرائيل اليوم سوى الدليل على ان الثائر الفلسطيني أفلح في اجتياز هذا الشوط من مسيرته .

ولدت الحركة الصهيونية في الوقت الذي وصلت فيه الامبريالية أوج قوتها . وأدركت الحركة منذ البداية انها لن تصل الشواطئ الفلسطينية الا على ظهر الموجة الامبريالية . كما أدركت الامبريالية امكانية استغلال الصهيونية كمبرر لفرض سلطانها على فلسطين (١) . وكان هذا التوافق المصلي بين الصهيونية والاستعمار أساس التحالف بينهما الذي ولد وعد بلفور عام ١٩١٧ وكل ما لحقه من دعم امبريالي للصهيونية واسرائيل . أي أن النجاح الدبلوماسي الذي حققته الصهيونية جاء نتيجة المد الامبريالي الذي اعطاها مظهر الشرعية المستند من القبول الدولي ، ووفر لها الحماية في عصر ضعفها وطفولتها .

وكما استخدم الاستعمار الصهيونية لتبرير استيلائه على فلسطين ، استخدمها عند اضطراره الخروج منها . فعندما بدأ الاستعمار يترنح تحت ضربات الحروب العالمية الثانية والثورات التحررية لجأ ثانية الى الحركة الصهيونية فأقام لها دولة

لتحرس مصالحه في غيابه المباشر عن المنطقة العربية (٢) لكن الحركة التحررية العالمية كانت أقوى من أن يصمد الاستعمار امامها ، ولم يكن حظ الاستعمار الجديد احسن من حظ الاستعمار القديم . وكان الربع الثالث من هذا القرن فترة تقهقر مستمر للاستعمار بكل اشكاله . فأصبح التحالف الصهيوني - الاستعماري عبئا ثقيلا على الصهيونية وعقبة تعرقل مساعيها الدبلوماسية بعد أن كان عوننا وسندا لها في عصر الامبريالية .

لم يكن النضال الفلسطيني هو الذي اسدل الستار على العهد الاستعماري . ولكنه كان شريكا فعلا في حركة التحرر العالمية التي فعلت ذلك . ويمكن ايجاز مساهمة الكفاح الفلسطيني في الحرب الناجحة ضد الاستعمار كما يلي :

اولا : ساهم الكفاح الفلسطيني في استنزاف القوة الاستعمارية باصطدامه المباشر معها ، كما فعل مرارا اثناء الانتداب البريطاني على فلسطين ، وباصطدامه بالمصالح الاستعمارية عن طريق توعية واستنفار الشعوب العربية الاخرى في المعركة ضد حلفاء الصهيونية .

ثانيا : بالابقاء على الرفض العربي لاغتصاب فلسطين حيا ، ساعد الكفاح الفلسطيني على الابقاء على حاجة الدولة الصهيونية الى استمرار الحماية الاستعمارية لها ، مما اطال بقاءها عبئا على الاستعمار واجل مردودها كاستثمار يهدف الى تعزيز مكاسبه .

ان دور الكفاح الفلسطيني في تصعيد واستمرار الانتكال الصهيوني على الشريك الاستعماري زاد احتمال حاجة الاستعمار لتسديد الديون عن طريق قيام الحركة الصهيونية والدولة اليهودية التي نبتت من رأسها بتقديم خدمات أصبح الاستعمار بحاجة لها في مرحلة اشتداد المعركة ضده . وبالتالي وجدت اسرائيل نفسها في الصف الاستعماري في معركة تلو اخرى . فقد أيدت الولايات المتحدة في الحرب الكورية ، وعارضت دخول الصين في الأمم المتحدة ، وشاركت في العدوان الثلاثي على مصر ، وأيدت الجيش السري الفاشي في الجزائر ، وصوتت ضد بحث القضية الجزائرية في الأمم المتحدة ، وعارضت حركات التحرر في المغرب وتونس واندونيسيا ، وعملت مع هيئة الاستخبارات المركزية الأمريكية في الحبشة والكمبوديا ، وأيدت سياسة الأحلاف الأمريكية ، وظهرت عطفها بشتى الطرق على المغامرة العسكرية الأمريكية في فيتنام ، ووقفت مع الدول العنصرية في أفريقيا .

لا شك أن دور الكفاح الفلسطيني في كشف استمرارية التحالف الصهيوني - الاستعماري في الربع الثالث من هذا القرن ساعد على إبراز شذوذ الدولة الصهيونية عن مبادئ هذا العصر وعن قيم ومثل ومصالح الاغلبية الساحقة من شعوبه . وبإظهار هذا الشذوذ الإسرائيلي ، ساعد الكفاح الفلسطيني على تقويض مكانة اسرائيل في المجتمع الدولي المعاصر وخلق الظروف التي أدت الى نبذها من المجتمع الدولي وعزلتها عنه .

أما الدعامة الرئيسية الثانية التي ساعدت الصهيونية (كفكرة وكحركة وكدولة) على اكتساب عطف الشعوب وتأييد الدول حتى حرمها الكفاح الفلسطيني من ذلك العطف والتأييد فتتمثل في الاسطورة الصهيونية القائلة بأن الصهيونية حركة تطالب بتطبيق حق الشعوب في تقرير مصيرها على الشعب اليهودي . فأيد الكثيرون فكرة الوطن القومي اليهودي ودولة اسرائيل بعد قيامها ظنا منهم بذلك ينصرون مبدأ نبيلًا يقر العصر عدالته ويعترف ميثاق الأمم المتحدة بشرعيته . ثم جاء النضال

الفلسطيني وحطم هذه الاسطورة وكشف عن زيف ادعاء الصهيونية التي ما قامت الا لتقهر شعبا وتحرمه من حقه في تقرير المصير .

لا شك أن الحركة الصهيونية ادركت منذ اللحظات الاولى من حياتها ان قدرتها على كسب العطف والتأييد تعتمد الى حد كبير على قدرتها على طمس وجود الشعب الفلسطيني واقناع الرأي العالمي بأن الحلم الصهيوني لن يواقع ضحايا ولن يخلق مأساة . وغفلت الحركة الصهيونية ذلك باختلاق سلسلة من الاساطير التي لم تكن بطبيعتها قابلة للتحطيم الا بالسلاح الفلسطيني . وكانت أهم هذه الاساطير هي :

أولا : أسطورة الارض المهجورة : اتخذت الجهود الصهيونية الرامية الى الحصول على عطف وتأييد الرأي العالمي شكل اسطورة مفادها بأن اليهود شعب هائم بلا أرض تأويه وأن فلسطين أرض مهملة بلا شعب يرعاها ، وأن الحركة الصهيونية هي الحل الانساني لشتات الشعب المشرد والارض المهجورة . وتجسدت هذه الاسطورة بالشعار الصهيوني الذي ابتكره اسرائيل زانغويل : « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » . ويظهر أن الحركة الصهيونية احرزت بعض النجاح المؤقت في بث هذه الاسطورة ، بالرغم من غرابة الامر . ويحدثنا الفيلسوف اليهودي مارتن بوبر في هذا الصدد عن ماكس نوردو ، احد مؤسسي الحركة الصهيونية وساعد هيرتزل الايمن ، الذي وخزه ضميره عندما اكتشف وجود الشعب الفلسطيني فذهب الى هيرتزل وصاح به : « لم أكن أعلم ذلك . . . اننا نفتقر ظلما » ! (٣) .

بالاضافة الى هذا المفهوم الحرفي لاسطورة الشعب اللاموجود ، عملت الحركة الصهيونية على بث مفهوم معدل يلتقي معها في الجوهر وان اختلف معها في الشكل ، عندما اعترفت بوجود اناس لا يرتقون الى مرتبة الشعب في فلسطين . وتم تخليد ونشر هذه الاسطورة في وعد بلفور الذي وصف الشعب الفلسطيني بالطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين ، وبالتالي اقر له بحقوق دينية ومدنية ولم يعترف له بالحق في تقرير المصير ، لانه حق يقتصر المتمتع به للشعوب .

ثانيا : أسطورة النهر الذهبي : أما الاسطورة الاخرى التي اختلقتها الحركة الصهيونية لاختفاء ضحاياها من اجل تسهيل عملية الحصول على عطف الشعوب وتأييد الدول ، فاتخذت شكل اكذوبة قاسية مفادها أن الحركة الصهيونية تحمل الخير والامل للتعساء من ابناء « الطوائف غير اليهودية » في فلسطين . وقد بدأت هذه المغالطة الصهيونية حياتها في عقل هيرتزل : فائثناء محاولته اقناع القيصر الالماني بتبني الحركة الصهيونية عام ١٨٩٨ رفع له عريضة جاء فيها ان الصهيونية « ستحمل الى هذه البلاد [يعني فلسطين] موارد مالية وعلمية وستعمل على تثير مساحات واسعة من الارض المهملة في المستقبل القريب . وفي هذا كله زيادة في السعادة والثقافة لاناس كثيرين » (٤) . وبلغ حماس هيرتزل لهذه الاسطورة درجة وصف فيها الغزو الصهيوني المزمع لفلسطين بأنه « نهر من الذهب » (٥) .

لسنا هنا بحاجة الى اثبات هذا التزوير في أهداف الحركة الصهيونية ومقاصدها . فقد اثبتته الاحداث وعرفه الشعب الفلسطيني والغزوة الصهيونية ما زالت في بداية عهدها ، كما يتضح من رد اللجنة التنفيذية العربية على كتاب ياسفيلد الابيض عام ١٩٣٠ . عندما قالت : « ليس من سفسطة اعظم من السفسطة القائلة بأن العرب نالوا خيرا من الهجرة اليهودية ومن حشد اليهود في اراضي البلاد » (٦) .

لا شك أن الحركة الصهيونية ، قبل قيام الدولة اليهودية ومنذ ذلك الحين ، جلبت الى فلسطين نهرا من الذهب . ولكن مما لا شك فيه أيضا انها تصدت لذلك النهر أن

يغرق شعب فلسطين لا أن يروي ظمأه . وكانت النتيجة الفعلية كما وصفها الشيخ فريخ أبو مدين ، شيخ عشائر بئر السبع ، عندما قال في شهادته التي أدلى بها أمام لجنة شو التي جاءت الى فلسطين لتحقيق في أسباب ثورة البراق (١٩٢٩) انه « لم يبق شيء للعرب في هذه البلاد سوى الموت او الرحيل » (٧) .

وقامت ثورات ١٩٢٩ و ١٩٣٣ و ١٩٣٥ و ١٩٣٦ - ١٩٣٩ لتعلن للعالم زيف اسطورة النهر الذهبي ، حتى بدأ العالم يدرك ان اللطم الصهيوني ضحايا وانه لا يمكن اقتطاع رطل اللحم بدون دماء . واعترفت لجنة بيل (١٩٣٧) بهذه الحقيقة عندما عزت الهدوء النسبي الذي ساد فلسطين قبل ثورة البراق الى « التمهتر العظيم الذي أصاب مقدرات الوطن القومي » (٨) . ووجدت أن هناك علاقة عكسية بين الوضع الاقتصادي والحالة السياسية في فلسطين (٩) ؟

بعد أن بدأ الكفاح الفلسطيني زعزعة أسس الدبلوماسية الصهيونية بكشف زيف شرعيتها المستمدة من تحالفها مع الاستعمار وقدرتها على اخفاء ضحيتها ، حرم الشعب الفلسطيني من ثمرة كفاحه وتضحياته التي قدمها في العشرينات والثلاثينات ، وأصبحت قضيته بنكسة تاريخية عندما عاد فاخنت في الأربعينات وخفت صوته فنسيت حقوقه ومزق وطنه وقامت دولة المستوطنين الغزاة على أرضه . ويعود هذا التحول لصالح الحركة الصهيونية الى أربعة عوامل خدمت كدعامات ثانوية مساندة للدبلوماسية الصهيونية . وهذه العوامل هي :

١ - كانت ثورة التحرر العالمية ما زالت في بداية مسيرتها . وبالتالي لم تكن قد افلحت بعد في تغيير البيئة الدولية لصالح الشعوب المقهورة . وكان الرأي العام العالمي ما زال رأياً أوروبياً ، وكانت المنظمة الدولية التي افرزها ذلك العصر رابطة للشعوب الراضية . اي أن المجتمع الدولي كان ما زال مشوها لا يمثل الاسرة البشرية تمثيلاً صادقاً . لذلك كان توقيت طرح القضية الفلسطينية على المنبر الدولي في اواخر الأربعينات عاملاً ساعد الدبلوماسية الصهيونية على التغلب على العقبات التي وضعها الكفاح الفلسطيني في طريقها .

٢ - كذلك ساعد اكتشاف مدى البربرية النازية على اثاره موجة من التعاطف مع اليهود استغلتها الحركة الصهيونية في طمس الحقائق التي ابرزها الكفاح الفلسطيني عن حقيقة النزاع الفلسطيني - الصهيوني . ولم يعد العالم الغربي قادراً على تحكيم عقله وانساق وراء عاطفته التي شوها شعوره الشديد بالاثم تجاه مأساة يهود أوروبا . وتظهر هذه الحقيقة من خلال تجربة اللجنة الانجلو - امريكية التي ارسلت الى فلسطين عام ١٩٤٦ لدراسة مشكلتها ، لكنها انجرفت امام التيار العاطفي الذي اجتاح العالم الغربي آنذاك فحكمت على فلسطين وقررت مصيرها حال مشاهدتها لمعسكرات الاعتقال النازية وقبل ان ترى اللجنة فلسطين . وروى أحد اعضاء اللجنة شعوره فقال أن الشعب اليهودي قاسى بما فيه الكفاية ، والان يجب ان يعطى ما يريد ، واذا كان ذلك فلسطين فليكن كذلك (١٠) . من الواضح انه لا يوجد متسع للشعب الفلسطيني وحقوقه في مثل هذا التفكير .

٣ - اتضح عقب الحرب العالمية الثانية ان نهاية الاستعمار المباشر اقتربت ، فشعرت الدول الاستعمارية بحاجة الى من يحرس مصالحها بعد رحيلها . فحاولت ان تقيم في المستعمرات أنظمة ودولا تعمل من موقع التبعية لها . وكانت الدولة الصهيونية جزءاً من هذه الخطة .

{ — شهدت الاربعينات تحول المشاركة العربية في الكفاح الفلسطيني الى وصاية عربية على فلسطين وشعبها . وجاء هذا التحول نتيجة لثلاثة عوامل هي : ا — قيام الجامعة العربية كمنظمة اقليمية لترعى مصالح الوطن العربي . ب — قيام الامم المتحدة التي لم تكن فلسطين عضوا فيها . ج — اتضاح تفوق القوة الصهيونية في فلسطين عند بدء الحرب الفلسطينية الاولى وتحول ذلك الصراع نتيجة لذلك الى حرب عربية — اسرائيلية .

ومع ان هذه العوامل الثلاثة أدت الى التنبيه الى ضرورة المشاركة العربية القومية في الكفاح ضد الغزو الصهيوني ، وبالتالي كان لها اثر ايجابي ، الا أنها اكتسبت طابعاً سلبياً عندما تحولت المشاركة العربية الى وصاية سهلت طمس الطابع الفلسطيني للنزاع واظهرته بمظهر الخلاف بين عدد من الدول المتجاورة .

تضافرت ظروف الاربعينات ضد منجزات الكفاح المسلح الفلسطيني وساعدت على طمس الحقائق التي كُشف عنها ، وبذلك اسعفت الدبلوماسية الصهيونية ومدتها بعمر جديد . وفي ضوء هذه الاحداث اصبح تجدد الكفاح الفلسطيني امراً ذو أهمية قصوى لمستقبل القضية الفلسطينية ، اذ لم يكن بمقدور غيره اعادة تأكيد الحقائق التي حجبها ضباب الاربعينات عن الانظار . فتفجرت الثورة الفلسطينية في منتصف العقد الماضي تلبية لهذه الضرورة . وسرى في عروق الشعب الفلسطيني وعي جديد بوجوده ، وعاد يبني لنفسه تنظيمات ويخلق قيادات قومية ، ويفرض نفسه من جديد طرفاً في صراع كان ضحيته المنسية . وحدث كل ذلك هذه المرة في بيئة عالمية جديدة وعلى مرأى من مجتمع دولي اصدق تمثيلاً للبشرية ، وبالتالي اكثر قدرة على الاستجابة للصرخة الفلسطينية الجديدة ، صرخة النائر الذي ازاح بسلاحه الغبار المتراكم وبدد بحرارة ناره الضباب فكشف من جديد عن حقائق كان قد خلقها اخوة سبقوه في النضال ، وازال القناع عن اساطير كانوا قد هشموها . أعاد تأكيد وجوده ، وأعاد الى الذكرى ان للحلم الصهيوني ضحية . وعاد يؤكد من جديد ان الدولة الصهيونية قامت لتحرم شعباً من استقلاله ، وان الصهيونية خلقت لا لتجمع شتات شعب بل لتشتت شعباً وتمزق اوصاله . وحرمت اسرائيل من قدرتها على ان تتقمص ثوب المظلوم وظهرت على حقيقتها : ظالماً حرم شعباً من حقه في الحياة على أرضه . وبذلك فقدت اسرائيل اهم دعائم سياستها الخارجية واكثر أساليبها فعالية للحصول على عطف الامم وتأييدها .

ان محاولة اسرائيل الحالية لسد الثغرة التي أحدثها الكفاح الفلسطيني في علاقاتها الدولية تظهر قوة اعتمادها على تحالفها مع الامبريالية وعلى قدرتها على اخفاء ضحتها . ويتضح ذلك من كون محاولتها لترقيع الصدع الذي ظهر في مكائنها الدولية تدور حول المرتكزات القديمة ذاتها :

١ — نتيجة لفقدانها عطف العالم النائر على الاستعمار ، تجد اسرائيل نفسها اليوم مضطرة الى الاتكال بقوة اكبر وصراحة اكثر على مساندة ودعم القوى الامبريالية . لقد كانت الحركة الصهيونية منذ مولدها مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالاستعمار . لكن الاساطير التي استتريت وراءها حتى حطمها الكفاح الفلسطيني مكنتها من الظهور وكأنها جزء من حركة التحرر العالمية العاملة على نصرة حق الشعوب في تقرير مصيرها . ولما انكشف أمرها ولم يعد بإمكانها التنكر كدولة من دول العالم الثالث ، لم يعد لها خيار سوى العودة الى اصولها والارتقاء بلا حجل في احضان امها الحقيقية .

٢ - بعد أن فقدت إسرائيل قدرتها على الاستناد على الادعاء بأن الفلسطيني كائن خرافي أو راض عن نصيبه من الخيرات التي جلبتها الحركة الصهيونية الى المنطقة ، وبعد أن كشف الكفاح الفلسطيني وجود الشعب الفلسطيني ومأساته التي خلقها الغزو الصهيوني لبلاده ، لم تجد إسرائيل بدا من الاعتراف بوجود قضية فلسطين . لكنها تحاول مواجهة المتغيرات الجديدة التي فرضها الثائر الفلسطيني بطريقة تبرؤها وتعفيها من المسؤولية تجاه ذلك الشعب وقضيته . فراحت تدعو الى حل القضية الفلسطينية من خلال وطن بديل مجاور للدولة الصهيونية(١٢) ، ظنا منها بأن ذلك يطمس الحقيقة الرئيسية التي كشفها النضال الفلسطيني المستمر ، وهي أن إسرائيل لم تقم انسجاما مع فكرة حق الشعوب في تقرير المصير ، بل تحديا لذلك الحق وامتهاناً له .

ان محاولة إسرائيل الجديدة للتغلب على الحواجز التي اوجدها الكفاح الفلسطيني في طريق علاقاتها الدولية محكوم عليها بالفشل ، لانها في الحقيقة اعتراف اسرائيلي بالتهمة التي ادان المجتمع الدولي اسرائيل بموجبها . فاضطرارها لزيادة اتكالها على دعم القوى الامبريالية قد يساعدها في الصمود امام التحدي العسكري العربي ، ولكنه عاجز عن تبرئتها من جريمة التحالف مع القوى المعادية للشعوب المظلومة . لذلك لا مفر من بقاء إسرائيل في موقعها الحقيقي : موقع الشذوذ عن قيم المجتمع الدولي السائدة ، مع ما يترتب على ذلك من اثر عكسي على جهودها الدبلوماسية وعلاقاتها الدولية .

أما دعوتها الى حل المشكلة الفلسطينية ضمن اطار الوطن البديل فهي ايضا محكومة بحتمية فشلها . لان هذه الدعوة ما هي الا شكل جديد للدعوة القديمة المرفوضة بحل المشكلة عن طريق توطين اللاجئين خارج وطنهم ، وهي تؤكد استمرار إسرائيل في انكار حق الشعب الفلسطيني في وطنه .

لقد أدى استمرار تمسك الشعب الفلسطيني بأرضه وبحقه ، وأدى كفاحه المستمر من أجل استردادها الى اكراه إسرائيل على أن تسلك سلوكا اقرب الى طبيعتها ، وأدى ذلك السلوك الى ازدياد الادراك العالمي بأن حروبها لم تكن من أجل الاستقلال بل لانكاره . وبذلك ساهم الكفاح الفلسطيني في حرمان الدولة الصهيونية من قدرتها على الاستمرار في التمتع بتأييد الشعوب عن طريق خداعها . والدولة الصهيونية لا تمتلك المرونة الكافية لايجاد مرتكزات جديدة تساعدها على تبرير وجودها بشكل يقبله المجتمع الدولي لان وجودها في أصله وطبيعته عدواني قائم على حرمان شعب من حقه الطبيعي في الوجود والحرية . فاستمرارها يتطلب بالضرورة استمرار الظلم الذي اوقعته بشعب فلسطين ، كما يتطلب استمرار حاجتها لحماية القوى الشاذة عن ارادة الشعوب ومفاهيم العصر .

ان افتقار إسرائيل الى هذه المرونة التي تمكنها من تبرير وجودها دون الشذوذ عن قيم المجتمع الدولي السائدة هو نقطة الضعف القاتلة في سياستها الخارجية . وهي نقطة ضعف دائمة لانها تتبع من طبيعة المجتمع الاستيطاني وليست وليدة ظروف طارئة قد تزول .

لهذا السبب ، قد تجد الدولة الصهيونية نفسها مضطرة في المستقبل الى العودة الى المرتكزات الثانوية التي استندت عليها دبلوماسيتها في الماضي ، وان يشهد العالم محاولة لبعث خرافة الوعد الالهي وشبح اللامسامية . وهناك دلائل تشير الى ان هذا التحول قد بدأ فعلا . فاستند تركيز إسرائيل على ابراز ما تسميه بالطبيعة التخريبية

والارهابية للثورة الفلسطينية في محاولة لتصويرها وكأنها بعث جديد للاسامية . وفي الخطاب الذي القاه مندوب اسرائيل في الامم المتحدة على اثر اقرار الجمعية العمومية لقراريها الاخيرين حول القضية الفلسطينية ، تلا المندوب الصهيوني الاية الثرائية : « يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم » .

فهل هذه بداية الاستراتيجية الجديدة للدبلوماسية الصهيونية ؟ وهل هذه هي الزاوية الضيقة الجديدة التي حشر المناضل الفلسطيني الدبلوماسي الصهيوني فيها ؟

- ١ - وصف نائب بريطاني وعد بلفور بأنه «حصان طروادة» الذي أخفت بريطانيا بداخله أطماعها الاستعمارية في فلسطين .
John Marlowe, *Rebellion in Palestine*. London: The Cresset Press, 1946, p. 39.
- ٢ - كتبت مجلة نيوزويك الامريكية في عددها الصادر في ١٩ حزيران ١٩٦٧ «ان الولايات المتحدة كانت المستفيد غير المباشر من الحرب الاسرائيلية الخاطفة ، حيث انه أصبح بإمكانها تحييد الشرق الاوسط وتسويق نفطه بطريقة مربحة واستعمال ممراته المائية لاغراض التجارة الدولية» .
- ٣ - Arie Bober, *The Other Israel*. Garden City, N. Y.: Doubleday, 1972, p. 37.
- ٤ - *يوميات هرتزل* ، اعداد أنيس صايغ، ترجمة هدا شعبان صايغ ، بيروت : مركز الأبحاث في م.ت.ف. ، ١٩٦٨ ، ص ١١٧ .
- ٥ - المصدر نفسه ، ص ٥٧ .
- ٦ - اللجنة التنفيذية العربية ، بيان على الكتاب الأبيض الصادر في اكتوبر ١٩٣٠ ، القدس : مطبعة بيت المقدس ، ١٩٣٠ ، ص ٤٠ .
- ٧ - تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب سنة ١٩٢٩ ، القدس ، مطبعة دير الروم ، ١٩٣٠ ، ص ١٢٧ .
- ٨ - تقرير اللجنة الملكية لفلسطين (١٩٣٧) ، القدس ، مطبعة حكومة فلسطين (ب.ت) ، ص ٤٨٤ .
- ٩ - المصدر نفسه .
- ١٠ - Bartley C. Crum, *Behind the Silken Curtain*. New York: Simon and Schuster, 1947, p. 23.
- ١١ - ظهرت هذه الحقيقة بأقوى درجات الوضوح في حرب تشرين .
- ١٢ - الموقف الاسرائيلي الرسمي الان يقول بوجود اعطاء الفلسطينيين حق تقرير المصير ضمن اطار الدولة الاردنية .

التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي ١٩٦٥ - ١٩٧٥

سهيل الناطور

لا تقتصر العلاقات الدولية اليوم على قيام تمثيل دبلوماسي بين الاشخاص الدوليين، وانما تشمل ميادين شتى واسعة تكاد تغطي كافة مجالات العلاقات البشرية تقريبا . فالتبادل التجاري والثقافي والعلمي والفني والصلات المالية والفكرية والمصالح المشتركة تشد العلاقات بين الدول حكومات وشعوبا في عصر خف حاجز المسافات عن التأثير بسبب المخترعات الحديثة للمواصلات . ورغم ان واجهة العلاقات الدولية تتركز في وزارات الخارجية فان تشعب المهام أدى الى تعدد الاجهزة والمؤسسات التي تصب جهودها لتمثيل النشاط الخارجي . وتبرز وزارة الخارجية الاسرائيلية كاحدى اهم الوزارات التي تلعب دورا خطيرا في ارساء الكيان الصهيوني فوق أرض فلسطين . وتعمل هذه الوزارة ، كما ورد في الكتاب الحكومي الاسرائيلي للعام ١٩٧٢ ، على ادارة الجهود السياسية لتأمين سلامة وأمن اسرائيل وتقوية علاقاتها مع الدول الاخرى ، كما انها تمثلها لدى دول العالم والمؤسسات الدولية وتقيم العلاقات الاقتصادية والتجارية الدولية . وتتابع هذه الوزارة النشاط الاعلامي الاسرائيلي في الخارج بهدف استقطاب الحكومات والمنظمات الدولية والرأي العام العالمي لتأييد القضايا والسياسة الاسرائيلية . كما تعمل على تقديم الخدمات الفنصلية للجاناب ثم اخيرا المساهمة في تمثيل العلاقات بين اسرائيل واليهود في العالم (١) . من كل هذا يمكن القول ان الاهداف الاسرائيلية الخارجية تتركز فيما يلي :

أولا : تثبيت وجود اسرائيل : وذلك بالعمل الدائم لخلق المناخ الدولي القابل بوجود الكيان الصهيوني والضامن لاستمراره واقتناع العالم بأن اسرائيل جزء من الشرق الاوسط ليس جغرافيا فحسب بل سياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

ثانيا : ضمان أمن اسرائيل : وذلك تغطية لنشوتها غير الشرعي وطرح قضيتها على انها مهددة بسبب النزاع العربي - الاسرائيلي ، والسعي لضمان تأييد الدول لها في المحافل الدولية وفي المؤتمرات الاقليمية وتثبيت علاقات ثنائية مع الدول على كافة الاصعدة خصوصا محاولة الحصول على السلاح والمعدات العسكرية وتنويع مصادرها ، وكذلك العمل لتأمين طاقة بشرية تدعم الكيان الاسرائيلي بتأمين هجرة اليهود .

ثالثا : الهجرة اليهودية : تعمل السياسة الاسرائيلية على الاتصال بيهود العالم . وتتميز السفارات الاسرائيلية عن غيرها في العالم باعتبار السفير الاسرائيلي نفسه ممثلا عند يهود البلاد التي يعتمد لديها : يعمل على تنظيمهم وجمع التبرعات منهم وحملهم على الهجرة الى فلسطين المحتلة وكذلك تحريكهم للضغط على سياسة الدول التي يعيشون فيها لصالح اسرائيل .

رابعا : تثبيت الوضع الاقتصادي الاسرائيلي : وذلك بسبب الاقتصاد المتنازم دائما لاسباب كثيرة اهمها الحصار العربي المفروض عليه واغلاق الاسواق المجاورة .

وتشكل المساعدات الغربية خصوصا التعويضات الالمانية الغربية والدعم الاميركي المعامل الاساسي في تدعيم الاقتصاد الاسرائيلي حتى الآن .

- خامسا : الخروج من العزلة العربية التي تحيط باسرائيل : وتحاول اسرائيل ان تفرض واقعا على العرب وذلك عبر الالتفاف باقامة العلاقات الممكنة مع كل الدول وخصوصا تلك المحيطة بالعالم العربي في افريقيه وآسيه (٢) .

لم تستطع اسرائيل تجاوز الكثير من العوامل الاساسية التي تبعد بها عن طبيعة الشرق وتطوير علاقات واسعة مع الدول الاسيوية . واهم هذه العوامل :

١ - نوعية المهاجرين اليهود الذين قدموا الى فلسطين ومعظمهم من الغرب ، يحملون عقلية وتراثه ونهجه في الحياة خصوصا الفئات القابضة على زمام السلطة والتي تتمتع بالنفوذ في الكيان الصهيوني .

٢ - الطبيعة الانفلاقية لهذا الكيان الدخيل الذي يركز على الاصطباغ بلون واحد هو اللون اليهودي وديانة خاصة هي اليهودية ، الامر الذي يتناقض بشكل عام مع آسيه التي تتصف بتعدد الجذور والحضارات والاديان (٣) .

٣ - عدم اهمية المساعدات الاسرائيلية للدول الآسيوية بسبب كبر الاحتياجات وضآلة حجم هذه المساعدات .

٤ - ان بعض الدول الآسيوية كانت مستقلة وأعضاء في هيئة الامم المتحدة عندما بدأت مشكلة فلسطين تطرح امامها مما سمح لها الاطلاع على تفاصيل هذه القضية وتطوراتها .

٥ - خلق الحصار العربي صعوبات جمة أمام اقامة او تطوير الصلات الاسرائيلية مع الدول الآسيوية . ولم تستطع اسرائيل الاتصال عمليا بدول آسيه الا عقب حرب السويس ١٩٥٦ التي ادت الى فتح طريق خليج العقبة امامها .

٦ - لعب الدين الاسلامي دورا في ابتعاد بعض الدول الآسيوية عن اسرائيل وفي اعاقه التسلل الاسرائيلي اليها .

٧ - بعد انجاز الاستقلال خلف الاستعمار الكثير من المشاكل للدول الآسيوية ، وعرض بعض هذه المشاكل أمام المحافل الدولية كالامم المتحدة . ولما كانت الدول العربية تمثل كتلة كبيرة العدد نسبيا فقد تحاشت الدول الآسيوية اغضاب هذه المجموعة مما عرقل نمو العلاقات الاسرائيلية في القارة (٤) .

لكن الامر لم يكن مماثلا في القارة الافريقية حيث استغلت اسرائيل معاناة الدول الافريقية طويلا من الاستعمار وحدائه استقلالها وغياب معرفتها بحقيقة تطورات القضية الفلسطينية فركزت على العمل للنفوذ الى دول القارة . وشهدت مرحلة ما بعد حرب السويس اقتحاما اسرائيليا لافريقيه . ولعبت عدة عوامل دورا مهما لتحقيق نجاح اسرائيلي هناك . ومن هذه العوامل :

أ - الظروف السياسية للقارة وذلك بحدائه استقلال معظم دولها واسراع اسرائيل للمبادرة بالاعتراف بهذه الدول سياسيا وعقد الاتفاقات معها . على العكس من الدول العربية التي اتصف موقفها بالتردد في احيان كثيرة في هذا المجال .

ب - الظروف الاقتصادية البائسة التي خلفها الاستعمار مما استدعى طلب المعونات من الدول غير الاستعمارية فعمدت اسرائيل لتقديم المعونات والخبرات تحت رداء الدولة الصغيرة المتقدمة التي ليس لها مطامع استغلالية .

ج - دعم الاستعمار لاسرائيل وذلك بافساح المجال لها للطول مكانه وتسليمها الكثير من المصالح الاستعمارية في الدول الافريقية قبل استقلالها وتوفير الاموال اللازمة لما اتخذ شكل معونات اسرائيلية الى افريقيه كي تحافظ هذه الدول على بنى ومناهج غربية مرتبطة بالاستعمار الجديد عبر وسيط ثالث . وقد ساعد على ذلك الامر التراث الحضاري الغربي المنتشر في افريقيه وتشرب القيادات الافريقية له .

د - الجالية اليهودية في القارة الافريقية وهي جالية كبيرة العدد نسبيا اذ تقارب ١٤٠ الف نسمة . وتمارس هذه الجالية نفوذا هاما في القطاع الاقتصادي وبعض المجالات الاخرى . ولهذه الجالية مواقف مؤثرة بشكل عام في دعم المكيان الصهيوني وتغلغله في القارة الافريقية .

هـ - الاهتمام الاسرائيلي الخاص بافريقيه ، وهو من اهم العوامل الذاتية التي ساهمت في الوصول الى النجاح . فقد ثابر الاسرائيليون على ابراز انفسهم كأصدقاء لافريقيه وذلك عبر كل الوسائل المتاحة لهم سواء من قدراتهم أو القدرات والامكانيات التي وفرتها المصادر الامبريالية لهم .

و - غياب المنافسة والاهتمام العربي بدول القارة الافريقية بشكل عام (٥) .

لكن الصورة الاسرائيلية لم تستطع الصمود طويلا في القارة الافريقية مع بدء النضال العربي وخصوصا النضال الثوري الفلسطيني ضدها . وقد اتجهت العلاقات الاسرائيلية - الافريقية نحو الاسوأ يوما اثر آخر خلال سنوات الثورة الفلسطينية العشر لتنتهي مؤخرا الى ما يجب الانتهاء اليه طبيعيا وهي ثبات في العلاقات الاسرائيلية مع دول التفرقة العنصرية في افريقيه وانهاء لهذه العلاقات مع الدول الاخرى . واهم العوامل التي ساهمت في كشف الزيف الاسرائيلي امام الافارقة هي :

١ - مواقف اسرائيل من القضايا الافريقية خصوصا من مسألة تحرير الاجزاء التي بقيت مستعمرة من القارة مثل انجولا وموزامبيق وغينيا بيساو ، بالإضافة الى موقفها المعادي لاستقلال الجزائر في ١٩٥٨ ومعارضتها مشروع متع فرنسنا من اجراء التجارب النووية في الصحراء الافريقية ١٩٥٦ ومساعداتها للمرتزقة في جنوب السودان ووقوفها الى جانب الانفصاليين في نيجيريا ١٩٦٧ - ١٩٧٠ .

٢ - نقص التمويل الاسرائيلي في القارة وعجزه عن بلوغ المستوى المطلوب لسد احتياجات الدول الافريقية ، مما ادى الى فشل الكثير من المشاريع الاسرائيلية وكذلك فشل مشاريع اخرى بسبب عدم ملاءمتها للظروف المحلية وتركيز المعونات في المجال العسكري الذي لم يكن له بالنسبة لافريقيه تفضيل على قضايا التنمية .

٣ - التطورات السياسية التي شهدتها القارة الافريقية والتي اتجهت نحو شد اواصر دول القارة معا للوقوف في صف متراص لمقاومة الاستعمار بنوعيه القديم والجديد ، وبروز اشكال للتعاون الافريقي كمنظمة الوحدة الافريقية وتعاون افريقيه مع الدول الاخرى كمنظمة الدول الافرو - آسيوية وغيرها ، مما ادى الى تطور كبير في المواقف الافريقية من القضايا الدولية وعلى وجه الخصوص الموقف من القضايا العربية .

٤ - العلاقات العربية - الافريقية التي نمت بشكل كبير خصوصا عقب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بعد ادراك الدول العربية لاهمية الدول الافريقية كحليف طبيعي لها وضرورة تمكين الاواصر معها . وقد لعبت الدول العربية الافريقية ادوارا

هامة في القضايا الافريقية كالمساهمة في تأييد وحدة نيجيريا ضد حرب الانفصال ودعم حركات التحرر الافريقية وغير ذلك .

٥ - المؤتمرات الدولية الافريقية التي زادت من متانة العلاقات العربية - الافريقية وعززت النضال المشترك ضد الاستعمار بكافة أشكاله (٦) .

وقد تأثرت العلاقات الاسرائيلية مع دول الكتلة الشرقية عموما بتطور العلاقات السوفياتية - الاسرائيلية ، باستثناء الصين الشعبية التي لم تعترف ولا تزال بالكيان الصهيوني . ورغم الملازمات التي أحاطت بالاعتراف السوفياتي بهذا الكيان عند اعلانه في ١٩٤٨ وهي الموقف السوفياتي من أنظمة الحكم في البلاد العربية آنذاك وسياسته الهادفة لاجراج بريطانيا من الشرق الاوسط والعمل للحد من زيادة النفوذ الامركي وكذلك الموقف السوفياتي من الحركات القومية في العالم الثالث وغير ذلك ، فان الاتحاد السوفياتي وقف موقفا حذرا في علاقاته مع اسرائيل (٧) . وازداد هذا الحذر بعد ذلك لاستتباب عديدة أهمها :

١ - اتضح الدور الاسرائيلي في المخططات الامبريالية العالمية في التصدي لحركة التحرر العربية ، وانشاء اسرائيل حائزا في قلب العالم العربي تعيق وحدته النضالية ضد الاستعمار ، كما انها تشكل في الوقت نفسه تهديدا دائما بالاعتداء على العترب واشغال نيران الحزب .

٢ - اتضح الدور الذي تلعبه اسرائيل في التغلغل الى الدول الافريقية والاسيوية لانجاز أهداف الاستعمار الجديد والعمل على تشويه ومخاربة الاشتراكية والشيوعية فيها .

٣ - الالحاح الاسرائيلي على مسألة تهجير المواطنين اليهود في الاتحاد السوفياتي ومحاولة تعبيثهم ضد النظام السوفياتي نفسه .

٤ - مواظبة الاتحاد السوفياتي منذ مطلع ١٩٥٤ على الوقوف الى جانب العرب في الامم المتحدة وغيرها من المحافل الدولية ثم تقديمه المساعدات الاقتصادية والعسكرية الى العرب .

وقد تازمت العلاقات بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي في العام ١٩٥٣ عقب حادث نسف الارهابيين الصهيونيين للنباية التي تقسم فيها المفاوضات السوفياتية في تل ابيب ، واعلن السوفيات احتجاجا على العقوبات الخفيفة التي قضت بها المحكمة الاسرائيلية يومها ضد الفاعلين . كما سحب الاتحاد السوفياتي بسفيره في العام ١٩٥٦ بسبب أزمة السويس لكنه أعاده في نيسان (ابريل) ١٩٥٧ بعد انسحاب القوات الاسرائيلية من غزة ومن الاراضي المصرية (٨) .

وتأخذ العلاقات الاسرائيلية مع الدول الرأسمالية الاهمية القصوى في خلق واستمرار الكيان الاسرائيلي ، وعلى رأس هذه الدول الولايات المتحدة الامركية التي تتسم العلاقات الاسرائيلية معها بالمركز الاول من الحيوية . فقبل اعلان انشاء الكيان اشهد النشاط الصهيوني في امركة لاقتناع الاوساط الصهيونية بعدم القدرة على الاستمرار في الاعتماد على بريطانيا لتحقيق اهدافهم وبالتالي ضرورة تحالفهم مع الولايات المتحدة . ولم تتخذ السياسة الامركية في فلسطين صورة علنية فاعلة بل تصرفت بحرص كي لا تثير عذاء العرب محافظة على المصالح البترولية التي بدأت في ١٩٣٢ بالحصول على امتياز التنقيب والاستثمار للنفط في البحرين ، وكان للمنافسة مع بريطانيا على الحلول مكانها لاستغلال الشرق العربي دور في اعتماد الولايات

المتحدة على البرجوازية اليهودية لضعاف المواقع البريطانية هناك . ومنذ ١٩٤٤ بدأ الحزبان الامريكانيان الجمهوري والديمقراطي تضمين برامجهما الانتخابية تأييد الهجرة اليهودية المفتوحة والعمل على تحويل فلسطين الى كومنولث يهودي . وعقب الحرب العالمية الثانية تركز الدعم علنا لانشاء دولة يهودية في فلسطين (٩) . ومنذ ١٩٤٨ استمرت العلاقات الامركية - الاسرائيلية في النمو محكومة باعتبارات أهمية الموقع الاستراتيجي للكيان الاسرائيلي عند ملتقى القارات الثلاث آسية واوروبية وافريقية ، وبالقدرة الامركية على الاستفادة منه كقاعدة لمحاربة الدول الاشتراكية ومحاربة الثورة العربية للحفاظ على المصالح البترولية الامركية . كما تحكمت عوامل عديدة في اتجاهات العلاقات الاسرائيلية مع الدول الرأسمالية في أوروبا الغربية . وأهم هذه العوامل :

- ١ - النفوذ الامركي في أوروبا الغربية وتأثيره على سياسة دولها مما يعكس تأييدا للمواقف الاسرائيلية ودعمها لها . وأهم الدول المؤيدة تلك المنضوية في حلف الاطلسي .
 - ٢ - المصالح الامبريالية المباشرة لدول غرب أوروبا وتاريخها الاستعماري خصوصا في علاقاتها مع المشرق العربي .
 - ٣ - النفوذ الصهيوني في أوروبا الغربية وذلك عائد اساسا للقوة الاقتصادية والاعلامية لليهود الاوروبيين وتأثيرهم في الكثير من الاحزاب والسياسيين ، بالإضافة الى الضعف الاوروبي ازاء اليهود الناجم عن أزمة المعاداة لليهودية (١٠) .
 - ٤ - تأثير الاحزاب الشيوعية والاشتراكية في أوروبا الغربية : وقد اتخذت الاولى موقفا ينسجم بشكل عام مع موقف الدول الاشتراكية التي أدانت العدوان الاسرائيلي في ١٩٦٧ وأخذت تطرح في الاوساط الاوروبية وجهة نظر معادية للسياسة الاسرائيلية التوسعية . أما الاحزاب الاشتراكية الاوروبية فقد كانت موافقة لمنسجمة مع الاحزاب اليمينية بتأييد اسرائيل ومعاداة العرب حتى فترة الحرب الرابعة حيث جرت بعض محاولات تفهم الصراع العربي - الاسرائيلي بشكل اعمق .
 - ٥ - السوق الاوروبية المشتركة (١١) التي اضطرت بسبب المصالح الاقتصادية ان تعيد حسابات علاقاتها شيئا فشيئا مع الدول العربية وتجلى هذا الامر بوضوح في موقف دول السوق خلال الحرب الرابعة والذي اختلف عن الموقف الامركي .
 - ٦ - النفط العربي وأثره الهام الذي دفع الى حدوث تغييرات في مواقف الدول من أزمة الشرق الاوسط واسطع مثال، لذلك في اوروبا الغربية هو المائيه الاتحادية وفرنسه .
 - ٧ - الحرب الرابعة وما تخللها من اختلاف المواقف في المعسكر الغربي خصوصا من عملية الامداد الامركي بالاسلح لاسرائيل وعلان الاستنفار النووي واستياء دول غرب أوروبا من الخطر المفروض عليها (١٢) .
 - ٨ - اثر اغلاق قناة السويس على الكثير من مصالح الدول الأوروبية الغربية التي حاولت جاهدة ايجاد أية تسوية جزئية لاعادة فتح القناة دون جدوى .
- ومع الفتح من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥ بدأت دورة جديدة من الزمن في جلبه الصراع العربي - الاسرائيلي ، هي من أخطر وأعمق الصدمات المصرية في تاريخ الشرق الاوسط ، اذ بها واجه المختلون الفاصبون أصحاب الحق الشرعيين يحملون السلاح ويستخدمون كفاءاتهم في كافة المجالات وعلى مختلف الاصعدة للوصول الى

هدفهم باقامة دولة ديمقراطية في فلسطين . وعاشت ساحة العلاقات الدولية هذا الصدام بكل ابعاده الخطيرة ، وبعد انقضاء عشر سنوات تبدو الصورة مختلفة اختلافا تاما عما كانت عليه . وسنركز فيما يلي على ذكر أهم التطورات والمؤثرات التي جرت في ساحة التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي في العالم خلال هذه الفترة وايضاح آخر ما وصلت اليه حاليا . **دول العالم الثالث** : آسية : **سريلانكة** كانت الدولة الاسيوية الاولى التي بادرت الى اعلان تجميد علاقاتها مع اسرائيل . ففي ٢٧ ايار (مايو) سنة ١٩٧٠ جرت الانتخابات العامة وغاز حزب الحرية بقيادة السيدة سريمانو بندرانايكه بالاغلبية . وقد اعلنت في بيان حكومتها تجميد العلاقات مع اسرائيل حتى تنصاع لقرارات الامم المتحدة او حتى يتم الوصول الى اتفاق ترضى به الدول العربية الثلاث مصر وسورية والاردن (١٢) . ومن جهة ثانية نجحت اسرائيل في اقامة تمثيل دبلوماسي مع دول جديدة في القارة على مستوى سفارة في كل من **سنجاغوره** ١٩٦٩ ، **جمهورية خمير** ١٩٧١ و**فيتنام الجنوبية** ١٩٧٢ . وقد حصل الاتفاق مع الاخيرة في ٧ كانون الاول (١٤) ديسمبر) قبل اعلان وقف اطلاق النار في الحرب هند - الصينية ، وأعلنت فيتنام الجنوبية عن افتتاح سفارتها في القدس رغم عدم اعتراف معظم دول العالم بها عاصمة للكيان الصهيوني . كما أعربت مصادر تل ابيب انه مع اقترب نهاية حرب فيتنام فان من المرغوب قيام علاقات دبلوماسية قبل تشكيل حكومة يشترك فيها الشيوعيون الذين قد يعارضون اقامة علاقات مع اسرائيل . **أما الهند وتركية وأيران** فقد شهدت العلاقات الاقتصادية تطورا كبيرا رغم عدم وجود تمثيل دبلوماسي مع اسرائيل . واجتازت العلاقات التركية - الاسرائيلية اختبارا عسرا عندما اختطف ثوار اترك القنصل الاسرائيلي في اسطنبول افرايم ايلروم وهددوا بقتله اذا لم تطلق الحكومة التركية سراح المعتقلين من الثائرين ضدها الموجودين في سجونها . وقد نفذوا تهديدهم فعلا في ٢٢ ايار (مايو) ١٩٧١ (١٥) . وأعربت اسرائيل عن رضاها لما قامت به الحكومة التركية من جهود لانقاذ القنصل الاسرائيلي . وفي ٢٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ (١٦) هاجمت مجموعة من مناضلي منظمة ايلول الأسود السفارة الاسرائيلية في **تايلاند** واحتلتها وسيطرت على بعض أعضائها كرهائن ، مطالبة باطلاق سراح الفدائيين المعتقلين في السجون الاسرائيلية . وانتهى الامر باطلاق سراح الرهائن الاسرائيليين وانتقال الفدائيين الى القاهرة دون الاستجابة لطلباتهم . وشهدت العلاقات الاسرائيلية مع الدول الاسيوية الاخرى استقرارا عاما فيما عدا اليابان التي قامت بدفع تعويضات لاسر القتلى الاسرائيليين الذين وقعوا على ايدي فدائيين يابانيين أعضاء في الجيش الاحمر ، الذين نفذوا عملية انتحارية في مطار اللد في ٣٠ ايار (مايو) ١٩٧٢ (١٧) مما أدى الى استياء عربي للبادرة اليابانية . كما تميز موقف اليابان بالتردد عقب حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ في تأييد العرب ، لكنهم اعلنوا عن الدعم لهم بعد ذلك بسبب تأثير المصالح البترولية الخطير على الاقتصاد والازدهار في اليابان . واسرائيل تفضلية في الهند مركزها بومباي واخرى في هونج كونج واثنتان في كل من اسطنبول وأنقره . أما على المستوى الأخر فاللائحة التالية تبين التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي الحالي في آسية : (١٨)

اسم الدولة	مستوى التمثيل الدبلوماسي	مركز التمثيل الدبلوماسي
بورمه	سفارة	رانجون
تايلاند	سفارة	بانكوك
فيليبين	سفارة	مانيله

كمبودية	سفارة	(رانجون) نطقت الى فنوم بنه ١٩٦٦
كوريا الجنوبية	سفارة	سيئول
لاوس	سفارة	(بانكوك) ثم (فنوم بنه) ١٩٧١
جزر مالديف	سفارة	(بانكوك) ثم (رانجون) ١٩٦٨
نيبال	سفارة	كاتماندو
اليابان	سفارة	طوكيو

أفريقية : غينية كانت الدولة السباقة لاتخاذ اجراءات قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل . فقد أعلن الرئيس الغيني أحمد سيكوتوري ذلك في الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ (١٩) وذلك تضامنا مع الدول العربية التي بدأت اسرائيل بالعدوان عليها . وكان هذا الموقف تعبيرا عن قمة في سلسلة مواقف سباقة أبدى فيها سيكوتوري تفهما عميقا للقضية الفلسطينية وحق الفلسطينيين في وطنهم . لكن بداية التطور العلني لتأزم العلاقات الاسرائيلية - الافريقية بدأ بانفجار العلاقات الاسرائيلية - الارجنتينية في ٣٠ آذار (مارس) ١٩٧٢ عندما أعلن اللواء عيدي أمين انه أصدر امرا باغلاق السفارة الاسرائيلية في كمباله وان دبلوماسيتها أعطوا مهلة عشرة ايام لمغادرة البلاد بسبب النشاطات الهدامة لهم في اوجنده (٢٠) . وكان أمين قد اشتكى للسفير الاسرائيلي دافيد لاور في ٢٩ شباط (فبراير) من ان بلاده تنشر دعاية مفاوئة لنظام الحكم في اوجنده وتقدم العون للرئيس المخلوع ميلتون اوبوتي ، كما اشتكى من تقاعس الخبراء الاسرائيليين في سلاح الطيران الارجندي عن القيام بواجباتهم . ثم اتبع أمين ذلك باعلان عدم تجديد الاتفاق الذي يدرب بموجبه الاسرائيليون سلاح الطيران الارجندي وأمر الخبراء العسكريين منهم بمغادرة البلاد . وتطور الامر في ٢٦ من الشهر ذاته الى طلب السلطات الارجندية ايقاف مساهمة الاسرائيليين في كبل مشاريع التنمية في البلاد وانهاء اتفاقات التسليح وطلب خروج ٧٠٠ اسرائيليا من اوجنده . وقد هزت سرعة تدهور العلاقات الاسرائيلية - الارجندينية المسؤولين الاسرائيليين وحاولت الصحافة الاسرائيلية دراسة الازمة لاستخلاص عبرها والاستفادة منها . لكن الغرور ساهم في مزيد من التدهور ، فقد زعمت مثير ان عيدي أمين قطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع اسرائيل بسبب رفضها منح هبة مالية قدرها عشرة ملايين جنيه استرليني واعطائه طائرات من طراز فانتوم طلبها لحاربة تانزانية . وانتقلت المبادرة نفسها الى دولة افريقية اخرى . ففي **تشاد** أعلن الرئيس فرانسوا تومبليباي في ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢ (٢١) في اذاعة له ان بلاده قررت قطع علاقاتها مع اسرائيل وذلك لازالة أي ايهام حول تضامن افريقية مع العالم العربي ، ولان وجود ممثلين لاسرائيل في تشاد يهدد أمن البلاد وأمن البلاد الافريقية الاخرى . وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ (٢٢) أعلنت **الكونجو برازافيل** انها قررت كذلك قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الكيان الاسرائيلي لان اسرائيل ، وفقا لما قاله الرئيس نجواي ، كانت « عدونا كحكومات واتسطن ، بريتوريه ، سالزبوري ولشيبونه » . وقامت **النيجر** في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ (٢٣) بالامر ذاته ، كذلك **مالي** في الخامس من كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ ، و**بوروندي** في ١٦ ايار (مايو) ١٩٧٣ (٢٤) ، و**توجو** في ٢١ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ (٢٥) **وزائير** (الكونجو كينشاسا) التي أعلنت قطع العلاقات قبل يومين فقط من الحرب العربية - الاسرائيلية الرابعة وذلك في الرابع من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ . وقد مهدت مهمة الحكماء الافارقة التي نتجت عن قرار منظمة الوحدة الافريقية بالمساهمة في حل ازمة الشرق الاوسط ، والتي

زار خلالها بعض الرؤساء الأفريقيين كلا من مصر وإسرائيل وفشل هذه المهمة بسبب الموقف الإسرائيلي، مهدت الاجواء المناسبة لتقبل الإفريقيين لوجهة النظر العربية وعلان دعمهم وتأييدهم . وكان الوقت المناسب في فترة الحرب الرابعة لظهور هذا التأييد ، فقررت معظم دول افريقية قبل وبعد مؤتمر وزراء الخارجية الافارقة الذي عقد في ١٩٧٣/١١/٢٠ في الجزائر قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل واغلاق سفاراتها وطلبوا سحب السفراء الاسرائيليين من عواصمهم . وتبين اللائحة التالية العلاقات الدبلوماسية الاسرائيلية مع دول القارة الافريقية :

اسم الدولة	درجة التمثيل الدبلوماسي	مكانه	مآل العلاقات الدبلوماسية	التاريخ
غينيا	سفارة	كوناكري	قطعت	١٩٦٧/١/٥
أوغندا	سفارة	كمباله	قطعت	١٩٧٢/٣/٣٠
تشاد	سفارة	فورت لامي	قطعت	١٩٧٢/١١/٢٨
كونجو برازايل	سفارة	برازايل	قطعت	١٩٧٢/١٢/٣١
نيجر	سفارة	نيامي	قطعت	١٩٧٣/١/٤
مالي	سفارة	باماكو	قطعت	١٩٧٣/١/٥
بوروندي	سفارة	بوجومبورا	قطعت	١٩٧٣/٥/١٦
توجو	سفارة	لومي	قطعت	١٩٧٣/٩/٢١
كينيه	سفارة	نيروبي	قطعت	١٩٧٣/١٠/١
زائير	سفارة	كنشاسا	قطعت	١٩٧٣/١٠/٤
داهومي	سفارة	كوتونو	قطعت	١٩٧٣/١٠/٩
روانده	سفارة	كيغالي	قطعت	١٩٧٣/١٠/٩
بوتسوانه	سفارة	(لوساكة)	قطعت	١٩٧٣/١٠/١٣
تانزانيا	سفارة	دار السلام	قطعت	١٩٧٣/١٠/١٨
غينيا الاستوائية	سفارة	(ياوندي)	قطعت	١٩٧٣/١٠/١٨
فولته العليا	سفارة	اوجادوجو	قطعت	١٩٧٣/١٠/١٨
كامرون	سفارة	ياوندي	قطعت	١٩٧٣/١٠/١٨
مالاجاسي	سفارة	تاناناريف	قطعت	١٩٧٣/١٠/٢٠
نيجيريا	سفارة	لاجوس	قطعت	١٩٧٣/١٠/٢٥
غامبيا	سفارة	(داكار)	قطعت	١٩٧٣/١٠/٢٥
زامبيا	سفارة	لوساكة	قطعت	١٩٧٣/١٠/٢٦
غيانا	سفارة	اكرا	قطعت	١٩٧٣/١٠/٢٨
سنجال	سفارة	داكار	جمدت	١٩٧٣/١٠/٢٩
سيراليون	سفارة	فريتاون	جمدت	١٩٧٣/١٠/٢٩
جابون	سفارة	ليبرفيل	جمدت	١٩٧٣/١٠/٢٩
ليبيريه	سفارة	مونروفيه	قطعت	١٩٧٣/١١/٢
ساحل العاج	سفارة	ابيدجان	قطعت	١٩٧٣/١١/٨

أما بقية الدول الأفريقية التي احتفظت بعلاقات دبلوماسية مع إسرائيل فهي :

اسم البلد	مستوى العلاقات الدبلوماسية	مكانها	ملاحظات
جمهورية جنوب افريقيه	مفوضية	بريتوريه	
سوازيلاند	سفارة	(لوساكه)	
ليسوتو	سفارة	(بلانثير)	انشئت العلاقات في ١٩٦٨
مالاوي	سفارة	بلانثير	انشئت العلاقات في ١٩٦٦
موريشوس	تتصلية عامة رفعت الى سفارة ١٩٦٨	(تاناناريف)	

أمركة اللاتينية : في الوقت الذي شهدت فيه العلاقات التجارية بين إسرائيل وبلدان أمركة اللاتينية نموا مطردا فان العلاقات الدبلوماسية عاشت استقرارا عاما حتى عقب الحرب الرابعة حينما وقفت دول العالم الثالث مع العرب يؤيدونهم . وتمنع هذه العلاقات بمستوى جيد من المائة يعود بشكل رئيسي لنفوذ الولايات المتحدة على دول امركة اللاتينية رغم بعض الحذر الذي شاب العلاقات الاسرائيلية مع **تشيلي** خلال فترة حكم سلفادور اليندي الذي أبدى محاولة لتفهم أزمة الشرق الاوسط ، كما انها عاشت تلقا مع **الأرجنتين** عند اقتسراب تسلّم الحزب البيروني للحكم . لقد حال الضغط الامركي على هذه الدول بشكل عام دون ابراز موقف متضامن مع دول العالم الثالث ازاء أزمة الشرق الاوسط ، وبرز مثال ظهر بوضوح مؤخرا عند التصويت في الامم المتحدة لدعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى المشاركة في مناقشة قضية فلسطين التي جرت في ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ حينما امتنعت معظم دول امركة اللاتينية عن التصويت رغم تأييدها للقرار .

وفي ايار (مايو) ١٩٧٠ حاولت مجموعة فدائية اغتيال القنصل الاسرائيلي في اسانسيون عاصمة **باراجواي** . لكن المحاولة فشلت وقتلت سكرتيرة القنصلية ، وقد اتخذ القضاء في العاصمة موقفا متشددا من الفدائيين وحافظت اسرائيل على متانة علاقاتها مع الباراجواي . اما اهم الاحداث في العلاقات مع هذه الفئة من الدول فقد وقعت في ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ باعلان الزعيم الكوبي فيدل كاسترو قطع علاقات **كوبه** مع اسرائيل اثناء حضوره مؤتمر دول عدم الانحياز في الجزائر (٢٥) . وكان ذلك صفة قاسية للدبلوماسية الاسرائيلية التي دأبت على الادعاء بانها تمثل انتصار « حركة التحرر اليهودي » ، وتعتمد في تثبيت علاقاتها مع كوبه على التأثير النسبي الملحوظ للجالية اليهودية فيها . وقد أقامت اسرائيل علاقات دبلوماسية على مستوى سفارة مع الدول الامركية اللاتينية التالية :

اسم الدولة	درجة التمثيل الدبلوماسي	مكان البعثة الدبلوماسية	ملاحظات
السلفادور	سفارة	(غواتيمالا سيتي)	تتصلية في سان سلفادور
جزر الانتيل	—	—	تتصلية في ولستاد
باربادوس	سفارة	(كاراكاس)	
ترينيداد وتوباغو	سفارة	(كاراكاس)	
جامايكه	سفارة	(كاراكاس)	تتصلية في كجزتاون
جواتيماله	سفارة	جواتيماله سيتي	
دومينيكان	سفارة	سانتو دومنجو	

سان جوزيه	سفارة	كوستاريكه
(سان جوزيه)	سفارة	نيكاراجوا
(باناما سيتي) ابتداء من ١٩٦٩	سفارة	هايتي
(جواتيماله سيتي) وفي سان	سفارة	هوندوراس
جوزيه) ابتداء من ١٩٧١		
سيجالبه		
بيونيس آيريس	سفارة	الارجنتين
تنصلية في جواياكيل	سفارة	اكوادور
كيتو	سفارة	اوروجواي
مونتيفيديو	سفارة	باراجواي
اسانسيون ابتداء من ١٩٦٧	سفارة	بانامه
بانامه	سفارة	برازيل
برازيليه بدءاً من ١٩٧١	سفارة	بوليفيه
تنصلية في ساو باولو	سفارة	بيرو
(ليما)	سفارة	جوايانه
ليما	سفارة	شيلي
(بوجوته)	سفارة	فنزويله
سانتياجو	سفارة	كولومبيه
كراكاس	سفارة	
بوجوته	سفارة	

الكتلة الاشتراكية : ردا على العدوان الاسرائيلي في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ أعلن **الاتحاد السوفياتي** في العاشر من ذلك الشهر (٢٦) قطع علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل واغلق السفارة الاسرائيلية في موسكو . وبذلك بدأت مرحلة التدهور العميق في هذه العلاقات التي استمرت حتى الآن . وقد اتخذت دول الكتلة الشرقية في حلف وارسو اجراء مماثلا للاجراء السوفياتي ولم يشذ عنهم سوى **رومانيه** التي ابقت على علاقاتها ، بل انها وقعت في ١٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٧ اتفاقات اضافية للتعاون التجاري تهدف الى تبادل ما قيمته ١٤ مليون دولار خلال ١٩٦٨ أي بزيادة الضعف عن الوضع القائم قبل الاتفاق وزيادة عشرة بالمئة على ذلك في ١٩٦٩ وزيادة اخرى بنسبة ١٥ بالمئة خلال ١٩٧٠ (٢٧) . كما ان رومانيه رفعت درجة التمثيل الدبلوماسي مع اسرائيل الى درجة سفارة في ١٧ آب (أغسطس) ١٩٦٩ عندها قطعت سوريا والسودان علاقاتهما مع رومانيه واستدعت الجمهورية العربية المتحدة يومها سفيرها من هناك (٢٨) . واستمر تحسن العلاقات الاسرائيلية ففي الفترة بين ٤ - ٧ ايار (مايو) ١٩٧٣ قامت جولدا مئير بزيارة الى بوخارست كما قام ابا اينن وزير الخارجية الاسرائيلي بزيارة مماثلة عقب الحرب الرابعة بتاريخ ١١/٤/١٩٧٣ . وظهر كأن بوخارست تحاول القيام بوساطة ما في صراع الشرق الاوسط . وقد زار رومانيه في ١٨/٨/١٩٧٤ ايضا فاروق القدومي على رأس وفد من م.ت.ف. حيث أجرى محادثات على مستوى عال انتهت ببيان أعلن فيه الجانبان الاتفاق على افتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في بوخارست .

وبين الجدول التالي العلاقات الحالية لاسرائيل مع دول الكتلة الشرقية :

اسم البلاد	ملاحظات
الاتحاد السوفياتي	قطع العلاقات في ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٧
بلجارية	قطعت العلاقات في ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٧
بولنده	قطعت العلاقات في ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٦٧
تشيكوسلوفاكيه	قطعت العلاقات في ١٠ حزيران (يونيو) ١٩٦٧
هنجاريه	قطعت العلاقات في ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٦٧
يوجوسلافيه	قطعت العلاقات في ١٣ حزيران (يونيو) ١٩٦٧
رومانيه	رفعت العلاقات من مفوضية الى مستوى سفارة في ١٩٦٩

المعسكر الغربي : الولايات المتحدة الاميركية : منذ كشف صفقة الاسلحة الالمانية الغربية لاسرائيل في ١٩٦٥ وافتضاح دور الولايات المتحدة في حمل المانية الاتحادية وقبيلها فرنسة على تزويد اسرائيل بالاسلح ، اتخذت السياسة الاميركية مؤثفا مسافرا في العداء للحق العربي ودعمت اسرائيل في كافة المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها . ويمكن القول ان الموقف الاميركي عموما يتطابق بشكل شبه تام مع الموقف الاسرائيلي . فالمشروعان الاميركيان الرئيسيان لحل أزمة الشرق الاوسط بعد ١٩٦٥ هما مشروع ليندون جونسون الذي أعلنه في ١٩ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ومشروع وزير الخارجية وليم روجرز الذي عرضه في ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ يضمنان الكيان الصهيوني ويعملان على تأمينه وحمايته وتحقيق المكاسب لصالحه عبر التنازلات مقابل الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . وليس من دولة ازدادت وتصلت العلاقات الاسرائيلية معها خلال السنوات العشر الاخيرة كما تم مع الولايات المتحدة ، وتدفقت المساعدات والهبات الهائلة الحجم في كافة المجالات خصوصا العسكرية والمالية وبالذات في الفترة التي تراس فيها اسحق رابين البيعة الدبلوماسية الاسرائيلية في واشنطن . ومع بدء سنة ١٩٦٥ كان لاسرائيل سفارة في واشنطن بقيادة سفير فوق العادة ومطلق الصلاحيات بالاضافة الى ثلاث قنصليات عامة في نيويورك ، لوس انجلوس وشيكاغو الى جانب خمس قنصليات في اطلنطه ، هيوستن ، سان فرانسيسكو ، بوسطن وفيلادلفيه . واليوم فاقنصليات جميعها عامة . وتكاد العلاقات مع الولايات المتحدة تكون البند الدولي الاساسي في العزلة التي تعيشها اسرائيل حاليا . ورغم كل ثباتها فان الاهتزاز الشديد يعصف الآن حول الموقف من الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطيني بين الاطمنان لتصريحات وزير الخارجية الاميركي هنري كيسنجر الرافض لهذا الاعتراف وبين تلميحات المسؤولين في البيت الابيض التي تمهد لاجاد سبيل للاعتراف بالمنظمة خصوصا عقب قرارات مؤتمر القمة العربي السابع . أما كندهه والمكسيك فلم تشهد علاقاتهما أية تغيرات هامة ، وقد اتبعنا النهج الاميركي عموما من الشرق الاوسط . من جهة أخرى لعبت السفارة الاسرائيلية في كانبهره دورا أساسيا في العلاقات الاسرائيلية مع القارة الاسترالية . ووقفت اسغرائليه مع اسرائيل في الأمم المتحدة ، كما ان الروابط التجارية ازدادت رسوخا . وتمثل أوروبا الغربية الساحة الأكثر وضوحا للصراع العربي - الاسرائيلي في المجال الخارجي ، حيث التنافس على اشداه لكسب تأييد حكومات وشعوب بلدانها . وكانت أوروبا الغربية الأكثر تأييدا ودعمها للكيان الصهيوني في حرب ١٩٦٧ بينما تختلف الصورة في أواخر ١٩٧٤ حيث تتأرجح المواقف بين التأييد للعرب أو الحياد السلبي تجاه اسرائيل أو الاستمرار في العداء المقنع أو

العنفى للعرب : فقد شهدت **المانيه الاتحادية** أزمة علاقات عربية معها في ١٩٦٥ عندما قررت القاهرة الترحيب بزيارة الزعيم الألماني الشرقي فالتر أولبرخت (٢٩) وعندها اثار تيون الاعتراض لدى القاهرة فردت الاخيرة بانارة قضية دعم المانيه الاتحادية لاسرائيل عسكريا فوافقت على وقف شحنات الاسلحة الى الشرق الاوسط ثم بادرت الى انشاء علاقات دبلوماسية مع اسرائيل . عند ذلك قطعت عشر دول عربية العلاقات الدبلوماسية مع تيون . وفي ١٩٦٩/١١/٣ اتخذت المانيه الاتحادية اجراء مماثلا لاجراء امركي منحت لرعاياها الذين يرغبون في الانضمام الى الجيش الاسرائيلي بحمل الجنسية المزدوجة . وذكرت بعض المصادر آنذاك ان القرار جاء مئما للتعاون بين العسكريين من الفريقين الذي بدأ قبل الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ في التنسيق والتخطيط لتلك الحرب . وشهدت العلاقات الاسرائيلية - الألمانية الغربية أسوأ هزة لها عقب حادثة ميونيخ في ١٩٧٢/٩/٥ التي هاجم فيها فدائي منظمة ايلول الاسود الفريق الرياضي الاسرائيلي في القرية الاولبية هناك . وقامت المانيه الغربية باتخاذ اجراءات تعسفية ضد العرب القاطنين أو القادمين الى البلاد وخاصة ضد الفلسطينيين ، واعتبرت التنظيميين الفلسطينيين للطلاب والعمال خطرين على الأمن عندها وتم طرد عدد كبير من أعضائهما . وسادت بعض الملاحكات في تصريحات المسؤولين الاسرائيليين حول تحميل الالمان مسؤولية النقص في اجراءات الأمن لحماية الفريق الاسرائيلي . وازداد اشتعال الغضب الاسرائيلي عندما اضطرت السلطات الألمانية لاطلاق سراح المعتقلين الاحياء من منفذي العملية بعدما اختطف فلسطينيون طائرة المانية أثناء رحلة من دمشق الى ميونيخ . لكن العام ١٩٧٣ شهد محاولة المانية لتحسين تلك العلاقات ومحاولة ازالة ما تبقى من آثار حادثة ميونيخ فقام المستشار الألماني غيلي برانت بأول زيارة رسمية لمسؤول الماني الى اسرائيل . لكن الحرب الزابعة أعادت التشويش الى تلك العلاقات خصوصا بعدما منعت السلطات الألمانية الاتحادية نقل المعدات العسكرية منها أو من القواعد الامركية والاجتبية لديها الى دول الشرق الاوسط ، وكان هذا الموقف تعبيرا حقيقيا عن التناقض في المصالح بين أوروبا الغربية من جهة والولايات المتحدة واسرائيل من جهة أخرى ، الذي كشفه بوضوح اعلان العرب حظر النفط عن الدول التي تساعد عدوهم .

إيطالياه : شهدت تطورا ملحوظا في تفهم القضية الفلسطينية سواء على الصعيد الشعبي الذي كان للتعاون بين المقاومة الفلسطينية والاحزاب اليسارية وخاصة الحزب الشيوعي الايطالي اثره الفعال في هذا المضمار . كما ان الحكومة الايطالية أبدت بعض التطور في تفهم الموقف العربي وذلك بسبب التأثير الاقتصادي للعالم العربي خاصة بسبب اغلاق قناة السويس التي بلغ الضيق لدرجة ان ايطالياه اقترحت التوسط لايجاد حل جزئي لفضية اغلاق القناة وعرض رئيس الوزراء الايطالي على مصر فكرة شق قناة جديدة بديلة في السويس وذلك في السادس من أيار (مايو) ١٩٧٣ (٣٠) . وقد كان لمصر ممثل م . ت . ف . وائل زعيتر أثر كبير في استقطاب العطف والتأييد للفلسطينيين وتوجيه الانتقاد واللوم للاسرائيليين . كما أن ايطالياه تؤيد الاقتراحات العربية في الأمم المتحدة ، لذلك سيطر الجمود على العلاقات الاسرائيلية - الايطالية في السنوات الاخيرة . أما **البرتغال** فانه على الرغم من عدم وجود تمثيل دبلوماسي مع اسرائيل فان التعاون بينهما كان على أشده خصوصا ان اسرائيل دعمت محاولات الحكومة البرتغالية السابقة للانقلاب في عملياتها لقمع الثورات في الدول الافريقية المستعمرة : غينيا بيساو ، انجولا وموزامبيق . لكن الانقلاب الاخر في ٢٥ نيسان (أبريل) ١٩٧٤ أدى الى تغيير في سياسة البرتغال وعودتها للعمل على كسب

العرب . وكان لاستخدام الاميركيين قاعدتهم في البرتغال وبعض الجزر التابعة لها اثناء الحرب الرابعة لامداد اسرائيل بالسلاح اثر كبير في بلوغ هذه الغاية خصوصا بعد منع دول أوروبا الغربية لهذا الامر على اراضيها . **بريطانية** : التأييد البريطاني لاسرائيل مسألة قديمة أكثر من فترة حياة الكيان الصهيوني نفسه . لكن عوامل كثيرة أدت دائما الى محاولة تغليف هذا التأييد بطرق مقنعة . واهم هذه العوامل : مراعاة المصالح الاقتصادية مع العرب ، دخول السوق المشتركة ، المنافسة مع فرنسا في قيادة أوروبا الغربية ، العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، الوجود الصهيوني المنظم في بريطانياه وتأييد الاحزاب البريطانية المختلفة لاسرائيل . وقد لعبت بريطانيا دورا هاما في الوصول الى الصيغة التي اقترحت كحل لازمة الشرق الاوسط بشكل قرار ٢٤٢ في مجلس الامن ، هادفة للوصول الى حل نهائي لازمة لمصلحة اسرائيل عقب الانتصار الاسرائيلي في حرب ١٩٦٧ . وكان لحزب المحافظين تجربة معارضة ارادة الاسرائيلية عندما رفض الضغوط الاسرائيلية والصهيونية كي لا يسمح بافتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في لندن في أواخر حزيران (يونيو) ١٩٧٢ (٣١) .

بلجيكة : نشطت الاوساط الصهيونية خلال حرب ١٩٦٧ في بلجيكة التي أيدت اسرائيل ودعمت مواقفها . وتتمتع تجارة الماس بمركز هام في العلاقات التجارية الاسرائيلية - البلجيكية ، اذ أن بلجيكة تأتي في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة في شراء الماس الاسرائيلي المصقول . هذا وقد باعت الجهود الاسرائيلية لافتتاح مصنع للأسلحة في بلدة لياج قرب بروكسل بالفشل لأن البرلمان البلجيكي رفض الموافقة على المشروع خوفا من نتائجه عقب عملية ميونيخ .

الفاتيكان : تركز اهتمام الحاضرة الدينية على سلامة الاماكن المقدسة في فلسطين والدعوة الى العدالة لانصاف اللاجئين الفلسطينيين . ولم يعترف الفاتيكان بالكيان الاسرائيلي أو باجراءاته لضم القدس . ورغم ذلك فقد عملت اسرائيل دائما لد الجسور مع البابا غزار آبا ايبين الفاتيكان في النصف الاول من ١٩٧٢ كما قامت جولدا مئير بمقابلة البابا بولس السادس في ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ قالت في نهايتها أن البابا شكرها للعباية الاسرائيلية بالاماكن المقدسة وأكد على ضرورة استمرار الحوار بين الكنيسة الكاثوليكية واسرائيل . كما ساد التوتر العلاقات بين الفريقين في أواخر ١٩٧٤ بعدما أعلن عن اعتقال المطران هيلاريون كيجوي واتهامه بتهرب الاسلحة الى الفدائيين الفلسطينيين في الاراضي المحتلة .

فرنسه : كانت المبادرة الاولى بين الدول الغربية لاتخاذ مواقف بعيدة عن التأييد المعتاد لاسرائيل . وقد كان لوجود الجنرال شارل ديغول على رأس الدولة الفرنسية ومنهجه في منافسة السياسة الاميركية في القارة الاوروبية اثر كبير في التحول الفرنسي بالاضافة الى التقدير الشديد للسلطات الفرنسية لمصالحها مع الدول العربية . وعقب حرب ١٩٦٧ أعلنت فرنسا حظرها على بيع الاسلحة الى دول الصراع في منطقة الشرق الاوسط وخاصة على اسرائيل لانها بادرت بالعدوان ، وحاول الاسرائيليون دون جدوى تغيير الموقف الفرنسي ، وذلك لان تسليح الجيش الاسرائيلي خصوصا في سلاح الطيران كان فرنسيا . لكن السلطات الفرنسية ، ردا على الهجوم الاسرائيلي على مطار بيروت في آخر أيام ١٩٦٨ أعلنوا حظرا تاما على شحنات الاسلحة وعلى قطع الغيار ايضا على اسرائيل في ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ (٣٢) . صب الصهيونيون كل جهودهم واستخدموا نفوذ الرأسمالية الفرنسية الموالية لهم لاسقاط ديغول في ٢٨ نيسان (ابريل) ١٩٦٩ بعدما لم يحصل على أغلبية مطلقة في الاستفتاء الذي طلبه . وأمل

الاسرائيليون تغييراً في السياسة الفرنسية بمجيء جورج بومبيدو ، لكن هذا الامل خاب ، فقاموا بعملية احراراً للرئيس وللحكومة الفرنسية عندما نجحوا في تهريب خمسة زوارق من طراز شيربورج من فرنسه الى اسرائيل في ١٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٠ (٢٢) . ان استمرار ثبات الموقف الفرنسي في رؤيته لحل أزمة الشرق الاوسط عبر تعاون الدول الكبرى وليس فقط بين الدولتين الاعظمين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، زاد في جسيمة العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين وظلت الاتهامات الاسرائيلية تترى بأن فرنسيه تجابي العرب . وفي ١٥ شباط (فبراير) ١٩٧٢ اتفقت فرنسيه واسرائيل على اعادة دفع ثمن صفقة الميراج التي حظر تسليمها سابقا . من جهة اخرى تأثرت العلاقات الفرنسية - الاسرائيلية بنشاطات الاحزاب الفرنسية ومواقفها من قضية الشرق الاوسط ، فبعضها لعب دورا هاما في تعبئة الجمهور الفرنسي لصالح القضية العربية وعلى الاخص الحزب الشيوعي الفرنسي ، كما كان للاحزاب اليمينية مواقف شديدة الارتباط بالصهيونية . ومما أثر على هذا الجمهور ايضا النشاط الفلسطيني نفسه ونشاط المجموعات المؤيدة لهم . وفي محاولة لارهاب القائم بهذا النشاط وثل فعاليتهم قامت المنظمات الصهيونية باغتيال محمود الهمشري ممثل م.ت.ف. في باريس . واستمر الموقف الفرنسي المتفهم للقضية العربية بالتعمق خلال وبعد الحرب الرابعة ، حيث ايدت فرنسه الأمة العربية في كافة المجالات وخاصة داخل اطار دول السوق الاوروبية المشتركة وعارضت الولايات المتحدة بعناد في كل ما ترتب عن الحرب من ازمات سواء على صعيد البترول أو الارصدة أو غيرها . وكان لوفاة بومبيدو المفاجئة وانتخاب فاليري جيسكار ديستان للرئاسة باعنا لامل جديد في تحسن العلاقات الفرنسية - الاسرائيلية . واعلنت السلطات الفرنسية رفع حظر بيع الاسلحة الى الشرق الاوسط بعدما كشفت رسائل السادات - القذافي في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٤ عن ارسال طائرات الميراج الليبية الى مصر مخالفين بذلك الاتفاق المعتود مع فرنسيه بهذا الخصوص . وكانت مظاهر الجفاء والتدهور في العلاقات الفرنسية - الاسرائيلية واضحة التجلي خلال زيارة وزير الخارجية الفرنسي جان سوفانيارج الى الشرق الاوسط ولقائه برئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات في بيروت بتاريخ ٢١/١٠/١٩٧٤ وكذلك تصويت فرنسه في الامم المتحدة الى جانب قرار دعوة م.ت.ف. للمشاركة في مناقشة قضية فلسطين في ١٤/١٠/١٩٧٤ .

النمسه : دخلت النمسه ميدان الصراع في الشرق الاوسط لصالح اسرائيل من ناحية مباشرة عندما رخصت للمهاجرين اليهود القادمين من الاتحاد السوفياتي بالتمركز فيها والانتقال بعد ذلك الى فلسطين المحتلة . وقد اشدت الاستياء العربي من هذا الموقف لدولة حاولت الظهور محسايمة ازاء صراع الشرق الاوسط فقمام بعض الفدائيين بالسيطرة على قاطرة تنقل المهاجرين في ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ (٢٤) وتم الاتفاق على اطلاق الرهائن مقابل تعهد نمساوي باغلاق معسكر شاناو حيث تقدم التسهيلات للهجرة اليهودية . وقد استعانت اسرائيل من هذا الموقف وحاولت التأثير على المستشار النمساوي كرايسكي للتراجع عن القرار فرفض . لكن تدهور العلاقات لم يبلغ حدا سيئا بسبب اشتعال الحرب الرابعة التي قام كرايسكي بعدها ضمن وفد للاشتراك الدولية بمهمة تقصي الحقائق في الشرق الاوسط وقابل المسؤولين الفلسطينيين .

سويسره : استطاعت الصهيونية ان تحافظ على ثبات العلاقات الاسرائيلية - السويسرية . وقد نشطت المنظمات الصهيونية خلال حرب ١٩٦٧ لدعم اسرائيل ماديا . كما استطاعت اسدال سياتر كثيف من الصمت على الفضيحة التي اعلنت في السادس

من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ عندما كشفت الحكومة السويسرية ان الملحق العسكري في السفارة الاسرائيلية في برن تيسفي آلون اعتبر شخصا غير مرغوب به لاكتشاف فضيحة تسرب صور معادلات تركيب محركات طائرات ميراج - ٣ فرنسية الصنع في عملية جاسوسية على يد المهندس السويسري الفريد فروتكنخت .

هولنده : دعمت هولنده الموقف الاسرائيلي بشدة . وقد وافقت على رعاية المصالح الاسرائيلية في الاتحاد السوفياتي وبولنده عندما أعلن قطع العلاقات الدبلوماسية عقب اسرائيل مما أدى الى غضبة عربية ازاءها فحرمت من النفط العربي مما أدى الى أزمة اقتصادية خانقة لها ، وفشلت محاولاتها رفع الحرمان النفطي الى ان بدأت مساعي التسوية الاخيرة في ميدان الصراع الشرق - اوسطي .

قبرص : كان لموقف مصر بتأييد نضال القبارصة للتحرر من الاستعمار البريطاني اثره الكبير في الموقف المتعاطف مع العرب . وقد وقفت قبرص ضد العدوان الاسرائيلي ١٩٦٧ مما أدى الى الترددي في العلاقات الاسرائيلية - القبرصية . ورغم وقوع عمليات فدائية ضد السفارة الاسرائيلية واغتيال بعض العملاء الاسرائيليين في الجزيرة ومقتل ممثل حركة فتح فيها فان السلطات القبرصية حافظت على موقف منسجم مع مواقف دول عدم الانحياز .

اليونان : لم تطور علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل خوفا من الرد العربي . وقد أعلنت خلال الحربين الاخيرتين بأنها لن تسمح باستخدام أراضيها للمساعدة في العمليات الحربية في الشرق الاوسط ، لكن قدرتها على ضبط تنفيذ القرار كانت غير فعالة بسبب استخدام الاميركيين لقاعدتهم في بيريه التي أنشأوها في منتصف ١٩٧٢ لتحقيق عملية نقل السلاح الهائلة خلال حرب ١٩٧٣ .

اسم البلد . درجة التمثيل الدبلوماسي . مكان البعثة الدبلوماسية . ملاحظات

اسم البلد	درجة التمثيل الدبلوماسي	مكان البعثة الدبلوماسية	ملاحظات
الولايات المتحدة الاميركية	سفارة	واشنطن	تصلية فخرية في كل من نيويورك ، لوس انجلوس ، فيلادلفيا ، شيكاغو ، اطلنطا ، هيوستن ، سان فرانسيسكو ، بوسطن .
كندا	سفارة	اوتوا	تصلية عامة في كل من مونتريال وتورنتو .
المكسيك	سفارة	مكسيكو سيتي	
أستراليا	سفارة	كانبره	تصلية عامة في سيدني .
نيوزيلنده	سفارة	(كانبره)	ابتدأت منذ ١٩٦٧ بعد ان كانت موقفية .
المانية الاتحادية	سفارة	بون	
ايسلنده	سفارة	(أوسلو)	تصلية في ريچايك .
أيطاليه	سفارة	رومه	تصلية عامة في ميلانو .
البرتغال	—	—	تصلية عامة في لشبونه .
بريطانيه	سفارة	لندن	
بلجيكه	سفارة	بروكسل	
جبل طارق	—	—	تصلية .

فرنسه	سفارة	باريس	اتصلية عامة في مرسيه .
فنلنده	سفارة	هلستي	
قبرص	سفارة	نيقوسيه	
لوكسمبورج	سفارة	(بروكسل)	اتصلية عامة في لوكسمبورج .
ليختنشتاين	—	—	اتصلية عامة في (زيوريخ) .
مالطسه	سفارة	غاليته	ثم نقلت الى تاكس بيلكس .
موناكو	—	—	اتصلية عامة في (مرسيه) .
نروج	سفارة	أوسلو	
النمسه	سفارة	فيينه	
سان مارينو	—	—	اتصلية عامة في (رومه) .
السويد	سفارة	ستوكهولم	
سويسره	سفارة	بـرن	
هولنده	سفارة	لاهاي	
اليونان	—	أثينا	متمثلية دبلوماسية .

ان اسرائيل بوصفها بلدا مستوردا بكامله مضطرة لايجاد سبل استيراد حياتها : الاستيطان الاسرائيلي في الارض الفلسطينية يحتاج لاستيراد المهاجرين اليهود من الخارج . الاقتصاد العاجز عن بناء اكتفاء موضوعي يحتاج كذلك لاستيراد اقتصادي وتجاري خارجي . وكذا الامر بالنسبة للصناعة التي كانت في طور النمو بحاجة الى دعم كبير لتحقيق حد من حاجات القوة الاسرائيلية وخاصة العسكرية . الموارد المالية الضئيلة محليا بحاجة الى سيل هائل من المساعدات الخارجية . ان الاستيراد من خارج البلاد هو تفسير لعملية الجهد الصهيوني الكامل في سبيل احتلال فلسطين وتثبيت الكيان الصهيوني عليها وحمل الآخرين على الاقرار بذلك . لذا لا عجب من اهمية الدور الذي تلعبه السياسة الخارجية الاسرائيلية وتعمدها التركيز الشديد في الصلات والواضحة مع الدول الامبريالية التي تتطابق مصالحها في استغلال ثروات العالم العربي والاستمرار في نهبها والحوول دون قيام قوة عربية ثورية تناهض الاستعمار وتحقق الاستقلال بكافة اوجهه .

الحواشي :

مجاهته ، رياض التطار ، مركز الابحاث
م . ت . ف . ١٩٦٨ .

Jewish Year Book 1974 -
Great Britain

٦ - اسرائيل وافريقيه ١٩٤٨ - ١٩٧٣ ،
عواطف عبد الرحمن ، مركز الابحاث م . ت . ف .
١٩٧٤ .

٧ - الاتحاد السوفياتي وقضية فلسطين ،
د . صلاح الدباغ ، مركز الابحاث م . ت . ف .
١٩٦٨ .

٨ - علاقات اسرائيل مع دول العالم ١٩٦٧ -

١ - *Israel Government Year Book*
1971-1972, p. 173

٢ - سياسة اسرائيل الخارجية ، ابراهيم
العابد ، منشورات مركز الابحاث م . ت . ف .
١٩٦٨ .

٣ - الصهيونية واسرائيل وآسيه ، ج . هـ .
جانسن . مركز الابحاث م . ت . ف . ١٩٧٢ .

٤ - التسلسل الاسرائيلي في آسيه (الهند
واسرائيل) ، أسعد عبد الرحمن ، مركز
الابحاث م . ت . ف . ١٩٦٧ .

٥ - التغلغل الاسرائيلي في افريقيه وطرق

- اسم العاصمة المذكور بين هلالين يدل على
ان السفير غير مقيم في المكان المعتمد فيه .
- ١٩ — *اليوميات الفلسطينية* ، الجزء الرابع
والخامس ، مركز الابحاث م. ت. ف.
- ٢٠ — *keesing's C. A. 1972, p. 25236*
- ٢١ — *keesing's C. A. 1972, p. 25601*
- ٢٢ — *keesing's C. A. 1973, p. 25715*
- ٢٣ — المصدر ذاته .
- ٢٤ — صحيفة الاهرام المصرية بتاريخ ١٧/٥/١٩٧٣ .
- ٢٥ — الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة: المرجع
السابق .
- ٢٦ — *keesing's Contemporary Archives 1967, p. 22105*
- ٢٧ — *keesing's Contemporary Archives 1967, p. 22048*
- ٢٨ — *keesing's Contemporary Archives 1969, p. 23523*
- ٢٩ — *keesing's Contemporary Archives 1965, p. 20737*
- ٣٠ — نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، مركز الابحاث
م. ت. ف. بتاريخ ١٩٧٣/٥/٧ .
- ٣١ — *اليوميات الفلسطينية* ، الجزء الخامس
عشر ، المرجع السابق .
- ٣٢ — *keesing's C. A. 1969, p. 23152*
- ٣٣ — *keesing's C. A. 1970, p. 23802*
- ٣٤ — *keesing's C. A. 1973, p. 26159*
- ١٩٧٠ ، شحاده موسى ، مركز الابحاث
م. ت. ف. ١٩٧١ .
- ٦ — *The State of Israel, Galina Nikitina, Progress Publishers, Moscow 1973, pp. 41-198.*
- ١٠ — لمزيد من التفصيل ، اسرائيل في اوروبه
الغربية ، عقيل هاشم وسعيد العظم ، مركز
الابحاث م. ت. ف. ١٩٦٧ .
- ١١ — لمزيد من التفصيل : اسرائيل والسوق
الاوروبية المشتركة ، انجلينا جلو ، مركز
الابحاث م. ت. ف. ١٩٦٨ .
- ١٢ — الحرب العربية — الاسرائيلية الرابعة ،
وقائع وتفاعلات . مركز الابحاث م. ت. ف.
١٩٧٤ .
- ١٣ — *keesing's Contemporary Archives 1970, p. 24050.*
- ١٤ — *keesing's C. A. 1973, p. 25717.*
- ١٥ — *اليوميات الفلسطينية* ، الجزء الثالث
عشر ، مركز الابحاث م. ت. ف.
- ١٦ — ارفيف مركز الابحاث م. ت. ف. ملف
رقم ١/٢١٠٨ .
- ١٧ — *اليوميات الفلسطينية* ، الجزء الخامس
عشر ، مركز الابحاث م. ت. ف.
- ١٨ — كافة اللوائح التي ستورد هي خلاصة لما
جاء في *Israel Gov. Year Book 1965-1974*
The Statesmen Year Book 1974

الاقتصاد الاسرائيلي في عشر سنوات : منجزات جزئية وخيبات أمل مستمرة

الدكتور يوسف شبل

ان الهدف من هذا المقال هو دراسة الاثار التي خلفتها احداث العشر سنوات الماضية منذ ان بدأ العمل الفدائي انطلاقته في مطلع عام ١٩٦٥ وخلال جميع فترات المد والجذر التي تلت تلك الانطلاقة من حيث كثافة هذا العمل ونوعيته ، وكذلك الاثار الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة التي تسببت فيها حرب الخامس من حزيران من عام ١٩٦٧ وحرب السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ . ونظرا لتشعب الموضوع فانه من المناسب تقسيم الاحداث الى قسمين رئيسيين رغم التلازم العضوي بين الاثنين : اولاً الاحداث التي اُثرت على بنية الاقتصاد الاسرائيلي من الداخل وكذلك على رفاهية الفرد الاسرائيلي من حيث اضطراره للعيش في نقشف وحرمان دائمين بالاضافة الى عدم الشعور بالثقة والامن ، وثانياً الاحداث الاقتصادية الخارجية التي واكبت التطورات السياسية والعسكرية في المنطقة وما رافق ذلك من محاسنات اسرائيل المستمرة الاعتماد على مصادر التمويل الخارجي وتوسيع اسواقها الخارجية بسبب انغلاق المجال الحيوي امامها والمتمثل في الاسواق العربية المجاورة .

ان هذا المقال لا يهدف بأية حال الى رصد التطورات الاقتصادية وتسجيلها خلال العشر سنوات الماضية ، وانما يهدف الى ربط الاحداث الاقتصادية التي لها صلة وثيقة بنمو واتساع العمل الفدائي وكذلك المجابهة مع الجيوش العربية النظامية خلال الفترة المشار اليها . على ضوء ذلك يمكن تقسيم فترة العشر سنوات الماضية الى اربعة اقسام رئيسية من حيث طبيعة الاحداث ونوعية التغيرات التي طرأت على الاقتصاد الاسرائيلي على النحو التالي : ١ - الفترة ما بين عام ١٩٦٥ حتى حرب حزيران من عام ١٩٦٧ ، ب - الفترة ما بين حزيران ١٩٦٧ حتى ايلول من عام ١٩٧٠ عندما توقف العمل الفدائي في الاردن عن العمل بفعل ظروف خارجية عن ارادته ، وقد تخللت هذه الفترة حرب « الاستنزاف » ، ج - الفترة ما بين سبتمبر ١٩٧٠ وحرب اكتوبر من عام ١٩٧٣ وقد تميزت بهدوء كامل على الجبهات العربية ونشاط فدائي متقطع ، د - الفترة التي تلت حرب اكتوبر وحتى الان والتي تشمل كافة الذبول الاقتصادية لحرب اكتوبر واتساع حجم وكثافة ونوعية العمل الفدائي داخل اسرائيل بحيث وصل الى امكان لم يصلها من قبل .

١ - **الفترة ما بين عام ١٩٦٥ - حزيران ١٩٦٧** : تميزت هذه الفترة بظهور العمل الفدائي الى النور وباسترخاء كامل على مختلف الجبهات العربية المواجهة لاسرائيل . ونظراً لان العمل الفدائي كان لا يزال في طور الاستعداد في الوقت الذي كانت الجبهات العربية فيه هادئة تماماً ، فان ذلك اعطى اسرائيل فرصة للانفست الى مشاكلها الاقتصادية التي بدأت تظهر بعد فترة لا يستهان بها من الانجازات على الصعيد

الاقتصادي في الجزء الأخير من الخمسينات وأوائل الستينات . على ان طبيعة هذه المشكلات كانت بفعل ظروف اقتصادية واجتماعية داخلية أكثر منها بفعل الظروف الخارجية المحيطة بها . فالمعروف عن اقتصاديات البلدان التي تعتمد على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج انها تبدأ في افراز تقلبات اقتصادية ومشاكل خصوصاً بعد فترة لا يستهان بها من الازدهار الاقتصادي . وبعبارة أخرى هنالك « دورة اقتصادية » ترتفع فيها مستويات الإنتاج والدخل والعمالة الى درجة تقارب حالة « التشغيل الكامل » ثم تبدأ هذه المستويات بالهبوط تدريجياً عندما تظهر بذور مضادة اقتصادية واجتماعية تبدأ في الضغط على كافة القطاعات الاقتصادية ولكن بدرجات متفاوتة .

المشاكل الاقتصادية التي بدأت تظهر في عام ١٩٦٥ في الاقتصاد الإسرائيلي واشتدت حدتها خلال عامين تلتخص بما يلي :

أ - ارتفاع مستوى البطالة الى حوالي ١٢٪ من مجموع القوى العاملة ، فقد بلغ عدد العاطلين عن العمل حوالي ١٣٠.٠٠٠ شخص وهو أعلى مستوى بلغته منذ عام ١٩٤٨ .

ب - انخفاض النشاط في قطاع البناء بسبب انخفاض عدد المهاجرين اليهود القادمين من الخارج حيث هبط عدد هؤلاء من ٥٤.٠٠٠ عام ١٩٦٤ الى ١٨.٠٠٠ في عام ١٩٦٧ .

ج - انخفاض في الانتاجية الحديدية للقطاع الزراعي نتيجة لاستثمار اراض زراعية غير صالحة اصلاً للزراعة ، او انها بحاجة لاستصلاح قبل زرعها والإفادة منها . لقد دخل القطاع الزراعي مرحلة « الغلة المتناقصة » Diminishing Return بعد نمو سريع لفترة لا يستهان بها .

د - الصعوبة في ايجاد موطىء قدم ثابت للسلع الاسرائيلية في الاسواق العالمية وخصوصاً داخل السوق الأوروبية المشتركة والتكتلات الاقتصادية الأخرى .

هـ - محاولة تقليل الاعتماد على مصادر التمويل والمساعدات الخارجية دون اللجوء الى تخفيض معدل النمو الاقتصادي المنشود او تخفيض حجم العمالة والخدمات الاقتصادية والاجتماعية .

ب - حرب عام ١٩٦٧ وحتى ايلول ١٩٧٠ : لقد وقعت حرب الخامس من حزيران من عام ١٩٦٧ في وقت كانت تحاول فيه الحكومة الاسرائيلية الخروج من حالة الجمود الاقتصادي الذي بدأت معالمه في اوائل العام ١٩٦٧ وتعمقت جذوره خلال عام ١٩٦٦ والنصف الأول من عام ١٩٦٧ . وما زاد في صعوبة إيجاد حل لهذا الجمود هو رفض الحكومة الاسرائيلية التنازل جزئياً عن تحقيق معدل نمو سنوي قدره ١٠٪ ورفضها تخفيض حجم الخدمات الاقتصادية والاجتماعية او التقليل من استقبال المهاجرين الجدد الى جانب الاستمرار في تدعيم الجيش الإسرائيلي بالمعدات الحديثة والالات الالكترونية الباهظة الثمن .

لذلك عندما نشبت الحرب وقامت اسرائيل بهجومها المفاجيء صباح الخامس من حزيران كانت اسرائيل تحاول التغلب على مشاكلها الاقتصادية الداخلية دون التنازل عن اي من اهدافها الرئيسية وهو أسلوب لم تتخل عنه اسرائيل في اشد الاوقات حرجاً . وفي جميع الظروف كانت ولا تزال تعتمد على المساعدات الخارجية من الولايات المتحدة والصهيونية العالمية لتنفيذ هذه الاهداف دفعة واحدة . ان تقدير اعباء حرب الايام الستة على الاقتصاد الإسرائيلي يتطلب احتساب عدة

عوامل في آن واحد . وجميع التقديرات التي ظهرت حول حجم الخسائر الاسرائيلية انصبت على تقدير الخسائر في المعدات والاسلحة بمختلف انواعها دون الاخذ بعين الاعتبار مختلف الجوانب الاقتصادية الاخرى والتي تتعلق بمستويات الدخل والانتاج والعمالة الى جانب وضع ميزان المدفوعات وايرادات الدولة وغيرها . وكما جاء في دراسة اسرائيلية حول هذا الموضوع :

« ان تقدير الاكلاف المباشرة للحرب يجب ان يشمل تكلفة اعادة بناء الابنية والمعدات والمهمات الاخرى مدنية وعسكرية الى جانب الهبوط في الانتاج نتيجة لتحريك الموارد البشرية والمادية وكذلك العبء المتزايد على ميزان المدفوعات والاعباء المترتبة على الخزينة نتيجة لزيادة نفقات الدفاع والتعويضات التي تدفع لعائلات الجنود القتلى والجرحى وهبوط العائدات الضريبية نتيجة لهبوط مستويات الدخل والانتاج » (١).

لا شك ان حرب الخامس من حزيران قد خففت من حجم البطالة الذي وصل الى ١٢٪ من مجموع القوى العاملة قبل الحرب بقليل نتيجة الزيادة الكبيرة التي طرأت على قطاع الانتاج الحرفي بعد ان نجحت اسرائيل في احتلال الضفة الغربية وغزه وسيناء والجولان . كما خففت من حدة مشكلة تعريف بعض سلعها الصناعية خصوصا تلك التي لا تملك خصائص في الجودة والسعر تمكثها من مزاحمة السلع الاميركية والاوربية واليابانية في الاسواق العالمية . لقد وجدت اسرائيل في الضفة الغربية وقطاع غزة حلولا جاهزة لكثير من مشاكلها الاقتصادية . فهذه المناطق العربية المحتلة تملك خصائص ديمغرافية لا تتوفر في اسرائيل نفسها . فاليد العاملة تتوفر بكثرة وبأجور زهيدة اذا توفرت بالاجور السائدة في اسرائيل ، كما انها تشكل سوقا حيويا لتصرف كثير من السلع والخدمات الاسرائيلية . ولقد ظلت اسرائيل حريصة خلال سنوات الاحتلال على ربط هذه المناطق بالاقتصاد الاسرائيلي بشكل يمكن هذا الاقتصاد من تحقيق اكبر فائدة ممكنة دون استنزاف اي من مواردها الاقتصادية المتاحة باستثناء طبعاً نفقات الدفاع وحفظ الامن داخل الضفة الغربية وغزة .

لم يمض أكثر من بضعة شهور على انتهاء حرب حزيران حتى بدأت جبهة قناة السويس تسخن تدريجيا اذ بدأت الاثباتات بالمدفعية والطيران بين الجيش المصري والجيش الاسرائيلي وقد ازدادت حدة هذه الاثباتات حتى غدت يومية تقريبا وكانت الخسارة كبيرة بين الجانبين . وفي نفس الوقت بدأ العمل الفدائي نشاطه على نطاق واسع ، انطلقا من قواعد الطبيعية في الاردن لضرب اهداف اقتصادية ومنشآت حيوية في تل ابيب والقدس وحيفا وغيرها من الاماكن في عمق اسرائيل كمصافي البترول ، والمعامل الكيماوية ، ومعامل الورق وغيرها من الصناعات . وكانت السلطات الاسرائيلية تحاول دوما اخفاء الخسائر البشرية وكذلك المادية والتقليل من اهميتها حتى لا تهبط معنويات السكان في اسرائيل ، كما انها كانت تعزو معظم هذه العمليات الى حوادث طارئة داخل المعامل حتى لا تعترف علانية بأي عمل ناجح للفدائيين العرب .

لقد قلبت هذه التطورات امال وتوقعات اسرائيل رأسا على عقب . فقد كانت الحكومة الاسرائيلية تأمل في ان النصر العسكري السريع الذي حققته اسرائيل سيؤدي الى توقيع اتفاقيات سلام مع الدول العربية المجاورة على اساس الشروط الاسرائيلية التي تنهى حالة الحرب وتفتح الاسواق العربية على مصراعيها امام الانتاج الاسرائيلي وانهاء عزلة سياسية واقتصادية دامت عشرين عاما . ان ظروف ومعطيات ونمط النشاط الصناعي في اسرائيل يجعل الاسواق العربية المجاورة المكان الامثل

لتصريف الانتاج المتوفر . فارتفع نسبة الآلات والمعدات الى اليد العاملة نظرا لارتفاع مستوى الاجور النسبي يجعل معظم الصناعات الاسرائيلية تعمل بطاقة انتاجية مرتفعة لتغطية التكاليف العالية وهذا يتطلب مزيداً من التسويق وتصريف الفائض من انتاجها والذي تجد صعوبة جمة في تصريفه في البلدان الاوروبية . لقد بدأت ملامح جديدة تظهر على هيكل الاقتصاد الاسرائيلي .

أولاً : ظهور صناعة جديدة على نطاق واسع تغذي مختلف الاسلحة وقطاعات الجيش الاسرائيلي بالمعدات والذخيرة والتموين . وقد نمت هذه الصناعة الى الدرجة التي اصبحت فيها جزءاً اصلاً من الاقتصاد الاسرائيلي كما اصبحت صناعة برسم التصدير الى الخارج . وقد قوى ذلك من سيطرة وهيمنة المؤسسة العسكرية على اتجاهات السياسة الاسرائيلية تجاه الدول العربية .

ثانياً : تعاطم نشاط قطاع البناء خصوصاً ذلك المتعلق ببناء التحصينات القوية على ضفاف قناة السويس مثل « خط برليف » وفي مرتفعات الجولان المحتلة . وقد بلغ من ارتفاع حجم النشاط في هذا القطاع ان ارتفعت اسعار مواد البناء والحديد بشكل لم يسبق له مثيل ، كما عمدت السلطات العسكرية الاسرائيلية الى انتزاع خطوط السكك الحديدية في بعض مناطق سيناء والضفة الغربية لاستعمالها في بناء المنشآت والتحصينات الجديدة . وتقدر الاوساط الاسرائيلية مجمل نفقات انشاء « خط بارليف » و « خط الون » في المرتفعات السورية بما لا يقل عن ثلاثة بلايين ليرة اسرائيلية ذهبت كلها ادراج الرياح في يومين فقط من القتال .

ثالثاً : اعتماد القطاع الزراعي عموماً وزراعة الحمضيات خصوصاً المتزايد على اليد العاملة العربية ومحاولة تسريب جزء من انتاج هذا القطاع للبلدان العربية المجاورة اعتماداً على سياسة الحدود المفتوحة بين الضفة الغربية والضفة الشرقية . وقد نجحت اسرائيل نسبياً في تنشيط هذا القطاع بعد ان تعرض للجمود في الفترة التي سبقت الحرب .

رابعاً : محاولة امتصاص مخرجات جماهير الضفة الغربية وغزه عن طريق انشاء مصارف عربية - اسرائيلية تقوم في النهاية بتحويل هذه المخرجات لخدمة اهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية داخل اسرائيل . وقد حرصت السلطات الاسرائيلية على ان تقيم من خلال سلسلة من الاجراءات القانونية والاقتصادية جداراً عازلاً بين اقتصاديات اسرائيل واقتصاديات الضفة الغربية وغزه حتى لا يخرج نطاق التبادل بين الاقتصاديين عن الحدود المرسومة لها وبالتالي حتى لا تكسب الضفة الغربية اية ثروة او موجودات حقيقية من الاقتصاد الاسرائيلي .

حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ : خلال الفترة ما بين سبتمبر ١٩٧٠ و اكتوبر ١٩٧٣ كانت اسرائيل قد نجحت في تجميد الجبهات العربية المتاخمة لها من خلال مشروع روجرز الذي بدأ العمل بموجبه ابتداء من يوليو ١٩٧٠ . ونظراً لنجاح النظام الاردني في تصفية قواعد الفدائيين في الاردن على مرحلتين الاولى في سبتمبر من عام ١٩٧٠ والثانية في صيف ١٩٧١ ، فقد اعتقدت السلطات الاسرائيلية ان « الاستقرار » الامني الذي تنشده قد بلغته تماماً . غير ان العمل الفدائي استطاع ان ينقل نشاطه السري الخارج حيث بدأت مواجهة واسعة بين العمل الفدائي والاستخبارات الاسرائيلية .

وكان بنحاس سابير ، وزير المالية آنذاك ، قد اعلن بأن نفقات الامن الاسرائيلي منذ حرب الايام الستة حتى منتصف عام ١٩٧٣ قد بلغت حوالي ٢٥ مليار ليرة اسرائيلية (حوالي ٦ مليارات دولار) ، وان نفقات الامن في الست السنوات القادمة (قبل

حدوث حرب (أكتوبر) ستبلغ ٤٠ مليار ليرة ، أي حوالي (٩) مليارات دولار . وهذه الأرقام تثبت بلا شك أن إسرائيل لم تستطع في يوم من الأيام وخلال فترات تراجع العمل الفدائي والعمل العسكري العربي النظامي أن تخفض من ميزانياتها الدفاعية ولو بجزء يسير بل كانت الميزانيات الدفاعية في تصاعد مستمر . لذلك فعندما وقعت حرب أكتوبر التي وقعت كالصاعقة على المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ، فإن حجم الموارد المتاحة لهذه المؤسسة كان أكبر منه في أي وقت مضى ، بالإضافة إلى أن قطاع التصنيع الحربي كان في حالة نمو مستمر .

وإذا كانت خسائر إسرائيل في حرب أكتوبر فادحة من الناحية البشرية ، إذا قيست من زاوية مطلقة أو زاوية نسبية ، وإذا كانت خسائرها النفسية لا تقل عن خسائرها البشرية ، فإن الخسائر المادية كانت بدون جدال أكبر هذه الخسائر ليس فقط في العتاد والأسلحة وإنما في شل النشاط الاقتصادي بأسره لمدة طويلة وما خلفه ذلك من خلل في هيكل الاقتصاد الإسرائيلي نفسه . وقد حاولت إسرائيل من خلال المساعدات المادية الهائلة التي تلقتها من الولايات المتحدة ومن الحركة الصهيونية في العالم أن تسد جزءا من هذه الخسائر التي قدرها وزير المالية بحوالي ثلاثة آلاف مليون دولار بدون الأخذ بعين الاعتبار الخسائر غير المباشرة والمتمثلة في ارتفاع حجم البطالة في القطاع المدني وانخفاض الإنتاج بكافة أشكاله . وحتى كتابة هذه السطور لم تظهر أي وثيقة إسرائيلية رسمية تبين فيها خسائر إسرائيل المادية والبشرية بالتفصيل بشكل موثوق يمكن الركون إليه . لذلك فإن آثار الحرب يمكن التقاطها من مصادر إسرائيلية متفرقة بعضها مصادر اقتصادية وأخرى سياسية .

وفي رأي مجلة « إسرائيل إيكونوميست » أن أهم الآثار الاقتصادية المترتبة على حرب أكتوبر في عام ١٩٧٣ هي الآتية :

١ - لقد حولت الحرب جزءا كبيرا من اليد العاملة من الإنتاج المدني إلى القطاع العسكري أما كجنود احتياط أو كعاملين في المصانع الحربية ومشتقاتها في وقت كانت هنالك ضغوط شديدة قبل الحرب على سوق العمل مما زاد من حدة المشكلة .

٢ - فرضت الحرب على إسرائيل أن تعيد ترتيب جدول أولوياتها بالنسبة لعملية توزيع الموارد المتاحة في الاقتصاد الإسرائيلي على النحو التالي : اعتبارات الأمن تأتي في الدرجة الأولى ، زيادة حجم الصادرات إلى الأسواق العالمية والصفة الغربية في الدرجة الثانية ، وتوفير السلع الاستهلاكية للسكان في الدرجة الثالثة .

٣ - ظهرت بشكل حاد مشكلة التوفيق بين متطلبات محاربة الغلاء الذي استفحل أمره ومحاولة الوقوع في مصيدة الجهود الاقتصادية كطريق لا مفر منه لاحتواء الغلاء . وبعبارة أخرى فإن المشكلة تتلخص في كيفية خفض حجم الطلب الفعال في الاقتصاد دون أحداث جهود اقتصادي في البلاد .

٤ - هبوط كبير في حجم الصادرات الإسرائيلية خصوصا فيما يتعلق بالسلعة الأكثر أهمية وأكثر قيمة مادية وهي الالماس ، كما هبط النشاط في قطاع البناء بسبب النقص الكبير في اليد العاملة وارتفاع أسعار مواد البناء محليا وعالميا .

٥ - نتيجة للأعباء الدفاعية المتزايدة ، وازدياد نشاط المنظمات الفدائية داخل الأراضي المحتلة وفي محاولة لتمويل الزيادة الكبيرة في مخصصات الدفاع فقد عمدت إسرائيل إلى رفع معدلات الضريبة بشكل حاد بحيث وصلت الضريبة الحدية إلى ٨٧٪ من الراتب منها ٦٥٪ ضريبة دخل ، و ٢٠٪ قروض دفاع إجبارية و ٢٣٪

ضريبة مشتريات . اما الشركات فتصل الضريبة الحدية فيها الى ٩٤٪ من مجموع ارباحها(٢) .

وبينما كانت اسرائيل تحاول اعادة الثقة الى سكانها ، بعد تحقيق فك الارتباط بين جيشها وكل من الجيشين المصري والسوري ، وبينما كانت تحاول تسريح جزء كبير من احتياطها حتى تستطيع العودة الى الحياة العادية وتساهم في دفع عجلة الانتاج مجددا اذ بها تفاجأ في تغيير واسع النطاق في اسلوب ونوعية وعمق العمل الفدائي . فقد استطاع العمل الفدائي اقتحام مستوطنات « كريات شمونة » و « معالوت » و « نهاريا » وغيرها من المستوطنات خلال فترة قصيرة لا تتعدى الشهرين مما اثار الذعر في اسرائيل ودفع السلطات الاسرائيلية الى القيام بغارات انتقامية والى اعادة النظر كلياً في جهاز دفاعها على الحدود اللبنانية السورية . وقد أدت العمليات الفدائية في شمال الجليل وعلى وجه التحديد في « كريات شمونة » و « معالوت » و « نهاريا » الى هزة نفسية عنيفة في جميع أنحاء اسرائيل . وقد رافق هذه الهزة اعادة النظر في كثير من الترتيبات الدفاعية التي كانت السلطات العسكرية قد اقامتها قبل العمليات المشار اليها . فعمدت الى اقامة خط اليكتروني مكهرب على طول الحدود اللبنانية في سفوح جبل الشيخ شرقاً وحتى الناقورة غرباً في محاولة لمنع الفدائيين من التسلل الى داخل الجليل الاعلى والغربي ، كما قامت بتوزيع الاسلحة على سكان هذه المناطق تحسباً لاية هجمات جديدة . وقد وصلت حالة التوتر الى درجة توقف معها كثير من النشاط الزراعي والتجاري في كثير من المستوطنات الاسرائيلية المتاخمة للحدود اللبنانية . فقد جاء في تقرير للمراسل العسكري لصحيفة دافار جاء فيها ما يلي : «تقوم القوات الاسرائيلية بتمشيط الوديان ومراقبة أعلى التلال وارسل دوريات مسيرة وأخرى راجلة وتحرس المدارس ومؤسسات التعليم كما تضع حواجز على محاور الطرق كل ذلك ضمن عملية الاستنفار الكبيرة والتي لم يسبق لها مثيل في الجليل الغربي » . اما المراسل العسكري لصحيفة جازيت فيقول بأن الاستنفار العسكري قد شمل الحياة اليومية الاعتيادية (٣) .

في وسط هذا القلق المتزايد ومن خلال النشاط الفدائي المتصاعد ، ومن خلال اقتناع دول المواجهة وخصوصاً مصر وسوريا بأن اسرائيل لن تنسحب من الاراضي العربية ولن تعترف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني الا بقوة السلاح وبالتالي نتيجة للشروع في الحصول على أحدث الاسلحة والطائرات من الاتحاد السوفياتي ، بدأ الاقتصاد الاسرائيلي يضعف امام جميع هذه التطورات ، فالاسعار بدأت ترتفع بشكل لم يسبق له مثيل والأجور تحاول عبثاً اللحاق بمستوى الاسعار ، والضرائب تحاول امتصاص أي زيادة ممكنة في الدخل لتمويل الميزانية الدفاعية والانمائية ، وأزمة الطاقة العالمية بعد فرض حظر النفط العربي مع بعض الدول الصديقة لاسرائيل زاد من المصاعب الاقتصادية والاجتماعية وقلل من امكانية السلع الاسرائيلية للتنافس في الاسواق العالمية . لقد ادت جميع هذه العوامل بالاقتصاد الاسرائيلي الى طريق مسدود : إما التراجع عن الإهداف السياسية والاقتصادية الرئيسية ، او التثبيت بهذه الاهداف ومحاولة اجتواء الآثار التضخمية وتخفيف العجز في الميزان التجاري عن طريق بعض الاجراءات . وكعادتها في كل مناسبة آثرت اسرائيل الطريق الثاني رغم انه لا يحل المشكلة من جذورها وانما يخفف من حدتها الى حين . وهكذا كان فأقدمت السلطات الاسرائيلية على عدد من اجراءات التشفيف في العاشر من نوفمبر من عام ١٩٧٤ .

الاجراءات الاقتصادية الجديدة : تركت حرب اكتوبر من عام ١٩٧٣ آثاراً وجراحات

في الجسد الاسرائيلي لا يمكن ان تندمل . فالى جانب الخسائر البشرية الكبيرة واهتزاز الثقة بالنفس بعد شعور بالمناعة قارب الربع قرن ، فان الخسائر المادية والآثار الاقتصادية كانت كبيرة وشاملة الى درجة هزت معها الهيكل الاساسي للاقتصاد الاسرائيلي بأسره . وعلى الرغم من توقف القتال بعد اسبوعين من اندلاعه فان السلطات الاسرائيلية بدأت في التعويض فوراً عن الخسائر التي منيت بها في الاسلحة والمعدات وكذلك إعادة النظر في كافة الترتيبات الدفاعية واقامة تحصينات وخطوط جديدة على الجبهتين المصرية والسورية كلفت الخزينة الاسرائيلية عدة بلايين من الدولارات . والجدول التالي يبين مقارنة اعباء الدفاع في اسرائيل وكل من مصر وسوريا خلال العام ١٩٧٤ .

البلد	عدد السكان (مليون نسمة)	الناتج القومي (بليون دولار)	ميزانية الدفاع (بليون دولار)	نسبة الميزانية للناتج القومي	اعتماد الدفاع لكل شخص (دولار)
مصر	٣٦٥	٨٥٥	٣٤١	٪٣٦٥	٨٤٤٩
سوريا	٧٤٠	٢٤٥	٠٤٥	٪٢٠٤٠	٧١٤٤
اسرائيل	٢٤٢	٨٤٧	٣٠٧	٪٤٢٤٥	١١٢٤١

لقد أقدمت السلطات الاسرائيلية في العاشر من نوفمبر عام ١٩٧٤ على اتخاذ عدد من الاجراءات الاقتصادية لتلخص فيما يلي :

اولا : تخفيض قيمة العملة الاسرائيلية بنسبة ٤٣٪ بحيث أصبح سعر التعادل بين الدولار الامريكي والليرة الاسرائيلية ٦٤٠٠ ليرات اسرائيلية لكل دولار . وهذا الخفض يعتبر أكبر ما أقدمت عليه الحكومة الاسرائيلية حتى الان علماً بأن هذه هي المرة الثامنة التي تخفض بها اسرائيل عملتها .

ثانيا : منع استيراد ثلاثين سلعة « كمالية » لمدة ستة اشهر على ان يعاد النظر في القرار بعد انتهاء المدة المشار اليها .

ثالثا : رفع التعرفة الجمركية بمقدار ١٥٪ على كافة السلع المستوردة وكذلك زيادة التعرفة على الاغذية بمقدار ١٠٠٪ .

رابعا : تجميد الاسعار والاجور في محاولة يائسة لاحتواء التضخم المالي او على احسن الاحتمالات تخفيض معدل الزيادة السنوي في الاسعار الذي وصل الى ٥٠٪ .

خامسا : زيادة معدلات الضريبة على ارباح الموجودات وعلى مؤسسات التأمين والمصارف التجارية لتمويل نفقات الدفاع المتزايدة .

ان هذه الاجراءات تهدف الى تحقيق جملة من الاهداف الاقتصادية . ويأتي في طليعة هذه الاهداف تحسين وضع الاحتياطي من العملات الاجنبية الذي تدنى بشكل خطير خلال الاشهر الماضية اذ هبط الى (٨٠٠) مليون دولار وهو مبلغ بالكاد يستطيع تمويل ما قيمته شهرين من الواردات الاسرائيلية . الهدف الثاني هو محاولة تحسين الوضع التنافسي للسلع الاسرائيلية في الاسواق العالمية بعد ان امتص الغلاء الرهيب اية « ميزة نسبية » كانت تتمتع بها السلع الاسرائيلية في الاسواق العالمية . ويقدر العجز حالياً بـ ١٤٨ بليون دولار وهذا أعلى رقم في تاريخ اسرائيل الاقتصادي .

أما الهدف الثالث لهذه الاجراءات التشفية فهو محاولة الحد من حالة الانفلات الاستهلاكي الذي بدأ يمارسه المستهلك في اسرائيل بعد سنين طويلة من الحرمان

والترقب والامل بأن هذه الحالة الشاذة التي يعيشها انما هي فترة عابرة وان السلام قادم لا محالة . ولما فشلت كافة الوسائل القسرية من رفع معدلات الضريبة الى فرض القروض الاجبارية ، بدأت السلطات الاسرائيلية تلجأ الى محاولات « الاتناع النفسي » Moral Suasion بقصد اقناع المستهلك بخفيض حجم استهلاكه تلقائيا حتى يساهم في عملية انقاذ الاقتصاد الاسرائيلي من التردى والتفكك . ويجب الاعتراف في هذا السياق بأن هنالك حالات قليلة في الشواهد التاريخية الاقتصادية التي مارس فيها السكان التقشف بمثل ما مارس به الاسرائيليون ذلك ، غير ان هنالك حدودا لا يستطيع أي فرد ان يتخطاها بالنسبة للمدى الذي يستطيع فيه ان يصبر على الايام العصيبة .

لقد اختلفت الصورة الان عما كانت عليه في العشرين عاما الماضية . فالبلدان العربية ، الان ، هي مصدر الطاقة ومصدر الثروة ومحط أنظار حتى الدول الصناعية كالولايات المتحدة وأوروبا واليابان . لذلك فان محاولة اسرائيل الاستمرار في موقفها السياسي الراهن والاعتماد على مصادر المساعدات الخارجية لدعم هذا الموقف لن تعيش طويلا . فالولايات المتحدة تعاني الان من كساد وتضخم في آن واحد وهو ما يشار اليه باسم Stagflation حيث يتواجد الكساد الى جانب التضخم ، وهي ليست في وضع يمكنها من مد يد المساعدة وبدون قيود الى اسرائيل . واسرائيل لن تستطيع ان تعيش الى ما لا نهاية في أجواء التقشف التي تعيشها حتى الان حيث وصلت معدلات الضريبة الى ما يشبه المصادرة الكاملة ، والموارد البشرية والمادية هي في جانب العرب أكثر منها في جانب اسرائيل ، والعمل الفدائي في نمو مستمر والشخصية الفلسطينية أصبحت واضحة المعالم ، لذلك فان الخيارات المتاحة امام اسرائيل تكاد تكون معدومة ولعل أكثرها سلامة هو اعادة النظر بكافة منطلقاتها .

١ - يناير - فبراير ، ١٩٧٤ .
٢ - مركز الابحاث الفلسطيني ، رصد اذاعة
اسرائيل ، العدد ٥٤٣ في ١٩٧٤/٥/٢٥ ، ص
٦٣١ - ٦٣٥ .

١ - أنظر الياهو كوتونوفسكي ، الآثار الاقتصادية
لحرب الايام الستة (نيويورك ، شركة برايجر
للنشر ، ١٩٧٠) ، ص ٤٢٠ .
٢ - مجلة « اسرائيل ايكونوميست » ، عدد

الرساميل الأجنبية والمناطق المحتلة : عاملان حيويان في الاقتصاد الاسرائيلي

انطوان منصور

تحاول هذه الدراسة معالجة السياسات الاقتصادية الاسرائيلية وتطورها ونتائجها خلال الفترة ١٩٦٤ - ١٩٧٤ في ميدانين : جذب الرساميل الاجنبية واستغلال المناطق المحتلة منذ عام ١٩٦٧ . لقد تم اختيار هاتين الزاويتين من الاقتصاد الاسرائيلي نظرا لان الرساميل الاجنبية تحدد الى حد بعيد وتيرة التطور الاقتصادي كما أنها العمود الاساسي في تكوين الاقتصاد الاسرائيلي . وسنعالج دراسة الرساميل من عدة جوانب : تأثيرها على الركود الاقتصادي الاسرائيلي خلال الفترة ١٩٦٥ - ١٩٦٧ ، الضمانة التي وفرها الاقتصاد الاسرائيلي لهذه الرساميل ، وتأثيرها على القطاع الخاص . وسيتبين من هذه الدراسة مدى ارتباط الاقتصاد الاسرائيلي بالبنية الاقتصادية الاميركية وزيادة اعتماده عليها .

كما يمكن القول بأن احتلال اراض عربية عام ١٩٦٧ شكل نقطة تحول بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي ومكن اسرائيل من الخروج من أزمتها الخائفة خلال الفترة ١٩٦٥ - ١٩٦٧ . وحققّت اسرائيل ، من خلال هذا الاحتلال ، هدفها الجزئي ، وهو فك الحصار العربي جزئيا الذي أتاح لها تسويق بضائعها في هذه المناطق واستغلالها . لذلك سنعالج سياسة اسرائيل الاقتصادية في الضفة الغربية وقطاع غزة حيث تتلامم وهدفها النهائي : السيطرة الاقتصادية على المنطقة العربية .

الاستثمارات الاجنبية

١ - الاستثمارات الاجنبية ومرحلة الركود في الاقتصاد الاسرائيلي ١٩٦٥ - ١٩٦٧ :

تشير الاحصائيات الاسرائيلية المختلفة الى ان الوضع الاقتصادي الاسرائيلي تحسن بكثير بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وخرجت اسرائيل من أزمتها التي عانت منها خلال الفترة ١٩٦٥ - ١٩٦٧ . اتسمت هذه الازمة بزيادة البطالة وتدني في مستوى المعيشة وخفض الانتاج . وكان سبب الركود الاقتصادي حينذاك وهو الركود الاول منذ قيام اسرائيل ، انخفاض التمويل الخارجي من مساعدات وقروض واستثمارات . وبلغ العجز في ميزان المدفوعات ذروته بعد أن كانت اسرائيل تغطي هذا العجز بواسطة التحويلات (من مساعدات واستثمارات بقروض) . وجاء الركود نتيجة التناقض الذي يعيش فيه النظام الرأسمالي الاسرائيلي ، فمن اجل تخفيض العجز في ميزان المدفوعات ، اقرت اسرائيل في بداية عام ١٩٦٥ عدة قيود على سياستها النقدية ووضعت حدا لنمو الاعتمادات المالية والمشاريع الاقتصادية ، الا ان ذلك أدى الى زيادة كبيرة في البطالة التي بلغت اكثر من ١٠ ٪ من القوة العاملة الاسرائيلية (١) عشية

حرب حزيران ، وبالتالي الى تخفيض القوة الشرائية للمستهلك . هذا وفي حين كان نمو الناتج القومي الاجمالي مرتفعا في السابق ، هبط الى ٨٤٢ ٪ عام ١٩٦٥ والى ٦ ٪ عام ١٩٦٦ والى ١٤٢ ٪ عام ١٩٦٧ (٣) .

وتشير احصائيات بنك اسرائيل الى ان الاستثمارات الاجنبية عرفت هبوطا ملحوظا ابتداء من عام ١٩٦٥ . في حين كانت مستمرة في الارتفاع في السابق حيث بلغت ١٥٦٤٧ مليون دولار عام ١٩٦٤ ، انخفضت الاستثمارات الاجنبية الى ٩١٤٨ مليون دولار عام ١٩٦٥ والى ٢٤٤٨ مليون دولار عام ١٩٦٧ (انظر الجدول) .

وازدادت الازمة الاقتصادية بتوقف التعويضات الالمانية عام ١٩٦٦ وتدني المساعدات ائخارجية ، خاصة من الجاليات اليهودية . وانخفضت التحويلات (من جانب واحد) الى اسرائيل من ٣٣٤٤٩ مليون دولار عام ١٩٦٤ الى ٢٩١٤٩ مليون دولار عام ١٩٦٦ (٣) .

كيف واجهت اسرائيل الازمة الاقتصادية الحادة ؟ تكمن الازمة في طبيعة الاقتصاد الاسرائيلي تقسمة المبني على نهب الموارد الطبيعية للاراضي الفلسطينية وفي طبيعة الكيان الصهيوني الذي خلقتة الامبريالية ليلعب دور الشرطي في المنطقة ، لقد استطاع الاقتصاد الاسرائيلي الخروج من ازماته منذ تكوين اسرائيل حتى اليوم بفضل الاعتماد على الرساميل والمساعدات الاجنبية . وكان لا بد لاسرائيل التي تعيش في عزلة تامة نتيجة المقاطعة العربية ، للحيلولة دون وقوع اقتصادها المصطنع في انهيار ، ان تشن عدوانا شاملا على الامة العربية عام ١٩٦٧ باحتلال اراضي جديدة (الضفة الغربية وسيناء والجولان) وبالتالي فتح اسواق جديدة امام بضائعها واستغلال الموارد الطبيعية لهذه الاراضي . ان اي نظام رأسمالي لا يمكن له العيش في عزلة ، فطبيعته تتطلب منه ، على الدوام ، التوسع وان كان بالقوة ، على حساب المناطق المتخلفة .

٢ - الاستثمارات الاجنبية وضمانتها :

واثر حرب حزيران ١٩٦٧ ، خفضت البطالة جزئيا وازدادت الاستثمارات الاجنبية التي فتحت لها مجالات عدة ، خاصة في المناطق المحتلة التي تتوفر فيها اليد العاملة العربية الرخيصة . هذا وتشير احصائيات بنك اسرائيل الى ارتفاع الاستثمارات الاجنبية الصافية من حدها الأدنى عام ١٩٦٧ (٢٤٤٨ مليون دولار) الى ٤٦ مليون دولار عام ١٩٦٨ والى ١٤١٤٧ مليون دولار عام ١٩٧٢ . ويعني ذلك ان الاستثمارات تضاعفت اكثر من خمسة امثال خلال الفترة ١٩٦٧ - ١٩٧٢ .

وقد حصل الارتفاع الهائل للاستثمارات الاجنبية بعد حرب ١٩٦٧ بفضل الضمانات التي وفرتها اسرائيل للرساميل الاجنبية الهادفة الى تحقيق اقصى الربح فسي المدى القصير كما في المدى الطويل . واخذت هذه الضمانات شكلين رئيسيين ، الاول ، ضمانات قانونية والثاني ضمانة سياسية .

١ - **الضمانة القانونية** : دفع الركود الاقتصادي الكبير الذي شهدته اسرائيل فسي الفترة ١٩٦٥ - ١٩٦٧ . والمجالات الاقتصادية الضخمة المتوفرة بعد حرب ١٩٦٧ ، دفع الحكومة الى اجراء تعديل هام على قانون « تشجيع استثمار رأس المال » في عام ١٩٦٧ . وقد منحت للمستثمرين الاجانب امتيازات كبيرة منها التخفيض او الاعفاء من الضريبة ومساعدات وقروض . كما سمح لهم القانون باخراج كل ارباحهم من اسرائيل واسترداد الرأسمال المستثمر بكامله بعد فترة من الزمن . والجدير بالذكر ان هذا القانون صدر عام ١٩٥٠ بهدف تشجيع وتنظيم استثمار الرساميل المحلية والاجنبية في

قطاعات وفروع اقتصادية محددة . وشهد هذا القانون تطورا خلال الفترة ١٩٥٠ — ١٩٧٠. إذ أعيد النظر فيه عام ١٩٥٩ وعرف عدة تعديلات جرى الهام منها عام ١٩٦٧ (٤).

ب — **الضمانة السياسية** : الا ان المستثمرين الاجانب يطالبون قبل كل شيء بوضع سياسي ملائم يتيح لهم استثمار الرساميل دون أية مخاطرة . وكان المستثمرون يهدفون ، من خلال استثمار اموالهم في اسرائيل ، استغلال المنطقة العربية بشروط أفضل ولو على المدى البعيد . ففي الفترة ١٩٦٥ — ١٩٦٧ ، لم تكن هناك أزمة اقتصادية فحسب ، بل أيضا وضع سياسي غير مستقر في منطقة الشرق الاوسط تميز بصعود حركة التحرر العربية (خاصة في مصر وسوريا) عموما وبداية تحرك الشعب الفلسطيني خاصة . وتتوافق هذه الفترة مع بدء حركة التحرير الوطني الفلسطيني — فتح — بالعمليات العسكرية ضد اسرائيل وبروز بوادر الشخصية الفلسطينية . ومما أعاد الثقة بالاقتصاد الاسرائيلي في أوساط المستثمرين الاجانب ، الانتصار الاسرائيلي الساحق في حرب حزيران ١٩٦٧ واحتلال مناطق عربية وفلسطينية واسعة . لقد شكل هذا الانتصار الضمانة السياسية للمستثمرين الاجانب ، وهذه الضمانة هي اهم بكثير من الضمانة القانونية .

الاستثمارات الاجنبية في اسرائيل ، ١٩٦٤ — ١٩٧٢ (بملايين الدولارات)

مجموع الاستثمارات الصافية	اعادة استثمار الارباح	الاستثمارات المصفاة	مجموع الاستثمارات	
١٥٦٤٧	٤٤٤	١٧٤١ —	١٦٩٤٤	١٩٦٤
٩١٤٨	٤٤٨	٢٧٤٩ —	١١٤٤٩	١٩٦٥
٨٢٤٥	٥٤٢	٢٧٤٠ —	١٠٤٤٣	١٩٦٦
٢٤٤٨	٤٤٣	٣١٤١ —	٥١٤٦	١٩٦٧
٢٦٤٦	٤٤٠	٣٢٤٧ —	٥٥٤٣	١٩٦٨
٤٦٤٠	٥٤٢	٣٣٤٧ —	٧٤٤٥	١٩٦٩
٥٤٤٠	٥٤٢	٢٧٤٨ —	٧٦٤٦	١٩٧٠
١٢٠٤٨	٥٤٦	٣٣٤٠ —	١٤٨٤٢	١٩٧١
١٤١٤٧	٥٤٦	٤٧٤٥ —	١٨٣٤٣	١٩٧٢

Bank of Israel, Annual Report, 1970, 1972

المصدر :

٣ — الاستثمارات الاجنبية والقطاع الخاص :

تشير الفترة ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ الى الاعتماد الاسرائيلي المتزايد على الرساميل الاجنبية وبالتالي الى تراجع القطاعين العام والهستدروت لصالح القطاع الخاص المرتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الرأسمالي انعمالي . هذا لا يعني ان القطاعين العام والهستدروت لا يعتمدان على الخارج ، بل ان هذا الاعتماد يجري بطريقة غير مباشرة من خلال المساعدات المتأتية من الجاليات اليهودية والولايات المتحدة الأمريكية الى الحكومة الاسرائيلية .

لقد ادى احتلال اراض جديدة وتوسيع السوق الاسرائيلية الى ازدياد حاجة الاقتصاد الاسرائيلي الى هذه الرساميل . فدعت الحكومة الاسرائيلية رجال الاعمال اليهود وغيرهم في الخارج الى عقد مؤتمر في القدس في نيسان عام ١٩٦٨ لبحث الامكانية المتاحة لاستثمار الرساميل في اسرائيل . فقد قرر هذا المؤتمر الذي ضم اكثر من ٧٠ مليارديرا ، معظمهم من اميركا الشمالية ، استثمار أموال ضخمة في اسرائيل . كما قرر المؤتمر انشاء شركة استثمار دعيت بـ « اسرائيل كوربوريشن » مهمتها تنسيق وانجاز استثمارات الراسماليين الاجانب في اسرائيل .

وتطرق المؤتمر الى موضوع الضمانات التي تقدمها الحكومة الاسرائيلية الى القطاع الخاص وطالب بأن يلعب القطاع العام دور الشريك فقط على غرار اصحاب المؤسسات الخاصة وان يتقلص تأثير قطاع الهستدروت على الاقتصاد . وتصدر الاشارة هنا الى أن الناتج القومي الصافي كان يتوزع عام ١٩٦٠ حسب القطاعات على النحو التالي : ٥٨٪ للقطاع الخاص و ٢١،١٪ للقطاع العام و ٢٠،٤٪ لقطاع الهستدروت (٥) . وشيكا الراسماليون ، خلال المؤتمر ، من العوائق التي يخلقها وجود قطاع الهستدروت والقطاع العام امام توسع اعمالها ، مما دفعها لرهن الاستثمار بعدد من الشروط اهمها تخفيف اثر هذين القطاعين في الاقتصاد . والمثال على ذلك هو ما قاله الملياردير الكندي ، آلان بروغمان ، اذ طرح الاسئلة التالية : « هل يوجد تضيق على نمو الاعمال الخاصة ؟ هل تفسح النقابات العمالية المجال امام الاستثمارات الخاصة لتحصيل الارباح ؟ هل توجد افضليات للمؤسسات العامة او للمؤسسات التي تديرها الدولة ، بحيث يستطيع القطاع الخاص المنافسة وتأمين مدخول مرضي » ؟ (٦) .

هذا وبعد حرب ١٩٦٧ ، وبالتحديد بعد مؤتمر الملياردير عام ١٩٦٨ ، نمت الاستثمارات الخاصة (الاجنبية بشكل خاص) على حساب قطاع الهستدروت والقطاع العام . ومن جهة اخرى ، تقلصت ملكية الدولة في الاقتصاد باستمرار منذ ١٩٦٧ واصبحت عدة مشروعات رئيسية و اساسية تحت سيطرة القطاع الخاص والراسمال الاجنبي . فقد قامت الدولة في عام ١٩٧٠ ببيع ٢٦٪ من أسهم مصفاة حيفا و ٥٠٪ من أسهم « الشركة الوطنية للملاحة » - « تسييم » - الى شركة « اسرائيل كوربوريشن » التي يسيطر عليها الراسمال الاجنبي (٧) . وفي عام ١٩٧٣ ، سمحت الدولة لـ « اسرائيل كوربوريشن » بزيادة حصتها في مصفاة حيفا الى ٥٠٪ (٨) . كما بيعت كليا أو جزئيا منذ عام ١٩٦٧ عدة مشروعات عامة أو شبه عامة لشركات اجنبية واهم هذه المشروعات : شركة باز للنفط ، ستيل سيثي (مدينة الفولاذ) في عكا ، خط انابيب ايلات - عسقلان وشركة راسكو للبناء (٩) . وتزايدت سيطرة الراسمال الاجنبي على القطاع المصرفي وعلى شركات الاستثمار الاسرائيلية . فقد تقلصت مساهمة الدولة الاسرائيلية في بنك الانماء الصناعي الذي يلعب دورا بالغ الاهمية في تمويل المشروعات الصناعية ، من ٩٣٪ عام ١٩٥٨ الى ٥٤٪ عام ١٩٦٧ (١٠) . واصبح هذا البنك تحت سيطرة المستثمرين الاجانب . اما فيما يتعلق بشركات الاستثمار الاسرائيلية (الاسرائيلية بالاسم) . فتهمين عليها الرساميل الامريكية ، مثل الشركات التالية : Ampal, Pec Israel, Israel Investor Corp. وبلغت قيمة المشاريع التي باشرت بها شركات امريكية في عام ١٩٦٩ مبلغا قدره ١٠٦ ملايين دولار (١١) .

اما فيما يتعلق بقطاع الهستدروت ، فقد انخفض نصيبها في صافي الانتاج بين

عام ١٩٦٦ وعام ١٩٧٠ ، من ٢١٤٤ ٪ الى ١٨٤٩ ٪ . وكان الانخفاض في بعض القطاعات على النحو التالي : في الصناعة من ١٩٤٥ ٪ الى ١٦٤٤ ٪ ، في البناء من ٢٨٤٩ ٪ الى ٢٢٤٤ ٪ . وفي النقل من ٢٤٤٥ ٪ الى ٢٠٤٧ ٪ (١٢) . هذا والزم الهستدروت ببيع جزء أو كامل حصصه في عدة مشروعات الى شركات اجنبية أو الاشتراك مع هذه الشركات في مشاريع جديدة . وعلى سبيل المثال ، عرض شارل كلور ، رجل الاعمال البريطاني ، الذي يملك شركة الكترونية ضخمة (تلكو) في انكلترا ، عرض دمجها مع شركة تيراد التابعة لشركة « كور » الاسرائيلية ووزارة الدفاع (١٢) . أن اتجاه اشراك الشركات الاجنبية بمؤسسات الهستدروت قد عبر عنه ممثل الهستدروت ، اشير يدين ، اثناء مؤتمر الملياردير ، اذ قال : « ان حفرات عوفديم (التابعة للهستدروت) تتطلع باهتمام لاقامة الصلة مع رجال الاعمال الاجانب بغية جذب الاستثمارات الاجنبية » (١٤) . هذا وبين المشاريع المقدمة من قبل الهستدروت للمؤتمر الاقتصادي ، توجد عروض حول توسيع فنادق موجودة في ايلات (فندق ايلات) وفي القدس (فندق « موريه ») وكذلك بناء فنادق جديدة في منطقة تل ابيب — وقدر نصيب مساهمة الراسماليين الاجانب في هذا المشروع السياسي بـ ٥٠ ٪ (١٤) . كما باعت شركة « كور » والشركة المركزية في عام ١٩٧١ مصالحها في شركة الباصات الانكليزية « ليلند » (١٦) .

المناطق المحتلة

علقت اسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧ أهمية خاصة للمناطق المحتلة بهدف : استغلال هذه المناطق ونهبها (استخدام اليد العاملة العربية الرخيصة ، واستغلال الموارد الطبيعية ...) ، ربط اقتصادها بالاقتصاد الاسرائيلي ، استخدام المناطق المحتلة لتنفيذ البضائع المصنعة الاسرائيلية الى الدول العربية .

لقد حدد تقرير لوزارة الدفاع الاسرائيلية حول « التطور والوضع الاقتصادي في يهودا والسامرة وقطاع غزة وشمال سيناء » طبيعة العلاقة بين اسرائيل والمناطق المحتلة على النحو التالي : تعتبر هذه المناطق سوقا مكملا للبضائع والخدمات الاسرائيلية من ناحية ، ومصدر عوامل انتاجية ، خاصة اليد العاملة ، للاقتصاد الاسرائيلي من ناحية اخرى (١٧) .

١ — صادرات وواردات المناطق المحتلة :

تبنت اسرائيل ، بالنسبة للمناطق المحتلة ، سياسة « الجسور المفتوحة » التي هي جسور مفتوحة باتجاه واحد ، أي السماح للضفة الغربية وغزة بالتصدير للضفة الشرقية والدول العربية ، ومنعها من الاستيراد من هذه الأخيرة إلا بعد سماح من سلطات الاحتلال . ويقول تقرير لوزارة الدفاع الاسرائيلية : « في الواقع ، ان حرب الايام الستة قد أدت الى ازالة « الخط الاخضر » الذي كان يفصل اسرائيل عن المناطق التي تديرها حاليا ومن المحتم والطبيعي ان تعتمد هذه المناطق الآن على اسرائيل في كل الخدمات والمسائل الاقتصادية » (١٨) . هذا وازداد اعتماد الاراضي المحتلة الاقتصادي على اسرائيل خلال السنوات الأخيرة . فقد قفزت وارداتها من اسرائيل من ١٨٧ر٤ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ الى ٥٤٤ر٢ مليون ليرة عام ١٩٧٢ ، أي انها استوردت من اسرائيل ٧٦ر٥ ٪ من مجمل حاجاتها عام ١٩٦٨ و٨٤ ٪ عام ١٩٧٢ . وتشير الاحصائيات الاسرائيلية الى أن هذه الواردات تتكون بشكل رئيسي من البضائع المصنعة . ففي عام ١٩٦٨ ، كان ٧٣ر٣ ٪ من واردات المناطق المحتلة من اسرائيل بضائع مصنعة وارتفعت هذه النسبة تدريجيا حتى بلغت أكثر من ٨٤ ٪ عام ١٩٧٢ (١٩) .

ولا يستغرب ، من جهة أخرى ، أن صادرات المناطق المحتلة الى اسرائيل هي ، بشكل خاص ، منتجات مصنعة اذ قفزت هذه الاخيرة من ٣٤ر٤ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ الى ١٣٣ر٤ مليون ليرة عام ١٩٧٢ ، أي أنها ارتفعت من ٦٤ر٢ ٪ الى ٨٤ر٨ ٪ بالنسبة لمجمل الصادرات الى اسرائيل . ويبدو من هذه الارقام ان اسرائيل قد اقامت عدة صناعات ومشروعات في المناطق المحتلة حيث اليد العاملة العربية رخيصة ومتوفرة .

غير ان صادرات المناطق المحتلة الى اسرائيل شكلت ٤٦ر٦ ٪ من مجمل صادراتها عام ١٩٧٢ ، وتتوزع بقية الصادرات بين الاردن (٣٥ر٩ ٪) ودول اخرى (١٧ر٥ ٪) (٢٠) .

٢ - سياسة اسرائيل الاقتصادية في المناطق المحتلة :

تهدف اسرائيل الى ربط المناطق المحتلة اقتصاديا بها ودمجها في اطار الاقتصاد الاسرائيلي . وباشرت منذ عام ١٩٦٧ بتنفيذ خططها الاقتصادية في القطاعين الصناعي والزراعي .

ففي قطاع الصناعة ، تعمل في اتجاهين :

١ - انشاء صناعات تحويلية تعتمد على مواد اولية او نصف مصنعة مصدرها اسرائيل تضيف اليها الصناعة المحلية من فائض القيمة وتعود فتصدرها الى اسرائيل نفسها . والهدف هنا هو بالاضافة الى ربط المناطق المحتلة باسرائيل ، تحقيق ارباح مرتفعة نتيجة تدني اجور اليد العاملة العربية . وعلى سبيل المثال ، تشير الاحصائيات الاسرائيلية الى ان الضفة الغربية استوردت من اسرائيل عام ١٩٧٢ ، بقيمة ٦١ر٩٧ مليون ليرة اسرائيلية من منتجات النسيج ، ثم صدرت الى اسرائيل بقيمة ٤٥ر٤٧ مليون ليرة من هذه المنتجات (٢١) . وتظهر هذه الارقام بوضوح أكثر عندما نقارنها بأرقام السنة السابقة حيث لم تستورد الضفة الغربية الا بقيمة ١٦ر٤٥ مليون ليرة ثم صدرت الى اسرائيل بقيمة ٢٥ر٦٠ مليون ليرة (تجدر الاشارة هنا الى أن معظم تبادل هذه المنتجات يجري مع اسرائيل) (٢٢) .

٢ - انشاء صناعات تحت سيطرة شركات اسرائيلية مباشرة او بطريقة غير مباشرة (امتلاكها للخبرة او لرؤوس الاموال أو للآلات) وتعمل هذه الصناعات على انتاج بضائع تحتاج اليها اسرائيل او معدة للتصدير للاسواق العربية بعد اخفاء هويتها الاسرائيلية .

هذا وقد شهدت الاستثمارات في المناطق المحتلة تطورا هاما . فأعلنت الحكومة الاسرائيلية في آب ١٩٦٩ عن قرار تقدم بموجبه مساعدات للاستثمار الاجنبي والمحلي في المناطق المحتلة ، بما في ذلك الاعفاء الضريبي وضمانات الامن وأسعار مخفضة للمواد الاولية (٢٣) . وتم في تشرين الاول ١٩٧٣ توسيع قانون « تشجيع استثمار رأس المال » حيث شمل المناطق المحتلة وأعطيت امتيازات جديدة للمستثمرين في هذه المناطق . ومن أهم هذه الامتيازات ، إمكانية حصول كل مشروع جديد على قرض قدره ٥٠ ٪ من قيمة الرأسمال المستثمر ، كما يعفى المستثمر من ضريبة الدخل لمدة خمس سنوات .

وقد تضاعفت الاستثمارات في المناطق المحتلة في عام ١٩٦٩ بالنسبة للسنة السابقة ، اذ بلغت قيمتها ٦٧٠ مليون ليرة اسرائيلية ، منها النصف تقريبا مساهمة من الدولة الاسرائيلية . ففي قطاع غزة مثلا ، كان أكثر من ١٠٠٠٠٠ عامل في عام ١٩٧٠

يستخدم في صناعات تعمل لحساب شركات اسرائيلية فقط . ومن ناحية اخرى ، عرفت الصناعة في القطاع نظورا هاما اذ بلغ عام ١٩٧٠ عدد المعامل ٥٣٥ تستخدم ٤٥٣٠ عمالا في حين لم يكن هذا العدد الا ٣٥٠ تستخدم ٢٧٠٠ عامل (٢٤) . وتوجد في غزة ، ٨ معامل نسج تعمل بالآلات حديثة اسرائيلية الصنع ، كما توجد ٦ معامل لخياطة بعض الالبسة تعمل لمصلحة مؤسسات اسرائيلية . ويتبين ذلك في عدد العاملين في قطاع الالبسة والخياطة حيث ارتفع من ٥٠ عمالا في نيسان عام ١٩٦٨ الى ٥٠٠ في ايلول عام ١٩٦٩ . وشهدت صناعة السجاد نموا هاما بعد ١٩٦٧ نتيجة حاجات اسرائيل المتزايدة لهذه المنتجات . ففي عام ١٩٧٠ ، كان يوجد في غزة ٢٥ مصنعا لانتاج السجاد يعمل معظمهم بمساعدة الخبراء الاسرائيليين ، في حين لم يكن هناك الا ٩ مصانع قبل عام ١٩٦٧ (٢٥) .

وفي الضفة الغربية ، استخدمت اليد العاملة الرخيصة لتوفير طلبات الصناعة الاسرائيلية . ففي عام ١٩٦٩ ، كان يعمل ٩ ٪ من قوى عمل الضفة الغربية في صناعات تابعة لاسرائيل (٢٦) . وعرفت صناعة النسيج والامشحة والمفروشات تطورا سريعا في الضفة . فقد اكد تقرير لصحيفة الجيروزاليم بوست « ان محلات الخياطة تندفع للقيام بأعمال لشركات عطا وركس وبربير والاستيك وغيرها . وتتم العقود من قبل معامل الأثاث : فقد حجز معمل رامات في اللد طلبيات من شركات في نابلس وبيت لحم . وكانت شركة اسرائيلية تخطط لبناء مصنع « فرشيات » خاص بها ، ولكنها عوضا عن ذلك قدمت طلبيات من معمل في الضفة الغربية بلغت قيمتها ٤٠٠٠٠ ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ وستضاعف هذه الكمية في عام ١٩٧٠ » (٢٧) . هذا وقد ارتفعت قيمة العمل الملحق بالصناعة الاسرائيلية والذي تنجزه معامل الضفة الغربية من ٨١٠٠٠ ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٨ الى ٣٨٠٠٠ ليرة عام ١٩٧٠ (٢٨) .

وفي الزراعة ، تهدف الخطة الاسرائيلية في المناطق المحتلة الى التقليل من اعتماد الزراعة على الاسواق العربية وتحويل بعض المنتجات الزراعية حسب حاجات اسرائيل . ومن الاهداف التي رسمتها وزارة الزراعة الاسرائيلية في الضفة والقطاع : ادخال وتوسيع بعض انواع المنتجات كالتبغ والسهمس التي يحتاج اليها الاقتصاد الاسرائيلي ، ادخال المحاصيل الصالحة للتصدير .

هذا وارتفعت مساحة الاراضي المنتجة للسهمس من ١٨ ألف دونم عام ١٩٦٨ الى ٣٦ ألف دونم عام ١٩٦٩ (٢٩) . أما الاراضي المزروعة بالتبغ ، فقفزت مساحتها من ٤٥٠٠ دونم عام ١٩٦٩ الى ١٢٠٠٠ دونم عام ١٩٧٠ . وفي حين يزداد انتاج المحاصيل التي تحتاجها اسرائيل ، انخفض انتاج البطيخ من ٣٦ الف طن عام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ الى ١٤ الف طن عام ١٩٧٠ — ١٩٧١ (٣٠) .

أما بالنسبة لاستخدام اليد العاملة العربية في اسرائيل ، فقد أصبح عاملا حيويا للاقتصاد الاسرائيلي . وتشير الاحصائيات الى أن اسرائيل قد لا تستطيع التخلي عن هذه الايدي العاملة الرخيصة التي تستخدم في قطاعات اقتصادية محددة . فأكثر من ٢٥ الف عامل عربي عملوا في قطاع البناء في عام ١٩٧٢ ، اي ما يساوي ٥٠ ٪ من مجمل العمال العرب العاملين في اسرائيل . كما أن ٩٥ ٪ من مجمل اليد العاملة في قطاع البناء في اسرائيل هم من العرب .

هذا وقد ازداد عدد عمال المناطق المحتلة في اسرائيل من ٩ آلاف عام ١٩٦٩ الى ٥٠٨ الف عام ١٩٧٢ ، ويقدر عدد العمال اليوم بأكثر من ٧٠ الف (٣١) .

اعتماد اسرائيل المتزايد على المساعدات الامريكية ١٩٦٧ - ١٩٧٤

لم تكن حرب ١٩٦٧ العامل الوحيد الذي أدى الى ازدياد المساعدات والقروض الامريكية الى اسرائيل . كان هنالك عامل حاسم هو تصاعد الكفاح المسلح الفلسطيني وحرب الاستنزاف العربية . لقد شهدت المساعدات ارتفاعا هائلا خلال السنوات الاخيرة ، لم يسبق لها مثيل منذ قيام اسرائيل . فقد حصلت اسرائيل من الولايات المتحدة على شكل مساعدات وقروض ما بين ١٩٦٨ و ١٩٧٢ حوالي ١٨٢ ارا مليون دولار اي ما يزيد على ما تلقتة طوال عشرين عاما من الولايات المتحدة من ١٩٤٨ الى ١٩٦٨ ، اي حوالي ١٨٧٤ مليون دولار (٣٢) . كما يظهر بوضوح اكثر اعتماد الكيان الصهيوني المتزايد على الولايات المتحدة الامريكية بتغير تركيب التحويلات المالية من الخارج الى اسرائيل . فقبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، كان أكثر من ٧٠ ٪ من المبالغ التي حصلت عليها من الخارج على شكل مساعدات وهبات . أما اليوم ، ومع تزايد النفقات العسكرية التي يتطلبها الوضع في المنطقة ، بلغت القروض حوالي ٥٠ ٪ من مجمل الرساميل الاجنبية (٣٣) . وحصلت اسرائيل على معظم هذه القروض من الامبريالية الامريكية التي قدمت لها في العام ١٩٧٠ قرضا بقيمة ٥٠٠ مليون دولار ، في حين لم تتلق منها الا ٩٢ مليون دولار عام ١٩٦٩ (٣٤) .

واكدت حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ارتباط اسرائيل ارتباطا دقيقا بالامبريالية الامريكية واعتمادها اعتمادا كلياً عليها . ان الضربة التي وجهت للامبريالية الامريكية والكيان الصهيوني في حرب تشرين الاول ١٩٧٣ جعلت الولايات المتحدة تستأنف مساعداتها الضخمة لاسرائيل لتغيير موازين القوى لصالحها في المنطقة . ولا يمكن لكل التحركات الامريكية في المنطقة العربية ان تخدع القوى الثورية الفلسطينية والعربية ، فالمساعدات الامريكية الهائلة لاسرائيل بعد حرب اكتوبر هي بمثابة اعادة الهينة العسكرية في المنطقة للكيان الصهيوني . لقد حصلت اسرائيل بعد حرب تشرين الاول على ٢٢ مليار دولار لتمويل شراء الاسلحة ، منها مليار ونصف مليار على شكل منحة والبقية كقروض ، اي ما يوازي تقريبا المساعدات والقروض التي تلقتها من الولايات المتحدة من ١٩٤٨ حتى ١٩٧٢ . وسيصل المبلغ الاجمالي للمساعدات الامريكية في نهاية الامر الى ٣ مليارات دولار تقريبا ، بما في ذلك المنح والقروض . وعلاوة على هذه المساعدات ، طلبت الحكومة الاسرائيلية من وزير المال الامريكي ، وليم سايمون ، اثناء زيارته لاسرائيل في تموز ١٩٧٤ ، تخصيص مبلغ مليار ونصف مليار دولار سنويا وفي صورة دائمة ، لتمويل مشتريات اسرائيل من الاسلحة من الولايات المتحدة (٣٥) .

ومن جهة اخرى ، يبدو من الازمة الاقتصادية الخائفة الحالية في اسرائيل ، ان الاستثمارات الاجنبية قد هبطت بشكل ملحوظ بعد حرب تشرين الاول ١٩٧٣ . فالوضع الاقتصادي والسياسي في اسرائيل بعد الحرب الاخيرة ، لا يمكن ان يشجع رجال الاعمال الاجانب على استثمار أموالهم في الكيان الصهيوني . لقد رأينا ان هؤلاء المستثمرين يطالبون بضمانة لاموالهم ، وترتكز هذه الضمانة ، قبل كل شيء ، على ضرورة تحويل ميزان القوى لصالح اسرائيل . ويتصور العدو الصهيوني اليوم بان شن حرب جديدة على العرب هو بمثابة اعادة الثقة للمستثمرين الاجانب ! ولواجهة الوضع الاقتصادي بعد حرب اكتوبر ، ركزت اسرائيل ، اثناء زيارة سايمون ، على ضرورة تقوية التعاون الاقتصادي بينها وبين الولايات المتحدة ، عن طريق جذب الاستثمارات الامريكية . وبحث خلال الزيارة في مشروع لتشجيع هذه الاستثمارات بحجم واسع في اسرائيل . ولذلك تم الاتفاق على تشكيل ٤ لجان : الاولى للاستثمارات ، الثانية

للخبرة العلمية ، الثالثة للمواد الخام والرابعة للتجارة . كما اتفق على اقامة مجلس عام يمثل فيه كبار خبراء الاقتصاد في الولايات المتحدة واسرائيل . وستؤلف كذلك « لجنة لدراسة الاوضاع الاقتصادية » ، يشترك فيها عشرة ممثلين عن كل جانب (٢٦) . وقد وصف وزير المال الاسرائيلي ، رابينوفيتش أهمية الاستثمارات الاميركية في اسرائيل بقوله : « انها تفتح أمامنا امكانات للتصدير ، لم نحلم بها ابدا . كما يحتمل ان تكون نقطة تحول حاسمة في جهازنا الاقتصادي » (٢٧) .

الخاتمة

بعد أن حققت هدفها المرحلي الاول وهو تكوين وتثبيت الدولة ، تهدف اسرائيل الى الخروج من عزلتها الاقتصادية . فالعالم العربي يشكل ، بالنسبة لها ، سوقا طبيعية تتيح لها تسويق بضائعها المصنعة واستغلال الموارد الاقتصادية العربية . هذا وباحتلالها للمصفاة الغربية وقطاع غزة ، حققت اسرائيل هدفا جزئيا ، فهي تجني أرباحا عن طريق فتح أسواق جديدة لبضائعها المصنعة واستغلال الموارد الطبيعية في هذه المناطق ، بما في ذلك المواد الخام واليد العاملة العربية . كما يمكنها الاحتفاظ بهذه المناطق من نفاذ بضائعها الى الدول العربية .

وما تهدف اليه البورجوازية العالمية (الاميركية بشكل خاص) من خلال استثمار رؤوس أموالها في اسرائيل هو تكوين القاعدة الصناعية القادرة على خرق الاسواق العربية وجعل اسرائيل « ولايات متحدة » جديدة في المنطقة ، اي أن تلعب الدور نفسه الذي تلعبه الولايات المتحدة بالنسبة لبلدان اميركا اللاتينية . لقد عبر عن ذلك ابا ايان عندما أعلن ان اسرائيل تطمح في اقامة علاقات مع جيرانها العرب « شبيهة بالعلاقات بين الولايات المتحدة وقارة اميركا اللاتينية » (٢٨) . وفي حديث امام الأمم المتحدة عام ١٩٥٢ ، صور ابا ايان نموذج التجارة التي قد تنشأ فيما لو رفع العرب الحظر وأقيم السلام : مواد خام من البلدان العربية — إنتاج زراعي من سوريا ولبنان والاردن ، لحوم من العراق وقطن من مصر — يمكن شحنها الى اسرائيل التي بدورها تستطيع تصدير بضائع مصنعة الى البلدان العربية (٢٩) . الا ان هذا السلام الذي تطالب به اسرائيل اليوم هو بعيد من ان يحصل بسبب التناقض الكبير الذي ما زال بين المصالح الاقتصادية العربية وخاصة مصالح الانظمة الوطنية التي تريد المحافظة على نسوقها وبين مصالح الكيان الصهيوني .

- ٧ — جيروساليم بوست ، النشرة الاسبوعية ، ١٩٧٠/٣/٢ .
- ٨ — *Israel Economist* ، ١٩٧٢ ، ص ٧٥ .
- ٩ — جيروساليم بوست ، النشرة الدولية ، ١٣ شباط و٣ تشرين الاول ١٩٧٢ .
- ١٠ — التقرير السنوي ، بنك اسرائيل للانداء الصناعي ، ١٩٦٧ .
- ١١ — التقرير السنوي لبنك اسرائيل ، ١٩٦٨ ، ص ٧١ .
- ١٢ — جيروساليم بوست ، النشرة الدولية ، ١٩٧٢/٣/٢١ .

- ١ — *U. S. News and World Report* ، ١٩٦٧/٤/١٧ ، ص ٧٣ .
- ٢ — تقرير بنك اسرائيل لعام ١٩٦٨ .
- ٣ — تقرير بنك اسرائيل لعام ١٩٧٢ .
- ٤ — انظر الى دراسة انطوان منصور حول « سياسة استثمار رؤوس الاموال في القطاع الصناعي في اسرائيل » ، شؤون فلسطينية رقم ١٥ ، ص ١٠٢ .
- ٥ — Haim Barkai, *The Falk Project for Economic Research in Israel*, Six Report 1961-63, Jerusalem, Centrall Press, 1964.
- ٦ — *Israel Economist*, May 1971, p.83

- ١٢ - إسرائيل اكونوميست ، ايار ١٩٦٨ ، ص ١٨٠ .
- ١٤ - المصدر نفسه .
- ١٥ - المصدر السابق ، ص ١٩٤ .
- ١٦ - المصدر السابق ، شباط ١٩٧١ ، ص ٨٣ .
- ١٧ - وحدة تنسيق النشاط في المناطق المدارة ، وزارة الدفاع الاسرائيلية ، التطور والوضع الاقتصادي في يهودا والسامرة وقطاع غزة وشمال سيناء ، ١٩٦٧ - ١٩٦٩ ، تشرين الاول ١٩٧٠ .
- ١٨ - وزارة الدفاع الاسرائيلية ، ثلاث سنوات من الحكم العسكري ، حزيران ١٩٧٠ ، ص ٤ .
- ١٩ - *Statistical Abstract of Israel* ١٩٦٨ و ١٩٧٢ .
- ٢٠ - المصدر نفسه .
- ٢١ - المصدر السابق ، ١٩٧٢ .
- ٢٢ - المصدر السابق ، ١٩٧١ .
- ٢٣ - ISRAEL ، ايار ١٩٦٩ .
- ٢٤ - إسرائيل اكونوميست ، كانون الثاني ١٩٧٠ .
- ٢٥ - المصدر نفسه .
- ٢٦ - ثلاث سنوات من الحكم العسكري ، وزارة الدفاع الاسرائيلية ، ص ٣١ - ٣٢ .
- ٢٧ - جروسالم بوست ، النشرة الاسبوعية ، ١٩٦٩/٢/٧ ، ص ٧ .
- ٢٨ - وزارة الدفاع الاسرائيلية ، اربع سنوات من الحكم العسكري ١٩٦٧ - ١٩٧١ ، ص ٥٤ .
- ٢٩ - *Statistical Abstract of Israel* ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ و ١٩٧٠ .
- ٣٠ - المصدر نفسه .
- ٣١ - المصدر السابق ، ١٩٦٩ و ١٩٧٢ .
- ٣٢ - السجل والتقرير العربي ، ١ - ١٥ آذار ١٩٧٢ ، ص ١٢٨ .
- ٣٣ - جروسالم بوست ، ١٩٧١/٢/٢ .
- ٣٤ - جروسالم بوست ، ١٩٧١/١/١١ .
- ٣٥ - جروسالم بوست ، ١٩٧٤/١١/٢٩ .
- ٣٦ - صحيفة ידיעות احرونوت ، ١٩٧٤/٨/٢٢ .
- ٣٧ - صحيفة معاريف ، ١٩٧٤/٨/٢٣ .
- ٣٨ - « القومية والاممية في الشرق الاوسط » ، من مقتطفات ابا اييان ، ص ١١١ .
- ٣٩ - « كتاب ازرق للسلام » ، صوت اسرائيل (نيويورك ١٩٥٧) ، ص ٧٦ .

تلك صورتها .. وهذا انتحار العاشق

محمود درويش

وأريدُ أن أتقمَّص الأشجار :
قد كذب المساءُ عليه . أشهدُ أنني غطيتهُ بالصمت قرب البحر
أشهدُ أنني ودَّعتُهُ بين الندى والانتحار .

وأريدُ أن أتقمَّص الأسوارَ :
قد كذب النخيلُ عليه . أشهدُ أنه وجد الرصاصةَ .. أنه أخفى الرصاصةَ
أنه قطع المسافةَ بين مدخل جرحه والانفجار .

وأريدُ أن أتقمَّص الحُرَّاسَ :
قد كذب الزمانُ عليه . أشهدُ أنه ضد البدايةِ .. أنه ضد النهايةِ
كانت الزنانةُ الأولى صباحاً

كانت الزنانة الأخرى مساء
كان بينهما نهاراً .

وكأنه انتحَرَ
السماء قريبة من ساقه
والنحل يمشي في الدم المتقدّم
الأمواج تمشي في الصدى
وكأنه انتحَرَ

العصافيرُ استراحت في المدى
وكأنه انتحَرَ

احتجاجاً

أو وداعاً

أو سدى .

وكأنه انتحَرَ
الظهيرةُ لا تمرُّ .. ولا يمرُّ
كأنه انتحَرَ

السماء قريبة من ساقه
والنحل يمشي في الدم المتقدّم
البركان يولد بين حبات الندى .

والصوتُ أسودُ
كنتُ أعرف ان بزقاً ما سيأتي
كي أرى صوتاً على حجر الدجى .
والصوتُ أسودُ

كنتُ في أوج الزفافُ
الطائراتُ تمرُّ في عرسي
- كتبتُ -

وكنتُ أعرفُ أنَ برقاً ما سيأتي كي يعود المطربون الى ملابسهمُ
وإنَّ الطائراتُ تمرُّ في يومي
أنا المتكلمُ الغائبُ
الطائراتُ تمرُّ في عرسي
فاختزل الفضاءُ ، وأشتهي العذراءَ
إنَّ الطائراتُ تمرُّ في يومي وفي حُلمي تمرُّ الطائراتُ فأشتهي ما يُشتهي
وأحبُّ قبل الحبِّ .

في زمن الدخان يضيءُ تَفَاحُ المدينة
تنزل الرؤيا الى الجدرانِ
في زمن الدخان يُخبِّيءُ السَّجانُ صورته . .
رأيتُ رأيتُ عصفورين يَحْتَلانُ قُبَّةً
رأيتُ الذكريات تفرُّ من شُبَّاكِ جارتنا
وتسقط في جيوب الفاتحين .
وأشتهي ما يُشتهي
والطائراتُ تمرُّ

والزمن المُكَلَّسُ ينتهي في الانهيارات
الأصابعُ ظلُّ ذاكرةً على الجدرانِ
والدمُ نَطْفَةٌ أو بذرةُ
لا لون لي
لا شكل لي
لا أمس لي
إن الشظايا حاصرتني

فاتسعت الى الامام
وصرتُ أعلى من مدينتنا . أنا الشجر الوحيدُ
أنا الشظايا و .. الهدايا

أرتديك ، وأخلع الأيام
لا تاريخ قبل يديك
لا تاريخ بعد يديك
سموك البديل
لأن لون الثورة احتل الكآبة
والغزاة يشطون يديك من آثار ظهري .
أرتديك ، وأخلع الأيام
سموك البديل
وبداؤك

كان أغنيةً تغيّر أو تطهر أو تدمر أو تفجّر .
هم يبحثون عن البكارة خندقاً
ويعارسون الغزو ضد الغزو في خلجان جسمك
أرتديك .. وأخلع الأيام
سموك البديل
وهم ضحاياك .
اتسعت الى الامام ، وصحت بالأيام :
لي يوم
وخطوتها ...

أنا ضدَّ المدينةِ :
 في زمان الحرب غطَّتني الشطيَّةُ
 في زمان السلم غطَّاني العراءُ .
 عادوا الى يافا . ولم أذهب
 أنا ضد القصيدةِ :
 غيرتُ حزن النبيِّ ولم تغيَّر حاجتي للأنياءُ .
 والطائرات تعود من عرسي . تغادرنى بلا سببٍ ،
 فأبحثُ عن تقاليدي .. وموتايَ الذين يحاصرون الليلُ ، يقتربون من
 صدري ، ويزدحمون في صدري ، ولا يَصِيلون لا يصلون

كان يصيح بالأسوار :
 لي يومٌ
 وخطوتهم
 وكان البحر يرحل في المساء

وحضرتُ في جرحي وقمحكِ
 لا لذاكرتي
 ولا لقصيدة الآثارِ
 لا لبكائك الصفصافِ
 لا لنبوءة العرافِ
 يومكِ خارج الأيامِ والموتى
 وخارج ذكريات الله والفرح البديل .

حدقتُ في جرحي وقمحكِ

للأشعة فيها وطنٌ يدافع عن مسافته ، ويسقط عندما تمضي
ونسقط عندما نبقى حدوداً للأشعة .
والمدينةُ قرب حنجرتي تغني حين تسقط في مرايا النهر
صوتي ليس لاقتة
ولكني أسميك البديل .

حدقتُ في جرحي
سأتهمُ المدينة بالعدوثة والجمال الشائع الموروث من جبل جميل .
هبطتُ نساء من قشور الضوء
جاء البحرُ من نومي على الطرقات
جاء الصيفُ من كسل النخيل :
أحصيتُ أسباب الوداع
وقلتُ :

ما بيني وبين اسمي بلادٌ
ليس لي لغةٌ
ولكني أسميك البديل .

ضدّ العلاقة :

أن يجيء الوجهُ مثل الزرقة الخضراء .
أن يمضي لأرسمه على جدران هذا السجن .
أن يغزو شراييني ويخرج من يدي -
هذا هو الحبُّ الجميل .
وأحبُّ أن تأتي لتمضي .

طائرات

طائرات

طائرات .

حاور السجّانُ صمتي

قال صمتي برتقلاً

قال صمتي هذه لغتي

وأرّختُ اللقاء .

الصخرُ يهتف لاسمكِ الوحشيِّ كُمتري

وأسأل : هل تزوّجتِ الجبال

ووصمتني بالعمار والسفح البطيء ؟

وأصدّق الراوي ، وأنكسرُ :

الرجالُ

يقون كالندم .. الخطيئة .. والبنفسج فوق أجساد النساء .

وأصدّق الراوي ، وأنفجرُ :

النساء

يذهبن كالغنب .. الغبار .. وضربة الحُمى عن الذكرى وأجساد الرجال .

وأصدّقُ الراوي

ولا أجد الاشارة والدليل

وأكذبُ الراوي

ولا أجد البنفسج والحقول .

إنّ الدروب اليكِ تحترقُ .. الدروب اليكِ تحترقُ .. الدروب اليكِ

تفترقُ .. الدروب اليكِ حبلٌ من دمي

والليل سقْفُ اللصِّ والقديسِ
 قُبْعَةُ النبيِّ وبزّةِ البوليسِ
 أنتِ الآنِ تتسعينِ
 أنتِ الآنِ تسعينِ
 أنتِ الآنِ تسعينِ
 أرسمُ جثتي ويداكِ فيها وردتانِ
 بيني وبينكِ خيمةٌ أو مهرجانِ
 بيني وبينكِ صورتانِ .
 وأُضيفُ كي نلسي وكي تتذكّري :
 بيني وبين اسمي بلاد .
 حاور السجّانِ صوتي
 قال صوتي : طائرات طائرات طائرات .

سجّانُ ! يا سجّانُ
 لي وجهٌ يحاول أن يراني
 سجّانُ ! يا سجّانُ
 لي وجهٌ أحاول أن أراه
 قيدي يلفكُ بالدخانِ
 قيدي يُعيد لي الإله

لكنهم عادوا الى يافا ، ولم أذهب
 أنا ضدَّ القصيدةِ
 ضد هذا الساحل الممتدّ من جرحي
 الى ورقِ الجريدة .
 كثر الحماديون . أو كثر الرماديّون

قال البرتقالُ : أنا حيادي رمادي
 وقال الجرح : ما أصلُ العقيدة ؟
 قلتُ : أن تبقى وأمشي فيك كي ألغيك .. كي أشفيك منسي .
 والسجن يتسع .. البحار تضيق ..
 أشهدُ أنني غطيتُهُ بالصمت قرب البحر
 أشهدُ أنني ودعته بين الندى والانتحار .

والطائراتُ تمرّ في يومي
 كأن الحرب عاداتُ ولم أذهب الى الحرب الأخيرة . يخلع السجنانُ
 ألواني ويعطيني زماني كي أفكّر فيك أو بك ...
 كان يسألها ويسألها ويسألها :
 متى تأتئين من ساعات هذا السجن أو رثتي ؟
 متى تأتئين من يافا ولا أمضي الى بلدي ؟
 متى تأتئين من لغتي ؟
 متى تأتئين كي ننضي الى جسدي !

أنا ضد العلاقة :
 مرّ عصفورٌ وغطّاني وسافرَ
 مرّ عصفورٌ وجمّدي على الأحجار ظلًا
 هل يعيش الظلُّ ؟
 جاء الليل . جاء الليل .. جاء الليلُ
 من يدها ومن نومي .

أنا ضد العلاقة :

تشرب الأشجار قتلها وتنمو في ضحاياها

أنا ضد العلاقة :

أن تكون بداية الأشياء دائمة البداية -

هذه لغتي .

أنا ضد البداية :

أن أوصل نهر موسيقى تؤرخني وتفقدني تفاصيل الهوية -

هذه لغتي .

أنا ضد النهاية :

أن يكون الشيء أوله وآخره وأذهب -

هذه لغتي .

وأشهد أنه مات ، الفراشة ، بائع الدم ، عاشق الأبواب .

لي زنزانة تمتد من سنة الى .. لغنة

ومن ليل الى .. خيل

ومن جرح الى .. قبح

ولي زنزانة جنسية كالبحر

قال : حبيبي موج

وأضى عمره في الحائط المتموج .. السقف القريب وجلمه الهارب .

أنا المتكلم الغائب

سأنتظر انتظاري . كنت أعرفني

لأن طفولتي رجل أحب .. أحب امرأة تمر أمام ذاكرتي ونيراني .

ولا تبقى ولا تمضي ..

أحبُّ يمامةً سمَّيتُها وطنًا .
 أنا ضدَّ العلاقة ، والبداية ، والنهاية ، ضدَّ أسمائي .
 أنا المتكلِّمُ الغائبُ
 يغيبُ - رأيتُ عينها
 شهدتُ سقوطَ نافذتي .
 سماويُّ هو البحرُ الذي سرَّقَ الشوارعَ من يديها قُربَ ذاكرتي .
 يغيبُ -

وإنَّ أجراسًا تدقُّ على المسافة بين خطوتها ومذبحتي .
 سماويُّ هو البحرُ الذي سرَّقَ الرسائلَ من يديها قربَ ذاكرتي .

وأحضرُ - من وراء الشيء عبرَ الشيء
 أحضرُ ملءَ قبُلتها على مرأى من النسيان
 أحضرُ من خلاياها
 ومن عامودها الفقريِّ أحضرُ
 من إصابتها ببرقِ الشهوة العسليِّ
 أحضرُ ملءَ رعشتها
 على مرأى من النسيان
 لي زَمَنٌ تَوَرَّخُهُ بذورُ الجنس والعشبُ الذي يمتدُّ خلفَ الشيء
 والنسيان

أحضرُ
 كنتُ شاهدةً وشاهدها
 وصرتُ شهيدةً وشهيدها
 آتِي من الشهداء
 إلى الشهداء

أنا المتكلم الغائب
أنا الحاضر
أنا الآتي .

والصوتُ أخضرُ . إنَّ شلَّال السلاسل والبلابل يلتقي في صرخة .
أو ينتهي في مقبره
والصوتُ أخضرُ . قال لي أو قلت لي : أنتم مظاهره البروق
وهم نشيد الإعتدال
والصوتُ موتُ المجزره .
ضدَّ القرنفل .. ضد عطر البرتقال
ومع التراب .. مع اليد الأخرى .. مع الكفّ التي تلج السلاسل
والسنابل .

كدتُ أنسى . كاد ينسى التسميه :
أنتم جذوع البرتقال
وهمُ نشيد الإعتدال .
والله لا يأتي الى الفقراء ، إذ يأتي ، بلا سببٍ
وتأتي الأيجدية معولاً أو تسليه .
عادوا الى يافا ، وما عدنا
لأنَّ الله لا يأتي بلا سببٍ
ذهبنا نحو يافا - الأمنيّه .
يا أصدقاء البرتقال - الزينة اتّحدوا !
فنحن الخارجين عن الحنين .. الخارجين عن العبير نسير نحو عيوننا ..
ونسير ضد المملكه

ضدّ السماء لتحكم الفقراء
 ضدّ محاكم الموتى
 وضدّ القيد قومياً
 وضدّ وراثه الزيتون والشهداء
 نحن الخارجين من العراء لتلبس الأشجار أثواب السماء نسير ضد المملكه
 ضدّ المغنّسي حين يرضى
 ضد اعتقال المعركه !.

والصوتُ أخضرُ ..
 كان ينتظر المفاجأة - الجدارَ
 يقول : يومٌ ما سيأتي من هواء البحر ،
 أو من خصرها المشدود بين الماء والأملاح -
 آخذُ موجةً وأعيد تركيب العناصر :
 خصرها
 يدها
 نعاس جفونها
 وبروق ركبتهما .
 سأخذ موجة وتكون صورتها وأغنيتي .
 وأشهدُ أنه قطع المسافة بين مدخل جرحه والإنفجار .

الأرض تبدأ من يديه
 وكان يرمي الأرض بالأحلام -
 قنبلتي قرنفلي

وحاول أن يموت فلم يَقْضُ بالموتِ
 كان محاصراً بتشابُه يعطي المساء مداه . ينتظر النتيجة :
 كان لي يومٌ يكونُ
 وفراشةٌ بنت السجون
 والأرض تبدأ من يديه . وكان ضد الأرض .. ضد مساحة الصُّدْفِ
 التي تأتي وتذهب في الفصول .
 أَلْمَسْتَحِيلُ هُوَيْتِي
 وهويتي ورق الحقول .

والأرض تبدأ من يديه . كأنني سَجَّانُ نفسي . غاضتِ الجدرانُ في
 عضلاته ومحاولاتُ الانتحار .
 يا من يحنُّ إليك نبضي
 هل تذكرين حدود أرضي !

والأرض تبدأ من يديه ، ومن زغاريد القرى البيضاء
 تبدأ من دفاتر صَبِيَّةٍ يتعلمون
 الأيجدية فوق ألغام الحروب وخلف أبواب النهار :

جاء وقتُ الانفجارِ
 وعلى السيفِ قمرُ
 وطني ليس جدارُ
 وأنا لستُ حجرُ

والأرض تبدأ من يديه ومن نهايتها .

ويسأل : أين وقتي ؟
 قال : إنَّ الوقت من قهح
 وقال : رصاصة أولى تثير الأرض توقظها ، فتنكشف الفضاء
 والمصافير العنيفة واحتمالات البداية .
 من هنا .. من هذه الأجراس في جدران سجنني يبدأ الوقت الفدائي

أخرجني من أيّ ضلع
 خنجرأ أو سوسنه
 وادخلي في أيّ ضلع
 خنجرأ أو سوسنه .

والأرض تبدأ من نسيج الجرح .. أشبها
 وأمشي فوق رأس الرمح تشبهي
 وأمشي في هيب القمح
 واشتعلت يداه
 فرأى يدين جديدتين
 يدين حافيتين
 هل سقط الجدار ؟
 سقطت كواكب فوق عينيه ، فغنّى أو تنفس :
 إنَّ قنبلتي قرنفتي
 أريد الانتحار الانتحار الانتحار .
 - من أين يبدأ جسمه ؟
 ● من كسل قيسد وانكسار
 قال للبركان : يا بيتي البديل
 وجدت وقت الانفجار .

والياسمينُ اسمٌ لأمي . قهوةُ الصبح .
الريغيفُ الساخنُ . النهرُ الجنوبيُّ . الأغاني
حين تتكئىء البيوتُ على المساء
أسماءُ أمي .

— من أين تبدأ أرضه ؟

● من جسمه المحتلّ بالمستعمرات .
الطائرات . الانقلابات . الخرافات . الأناشيدِ
الردئيةِ ، والمواعيد البطيئة .

والياسمين اسمٌ لأمي . باقةُ الزبدِ . الأغاني حين تنحدر الجبال
الى الحريف . القطنُ . أصواتُ البواخر حين تمخرنى ، وأسماء السبايا والضحايا .
أسماءُ أمي .

— من أين يبدأ صوته ؟

● من أوّل الأيام حين تبارزَ الحكماءُ في مدح النظام ومُتعة
السفر البعيد .

فأتى ليرميهم يجرئته
وكان دويها .. والأنبياء .

لكمُ انتصاراتٌ ولي حلمٌ
دمي يمشي وأتبعه — إليها
لكمُ انتصاراتٌ ولي يومٌ

وخطوتها...
فيا دَمِيّ اختصرني ما استطعت .

وأريدها :
من ظلّ عينها الى الموج الذي يأتي من القدمين ،
كاملة الندى والانتحار .

وأريدها :
شجرُ النخيل يموت أو يحيا .
وتتسع الجديدة لي
وتختنق السواحل في انتشاري

وأريدها :
من أول القتلى وذاكرة البدائيتين
حتى آخر الأحياء
خارطة
أمزقها وأطلقها عصافيراً وأشجاراً
وأمشيها حصاراً في الحصار .

أمتدّ من جهة الغد الممتدّ من جهة انهياراتي العديدة
هذه كفتي الجديدة
هذه ناري الجديدة
وأمعن الأحلام

هل عادوا الى يافا ولم تذهب ؟
سأذهب في دمي الممتد فوق البحر فوق البحر فوق البحر
هل بدأ الزيف ؟

أريدها . قد أحرقتني من جهات البحر . والحُرَّاسُ ناموا عند
زاوية الخريف .

والوقتُ سردابُ وعينا هانوا فذ عندما أمشي إليها .
والوقتُ سردابُ وعيناها ظلام حين لا أمشي إليها .
وأريدها

زمني أصابعها . أعود ولا أعود
أسرَّحُ الماضي وأعجنه تراباً
ليست الأيام آباراً لانزلَ
ليست الأيام أمتعة لأرحلَ
لا أعودُ ..

لأنها تمشي أمامي في يدي . تمشي أمامي في غدي . تمشي أمامي في
انهاراتي . وتمشي في انفجاري .
أعودُ ..

لأنها ذراتُ جسمي . أيُّ ريح لم تبعثني على الطرقات . كان السجن
يجمعني . يرتبني وثائقَ أو حقائق . أيُّ ريح لا تبعثني
أعود ..

لأنها كفي . أعود لأنها بدني

أعود

لأنها

وطني

أعود

حين انخمت في الريح
قال : تكون قنطرةً وأعبرها إليها

وبني أصابعه من الخشب المحبباً في يديها .
 البندقية والفضاء وآخر القتلى . سأدفن جثتي في راحتها .
 وستضرمين النار .
 قالت : أين كنتَ
 ففرّ من يدها الى اليوم المرابط خلف قامتها . وغنّى : أيها الندمُ
 اختصرني بندقية
 قالت : لتقتلني
 فقال : لكي أعيد لي الهويّة

وقفت ، كمادتها ، فعاد من انحناءتها الى قدميه
 كان طريقه طرقاتاً وكان نزيفه أفقاً
 وكان يدور في الماضي ولا يجد اليدين وكان يحلم باكمال الحلم
 ما بيني وبين اسمي بلاد . حين سميتُ البلاد فقدتُ أسناني . وحين
 مررتُ باسمي لم أجد شكل البلاد .
 الحلم جاء الحلم جاء وكان يسأله : من الأصل العيون أم
 البلاد ؟

قال المغنّي للضفاف :
 الفرقُ بين الضفتين قصيدي .
 قال المهاجر للوطن :
 لا تنسني .
 والياسمينُ اسمٌ لأمي . والزمنُ
 عشبٌ على الجدرانِ
 قال البحر . قال الرمل . قال البيت . قال الحقل . قال الصمتُ
 لكنّ المغنّي قال قرب الموت :

إنَّ الفرقَ بين الضفتين قصيدتي
وأراد أن يلغي الوطن
وأراد أن يجد الوطن .

هل تُكملين البحر ؟
هل تأتيين من ساعات هذا الموج
أم تأتيين من رثتي .. وهل تأتيين ؟
هل نمشي على السكين برقاً
أم دماً نمشي ؟
أحبُّك .. أم أحبُّ نتيجتي في حبِّك التكويني ؟
قد قالت لي الأيامُ :
إذهب في الزمان
تجد مكانك جاهزاً في وقت عينيها
فقلتُ : العمرُ لا يكفي لقبْلِتها
وهذا العمر ..

قد قالت لي الأيامُ :
إذهب في المكان
تجد زمانك عائداً في موج عينيها
فقلتُ : الجسمُ لا يكفي لنظرها
وهذا البحر

ما اسمُ الأرض ؟

بجرٌ أخضرٌ . آثارُ أقدامٍ . دويلاتٌ . لصوص . عاشقات . أنبياء .
 آهٍ ما اسمُ الأرض ؟
 شكلُ حبيبةٍ يرميكَ قرب البحر .

ما اسمُ البحر ؟
 حدُّ الأرض . حارسُها . حصارُ الماء . أزرقُ أزرقُ امتدَّت يدان
 الى عناق البحر فاحتفل القراصنةُ البدائيُّون والمتحضرون يجُمعةً .
 فصرختُ : أنت البحرُ . ما اسم البحر ؟
 جسمُ حبيبةٍ يرميكَ قرب الأرض .

قد قالت لنا الأيامُ :
 تلتقيان . تلتحمان . تنهمران
 قلتُ : لها انفجاراتُ
 كأنَّ البرتقال لهيبها الأبديُّ
 تنفجرين . تنفجرين . تنفجرين في صدري وذاكرتي . وأقفز من
 شظاياك الطليقة وردةً ، ورصاصةً أولى ، وعصفوراً على الأفق المجاورُ
 ولي امتدادُ في شظاياك الطليقة . إنَّ نهرأ من أغاني الحب يجري
 في شظيته .

قد بعثرتني الريحُ ، فاختنقتُ بأصوات الملايين
 ارتفعتُ على الصدى وعلى الخناجر .
 شكراً ! أنام على الحصى فيطير

شكراً للندى .
وأمرٌ بين أصابع الفقراء سنبله ، ولافتة ، وصيغَةَ بندقيته .
ضدَّ اتجاه الرياح
تتفجرون تفجرون في كل اتجاه
تنتهي لغةُ الأغاني حين تبدئين أو تجدُ الأغاني فيك معدنها ..
رصاصتها .. وصورتها
أقول : البحرُ لا
والأرض لا
بيني وبينك « نحن » . فلنذهب لنلغينا ويتحد الوداع .

الآن أغنيتي تمرُّ .. تمرُّ أغنيتي على أفق نيبدي . ويسقط في أغانيك
البياض .

الآن أغنيتي تمرُّ .. تمرُّ أغنيتي على مُدُن السواد .
فتسرُّ حين الشَّعر ، او تلتناثرين على الخرائط والبلاد .
والآن أغنيتي تمرُّ .. تمرُّ أغنيتي على حَجَرٍ فيزهري في يديك اسمي
ويتحد اللقاء .
ماتوا ولا تدرين . لكنَّ الجدار يقول ماتوا في تساقطه ولا تدرين . ماتوا ...
تلك أغنيتي ووجهك طائرٌ ومدى
يودعني الوداع
وساعةُ الدم دقت الموتى

وموعداً النحاسي ، الدخاني ، الحريري المزود بالزلازل والمقيّد
بالجدائل .

الآن تنتحرين .. تنتصرين .. تنطفئين .. تشتعلين في الميدان والنسيان

دقّت ساعةُ الدم

دقّت الموتى

ليفتتحووا نشيدَ الفرق بين العشق واللغة الجميله .

هو أنت

أنتِ أنا

يغيب الحاضرُ العليُّ . يأتي الغائب السريُّ .. يلتحمان .. يتحدان في
المتكلم المفقود بين البحر والأشجار والمدن الذليلة .

والآن أشهد أنني غطّيته بالصمت قرب البحر ..

أشهد أنني ودعته بين الندى والانتحار .

قال : انتحرتُ . وردّ معترداً : أتيتُ .

وقال حارسُه الزمانيُّ : انتحارك انتصار .

الانتحار - الانتصار يمدُّ جسراً

هكذا بينون نهراً

قال : ماتوا

ردّ معترداً : لقد وضعوا حدود الانتحار .

والآن أغنيتي تمرُّ .. تمرُّ أغنيتي

وتلتحق الخطى بدمي

دمي المتقدم

الفتياتُ تخرج من أزيز الطائراتِ

البحرُ يخرج من خدوش الاسطواناتِ

المدينةُ قد أعدتْ عرسها

وجنازتي

وتمرُّ أغنيتي ، وترمي عادة الأزهار في الأنهار . سيّدتي ! سأهديك
انتحاري الساطعِ اختصري نعاسكِ وانفجار الشارعِ ، اختصري المسافة بين

سكّيني وصدري

واستقرّي أنتِ بينهما بلاد .

النهرُ يعفني من التاريخ

والجلادُ أعفاني من الذكرى

فأنسى حصّتي من جنّتي الأخرى

وأهديك التّمّة والحوار .

قال انتحرتُ . وردّ معتذراً : أتيت . وقال حارسه : رأيتُ القمح

ملء يديه

عند الانتحار

كانت يدها خريبتين : خريطة للحلم تمطر حنطة

وخريطةً لمحاورات الانتظار

والطائراتُ ؟ سألتُ

قال : تمرُّ في يومي القديم .. يُحَلِّقُ الأطفال . يمتهجون في السنة
الجديدة . يجعلون البحر أصغر من زوارقهم
أنا أعتاد هذا الموت . أعتاد الرحيل الى النهار .

والآن أشهد أنه قطع المسافة بين مدخل جرحه والانفجار .

الحلم يأخذ شكله
فيخاف
لكنَّ المدينة واقفه
في أوج قيدي
وانفجار العاصفه
مَطْرٌ على خيلٍ
وأعدنا لك الفرح الترابيَّ الجديد
خيل على ليلٍ
وأعدنا لك الفصح الخواتم والنشيد
والحلم يأخذ شكله
ويصير صورتك العنيفه
موتي : أو اختصري هنا موتاك
كوني ياسميناً أو قديفه .

والحلم يأخذ شكله
فيخاف
لكنّ المدينة واقفه
في قمّة الجرح الجديد
وفي انفجار العاصفه .
ماذا تقول الريح ؟
نحن الريح نقتلع المراكب والكواكب والخيام مع العروش الزائفة
ماذا تقول الريحُ
نحن الريحُ
ننشر عار فخذيك السماويين
ننشر عارنا
ونطيل عمر العاصفه .
ليلٌ على موتٍ
وأعدنا لك المهديّ الحضانه والجبلُ
والحلم يشبهنا
ويشبهك المغني والمنادي والبطلُ
والحلم يأخذ شكله
فيخاف
لكنّ المدينة واقفه
في شعلة النار الطليقة

في سرايين الرجال
ذوبي ! أو انتشري رماداً أو جمال
ماذا تقول الريح ؟

نحن الريح
نحن الريح
نحن الريح ...

دليلة

(إلى فتح في العيد العاشر لانطلاقها المسلحة)

صخر

عندما تضرب الحقيقة بمهمازها جلد التاريخ وتحفر فيه اخاديد الصدق ، تنهاوى تراكمات الزيف ، وتطل دليلة الفلسطينية لتسجل في هذا العصر الزاحف نحو أمساتي الفقراء هجرة العذراء الغزاوية التي ما عشقت إلا تراب فلسطين . ولا نذرت عمرها الا من أجل حرية شعبها . ان ما لفته اعداؤها عن علاقتها بشمشون لم يكن في الحقيقة الا علاقة المناضلة الثائرة بأعدائها ، تقاطعهم من أجل الخلاص ، من أجل الحرية ، من أجل تأكيد شخصيتها الفلسطينية . ودليله لم تياأس من عقبة وله تسفلسم لقوة العدو الخارقة وانما اثبتت بنضالها المستمر وطول نفسها على ان قوة الحق تدمر باطل القوة . ودليله كانت سهما تجمع في زئد فلسطين وانطلق نحو الحسرية عاصفة ورياحا تطمر عشقا عربي القلب ، فلسطيني الوجه ، جبيلا كالمهر الراضق قيد السرج الشامخ فوق الاعناق . يتمختر كالامل النوراني ، يصانح وجه الله ، ووجه القدس ، براق . وكانت نصائح دليلة دائمة الصواب ، وهي تؤكد في هذه الايام على وصيتها الازلية وهي ان من يبني تحقيق النصر فان عليه ان يجتث الخطر من جنوره .

[١]

يحملني أملٌ أزي
يترجح حيناً أخشى
أنسى ان التاريخ معي
وافيق لاحلم بالأمل الازلي
تتكسّرُ مرآتي
فافتش عن لوني بين فتاتِ الضوء
فالمح في العتمة لوني المرئي
أنسى ...
أتذكّر ... أنسى
ويعوت النسيانُ
فصوت العاصفةِ يمزق رحم الصمتِ
فيولد صوتي

أتحرك والجبس الرسميُّ يُكبَّلُ همسي
أفتح عينيَّ فأسمع لحنَ الفتحِ
فاقتل موتي

من طاقةِ كوخِي يمتدُّ رغيْفٌ يتشاءبُ فوق شفاهي
يسرقُ جوعي
أشتمُ نُخطى الفقراءِ تُغازلُ اغصانَ الزيتونِ
وترصفُ شوقَ الارضِ بأوردةِ الأملِ
وتسكبُ روحَ الخلدِ على نفسي

عيناي تلممُ اوردةِ الجوعِ
وتنشرها فوق خيامِ الشمسِ
وتحت بقايا اوراق خريف الامسِ
فاسمع لحنَ سلاحِ
اسمعُ لحنَ ربيعي

— قومي اواه ... دليلةً

وأراهم حولي
فتفيض من الفرح دموعي
وأراهم أهلي
أتساءل ... ماذا ..؟ ولماذا الصبر؟
لقد فرش النسيان كآبته فوق ضلوعي

يبكون ... أصدقهم
واكذب تجريتي .. وذكائي
اتماوج في أعينهم .. ارتشف رحيق الصبر
والعق همس جراحي ..
فيبيعون بكائي

اتساءل عن سر الخوف وعن سر الضعف
وأعرف ان إله الرعب أسيري
ينامون وطويلا ... وانا واقفة

ويفوقون وعمري يتأرجح بين سماء الخوف وبين ضميري
 تشخص أعينهم وجلا
 هذا هو شمشون طريحا فوق سريري
 من منكم يحمل سيف صلاح الدين؟؟
 تطل سيوفٌ سميع .. بدون صلاح
 يقتتلون ... ويذسون مصيري

[٢]

يتناثر جسدي بين لغات الأرض ولا أنسى لغتي
 وأنادي شجر الزيتون فيفهمني ... ويداعب شفقي
 وأكلّم أمواج البحر فيغرق صوتي في بحر اللهجات
 ويمتد الساحل كوباً تختلط به كل سوائل هذى الأرض
 وتنتفخ الأسماك حبالى
 واحاول ان افهم ماذا .. ولماذا يغرقني السمسار
 بأكوام بضائع مستوردة بالخوف .. وبالثمن
 وباسم الله تبارك وتعالى
 وصراخي واعرباه تأرجح بين البحر وبين الصحراء
 وغزة بوقي
 واريجا سكين تعطي شيلوك مزيداً من لحمي
 ودمي وعروقي
 سمسار اللحم يلمس لحيته .. ويعدل عمته
 ويكزّ الأسنان
 يراني سكيننا لاهبة كالقدر تعشش في الأقصى
 فيبيع الرملة ... واللذ ليقتل شحذي
 ويغازلني ..
 ويصافح شمشون
 وقلبي يفرد أجنحتي فوق خيام تتجمع فيها اوردي
 عقلي ... ودمي ... عيناى
 تجمّع جسدي في فخذي

اشلائي تنتظر صقور الفتح وايزيس دليل
 تعرف كيف يفتت لحم العشاق
 واين يُخبأ لحم العشاق
 وجدائل شمشون قيود تتناثر كالليل تعشش في الآفاق
 ويهوذا ينبش تحت جذور الأقصى يبحث عن بذره جنّي
 ويعمّق في الماضي المنسيّ الانفاق
 هذا هو يومي المتلكيء تغزوه بواخر صيد الارض
 تترجم يوم حصادي ثمرا مصبوغ القشرة والاسم
 فتصبح يافا .. جافو في الاسواق
 وجفوني الذبلي كم عطشت للنور .. تطرّز عمري حبا يتسكاثر
 والغرزة تلو الغرزة .. وفراشات القز تجمّع الواني
 ثوبا يسرق ... ينسخ ... يطبع
 ويعلّق في دور الأزياء غريب الاسم
 وتُسلب مني الاحداق
 يا نفس اتكئي تحت ركيزه دالية تقطر خمرا
 فاهوس الدولي المتحطّم في الفيتنام
 يزواج بين الضدين ... النفط .. ونار العشاق
 ما بين الشمس وبيني تتأرجح نجمة شمشون
 تلمم اضواء الوطن العربي
 وتقتلع جذور التاريخ من الأعماق
 وكأية زوبعة تتلاشى النجمة حين تهب الشمس
 رياحا تظفر عشقا عربي القلب
 فلسطيني الوجه ...
 جميلا كالمهر الرافض قيد السرج
 الشامخ فوق الأعماق
 يتمختر كالأمل النوراني
 يصفح وجهه الله ...
 ووجه القدس ... براق

[٣]

عاشقة قالوا ...

وجزاء العشق الحرق ...

فمن يحرقني

وتمزق ثوبي يقتسمون شظاياها

الفاء .. اللام .. السين

الطاء .. الياء .. النون

ويختلفون

وبين الحزين اضاعوا فلسا في الطين وتاهوا

عطشوا فامتدت السنة للنهر تغير مجراه

عاشقة قالوا ...

وأقول انا عاشقة عطشى للحب فمن يروي عطشي

من يسدل فوق عمى عيني ستاراً من غبش

أتلمس عن كذب صوت الزعماء

المتذبذب بين الهمس وبين الاعصار

يغطي صوت ملوك النفط الناقد كالديك الحبشي

اتلفت ضاع يميني ... ويساري

عاشقة .. من يقتل حزن العشق بسيف

لا ببيان ناري ..

من يسكب طعم العنف على اشعاري

وجزاء العشق الحرق ...

فمن يحرقني ... ويحرق داري

وصبرت على جمر لا يطفئه الموج وهمسي يتصاحب

فوق هدير البحر ...

فما خفت هدير البحر ولا خافت عكا

وتجذرتنا في غزة ... والكرمل

زورعنا في وادي الباذان ..

حواقر خيل الفرسان
 وصرخة زيد دكتهم دكا
 باسم الفقراء كتبتُ على أوراق الزيتون اسمي
 وغرست سناسلمهم كهريت الحقد ..
 يوضع وقد لمستهُ الثورة في شغف مسكا
 اتنشق رائحة القسام
 سحابة عشق تتلألأ فوق القسطل
 اعبر بين شقوق التاريخ وافضح كل الأسرار

هذا هو عشقي

يا زمن الفقراء

ترقب كيف يصير العشق دما .

حين تغازل ريح الجوع عيون الفقراء

حاصرهم جوع القحط

وجوع النهم المنتفخ السارق من اعينهم لون القمح

حاصرهم سوط المهاز

ولون العرق المترامي

يحرث ... يبذر ... يحصد

يطحن ... يعجن ... يخبز

ثم يجوع

يا زمن الفقراء

ترقب كيف ستصرخ فاء الفقراء لتصبح فاء الفتح

وكيف ستزهر تضحية الفقراء لتعطي تاء الفتح

وكيف تفجر فتح الحاء فتزهر حرب الشعب

لتعطي الأرض

وتعطي الحرية للفقراء .

[٤]

يحملني أمل أزلي

يتخرج حيننا اخشى

أنسى ان التاريخ معي
وأفوق لأحلم بالأمل الازلي

تتكسر مرآتي

فافتش عن لوني بين فتات الضوء

فالمح في العتمة لوني العربي

أبحث عن أهلي بين خبايا الغفلة

أحجية يتساقط منها العقل

وفي بؤرته مليون فقير جانب كل غني

مليون ذكي يحكمهم تاجر نفظ

وتحيط بهم كالليل حظيرة بدوي

أتساءل .. من سيقص ضفائر شمشون ..

وهذا السيل طلائعه جوعي

يرثون الفقر وأيديهم تنبعثر باحثة عن حزمة ضوء

عن قمر وردي .

— نامي ... واتكثي فوق الموج دليمة ...

جاء الصوت

فمقص العصر بليد الشفتين

يحيط به الحراس

ويلعب ضمن وفاق الهمسة والصمت

— نامي ...

وانام ...

واحلم بالامل الازلي وارقب كيف يجيء

يتسلل ... يقطع شعرة جفن .. يخطف طعام النوم

ويصرخ شمشون

وقبضته تتساقط غيظاً تسحق اي بريء

يتكاثر فعل الغيظ ورد الفعل

يتساقط شعر القتل

ما بين جدائله والليل نهار يمضي كالبرق ويبقى الليل

والغيظ يروح ويأتي ... والحلم بطيء
 وأنا عاشقة ..
 اشتم أريج فداء يسألني قبلة حب فأذوب على شفثيه
 واسأله ان يبقى ويذوب معي
 يتصاعد مثل خيوط الفجر وينسج قامته في الأفق
 ألملم ذاكرتي وأراه يفيض دماً يتجمع في شفق ويعود إلي
 بالفرح يعود إلي
 أتلقف بسمته فتحيط بنا غيات سود
 تزرعه خلف النسيان
 وتقدفني خلف القضبان

وأمزق حلمي
 أتذكر ان التاريخ معي
 فأمد يدي وراء الغيم الأجوف أبحث عن رائحة الماء
 فتعانق راحتي السكرى شمس الحرمان
 ويشور الغيم .. ولا يطر
 يعصره ليل حزينان
 يتلاشى الدجل ... فتهرب من ذاكرتي كل الأسماء
 أنسى .. أتذكر أنسى ...
 ويموت النسيان
 فصوت العاصفة يمزق رحم الصمت ... فيولد صوتي
 أتحرك والفشل الرسمي يفجر همسي
 افتح عيني .. فأسمع لحن الفتح ... فاقتل موتي

[٥]

يا هذا الورد المتفتح في الغور يقيني أنك تعصر جرح الشرق
 فاني ألس طيباً حين تطل من الشرق غمامه
 يتناثر حولي مطر الخوف فلا يلمسني
 هطل ... لا تبتل غصون الزيتون

ويهطل .. يحرق كل الزيف الأخضر ..
 يتفجر حولي غضب الماء .. يفيض التنور
 وفي زمن الطوفان تثور الارض المحتله والغيم معاً
 فتفيض على الغور كرامه

ويعانق جرحي همس الماء العاشق
 يحفر في كفي وشم حمامه

ويضم جراحي .. وسلاحي مطر الوديان
 يتساقط شعر الزيف النبات زورا في ليل حزينان
 ويعذبني الشوق لهُمسٍ تتعانق فيه الكلمات
 تموت فواصلها وتذوب الأحرف في كأس
 يحمل لون تراب الوطن المحتل

ما أجل ان يتعانق اسمي .. واسم ابي حركيا فوق اجازةٍ فتح
 أحمل رائحة العشق .. واتشج بكوفيةٍ عاشق لون القمح
 وعلى كتفي يتألق لون جواز السفر .. وفي يدي المنجل
 أبحث عن فرحي العربي ... اتوه ..

وفي زاوية مية . فتشت عن التاريخ .. وجدت عظاما
 ووجدت سلاسل من ذهب
 ووجدت قلائد من كذب
 ووجدت سلاما ...

لكن من حطب
 يتجمع حولي فرح عربي .. يخضب شهر الغسل ...
 فأحسبها حطين

يتدفق مني الفجر فألمح في عمان غرابا يسرق خمري
 وبطل على شفقي «رورجز» يغطي عورته بوشاح صلاح الدين
 يتمزق وحل التاريخ الأيلولي شظايا
 تشنق خارطة التاريخ على صلبان رماح تتألف في صفتين
 وفي دبّين

هذا هو عشقي
يا فارس حلمي المتأرجح بين الزرقاء وبين الصحراء
تحاور في جدة كالسيف فتصلب في الفردان
وما عرفتك خيول الهرب
وقولد منك .. وفيك الاحزان
تصب على ايلول لظى يحرق ذاكرة النسيان
أراك تحاور كل بقاع الأرض الضائعة
وتغرس فيها من ثوبي علما ..
وتطرز وجه الكرة الأرضية باسم فلسطين
وتكشف سر الأرض
لقد هَرَبْتَ يوماً من سجن الشمس
وبيت المقدس اول من ثار ..
هذا هو عشقي
فالآن عرفت لماذا يهوى الله الثوار

[٦]

هذا هو عشقي
فالآن عرفت لماذا كان يُحَارَب كل الثوار
عرفت لماذا يختلط الأمر فلا يُعرف ابليس من القديس
ولا يُعرف كيف يساوم باسم العربي وباسم الجوع وباسم الفقراء طواويس
وكيف زمام الأمر يلوح شهياً تعشقه كل اذاعات العرب .. تغنيه
يتجاهلني الحقل فاتموا فيه
أزحف ... أتفشى .. وأعطيه
ألملم أطرافي .. اتشامخ هرما يعرف معنى العشق ومعنى البغض
وأرفع صوتي .. أتناثر في أعين من حرموني اسمي
هذا هو عشقي
أقف الآن على درب وردي يتشعب مني فيغطي الأرض
عيناى تلملم أوردة الجوع .. وتنشرها فوق خيام الشمس
وتحت بقايا أوراق خريف الأمس

أضم سلاحي ..
أسمع لحن سلاح يأتي من حولي
وأرى أهلي

يتسابق فيهم صوت العشق
فيحملهم أمل أزلي يعبر في بوقي ..
يتعاطم يصبح غابة حب

يتكاثر فعل الغيظ .. ورد الفعل
يتساقط كالباروكه شعر القتل

وهشيم حزيран يصير دخاناً في رمضان
يتهاوى شمشون بلا شعر ...

من يحمل سيف صلاح الدين ..؟؟
والمح كل سيوف العرب مخضبة بالنفط
تحارب ضمن حدود وفاق الهمة والصمت
وأصرخ ...

يا حراس المعبد ما زالت في الحقل ثعالب شمشون
وما زالت عيناه مخضبتين بمقد الجرح

أفتت بين أياديكم صور التاريخ

وتتعتشون بنشوة كأس تذهب سكرتها

وأحذّر من هوس دولي تصخب همسته فتمزق صمت الريح

فأني ألمح خلف البسة وجه الاستعمار قبيح

اتساءل والفرحة بالألم تمزق ذاكرتي

كيف حصدنا من وحل حزيран صموذا

ولماذا نحصد ما نحصد الآن ؟

اتساءل كيف نخادع شجر الزيتون

لأن زكام العصر يبدّل رائحة الزيت

وكيف نصدق ان الأفعى تصبح قبيرة ان غيرت الجلد .

هذا هو صوتي

ينذر .. ويحذر .. ويذكر كيف تهاوى المعبد

كيف « على اعدائي يا رب » تصير مساده
 فمقص العصر بليد الشفتين تجلّد في رمضان ونام
 وهذا زمن أصبح فيه النوم عبادة ..
 يتفاخر فيه الساسة من منهم أكثر في معركة الشتم ببلاد
 يتفجر عشقي .. غيظاً
 وأمامي صورة صحراء تتمزق بالخوف الذري
 ويعصرها سم الحية
 اتذكر كيف يموت الخوف
 أنام .. وأحلم بالأمل الأزلي .. وأرقب كيف يجيء
 تملأني الريح بعاصفةٍ ... وبلحن الحرب الشعبيه .

[٧]

يا أملي المتنامي كالأطفال المتشامخ فوق عظامي وعيون الشهداء
 تكسّر كل اغاني الخوف
 وتسكب روح اليقظة في الأعياء
 تذوّب الوان الزيف
 بصابون الماء
 يتركز فيك الزمن وتلتحم الأشياء
 وتعبّر بين مسامك انفاس شموخ الفقراء
 تغيّر خارطة الغاب
 بقانون العنف العاشق
 وتصب على لغة الارهاب
 حروف الحب الحارق
 كم درب عبرته الشمس أمامك ... ضاعت ..
 غمرتها العتمة في وحل سراديب الذهب النفطي
 والشفق الوردي يمازج ألوانك بعيون الشعب
 ويفرش أنفاسك فوق أريج الزيتون وصوت البارود
 وتنمو .. يتعاظم فيك شعاع من عصر ضيعة التجار
 يذكر أن وصايتهم بئر عطشان لضحيه .

يا أملي .. ثوبي يتجمع فيك وتصبغه ألوان الغربية
 عاد بتجربة التاريخ من التخمة ... والجوع .. وفيه
 نشيد الخيمة
 وشواهد كل مقابرنا المجهولة ... والمنفيه

حاربت بسيف الوعي ...
 فحاذر ان يسقط سيفك ...
 فالغزو الفكري يذوّب اسمنت الهرم فينهدّ بنسمة أغنيته
 وتشبث بالصوان . فان الريح على قدميه تذوب
 وحاذر لمعان حجارتك .. ولا يخذلك بريق الزيف
 فأقصى أنواع الصخر الفقراء ..

وأعق أمواج الريح تهاجم في القمة
 وغبي من يخذعه الوهج هشيما ..
 فالهرم المرصوص يعانق درب النصر ..
 والهرم الاجوف ... قبر

وسياج الهرم الوعي ... ووعي الهرم سلاح
 يكذب من يرصف أشواق العالم بالخلد وينسج رائحة النصر
 بعيداً عن بحر المدن العاشقة
 وعن لهثات الايدي المشدودة فوق محارث الريف
 وعن رائحة الصحراء

يكذب من يحلم بالنصر بلا جيش الفقراء

يا أملي الوردى .. لهاث الغيم الاسود يحلم ان يجعل من املي .. المي
 يتسلل كالطاعون ليسرق اسمي وليحرق علمي
 وعلى كعب البارودة محفورة اسمي وعلى غصن الزيتون
 وفوق مآذن يافا ... وعلى صلبان القدس
 وفوق عيون القمح

وستبقى يا أملي ... املي
 فاسمي يتعانق واسم ابي حركيا فوق اجازة فتح .

عالم الدلالات في الشعر الفلسطيني

الياس خوري

— ١ —

تأخذ القراءة النقدية للنتاج الأدبي الفلسطيني معنى خاصا ، حين تأتي من داخل هذا النتاج بوصفه ممارسة تتشكل من خلال التقاء مستويين من الرؤيا الإبداعية داخل حقل واحد . فهذان المستويان : مستوى الانطلاق من حيز مكاني ، داخل دلالات المكان ، أو الامتداد نحو المكان وشحنه بالدلالات التاريخية والمستقبلية ، لأنه يشكل من الداخل والخارج إطار الصراع ومدخله والحس الأولي الذي يمتزج به . ومستوى البحث عن مناطق أشغال الواقع وتفجيرها في سبيل الوصول إلى أقصى درجات التوتر الصدامي الذي يفرض وعيا مأساويا هو جزء من مفهوم المعركة المفترضة أو التي تخاض باسم الشعب بأسره . في نقطة التقاء هذين الحدين ، تتكون الملامح الخاصة للصوت الأدبي الفلسطيني حيث النقطة المخورية هي في **دلالات المكان** . هذه الدلالات هي نقطة الانطلاق التي تشحن الرؤيا وتقيم للزمن الثقافي أبعاده الجديدة . أي ان أشكال المواجهة التي تتخذ من الشعر أو القصة والرواية مسرحا لها ، لا تبقى محدودة في التحليل النهائي بنقاط انطلاقها ، بل يأتي الرمز أو عالم العلاقات الفجعية ليشكل المقرب الذي يعطي مدلولات جديدة للأشياء . فتصبح هذه المفاصل بدايات جديدة داخل حقل يتعدد ، وتتمايز الأصوات فيما هي تحاول الاقتراب من نقطة مفترضة هي ايصال هذا الوعي العام إلى أقصى درجات توتره . هذا التعدد في المقتربات وعالم العلاقات الدلالية هو الذي يكون **الزمن الأدبي** . هنا لا يعود الموضوع حدا ، بل يصبح مدخلا . لا يرسم المكان الأطار ، بل يفتح إمكانات عدة . فالزمن الأدبي هو عالم الدلالات التي تتركب داخل كل بنائي . فاكشفنا تطور الدلالات وإطار هذا التطور هو المدخل النقدي الذي يواكب المدخل الإبداعي الذي يقيم هذه العلاقات الدلالية في مستوى تطور الإشارة وتطور علاقاتها الداخلية . عند هذه النقطة يتحول الزمن الأدبي إلى زمن العلاقات المتشابكة ، ويتحول بعده الأيديولوجي إلى جزء من المقرب الأدبي العام . فيفقد هذا البعد استقلاله داخل العمل ، ليبقى محددا لافاقته ، وإطارا لدراسته في التنظير الذي يكفينا من البنية الأدبية ببعض نقاطها . هنا نصل إلى السؤال الأساسي الذي تطرحه الممارسة الأدبية على نفسها . كيف نصل إلى تفجير الأبعاد التعبيرية داخل الحقل الأدبي ؟ كيف تتمفصل عناصر هذه الأبعاد في وحدة متكاملة هي بنية العمل الأدبي ؟ عند نقطة هذا التساؤل المشروع يفقد الأدب الفلسطيني طابع فلسطينيته ، بمعنى خصائصه الثابتة المتميزة . فيتحول من مجرد ظاهرة ثقافية ترافق ممارسة نضالية محددة — حركة المقاومة — إلى حقل لا يمكن فهمه ودراسته ، إلا من خلال إدراجه داخل كيف أكثر اتساعا وشمولا . داخل بنية الأسئلة التي يطرحها الأدب العربي على نفسه . لكن الخصائص التي ينفرد

بها الادب الفلسطيني ، تبقى خصائصه ، لانها تتبع من خصوصية اطاراته وطموحه .
 فدلالات المكان ، حين تتحول داخل اسئلتها الى زمن ادبي ديناميكي ، تنتقل الى مستوى
 اخر من البحث لا يقلل من مدلولاتها الفنية — السياسية ، بل ينقل هذه الدلالات الى
 حيز اكثر شمولاً ، لتتداخل مع تساؤلات الثقافة العربية الأكثر الحاحاً وجذرية .
 فتتفاعل معها وتتداخل بها . من هنا لا يمكن دراسة النتاج الادبي الفلسطيني بمعزل عن
 حركة المقاومة ، كما لا يمكن فهمه من داخل هذه الحركة فقط . فتتركب أبعاد المعادلة
 الجديدة التي تمتد داخل الحقل الادبي العربي بأسره ، حيث تلعب ممارسة النضال
 المسلح دوراً مؤثراً بالغ الأهمية .

الزمن الادبي ، هو مجموعة من الأزمنة المتداخلة . فهو ليس زمناً تطورياً ، انه زمن
 تداخلي . فالدلالات التي يمكن استخلاصها من خلال دراسته لا تتبع خطاً مستقيماً يمكن
 تحديده سلفاً . فالوعي المساوي ، حين ينسج اطاراته داخل رؤية فنية محددة ، فانه
 يتطور بالعلاقة مع نفسه أولاً ، أي بالعلاقة مع أشكاله الخاصة . ومن داخل هذه الأشكال
 تخرج الدلالات غير قادرة على المطابقة مع تاريخها الخاص . فلا تتحدد دلالات الكلمات
 مسبقاً ، من داخل تاريخها بل تتحدد من خلال علاقاتها ومستقبل هذه العلاقات الذي
 تستشرفه . لا تتبع تداخلية الزمن الادبي من طبيعة علاقاته الداخلية فقط . فهذه
 العلاقات الداخلية تستطيع ان تتركب في شبكة من الدلالات التي تحمل معنى تطورياً ،
 أي أن هذا الزمن المتداخل ، ينطور في حركته اللولبية في قفزات وخطوط بيانية هي صدى
 لتطور عام في المستوى الايديولوجي وفي علاقات المستويات داخل نمط الانتاج . فهذا
 الزمن التداخلي يتطور اذن في حركة متناسقة . ان هذا المعطى العام ، الذي نستعيره
 من النموذج الثقافي — الادبي في أوروبا الرأسمالية ، لا يمكن سحبه على الادب العربي
 الحديث والمعاصر . فسمات التطور في الحركة الادبية العربية المعاصرة ، لا تخضع
 لتحقيب من طبيعة تطويرية مطلقة . فتطورها هو تطور من طبيعة **انقطاعية** غير نهائية ،
 وهذا يعود اساساً الى أسباب لا تتحدد بالبنية الادبية بل تتجاوزها الى البنية
 الايديولوجية العامة والى نمط الانتاج السائد ، ان هذا الانقطاع غير الثابت والنهائي
 يؤدي الى تداخل أزمنة متعددة داخل زمن ادبي واحد . الى تفاوت مفترض على اساس
 محاكمة لبنية هذا الادب من خلال تاريخه قبل الانحطاطي . هذا التداخل ، يفرز بنية
 مترجحة تحمل سماتها الخاصة ولا تزال بحاجة الى النظرية النقدية الجديدة التي
 تستطيع دراستها من داخلها . من هنا منشأ التفاوت ، الدائم بين الشكل والمضمون .
 ومنشأ التفاوت داخل المضمون نفسه . حتى ان تعدد الصوت الادبي في حقبة واحدة
 يصبح بلبلة كاملة اذا بقينا عند نقطة افتراض التطورية المبدئية كشكل وحيد لتاريخ الادب
 المعاصر .

ان البحث عن عالم الدلالات ، داخل نسق ادبي مفترض ، يأخذ على اساس هذا
 الافتراض ، معنى البحث عن تداخلية ازمة الدلالة داخل زمن واحد . فهو ليس بحثاً
 تحقيبياً . رغم انه يفترض انقطاعات غير نهائية حدثت داخل هذا النسق . انه مجرد
 محاولة أولية لدراسة معنى الدلالات وأشكال تبلورها . فالدلالة الادبية ، حين تتخذ
 الرمز اطارها او حين تتوقف عند علاقات اللغة والأشياء ببعضها ، لا تحافظ على
 معانيها المسبقة ، بل تأخذ معان مختلفة . فمعناها هو حاضرها ، وليس ماضيها .
 انها لا تتوقف عند هذا الماضي ، بل تبقى في تجاوز دائم له ، وهذا يقود بدوره الى
 استنتاج اساسي هو عدم القدرة على بناء نسق موحد .

ان الحدود التي نفترضها ، لهذا البحث ، هي حدود بيانية . أي اننا لا نتوخى

الوصول الى ادراج جميع النماذج الادبية الفلسطينية داخل بحث واحد . بل نحاول ان نؤشر فقط الى اولى تداخل دلالة الادب في حقبات مختلفة (أو هكذا يفترضها النقد) لنكتشف عن كيفية تبلور عالم الدلالات في علاقتها بالرمز وبالمصطلح الادبي .

ليست الدلالة ثابتا . انها تتبع بنية العمل الادبي . من هنا تؤدي نفس الاشارة ، او علاقات متشابهة الى معان متضاربة ، وتتقود بنية العمل الادبي في حقول مختلفة . لذلك يبقى ههنا ، هنا ، محاولة لكشف دلالات الصوت الادبي الفلسطيني عبر بعض نماذجه ، فالتعميم النظري في النقد ، يخدم غرضا ايديولوجيا ، اذا لم يستطع ان يتحول الى مقدمة فعلية لنمذجة ادبية تنطلق من النص اساسا . من هنا فنحن لا نريد الوصول الى تعميمية مفرطة في دراستنا لنماذج الادب الفلسطيني . بل سنحاول التوقف عند بعض نقاطه الاساسية فقط ، محاولين من خلالها رسم خط بياني اولى يحاول اكتشاف مفصل عالم الدلالات الذي يفرزه الرمز والعلاقات داخل البنية الادبية .

٢ -

يحمل الشعر الفلسطيني في الثلاثينات والاربعينات ، المسألة الوطنية بوصفها قضيته الاساسية والوحيدة . فهو في قصائد شعرائه الثلاثة طوقان ومحمود والكرمي ، اشبه بنشيد جماهيري يستقي موضوعاته وبنيته من داخل مهمات الحركة الوطنية ، دحر الانتداب البريطاني ، والنضال ضد محاولات الحركة الصهيونية اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . امام هذه المهمات ، يعود الشاعر الى الرجوع المباشر . فهو صدى الصوت الجماعي ، والمحرض السياسي . والداعية الى الثورة . وتأخذ القصيدة حجمها بوصفها اداة **نضالية** . اي ان الشعر ، ليس عالم الصياغة الرؤيوية الجديدة للعالم . انه عالم محدد الاطراف وبسيط الملامح . لذلك لا تظهر في جسده آثار انتفاضات تعبيرية ، الا بمقدار ما تجيب هذه الانتفاضات على ضرورات ملحة . فحين تصبح القصيدة نشيدا (طوقان) ، فان النشيد هو هتاف جماهيري ، وسلاح مباشر في التجمعات الشعبية الساخبة والمظاهرات والنضالات التي خاضها الشعب الفلسطيني في تلك الفترة . أي ان هذا الشعر لم يطرح من داخل بنيته ضرورات تحويل مسار هذه البنية ، انه لا يبحث الا عن الفعالية والقدرة على التأثير . فاستعارته للمستوى الذي وصلته القصيدة العربية مع شوقي او امتداده الى بعض العناصر الرومانسية التي ظهرت مع جماعة « ابولو » في مصر ، ليس مؤشرا الاساسي . فالقصيدة هي وعاء . تنطلق من اكثر العناصر اثرا في الذاكرة الجماعية - اللغة - وتقيم لهذه اللغة ، معنى ثابتا . أي ان عوالم الاحتمال في الكلمة الشعرية لا تستطيع هنا ان تجيب على المهمات الواقعية التي فرضت على الحركة الشعرية . فالشعر هو صدى لوعي الجماعة ، يستعير بعض نماذج ممارستها (حركة القسام على سبيل المثال) ويعود فيصبه في الذاكرة . فالذاكرة الشعرية هي مقياس الشعر . لكن الذاكرة ليست معطى مطلقا . انها تخضع هي الاخرى لعناصر تكوينية فرضها التطور الادبي في بدايات عصر « النهضة » . لذلك يلعب الايقاع الخليلي ، وعناصر توازنه التقليدية ، العنصر الاساسي في تحديد القصيدة . القصيدة هي بناء **ينفك** ، لا نريد هنا ان نعود الى طرح مسألة وحدة القصيدة ووحدة البيت ، بل نريد ان نشير الى مسألة اكثر بعدا واكثر جذرية ، فحين تكون القصيدة عالما مفككا ، فهذا لا يعني غياب وحدة الموضوع . فالموضوع واحد او مقنن في اتجاه واحد هو غالبا عنوان القصيدة ، لكن تفكك القصيدة يعود الى انها لا تبحث عن عناصر وحدتها الداخلية ، بل تبحث عن وحدة

ارجاعية مع جمهورها . فهي تتوحد في ذاكرة جمهورها اللغوية والسياسية . من هنا تعددها الذي يفتقد الى القعر الثابت . فهي تتعدد باتجاه المعطى ولا تبحث عن معطيات خاصة ، هل هي صدق للواقع بالمعنى المباشر ؟ أم انها جزء من عملية تأليفية طويلة يلعب فيها ايقاع الواقع دورا خاصا ؟

ليس طرح هذا التساؤل خاطئا ، لكنه ليس طرحا متكاملا . فالعلاقة المباشرة بالجمهور الذي يشير الى البنية الارجاعية في القصيدة ليست علاقة هيولية او شاملة . فالشعب بأسره ليس جمهور شعر يكتب بلغة فصيحة ، بينما الامية لا تزال غالبية في الاكثريّة الشعبية الساحقة . اذ ان هذه الاكثريّة ، بحسبها الشعبي الخاص استطاعت ان تطور اشكالها التعبيرية « الشعبية » التي تشير الى العناصر الدفاعية في الحكمة الشعبية . بينما يبقى هذا الشعر ، الذي نعالج ، لصيقا بهوم شرائح متباينة من المثقفين ، الذين يحاولون الانخراط من منطلق الطبقة الوسطى النامية داخل حركة الصراع الوطني . من هنا فالبنية الارجاعية التي تحكم القصيدة ، ليست بنية اطلاقية . انها جزء من حقل ادبي جرى تطويره وبلورته بشكل أساسي خارج فلسطين — لاسباب سياسية — ثقافية ، اهمها بقاء فلسطين داخل قبضة الهيمنة العثمانية في فترة بدايات محاولات النهضة . هذا الحقل الادبي ، هو الذي ينعكس هنا في بناء القصيدة ، ويعكس فيها واقعا نضاليا خاصا ومهمات نضالية لم تكن لتطرح بمثل هذه الحدة على شعراء المدرسة الرومانسية في مصر على سبيل المثال . فالطابع الارجاعي اذن هو حقل شامل يطبع الشعر العربي بأسره في هذه المرحلة ، رغم انه يحمل في داخله بذور التطور اللاحقة التي برزت في محاولات تجاوز شكل القصيدة واطاراتها في شعر السياب المبكر .

ان القصيدة كسطح من المشاعر والتداعيات الخارجية ، وهي سمتها الغالبة في هذه المرحلة ، تحمل في الواقع ، بعض خصائص التوتر المأساوي الذي سيطبع الحركة الشعرية المعاصرة . ويأخذ هذا التوتر في الشعر الفلسطيني هنا ثلاثة اشكال مترابطة :

١ — الاقتراب من الاغنية الشعبية . هذا الاقتراب الذي يصل الى صياغة لون اخر من الموشحات البسيطة التركيب ، الواضحة الايقاع والتي تستطيع ان تلعب دورا خاصا في الممارسة السياسية . ان التقطيع التوشحي الذي نلاحظه في بعض قصائد طوقان على سبيل المثال هو أحد اسس تلك البدايات التي حاولتها القصيدة العربية للخروج من جلودها القديم . ونحن لا نريد ان نغالي في الدور الذي لعبه طوقان في هذا المجال ، فهو لم يلعب دورا أساسيا او حاسما . لكنه في اناشيده اثر الى هذه الامكانية التي كان يجري تطويرها بشكل خلاق في مكان آخر ، ورسم اطارات اغنية سياسية ، تلعب دورها النضالي وهي تنطلق من الشعر : فالنشيد الذي كتبه لثورة الأمير عبد الكريم الخطابي في مراكش ، اصبح مثلا للانشيد اللاحقة التي صاغها شعراء آخرون .

٢ — الطرح السياسي — النضالي . فهم **الشعراء الفرسان** . كما يكتب جبرا ابراهيم جبرا (١) . فالشاعر الفارس ، هو صيغة يجري استعارتها من التاريخ الادبي العربي القديم ، لانها تشير الى نوع من الطموح الذي تلمحه خاصة في شعر عبد الرحيم محمود . فهذا الشعر هو شعر المهمات المباشرة . لذلك هو شعر يطبع الى جماهيرية واسعة . الى ايصال صوته اقصى درجات الفعالية الجماهيرية الممكنة . هذه الفعالية ، هي معانقة للممارسة النضالية التي تصبح مقياسا شبه مطلق ضمن

مؤشرات التمرد على القيادات التقليدية التي كانت تقود النضال الوطني الفلسطيني . من هنا بداية الامتداد الى المثال الذي تضربه ثورة القسام . والى ضرورات حمل السلاح والقتال داخل عملية تنظيم الجماهير الشعبية . ان هذا المؤثر الذي لا يزال في هذه المرحلة في اول محاولات بلورة نفسه ، سوف يتحول الى العصب الرئيسي الذي يشد التجربة الشعرية الفلسطينية ، دون ان يفقد الشاعر دوره بوصفه فارس القبيلة والناطق باسمها ، ان بعد الممارسة السياسية — النضالية ، هو بعد متعدد ، يأخذ قضايا الانسان الكبرى ، ويعيد صياغتها بلغة الشعر . فتأتي هذه القضايا — الموت على وجه التحديد — وقد حملت جماعية تفقدها بعدها الرومانسي الفردي ، لتضعها داخل كل رومانسي ايضا ، لكنه كل جماعي . حيث تفقد القضية معناها الفردي ، لتتحول الى حدث اجتماعي ينبض بالفعالية . من هنا فحين يطلق على عبد الرحيم محمود لقب الشاعر الفارس ، فانه يأتي من داخل الافق الذي استشرفته الشاعر اطارا لتجربته الجماعية — الفردية . فهو ينبض بقيم الفروسية ، الشهامة ، ويحولها الى قيم من الفعالية الوظيفية داخل المهات السياسية .

٣ — من خلال هذين البعدين ، يتبلور وعي ثالث ، هو الوعي الاساسي الذي سيطبع الشعر الفلسطيني فيما بعد . انه وعي الارض ، بوصفها امتداد الانسان في المكان ، ووعي الانسان لنفسه بوصفه امتدادا لها في الزمن . هذا الوعي المزدوج الذي بدأت تباثميته الاولى تظهر في هذه المرحلة المبكرة ، هو المذاق الاساسي الذي للممارسة الادبية الفلسطينية . انه ليس مجرد امتداد لشعر الحنين الوطني القديم الذي نتعرف عليه في بعض نماذج الشعر المهجري . بل هو محاولة لصياغة معادلة جديدة ، قلاحية ، في سمتها الغالبة ، تحاول رسم دلالات هذه العلاقة المعقدة وقد بدأت تأخذ معنى مأساويا في ذلك التشبث الجنوني بفكرة الموت ، وكأن الموت قد اصبح الجسر الوحيد الذي يستطيع هذا الوعي المأساوي العبور منه الى الارض . ان العلاقة بالارض تأخذ هنا مدلولاً ثابتاً . رفض الاقتلاع الذي لم يتم بعد . ضمن هذا الثبات ، يبدأ الصوت النضالي الانتقادي يرتفع كشكل اولي من الحس بضرورات الانتماء القومي العام وبمسؤوليات مستقبلية لأشكال هذا الانتماء . فيجري التعامل مع الشعر ، بوصفه ميدان الطرح السياسي المباشر بشكل خافت في البداية (محمود) ثم يبدأ هذا الصوت بالارتفاع حتى يصل الى انتقادية سياسية كاملة في شعر الكرمي .

تسمح لنا هذه الاطلالة السريعة على الاتجاهات الرئيسية في حركة الشعر الفلسطيني في الثلاثينات والاربعينات ، بمحاولة الذهاب في اتجاه تحليلي اكثر عمقا . محاولة دراسة بعض النقاط الدلالية الاساسية في هذا الشعر . والكشف عنها في خلال علاقتها بمصطلح القصيدة السائد في تلك الفترة . اي اننا سنحاول طرح بعض مسائل اشكالية الدلالة في هذا الشعر ، دون أن نسقط عليه قيمة فنية نستعيرها من نماذج متقدمة . فالاساسي هنا ، في تجربة القصيدة الانفية ، هو الدلالات السياسية والايديولوجية العامة ، التي استطاع الشعر ، عبر التعبير عنها ، ان يشكل بعض نقاط المنطلق التي تصلح كأساس لحاكمة دلالية للمراحل اللاحقة .

الارض — الوطن

في احدى اكثر قصائده اهمية ، يطالعنا ابراهيم طوقان ، بالقيمة المركزية التي تستطيع شحن النضال الفلسطيني بابعادها الاساسية . انها قيم الفلاح الذي يتعلق بأرضه . ان هذا الابرار الاساسي للفلاح والتركيز على قيمه ، هو الرد الاول ، الذي يمكن ان يتخذه مقاومة شعبية من طبيعة «فانونية» (٢) . فالحقيم الاجتماعية والايديولوجية

السابقة على الاحتلال تصبح حاجزا اجتماعيا كثيفا في مواجهة الغزو الخارجي .
لكن الدلالة الاساسية هنا ، لم تتخذ بعد هذا البعد الشامل ، الذي نلاحظه في قصيدة
درويش « سجل انا عربي » . حيث البعد الوحيد المسيطر هو بعد فانوني مئة في
المئة .

« أعداؤنا - منذ ان كانوا - صبارة ونحن - منذ هبطنا الارض - زراع »

في هذه العودة الاساسية الى دلالة الصراع ، يحاول طوقان صياغة معادلة الصراع
العربي - الاسرائيلي ، المركزية . لكن هذه الصياغة لا تأتي الا بوصفها جزءا من
مهمة نضالية . مقاومة محاولة الاقطاعيين بيع الاراضي للحركة الصهيونية . في هذه
المقاومة يبرز البعد الاساسي للصراع . فمن جهة أولى هناك الفلاح الذي يتمسك
بأرضه ، لانها وطنه الوحيد الذي لا يستطيع الابتعاد عنه ، ومن ناحية أخرى هناك
زمرة من الاقطاعيين الذين ما زالوا على نمط الاقطاع العثماني ، بعد أن فقد هذا
القطاع اساسه الذي يضبطه ، بوصفه اقطاعا عسكريا . فنأتي قصيدة طوقان هذه ،
لترسم اطراف المعادلة بشكل واضح لا لبس فيه :

« باعوا البلاد الى اعدائهم طمعا بالمال ، لكننا اوطانهم باعوا
قد يعذرون لو ان الجوع أرغهم والله ، ما عطشوا يوما ولا جاعوا »

ثم تنتهي القصيدة في بيت يلخص ابعادا جديدة لمعادلة الوطن . فاذا كان الوطن
بالنسبة لهؤلاء لا يعني شيئا محددًا ، فان موت الفلسطيني يعني له اشياء كثيرة .
فالانسان هو الارض وهي تتحرك في الزمن . لكن الشعر يأخذ من هذه الوجهة اكثر
عناصرها بساطة ومباشرة .

« فكر بوطك في أرض نشأت بها واثرك لقبرك أرضا طولها باع »

اذا أخذنا هذه القصيدة ، التي اقتطفنا بعض أبياتها هنا ، كوحدة متكاملة ، فاننا
نكتشف انها تتحرك في مستويين مترابطين . مستوى الدلالة السياسية المباشرة التي
تتود الشعر الى افتراض دوره الاساسي بوصفه محرزا اجتماعيا . ومستوى
الدلالة غير السياسية التي تحاول تمثل دور الفلاح ، وعلاقته الحميمة بالارض . لكن
العلاقة بين هذين المستويين ليست علاقة تكاملية ، كما نفترض عندما نناقش قصيدة
تحمل طموحا سياسيا . بل هناك غلبة واضحة للعنصر الاول ، الذي يقوم باستخدام
العنصر الثاني بشكل ذرائعي . ان ذرائعية هذه العلاقة تكشف اين يقع التركيز
الاساسي للشعر . وما هي العلاقة بين افق القصيدة وعمقها . فحين نفترض علاقة
متكاملة بين هذين العنصرين ، نكون قد وصلنا الى افتراض نوع من الابتعاد بين
المستويات . أي ان المستوى الايديولوجي - السياسي لا يندغم بشكل كامل بالمستوى
الفني . لكننا هنا امام اندغام كامل . حيث افق القصيدة يشكل فعاليتها . فهي تتفكك
كبنية وتتوحد كمخاطبة سياسية في اذهان سامعيها . تأتي دلالتها السياسية لتشكل
وثيقة في الحاضر لو وثيقة تاريخية على وعي محدد . ان هذين الطابعين ، التفكك
والوثيقة ، قد يفسران على انها آتيان من طبيعة بنية القصيدة الخليلية ، هذا صحيح
اذ بقينا عند حدود النقد الانطباعي . فالانطباع الاول الذي نخرج منه الان وبعد ان
استطاعت الحركة الشعرية المعاصرة خلخلة ثوابت القصيدة الخليلية . لكننا اذا قرأنا
بعض الشعر غير الخليلي قراءة داخلية ، لاكتشفنا نفس البعدين : التفكك والوثيقة .
غلبة دلالة واحدة هي الدلالة المباشرة على بقية الدلالات التي تحملها القصيدة .
ان هذا ليس مجرد مسألة شكلية . انه مسألة تتعلق بالدور المفترض الذي للشعر .

هذا الدور وعلاقتة ببقية مستويات الايديولوجيا هو الذي يحدد في آخر تحليل بنية القصيدة وعلاقة دلالاتها .

في قصيدة طوقان التي عالجتها ، يرتفع تساؤل عن الوطن :

« تلك البلاد اذا قلت اسمها (وطن) لا يفهمون ودون الفهم اطماع »

يبدأ الوطن بالتحول الى مفهوم . وهذا التطور ليس اساسيا في الشعر ، انه تطور في الايديولوجية العربية . لكنه هنا يأخذ انعكاسه بشكل حيني لاهب . ففي قصيدة عبد الرحيم محمود « حنين الى الوطن » يلتقي صوت الشاعر ببدايات الحنين اللاهب ، الذي استطاع الشعر المهجري ايصاله الى ذروته الاجتماعية . لكن الحنين يأتي هنا من واقع بالغ الخصوصية ، فالشاعر مطارد في العراق ، ويرسل في قصيدته هذه دلالات جزئية علاقته بالوطن حين يكون بعيدا عنه . فالوطن في شعر محمود ، هو اساسا ميدان الصراع ، لذلك فحين تكون غائبا عنه ، تكون شعليا غائبا عن ميسدان الصراع هذا . لكننا نتوقف عند هذه القصيدة لانها تحمل خصوصية انعكاس التيار الرومانسي بشكل واضح على الشعر الفلسطيني . هنا يتحرر هذا الانعكاس من ضغط الممارسة المباشرة ، فيأخذ مداه المتكامل ، ويرتفع صوت الشاعر في انين رومانسي خافت :

« في ضياء الشمس في نور القمر
في خريف الجدول الصافي وفي
في النسيم العذب في ثغر الزهر
صخب النهر وأمواج البحر »

هذه البساطة التعبيرية التي تقترب من النثر في مخاطبة رومانسية وتفقد الصرامة والمراجع التراثية التي يمتلئ بها شعر محمود ، تتحول في قصائد أخرى الى صخب عنيف ، ممتلئ بارادة القتال ، وبالادعوة اليه .

« دعا الوطن الذبيح الى الجهاد
وسابقت النسيم ولا اقتضار
نخف لفرط فرحته نؤادي
ليس علي ان أندي بلادي »

بين هاتين القصيدتين ، مستوى واحد من الدلالة يخترقهما . فنحن في القصيدة الاولى ، امام ابواب الوطن ، نبحث مع صوت الشاعر عن نقاط الالتقاء في نبرة رومانسية ، تضع حدا واحدا او خطا مستقيما بين تجربة الشاعر واطار هذه التجربة . فاذا كانت هذه التجربة تحمل الحنين الى الوطن ، فان الخط الواحد ، هو محاولة لرسم اطارات هذا الحنين بشكل دقيق يطال الذات والموضوع محافظا على الحد الواضح بينهما . لكن هذه الرومانسية تنتقل الى القصيدة الثانية ، وتحول هذا البعد الذي بدا هادئا في اطار القصيدة الاولى الى بعد صاحب يبقى هذا الحد المفترض بين الذات والموضوع . فينسب عالم الدلالة في خط مستقيم . انه خط البحث عن الفعالية . مفهوم الوطن هو مفهوم وظيفي يقوم برد الهجمة الصهيونية . لذلك يبقى المستوى الاول ، الافقي ، الذي لاحظناه خلال قراءتنا لقصيدة طوقان ، هو المستوى الغالب ، مؤطرا دلالات القصيدة في خط مستقيم .

الموت

تد تكون تجربة عبد الرحيم محمود مع الموت ، هي اولى النماذج الشعرية والادبية التي تطرح هذه المسألة ، بتلك الروحية الشاملة . فالموت هو الاطار النهائي الذي تصب فيه تجربة محمود الشعرية وتشحنه بدلالاتها الخاصة ، ليصبح جسد الشاعر حين يسقط في معركة الشجرة ، عنوانا نضاليا خاصا . فهو في طبيعة الجسد الادبي الفلسطيني الذي تلون بالدماء ، واصبح عنوانا للكتابة التي تبرز الممارسة السياسية

بالابداع . فالثقافة ليست عالما غائما من الصور المثالية التي لا يستوعبها احد ، وليس المثقف هو الذي يكتب ، بل المثقف هو من يبحث عن عضويته ، داخل الممارسة الجماهيرية التي تصنع التاريخ وكل مجد ثقافي .

يمكن تحليل علاقة محمود بالموت ، من خلال أكثر قصائده شعبية « الشهيد » (٣) . ففي هذه القصيدة أكثر من مستوى دلالي واحد :

يشير مطلع القصيدة الى المستوى الغالب فيها . فالموت هو مؤشر **ارادي** . تنبوع هذه الارادية من طبيعة اطاره - الصراع - فحين يكون هناك صراع وطني لم تتبلور بعد ملامحه بشكل كامل ، تصبح ارادية الاختيار عاملا اساسيا . فالشهيد يختار الموت .

« ساحل روجي على راحتي	والتي بها في مهوي الردى
فما حياة تشر الصدق	واما مات يغيظ العدى
ونفس الشريف لها غايتان	ورود النسايا ونيل المنى »

هذا هو المدخل الاساسي ، الاقبال على الموت ، الموت هو بهذا المعنى حدث اجتماعي - سياسي - جماعي . ليس فيه أي اقتراب من مستوى القلق الذي اصبح عنوان شعر الموت الفردي . انه هنا مجرد فعل متكامل . فالفرد في داخله ليس حاسما . الحاسم هو الموضوع نفسه . الموت . لذلك تأتي الاوصاف التي يطلقها الشاعر على « نفس الشريف » وكأنها اوصاف للموت ولا علاقة للشهيد بها ، فالشهيد يأخذ اوصاف الموت حين يموت . هنا يتأكد العنصر الدلالي الاساسي في هذه القصيدة . فالدلالة تأتي من الفعل وليس من علاقة تضاد او تواز جامد ، لكن هذا المستوى الغالب الذي يؤكد عليه مطلع القصيدة ، يتحول الى وعي مأساوي حاد . فالشاعر حين يرى مقتله دون النصر الذي يتعد يقوم بصياغة صراخه المأساوي في وجه الحياة ، ليأتي هذا الصراخ موقفا يمتليء بمأساوية فجوات الموت . فحين لا يستطيع الموت ان يمتليء بمدليل صراخ شعبي نضالي ، يتحول هذا الصراخ الى فعل لتدمير الذات ، تبلغ ذروتها في هذا الوصف لجسد الشهيد :

« وجسم تجدل فوق الهضاب	تناوشه جارحات الفلا
فمنه نصيب لاسد السماء	ومنه نصيب لاسد الثرى
وعنر منه بهي الجبين	ولكن عفاروا يزيد البهنا
وبان على شفتيه ابتسام	ممانيه هزء بهذي الدنيا »

هذا المؤثر الثاني ، المليء بمأساوية مواجهة الموت ، ليس مؤثرا فرديا . فحين تصرخ ذكورة عبد الرحيم محمود « فيعلم قومي اني الفتى » تلقي بظلالها كاملة على دلالات القصيدة تشير الى مستوى ثالث هو مستوى دور الذاكرة الثقافية - الشعرية في طبع هذا الشعر . لكننا هنا لا نزال امسام حس مأساوي تتبلور في داخله ارادة جماعية يستطيع الشعر استشراف مضامينها بوصفه صداها الاساسي . فالجسد الذي ترسمه القصيدة ، هو جسد جماعي ، يأخذ طابعه الفردي لضرورات متعددة : دور الشاعر والمدى الذي يستطيع فيه التأثير بشكل حاسم . وهو كذلك يرفع مستوى الصراع الى الدلالة المأساوية التي عرفها الفلسطيني في سلسلة طويلة من تراكم موت بدا مجانيا ، لكنه في تراكمه يؤسس خطأ جديدا في ممارسة بدايات نهضة حقيقية .

هذه المستويات الثلاثة في الموت عند عبد الرحيم محمود تؤكد دلالة مركزية ، حولها يجري محور الدلالات الاخرى . فنحن امام مواجهة للموت من طبيعة جماعية ، لذلك

يأتي دور الشعر التحريضي وكأنه بدأ ينحني للمساوية الواقع الجديد . فالتحريض هنا فقد طابعه التجريدي السابق وغرس في عينية صاخبة . لذلك تأتي العناصر المساوية لتلف هذا التحريض الجماعي بطابعها ، ولترسم من داخل أفق القصيدة بدايات لاعماق لا تزال على سطح التجربة الشعرية ، تستمر صورها من الذاكرة ، لكنها تبحث في ايقاعها الخاص عن تعرها العامودي الذي يحيل الموت من مجرد اطار تحريض الى فعل متكامل . لا يأخذ الموت هنا الدلالة للمساوية التي اضافها السيئاب الى الشعر العربي في تلك النبرة الايوبية الرهيبة الايقاع ، انه لم يصل بعد الى صياغة الوعي الجماعي من داخل مناطقه المتفجرة . فلا يزال التفجر يحمل اولا دلالة سياسية - تحريضية ، تطبع بقية عناصر الدلالة في القصيدة .

قد تؤثر قصيدة ابراهيم طوقان « الشهيد » لما اردناه من تحليلنا لقصيدة محمود بشكل اكثر وضوحا . فالشهاد هو اطار وصفي خلف هدف سياسي مباشر . تتوقف القصيدة عند بعض التفاصيل التي تبقى تفاصيل مجردة ، لا تخمل المعنى الانساني ، الفردي ، الا بوصفه وصفا لصورة تجريدية في الازهان . « فالشهاد » هو من معدن يتجاوز المعدن الانساني ، ليصل الى ازدواجية المناضل ، الموت ، التي تصبح ثابتا لا يتغير . هنا وعلى ايقاع موسيقي بالغ الانضباط ، حتى يصلح ان يكون نشيدا وفي الخاتمة العامة للمقطع الشعري التي تتألف من عجز دون صدر ، تصبح الشهادة مجرد فعل اجتماعي . ويتحول الشعر الى محرض فقط . هذا البعد يعود ليسحب نفسه في قصيدة اخرى لطوقان بعنوان « الفدائي » . لكنه يبدأ في هذه القصيدة انحناء انسانية من خلال محاولة الدخول في احشاء الفدائي المقاتل وفي حياته بالقرب من الموت :

« لا تسئل عن سلامته روحه فوق راحتته
بسدلتته همومه كنا من وساداته »

لكنه يعود الى اللهجة الجماعية - السياسية . لا يتوقف الا قليلا عند اوجاع الموت ، ليحيل الموت وبسرعة الى مجرد حاجز لا بد من اختراقه وصولا الى الوطن . فاذا الموت يرتجف ، والفدائي يتقدم نحو غايته :

« هو بالبسبب واقف والردى منه خائف
فاهداي يا عواصف خجلا من جراته »

ليس الموت اذن موضوعا للشعر ، انه أحد اطاراته . فالقصيدة هي مستقبل الفعل الجماهيري . ومستقبلها هو هذا الفعل . من هنا هذا الاندغام الذي يصنع للقبيلة شاعرها ، ويحيل ظاهرات الكون الكبرى الى امتداد اجتماعي لعلاقاتها الاساسية . يؤخذ الموت هنا بأكثر معانيه الاجتماعية مباشرة انه فعل . وأمام هذا الفعل تتحدد العلاقات وتنمو . لذلك تصبح لغة القصيدة ايقاعها الخارجي كما أن الموت هو الايقاع النضالي الخارجي ويتحدد عبر هذا الحيز الاساسي دلالات الموت ، ويقفز المستوى السياسي المزوج بالذاكرة الجماعية الى المقدمة .

المستوى السياسي - الانتقادي

قد يكون هذا المستوى هو الموحد الاساسي لجميع عناصر القصيدة في هذه المرحلة ، لكننا حين نحاول دراسة دلالات الشعر ، حاولنا من خلال موضوعاته الاساسية الكشف عن هذا الجانب التوحيدي . ونحن هنا أمامه وقد أخذ شكله الايديولوجي الاكثر وضوحا . فاذا كانت مهمات النضال المباشرة تفترض وعيا محددا ببعض

المسائل المركزية — الارض — الوطن — الموت — الشهادة . فانها تفترض بالدرجة الاولى وعيا سياسيا حادا يقوم بتقييم الاساسي في الوضع السياسي العربي والفلسطيني . ان هذا الجانب الذي سنحاول الاحاطة به هنا ، له مؤشرات ايديولوجية واضحة . ونحن نتعامل مع هذه المؤشرات بشكل واضح . فالمسألة الفنية ، تعود في بنية لا تتعدد الى حيز ضيق جدا وترتفع الدلالات الايديولوجية — السياسية بوصفها مؤشرا عاما لمرحلة متكاملة .

١ — **الوعي النقدي** . تطرح قصيدة عبد الرحيم محمود : « نجم السعود » ، مسألة فلسطين من خلال وعي نقدي هادئ يبدأ في تلمس المسألة او بعض اطرافها على الاقل . فهي تبدأ بشكل تقليدي ، المدح . لكن المدح يخفي وراءه انتقادية بالغة الدلالات :

« يا ذا الامر امام عينك شاعر
المسجد الاقصى اجئت تزوره
ضبت على الشكوى المريرة اضلعه
ام جئت من قبل الضياع تودعه »

هذا البعد الانتقادي الذي يكشف عن نفسه في هذين البيعتين ، يبقى مضمرا في بقية ثنايا القصيدة . فاضماره يدل على وعي سياسي فرض عليه للنظر الى « الخارج العربي » وبطريقة متسامحة . هذا التسامح هو في الوقت نفسه جزء من ضرورات او اشكال التعبئة السياسية التي يقوم بها عرب فلسطين عبر طموحهم لتجنيد هذا « الخارج العربي » في خدمة قضيتهم وعبر الدورين المعنوي والمادي الذي يستطيع هذا النوع من الامتداد ان يقدمه في سبيل التعبئة الداخلية في صفوفهم . وسوف نلاحظ لاحقا ان الاساسي في هذه الموضوعات سوف يبقى في تجربة الشعر الفلسطيني القادم من الارض المحتلة ، حيث ستخفت نبرته الانتقادية او تبقى مضمرا في سبيل اهداف مشابهة وان اختلف الاطار .

لكن هذا الوعي النقدي حين يتداخل مع الواقع المحلي للضراعات التي كانت تخاض في فلسطين ، فانه يصبح اكثر وضوحا .

« حينذا لو يموم منا زعيم
لا يمس عن طعامه في
مثل (غندي) عسى يفيد صياحه
فلسطين يموت الزعيم لولا طعامه
بقعة تستريح فيها عظامه »

هنا ترتفع سخرية طوقان الى ذروتها . ويلجأ الشعر في مباشرته الى اسلحة التجريح فيقدم نفسه باعتباره وعيا قادرا على كشف المساويء في كل لحظة . فالنقد يأخذ هنا كذلك معنى وظائفيا مباشرا . هنا لا وجود للقصيدة او حتى للمقطع الشعري . فيتحول هذا المقطع الى غطاء سياسي يسمح للشاعر بتوجيه نقده . هذا الجزء الملح من الشعر الفلسطيني في هذه المرحلة هو مرجع جماعي للموقف السلبي . فالسخرية هي موقف سياسي يحمل دلالة خاصة في ظروف خاصة اشترنا الى بعضها في سياق هذا البحث . لكنها هنا ، وفي شعر طوقان بشكل خاص تلعب دور الوعي الشعبي في ردود فعله التقليدية . وهي السخرية بوصفها دائما مقدمة للانتقال الى مستوى آخر من اشكال المقاومة الشعبية . ثم ينقل طوقان مستوى سخريته الى نوع من التشهير السياسي :

« انتم المخلصون ! للوطنية
وبيان منكم يعادل جيشا
انتم الحاملون عبء القضية
بمعدات زخسه الحربية »

ان الوعي النقدي ليس فقط وعيا ذاتيا . أي انه ليس موجها فقط في اتجاه تحليل

الاطعاء الداخلية والعربية ونقدتها . ولكنه يحاول اساسا الكشف عن الاعداء وتسميتهم باسمائهم . فالعدو مزدوج : الصهاينة والاستعمار الانكليزي :

« لنا خصمان : ذو حول وطول وآخر ذو احتيال واقتناص
تواصلوا بينهم فأتى وبالا واذلالا لنسا ذاك القواصي »

هذا التحديد الشامل الذي لا يختلف احد عليهم ، هو صدى لتجارب الحركة القومية مع الاستعمار الانكليزي . فالشعر يأتي هنا ليشير فقط ، وليرفع اشارته الى مستوى الرؤية السياسية التي تتوافق بشكل كامل مع الرؤية السياسية العامة السائدة في صفوف الحركة الوطنية .

٢ — أشكال التعبئة : حين يرتفع صوت عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) بشكل رومانسي غنائي نحو الوطن . فانه يذهب بعيدا في رؤيته الانتقادية . يتجاوز الاطار الذي فرضه شعر الثلاثينات والاربعينات . فالفلسطيني أصبح اليوم مشردا . وأصبح العدو أكثر وضوحا ويمكن الاشارة اليه :

« زعماء ! دنسوا تاريخكم
وجيموش غفر الله لها
وملوك !.. شردوكم دون ذنب
سلمت أوطاتكم من غير حرب (٤) »

لكن مسألة دور الشعر ، تتحدد اساسا في اطارات التعبئة التي يفترضها . فالشاعر هو اذن جزء اساسي او هكذا عامل قصيدته . فأتى الشعر ، ليخدم هدفا تعبويا مباشرا ، فخلال ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، يرتفع صوت الكرمي في قصيدة مؤقعة وكانها نشيد حماسي :

« أنثر على لهب القصيد
شكوى العبيد الى العبيد (٥) »

ثم حين يتوتر بعد التعبئة فانه يأخذ أكثر من شكل واحد :

١ — العودة الى التاريخ العربي والتركيز على نقاط البطولات فيه . على أساس ان التاريخ يقوم بتعبئة الجماهير ، ويثير فيها احساس الانتماء والقدرة على الفعل البطولي .

ب — استعارة نماذج من القرآن ، ومن الشعر العربي القديم . أي العودة الى الذاكرتين الدينية واللغوية ، لانها تقومان كتابتين أساسيين في الذاكرة الجماهيرية بدور الحاجز الثقافي والموحد السياسي في وجه الغزوة الاجنبية . فالعودة الى الذاكرة الثقافية الجماعية ، تأتي دائما وبشكل ملح في فترات التهديد القومي لانها قادرة على ان تتحول الى قوة فعلية لحظة يتهدد بناء اجتماعي كامل بالانهيار والدمار .

ج — محاولة اكتشاف اساليب نضالية والمشاركة فيها . ولعل قصيدة عبد الرحيم محمود « عيد الجامعة العربية » ، التي تقوم باعطاء دعم الدول العربية للنضال الفلسطيني حجه الحقيقي ، تشير في الوقت نفسه الى الطريق الحقيقي الذي يجيب على النضال الفلسطيني السير فيه الى نهاياته المنطقية :

« هذي طريقك للحياة فلا تحد
تد سارها من تيك القسام »

ان اشارتنا السريعة جدا لأشكال التعبئة ، قادتنا الى محاولة وضع بعض الاسس التي تشير اليها بنية القصيدة . فالقصيدة تبقى في التحليل الاخير خاضعة لمستوى علاقتها الافقي . يقود هذا الخضوع بالضرورة الى تكون الدلالة حول مسألتين :

١ — الرمز الثقافي ، الذي لا يلعب هنا أكثر من دور ثانوي . أي دورا داخل مضمون كلي يخاطب بالدرجة الاولى ويتوقف عند نقطة المخاطبة هذه . من هنا تأخذ قضايا الكون ،

بعدها ، كجزء من جماعية ، لا تزال على المستوى الشعري ، جماعية القبيلة التي تنتخب مشاعرها ناطقا باسمها .

٢ — الدلالة السياسية التي تقود الى وعي مباشر . يحدد الوضع السياسي ، ويقيم للشعر دوره من خلال هذا الوعي .

هنا تعود القيمة الارجاعية ، لتشكل القيمة الاساسية لهذا الشعر . وتأتي قدرته على التعبئة ، كجزء من طموح مشروع . في وقت كان فيه الشعر العربي لا يزال أسير رومانسية الخروج من تجربة شوقي الشعرية .

يقودنا هذا التحليل الاولي لدلالات القصيدة في الشعر الفلسطيني الحديث ، في مرحلة تكونه الى استنتاجين أساسيين : —

اولا : تقويم بنية القصيدة ، اكثر من بعد واحد . البعد الاول هو التحريض او الفعالية . لذلك يستعير هذا البعد الانجاز الشعري العربي ويقوم بمحاولة تطويعه لخدمة اغراض هذا الهدف . فتبقى البنية في القصيدة الفلسطينية هي نفسها بنية القصيدة العربية مع محاولات ضئيلة الحجم والاثر لخلطة معادلة بناء القصيدة . الابعاد الاخرى : هي محاولة ادراج الواقع السياسي داخل رؤيا خاصة ، تنطلق من اشكال التعامل مع قضايا الحياة ، من خصوصية التجارب وفرادتها . لكن البعد الاول يبقى هو المسيطر والغالب ولا يسمح للابعاد الاخرى بالتطور والتبلور الا بمقدار ما يقوم هذا التطور بخدمة اغراضه . ان هذا العامل التحديدي ليس مجرد مصادفة ، فهو ينبع من خصوصية المواجهة التي فرضت على الشعب الفلسطيني ، كما انه ينبع من نسق التطور الذي كانت تخوضه الحركة الشعرية المعاصرة .

ثانيا : ان هذه المعادلة داخل القصيدة تقود الى تمركز الدلالة حول النقطة المباشرة ، تحاشي الغموض ، والنسج على نموذج حماسي في الشعر . فنقوم الدلالة المباشرة بدورها بتدمير أية امكانية لنمو الرمز ، وتفرض على علاقة عناصر القصيدة خطأ مستقيما ، يتفكك . ولا يتوحد الا داخل جمهور متناسق مفترض .

— ٣

لقد استطاع الشعر الفلسطيني القادم من الارض المحتلة ان يتحول الى ظاهرة شعرية متكاملة ، بفضل الظروف التي سمحت له بأن يصبح المعبر الاساسي عن مرحلة صعود رومانسية عامة ، ترافقت مع صعود حركة المقاومة . قبل الدخول في تحليل هذا الشعر ، لا بد لنا من الاشارة الى فجوة مغترضة قبل بروز هذا الشعر بوصفه استكمالا لشعر الثلاثينات والاربعينات الوطني . هذه الفجوة هي في الواقع مرحلة الحركة الشعرية الجديدة التي استطاعت ان ترسم الاشكال الاولى للقصيدة العربية الممكنة . فالشكل الجديد ، هو تعبير عن واقع جديد له طرفان : — **التطور الانقطاعي الدائري** : الذي لا ينتج بالضرورة عن تراكم تطوري ، بل يأتي كتفزة في مجهول بنائي . فعلى الرغم من محاولات اكتشاف اسس قصيدة التفعيلة في محاولات عصر « النهضة » للخروج على عامود الشعر الخليلي ، فان المسألة ليست مسألة التفعيلة كوحدة موسيقية للقصيدة ، اذ سرعان ما جرى تجاوزها الى اشكال قصيدة النثر المتعددة . بل المسألة هي في غرس رؤية جديدة للشعر . فالشعر ليس للقاء ، بل للقراءة . هذه التفزة وان بقيت طموحا يتخلله جميع رواسب المرحلة السابقة ، تؤشر الى انفجار في التعبير بلا مقدمات حقيقية . **والتطور من خلال نموذج خارجي** ، حيث يلعب هذا النموذج دور رافعة تغييرية ، فيأتي الجديد متداخلا في مدارس شعرية

وفنية متنوعة ، فيسقط على الواقع الادبي السابق محدثا فيه ثورة بلا مقدمات وبلا نتائج تراكمية . اي ان هذا النموذج الخارجي ، يستطيع ان يقوم بثورات مشابهة وبتحولات جديدة عميقة ، دون ان تضبط هذه التحولات في تراكمية تطويرية ، هي الاساس في حركة ادبية مطابقة مع نفسها . ان هذا الوصف الخارجي ، للحركة الشعرية العربية المعاصرة ، لا يقود الى افتراض نموذج تطوري من طبيعة مطلقة ، به نقيس الحركة الشعرية المعاصرة . لكنه يفترض نسقا ، يلعب فيه عامل التطور التحقيقي دورا مؤثرا . هذا النسق مفتح في الحركة الشعرية المعاصرة ، في مركزها الاساسي بالشرق : ان هذا النمط من التطور سوف يعكس نفسه على حركة شعرية لم تشارك في صياغة اسئلتها الاولى . بل بقيت نتيجة ظروفها الثقافية والسياسية مبعدة عن أسئلة البدايات . فتعاملت مع هذا النمط الذرائعي من التطور بطريقة ذرائعية كاملة . محولة الشكل الى مجرد وعاء لا يحمل مداليل خاصة به ، الا بمقدار فعاليته السياسية - التحريضية .

في هذه الفجوة التي نشير اليها ، يصعب الحديث عن شعر فلسطيني خاص . فالتشرد والتمزق الذي عاناه الشعب الفلسطيني ، جعل لاصوات الشعر الفلسطيني في هذه الفترة مذاق الأنماط المختلفة للحركة الشعرية العربية . فيماذا يتميز صوت سلمى الخضراء الجيوسي(١) ، في مجموعتها الشعرية « العودة من النبع الحالم » الصادرة سنة ١٩٦٠ ، وبماذا يتميز صوت فدوى طوقان في مجموعاتها المختلفة . يحمل هذين الصوتين الشعريين ، جميع سمات بقايا التيار الرومانسي الذي بقي حيا في شكل القصيدة الجديد . يزاوج بين الشكلين ، ويقوم باسقاطات ذاتية رومانسية الطابع على الواقع . فترتفع نبرة الحنين ، او يعلو حس فجيعي بالاضطهاد ، كما في شعر طوقان ، او ترتفع صيحات العزة القومية والانتماء الوطني ، التي اصبحت بعض سمات المرحلة الناصرية . غير ان هذا الاندماج الكامل في خصائص التيارات المختلفة للحركة الشعرية العربية ، لم يحجب بعض السمات الفلسطينية . حيث تابع ابو سلمى ، من مواقعه الكلاسيكية القديمة ، محاولته التأكيد على الالتزام والحنين الفلسطينيين من موقع الامتداد العربي . فهو الوحيد الذي بقي ليشكل استكمالا ، دون تطوير الا من بعض نواحي استكمال البناء الكلاسيكي ، لشعر الثلاثينات والاربعينات . انه استكمال من طبيعة غير قادرة على الاستمرار(٧) . وقد يكون صوت معين بسيسو في « مارد من السنابل » ، او « فلسطين في القلب »(٨) و « الاشجار تموت واقفة »(٩) . محاولة لتطوير الرؤية الفلسطينية من موقع الاتجاه الواقعي في الشعر . هنا ، تصبح علاقة الذات بالموضوع ، علاقة امتداد بين طرفين . وتصبح القصيدة هي الحيز الاساسي بين طرفين يحاولان الوصول . فيأتي الوعي الفلسطيني مأساويا وملثيا بأوجاع البدايات :

« كتبت من طيورنا المهاجرة

وقلت ليس للرياح ذاكرة

كتبت عن أشجارنا التي تموت

وهي واقفة

هذا الشتاء دقت الاجراس

لم تبر عاصفة » .

ان مأساوية هذا الوعي ، تبقى داخل انماط الحركة الشعرية العربية ، في طريق مواكب لها . فاصوات شعراء هذه المرحلة ، كانت تتداخل مع الحركة الشعرية العربية ، ببعض خصائصها الدلالية ، دون ان تفرز القصيدة بنية متفاوتة عن اشكال

تطور الحركة الشعرية العربية ، كما ستكون الميزة الاساسية لبدائيات الاصوات الشعرية القادمة من الارض المحتلة . الوعي الفلسطيني في المنفى ، بعيد عن مواجهة العدو في ظل ركود الجبهات العربية . فهو عامل داخلي في سياق الحركة القومية . من هنا لم يكن لصوته الشعري الاستقلالية النسبية التي عادت فانفجرت في اواخر الستينات ، لتؤثر لتطور من نمط جديد في الشعر الفلسطيني .

غالبا ، ما يجري طبع مناقشة الحركة الشعرية الفلسطينية في الارض المحتلة ، بطابع رومانسي ، فيصبح النقد خارج النقد . اي يجري تغييب النقد لمصلحة احد اتجاهين :

١ — الاتجاه الاول الذي يتعامل مع هذا الشعر بما يشبه القداسة . فهو صوت مرحلة صعود حركة المقاومة . وهو الصوت الذي يؤكد الهوية والانتماء . لذلك جرى البحث في مضامينه وفي دلالات هذه المضامين . وجرى ادماج هذه المضامين داخل الحقل الايديولوجي العربي السائد ، الذي فقد مع الارتجاجة الحزيرية عناصر قدرته على الثبات ، او جرى ومن موقع آخر رفع هذا الشعر الى مصاف لا يمس من خلال التركيز على رومانسيته الواقعية التي تتواكب مع مرحلة صعود رومانسية قومية .

٢ — الاتجاه الثاني الذي نظر الى هذا الشعر من موقع عدم ثقة مسبقة . فهو ليس شعر مقاومة ، لان الموقف السياسي الذي ينطلق منه هو موقف لا يرفض وجود الدولة الصهيونية ، بل يعارض من خلال مؤسساتها الشرعية . وجرى من خلال هذه الوجهة التركيز على الطابع غير الثوري لهذا الشعر وعلى عدم قدرته على الاستمرار .

بين هذين الاتجاهين قاسم مشترك أساسي . هو محاكمة الشعر بمقاييس غير شعرية . أي محاكمته من موقع الدلالة السياسية المباشرة . لذلك يقع الموقفان في الخطأ نفسه الذي يعتبر دلالة الشعر مجرد دلالة سياسية مباشرة ، ولا يلتفت الى الدلالة الاساسية : دلالة البنية التي تلخص موقفا شاملا هو محصلة لممارسة كاملة . أي ان المقياس التاريخي الذي يحاكم حركة شعرية بدلالاتها التأشيرية التاريخية ، بوصفها تعبيرا عن الوعي قد بقي غائبا أو شبه غائب . لذلك قد يتحول الاتجاه الاول وفي مرحلة تراجع سياسية الى الاتجاه الثاني ويذهب أبعد من ذلك الى ادانة كل شيء .

ان النقطة الاساسية التي ننطلق منها في دراسة دلالات هذا الشعر هي في وضعه داخل سياقاته التأسيسية . فهو ينطلق من وعي « قانوني » حاد . انه التعبير عن شعب مقتلع ، يبقى في ارضه متشبثا بها ، ورافعا راية الوحدة القومية — الثقافية المهدهة . ان نقطة انطلاقه القانونية هذه تلقي الضوء على أربع دلالات :

١ — **دلالة الشكل** ، حيث الشكل لا يدخل ضمن المعاناة الا بوصفه لباسها الخارجي . فالقصيدية هي وعاء للشعر . من هنا ضمور المعاناة التشكيلية الى حد الخفوت . فهذا الشعر الذي يقفز من تجربة حنا ابو حنا (١٠) الكلاسيكية التي تجسد نقطتها الاساسية في الامتداد نحو الخارج العربي ، الى شعر « حديث » يستعيد اللغة النزارية ، ويحاول استيعاب تجربة البياتي الواقعية من موقع بنية القصيدة التي تركز على القضايا البسيطة واليومية ، وتحيلها الى جو شعري متكامل ، يفترض الوعي القومي ، اساسا لعملية الامتداد الاجتماعية — السياسية التي يقيم هذا الشعر اطارته في داخلها .

٢ — **دلالة الايقاع** ، حيث يشحن هذا الايقاع نفسه ، بأرضية التواصل البسيط في

اشكاله الاولى . فباتي ايقاع القصيدة مؤشرا على طرفيها المفتوحين لاستيعاب التجربة الشعبية ، التقاطا . أي ان ايقاع القصيدة يلتقط من الايقاع الشعبي بعض سماته ويقوم بادخاله داخل بنية شكل القصيدة . فتأتي دلالة الايقاع الذي لا ينفجر لتشير الى رومانسية من طبيعة خاصة تقود توجه هذا الشعر .

٣ - **دلالة الحكمة الشعبية** . غالبا ، ما يجري تضمين مقاطع من الشعر الشعبي ، داخل القصيدة الفلسطينية . فباتي هذا الشعر ليشير داخل بنية القصيدة الى محاولة استيعاب العناصر التقدمية في الثقافة الشعبية ، لنؤكد ، طابع التوجه العام لهذا الشعر .

٤ - **دلالة اللغة** . وهي أكثر دلالات هذا الشعر أهمية . لا تظهر هذه الدلالة بشكل مستقل . لكنها هي الإطار العام الذي يغلف التجربة الشعرية في الأرض المحتلة . فاللغة هي إطار الصمود . انها العلامة الأساسية التي يجب التمسك بها والتركيز عليها . فاللغة هي مستودع الذاكرة الجماعية . انها القيمة القومية الأساسية التي يجب المحافظة عليها . من هنا دور الشعر الكبير . فهو ليس أكثر قدرة على التعبئة السياسية من بقية أشكال الكتابة فقط ، لكنه أيضا يحمل في الذاكرة الشعبية ، معنى الاستمرار القومي . من هنا أهمية دلالاته القصوى . ومؤثرات هذه الدلالة .

قد تكون هذه التعميمية التلخيصية ، بالغة الغموض ، اذا لم نستطع البرهنة عليها واقعا ، وفي إطار النماذج الشعرية العينية . لذلك سوف يكون تعاملنا مع بعض نماذج شعر الأرض المحتلة ، تعاملًا انتقائيا ، أي سوف نحاول ، ومن خلال القصائد الأكثر تعبيرية ، الاشارة الى طابع الدلالات التي يحملها النص الشعري . من هنا فنحن لا نؤرخ لخطوط تطور هذا الشعر . نحاول فقط دراسة احد عناصره الأساسية ، لنعيد من خلال مقارنته بالنماذج الشعرية السابقة الارتباط الدلالي داخل بنيتين شعريتين يفترض انقطاعهما بشكل نسبي .

الهوية :

نحمل قصيدة محمود درويش « بطاقة هوية » (١١) عنصر الدلالة التكوينية لهذا الشعر واضحة ، ولا تحتاج الى تفسير نقدي . فلسبية المقاومة ، التي تظهر واضحة في هذه القصيدة ، هي الجانب الخفي من صراخها الايجابي . انها قصيدة باللغة البسيطة ، ذات اتجاه واحد من بدايتها وحتى النهاية . يرسم هذا الاتجاه ، الإطار القومي للمقاومة ، نبدا بصيغة المفرد « سجل انا عربي » . ثم تتحول هذه الصيغة الى نقاط تنقل وصفا عميقا لظواهرات الصمود . التكاثر العددي . الجذور القديمة :

» جذوري ..

قبل ميلاد الزمن رست

وقبل تفتح الحقب .»

ثم يعود الى قيم التمسك بالأرض . فهو فلاح . يحمل المقطع الثالث دلالة الانتماء الشعبي الذي يبتعد عن الانتماء الفولكلوري الرديء بمقدار ما ينفرس في «الوطن البعيد» الاعزل . هنا يصبح لون الشعر ، والكوفية ، والقرية العادية ، علامات على زمن البدايات الذي تستطيعه مقاومة معزولة تبدأ تبحث لنفسها عن أرضها الثابتة . ثم يرتفع صوت الدعوة الى المقاومة من خلال رفض سياسة مصادرة الأرض المستمرة . فاذا بهذه الخصائص - الحواجز في وجه المحتل ، تتحول في وجهتها من السلب الى الايجاب . فالرفض السلبي الذي تمارسه الشعوب المضطهدة أحتفاء بتراتها الشعبي

وبامتداداتها التاريخية ، يتحول من حاجز الى قوة تتقدم ، فتبدأ اطراف المعادلة بالتغير :

« ولكي .. اذا ما جعت
اكل لحم مفصصي
حذار .. حذار .. من جرمي
ومن غضبي !! »

ان الدلالات التي تحملها هذه القصيدة النموذجية في تعبيريتها عن وعي عرب الارض المحتلة تنقسم الى نوعين :

١ — البعد السياسي — التحريضي : لكن هذا البعد لا يأتي هنا مباشرا ، انه يختبئ خلف رموز شعبية وثقافية ، تشكل اطار هذا البعد التحريضي الذي يعود ليرز في نهاية القصيدة ، كبداية لها . اي ان القصيدة تتحول هنا الى دائرة ، نهايتها هي البداية التي تضيء بقية عناصر القصيدة ، فترجها داخل ايقاعها الخاص وتعيد تفسير بقية عناصرها . فالبعد السياسي ، هو بعد غير مباشر . انه يختفي خلف اشكال الحياة . وهذه هي قفزة البنية الشعرية التي لم يستطع الشعر الفلسطيني في الارض المحتلة المحافظة عليها ، فعاد في اغلبه التحريضي والسياسي الى نفس نقطة الانطلاق التي كان عليها الشعر في الثلاثينات والاربعينات .

٢ — البعد الثقافي : الذي يقوم هو انطلاقا من واقع الحياة اليومية التي يعيشها الناس في الارض المحتلة ، بصياغة الحواجز الثقافية التي تصافظ على احساس الصمود ، والتي تشحن هذا الاحساس بتوتر من طبيعة خاصة . فدلالات الاشياء والرموز الثقافية في الارض المحتلة هي من دلالات مختلفة عما في خارجها ، اذ تأخذ الاشياء هنا مدلول الثبات . ومن داخل الثبات يتأسس عالم جديد ينتقل من الموقع السبلي الى الفعل الايجابي .

تقوم بنية القصيدة بتوحيد هذين البعدين في لهجة المخاطبة . فهناك طرفان في معادلة درويش الاولى : الشعب والعدو . وبين هذين الطرفين يقوم حوار من طبيعة عدائية ومدمرة . هذا الحوار ليس متكافئا . وهو كذلك في الواقع . لكنه هنا يقلب معادلة الواقع ، فالصوت الذي نسمعه هو الصوت الشعبي ، ولا يظهر صوت القمع الا من خلال ردود فعل هذا الصوت ، حتى نصل في المقطع الاخير الى لهجة أكثر مباشرة . هنا تظهر القصيدة الصوت الآخر بلهجة الجهول ، وتنزل لحظة من تداعي هذين المستويين لتضم مستوى مباشرا ، لا يخدم اغراض القصيدة ، لكنه يخدم دلالة الشعر السياسية .

اذا حاولنا العودة ثانيا الى قراءة القصيدة لنقارنها بالاتجاهات المختلفة للشعر العربي ، نكتشف انها قصيدة بالغة البساطة ، هذه البساطة التي ينظرها شعر درويش في مكان آخر داعيا الى ضرورة « فهم البسطاء للقوائد » . وهي تفترض قارئاً ، وسامعا . لكنها تركز على السامع — القارئ بطريقة القائية ، لانها قصيدة خطابية بالدرجة الاولى .

يشير هذا التحليل للقصيدة الى اتجاه عام يقودها ، هو الاتجاه الواقعي الذي تلعب صيغة المباشرة فيه دورا حاسما . وتقوم الدلالات داخل القصيدة بالاندماج داخل مستوى **العلاقة بالآخر** . فالرموز الثقافية المباشرة التي تحملها القصيدة لا قيمة لها خارج هذه العلاقة . هنا تتوخد القصيدة من حيث المبدأ ، في حين تبقى مفككة . فقصيدة « بطاقة هوية » هي احدى النماذج المتقدمة في بنية شعر الارض المحتلة ،

لكن اذا أخذنا قصيدة أخرى فاننا سنكتشف ان الرموز الثقافية سوف تحل داخل علاقة ثنائية مباشرة هي صدى لاطارات الشعر الفلسطيني الاول .

ففي شعر توفيق زياد، يرتفع الرمز الثقافي الشعبي الى أقصى درجاته . فهو يضمن تصديده دائما ، او في الكثير من الاحيان ، مقاطع من الشعر الشعبي التي تدل على الصمود . لكنه في قصائده يحافظ بشكل واضح على ثنائية الذات والموضوع ، بل انه يترك هذه الثنائية تذهب بعيدا من داخل حرصه على الايقاع الخارجي ، وعلى العلاقة بالجمهور . فتخرج القصائد مفككة ، لكنها تحمل نقطة مركزية يجري عليها التركيز الدائم . ففي قصيدة « من وراء القضبان » (١٢)، وهي قصيدة تحاول الاشارة الى الطموح النضالي الفلسطيني الذي يستحيل الى « نار الكفاح نفسه » :

« ان يحبسونا .. انهم
لن يحبسوا نار الكفاح
لن يحبسوا عزم الشباب الحر
يعصف كالرياح » .

هنا تسقط الدلالات جميعها ، عند هدف واحد ، التحريض . وتصبح القصيدة وموضوعاتها ، وأشكالها المتعددة ، مجرد مداخل للوصول الى هذا الهدف . فالتحريض لا يخرج من داخل معاناة شعرية متكاملة ، يبدأ وكأنه معطى ، ويمتد داخل موضوعات مختلفة دون أن يتلون بها ، الا في الحد الأدنى الذي يسمح له بالتقدم .

بحث الفلسطيني في الداخل عن الهوية ، محاولة للوصول الى ردم هوية تاريخية . فأولية المقاومة الثقافية التي استطاع الشعب الفلسطيني تفجيرها من خلال الشعر ترسم أولى البشارات في مسيرة الدماء التي يخوضها هذا الشعب . لكن الهوية ، لم تكن ضائعة في الداخل فقط ، بل كانت ضائعة في الخارج ، في مخيمات التشريد ، أو هذا ما تريد ان تقول قصيدة دحبور «الاقادة» (١٣) . فالانتماء يتحول وبعد سنوات طويلة من القتال الذي يخوضه الشعب الفلسطيني الى انتماء من طبيعتين : — انتماء الى الفقراء ، وانتماء الى القتال . فهذان الانتماءان ، هما الشكل الجديد للانتماء الفلسطيني . الرمز الثقافي القديم الذي يستعيره شعر الارض المحتلة ، بوصفه عامل توحيد ، يصبح هنا رمزا مستقبليا . الثقافة الجديدة هي ما يجري صنعه على أرض المعركة . لهذا تتقدم قصيدة دحبور في نضجها الفني لتزواج بين ايقاعين ولتقيم عبر هذه المزوجة محاولة لتأريخ من طبيعة جديدة . فهي ترسم اطارات الهوية من خلال الواقع الذي يتحرك وتقيم دلالتها على أساس حركته حين « النهر يصير بساطا للفقراء متى يورد » .

ان البحث الفلسطيني عن الهوية ، يأخذ اطاره الاساسي من خلال عالم القرية وثوابت العلاقة بالارض وبأشياء الطبيعة . ففي قصيدة لسميح القاسم « اطار الدم » (١٤) يعود الوجدان الشعبي الى محاولته الاساسية ، رسم اطارات العلاقة التي لا تتغير ويرفع الشاعر سؤاله « ما لون المطر ؟ » عند هذا التساؤل يعود الى الاشياء حجمها الطبيعي ويصبح البحث عن ثابت العلاقة مقدمة للوصول الى « نهر الفقراء » . أي ان بدايات المقاومة الثقافية ، تمتد هنا ، لتصبح مؤشرات لمقاومة من طبيعة ثانية . ان الدلالة الاساسية ، التي تخرج منها من خلال قراءة هذا الشعر تتألف من عنصرين :

١ — العنصر الاول هو تزواج ابعاد القصيدة في محاولة للوصول الى الفعل السياسي المباشر ، من خلال أقتنية سلبية في مجملها . هنا يعود هذا الشعر الى الالتقاء

بالشعر الفلسطيني الاول بوصفه امتدادا له ، رغم أنه يتخلى هنا عن البنية الخليلية ، لكنه يحافظ على جميع عناصر علاقاتها .

٢ - العنصر الثاني ، هو بروز بدايات مؤشرات محاولات الخروج من دائرة القصيد التي تتفكك غالبا خارجي الذي يشكل عصب الشعر ، يبدأ بالتحول في اتجاه استجماع اللحظة الانسانية ، وتركها تتحرك بحرية أكثر ، وهذا يعود الى الاثر المباشر للشعر الواقعي العربي في الشعر الفلسطيني .

الأرض - المكان :

حين أرتفع في شعر الثلاثينات ، صوت الأرض - الوطن ، فإن هذا الصوت يؤثر الى نوع من الوعي السياسي الذي يجيب على تطور عام في الايديولوجيا العربية التي تركز على هذا المفهوم . لكن هذا الصوت بقي صوتا خارجيا ، فهو يتعامل مع المفهوم بوصفه علاقات محددة ، دون أن يصل الى رسم لوحة المكان بوصفها اطارا للحظة جماعية . فالإضافة التي يقدمها شعر الأرض المحتلة ، هي إضافة من طبيعة نوعية . فالمكان الفلسطيني يصبح اطارا جديدا . الأرض قادرة على التعبير عن نفسها ، انها جسد . داخل هذا الجسد يقيم الشاعر علاقاته الجديدة ، ويرسم صورته وأوجاعه . العلاقة الجديدة هي نتيجة تجربة اقتلاع جماعية . فالإقتلاع حين يمس الشعب بأسره ويبقى أقلية ضئيلة في « إسرائيل » ، فإن وعي هذه الأقلية لعلاقتها بالأرض يصبح وعيا حادا . الأرض هي مورد الرزق الوحيد - انها العمل . امتداد الفلسطيني في الزمن ، وهي أساس وحيد للاحساس بالانتماء . من هنا هذه النبرة الخاصة في التعامل مع الأرض ، التي تصل الى حدود نسيان دور سياسي مفترض على الشعر أن يؤديه :

« ثلثي قابع في السجن
والثلثان في عشب الحديقة »

دلالة الأرض هي دلالة مزدوجة :

الدلالة التي يشير اليها شعر سميح القاسم ، حين تصبح الأرض موضوعا للرؤيا ، اطارا للفعالية المباشرة . فالعلاقة بالأرض تأخذ هنا بعدها من الذات ، من صاحب العلاقة الذي يقاد الى انشادها من خلال موضوعات الفعالية التي تخرج منها . فالعلاقة هذه هي علاقة فلاح ، أو هي في الوقت نفسه علاقة مقاومة :

« يوم ولدنا ولد الرغض
فاستبشري أيتها الأرض
ميوننا مفتوحة في الدجى
ضل على شطآنها الغضب (١٥) » .

داخل هذا النسق الاساسي من العلاقة ترتفع الشهادة السياسية ، بوصفه مخاطبة مباشرة . يدمج الشعر نفسه بالخطابة ويصبح خطا مستقيما لا يتعدد . يعلق على الاحداث السياسية ، أو يشارك فيها ، محتفظا بموقعه الاساسي الذي يقيم الدلالة من طرف واحد . فالقصيدة هنا تبقى أسيرة توتها الى الفعل . من هذا المنظور يمكن قراءة شعر القاسم ، والمستويات المختلفة التي تتداخل في هذا الشعر . فالقاسم هو شاعر يحس احساسا حادا بالخارج . أي يقيم لهذا الخارج اطارات كاملة في بنية قصيدته ، فيصخب الايقاع ، ويقود هذا الى شكل القصيدة الخليلية مباشرة ، حتى عندما تعتمد القصيدة التفعيلة وحدها . ان الوصول الى هذا الشكل في بناء القصيدة لا يحمل دلالة

شخصية أو ذاتية ، لكنه يحمل دلالة عامة تضم جميع الاصوات الشعرية الفلسطينية .
فغالبا ما يصل زياد ودرويش الى نفس المعادلة ، معادلة القصيد الخارجية ، التي لا
تبحث عن علاقاتها داخل اطارات الشعر الخاصة ، اي داخل الحركة الداخلية التي
يستطيع الشعر ان يضغطها ويجعلها في تفاعل مع الواقع الذي تنطلق منه وليست
مجرد صدى له . ان تحليل هذه المعادلة الشعرية ، يعود فيقودنا الى افتراض اساسي
انطلق منه الشعر « الواقعي » ، الذي يشكل الشعر الفلسطيني أحد روافده . هذا
الافتراض هو افتراض تعالية الشعر ودور السياسي الاساسي . لكن هذا الافتراض
وان كان يتقود الى هذه العلاقة فانه لا يحجب ابعادها الانسانية .

« في وجهي لون الارض »

داخل هذا البعد من العلاقة بالارض تندرج تصانيد توفيق زياد . هنا تصبح علامات
الارض شاهدا على ضرورات البقاء والصمود . فالشجر والبيت والطبيعة ، هي
المدخل الاساسية التي ينطلق منها هذا الشعر :

« وأحفر كل أسراري

على زيتونة

في ساحة

الدار . . . (١)» .

الارض هي العلامة التي يجري التوقف عندها ، لكنها علامة خارجية يقيم معها
الشاعر علاقة على هذا الاساس . يسقط عليها بهوموم وهموم شعبه ويستعيرها
نموذجا للصمود . فهي علامات يجري زرعها على درب طويل من النضال . هنا تبقى
القصيد كما في التحليل السابق ايقاعا ، تغلب عناصره الخارجية على بقية العناصر .
وتصبح الثقافية هي طريق الايصال السهل والمباشر .

ان النقطة التي تثرها هذه النماذج ، هي الحافة التي وصل اليها الشعر الفلسطيني
في الارض المحتلة . فهو يطور مفاهيم النضال ، يتوقف طويلا عند قيم الفلاح البسيط ،
ليمهد لقفزة نوعية في التعامل مع المكان .

يمثل شعر درويش ابتداء من مجموعته « العصفير تموت في الجليل » (١٧) ، محاولة
الخروج الاساسية الى العلاقة الرخبة بالارض ، فتستحيل الارض الى فعل خاص
يشحن العلاقة الانسانية بها ويغيد تشكيلها . فالاطار الوظيفي للعلاقة الذي كان حتى
الآن سائدا ، يفقد بشكل شبه نهائي ، وتصبح العلاقة نفسها هي موضوع الشعر .
هنا ينحني الصوت الشعري فيما يبحث عن اطاراته ، لا تعود اطراف القصيد حادة
ومسننة ، بل تصبح دوائر متتالية ، وتقوم بالنسج على منوالها الخاص :

« هي الارض لاجئة في جراحه » .

لم نجد امام استعارة للارض « غيب الخليل » او أشياء القرية ، نحن امام مكان بلا
حدود ، يستطيع أن يفتح منافذ لا حدود لها للرؤيا الشعرية وايقاعاتها المختلفة . هنا
تتحول غزة من رمز ثنائي مجرد الى كل نضالي :

« وغزة لا تبوح البرتقال لانه دمها المعب »

او يصبح المكان هو النضال في حركيته الخاصة . فلم تعد تلك الثنائية التي افترضت
انسانا لتفضل بين الفعل واطاره ، بين الشكل ومضمونه ، تستطيع استيعاب ابعاد
هذا الامتداد الذي يحمل في داخله تجربة الارض المحتلة بمعانيها القومية وتجربة المنفى
بكل ما تحمل هذه التجربة من مساوية الدماء ومن تفاصيل المسيرة الطويلة التي

يقطعها اللاجئون بحثا عن الوطن ، لذلك « يختلف الزمان مع المكان » ، ولا تعود الاشياء واضحة وسهلة المسالك . فطريق الوطن تختلط بالوطن ، وتصبح المسيرة الثورية هي علامة المكان ومدلولاته . فلا مكان هنا لخط واضح من الاسقاط المباشر . فالاشياء التي تتقدم هي الفعل الانساني الذي يسير بلا حماية . ما هي الحماية ؟ حين يرسل درويش صراخه الرومانسي في خاتمة قصيدة « النزول من جبل الكرمل » (١٨) ، فان هذا الصراخ يأتي لا ليحجب دائرية القصيدة وتوزعها في ابعاد داخلية متعددة ، تلعب فيها الصورة الامتدادية دور المناطق المركزة التي يجري الانطلاق حولها ، ولكنها تأتي لتضيء هذه المناطق ، عبر ادغامها في ذلك الوجد الفلسطيني الذي يعود بين لحظة وأخرى الى منطقة الذاكرة .

في هذا الشعر ، تحل الحلول ، وتأتي الدلالات من داخل البنية الشعرية لتقيم لها امتدادها في الزمن الواقعي . فالشعر ليس فعالية خطابية ، انه محاولة للخروج من الخطابية الى نفسه ، حيث يصبح تلخيصا مكثفا بلغة الايقاع والحلم للتجربة الجماعية .

البعد النضالي المباشر :

النقاط التي رفعناها سابقا ، هي ابعاد هذا الشعر النضالية . لكننا سنحاول اثارة ثلاث نقاط حاولها الشعر الفلسطيني في سبيل الوصول الى فعاليته المباشرة :

١ — **الانتماء العربي** : يأخذ هذا الشكل اكثر من بعد واحد . فهو قد يكون امتدادا الى الواقع السياسي العربي — تبيين بالغ للانتصارات القومية ، ومحاولة الانتماء اليها بشتى الوسائل ، بورسعيد ، الجزائر ، السد العالي . . . أو قد يأخذ شكل الانتماء الى التاريخ العربي . هنا يجري التركيز على الصليبيين :

« وان كسر الردى ظهري

وضعت مكانه صوانة

من سفر حطين »

كما يقول توفيق زياد . أو قد يأخذ شكلا اكثر مباشرة وتعددا . تذكر بمعارك الصليبيين ومشلها . « خيول الروم اعرفها » كما يقول محمود درويش . لكن نفس الاشارة تعطي مدلولين مختلفين : هنا يصبح صلاح الدين رمزا قوميا يجب التمسك به ، ويجب التذكير الدائم به . وفي الخارج « يباع صلاح الدين وخالد بخلخال امرأة » . نفس الاشارة ترسم تفاوتنا هائلا في مقترب الوعي السياسي . فداخل تجربة الارض المحتلة تأخذ الاشياء مداليل مختلفة ، وترسم بصورة مختلفة عنها في الخارج .

٢ — **التراث الشعبي** : الحكمة الشعبية هي هنا أداة فعالية . تأتي فعاليتها من كونها تعود لتدمج بالثقافة الثقافية . هكذا تصبح الاغاني الشعبية في الداخل والخارج أداة داخل الشعر . لكنها تأخذ مدلولات مختلفة :

فهي في شعر توفيق زياد ، يراد بها السخرية السلبية : « واوي بلع منجل » أو احياء التراث نفسه عبر اعادة كتابته من جديد ، على اعتبار ان هذا الاحياء يلعب دورا تقدما خاصا . وهي في بعض شعر درويش اطارات للوصول الى الارض ، لذلك لا يجري التوقف عندها لكنها في شعر دحبور مثلا تلعب دورا نضاليا مباشرا . انها جزء من عالم ذكريات فتى المخيم الذي يصر على ان « الكف سوف تلاطم الخرز » .

٣ — **الاشارة السياسية المباشرة** التي قد تأخذ أشكالا متعددة . الخطابة التي يركز عليها هذا الشعر كثيرا . أو الحنين الرومانسي الى الوطن الذي يستعمر اشياء الطبيعة لتنتقل همه المباشر :

« يا عنب الخليل السر لا نثر (١٩) »

أو التركيز على مفصل الممارسة النضالية . رموز المقاومة الفلسطينية . ففي قصيدة « عائد الى يافا » يستعير درويش شخصية المناضل الشهيد أبو علي اياد ، ليرسم من خلالها ، اطارات بالغّة الشفافية للعملية النضالية وقد لبست رجلا — رمزاً . هنا لا يعود الشهيد أسطوريا ، بل يصبح الفعل الثوري هو الاسطورة التي يتحلق حولها الشعر ويرسم لها . أو حين يستعير القاسم شخصية « ليلي العدنية » فيقوم باستقاط التاريخ العربي بأسره على شخصية مناضلة ، لتعود هذه الشخصية وقد لخصت تاريخ شعب بأكمله .

غير أن هذه الاشارة تأخذ في الشعر الفلسطيني في الخارج — دحبور والمناصرة — بعدا يمزج بين الاطار الرومانسي الواضح كما في قصيدة دحبور « صفحة من كتاب الاغوار » ، حيث تتحول الشهادة الى تمصية رومانسية عادية جدا ، لكنها تستطيع اثارة العواطف والحماس ، أو في بعض قصائد المناصرة التي يشير بها الى الوطن من الخارج — يا عنب الخليل — أو قد تأخذ شكلا بالغ الانفعال الاحتجاجي . فيمتزج الاحتجاج بمرارة واقعية ، يحدها اليأس الكامل والامل الثوري في طرفين متزاوجين .

ان الطموح الاساسي للشعر الفلسطيني المعاصر ، هو طموح التعبير عن تجربة كلية ، هي تجربة الانفراس الثوري الكامل . لكن هذه التجربة لم تجد بعد اطاراتها الفنية التي تستطيع الانطلاق منها في سبيل الوصول الى طرح مشكلة الانسان المضطهد في علاقاته المعقدة . قد يرتفع صوت وليد سيف ليمتد صوب خضرة ، أو يبدأ سرحان درويش رحلة الخروج . لكن هذا الخروج يحمل في ذاته مؤشرات خاصة وجديدة ، لا بد قبل الوصول اليها من تلخيص مكثف ، لسنصر الدلالة في هذه المرحلة الشعرية .

لا تزال القصيدة تستعير نموذجها ، فهي محكومة بنثائية الشكل والمضمون بشكل لا خلاص منه . هنا يتقدم الشكل وينقى في غالب الاحيان في نفس مضامين الاشكال الفنية للشعر الفلسطيني الاول . فعالية سياسية وضور في البحث التشكيلي . تراجع أمام لحظة الانفعال الشاملة ، ومحاولة للدخول ، في عالم جديد ، لا تزال ملامحه غير واضحة . أي لا تزال أمام متطلبات بنية تتزامن فيها الاشكال والمضامين بشكل غير انتقاعي . وأذا حدث هذا الانقطاع فانه لا يحدث نتيجة تراكم ولا يتراكم .

ان محاولة حصر الدلالة ، في الاطار الذي وضعناه في مقدمة هذا البحث ، تشير الى واقع اساسي ، هو واقع دلالات الخروج من الاطارات السابقة التي يعلو فيها صوت الارجاج المباشر . فالقصيدة لا تزال في سمتها الغالبة قصيدة ارجاعية . قصيدة فارس القبيلة الذي يخاطبها ويتكيف معها من خلال هذه المخاطبة .

— ٤ —

قد نكون في بحثنا هذا ، لم نصل الى لوحة بيانية متكاملة لمعنى الدلالة في الشعر الفلسطيني الحديث . لكننا ، استطعنا على الأقل ، ان نتوقف عند محطات أساسية ، تسمح لنا بالوصول الى نوع من الفرضية التي تبقى بحاجة الى التعميم والتوقف عند بعض المظاهر التفصيلية الأخرى . لكن الاساسي في موضوعنا ، هو الوصول الى افتراض ثبات نسبي للدلالة في الشعر الفلسطيني . هذا الثبات ينشأ أساسا من واقع سياسي محدد ، ما كانت العناصر الجديدة فيه ، الا لتؤكد الطابع القومي الشامل الذي يزرع فيه الشعب الفلسطيني . فبالاحتلال الاسرائيلي ، اتخذ هذا القمع طابعا جديدا وحفر ضرورات من طبيعة ثقافية — سياسية ، فرضت اصالة خاصة ، استطاعت

أن تصل الى أقتنية تعبيرية جديدة ، هدفها الاساسي يبقى خارجها ، أي يبقى في ايصال سياسي ، يوقع القصيد ، على اذن اعتادت نوعا معينا من الايقاع ، وأصبح هذا الايقاع جزءا أساسيا من مقاومتها .

ان قفزة هذا الشعر ، خارج اطار « فلسطينيته » ، التي أكدت خصائصها ، طابعها اللصيق بالانجاز الشعري العربي ، تقتض تداخلا في هذا الانجاز اكثر عمقا وفعالية . أي الوصول الى قصيدة البحث ، التي تبحث عن الشكل الشعري الجديد فيما تبحث الحركة الجماهيرية عن تجذير طابع ثورتها الوطنية . فالوعي الرومانسي — الثوري — نستعمل هنا كلمة رومانسي بأكثر ما تستطيع هذه الكلمة حمله من ايجابية — أصبح مطالبا ، كضرورة واقعية ، بالخروج من اطاراته السابقة . هنا تأتي المحاولة الجديدة التي ابتدأت مع قصيدة درويش « سرحان يشرب القهوة في الكافيتريا » وجرى استكمالها فيما بعد في مجموعته الشعرية الاخيرة « محاولة رقم ٧ » . وهنا كذلك نتفع أهمية قصيدة سميح القاسم « مرآتي سميح القاسم » (٢٠) وبعض قصائد سيف ودحبور الاخيرة فالكلمة الشعرية ، تحاول اختراق معانيها جميعها . انها في داخل العملية الابداعية ، تترك لهذه العملية جميع امكانيات الوصول الى آفاقها الرحبة . هنا ندخل حيزا جديدا في الوعي المأساوي الفلسطيني :

— تحاول الكلمة أن تصبح دائرة ، تفتح نفسها لاستقبال دوائر الكلمات ، فيستدير المقطع الشعري وتستدير القصيدة ، وقصيدة درويش « الخروج من ساحل المتوسط » هي أكثر محاولات الوصول الى دائرية لا تكتفي بالتعبير عن حالة ، بل تنتقل الى التعبير في حالة . التعبير عن حالة هو مسافة يفترضها الشاعر أو تكون داخل تجربته مؤثرا على ثبات الثنائية بين القصيدة وموضوعها . اما التعبير في حالة ، فانه يعكس تعددا لا يستطيع القياس النظري الوصول اليه بشكل مسبق . هنا يدخل الشعر ، دائرة جديدة ، دائرة التخلي ولو جزئيا عن ماضيه والانتماء الى مستقبله .

— تأخذ الاشياء معان جديدة . فهي بالغة البساطة والشفافية ، لكنها في الوقت نفسه ، لا تستطيع ان تتوقف عند ظاهر هذه الشفافية بل تقوم باختراقها . الشهيد هو انسان عادي « حاولوا أن يصعدوا » كما يقول درويش . لكن في عاديته وعي مأساوي يتأسس خارج زمن الرجوع المباشر والذكاء الشعري ؟

— تتعدد الاصوات ، داخل العمل الواحد . هذا التعدد هو صدى لعالم غير مستقيم الحركة بين نقطتين ثابتتين . فالحركة الجماهيرية هي وليدة حركتها . هكذا الشعر ، حين يعبر داخل الشيء ، يصبح وليد هذا الداخل . هنا يصعد العالم الذي يحجبه الواقع ويقيم فراغات حركته ، استدارات في القصيدة .

— داخل هذا المدى ، لا يكون التطور وحيد الجانب ، بل يبقى القديم متعايشا مع الجديد ، وهو في تعايشه هذا قد يقيم اطارا قادرا على تعبئة الفراغات ، بمستقبلية الكلمة ، أي بمعناها الجديد . أو قد يحدث تفاوتا هائلا في النص الشعري بين شكله ومضمونه كما في « المرآتي » . هنا يظهر تزامن « الحقب » الادبية المختلفة في نص واحد ومن اول تحليل .

امام هذا التزامن الذي يطبع هذا الادب التجريبي يجري التوقف . فهو ينخرط في طابع عام داخل حقل التجارب الشعرية والادبية العربية ، لكنه هنا لا يفقد خصائصه « الفلسطينية » الا ليستعيدها . فتظهر خصيصة المكان المأساوي بوصفها اطار الوعي الجديد الذي استطاعت التجربة الشعرية الفلسطينية . فمأساوية هذا المكان تعود لتندغم بطموحه « الثوري » . بمعنى طموحه التغيري . فالتغير هنا ، لا يجري في

فضاء بلا قاعدة ، انه يقف على قاعدة حركة ثورية حية وواعية . تمده هذه الحركة بطابعه القادر على التجاوز لكنها تستطيع كذلك ان تحد من تجاوزيته ، وهذا يعود الى خصائصها الايديولوجية والمرحلة التي وصلت بها في تعبيرها الايديولوجي - السياسي عن معاناتها الواقعية .

ان دلالة الشعر الفلسطيني الحديث والمعاصر ، لم تعد دلالة ثابتة . فهي في تحولها تحمل بذور الصراع بين موروثها ومستقبلها . وداخل هذا الصراع يتشكل زمنها الادبي التداخلي . فالنداخل في الزمن الادبي ليس مجرد مسألة تقنية يمكن حلها بشكل تقني . إنها تفتتح البحث في ميادين خارج الحقل الادبي وحده . تفتتح البحث في الايديولوجيا العربية ومسار تحولاتها . والمقاييس التي نقيس بها هذه التحولات . العالم الشعري الذي لا يحد ، الا ليكسر الحدود ، هو وليد تجربة جديدة ، لا تزال في ادبنا العربي في مراحلها الاولى . لكنها تستطيع بارتباطها بالقوى الجذرية المغيرة . ان تفتتح عالما جديدا لدلالات جديدة .

- ١١ - محمود درويش ، الاعمال الشعرية الكاملة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، كانون الثاني ١٩٧٢ .
مجموعة أوراق الزيتون ، ١٩٦٤ .
- ١٢ - توفيق زياد ، ديوان توفيق زياد ، دار العودة ، بيروت (بدون تاريخ) ، مجموعة اشهد على ايديكم .
- ١٣ - أحمد دحبور ، طائر الوحدات ، منشورات دار الاداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، تشرين الثاني ١٩٧٣ .
- ١٤ - سميح القاسم ، ديوان سميح القاسم ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ ، من مجموعة اغاني الدروب .
- ١٥ - سميح القاسم ، المرجع السابق ، من مجموعة سقوط الاقنعة .
- ١٦ - توفيق زياد ، المرجع السابق ، من مجموعة ادقنوا آمواتكم وانفضوا .
- ١٧ - محمود درويش ، المرجع السابق ، مجموعة العصفائر تموت في الجليل .
- ١٨ - محمود درويش ، محاولة رقم ٧ ، منشورات دار الاداب ، بيروت ١٩٧٤ .
- ١٩ - عز الدين المناصرة ، يا غيب الخليل ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ .
- ٢٠ - سميح القاسم ، مرآتي سميح القاسم ، دار الاداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، آذار ١٩٧٠ .

- ١ - جبرا ابراهيم جبرا ، الرحلة النافسة ، منشورات المكتبة المصرية ، صيدا - بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٢٩ وما يليها .
- ٢ - فرائز فانوف ، معذبو الارض ، ترجمة د. سامي الدروبي ، دار الطبيعة ، بيروت .
- ٣ - ديوان عبد الرحيم محمود ، جمعه د. كامل السوافيري ، اتحاد الكتاب والمصحفين الفلسطينيين ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٤ .
- ٤ - أبو سلمى ، المشرق ، دمشق ١٩٦٣ .
- ٥ - د. ناصر الدين الاسد ، الشعر الحديث في فلسطين والأردن ، معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- ٦ - سلمى الخضراء الجيوسي ، العودة من النبع الخالم - منشورات دار الاداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، كانون الثاني ١٩٦٠ .
- ٧ - أبو سلمى ، من فلسطين ريشتي ، منشورات دار الاداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، نيسان ١٩٧١ .
- ٨ - معين بسيسو ، فلسطين في القلب ، منشورات دار الاداب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، كانون الثاني ١٩٦٥ .
- ٩ - معين بسيسو ، الاشجار تموت واقفة ، منشورات دار الاداب ، الطبعة الاولى ، آذار ١٩٦٦ .
- ١٠ - حنا ابو حنا ، نداء الجراح ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٠ .

الفن هو أيضا طريق التحرر

منى السعودي

كثوريين نؤمن أن الفن فاعلية محوِّلة للحياة ، وأنه ضرورة لأنسنة العالم ، أي أنه أداة نضال ضد الامبريالية ، بكل أبعادها اللاانسانية ، ففي مقابل قوى الظلم والتدمير والقهر والاستغلال يكون الفن - الشعر - الثورة قوى متكاملة للنضال من أجل الحرية .

الممارسة الفنية في جوهرها ممارسة ثورية ، أن خلق اشكال جديدة هو تفجير واغناء للحياة الانسانية ، توسيع لدائرة الفعل والرؤيا والامكانية ، وهو تجسيد للموعي . أن القدرة الانسانية على الابداع في التعبير عن نفسها بشكل دائم ، تشكل خرقا للنظام القائم ، تلغي المحرّم والثابت والجامد والماضي والليت ، متوجهة دائما نحو المستقبل والحلم والحي .

الخطّ يحوّل العالم الى حيّ

الدم يحوّل العالم الى حيّ

اللون يحوّل العالم الى حيّ

نحن نحوّل العالم الى حيّ ، فرّح ، قدرة ، اذ نكتب ونقاتل ونرسم ونكون .

ان التقاء الفن بالثورة هو تقاطع في الجوهر أي في فعل الابداع ، فالفن ليس بديلا للعمل النضالي وليس زينة له ، وليس تعبيرا عنه بشكل مباشر أيضا ، وهو أيضا ليس تابعا له أو واضعا ، ان الفنانين الذين تحولوا من رسم اللاجيء الى رسم الفدائي، لم يفعلوا أكثر من التوقّع في شكل ماضٍ ميت ، وهم لم يفعلوا في الثورة بل استعملوها .

ان مهمة الفنان كطليعي هي البحث عن لغة فنية واشكال تعبيرية جديدة ، فكل فنان جيد هو فنان طليعي ، ان توجه الفنان نحو الخلق يضعه حتما في علاقة مع مادة العالم الحية المتغيرة ، ومع القوى الصانعة للتاريخ ، والهادمة للقيم الجامدة ، وان اتخاذه الفنان موقفا ثوريا لا يعني انه مطالب بأن يكون فنانا واقعيا ، بالمعنى الضيق المحدود للواقع ، فالفنانون الذين اتخذوا موقف الثورة كانوا دائما فنانين طليعيين في تعبيرهم الفني أيضا ، من الفنانين الروس مؤسس الحركة التجريدية والبنائية الذين كانوا ثوارا لكتوبر ١٩١٧ الى جواد سليم وفناني أيسار ١٩٦٨ ، وبول غيراغوسيان وضياء العزاوي . . . فالابداع الحقيقي نقيض الرجعية والموت .

ان المناخ الثوري هو مجال تفجير القوى المبدعة خاصة في فترة تكوين الثورة ، أي قبل تحولها الى سلطة . يلتقي فيه كل هؤلاء الذين يبحثون عن تغيير شامل في الكتابة والفن والسياسة والاقتصاد والعلاقات البشرية، وان عصرنا الذي هو عصر الثورات السياسية هو أيضا عصر الثورات الفنية ، فلقد طرح الفنانون الشيوعيون خلال فترة

تكون ثورة أكتوبر وفي السنوات القليلة اللاحقة لانتصار الثورة ، طرحوا مفاهيم ولغة جديدة للفن كانت ثورة جذرية على كل المفاهيم الأكاديمية والبورجوازية التي كانت سائدة في أوروبا والعالم في ذلك الوقت ، فلقد قام فنانون مثل مالفيتش وتاتلين وكاندينسكي وكابو وبغزرنر ما بين ١٩١٢ - ١٩٢٠ بإبداع أسلوب جديد في الفن هو الفن التجريدي الذي يقوم على عناصر بلاستيكية تعتمد على التكوين الهندسي الديناميكي ، فن يتوجه نحو المستقبل والحركة في مضمونه وشكله ووظيفته أيضا ، ففي الوقت الذي كان فيه فنانون آخرون مثل بيكاسو وبرانكوزي وماتيس يبحثون عن فن تعبيرى أو رمزي أو وحشي أو تكعبي ، أي فن له علاقة تطورية بالفنون السابقة وفنون الحضارات القديمة ، نجد الفنانين الروس يبدعون لغة فنية جديدة نوعيا ، ولم يسبق لها مثيل في التاريخ ، وكانت أول ثورة ناضلت من أجل تغيير مفاهيم الفن في القرن العشرين ، لقد حاول هؤلاء الفنانون خلق ثورة في الفن معادلة للثورة السياسية والاقتصادية الشيوعية ، أي رفض جذري للأشكال والأساليب القديمة الماضية .

إننا حين نريد تحديد الالتزام الثوري الحقيقي في الفن اليوم لا بد أن نرجع إلى الأصل ، فنربط الالتزام الثوري في الفن بالحركة التجريدية الطليعية ، إذ أن هؤلاء الفنانين كانوا أول مناضلين من أجل التعبير عن روح الثورة وولادة العالم الجديد ، يقول هربرت ريد (١) « لقد قمعت الحركة ونفي محركوها أو أنهم صمتوا ، ولكنهم كانوا قد خلقوا ليس فقط حركة فنية جديدة ، وتطويرا في الأسلوب ، ولكن نوعا جديدا كلياً من الفن البنائى Constructivist Art وانتشرت ممارسته من موسكو إلى كل العالم » .

في العالم العربي اليوم بدايات حركة فنية ، بعد ركود طويل وانقطاع تام عن الممارسة الإبداعية تبدأ في استعمال اللون والخط والشكل كلغة للتعبير ، وتبدأ مرحلة الوعي للذات كقوة فاعلة لها خصوصياتها الحضارية والإبداعية ، ولقد كان جواد سليم (العراق) وأدهم اسماعيل (سوريا) ، وبول غيراغوسيان (لبنان) من أوائل الفنانين الذين حاولوا رسم ملامح تعبيرية فنية ناضجة ذاتيا ومرتبطة بالحركة الفنية العالمية المعاصرة ، وجسد هؤلاء الفنانون الوعي العربي الجديد في الخروج من السلب إلى الإيجاب ، من الغياب إلى الحضور ، وكانوا طليعة من عبر عن هذا الوعي التاريخي .

لا نستطيع أن ننظر إلى الفنانين الفلسطينيين إلا كجزء من الحركة الفنية العربية عامة ، لقد ألح بعض الفنانين الفلسطينيين في البداية على تصوير المأساة والتشرد ، وكانت هذه مرحلة طبيعية للتعبير عن الهزة المباشرة التي تعرض لها الإنسان الفلسطيني في صميم وجوده وحياته ، وفي حين جمد بعض الفنانين الفلسطينيين عند هذه المرحلة الأولى ، أخذ آخرون طريق المغامرة باحثين عن الخروج من المباشرة الانفعالية البسيطة للوصول إلى لغة فنية ذات خصائص بلاستيكية مستقلة ، كانت جزءاً من الحركة الفنية الإبداعية العربية .

من الخطأ الادعاء أن هنالك فنا فلسطينيا ، هنالك فنانون فلسطينيون ، كما هنالك فنانون من دمشق أو بغداد ، وأن الارتباط الفني العربي الفلسطيني هو ارتباط لا مثيل

له الا الارتباط بالدم • لقد شارك الفنانون الطليعيون العرب جميعا في اغناء المعركة الفلسطينية بأعمالهم الفنية ، كما استشهد مناضلون عرب على أرض فلسطين ، ان شمولية القضية الفلسطينية سياسيا وانسانيا تجعلها غير قابلة لان تحدد فقط بحدود فلسطين ومن هو فلسطيني المولد فقط ، بل تأخذ طريقها الى دم كل تقدمي ، اذ انهما قضية الحرية الانسانية عامة ، ففي الزمن الذي تصير فيه قضية الثورة قضية عالمية ، وفي الزمن الذي صار فيه الفن أيضا حركة ذات صبغة وسمات عالمية ، نرفض العودة الى تكريس مفاهيم ضيقة ومحدودة •

ان زمن المقاومة الفلسطينية الذي هو زمن ابداعي ، زمن الحلم والفعل ، ساهم في خلق علاقات جديدة بين الفن العربي والحياة ، أخذت هذه العلاقات أبعادها ضمن العمل الفني ذاته في شكله ومضمونه وفي وظيفته أيضا ، فبعد حزيران ٦٧ وبتصاعد المقاومة الفلسطينية ومدى الشعبي على الأرض العربية حدث التقاء فعال بين الفنان والمجتمع ، وخرج الفنانون من دقاتهم ولوحاتهم ومراسمهم للمشاركة في صنع التاريخ ، يقول كمال بلاطة (٢) « بأن الفن الذي انتجه الفلسطينيون بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ينوع خاص هو خطوة أولى نحو اتحاد الأفراد بالكل » • ان مثل هذا الاتحاد لم يقتصر على الفنان الفلسطيني بل شمل طليعية الفنانين العرب ، فكان « شهادة الاطفال في زمن الحرب » تعبيراً عن هذه الروح الثورية الجديدة في البحث عن الالتحام ، وتقجير القاعدة الشعبية نحو المشاركة الابداعية ، كان نذير نبعة في ذلك الوقت يرسم لجلة الثورة في دمشق ويزين كتباً لشعراء المقاومة في الأرض المحتلة ، وعبد القادر أرناؤوط يبدع ملصقات ضدالصهيونية بلغة بلاستيكية هندسية توحد بين الشعار النازي والنجمة السداسية ، وفي بغداد رسم ضياء العزاوي « شاهد من هذا العصر » عن يوميات مقاتل فلسطيني في عمان - ايلول ١٩٧٠ •

في أمريكا كان كمال يلاظه من القدس القديمة يرسم بالحبر الملون أحلام فلسطين ، حصان جامح من أرابيسك عربي ، امرأة فلسطينية ترتدي أشعارا فلسطينية ، وكان فلاديمير تماري من يافا يبحث في بيروت عن حرف عربي جديد بسيط وعملي ، ثوري ، سماه مؤخرًا حرف القدس ، وعرض فنانون آخرون مجموعة لوحات عن الثورة والحب ، وفي بغداد أقيم معرض للملصقات في ساحة عامة ، وأخذت الأعمال الفنية طريقها نحو الشارع عن طريق الملصقات والكتب والبطاقات ، وترك فنانون آخرون ريشهم والتوانهم وحملوا البنادق •

« ان الانسان الذي يبحث عن وحدة الانا المحدودة بوجود جماعي عن طريق الفن » (٢) يعرف في مثل هذه الفترات الديناميكية اتصالا حيا وعموديا بالجماعة ، بحيث يصير هو والعالم نارا واحدة ، برقاً واحداً •••

ان حاجتنا للفن - التعبير هي حاجتنا للقتال ، فقضية الثورة واحدة لا تتجزأ ، وان مدننا تحتاج الى اعمال فنية حاجتها الى الديناميت ، ان الفن هو أيضا نوع من العنف ، وهو أيضا طريق نحو التحرر •

(٢) كمال بلاطة ، نحو فن عربي ثوري ، مواقف عدد ٩ •

(٣) ارنست فيشر (ضرورة الفن)

السينما وقضية فلسطين

وليد شमित

انتبهت الحركة الصهيونية منذ مؤتمرها الأول في بال عام ١٨٩٧، أي بعد سنوات قليلة جداً من ولادة السينما، إلى أهمية هذا الاختراع العجيب والدور الاعلامي والدعائي الخطير الذي يمكن ان يلعبه. وبعد سنتين فقط من مؤتمر بال شددت على ضرورة استعمال السينما كوسيلة لنقل الفكر الصهيوني إلى اليهود انفسهم وإلى شعوب أوروبا بشكل خاص. وتطور مع الوقت، وحسب مقتضيات الحاجة والضرورة والخطط الانية والاستراتيجية للصهيونية، الهدف من السينما الذي ارتكز، في البداية، على أسس عامة ثم تبلور فيما بعد حول ثلاثة محاور رئيسية: دعم فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين والتركيز على اللاسامية وبالتالي اضطهاد اليهودي في كل مكان، صبغ الفكر الصهيوني بالطابع الانساني، وحق الشعوب في تقرير مصيرها وزيط هذا المبدأ بحق اليهود في فلسطين.

ونجحت الصهيونية، بعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، نجاحاً ملموساً، بفعل رؤوس الأموال اليهودية في أوروبا وأميركا وبفعل هيمنتها على قسم كبير من وسائل الإعلام الغربية، في استعمال السينما بهدف تشويه الحقائق وقلبها واعطاء صورة مزيفة عن طبيعة الدولة اليهودية تبدو إسرائيل من خلالها دولة متقدمة ومنازة اشعاع في المنطقة العربية المتخلفة. بل ذهبت ابعد من ذلك وحاولت ان تلغي وجود الشعب الفلسطيني، وان توهم العالم بأن حق اليهود في فلسطين حق تاريخي، وبأن حرب ١٩٤٨ كانت حرب استقلال وتحرير خاضها الشعب اليهودي ضد الانجليز والعرب معاً.

وتحقيقاً لهذه الغاية كان لا بد من تسخير التاريخ وتوظيفه لصالح « الشعب المختار»، فقامت هوليوود بانتاج مجموعة أفلام « تاريخية» تدور أحداثها قبل المسيحية وتتناول مشاكل القبائل اليهودية مع الفراعنة الذين اضطهدها اليهود وحاولوا منعهم من العيش بسلام في « ارض الميعاد». ومن أبرز هذه الافلام « الوصايا العشر» لسيسل ب. دي ميل، و « الفراعنة» لهيوارد هوكس و « سليمان والملكة سببا» الذي « يظهر» جذور علاقة تل أبيب بأديس أبابا!

وكان من الطبيعي بعد ذلك ان تستغل الصهيونية المجازر التي ارتكبتها هتلر بحق يهود أوروبا في الحرب العالمية الثانية، للتأكيد على مسألة اضطهاد العالم، قديمه وحديثه، لليهود الذين لا حصل لمشاكلهم سوى بانشاء وطن قومي لهم، وبالتالي ضرورة قبول العالم بإسرائيل كحل نهائي للمسألة اليهودية. ومن أبرز الافلام التي شذذت على هذا الامر فيلم « اكسودوس» (Exodus) للاميركي أوتو برنجر و « حائط في القدس» للفرنسي فرديريك روسنتف.

وأهملت الصهيونية كثيراً بالتأكيد على ان « فلسطين ارض دون شعب لشعب دون ارض». وعندما لم يعد بالإمكان جعل العالم يعرف ان فلسطين كانت ارضاً قاحلة وغير مأهولة، غيرت الدعاية الصهيونية تبريراتها واعترفت بأنه كان في فلسطين بعض السكان، ولكن هؤلاء تركوها قاحلة جزاءً. وظهرت بعد ذلك مجموعة كبيرة من

الافلام التي تصور كيف ان اليهود حولوا الصحراء الى جنّة ، وبالتالي كيف اهمل العرب هذه الارض خلال قرون . وتمكنت الصهيونية بذلك من التأثير على قطاعات كبيرة جدا في الرأي العام العالمي . بل انها ضمنت تأييد وعطف عدد غير قليل من المثقفين والقنانيين والسينمائيين التقدميين الذين اعجبوا بالتجربة الاسرائيلية ، كما قدمتها وصورتها الدعاية الصهيونية ، حتى ان المخرج الفرنسي التقدمي كريس ماركر قام عام ١٩٦٠ في اسرائيل ، باخراج فيلم « وصف كفاح » اشاد فيه بالشعب « الذي عرف كيف يحول الصحراء الى حدائق » .

امام هذه الحملة الاعلامية الشرسة التي استخدمت فيها السينما حسب تصورات وخطط موضوعة ومدروسة وواعية ، عجز الاعلام العربي بشكل عام والسينما بشكل خاص ، منذ بداية الصراع العربي الاسرائيلي ولغاية ٥ حزيران ١٩٦٧ ، عن القيام بأي تحرك فعلي من شأنه مواجهة الصهيونية التي وجدت نفسها وحيدة في الساحة تصول وتجول كما تشاء .

وبالرغم من كون القضية الفلسطينية « قضية العرب الاولى » ، ومع انها لعبت دورا كبيرا على المستوى السياسي العربي وكانت ، بشكل أو بآخر ، وراء معظم ما عرفته المنطقة من تبدلات وتغييرات في انظمة الحكم ، وبالرغم من ان هذه القضية بالنسبة للعرب هي قضية ارتباط قومي ومصيري بالاضافة الى كونها قضية انسانية ، مع ما في ذلك من حتمية الصراع ضد الصهيونية العنصرية وضد الكيان الاسرائيلي الذي يشكل رأس حربة للامبريالية العالمية ، وخاصة الاميركية ، في قلب الوطن العربي ، بالرغم من كل هذا بقيت السينما العربية ، وخاصة المصرية ، خلال سنوات طويلة ، بعيدة كل البعد عن القيام بأي اهتمام حقيقي بالقضية الفلسطينية من شأنه مواجهة ادعاءات واقتراءات واكاذيب الاعلام الاسرائيلي . ويعود تخلف السينما العربية عن القيام بهذه المهمة الخطيرة والملحمة الى اسباب عديدة في طليعتها عدم اهتمام الاعلام العربي جديا ، وخاصة الاعلام الموجه الى الخارج ، بالقضية الفلسطينية والتخلف الفكري الذي كانت تعاني منه السينما العربية ، ولا تزال الى حد بعيد ، وبالتالي عدم ادراك أهمية استعمال السينما كسلاح فكري وايدولوجي وسياسي واعلامي ، وهيمنة انظمة الحكم ووسائل الرقابة والقمع على السينما ومنعها من اثاره كل ما له علاقة بالقضية الفلسطينية الا من بعض الجوانب العاطفية الهامشية ظهرت في سبعة افلام مصرية فقط ، هي مجموع الافلام العربية التي اشارت الى القضية الفلسطينية من قريب أو من بعيد قبل هزيمة ٦٧ . وأول هذه الافلام «فتاة من فلسطين» (١٩٤٨) لمحمود ذو الفقار لا يختلف شكلا ومضمونا عن كافة الافلام الميلودرامية المصرية : فتاة فلسطينية تترك بلدها بعد قيام دولة اسرائيل وتذهب الى مصر وتقيم عند اسرة في القاهرة . ويقع ابن هذه الاسرة بحب الفتاة وينسى خطيئته . وبقية الحكاية معروفة . الخطيئة تنهم الفتاة الفلسطينية بانها سرقت خطيبها ، والفتاة تحزن وتهرب ، وفي النهاية تلتقي مع الشاب ويتزوجان . وتضمن الفيلم لا اقل من ثمانين اغنيات .

وفي العام ١٩٥٧ ، أي بعد العدوان الثلاثي على مصر ، قام المخرج كمال الشبخ باخراج فيلم « ارض السلام » الذي يتحدث عن شاب يشارك باحدى العمليات الفدائية داخل الارض المحتلة ويتعرف على شابة تساعد في تنفيذ العملية ، ويتزوجان بعد العودة الى مصر . ويعلق الناقد المصري سمير فريد على الفيلم بقوله « . . . وهكذا انتقل الفيلم المصري الروائي الطويل من ميلودراما الحب والزواج الى ميلودراما المغامرة والشجاعة التي تنتهي أيضا بالحب والزواج دون تحليل طبيعة العمل الفدائي واسبابه واغراضه » .

الفيلم المصري الثالث « جريمة في الحي الهاديء » لحسام الدين مصطفى الذي يتناول اغتيال اللورد موين في القاهرة لانه قال للحكومة البريطانية ، على حد تعبير الفيلم « انت حكومة غلطانة علشان تشجعي الصهيونية وتقفى ضد العرب » ، انتقل بدوره من مغامرات الحب والشجاعة الى المغامرات البوليسية .

هذه النماذج من الافلام التي حشرت اسم فلسطين في حكايات ميلودرامية ومغامرات بوليسية ، تعبر خير تعبير عن « الدور » الذي قامت به السينما العربية في تناولها للقضية الفلسطينية ، وعن نظرة هذه السينما للقضية ، في الوقت الذي كان العدو الصهيوني يجيش كل طباقته الاعلامية ، بما فيها السينما ، لاغراضه العنصرية والعدوانية .

هذا الواقع المرير لم يتغير كثيرا بعد قيام الثورة الفلسطينية عام ١٩٦٥ وبعد هزيمة ٦٧ . فكما قام عام ٤٨ منتج « فتاة من فلسطين » باستغلال وقع الهزيمة على الشعب المصري ، ومنتج « ارض السلام » باستغلال المشاعر الوطنية بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، قام عدد من المنتجين التجاري في سوريا ولبنان والاردن بشكل خاص ، باستغلال عاطفة الجماهير وحماسها للثورة الفلسطينية منذ قيامها عام ١٩٦٥ . فجرى انتاج مجموعة كبيرة من الافلام التي لا تحمل اي فكر سياسي سوى الفكر المتخلف الذي كان وراء انتاجها ، ولا تتضمن اي تحليل للواقع الفلسطيني . ولم تقم هذه الافلام سوى بنسج الاحلام والاهام حول العدو وحول العمل الفدائي، ونقلت صورة مشوهة وكاريكاتورية ومغلوبة عن الثورة . وارتبطت هذه الافلام ، كما السينما التجارية العربية التقليدية ، بمفهوم شبك التذاكر و « الجمهور عاوز كده » وانفصلت تماما عن الواقع الموضوعي الذي استغلته بهدف تحقيق ارباح مادية على حساب الثورة فحسب . وكان من الطبيعي ان تلقى هذه الافلام، على الاقل في البداية، اقبالا شديدا من جماهير عرفت طعم الهزيمة اكثر من مرة واعادت على الخطب الحماسية والشعارات الرنانة . غير ان بعض فصائل الثورة الفلسطينية التي ساهمت الى حد ما في هذه الافلام عبر المساعدات والتسهيلات التي وفرتها للمنتجين ، تداركت الامر وتشددت في السماح لهؤلاء بانتاج المزيد منها .

والى جانب هذه الافلام التجارية الضحلة ، جرى تحقيق بعض الافلام الروائية والتسجيلية التي تشكل علامة مضيئة في تعامل السينما العربية مع القضية الفلسطينية . ومعظم هذه الافلام كان من انتاج القطاع العام في سورية والعراق ومصر والجزائر، وابرزها من الافلام الروائية الطويلة ، حسب تواريخ انتاجها ، « رجال تحت الشمس » لنبيل المالح ومحمد شاهين ومروان مؤذن، و « السكين » لخالد حماده، و « المخدوعون » لتوفيق صالح (والفيلمان الاخيران مأخوذان من روايتين للشهيد غسان كنفاني) - انتاج المؤسسة العامة للسينما السورية التي شاركت ايضا بانتاج فيلم « مائة وجه ليوم واحد » لكريستيان غازي . و « سنعود » لمحمد سليم رياض (انتاج جزائري) و « اغنية على المر » لعلي عبد الخالق (مصر) المأخوذ عن مسرحية بنفس الاسم لعلي سالم نقلها الى السينما ايضا في سورية المخرج امين البني تحت اسم « حتى الرجل الاخير » . هذا الى جانب العديد من الافلام التسجيلية والتجريبية والوثائقية .

ان ما يميز معظم هذه الافلام بشكل عام وعلى اختلاف مستوياتها واساليب تنفيذها، هو الوضوح الفكري والتحليل السياسي الواعي لابعاد القضية الفلسطينية . ولقد حاول مخرجو هذه الافلام تقديم مضامين افلامهم بأشكال نقية متقدمة مما ساعدها على الوصول ايضا الى بعض التظاهرات السينمائية الدولية الهامة التي ساهمت بالتالي على نشرها والتعريف بها في الخارج . وكان ذلك الى حد كبير اول خطوة

عملية من السينما العربية في تخطي جدار الاعلام الصهيوني في الخارج . وفي الوقت نفسه عبرت هذه الافلام عن اتجاه اخر في السينما العربية غير الاتجاه التجاري التقليدي السائد .

والاقرار بواقع ان السينما الفلسطينية ، في اطار الظروف الموضوعية القائمة ، هي انتماء سياسي ونضالي وليست انتماء جغرافيا ، يؤدي بنا الى اعتبار هذه الافلام من سينما فلسطينية ولدت فعلا عام ١٩٧٠ ، أي بعد خمس سنوات من قيام الثورة ، على ايدي سينمائيين فلسطينيين وعرب ارتبطوا بالمقاومة ارتباطا مباشرا . وفي مطلق الاحوال خدمت هذه الافلام الى حد كبير السينما الفلسطينية بالرغم مما قد يؤخذ عليها من انها انتجت دونما معاشرة حقيقية لواقع الثورة الفلسطينية ودونما رؤية واضحة ومعبرة عن استراتيجيات الثورة الفلسطينية ، نتيجة لظروف انتاج هذه الافلام في اطار الواقع السياسي العربي الموضوعي .

وقبل تناول السينما الفلسطينية لا بد من الاشارة الى انه منذ نشوء حركة المقاومة الفلسطينية بشكلها المسلح واتساعها ما بعد عام ١٩٦٧ ، على اثر هزيمة حزيران ، وفد الى مناطق تواجد الفلسطينيين قواعد ومخيمات ، مجموعة من المصورين الاجانب ليسجلوا الى وكالات الانباء ومكاتب الارشيف جملة من الوثائق عن حياة الشعب الفلسطيني الذي بدأ قضيته تأخذ بعدا أكثر انسانية نتيجة للواقع الموضوعي الفريد من نوعه الذي عاشه الشعب ضمن ظروف غير آمنة على مستوى المنطقة و غير انسانية على مستوى التآمر الامبريالي الصهيوني . والذي يطلع على الوثائق الارشيفية القديمة، منذ الحرب العالمية الاولى عندما تحركت الكاميرة في ارض فلسطين مع تحرك الجيوش العالمية في المنطقة العربية، وحتى الوقت الحاضر يجد آلاف اللقطات القصيرة الاخبارية المجردة التي ينتها الجرائد العالمية ووكالات الانباء السينمائية . وهذه الظاهرة - ظاهرة الخبر والارشيف - لاتزال قائمة وكانت هي احدى الدوافع التي جعلت هذا العيد الهائل من الكاميرات.تفد الى المخيمات لتسجل هذا الواقع الاجتماعي والكفاحي . ومع عودة الكاميرات الاجنبية الى المنطقة ، جاء عدد من السينمائيين والمصورين ليحققوا افلاما من نوع خاص لتستعمل في غير صالح المقاومة والشعب الفلسطيني . ولقد اغفلت الثورة وللأسف اهدافهم ، فسمحت للكثيرين منهم بتسجيل ما يريدون تسجيله دونما رقابة . وفي الوقت الذي كان فيه الاعلام الرأسمالي الذي يقدم خدماته الكثيرة للحركة الصهيونية بسبب النزعة العدائية لحركات التحرر، كانت اجهزة التلفزيون ومؤسسات السينما هي الأكثر تحركا وفعالية في هذا المجال ، فتم تصوير مجموعة من الافلام التي خدمت الى حد بعيد الاعلام الصهيوني الذي كان يؤكد على أمرين اساسيين : ١ - حق اليهود الذين عانوا من الاضطهاد النازي في العيش في وطن قومي خاص بهم . ٢ - ان الفلسطينيين هم مجموعة من الارهابيين ، رغم انهم لم يقاسروا كثيرا في حياتهم قياسا بما تحملسه اليهود ، وان مشاكلهم يمكن ان تحل بحياة افضل من حياة المخيم ، ضمن امكانيات الواقع العربي .

ضمن هذه الحالة لم تكن الكاميره الفلسطينية قد تحركت بمعنى التحرك الواعي والقادر على مستوى الانتاج والتوزيع . ومع قلّة السينمائيين الموجودين في حركة المقاومة ، وبمع عدم مساهمة السينمائيين في التصدي للجملة الصهيونية نتيجة للاوضاع السياسية العربية ، فان الكادر السياسي الفلسطيني لم يكن هو الاخر قد ادرك حتى ذلك الوقت البعد السياسي والاهمية الاعلامية للشريط السينمائي الفلسطيني . وكثيرا ما عرقلت محاولات فلسطينية بهذا الصدد . الا ان الاصرار كان رائد بعض الشبان الذين ارادوا ان يجانب الشريط السينمائي قدرة البندقية والمقاتل .

فسجلت بعض الوثائق دون ان تتضمن أية رؤية سياسية . وكانت هذه البداية مهمة أدت الى إنتاج أفلام تتخطى مفهوم الوثيقة بحد ذاتها ، كما أدت الى الاقتناع بأهمية وضرورة استعمال السينما ، مما حمل الثورة الفلسطينية عام ١٩٧٠ على تقديم مذكرة الى اللجنة التحضيرية للمهرجان الدولي الاول لأفلام وبرامج فلسطين الذي أُقيم في بغداد ، ضمنها مذكرات ومبادئ أساسية عامة « مستقاة من صميم الممارسة العملية للثورة الفلسطينية في مخاطبة الذهن الانساني » . ولقد جاء في هذه المذكرة ما يمكن اعتباره خلفية فكرية وسياسية للسينما الفلسطينية او التي تتناول القضية الفلسطينية .

ومن النقاط التي تضمنتها المذكرة :

— إبراز الجانب الانساني في قضية شعب فلسطين من زوايا انها قضية وطن يغتصب وشعب يشرد وأنسان يحرم من حقه في تقرير مصيره .

— ينبغي الابتعاد كل البعد عن كل ما يظهر الانسان الفلسطيني او العربي بمظهر الإنسان المتهدم الرث المنكر .

— ينبغي التأكيد على جماهيرية العمل الفلسطيني والعربي وإبراز بطولة الشعب من غير الإغراق في المبالغة الخطابية والانشائية .

— ينبغي إبراز الجوانب النضالي من القضية وارتباطه بحركة النضال التحرري العالمي ضد قوى الاستغلال والاعتصاب والاستعمار بكل اشكاله .

— إبراز المبررات المنطقية الكافية لحق الشعب الفلسطيني في حمل السلاح من أجل التحرير ، مع التأكيد على انسانية المقاتل الفلسطيني وثورته البعيدة عن كل النزعات العنصرية او التأميرية او الانتقامية او التعطش الدموي . وانها تحارب لمنع الحرب وليس جبا بالحرب .

— التأكيد على ان الثورة بشعارها الاستراتيجي حول الدولة الفلسطينية الديمقراطية تقدم الحل العملي والمنطقي المصعج مع روح العجز بديلا للكيان الصهيوني العنصري الفاشي المتناقض مع الواقع الانساني ومع روح العصر .

— دحض كل المزاعم الصهيونية التي تحاول ان ترهب الضمير الانساني بسيف اللاسامية .

— إبراز التراث الفلسطيني والحضارة التي بناها العرب في فلسطين والتأكيد على الجوانب المشرقة في الشعب الفلسطيني وامكانياته وطاقاته (. . .) .

بعض الافلام الفلسطينية التي انتجتها فصائل المقاومة تطرح مضامين نابغة من هذه المرتكزات الاساسية . غير ان ثمة اسئلة مهمة طرحت نفسها في مهرجان دمشق لسينما الشباب العرب حيث نوقشت السينما الفلسطينية واهدافها ، وفي مهرجان بغداد لأفلام وبرامج فلسطين ، منها : ما هي كيفية الربط الجولي بين الفكر والصياغة بصفة عامة ؟ وما هو وجه الصراع الموضوعي والفني للفنان السينمائي في تناوله للقضية؟ وماهي امكانية نشر الافلام الفلسطينية وعرضها على الجماهير الفلسطينية والعربية والعالمية ؟

ولقد كان لطرح مثل هذه الاسئلة ومناقشتها في دمشق وبغداد تأثيره الكبير على السينمائيين العاملين في صفوف الثورة الفلسطينية الذين نجد في افلامهم تطوراً ملحوظاً في الشكل وفي المضمون وبحثاً عن صيغ فنية متقدمة تتفق مع ما تطرحه من قضايا .

ولا بد من القول انه لم تتوفر لهذه الافلام ظروف عرض جيدة . اذا استثنينا عرضها في بعض المخيمات والقواعد الفلسطينية ، فانها لم تعرض في معظم البلدان العربية لاسباب سياسية مختلفة . ولعبت التنظيمات الفلسطينية السياسية في الخارج دورا كبيرا في اقامة عروض سينمائية شكلت بدايات وصول الفيلم الفلسطيني الى الرأي العام العالمي ، ونقلت بهذا الشكل او ذاك ردة الفعل بالنسبة للفيلم الفلسطيني . وكانت مشاركة فيلم « النهر البارد » لقاسم حول (انتاج الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) في مهرجان لايبزغ ١٩٧١ بداية التحرك السينمائي الفلسطيني نحو التظاهرات السينمائية الدولية ، هذا التحرك الذي افاد ويفيد على اكثر من صعيد ولا سيما توطيد علاقة السينمائيين التقدميين في العالم مع القضية الفلسطينية . واستقطبت الثورة الفلسطينية مجموعة كبيرة من السينمائيين التقدميين في العالم الذين انتجوا وحققوا افلاما تسجيلية تطرح جوانب عديدة من حياة الشعب الفلسطيني وثورته المسلحة .

وتتولى انتاج الافلام الفلسطينية اربعة تجمعات سينمائية هي :

١ - قسم الثقافة الفنية بدائسرة الاعلام والتوجيه القومي في منظمة التحرير الفلسطينية .

وانتج هذا القسم مجموعة افلام منها : « معسكرات الشباب » (١٩٦٩) و « ذكريات ونار » (١٩٧٢) و « الفداء الملح » (١٩٧٣) و « على طريق فلسطين » (١٩٧٤) ، وجميعها من اخراج اسماعيل شموط .

٢ - قسم السينما في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - تأسس عام ١٩٧٠ ، وانتج : « النهر البارد » (١٩٧١) ، « الكلمة البندقية » و « بيوتنا الصغيرة » من اخراج قاسم حول ، و « على طريق الثورة » من اخراج فؤاد زنتوت .

٣ - « افلام فلسطين » في منظمة فتح الذي تحول مؤخرا الى مؤسسة السينما الفلسطينية في الاعلام الموحد انتج هذا القسم مجموعة افلام منها : « بالروح بالدم » (١٩٧٠) ، « عدوان صهيوني » (١٩٧٢) ، « ليس لهم وجود » (١٩٧٤) ، وهي من اخراج مصطفى ابو علي . وتنتج مؤسسة السينما الفلسطينية جريدة فلسطين المصورة التي صدر منها عدنان حتى الان .

٤ - قسم السينما في الجبهة الديمقراطية ، الذي انتج عدة افلام ايضا منها « الطريق » و « ايار » الفلسطينيين » من اخراج رفيق حجار .

بالاضافة الى التجربة الوحيدة التي قام بها مركز الابحاث في هذا الصدد عندما رعى جماعة السينما الفلسطينية وحقق فيلم « مشاهد من الاحتلال في غزة » .

ملصقات الثورة الفلسطينية

زاهي نجيب خوري

رافقت الثورة الفلسطينية حركة فنية كبيرة كانت لها أبعاد وأصداء ايجابية على غير صعيد . ومما لا شك فيه أن الوقت لا يزال مبكراً لتقييم هذه الحركة - النهضة لاننا ، أولاً ، ما يزال نعيش غمارها ولا بد أن يمر ربح طويل من الزمن حتى تستكمل هذه النهضة شخصيتها ، وثانياً ، لأن الانتاج الفني الفلسطيني مشتمت في مختلف بقاع الارض ويحتاج جمعه ودراسته الى وقت وجهد طويلين . ولا اعتقد ان أحداً من النقاد العرب قد بدأ يعمل في هذا السبيل . إذن التقييم او النقد الشامل في الوقت الحاضر لا يمكن ان يفي الفن الفلسطيني حقه ولا بد ان يكون مبتوراً مهما اجتهد الناقد في بحثه .

الناحية التي سنتناولها في هذه الكلمة ، ولو بايجاز ، تتعلق بالفن « الجرافكي » ، أي بالاعمال الفنية التي تنسخ طباعياً على مئات ، بل آلاف النسخات ، وتهدف أكثر ما تهدف الى إيصال رسالة أو فكرة ما الى أكبر عدد ممكن من الناس بطريقة سهلة تعتمد على الاستيعاب النظري السريع . مثال ذلك الاعلانات الصحفية والطوابع البريدية وبطاقات المعايدة والملصقات . وستركز بصورة خاصة على هذه الأخيرة .

أول ملاحظة يمكن ان نبديها بثقة هي ان الثورة الفلسطينية انطلقت في عصر ، بل عقد من الزمن لم يشهد تاريخ الانسان أكثر منه اهتماماً وتأثراً بوسائل الاعلام ، وبالتالي استعداداً لتبني كل ما هو غريب وجميل ومنطقي بنفس الوقت . ان الصحف والمجلات وسائر المطبوعات ، بالإضافة الى الراديو والتلفزيون ، تنقل يومياً من وإلى جهات العالم المختلفة مئات الافكار السياسية والاجتماعية والتجارية التي يستوعبها الانسان المعاصر بسرعة وببديهية مذهلتين . هذه الوسائل السمعية - البصرية لم تكن يوماً موضع توجيه واهتمام مثلما كانت في السنوات القليلة الماضية .

الجو الاعلامي العام اذن كان مهيناً عند قيام الثورة الفلسطينية بايصال أهدافها وأخبارها بسرعة الى عدد كبير من المجتمعات العربية والدولية . وقد تنبته الثورة على الصعبد القيادي وغيره من المستويات الى هذه الناحية المهمة فأولتها عناية خاصة . وطبعاً لسنا هنا في موضع تقييم نتائج هذه الحركة وبحث الوسائل الاعلامية الصهيونية المضادة والمهيمنة عالمياً والتي نجحت ، حتى مؤخراً ، في طمس الكثير من الحقائق وتشويه عدالة قضيتنا الكبرى .

مما لا شك فيه أن سيلاً كثيراً من الابحاث والدراسات رافقت الثورة الفلسطينية بشكل تلمها شهدته أي حركة ثورية أو فكرية مماثلة في التاريخ . وكان من الطبيعي أن تنتج عن هذه الاعمال حركة طباعية واسعة شملت عواصم عربية عدة ولعبت فيها

العاصمة اللبنانية دورا أساسيا ، ذلك ان عددا كبيرا من دوائر الاعلام الفلسطينية وغيرها اتخذ من بيروت مركزا رئيسيا له . ولا نبالغ اذا قلنا ان قسما محترما من القطاع الطباعي في بيروت اعتمد في تطوره في السنوات الاخيرة على ما نتج عن الثورة من حركات اعلامية واسعة . وحيث ان هذه الدوائر اولت النساجية الفنية اهتماما خاصة ، فقد تم اخراج المطبوعات الفلسطينية - اذا صح التعبير - على مستوى يمكن وصفه ، اذا ما قورن بالمستويات العالمية ، بأنه جيد في غالبيته وممتاز في بعضه . وكفن ثورة ، يعتبر هذا المستوى غير عادي حيث انه قلما نتج عن اية حركة ثورية مطبوعات بهذا المستوى .

ولا بد لنا هنا من الاشارة بالمراكز والمؤسسات البحثية والدراسية والاعلامية الخاصة التي تبارت في رفع مستوى منشوراتها الطباعية حتى تستطيع الوصول الى المجتمعات الغربية بسهولة اكثر .

كما لا بد لنا هنا بالقول اننا لا نعني بتعبير « فن الثورة » أي حركة او اتجاه فني واضح المعالم ومخطط له من افراد او هيئات ولا نعني حتى ان هذا الفن هو بالضرورة من نتاج فنانيين فلسطينيين دون غيرهم : هذا الفن يعني لنا الوسيلة الجمالية التي تستخدم في نقل او تفسير فكرة او واقع مؤيد للشعب الفلسطيني .

فمن مميزات فن الثورة انه جمع عددا كبيرا من الفنانين والمصممين العرب اشتركوا أحيانا في اخراج اعمال موحدة جاءت مثلا في التقنية والجمالية ، واذا اعثربنا ان الاعلانات المؤيدة للشعب الفلسطيني والتي ظهرت في كبريات الصحف الامريكية والاوربية جزءا من هذا الفن لا بد لنا بالاشارة الى بعض الفنانين الاجانب المقيمين بيننا والذين اسهموا اسهاما فعلا بنقل صورة الواقع الفلسطيني بشكل تتفهمه الغالبية الغربية بسهولة .

غير ان القسم الاكبر من فن الثورة كان ولا يزال من اعمال فنانيين فلسطينيين نادرا ما يسمع الانسان بهم او يعرف شيئا عن شخصياتهم . وقد ابدع هؤلاء بصورة خاصة بتصميم الملصقات التي عكست أكثر من غيرها من وسائل الاعلام الطباعية مراحل القضية الفلسطينية بوضوح وببساطة وأحيانا بعفوية جريئة .

وأهمية الملصقات كوسيلة اعلامية لا تحتاج الى الكثير من الشرح . فتوزيع الملصقات لا يقتصر على المكتبات او الافراد المهتمين بالقضية كما هي الحال في الكتب او على قراء صحف معينة كما هي الحال في المجلات او الاعلانات الصحفية او على الاصدقاء والمعارف كما هي حال بطاقات المعايدة ، بل يتعدى كل هؤلاء اذ ان نشره يمكن ان يتم في الشوارع والساحات ويمكن ان يدخل القاعات العامة والصالات وحتى البيوت . ويمكن ان يكون متحركا حين يلصق على وسائل النقل العامة او يرفع في المظاهرات والمسيرات الشعبية . والملصق الجميل الاخراج له طابع الديوامة اذ انه يحفظ ضمن اطرار كعمل فني يفرض نفسه بنفسه .

أهمية الملصقات الأساسية اذن تكمن في كثرة وسهولة انتشارها وبالتالي في عرضها بل فرض رؤيتها على كل فرد من المجتمع يستطيع القراءة .

والاهمية الثانية تكمن عموما في بساطة الملصقات من الناحية الاجراجية . فباستطاعة صورة معبرة واحدة او بضع كلمات متقنة الصياغة نقل موقف أو بث فكرة بحيث يمكن استيعابها تسعيا وعلى مختلف المستويات الثقافية والاجتماعية بسهولة وعفوية .

إذا استعرضنا مئات الملصقات التي صدرت عن هيئات فلسطينية أو مؤيدة خلال العشر سنوات الماضية يلفت نظرننا التطور المرتب وغير الشعوري الذي طرأ على الاجواء والموضوعات التي عولجت . وقد كانت تعكس هذه الملصقات ولا تزال الشعوب الفلسطينية العام الذي رافق كل مرحلة من نضاله .

ونقتصر في قولنا هذا على الملصقات التي عالجت مواضيع عامة وشاملة وليس ملصقات المناسبات التي صدرت كردة فعل سريعة على حوادث مغينة كاستشهاد هداثيين في معركة مامع العدو أو كتعليق على سياسة منحرفة أو خطاب عدائي من قبل بعض الدول والشخصيات . فهذا النوع من الملصقات ، منع فعاليته وضرورته ، لا ينطوي عادة على اي قيمة فنية اذ ان تحضيره يتم بسرعة فائقة والغاية الانسانية منه هو الاعلان عن نيا أو موقف وليس التأثير المدروس على الراي العام .

* * *

مرت مواضيع الملصقات الفلسطينية في نظرنا بثلاث مراحل واجواء واضحة المعالم رغم وجود بعض الشواذات . وكانت هذه المراحل انعكاسا مباشرا لنفسية الشعب الفلسطيني في فترات مختلفة من حياته .

المرحلة الاولى : هي أطول المراحل ، فقد امتدت من أوائل الخمسينات حتى اندلاع الشرارة الاولى للثورة . وكان من الطبيعي أن تعكس ملصقات هذه المرحلة البؤس والتشرد أكثر من غيرها من النواحي الانسانية . فصورة الفلسطيني كانت دائما هي صورة اللاجئ المظلوم الذي يبغى عطف الناس وتأييدهم . كانت هذه الملصقات تسعى لفهم العالم بالاجحاف اللاحق بالشعب الفلسطيني . انها المرحلة التي كانت تظهر فيها فلسطين بشكل انسان مصلوب والفلسطيني أما بشكل شيخ عجوز ظهرت آثار الخوف والتعب على وجهه أو بشكل طفل يحمل حمامة بيضاء في يده وكأنه يتسول أو يطلب الشفقة . وحتى الملصقات المتفائلة فكانت تعكس أمان ووطنية أكثر من واقع ملموس .

ورغم طول هذه الفترة فقد ظهر فيها العدد القليل من الملصقات والجيد منه فنيا كان نادرا . وكانت معظم هذه الملصقات تصدر في مناسبات الية كذكرى وعد بلفور أو ذكرى تقسيم فلسطين وكان توزيعها يتم على نطاق محلي ضيق .

المرحلة الثانية : هذه المرحلة هي في الواقع المرحلة التي شهدت انطلاقا الملصقات الفلسطينية في المعنى الاعلامي الصحيح وفيها وصلت المستويات الفنية الى أعلى قممها . فمع انطلاقا اول شرارة للثورة بدأت الملصقات الجميلة الاخراج والمدروسة فنيا واعلاميا تظهر في كل مكان . وكانت هذه الملصقات ، كما هو متوقع ، تعكس الثقة الجديدة التي اكتسبها الشعب الفلسطيني نتيجة لانفاضته الشجاعة . فصورة الفلسطيني تغيرت فجأة من الانسان المشرد المسكين الى الشاب القوي الثائر المقتول المضلات . أصبح الشعب الفلسطيني ماردا لا يطلب الشفقة من أحد . صور الشهداء الشباب احتلت مكان الرجل العجوز . والصبية الفلسطينية بدت تظهر مع رفيقها الثائر وهي تحمل الكلاشينكوف بدل من ظهورها في خيمة البؤس وهي في حيرة من أمرها . حتى الاطفال أصبحوا اشبالا في مخيمات التدريب .

هذه المرحلة الرومنطيقية والمبنية في نفس الوقت على واقع ملموس ، اشترك في تصويرها بعض الفنانين العراقيين بجانب اخوانهم الفلسطينيين ، فجاعت أعمالهم ممتازة ومعبرة عن أماني الامة العربية كلها ، ومما لا شك فيه ان بعض هذه الملصقات سيخلد لجملياته وحسن اخراجه .

وقد رافق هذا النوع من الملصقات البطولية ، وخاصة بعد هزيمة ١٩٦٧ ، نوع آخر من الملصقات الإعلامية المدروسة والتي اشترك في تنفيذها بجانب الفنان ، زجل الفكر والسياسة . فملصقات ما بعد ١٩٦٧ لم تعد تقتصر على أفهام العالم ان الفلسطيني من الآن فصاعدا هو رجل كفاح وثورة ، بل تعدته لتعكس أعمال العدو الهمجية وأقواله المتضاربة . وقد سخرت هذه الملصقات أحيانا بطرق ذكية وبسيطة بسياسة اسرائيل فجاءت مقنعة وفعالة الى أقصى الحدود .

ومع ان هذه المرحلة لا يمكن ان تنتهي ما دامت هناك قضية وهناك حاجة للاعلام عنها ، نستطيع نظريا القول ان انتصار العرب في حرب اكتوبر ١٩٧٣ شهد انطلاق مرحلة مميزة في هذا الحقل .

المرحلة الثالثة : مميزات هذه المرحلة نستطيع التعرف عليها من خلال الملصقات الفلسطينية المرفوعة حاليا في مدن العالم العربي . الثورة الآن أهممت العالم من هو الفلسطيني وما هي أهدافه الوطنية المشروعة . أهمته كم هو مستعد للتضحية والكفاح للوصول الى هذه الأهداف .

الملصقات طبعا تستمر في الظهور . انها اليوم تعتمد البساطة والواقعية المبنية على الثقة بالمستقبل . ملصقات هذه الفترة توحى بارتياح ان الفلسطينيين أصبحوا شعبا معترفا به وبحقوقه . مثلا ، كلمة « فلسطين » مكررة على ملصق واحد بألوان مختلفة دون أي تعبير آخر تعكس الزهو بمرحلة جديدة . وجه المناضلة ليلى خالد على ملصق يعلن عن « سنة المرأة العالمية » يعبر ببساطة عن دور المرأة الفلسطينية في وطنها وفي العالم . خارطة فلسطين أصبحت جذابة تحت أضواء العالم ولم تعد الانسان المعلق على الضليب . الملصقات الفلسطينية في هذه المرحلة تعلن بثقة ان الشعب الفلسطيني سائر الى النصر لا محالة .

الشعب الفلسطيني : ارقام ومؤشرات

جاكلين فرهود جريصاتي

المشاملة ، التي تريد دراسة اوضاع الشعب الفلسطيني العامة ، بالارتكاز الى معلومات موحدة ودقيقة .

٢ - ان غياب هذا المصطلح الموحد ، هو نتيجة لاضعاج اجتماعية وسياسية ، يعيش الشعب الفلسطيني في ظلها . فواقع التشتت والتمزق الاجتماعي ، الذي يعيشه الشعب الفلسطيني في هجرته الاجبارية ، انتج احصاءات متنوعة ومشتتة . فاحصاءات الشعب الفلسطيني ، موجودة في احصائيات البلاد العربية المختلفة التي يعيش فيها الفلسطينيون . لذلك تعالج المجموعات الاحصائية العربية ، واقع الشعب الفلسطيني من واقعا . أي بمقدار ما يمسها الواقع الفلسطيني بشكل مباشر ، مهمة خصوصياته .

٣ - من هنا كان التفاوت في السنوات التي نستطيع التوقف عندها . لان التعدادات العامة للسكان - وهي احصائيا افضل بكثير من المجموعات الاحصائية السنوية - لم تجر في سنة واحدة في جميع البلاد العربية . وقد اعتبرنا عام ١٩٧٠ ، قاسما احصائيا مشتركا وحاولنا ، استجماع ملاحظتنا في سنة واحدة . حتى نعطي مؤشرات تقريبية دقيقة نسبيا .

٤ - نتوقف عند كلمة تقريبية . لان الاحصاء عمل كلي . يجب ان يتم بشكل مركزي ، حتى يقدم معلومات متكاملة ودقيقة . ونحن ندعو ، الى الاهتمام جديا بهذا الحقل ، الذي تستطيع منظمة التحرير من خلال اجهزتها البحثية والتنفيذية بالاعداد لاجراء اول احصاء فلسطيني دقيق وشامل .

تهدف هذه الملاحظات الاحصائية ، الى محاولة تقديم صورة عامة ، شاملة ودقيقة قدر المستطاع ، عن اوضاع الشعب الفلسطيني وتوزيعه الجغرافي ، وتركيبه الديمغرافي ، وقسواه العاملة . وسوف تخدم هذه الصورة في التأشير الى الواقع الاجتماعي الذي تنطلق منه هذه الاحصاءات ، فهدف تقديم هذا العدد من الجداول الاحصائية ، هو الوصول الى المؤشرات الواقعية ، التي نريد ان نقدم لها بشكل اولي .

غير ان ، طموح هذا البحث ، يبقى في مجمله طموحا عائما في عدم القدرة على الوصول الى دقة علمية نهائية . نصل فقط الى مؤشرات احصائية واجتماعية . وتعود عدم الدقة هذه الى اسباب منهجية عديدة :

١ - الصعوبة الاولى التي تواجهنا ، هي غياب المصطلح الاحصائي الموحد . فكتاب احصاءات فلسطينية ، الذي يشكل الوثيقة (١) الاحصائية الوحيدة الشاملة ، يسد فراغا كبيرا ، لانه يقدم لأول مرة ، عرضا شاملا ، لاحصاءات متنوعة تتناول اوضاع الشعب الفلسطيني في مناطق عديدة من العالم العربي . لكن هذا الكتاب ليس كافيا . فضرورته ، هي في متابعتها، وصولا الى تقديم اولي لمصطلح احصائي فلسطيني أكثر توحيدا ، يسمح للدراسات الاجتماعية

١ - الياس خوري : احصاءات فلسطينية . مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، حزيران (يونيو) ١٩٧٤ ، وقد اعتمدنا في بحثنا هذا بشكل اساسي على هذا الكتاب .

تحركاتهم بشكل فعال ، منعاً لاحتتمالات تطورات سياسية ، لحسب ويلعب فيها الفلسطينيون دوراً حاسماً . وبدأت يعد هذا ، الهجرات الداخلية ، الضيقة ، التي تقوم بها عائلات أو مجموعات عائلات ، للم الشمل ، أو للبحث عن امكانيات عمل .

وقامت وكالة الخوف بشطب اعداد كبيرة من الفلسطينيين من سجلاتها بحجج مختلفة واهية . وهجرات خارجية : التي مناطق العمل . ففي ظل الفصل القسري بين الفلاح وقوى انتاجه - الارض - أصبح التعليم هو المجال الوحيد للتشجير الاقتصادي واصبحت مناطق الخليج بشكل خاص ، والمناطق العربية والاجنبية الاخرى ، هي مجال العمل الوحيد المفتوح . فابتدأت الهجرات الخارجية ، التي زادت في قففت الشعب الفلسطيني وتوزيعه على مناطق شاسعة يصعب حصرها . من هنا ، وفي ظل غياب فلسطيني سياسي ، بالمعنى الدقيق ، والذي لم يبدأ بالبروز الا بعد انطلاقة الثورة ، ١٩٦٥ ، أصبح التشتت ، ضياعاً في مصادر القبض الاحصائي - على الاقل - على معلومات حقيقية وذقيقة . (دون ان ننسى ان في الكثير من البلدان التي يتواجد فيها فلسطينيون ، لا يوجد أي احصاء لهم) . لذلك يقدم الجدول رقم - ١ - ، مجرد معلومات تقريبية .

وقد ميزنا فيه بين مستويين : **العدد الاحصائي** . أي العدد الذي تقدمه احصاءات البلدان ، ومن ضمنه تقديرات لبلدان لا احصاء فيها . **والعدد التقديري الأكثر دقة** ، والذي قمنا فيه بتصحيح بعد الامور الواضحة للعيان .

يقدر الجدول رقم - ١ - عدد الفلسطينيين بـ ٢,٩٦٧,٢٥٢ نسمة . وهو عدد تقريبي يمكن أن يكون مقبولاً على أساس التقديرات الاخيرة التي تشير الى أن عدد الفلسطينيين اليوم هو حوالي ثلاثة ملايين وربع المليون نسمة .

وقد قمنا في سبيل الوصول الى هذا الرقم ، بمحاكمة للاحصاءات المتوفرة :

٥ - من هنا سوف نقدم في هذه الملاحظات اكثر من مقرب واحد . التوقف اولا عند الفلسطينيين في العالم بشكل شامل ، ثم تقديم ملاحظات تفصيلية حول الفلسطينيين في ستة بلدان ومناطق عربية ، هي الاماكن الوحيدة التي تقدم معلومات احصائية شاملة نسبياً ، اما بقية البلدان التي يتواجد فيها الفلسطينيون ، فاننا لا نكاد نعثر الا على ارقام جزئية ، ولا تجيب على حقيقة التواجد الفعلي فيها .

٦ - هذه المعالجة الاولى اذن ، هي معالجة تقرب من العلمية ، بمقدار استطاعتها . الاحاطة بموضوعها . لذلك ركزنا على موضوعتين لا تزالان في غياب شبه شامل : **الاحصاء الحيوي** ، الذي يقدم مؤشرات اجتماعية عن الهجرة القصرية واشكالها ، **الاحصاء الديمغرافي** : التزايد السكاني ، **هرم الاعداد** . . . و**احصاء القوى العاملة** ، الذي يحاول للمرة الاولى - فيما نعلم - تقديم أكبر سجل ممكن عن توزيع القوى العاملة بحسب الاحصاءات العربية المتوفرة ، في المناطق الاساسية للتواجد الفلسطيني .

٧ - ان النقطة المنهجية التي لم نرفعها في هذا البحث ، هو مدى صلاحية الاحصاءات العربية . الصلاحية ليست مقياساً اخلاقياً ، فنحن نستعملها هنا بمعناها العلمي . وهذا يحتاج الى بحث خاص ومستقل - لكننا نستطيع ان نلاحظ مثلاً ان احصاءات غزة ، التي تقدمها ادارة الحاكم العسكري المصري للقطاع ، هي احصاءات غير دقيقة في الغالب . ومليئة بالنواقص والفراغات والأخطاء .

الفلسطينيون في العالم

لقد حسمت الهجرة القصرية ، التي تعرض لها الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨ ، موضوعه احصاءه للشهات ، وتمزيق اوصله الاجتماعي . فجرى تهجير الفلسطينيين ، بقوة القمع الدموي الى المناطق العربية الجاورة . ثم بدأت سلسلة هجرات ، لا تنتهي : **هجرات داخلية** : داخل الاقطار العربية في سبيل جميع الفلسطينيين في معسكرات مكددة . حتى يجسري ضبط

جدول رقم ١

عدد الفلسطينيين موزعا بحسب بلدان ومناطق الإقامة والنسبة المئوية % - ١٩٧٠	العدد الإحصائي	تقديرات أكثر دقة	بلد الإقامة
١٢ر٨	٤٤٠٠٠٠	٢٨٠٠٠٠	فلسطين المحتلة
٢٢ر٦	٦١٠٣٠٠	٦٧٠٣٠٠	الضفة الغربية
١٢ر٥	٣٧٢٤٠٠	٣٧٢٤٠٠	غزة
٣٠ر٣	٧٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠	الضفة الشرقية
٨ر١	١٣٣٦٩٥	٢٤٠٠٠٠	لبنان
٥ر٢	١٥٥٧٢٣	١٥٥٧٢٣	سورية
٤ر٥	١٤٧٦٩٩	١٣٢٩٢٩	الكويت
٠ر٧	٢٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	العربية السعودية
٠ر٥	١٥٠٠٠	١٥٠٠٠	بلاد الخليج
٠ر٥	١٤٠٠٠	١٤٠٠٠	العراق
١ر١	٣٣٠٠٠	٣٣٠٠٠	مصر
٠ر٢	٥٠٠٠	٥٠٠٠	ليبييا
٠ر٢	٧٠٠٠	٧٠٠٠	الولايات المتحدة
٠ر٢	٧٠٠٠	٧٠٠٠	اميركا اللاتينية
٠ر٥	١٥٠٠٠	١٥٠٠٠	المانيا الغربية
١٠٠ر٠	٢٩٦٧٣٥٢		المجموع

وإذا حسينا الزيادة السنوية بين ١٩٦١ و ١٩٧٠ بـ ٣٪ يكون عددهم حوالي ٧٠٠ ألف نسمة . أما التقدير الآخر فأخذناه من دراسة لنبييل شعث (١) .

٤ - الرقم الإحصائي اللبناني ، الذي يقدر الفلسطينيين ١٣٣٦٩٥ مأخوذ من رقمين : الفلسطينيين في المخيمات : إحصاء بالعينة للقوى العاملة اللبنانية ١٩٠.٦٠٠ (٢) ونضيف إليها رقم ٤٣٠٩٥ يقدرها إحصاء القوى العاملة اللبنانية لفلسطين خارج المخيمات . أما الرقم التقديري فمأخوذ عن دراسة شعث .

٥ - قدرنا نسبة الفلسطينيين إلى الفلسطينيين والأردنيين في الكويت بـ ٩٠٪ .

Shaath Nabil: High level palestinian (١) man power, in Journal of Palestinian Studies, Vol: No. 2 Winter 72.

(٢) الياس خوري : إحصاءات فلسطينية المرجع السابق . ص - ٢٠٨

١ - فأحصاء عرب فلسطين المحتلة ، قامت « إسرائيل » ، بزيادة ٦٠ ألف نسمة عليه ، هو عدد سكان القدس العربية ، فقمنا بطرح هذا العدد من رقم عدد عرب الأرض المحتلة ، وأضفناه إلى الضفة الغربية .

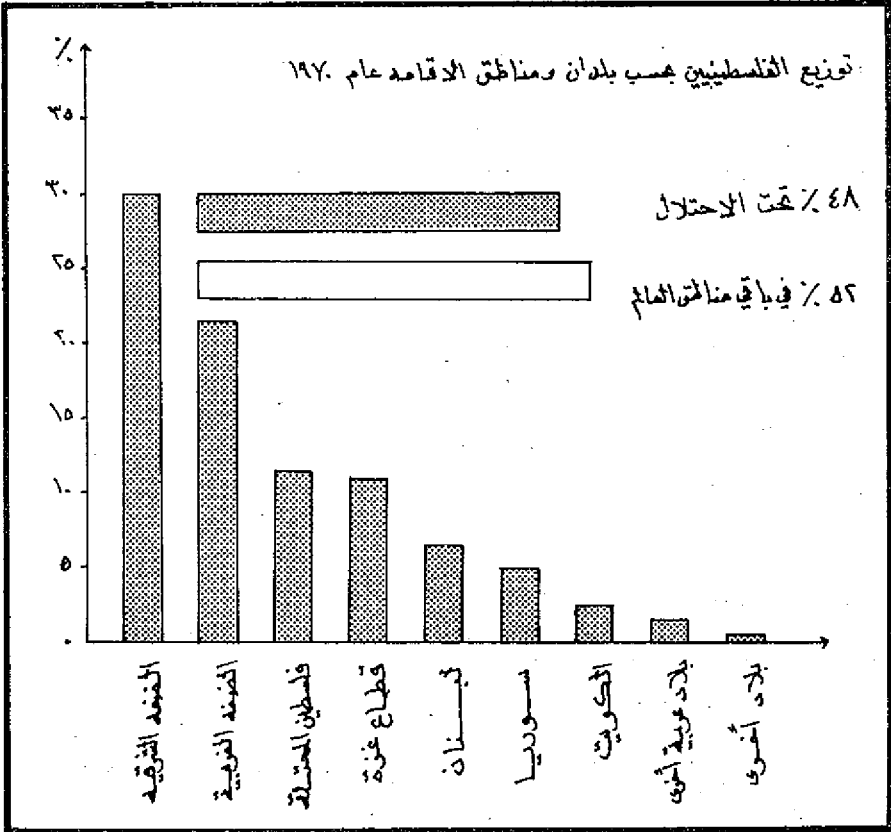
٢ - يجمع الإحصاء الإسرائيلي سكان قطاع غزة إلى شمال سيناء (العريش وبقية المناطق المصرية المحتلة) . ولم نتم هنا بأي عملية ، لعدم توافر مصادر الأرقام الدقيقة من جهة ، ولتقديرنا بأن هذه الأضافة لا تؤثر كثيراً على الرقم الذي تقدمه ، نظراً لكون سكان هذه المناطق الأضافة قليلاً .

٣ - توصلنا إلى العدد الإحصائي للفلسطينيين في شرق الأردن على أساس اعتبار الفلسطينيين ٦٠٪ من سكانها . فعلى أساس التعداد الأردني ١٩٦١ يكون عدد سكان الضفة الشرقية ٩٠٠٧٧٦ . ويكون الفلسطينيون بالتالي ٥٤٠.٤٦٥ .

الخليج ، العراق ، مصر ، ليبيا ، الولايات المتحدة ، اميركا اللاتينية ، المانيا الغربية فمأخوذة من دراسة شعث .

وهذا سبب التفاوت بين الرقم الاحصائي والرقم التقديري ١٢٢٩٢٩ ٠ ٦ - اما بقية الأرقام ، السعودية ،

رسم بياني رقم ١



الفلسطينيون في البلدان والمناطق العربية الأساسية المدروسة

سوف نحاول الآن ، أن نتقدم في اتجاه أكثر تحديداً . فنحاول أن نلقي نظرة على البلدان والمناطق ، التي تتوفر لنا فيها معلومات احصائية تسمح لنا ، بتقديم صورة عن اوضاع الفلسطينيين فيها :

١ - نميز هنا ، كذلك ، بين رقمين احصائيين : - العدد الاحصائي المعتمد في الدراسة : وهو العدد الاحصائي الذي نجد انفسنا مجبرين على التعامل ، رغم عدم دقته ، لان على اساسه ، تقوم الاحصاءات المختلفة - العربية - والاحصاء الاسرائيلي ؛

يقدم لنا ، الرسم البياني رقم - ١ - ، الذي يفسر الجدول الاول ، خريطة ذات دلالة ، عن تقسيم الفلسطينيين ، بحسب الخضوع للاحتلال أو عدمه . فهناك حسب التقدير ٤٨٪ من الفلسطينيين تحت الاحتلال . وهذا الرقم التقريبي ، يقدم بالإضافة الى مؤشرات الاجتماعية ، مؤشراً سياسياً . عن اولى المقاومة في الداخل ، التي ترتبط بالخارج بشكل واضح . فتكون اساساً تعبيراً عن اوضاع المراكز الرئيسية في الخارج ، حيث يتمتع الفلسطينيون بقسوة اوسع نسبياً على الحركة السياسية .

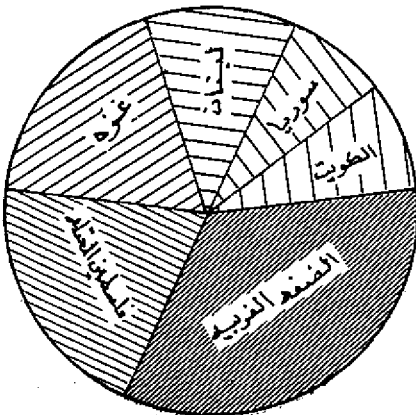
جدول رقم ٢
عدد الفلسطينيين موزعا بحسب البلدان والمناطق العربية الاساسية المدروسة
والنسبة المئوية - ١٩٧٠

البلد والمنطقة	العدد الإحصائي المعتمد في الدراسة	التوزيع الحقيقي	%
فلسطين المحتلة	٤٤٠٠٠٠	٣٨٠٠٠٠	١٩.٥
الضفة الغربية	٦١٠٣٠٠	٦٧٠٣٠٠	٣٤.٣
غزة	٣٧٢٦٠٠	٣٧٢٦٠٠	١٩.١
لبنان	١٠٦٢٠٠	٢٤٠٠٠٠	١٢.٣
سورية	١٥٥٧٢٣	١٥٥٧٢٣	٨.٠
الكويت	١٤٧٦٩٩	١٣٢٩٢٩	٦.٨
	١٨١٦٩٢٢	١٩٥١٥٥٢	١٠٠.٠

الكبيرة لسكان المناطق الخاضعة الان للاحتلال الاسرائيلي . لكن اذا اضفنا ٩٠٠,٠٠٠ فلسطيني في شرق الاردن ، تتحول الصورة اكثر لمصلحة الخارج . مع اشارة الى بقاء فجوات واضحة ، في البلدان الاخرى - الخليجية والبتروولية العربية - والمناطق الاجنبية .

٤ - يشير الجدول رقم - ٢ - الى نسبة الفلسطينيين الى السكان المتمتعين بجنسية بلد الاقامة . وهو يقدم ارقاماً كبيرة -

٣٣٣ بياني رقم ٢
توزيع الفلسطينيين بحسب
المناطق العربية المدروسة



بتوزيع النسب ، والقطاعات . لذلك اجبرنا على اعتبار عدد الفلسطينيين ، في الارض المحتلة ١٩٧٠ ، ٤٤٠,٠٠٠ ، بخلاف الحقيقة ، أي مع عدد سكان القدس العربية . كما اجبرنا على اعتبار الفلسطينيين في لبنان ١٠٦٢٠٠ ، مع فارق كبير مع الرقم الحقيقي الذي يشير الى ٢٤٠,٠٠٠ . لان احصاء القوى العاملة في لبنان يشير الى الرقم الاول حاصرا نفسه في دراسة الخيمات . اما في الكويت فقد حذفنا ١٠٪ من عدد الفلسطينيين ، باعتبارهم من شرق الاردن . فنحن نتعامل اذن مع رقم بعيد عن الرقم الصحيح . وتصحيح هذا الوضع ، لا يتم الا بشكل جزري ، أي من خلال احصاء فلسطيني خاص . لذلك فجميع نتائجنا ، تقريبية .

٢ - لم نستطع التعامل ، مع فلسطيني ، شرق الاردن . لانه في الاحصاء الاردني ، لا يوجد اي تمييز بين اردني وفلسطيني . يمكن ان نعتبر ان ٦٠٪ من سكان شرق الاردن هم فلسطينيون - كما فعلنا في الجدول رقم - ١ - ونقيم جدولنا على هذا الاساس . لكن هذا الاعتبار قد يؤدي الى نتائج خاطئة كلياً ، خاصة مع دراسة القوى العاملة . لان افتراض ان القوى العاملة تنقسم بشكل متساو ، هو افتراض بعيد عن الدقة العلمية .

٣ - يشير الجدول رقم - ٢ - والرسم البياني رقم - ٢ - المرفق به الى النسبة

جدول رقم ٣

نسبة الفلسطينيين الى السكان المتمتعين بجنسية بلد الإقامة - ١٩٧٠

نسبة الفلسطينيين الى السكان المتمتعين بجنسية بلد الإقامة	الفلسطينيون	السكان المتمتعون بجنسية بلد الإقامة	بلد الإقامة
١٤٫٩٪	٤٤٠٠٠٠	٢٩٥٨٢٠٠*	فلسطين المحتلة
-	٦١٠٣٠٠	الضفة الغربية
-	٣٧٢٤٠٠	غزة
٢٫٧	١٧٤٨٥٠	٦٤٧١٠٧٤	سورية (١٩٦٩)
١٢٫٤	٢٤٠٠٠٠	**١٩٢٨٥٨٠	لبنان
٣٨٫٣	١٣٢٩٢٩	***٣٤٧٣٩٦	الكويت

Statistical Abstract of Israel 1971 *

** القوى العاملة في لبنان - الجزء الثاني - تموز ١٩٧٢ - مديرية الاحصاء المركزي
*** تعداد سكان دولة الكويت لعام ١٩٧٠ .

وربما مرد هذا الى الهجرة طلبا للعمل .
ثم يستمر سنة ٦٧ و ٦٨ . ليعود سنة ١٩٦٩ الى وتيرة عادية .

- تقدم سوريا ، خطأ تطوريا عايدا جدا وثابتا . وهي البلد الوحيد الثابت نسبيا في نسبة الزيادات للفلسطينيين ، لكننا نفاجأ بهبوط سريع بين ٦٩ و ٧٠ ، لا نستطيع تفسيره .

الخصائص الديمغرافية

تلعب الخصائص الديمغرافية دورا هاما، في فهم وضعية الشعب الفلسطيني ، لانها تشير الى عنصرين اساسيين : - هرم الاعداد الذي يؤثر الى التركيب البنيوي للشعب . فئات السن - التي تشير الى نسبة الذين هم في سن الدراسة ، ونسبة القوة العاملة . وتكون ، قاعدة هذا الهرم كبيرة عادة في البلاد التابعة ، حيث تكون وتيرة التزايد السكاني مرتفعة لاسباب عدة . ونسبة الذكورة التي تعطي لهذا الهرم معناه الحقيقي ، فنسبة الذكور الى الاناث لا تظهر في هرم الاعداد . وهذه النسبة بالغة الامة ، لانها تشير الى هجرة الذكور او نسبة الوفاة فيهم بحسب الاعداد . ولهذين المؤشرين دلالات سياسية واجتماعية - اقتصادية مهمة .

١٤٫٩٪ في فلسطين المحتلة ، ٢٫٧ بالمائة في سوريا ، ١٢٫٤٪ في لبنان ، و ٣٨٫٣ في الكويت . تشكل هذه النسب المرتفعة ، عنصرا كبيرا للدلالة على المستويين الاقتصادي والاجتماعي والسياسي . حيث تشكل عنصرا تفاعل وتداخل على جميع المستويات داخل البنية السياسية والاجتماعية - الاقتصادية لهذه البلاد .

٥ - لقد حاولنا في الجدولين ٤ و ٤ مكرر، تقديم صورة لتطور عدد الفلسطينيين في البلاد والمناطق العربية الاساسية المدروسة . والرسم البياني رقم ٣ - يشير الى نتائج مذهلة :

- في فلسطين المحتلة ، نلاحظ زيادة هائلة سنة ١٩٦٧ ، وهذا يعود ، الى ضم القدس والمناطق المحيطة بها الى « اسرائيل » وتظهر هذه النسبة المرتفعة ، حتى دون ان تأخذ بعين الاعتبار قضية ضم القدس . وهذا واضح في المنحنى وراجع اساسا الى معدل الزيادة الطبيعية المرتفع في الارض المحتلة .

- نلاحظ في الضفة الغربية ، تناقصا سنة ١٩٦٧ . - نتائج الحزب ، والهجرة الاجبارية الجديدة . ثم تعود الزيادة الى وتيرة عادية نسبيا .

- في غزة ، يبدأ الهبوط من سنة ١٩٦٣ ،

جدول رقم 4

تطور عدد الفلسطينيين في البلاد والنطاق العربية الاساسية الموروثة 1948 - 1970 (بالآلاف)

البلد / السنة	48	49	50	51	52	53	54	55	56	57	58	59	60	61	62	63	64	65	66	67	68	69	70	
1 - فلسطين المحتلة	106,900	112,900	117,900	123,900	128,900	134,900	140,900	146,900	152,900	158,900	164,900	170,900	176,900	182,900	188,900	194,900	200,900	206,900	212,900	218,900	224,900	230,900	236,900	242,900
2 - الضفة الغربية
3 - غزة
4 - سورية
5 - الكويت
جميع (1+2+3+4+5)	108,800	114,800	119,800	125,800	131,800	137,800	143,800	149,800	155,800	161,800	167,800	173,800	179,800	185,800	191,800	197,800	203,800	209,800	215,800	221,800	227,800	233,800	239,800	245,800

* الارقام من سنة 1948 الى سنة 1970 من Statistical Abstract of Israel 1970

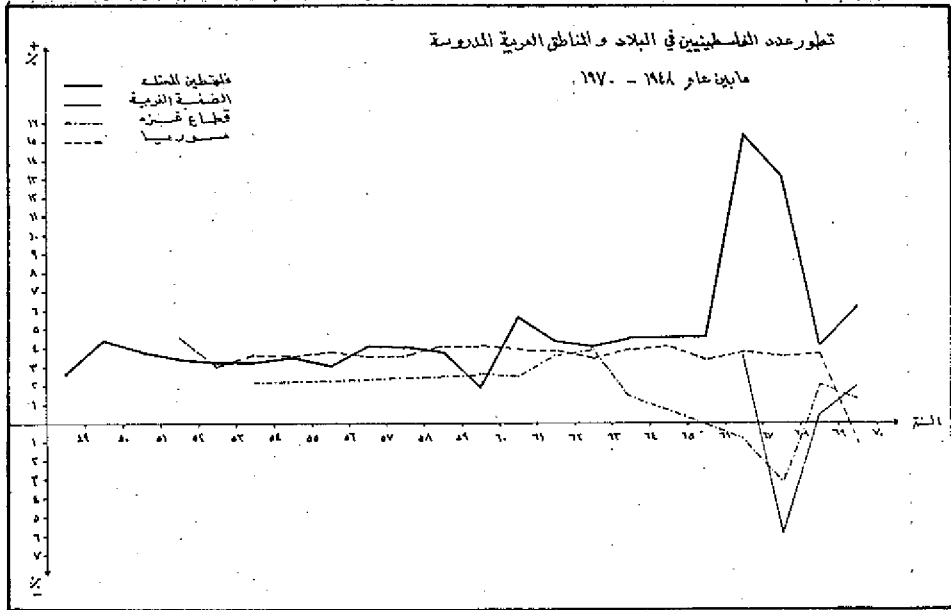
جدول رقم 4 مكرر

النسبة المئوية* للزيادة الفلسطينية في البلاد والنطاق العربية الاساسية الموروثة 1948 - 1970

معدل الرتبة	70	69	68	67	66	65	64	63	62	61	60	59	58	57	56	55	54	53	52	51	50
معدل الرتبة	70	69	68	67	66	65	64	63	62	61	60	59	58	57	56	55	54	53	52	51	50
من سنة 1948 الى	236,900	230,900	224,900	218,900	212,900	206,900	200,900	194,900	188,900	182,900	176,900	170,900	164,900	158,900	152,900	146,900	140,900	134,900	128,900	122,900	116,900
فلسطين المحتلة	236,900	230,900	224,900	218,900	212,900	206,900	200,900	194,900	188,900	182,900	176,900	170,900	164,900	158,900	152,900	146,900	140,900	134,900	128,900	122,900	116,900
الضفة الغربية
قطاع غزة
سورية
الجميع	236,900	230,900	224,900	218,900	212,900	206,900	200,900	194,900	188,900	182,900	176,900	170,900	164,900	158,900	152,900	146,900	140,900	134,900	128,900	122,900	116,900

* $X_t = X_{t-1} + X_t$

استخرجت النسبة المئوية لتزايد الفلسطينيين وفقا للمعادلة التالية



وهي نسبة مرتفعة ، حتى اذا قورنت بنسب بلدان العالم الثالث . كما ان هناك نقصا واضحا في عناصر القوة العاملة بين ٢٠ - ٦٠ سنة .

٢ - اكبر نسبة ، لمن هم دون العشرين هي في لبنان ٦٤,٢٪ ، حيث نجد ايضا ، اقل نسبة لمن هم بين ٢٠ - ٦٠ ، ٣٠,٦٪ . وذلك عائد الى ان الارقام الاحصائية عن لبنان ، مأخوذة حول المخيمات فقط ، حيث يغادر عنصر الشباب المخيم بحثا عن عمل .

٣ - تشير احصاءات الكويت ، الى ان اكبر نسبة بين اعمار الفلسطينيين فيها ، هي لمن هم بين ٢٠ و ٦٠ سنة ٤٢,٩٪ وهذا عائد الى كون التجمع الفلسطيني في الكويت هو تجمع هجرة للعمل .

٤ - ترتفع نسبة من هم اكثر من ٦٠ سنة في الضفة الغربية الى ٧,٥٪ بينما النسبة العامة لهذه الفئة هي ٥,٨٪ وهذا يعود الى كون المجتمع في الضفة الغربية هو مجتمع فلسطيني اولا واخيرا . وهو مجتمع زراعي اساسا . واقسرب الى تشكيلة اجتماعية حقيقية من النماذج المأخوذة ، كلبنان وسوريا والكويت خاصة ، حيث نسبة الذين اكثر من ٦٠ سنة في الكويت هي ١,٨٪ .

امامنا ارقام احصائية حول الخصائص الديمغرافية للشعب الفلسطيني سنة ١٩٧٠ في بلدان ومناطق اقامته الاساسية . فلسطين المحتلة ، الضفة الغربية ، قطاع غزة ، سوريا ، لبنان والكويت . والعنسد الاحصائي الذي ننطلق منه هو ١,٨٢٢,٤٠٠ . اي اكثر بقليل من نصف تقديراتنا لعدد الفلسطينيين في العالم . هذا الرقم هو نتيجة تعداد عام في جميع بلاد ومناطق الاقامة ، ما عدا لبنان ، حيث نستند الى رقم احصائي جاء على اساس الاحصاء بالعينة في المخيمات . وبما ان الرقم المتداول عن عدد الفلسطينيين في المخيمات ، كما يشير هذا الاحصاء ، ضئيل اي ١٠٦,٢٠٠ منهم ٨٥,١٪ فلسطينيون فقط . فهو لا يؤثر على النتائج العامة ، بل يحفظ لها درجة ثقة احصائية مرتفعة . ويجب الاشارة ايضا الى ان نتيجة تعداد الكويت ١٤٧,٧٠٠ تتضمن تقديرا ١٠٪ من هذا الرقم للاردنيين .

١ - يقدم الجدولان ٥ و ٥ مكرر ، توزيع الفلسطينيين بحسب فئات السن في البلاد والمناطق الست المدروسة ويأتي الجدول رقم ٦ ليبيّن بايجاز ، ان حوالي ٦٠٪ من الفلسطينيين هم مادون ال ٢٠ من عمرهم .

جدول رقم ٥ مكرر
التوزيع النسبي للسكان الفلسطينيين بحسب فئات السن والجنس بالثورة/ ١٩٧٠م

فئات السن	ذكور	مجموع	مذكرات	ذكور	مجموع	مذكرات	ذكور	مجموع	مذكرات	ذكور	مجموع	مذكرات	ذكور	مجموع	مذكرات	ذكور	مجموع	مذكرات	ذكور	مجموع	مذكرات	
٠-٥	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨	١٥٨
٥-١٠	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢	١٧٢
١٠-١٥	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩	١٣٩
١٥-٢٠	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣	١٠٣
٢٠-٢٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥	٧٥
٢٥-٣٠	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢	٦٢
٣٠-٣٥	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦	٥٦
٣٥-٤٠	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦	٤٦
٤٠-٤٥	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦
٤٥-٥٠	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧
٥٠-٥٥	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩	١٩
٥٥-٦٠	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧	١٧
٦٠-٦٥	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦	١٦
٦٥-٧٠	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣	١٣
٧٠-٧٥	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١	١١
٧٥-٨٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠	١٠
٨٠-٨٥	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
٨٥-٩٠	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
٩٠-٩٥	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
٩٥-١٠٠	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٠٠-١٠٥	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٠٥-١١٠	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١١٠-١١٥	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١١٥-١٢٠	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٢٠-١٢٥	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٢٥-١٣٠	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٣٠-١٣٥	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٣٥-١٤٠	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٤٠-١٤٥	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٤٥-١٥٠	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٥٠-١٥٥	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٥٥-١٦٠	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٦٠-١٦٥	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٦٥-١٧٠	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٧٠-١٧٥	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٧٥-١٨٠	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٨٠-١٨٥	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٨٥-١٩٠	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٩٠-١٩٥	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩
١٩٥-٢٠٠	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩	٩

المجموع
٧٠ سنة وأكثر *

جدول رقم ٦

توزيع الفلسطينيين بحسب الأعمار في البلاد والمناطق الأساسية المدروسة - ١٩٧٠

فئات السن : أقل من ٢٠ سنة من ٢٠ إلى ٦٠ سنة أكثر من ٦٠ سنة المجموع

بلد ومنطقة الإقامة	%	%	%
فلسطين المحتلة	٥٩ر٨	٢٤ر٤	٨ر٨
الضفة الغربية	٥٨ر٩	٣٢ر٥	٧ر٥
غزة	٦٠ر٩	٣٢ر٧	٥ر٣
لبنان	٦٤ر٣	٣٠ر٦	٥ر٠
سورية	٥٩ر٨	٣٤ر٩	٥ر٢
الكويت	٥٥ر٩	٤٢ر٩	١ر١
مجموع البلاد والمناطق المدروسة	٥٩ر٧	٢٤ر٥	٥ر٨

العام والتفصيلي :

١ - يقدم الرسم البياني رقم ٤ هرما عاما لاعمار الفلسطينيين في البلاد والمناطق الأساسية الست المدروسة . نلاحظ هنا ان قاعدة الهرم كبيرة . وهذه خصيصة لجميع البلدان التابعة ، حيث وتيرة التزايد السكاني مرتفعة . لكن في الرسم رقم ٤ هناك نقص غير مبرر في اعمار الفلسطينيين بين ٢٠ و ٤٠ سنة . ربما يعود هذا النقص الى الفراغات الاتية من نقص بعض مناطق تواجد الفلسطينيين .

ب - الملاحظة السابقة التي رفعناها حول الذكورة ، تظهر واضحة في الرسم البياني رقم ٥ . فبين ٢٠ - ٤٠ سنة هناك نقص في نسبة الذكور الى الاناث بشكل غير طبيعي . هل يعود هذا الى نقص احصائي ؟ ام الى هجرات الى بلاد خارجية غير مذكورة في الاحصاء ؟ ام الى نسبة مرتفعة في الوفيات في هذا السن لاسباب سياسية فضالية ؟ لا نستطيع ، من خلال المعطى الاحصائي الذي بين ايدينا ، الاجابة على هذه التساؤلات ، ولكننا نرفعها كمقدمات فقط .

ج - تشير اهرام الاعمار التفصيلية رسم بياني ٤ (ب) و ٤ (ج) في الضفة الغربية وغزة الى ظاهرات مشابهة . فيتلص الهرم عند القاعدة (فئة الاقل من ٥ سنوات) . اي ان المواليد الذين يفرض فيهم ان يكونوا ولدوا حوالي سنة ١٩٦٧ ، قبلها بقليل وبعدها ،

٥ - يقدم الجدول رقم ٧ نسبة الذكورة في المناطق المدروسة ، ومجموعها العام . والنقطة التي يجب ملاحظتها ، والتي تستلفت النظر ، هي النقص في نسبة الذكورة بين سنوات ٢٠ - ٤٥ ، حيث تصل الى نسبة ٨٦ رجلا لكل ١٠٠ امرأة في فئة ٢٥ - ٣٠ سنة .

٦ - وهناك ملاحظة طريفة ، وهي ان نسبة الرجال للنساء الكهول (ما فوق ٧٥ سنة) مرتفعة ١١٢،٨٪ بينما تكون هذه النسبة عادة عكسية . لكن ربما كان تفسير هذه الظاهرة في وفيات النساء نتيجة للاهمال الصحي ، خاصة في ظروف الحمل والولادة .

٧ - تفصيليا ، نشير الى ان النسب المسجلة للفلسطينيين في سوريا هي الأكثر طبيعية . فهي قريبة جدا من ١٠٥ ذكور لكل ١٠٠ انثى ، في فئة الاولاد الذين هم اقل من سنة واحدة . ثم يتناقص هذا الرقم تدريجيا حتى تصير اقل من ١٠٠ في الفئات العليا من الاعمار . (اي ٥٥ - ٦٠ سنة) .

ان نسبة الذكورة في المناطق المدروسة ، بعيدة عن النسبة المتعارف عليها ، وسيظهر ذلك واضحا في الرسوم البيانية التفصيلية .

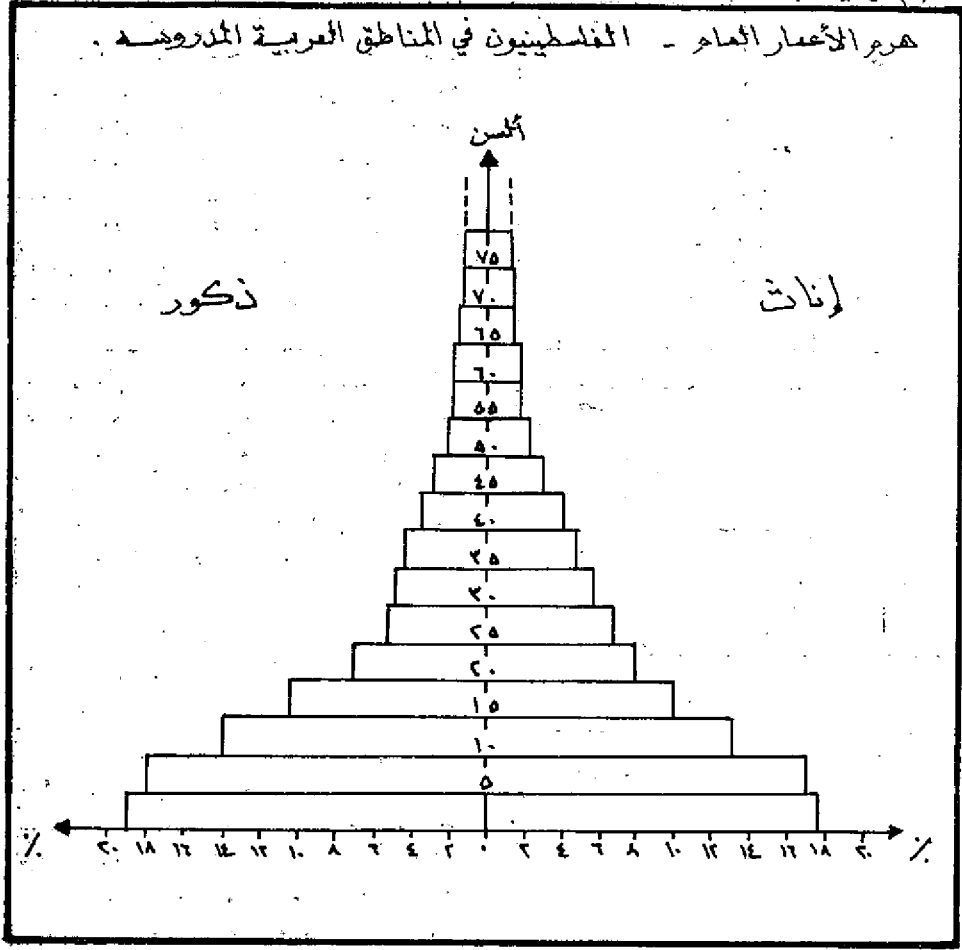
٨ - تقدم الرسوم البيانية رقم ٤ و ٤ (١) (ب) (ج) (د) (هـ) (و) و ٥ و ٥ (١) (ب) (ج) (د) (هـ) (و) . هم الاعمار العام والتفصيلي ونسبة الذكورة

جدول رقم ٧
نسبة اللكورة بحسب فئات السن - ١٩٧٠
عزة لبنان

الجموع	الكويت	سورية	عزة	المطعة الغربية	فلسطين المحتلة	فئات السن
١٠٩٧	١٠٥٢	١٠٦٠	١١٢٢	١١٢٧	١٠٧٢	٤٠ - ٤٩
١٠٨٠	١٠٧٧	١٠٧٦	١٠٩٦	١٠٩٥	١٠٦٢	٣٠ - ٣٩
٤٣٤	١٠٥٨	١٠٦٢	٩٥٩	١١٢٢	١٠٩٨	١٤ - ١٩
١٠٦٩	٧٢٠	١٠٨١	١٠٢٤	١١١٧	١٠٩٠	١٩ - ٢٤
٩٢٤	٨١٢	١١١٥	١١٠١	٨٨٨	١٠٧٦	٢٤ - ٢٩
٨٦٠	١٣٢٠	١١٩١	٨٥١	٦٧٠	١٠٥١	٢٩ - ٣٤
٨٩٠	١٧٠٠	١١٠٥	٩٧٧	٦٧٦	١٠٠٢	٣٤ - ٣٩
٨٩١	٢٢٢٠	١٠٢٣٤	٨٧٥	٧١٢	٩٧٩	٣٩ - ٤٤
٩٤٠	٢٤٣٧	١٠٢٨	١١١١٢	٧٨٩	٩٢٠	٤٤ - ٤٩
١٠٠٧	٢١٣٧	١٠٦٨	١٠٩٩	٩١٤	٩٥٢	٤٩ - ٥٤
١٠٠٠	٢٢٠٠	٩٩٢	١٢٠٢	١٠٠٠	٨٤٢	٥٤ - ٥٩
١٠٠٦	٨٠٠	١٠٤٣٤	١٠٢٢	١٠٤٦	٩٥١	٥٩ - ٦٤
١٠١٢	١٠٠٠	٩١٤	١١٨٦	١٠٧٥	٨٢٧	٦٤ - ٦٩
١٠٨٠	٢٣٢	١٠٦٨	١٢٤٢	١١٠٥	١٠٧٤	٦٩ - ٧٤
٩٥٢	٥٠٠	٨٧٢	١٠٢١	١٠٢١	٨٦٢	٧٤ - ٧٩
١١٢٨	٥٠٠	٨٧٩	-	١٢٥٠	١٠٢٢	٧٩ - ٨٤

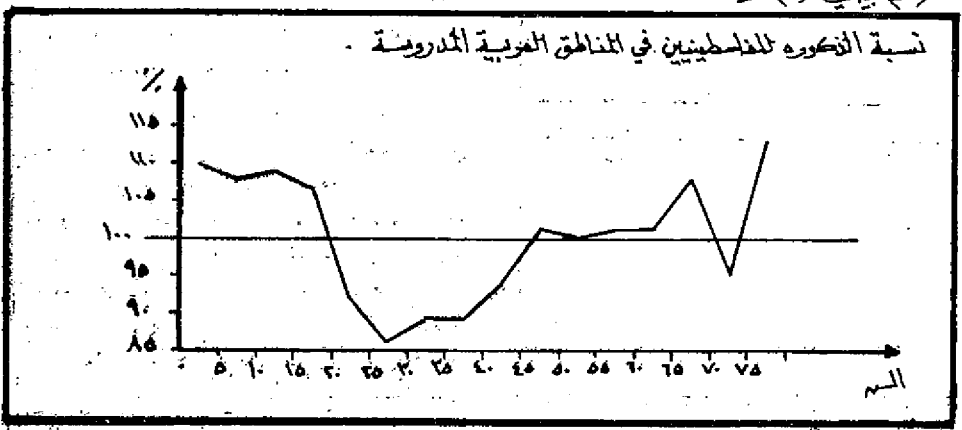
١٣١١٢ رقم ٤

هرم الأعمار العام - الفلسطينيون في المناطق العربية المدروسة

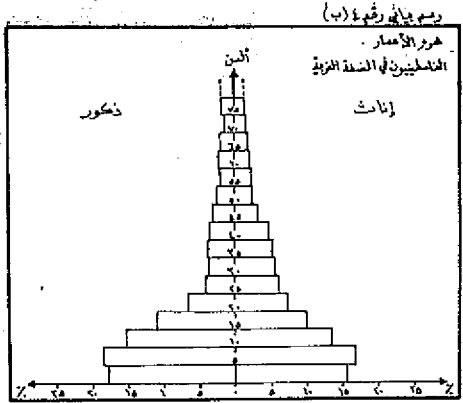


١٣١١٢ رقم ٥

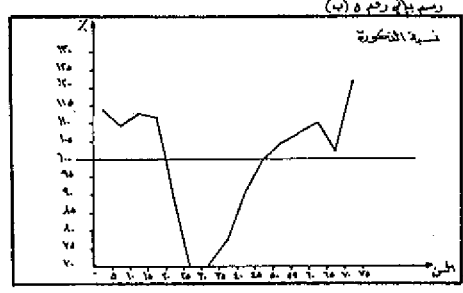
نسبة الذكور للفلسطينيين في المناطق العربية المدروسة



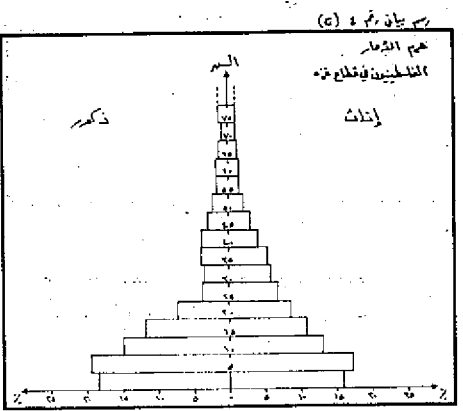
نلاحظ ان الولادات قد خفت . وهذا نتيجة الحرب والتهجير . كما ان القوى العاملة بين ٢٠ و ٥٠ سنة قليلة نسبيا . وهذا يعود إلى عامل الهجرة للعمل في الخارج . ويشير الرسم البياني (ب) و (ج) الى ضعف نسبة الذكور بين ٢٠ و ٥٠ سنة . ضعفا يصل اقصاه بين ٣٠ - ٢٤ سنة في الضفة الغربية ٦٧,٧٪ وبين ٢٥ و ٣٠ سنة في غزة ٥٢,٥٪ . والملاحظ ان نسبة الذكور هي أفضل نسبيا في الضفة الغربية ، نتيجة كونها مجتمعا زراعيا بشكل اساسي .



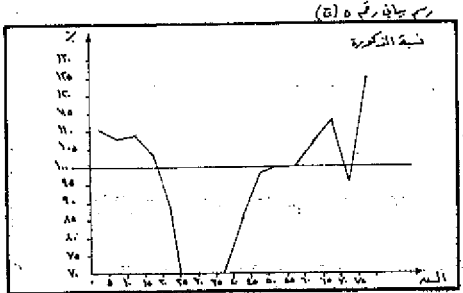
د - يشير الرسم البياني رقم ٤ (أ) الفلسطينيين في فلسطين المحتلة ، الى كبر قاعدة الهرم . اي انه مجتمع عادي وهناك ضعف نسبي للقوى العاملة بين ٢٠ و ٦٠ سنة . هناك انخفاض في نسبة الذكور كما بين الرسم البياني رقم ٥ (أ) . وربما يعود هذا الى تهجير نسبي .



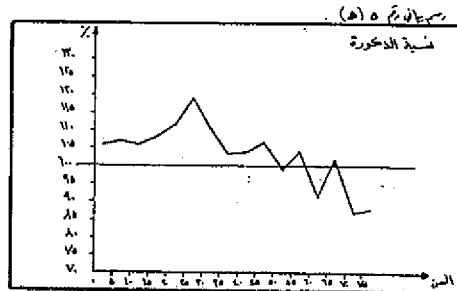
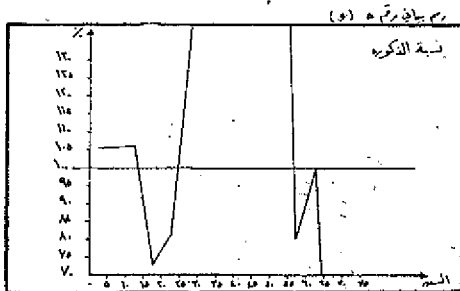
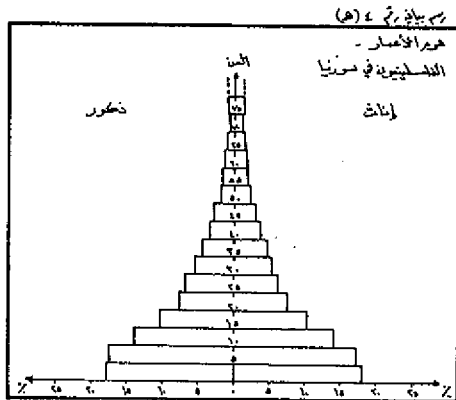
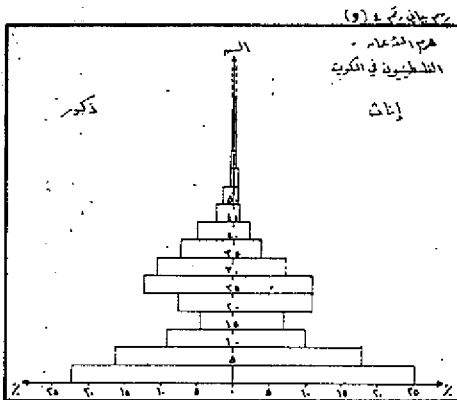
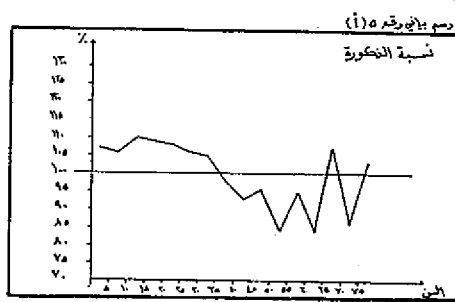
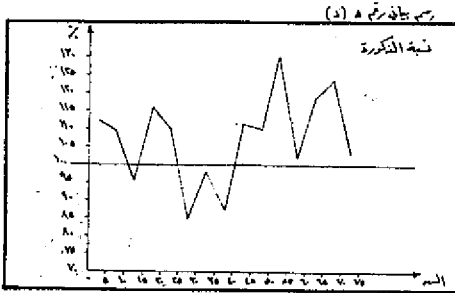
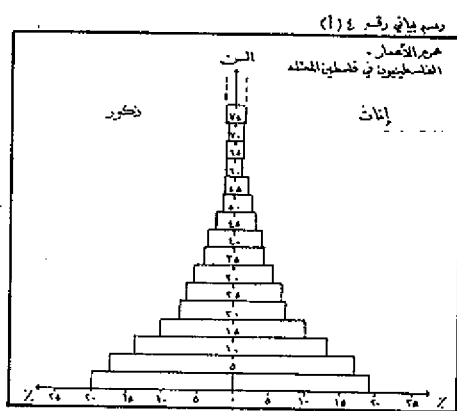
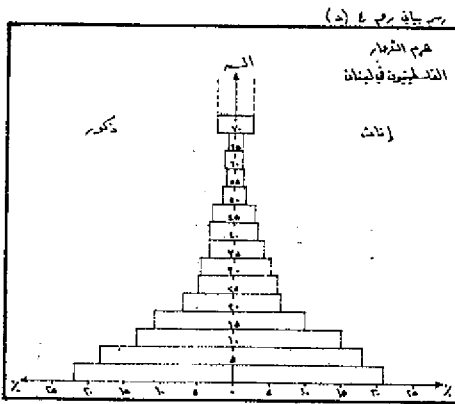
هـ - يشير هرم اعمار الفلسطينيين في سوريا . رسم بياني رقم ٤ (هـ) . ان هرم السكان هو اكثرها عادية . اي هرم عريض في قاعدته .



و - النقطة الاساسية ان هرم اعمار الفلسطينيين في لبنان هو نتيجة تعداد بالعينة وليس نتيجة تعداد عام . وانه محصور فقط في المخيمات . لذلك لا يقدم مؤشرا حقيقيا على اوضاع الفلسطينيين في لبنان . لكنه يشير الى وضع الفلسطينيين في المخيمات حيث نلاحظ تكاثرا كبيرا في لمن هم اقل من ٢٠ سنة اكثر من ٦٤٪ . وربما كان انخفاض نسبة الذكور بين ٢٠ و ٤٠ سنة ، عائدا الى مغادرة الشباب المخيم للعمل .



ز - تقدم الكويت مؤشرات مكتملة . لا قيمة لها بحد ذاتها . فالمجتمع الفلسطيني في الكويت هو مجتمع هجرة لاحقة للعمل . الطريف اننا حين ننظر الرسمان البيانيان رقم ٤ (و) و ٥ (و) نعتقد ان النقص في القوى العاملة في بقية البلدان سوف نجدها هنا . اذ نرى ، ان هرم الامتسار ليس هراما ، ينتفخ في وسطه لمصلحة الذين يتراوح عمرهم بين ٢٠ و ٤٥ سنة . وان الذكورة مرتفعة حتى



جدول رقم ٨
معدل الزواج والطلاق والمواليد والوفيات الطبيعية للفلسطينيين في المناطق
والبلدان الأساسية الدروسة (بالآلاف)

معدل الزيادة الطبيعية	وفيات الاطفال	معدل الوفيات	معدل الكساي	معدل المواليد	معدل الطلاق	معدل الزواج	بلدان ومناطق الاقامة
٢٩	٤١٨	١٢١	٤٥٦	٠	٧٢	١٩٧٠	فلسطين المحتلة
...	الضفة الغربية
٣١٧	...	٩٩١	٤٦٧	١٥	٧٢	١٩٦٤	فنزوة
٧٨٥	٢١٦١ (١٩٦٢)	٩٥١	٢٣٥	٠	٦٧	١٩٦٩	سورية
١٩٨	٢٢٦٩	٧٥	٢٦٨	٠	٩٦	١٩٧٠ * اسرائيل	اسرائيل

Annual Report, United Nations 1971 *

تصل الى نسبة ٢١٧٪ في من تتراوح اعمارهم بين ٤٥-٥٠ سنة . لكن هذا الانطباع خاطيء كما بين الرسمان البيانيان رقم ٤ و ٥ هزم الاعداد العام . حيث لا يشكل الفلسطينيون في الكويت الا نسبة غير كافية لتعديل نسب الاعداد والذكور بشكل عام .

ان الوضع الديمغرافي غير الطبيعي الذي نستخدمه هنا ، يدل على مؤشرة اساسية .

فهنالك نقص في المعلومات الاحصائية . لوجود بلاد غير مدرجة في هذه الجداول ، تستطيع تعديل هذا التصور العام . لكن الخصيصة الديمغرافية الذي نخرج بها ، هي ان الشعب الفلسطيني يشترك في السمات العامة للخصائص الديمغرافية للشعوب التابعة . مع خصوصية التشتت الذي يعاني .

٤ - تقدم الاحصاءات الحيوية ، الزواج والطلاق والوفيات . على رغم النقص الهائل في المعلومات بشأنها مؤشرات خطيرة . (هناك تفاوت في السنوات لسنا بمسؤولين عنه ، بل تسال عند الاحصاءات التي نستخدمها) .

يشير الجدول رقم - ٨ - الى معدل كبير في الزيادة الطبيعية لعرب فلسطين المحتلة ٣٩ /٠٠٠ وهي اكبر نسبة زيادة بين الفلسطينيين ، ولهذا دلالات اجتماعية وسياسية ، اكثرها بداهة هو كون الاخصاب جزءا اساسيا من مقاومة سلبية . واذا قورن هذا الرقم بالزيادة في اسرائيل ١٩,٨ /٠٠٠ بما فيها العرب ، نكتشف الفرق الهائل . كما يشير الى ضخامة وفيات الاطفال ، حيث اكبر نسبة في فلسطين المحتلة ٤١,٨ /٠٠٠ ثم تليها سوريا ٣١,٦ /٠٠٠ وهذا يعود الى ضعف العناية الصحية .

القوى العاملة

سوف نحاول ، في هذا القسم من دراستنا ، اعطاء صورة عامة ، عن اوضاع القوى العاملة الفلسطينية .

لكننا لا بد وان نلاحظ قبل الشروع في هذا القسم ثلاثة امور هامة :

التي سيجري تصحيحها ، وضخامة العائلة ابي
ضخامة نسبة الافراد الذين خارج القسوة
البشرية .

ب - تشير نسبة القوى العاملة اي نسبة
الذين يعملون والباحثين عن عمل الى مجموع
السكان هي ١٩,٨٪ . وهي نسبة منخفضة
جدا يفسرها ، انكباب الفلسطينيين على
التعليم ، بوصفه مجالا تثيريا مستقبليا ،
وبطالة المرأة بشكل شبه شامل .

ج - اذا درسنا نسبة القوى العاملة الى
مجموع القوى البشرية ، اي نسبة الذين
يعملون او يبحثون عن عمل الى القوى
البشرية اي الذين تجاوزوا الرابعة عشر ،
نقوم بهذا لنصل الى مؤشرات اكثر دقة ،
تأخذ بعين الاعتبار النسبة الكبيرة للذين
دون الرابعة عشر بين الفلسطينيين ، لانهما
ان النسبة هي ٣٩,٢٪ اي ان اكثر من ٦٠٪
من افراد المجتمع القادرين على العمل لا
يعملون . وهذه نسبة كبيرة ، تنخفض في
الكويت لتصبح ٤٣,٨٪ من القادرين على
العمل لا يعملون . وترتفع في غزة لتصبح
٦٦,٧٪ لا يعملون .

د - نقوم بنفس العملية لدراسة نسبة
العمل الى مجموع القوى البشرية ، لنفس
الاسباب ، مع حذف العاطلين عن العمل
لاكتشفنا فعاليات اجتماعية كبيرة مجمدة .

هـ - تقدم نسبة البطالة اي نسبة العاطلين
على القوى العاملة ، مؤشرات هامة معدلها
العام ٤,٨٪ من مجموع القوى العاملة . اي
ان ٥٪ من الذين يريدون العمل لا يجدون
عملا . وترتفع هذه النسبة الى اقصاها في
فلسطين المحتلة (١٩٦١) الى ١٠,٥٪ .

تعود نسبة البطالة اساسا ، الى نسبة
العمالة في كل بلد او منطقة . ويجب ان لا
تخدعنا الارقام . فمن ضمن العاطلين عن
العمل هناك العمال الموسميون الذين يشكلون
جزءا هاما منهم . لانهم في غالبيتهم عمالا
زراعيين وعمال بناء .

٢ - قطاع النشاط

تقدم احصاءات توزيع المشتغلين بحسب

١ - ان المجتمع الفلسطيني ، ليس مجتمعا
موحدا . وهو في مناطقه المتباعدة ، مجتمع
لاجئين ، او ان نسبة اللاجئين فيه مرتفعة
جدا . كنتيجة لفصل الانسان عن مصادر
انتاجه . من هنا كان هذا التفتت العامل
الاساسي في تخريب بنيته الاجتماعية .
وستظهر آثار هذا التخريب في سياق
بحثنا .

ب - يؤدي هذا الواقع الى كون العمل
الاقتصادي الفلسطيني ملحقا باقتصاديات
اخرى . لا يملك الحد الأدنى من الاستقلالية .
فهو بهذا المعنى لا يضع اهدافا لنفسه ، بل
يساهم في اهداف اقتصادية موضوعة لبنيات
اجتماعية اخرى .

ج - وهو كمجموعة اجتماعية تخضع
للقوانين الديمغرافية للمجتمعات التابعة :
تتمتع بقتوة كبرى في سكانها ، وبنسبة
منخفضة جدا لعمل المرأة .

١ - معدل النشاط

يقدم الجدول رقم ٩ ، عرضا عاما لوضع
القوى العاملة الفلسطينية في الضفة الغربية
وغزة ولبنان وسورية والكويت لعام ١٩٧٠ .
ولفلسطين المحتلة ١٩٦١ . ولا نخرج من هذا
الجدول الا بمعلومات مطلقة (لها معنى
تأشيري) بمعنى انها تؤثر لهذه المعلومات
المطلقة . لنعود في الجدول رقم ١٠ لاكتشف
خصائص القوى العاملة الفلسطينية :

١ - نكتشف اولا ان نسبة العمل ، اي
نسبة المشتغلين على مجموع السكان هي
نسبة منخفضة جدا . نسبتها العامة ١٨,٩٪
اي ان فردا واحدا ، هو مسؤول عن معيشة
٥,٥ افراد . تصليبا ترتفع نسبة العمل في
الكويت لتصبح ٢٧,٩٪ اي ان فردا واحدا ،
هو مسؤول عن معيشة ٣,٥ افراد . وهذه
نسبة مرتفعة ايضا ، باعتبار ان الكويت هي
مجتمع العمل الوحيد الاساسي للفلسطينيين
الدروسين هنا . تنخفض هذه النسبة بشكل
مخيف في قطاع غزة اذ تصبح ١٥,٧٪ اي
ان الفرد الواحد مسؤول عن معيشة ٦,٤
افراد . يمكن تفسير هذه الظاهرة بعدة
امور اهمها اثنان : البطالة والبطالة المقنعة

جدول رقم ٩

توزيع الفلسطينيين بحسب دورهم داخل القوى العاملة (بالألف) - ١٩٧٠

المناطق المحتلة	المناطق الخمسة	الكويت	سورية	لبنان	غزة	الضفة الغربية	المغتربون
١٩٦١	٢٦٤٠	٤١٢	٣٠٥	١٩٠	٥٨٧	١١٤٦	المغتربون
٥٣٥	١١٦	٠	٢٠٦	١٥٦	٢٧	٣٨	المغتربون عن العمل
٦٢	٢٧٥٦	٤١٧	٢٢٥	٢٠٦	٦٢٤	١١٨٤	مجموع القوى العاملة
٥٩٨							مجموع القوى البشرية
١٢٢٠*	٧٠٢٧	٧٢٣	٧٨٨	٤٩٢	١٨٧٥	٢١٢٩	(الكل من ١٤ سنة)
٢٤٧٦	١٢٩٢٥	١٤٧٧	١٥٥٧	١٠٦٢	٣٧٢٦	٦١٠٣	المجموع العام للمقيمين
							في كل بلد ومنطقة

* استخرج هذا الرقم من الجدول رقم ٣ - والمسلمون والمسيحيون والدروز في اسرائيل، - ١٩٦١

جدول رقم ١٠

خصائص بنية القوى الفلسطينية العاملة بالنسبة للقوى العاملة - ١٩٧٠

فلسطين المحتلة	المناطق الخمسة	الكويت	سورية	لبنان	غزة	الضفة الغربية	معدل النشاط
١٩٦١	١٨٩	٢٧٩	١٩٥	١٧٩	١٥٧	١٨٨	١ - نسبة العمل
٢١٦	١٩٨	٢٨٢	٢٠٨	١٩٤	١٦٧	١٩٤	٢ - نسبة القوى العاملة
٢٤٢	٢٩٢	٥٦٩	٤١٢	٤١٩	٢٣٢	٢٧٧	٣ - نسبة القوى العاملة الى مجموع القوى البشرية
٤٠٥	٢٧٥	٥٦٢	٢٩٢	٢٨٦	٢١٢	٢١٥	٤ - نسبة العمل الى مجموع القوى البشرية
١٠٥٥	٤٨	١٢	٦١	٧٨	٥٨	٢٢	٥ - نسبة البطالة

٣ - الوضع في العمل

تسمح لنا دراسة الوضع في العمل ، بالاطلال على دراسة البنية الطبقية للمجتمع الفلسطيني . لكن المعلومات الاحصائية المتوافرة لعام ١٩٧٠ ، لا تشمل سوى لبنان وسوريا والكويت . اي مجتمعات لاجئين ، او هجرة للعمل . وهي بهذا المعنى احصاءات ذات دلالة ، لانها تشير الى طبيعة مجتمع اللاجئين . وسنقارنها باحصائيات الضفة الغربية لعام ١٩٦١ ، لنرى الفرق بين مجتمع اللاجئين ومجتمع يملك اكثر خصائصه الاجتماعية العادية ، رغم انه يضم عددا من اللاجئين .

١ - يشير الجدول رقم ١٢ ، الى النسبة المرتفعة جدا للذين يعملون بأجر نقدي . اذ تصل الى نسبة ٨٢,٧٪ وهي مرتفعة جدا في الكويت ٨٩,٦٪ . ومنخفضة نسبيا في لبنان لتصبح ٧٣,٢٪ . لهذه النسب دلالة كبرى . اذ لا يوجد هنا بنية اجتماعية . ففي المجتمعات التابعة كما يشير سمير امين (١) تكون هذه النسبة من ١ - ٣٠٪ في اقصى حد . حيث تكثر الحرف والزراعات الصغيرة . بينما ترتفع هذه النسبة الى ٦٠ - ٩٠٪ في البلدان المركزية . واذا حذفنا نسبة العاملين الموسمين تبقى النسبة مرتفعة .

بينما نجد ان الضفة الغربية تقدم مؤشرا مختلفا ٥٨,٣٪ يعملون بأجر نقدي بما فيهم الموسمين . وهي نسبة اكثر مطابقة لوضع اجتماعية عادية ، رغم انها تبقى غير مطابقة .

ب - نلاحظ ، ان نسبة العاملين لحسابهم واصحاب الاعمال هي نسبة منخفضة جدا . تصل الى اقصى انخفاضها في الكويت ١٠,٣٪ وترتفع في الضفة الغربية لتصبح ٣٤,٥٪ .

قطاع النشاط والتي يشير اليها الجدولان رقم ١١ و ١١ مكرر نتائج عديدة :

١ - نلاحظ عند التقسيم الى القطاعات الاقتصادية الثلاثة نسبة ٢٧,١٪ للزراعة ، و ٢٧,٩٪ صناعة وبناء ، و ٤١,٧٪ خدمات . وقد يبدو هذا التقسيم العام نموذجيا لبلد عادي . تضخم في القطاع الثالث وقاعدة زراعية واسعة ، وقطاع صناعي ، يستوعب نسبة كبيرة . لكن هذه الارقام تغش ، لان لا قيمة لها مطلقا ، لان قطاعات النشاط لا تعطي دلائل الا في كل بلد او منطقة على حدة . هنا نلاحظ عدم فعالية الصورة العامة . وضرورة مناقشة التفاصيل . لانها تشكل اجزاء من اقتصاديات بلاد مختلفة .

ب - يعطينا التوزيع النسبي للفلسطينيين في الكويت بحسب قطاع النشاط ، الصورة التالية : - زراعة ٢,٢٪ ، صناعة وبناء ٣٣,٥٪ ، خدمات ٦٣,٣٪ . اي لا وجود مطلقا للزراعة . ويتضخم قطاع الخدمات وقطاع الصناعة .

ج - اما في سوريا ، فتكون الصورة على الوجه التالي : زراعة ٨,٥٪ ، صناعة وبناء ٤٢,٠٪ وخدمات ٤٨,٨٪ . اي لا وجود للزراعة .

د - اما بالنسبة الى الضفة الغربية وقطاع غزة ، ونظرا الى كون هاتين المنطقتين هما اساسا اجزاء من المجتمع الفلسطيني ، وعدد الفلسطينيين فيهما ، يشكل رقما كبيرا ، لانهما بقيا مجتمعا منخرطا مع اضافة لاجئين اليهما ، يأخذ التوزيع فيهما شكلا تشبه المثلث : ١/٣ لكل قطاع ، مع تضخم نسبي للخدمات في غزة . وملاحظة ان الفصل بين القطاع الصناعي ، والبناء والاشغال العامة ، يكون لصالح قطاع البناء .

هـ - وملاحظة تأشيرية فقط ، نرى ان فلسطين المحتلة ١٩٦٦ ، تعطي للزراعة ٣٨,٢٪ ، للصناعة والبناء ٢٨,٢٠٪ والخدمات ٣٤,٣٪ . لا معنى لها في المطلق . بل يجب دراستها من داخل الحركة الاقتصادية في فلسطين المحتلة بأسرها .

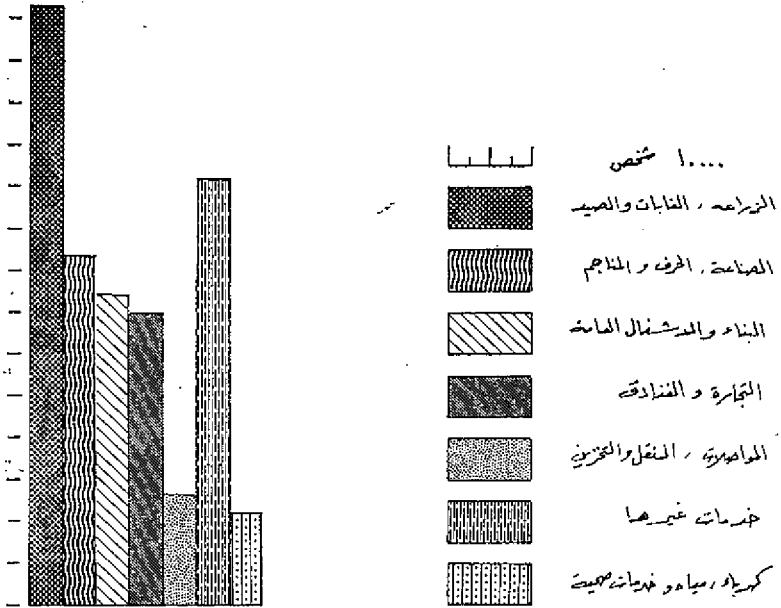
(١) Samir Amin: *Le Developpement Inegal*, Edition de Minuit, Paris 1973, p. 191.

جدول رقم ١١
توزيع الفلسطينيين الذين يمارسون عملاً بحسب قطاع النشاط وبلد أو منطقة الإقامة - ١٩٧٠ (بالآلاف)

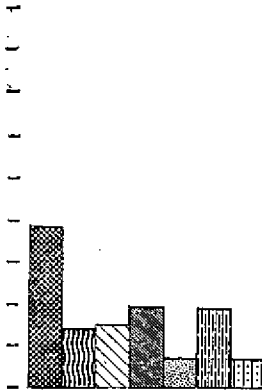
قطاع النشاط	الضفة الغربية	فزة لبنان	سورية	الكويت	مجموع البلاد والنطاق الخمسة	فلسطين المحتلة
١ - الزراعة ، الغابات ، الصيد	٤٥٠	٤٠	٢٦	٠٨	٧١٦	١٩٦١
٢ - الصناعة ، الحرف ، النسيج	١٦٣	٦٩	٦٩	٤٩	٤١٧	٢٠٥
٣ - البناء والاشغال العامة	١٦٩	٢٦	٥٨	٤٥	٣٧١	٨٠
٤ - التجارة والفنادق	١٢٨	٢٧	٢٧	٦٢	٢٤٩	٢٣٢
٥ - الواصالات والنقل والتخزين	٤٧	٥	١٨	٢٧	١٢٢	٢٠
٦ - خدمات وغيرها	١٤٥	٤٠	٨٩	١٤٧	٥١١	٧٣
٧ - كهرباء ، مياه وخدمات صحية	٤٤	-	٠	٢٧	١٠٩	٠٤
٨ - غير مبين المجموع	-	-	٢٢	٠٢	٢٥	٥٢٥
	١١٤٦	٥٨٧	٢٠٥	٤١٢	٢١٤٠	
جدول رقم ١١ مكرر						
التوزيع بالنسبة المئوية / سورية						
قطاع النشاط	الضفة الغربية	فزة لبنان	سورية	الكويت	مجموع البلاد والنطاق الخمسة	فلسطين المحتلة
١ - الزراعة ، الغابات والصيد	٣٩٢	٢١٠	٨٥	٢٢	٢٧١	١٩٦١
٢ - الصناعة ، الحرف ، النسيج	١٤٢	١١٦	٢٢٨	٢٢٧	١٥٨	٢٨٢
٣ - البناء والاشغال العامة	١٤٧	١٣٧	١٩٢	١٠٨	١٥٨	١٥١
٤ - التجارة والفنادق	١١٢	١٤٢	١٢٠	١٥٨	١٤١	١٣١
٥ - الواصالات والنقل والتخزين	٤١	٢٦	٥٩	٦٥	١٣٢	٦١
٦ - خدمات وغيرها	١٢٧	٢١٠	٢٩١	٣٥٦	١٩٤	٣٨
٧ - كهرباء ، مياه وخدمات صحية	٣٨	-	١٨	٦٤	٤١	١٢٧
٨ - غير مبين المجموع	-	١٥٨	٠٦	٠٦	١٢	٠٧
	١٠٢٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠

توزيع الفلسطينيين المشتغلين حسب قطاع النشاط ١٩٧٠

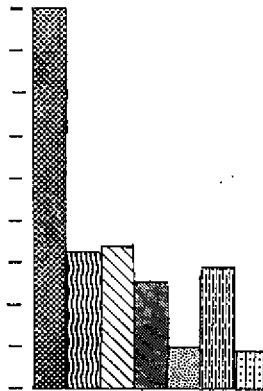
مجموع المناطق المدراسة



قطاع غزة



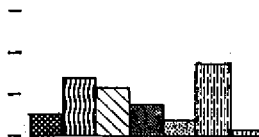
الضفة الغربية



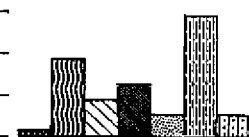
لبنان



سوريا



الكويت



١٢ جدول رقم
توزيع الفلسطينيين المشتغلين في لبنان ، سورية ، الكويت سنة ١٩٧٠
حسب وضعهم في العمل ونسبة النساء (بالآلاف)

البلد	الكويت		سورية		لبنان	
	العدد	النسبة النسبية %	العدد	النسبة النسبية %	العدد	النسبة النسبية %
المجموع	١٠٠٠٠	١٠٠	٣٠٥	٣٠٥	١٧٠٤	١٧٠٤
الرجال	٧٧	٠.٧٧	٢٣٣	٢٣.٣	١٣٩٠	٨١.٦
النساء	٢٣	٢٣	٧٢	٢٣.٣	٣١٤	١٨.٤
العمالة	١١٥	١١.٥	٣٧٠	٣٧	١٣٩٠	٨١.٦
الاطلاق	٢٣	٢.٣	١٠٠	١٠	٣١٤	١٨.٤
المجموع	١٣٠٣	١٣٠.٣	٤١٣	٤١.٣	١٧٠٤	١٧٠.٤

٤ - المهن

ان تقسيم السكان بحسب مهنتهم ، يتبع تصنيفا عاما ، اعتمده مكتب العمل الدولي . وهذا التصنيف بتركيزه على تقسيم شرائحي حاد للمهن ، يتجاهل وضع الاختلاط الشرائحي وعدم التخصص في البلدان التابعة . لذلك يجري هنا التركيز على الشرائح وعلى الوضع الاجتماعي (Statut social) وتضيق الطبقات .

لذلك لا توجد مؤشرات حقيقية وراء هذه الارقام . هناك فقط اتجاهات يمكن التعامل معها بوصفها اتجاهات غير دقيقة .

يشير الجدولان رقم ١٣ و ١٣ مكرر الى توزيع المشتغلين بحسب المهن ويبين الرسم البياني رقم ٧ هذا التوزيع كما يشير الى الرقم الاجمالي .

أ - يشير توزيع المهن في الجدولين ١٣ و ١٣ مكرر ، الى مجموع عام لنسب العاملين في المهن كما يلي : ٣٦.٥٪ حرفيون وعاملون في المصانع وعمال بناء ، ٢٦.٩٪ عاملون في الزراعة ، ٢٠.٢٪ عاملون في قطاع الخدمات بينهم اكثر من النصف اي ١٠.٦٪ يعملون في التجارة . و ٩.٢٪ مهن حرة وتقنية . لا يؤثر مؤشر عام حقيقي لهذه النسب الا داخل مقارنات تفصيلية بحسب البلدان والناطق . لكننا نشير الى ارتفاع نسبة العاملين في المهن الحرة والتقنية ٩.٢٪ اذا قورنت ببلد كلبان حيث يعمل في هذه المهنة ٩.٨٪ ويعود هذا الى ارتفاع مستوى التعليم العالي في صفوف الفلسطينيين .

ب - نلاحظ ان اكبر نسبة من المشتغلين في المهن التقنية والتعليم هي في الكويت . اذ تبلغ ٢٠٪ من مجموع المهن . ومرد هذا ، الى طبيعة الهجرة الفلسطينية الى الكويت ، حيث يهاجر الكثير من الدارسين دراست عليا ، لانسداد مجالات العمل بالنسبة لهم ، كما نلاحظ عدم وجود عاملين في المهن التقنية والحرة في لبنان ، لان الاحصاء لا يشمل سوى سكان المخيمات حيث لا وجود لهذه الفئة .

جدول رقم ١٣
توزيع الفلسطينيين المتبقين حسب المهنة والجنس سنة ١٩٧٠ (بالآلاف)

المهنة	الجنس		لبنان		سورية		الكويت		مجموع
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	
١- المهن التقنية والحرة	٣٠٥	٨٦٢	٢٥٧	١٦٣	٤٠٥	—	—	—	١٠٦٧
٢- المديرون الإداريون والموظفون والكتبة	٣٥٣	١٠٢٧	٣٥٧	٢٥٤	٢٥٤	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	١٠٦٨
٣- عمال التجارة، وكلاء وبيع	١٠٤٤	١٠٥٨	٨٥٤	٥٣٣	٨٥٧	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	١٠٦٨
٤- العاملون في النقل والواصلات	٣٦٦	—	٣٦٦	—	٢٥٨	—	—	—	٦٢٤
٥- اقتصاديون للخدمات	٥٦٦	٠٥٨	٦٥٤	١٦٦	٤٦٦	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	١٠٦٨
٦- العاملون في البناء والحاجز	١٩٦٩	٠٠١	٢٠٥٠	٧٦٦	٧٦٦	—	—	—	٣٠٢٦
٧- الحرفيون والمعلمون في المصنع وعمال الانتاج	١٣٦٦	٣٦٦	١٧٥٢	٨٥٤	١٠٢٢	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٣٠٢٦
٨- الزراعيون وصيادو السمك والمخالف	٢٩٦٢	١٥٥٥	٤٤٦٢	١٧٥٩	١٨٥٤	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٦٢٢٦
٩- غير معين	—	—	—	—	—	—	—	—	—
جميع المهن	٢٣٦٦	١١٤٦٦	١١٤٦٦	١٩٥٠٠	١٩٥٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٤٠٠٠٠

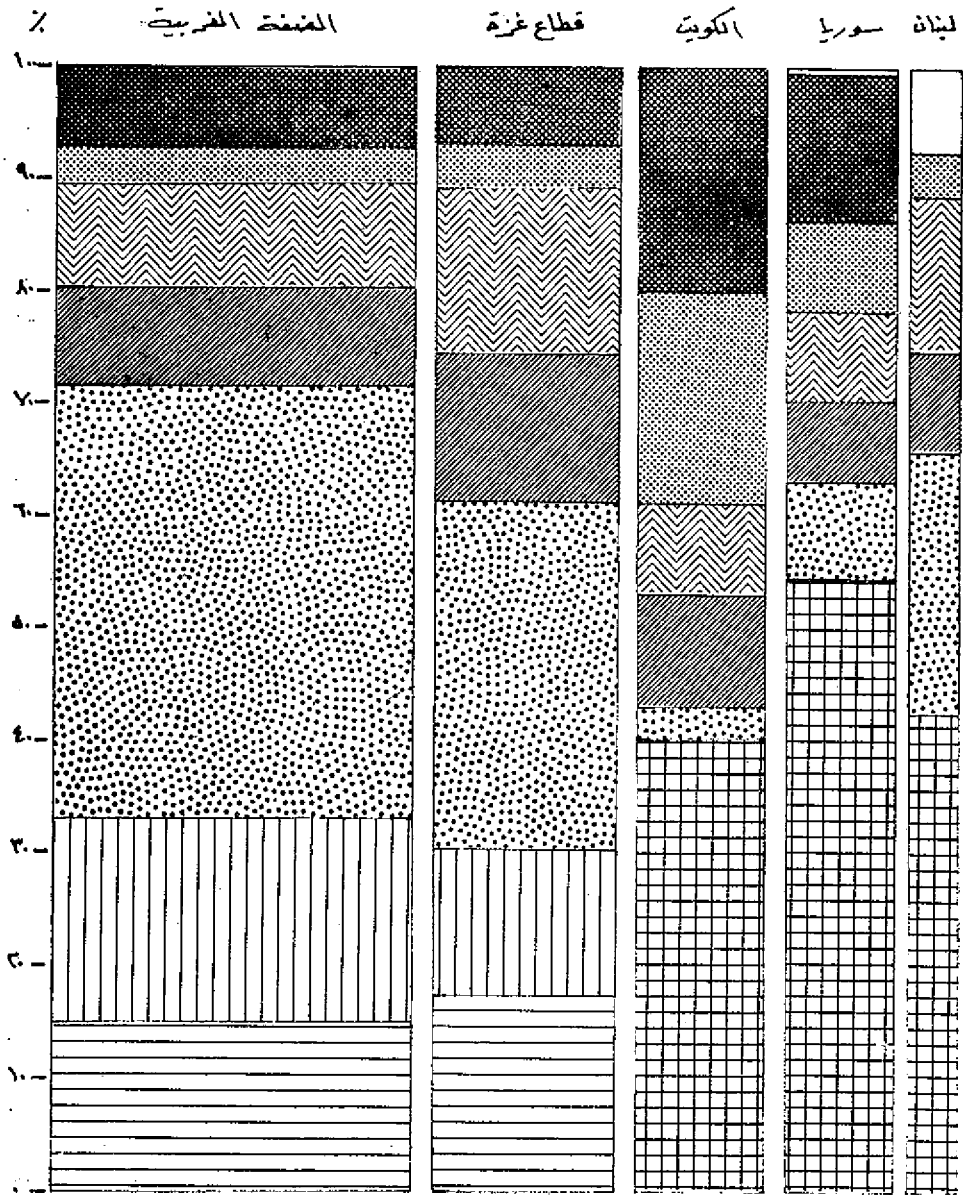
* يتبع العاملون في النقل والواصلات ضمن اقتصاديون الخدمات في لبنان وسورية.
 ** تقسم الاحصاءات الكويتية العاملون في النقل والواصلات إلى الفئة ٧- الحرفيون والاملدون في الصانع.
 *** هذه الفئة مضمومة إلى الفئة ٧- عمال الانتاج في كل من لبنان وسورية والكويت.

جدول رقم ١٣ -١٣٠١
توزيع الممتلكات المتبقية حسب البنية وليس البنية القوية في سنة ١٩٧٠

البنية	القيمة القوية	المجموع	توزيع الممتلكات المتبقية	المجموع	توزيع الممتلكات المتبقية	المجموع	توزيع الممتلكات المتبقية
ذکر	ذکر	ذکر	ذکر	ذکر	ذکر	ذکر	ذکر
١- الممتلكات والمزود	١٢٧٢	٣٧٦١	١٠٠٠	٣٣٥٥	١٠٠٠	٣٣٥٥	١٠٠٠
٢- الميزانية الادارية، الوطن والكنية	٣٧٨	٣١٢٣	٤٢٧	٤٣١	٤٢٧	٤٣١	٤٢٧
٣- مجال التجارة، وكلاء وبنية	١١٦٤	٣١٢٣	١٥٤٤	١٥٤٤	١٥٤٤	١٥٤٤	١٥٤٤
٤- المليون في النقل والواصلات	٤١٠	٣١٢٣	٤١٠	٤١٠	٤١٠	٤١٠	٤١٠
٥- الخصاصيرة للمعدات	٦١٢	٣١٢٣	٦١٢	٦١٢	٦١٢	٦١٢	٦١٢
٦- المليون في البناء والمطبخ	٢١٦٤	٣١٢٣	٢١٦٤	٢١٦٤	٢١٦٤	٢١٦٤	٢١٦٤
٧- المليون في الممتلكات المتبقية	١٥٦٢	٣١٢٣	١٥٦٢	١٥٦٢	١٥٦٢	١٥٦٢	١٥٦٢
٨- المليون في الممتلكات المتبقية	٣٦١٢	٣١٢٣	٣٦١٢	٣٦١٢	٣٦١٢	٣٦١٢	٣٦١٢
٩- غير مبين	—	٣١٢٣	—	—	—	—	—
المجموع	٣٦١٢	٣٦١٢	٣٦١٢	٣٦١٢	٣٦١٢	٣٦١٢	٣٦١٢

نسبة التمام في المين با حيا لتيان .

توزيع الفلسطينيين المتفليس بحب الهنـة ومناطق البرطامه ١٩٧٠



- | | | |
|-----------------------|--------------------------------|-----------------------------|
| غير محصيه | عاملون في المراسمه وخدمات اخرى | عمالون في المصانع |
| عاملون في العمارة | عاملون في البناء | عاملون في المعنـام والبنـاء |
| اداريون، موظفون وكتبة | عاملون في الزراعه | صنعت حديد ودهنـيه |

ج - يشير توزيع المهن في سوريا الى نسبة كبيرة للحرفيين والعاملين في المصانع وعمال البناء ، اذ تبلغ ٥٤,٥ ٪ ، واذا عدنا الى التقسيم بحسب قطاع النشاط لنفصل هذا الرقم الكبير ، نكتشف ان ٢٢,٨ ٪ منهم يعملون في القطاع الصناعي - حرف وصناعة ، و ١٩,٢ ٪ يعملون في الاشغال العامة والبناء .

د - اذا كانت النسبة العامة للمهن الزراعية ، تبدو منخفضة ، فهذا يعود الى انعدام الزراعة في الكويت ٢,٢ ٪ وضالة عدد العاملين منها في سوريا ٨,٦ ٪ ، ولكن النسبة ترتفع في الضفة الغربية ٢٩ ٪ وقطاع غزة ٣١,٤ ٪ .

هـ - في المقابل تشير ارقام فلسطين المحتلة الى ١٩٦١ مؤشرات هامة . فهناك فقط ٦ ٪ يعملون في المهن الحرة . وهذا اقل من المعدل العام في البلاد الخمسة : ٩,٢ ٪ . وهذا يعود الى سياسة التهجير والتجهيل وتدني مستوى التعليم في صفوف العرب في فلسطين المحتلة . هناك ١٤,٢ ٪ فقط يعملون في الخدمات . و ٢٩ ٪ في الصناعة والحرف والبناء و ٣٨,٢ ٪ في الزراعة . وهي المهنة التي تستوعب اكبر نسبة من المشتغلين .

٥ - عمل المرأة

نفرّد لعمل المرأة ، بابا خاصا . لانه يؤشر الى الوضعية الاجتماعية . فمشاركة المرأة في العمل او عدم مشاركتها ، هو احد مقاييس قدرة المجتمع على استغلال طاقاته البشرية في سبيل التنمية .

أ - يشير الجدول رقم ١٤ ، الى انخفاض نسبة النساء العاملات . والمعدل في خمس بلاد ومناطق : الضفة الغربية ، غزة ، لبنان ، سوريا والكويت ١٢,٢ ٪ هو معدل منخفض جدا ، يمكن مقارنته بلبنان ١٧,٥ ٪ ، لنكتشف نسبية انخفاضه .

تعود اسباب هذا الانخفاض الى جملة اسباب : واقع التشتت : ليس هناك أرض يعملن فيها فغالبا ، في البلاد التابعة ، ما تعمل المرأة في الارض . والاسباب الاجتماعية التاريخية ، الايديولوجية ، حيث هناك تقليد

جدول رقم ١٤ توزيع الفلسطينيين الذين يمارسون عملا بحسب الجنس - ١٩٧٠ (بالآلاف)

فلسطين المحتلة ١٩٦١	مجموع البلاد والمناطق الخمسة	الكويت	سورية	لبنان	غزة	الضفة الغربية	بلد ومحافظة الاقامة
٤٥٨	٢٢٨٨٩	٣٧٩	٢٨٥٠	١٧٤٤	٥٤٦	٩١٥٠	لكون
٧٧	٢٥٦	٣٠٣	٢٥	١٦١	٤٦	٢٣٦	لبنان
٥٣٥	٢٦٤٥٠	٤١٢	٢٠٥	١٩٥٠	٥٨٧	١١٤٦١	مجموع المشتغلين
١٤٤	١٣٦٣	٨٦١	٨٦١	٧٢٣	٧٥٠	٢٠٦٦	نسبة الاناث المئوية /

الاقتصادية • لذلك نتوقف فقط على مستوى النشاط : توزيع القوى العاملة •

ج - أسباب منهجية وعملية :

١ - لا تشمل احصاءات الضفة الغربية ١٩٧٠ مدينة القدس المحتلة • بينما تشملها ارقام ١٩٦١ • واهمية الموضوع ان مدينة القدس ليست فقط رمزا حضاريا وسياسيا ، بل هي مركز هام للنشاط الاقتصادي في الضفة الغربية •

٢ - ان احصاءات ١٩٦١ ، لم تؤخذ عشية الاحتلال • وربما حدثت تغييرات كبيرة بين عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٨ • لكننا نأخذها هنا ، لانها تشير الى اتجاه عام •

٣ - حتى اذا اخذنا احصاءات ١٩٦١ كاتجاه فقط ، فهي تبقى ناقصة : (الوضع في العمل ، معلومات مفصلة حول البطالة الخ) •

٤ - المعلومات حول الضفة الغربية سنة ١٩٦١ ، مأخوذة من جداول احصائية • وليست ضمن سياق دراسة تحليلية حول التركيبة الديمغرافية والاجتماعية العامة للضفة في هذه السنة •

سوف نحاول اظهار ، من خلال بعض الجداول والنسب الاحصائية ، الاتجاه العام للسياسة الاقتصادية الاسرائيلية ، اي كيفية تعاملها مع اقتصاد الضفة الغربية لوضعه في خدمة اقتصادها • على صعيد واحد فقط: التحولات الطارئة على تركيب القوى العاملة في الضفة الغربية •

١ - قيل ان نبادر الى دراسة التحولات الطارئة على هيكلية النشاط الاقتصادي ، لا بد لنا من التذكير ببعض المعلومات الاحصائية الديمغرافية •

هناك ٨٠٥،٤ الاف مقيم في الضفة الغربية ١٩٦١ يضاف اليها ٥٠ الف يعملون في الخارج • تصبح ٦١٠،٣ الاف مقيم عام ١٩٧٠ (٦٧٠،٣ الاف اذا اضفنا سكان القدس العربية) •

ايدولوجي له اسبابه الاقتصادية والتاريخية، لعدم عمل المرأة • وكثرة الاولاد :فعمل المرأة داخل البيت ، اي كأم ، لا يحسب داخل قوة العمل •

ب - هناك رقمان يستلفتان الانتباه • الضفة الغربية: ٢٠،٦٪ من مجموع العاملين هم نساء • وفلسطين المحتلة ١٩٦١ ١٤،٤٪ • ترجع الاسباب في الضفة الى الانخفاض الخفيف في نسبة الذكور للاعمار التي تراوح بين ٢٠ - ٥٠ سنة •

ج - يشير الجدول رقم ١٥ الى وضعية المرأة في العمل • فاذا قارنا وضعية عمل المرأة في الضفة الغربية ١٩٦١ ، مع عملها في سوريا والكويت ١٩٧٠ • نكتشف ان هناك في الضفة الغربية توزيعا للعمل على مختلف الاوضاع داخل المهنة ، لان المجتمع هنا هو مجتمع عادي اما في مجتمعات اللاجئين ، سوريا والكويت فهناك تضخم كبير للعاملات بأجر نقدي •

د - يشير الجدول رقم ١٢ مكرر ، الى النسبة العامة للنساء بحسب المهن في الضفة الغربية وغزة وسوريا والكويت ١٩٧٠ كما يلي : ٣١،١٪ مهن تقنية وحره ، وهذا يعود الى كبر نسبة المدرسات و ١٠،٤٪ خدمات ١٠٪ حرف وصناعة ، ٢٤،٦٪ زراعة •

الضفة الغربية ٦١ والضفة الغربية ٧٠
الاحتلال الاسرائيلي والتحولت في هيكلية النشاط الاقتصادي

قد يبدو امرا مستغربا ، ان نقوم في سياق هذه الملاحظات الاحصائية بدراسة التحولات الهيكلية للنشاط الاقتصادي في الضفة الغربية بعد الاحتلال الاسرائيلي • وهذا يعود الى جعله اسباب :

١ - ليست الضفة الغربية ، تشكيلة اقتصادية - اجتماعية • ولا نتناول جميع محتلة • اي تجري عملية فرض تبعيتها الاقتصادية للمحتل •

ب - سبب علمي - فنحن لا نقوم بدراسة اقتصادية - اجتماعية • ولا نتناول جميع المعطيات حول الدخل القومي وتوزيع المداخل ٠٠٠ حتى نقدم صورة وافية للهيكلية

جدول رقم ١٥
توزيع الفلسطينيين المشتغلات بحسب الوضع في العمل بالنسبة المئوية % - ١٩٧٠

الوضع في العمل	سورية	الكويت	الضفة الغربية
يعملون لحسابهم	٧ر٨	٠ر٦	١٩٦١
صاحبات اعمال	٠ر٢	٠ر٢	١٨ر٠
يعملون بأجر نقدي	٨٨ر٢	٨٨ر٧	١ر٣
غير هذا	٢ر٧	٠ر١	٥٢ر٧
غير معين	-	١٠ر٤	٢٨ر٠
المجموع	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠
المجموع بالالاف	٢ر٥	٢ر٣	١٣ر٦

من الذي هجر ؟

٠,١٪ فقط لكن يظهر جليا مسع المعطيات السابقة. حذف القدس مع هجرة اعداد هائلة من القوى العاملة .

ج - انخفاض نسبة البطالة من ٦,٨٪ سنة ١٩٦١ الى ٢,٢٪ سنة ٧٠, تؤكسد ما سبق ان اشرنا اليه .

٣ - التحولات في قطاع النشاط

يشير الجدول رقم ١٨ والرسم البياني رقم ٨ الى معلومات واضحة في هذا المجال .

أ - نلاحظ انخفاضا طفيفا في الزراعة، من ٤٠,٤٪ سنة ١٩٦١ الى ٣٩,٣٪ سنة ١٩٧٠ وانخفاضا اضر في الخدمات الاخرى من ١٥,٤٪ سنة ١٩٦١ الى ١٢,٧٪ سنة ١٩٧٠.

جرى هذا الانخفاض لمصلحة القطاع الصناعي ، الذي ارتفع من ١٢,٣٪ سنة ١٩٦١ الى ١٤,٢٪ سنة ١٩٧٠ وقطاع البناء والاشغال العامة الذي ارتفع ايضا من ١١,٢٠٪ سنة ١٩٦١ الى ١٤,٧٪ سنة ١٩٧٠. كما ارتفع القطاع الذي يضم الكهرباء والمياه والاشغال العامة من ٠,٤٪ سنة ١٩٦١ الى ٢,٨٪ سنة ١٩٧٠ - علما ان حجم هذا القطاع الحقيقي بالالاف ضئيلا .

ب - يبين الجدول رقم ١٩ ، ان هذه التحولات القطاعية في نشاط الفلسطينيين في الضفة قد تمت لمصلحة الاقتصاد الاسرائيلي . يعلن الجدول رقم ١٩ عن ٢٠,٦٠٠ فلسطيني يعملون في فلسطين المحتلة منهم ٧١,٤٪

يشير الرسمين البيانيين ٤ (ب) و ٥(ب) الى مؤشرات واضحة : فهرم الاعداد يتخذ شكلا عاموديا بدل شكله الهرمي المقترض ، للاجيال ما بين ٢٥ و ٦٠ سنة . والمنحنى الذي يمثل الذكورة يتجوف بين ٢٠ و ٥٥ سنة ليصل الى نسبة ٦٧ ذكر لكل ١٠٠ انثى للذين تتراوح اعمارهم بين ٢٥ و ٣٠ سنة .

٢ - التحولات في معدل النشاط

تقود النسب المبينة في الجدول رقم ١٧ والمستخرجة من الجدول رقم ١٦ ، الى رؤية مخالفة تماما للواقع اذا لم نأخذ بعين الاعتبار الملاحظات السابقة .

١ - فنسبة العمل انخفضت بعد الاحتلال من ١٩,٩٪ الى ١٨,٨٪. ويفسر هذا الانخفاض بحذف مدينة القدس حيث نسبة العمل مرتفعة وشكل هرم الاعداد ونسبة الذكورة حيث نكتشف هجرة كبيرة في الذكور الذين هم في سن العمل .

ب - ولا تتوضح هذه الصورة الا اذا قمنا بحساب نسبة مجموع القوة البشرية (اكثر من ١٤ سنة) الى مجموع المقيمين فنجد انها تمثل ٥٥٪ سنة ١٩٦١ بينما تمثل ٥١٪ فقط سنة ١٩٧٠ . وهذا ما يفسر ان نسبة العمل الى مجموع القوى البشرية اصبحت سنة ١٩٧٠ ٣٦,٥٪ بينما كانت سنة ١٩٦١ ٣٦,٤٪ . وهذا ارتفاع لا توضحه الارقام

جدول رقم ١٦
الفلستينيون بحسب دورهم داخل القوى العاملة (بالآلاف)
الضفة ١٩٧٠ - الضفة ١٩٦١

الضفة ١٩٦١	الضفة ١٩٧٠	المعطيات
١٦٠٥	١١٤٦٦	المشتغلون
١١٨	٣٨	العاطلون عن العمل
١٧٢١	١١٨٤	مجموع القوى العاملة
٤٤١٤	٢١٣٩	مجموع القوى البشرية (أكثر من ١٤ سنة)
٨٠٥٤	٦١٠٣	مجموع المقيمين

جدول رقم ١٧
خصائص بنية القوى الفلسطينية العاملة بالنسبة المئوية %
الضفة ١٩٧٠ - الضفة ١٩٦١

الضفة ١٩٦١	الضفة ١٩٧٠	معدل النشاط
١٩٩	١٨٨	١ - نسبة العمل
٢١٤	١٩٤	٢ - نسبة القوى العاملة
٣٩٠	٢٧٧	٣ - نسبة القوى العاملة الى مجموع القوى البشرية
٣٦٤	٣٦٥	٤ - نسبة العمل الى مجموع القوى البشرية
٦٨	٣٢	٥ - نسبة البطالة

٩ ، الى عدم حدوث تحولات جذرية في مهن الزراعة والخدمات والاداريين والموظفين .
مع ازدياد طفيف للعاملين في التجارة من ٧٪ سنة ١٩٦١ الى ٩،٤٪ سنة ١٩٦١ . لكن يجب ان نلاحظ مسألتين هامتين .

أ - ازدياد نسبة المهن التقنية والحرية من ٤،٨٪ سنة ١٩٦١ الى ٧،٢٪ سنة ١٩٧٠ .

ب - جرى تحويل جزء كبير من الحرفيين والعاملين في الصناعة الى عمال بناء .
قالحرفيون وعمال الصناعة كانوا سنة ١٩٦١ ٢٨،٩٪ ليصبحوا سنة ١٩٧٠ ١٥،٠٪ .
وارتفعت نسبة عمال البناء والمياومين من ٢،٤٪ سنة ١٩٦١ الى ١٧،٥٪ سنة ١٩٧٠ .
يعمل جزء كبير منهم في فلسطين المحتلة كما بين الجدول رقم ١٩ .

قادمون من الضفة الغربية وموزعون حسب القطاعات التالية : ٥٤،٤٪ بناء واشغال عامة ، ٢٤،٣٪ زراعة ، ١١،١٪ صناعة ومناجم .

ج - كيف يمكننا تفسير هذا الارتفاع لنسبة الذين يعملون في الزراعة داخل فلسطين المحتلة ، بينما تنخفض النسبة العامة للعاملين في الزراعة ؟ هنا ، يمكننا تفسير ذلك بكونهم يعملون في فلسطين المحتلة كعمال زراعيين ، نظرا للارتفاع النسبي للاجور ، وهذا قد يكون أحد مؤشرات تراجع نسبة العاملين في الزراعة في الضفة الغربية .

٤ - التحولات في توزيع المهن

يشير الجدول رقم ٢٠ والرسم البياني رقم

جدول رقم ١٨
توزيع الفلسطينيين المشتغلين بحسب قطاع النشاط
الضفة ١٩٧٠ - الضفة ١٩٦٦

الضفة الغربية ١٩٦٦		الضفة الغربية ١٩٧١		قطاع النشاط
نسبة النساء	%	نسبة النساء	%	
١٠ر٣	٤٠ر٤	٢٧ر٤	٣٩ر٣	١ - الزراعة ، الغابات ، الصيد
١١ر٩	١٢ر٣	١٩ر٠	١٤ر٢	٢ - الصناعة ، الحرف ، المناجم
٠ر١	١١ر٢	٠ر٦	١٤ر٧	٣ - البناء ، الأشغال العامة
١ر٢	٨ر٧	٣ر١	١١ر٢	٤ - التجارة والفنادق
١ر٣	٢ر٧	-	٤ر١	٥ - المواصلات والنقل والتخزين
١٦ر٩	١٥ر٤	٢٤ر١	١٢ر٧	٦ - خدمات غيرها
٠ر٨	٠ر٤	٢٠ر٤	٣ر٨	٧ - كهرباء ، مياه وخدمات صحية
٣ر٧	٨ر٩	-	-	٨ - غير ميين
	١٠٠ر٠		١٠٠ر٠	المجموع
٨ر٥	١٦٠ر٥	٢٠ر٦	١١٤ر٦	المجموع بالآلاف

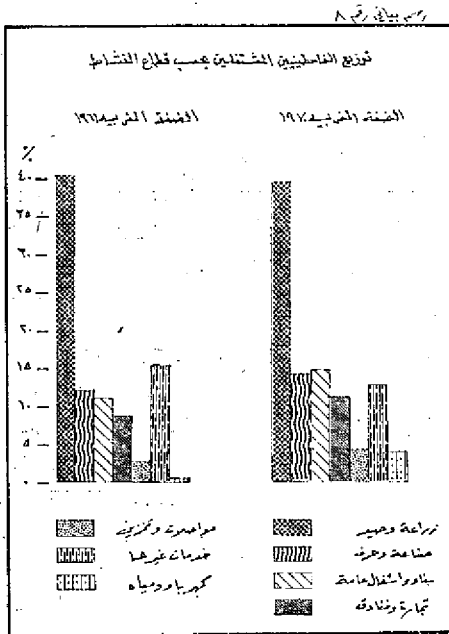
٥ - التحولات على صعيد عمل المرأة

المؤشرات التي يقدمها الجدول رقم ٢١ مثيرة فعلا . فهو يشير الى ارتفاع نسبة النساء العاملات من ٨.٥٪ سنة ١٩٦٦ الى ٢٠.٦٪ سنة ١٩٧٠ . فكيف نعلل هذا .

١ - يجب تخفيف هذا الفارق الهائل ، وأرجاع أحد أسباب هذا التضخم الى كون الحالة الظاهرة لعمل النساء في أحصاء ١٩٦٦ ناتجة عن عدم اعلان النساء لعملهن . فرقم العاملات في الزراعة سنة ١٩٦٦ ١٠.٣٪ لا يمكن أن يكون صحيحا إذا ما قارناه برقم ١٩٧٠ ٣٧.٤٪ . وهذا يشير الى الخطأ الإحصائي الذي تكلمنا عنه .

ب - لكن هذا لا يعني ان النسبة لم ترتفع . بل ارتفعت في الصناعة ، حيث أصبحت نسبة النساء لمجموع العاملين فيها ١٩٪ سنة ١٩٧٠ بينما كانت ١١.٩٪ سنة ١٩٦٦ . كما ارتفعت في الخدمات بشكل ملحوظ .

ج - تؤكد نسبة النساء حسب التوزيع المهني ما سبق :



جدول رقم ١٩
فلسطينيو المناطق المحتلة العاملين في فلسطين المحتلة
موزعين حسب النشاط الاقتصادي سنة ١٩٧٠

النسبة %	العدد بالآلاف	قادمون من
٧١٫٤	١٤٫٧	الضفة الغربية
٢٨٫٦	٥٫٩	قطاع غزة
١٠٠٫٠	٢٠٫٦	المجموع
النشاط الاقتصادي		
٢٤٫٣	٥٫٠	الزراعة ، الغابات ، الصيد
١١٫١	٢٫٣	الصناعة والمناجم
٥٤٫٤	١١٫٢	بناء واشغال عامة
١٠٫٢	٢٫١	فروع اخرى

جدول رقم ٢٠
توزيع الفلسطينيين المشتغلين حسب المهنة - نسبة النساء
الضفة ١٩٧٠ - الضفة ١٩٦١

الضفة ١٩٦١		الضفة ١٩٧٠		المهنة
نسبة النساء	%	نسبة النساء	%	
٣٢٫٧	٤٫٨	٣٦٫٦	٧٫٢	١ - المهن التقنية والحرّة
٦٫٦	٣٫٦	٥٫٤	٣٫٢	٢ - الاداريون ، الموظفون والكتبة
١٫٠	٧٫٠	٣٫٧	٩٫٤	٣ - عمال التجارة
٢٫١	٤٫١	-	٣٫١	٤ - العاملون في النقل والموصلات
١١٫٨	٥٫٦	١٢٫٥	٥٫٦	٥ - أختصاصيون للخدمات
-	٢٫٤	٠٫٥	١٧٫٥	٦ - العاملون في البناء والمهاجر
٥٫٠	٢٨٫٩	٢٠٫٩	١٥٫٠	٧ - الحرفيون والعاملون في المصانع
١٠٫٣	٣٧٫٧	٣٤٫٧	٢٩٫٠	٨ - المزارعون وصيادو السمك
٣٫٤	٥٫٩	-	-	٩ - غير ميين
٨٫٢	١٠٠٫٠	٢٠٫٦	١٠٠٫٠	جميع المهن
	*١٧٢٫١		١١٤٫٦	العدد بالآلاف

* لا تعطي احصاءات الضفة الغربية ١٩٦١ التوزيع حسب المهنة الا نسبة الى مجموع القوى العاملة اي بما فيهم الباحثين عن عمل .

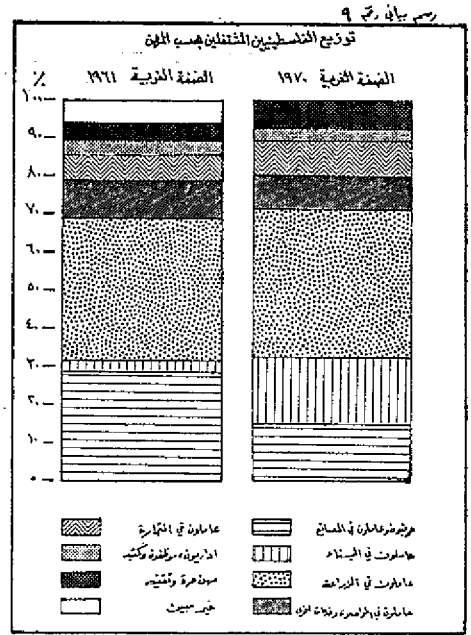
قد يكون هناك سببان : الهجرة الواسعة للرجال • ضرورة عمل المرأة ، فتح مجالات جديدة للعمل يؤمنها الارتباط القسري بالاقتصاد الاسرائيلي •

لقد حاولنا في هذا البحث الاحصائي ، ان نستخرج ملاحظات تأشيرية أولية ، تتعلق ، بوضع الفلسطينيين في البلاد والمناطق التي يقيمون فيها • الحالة الديمغرافية ، القوى العاملة ، الضفة الغربية بعد الاحتلال • لكن النقص الاساسي يدق في مجال التعليم • حيث يلعب هذا القطياع دورا اقتصاديا واجتماعيا بالغ الاهمية • لكننا لم نتطرق اليه هنا ، نظرا لوجود دراسات وافية حوله ، اخذا بعين الاعتبار الاطلسار العام الذي وضعناه لدراستنا •

ان الملاحظات الاساسية التي نخرج بها تنقسم الى قسمين :

١ - على المستوى التقني لا يزال الاحصاء الفلسطيني متخلفا جدا • فهو احصاء تابع لمشاريع لاتتبع من حاجات الشعب الفلسطيني • من هنا ضرورة قيام احصاء فلسطيني مستقل على مقاييس مستخرجة من واقع الشعب الفلسطيني •

٢ - على المستوى العلمي فان المؤشرات الاحصائية ، الاجتماعية والاقتصادية ، التي استخرجناها لا تسمح ببلورة برامج عمل شاملة • انها تؤشر فقط الى اوضاع مختلفة



فقد ارتفعت من ٥٪ سنة ١٩٦٦ للعاملات في المصانع والحرف الى ٢٠,٩٪ سنة ١٩٧١ بالإضافة النسبى الارتفاع الضخم للنساء العاملات في الزراعة من ١٠,٣٪ سنة ١٩٦٦ الى ٣٤,٧٪ سنة ١٩٧٠ • ولكننا أشرنا الى الخطأ الممكن في الرقم الاول •

د - كيف نعلل نسبة عدد النساء العاملات ٢٠,٦٪ في الضفة الغربية اذا قارناها بنسبة العاملات في فلسطين المحتلة ١٤,٤٪ •

جدول رقم ٢١
توزيع المشتغلين حسب الجنس - نسبة النساء
الضفة ١٩٧٠ - الضفة ١٩٦٦

الجنس	الضفة ١٩٧٠	الضفة ١٩٦٦
ذكور	٩١٠٠٠	١٤٦٤٤٠
إناث	٢٣٦٠٠	١٤٠٦٠
مجموع	١١٤٦٠٠	١٦٠٥٠٠
الاناث بالنسبة المئوية %	٢٠,٦	٨,٥

فوضع التثنتت الفلسطيني، يجعل للمستوى
السياسي الالهية الكبرى في التعبئة • وهذا
ما اثبتته تجربة عشر سنوات من الكفاح
الثوري المسلح •

في بلاد ومناطق مختلفة • وتسمح على هذا
الاساس فقط باستخراج برامج نضالات
اقتصادية وسياسية محدودة جدا • اما على
المستوى العام ، فانها لا تقدم شيئاً اساسياً
بهذا الخصوص •

اشكر الياس خوري الذي قرأ المقال ،
وايدى بعض الملاحظات التي اخذنا بها • علماً
أنني اتحمل وحدي مسؤولية نتائج هذا
البحث •

المخيم الفلسطيني في ظل الثورة

باسم سرحان

سنعالج في هذا المقال وضع المخيم الفلسطيني في ظل الثورة الفلسطينية ، او بكلام آخر تأثير الثورة والنضال المسلح على المخيم الفلسطيني . ونقصد « بالتأثير » هنا التأثير على المخيم كتجمع بشري متجانس العناصر خبير نفس التجربة وعانى نفس المعاناة . ويتناول التأثير اساسا التأثير النفسي والتأثير الاجتماعي ، وخاصة مسألة العلاقات الاجتماعية داخل المخيم ، ومع البيئة المحيطة به .

والطريقة المثلى لدراسة تأثير الثورة على المخيم هي : دراسة الحالة النفسية ووضع العلاقات الاجتماعية قبل دخول الثورة الى المخيم ، ثم دراسة الحالة النفسية والعلاقات الاجتماعية في المخيم حاليا ، ومقارنة الوضعين لمعرفة الاثر الذي أحدثته الثورة في المخيم . ولكن نظرا لعدم توفر أي دراسة علمية لوضع المخيم قبل الثورة لا يمكن اتباع هذه الطريقة .

والطريقة الدقيقة الاخرى لدراسة تأثير الثورة على المخيم هي أن نسأل الاهالي عن الحالة النفسية والاجتماعية قبل الثورة، وعن التبدل الذي طرأ على هذه الحالة بفضل دخول الثورة الى المخيم الفلسطيني . وهذا أمر ممكن لأن حالة المخيم ما زالت تعيش في اذهان الناس بشكل واضح ، لأن الثورة لم تدخل المخيم الفلسطيني كحالة جماهيرية الا بعد معركة الكرامة في آذار ١٩٦٨ في الاردن ، ثم دخلت مخيمات سوريا ولبنان في اوائل العام ١٩٦٩ . فالتجربة ما تزال حية ويمكن قياسها بسهولة بالرجوع الى الاشخاص الذين عاشوها وعاشوا معها تجربة المخيم في ظل الثورة .

ونحن نذكر هاتين الطريقتين للامانة العلمية . أما مقالنا الحالي فلا يعتمد على دراسة علمية دقيقة بالطريقة المقترحة نظرا لضيق الوقت المتاح لاجراء الدراسة وعدم توفر الطاقة البشرية اللازمة لاجراء مثل هذه الدراسة .

ولكن عدم اجراء دراسة علمية شاملة للموضوع لا يقلل من قيمة هذا المقال العلمية للاسباب التالية :

١ - لأنه يعتمد على استطلاع آراء عدد من الاشخاص الواعين (معلمون ، طلاب ، عمال) الذين عاشوا تجربة المخيم الفلسطيني قبل الثورة وبعدها ، ومارسوا العمل الاجتماعي والجماهيري في مرحلة الثورة او في المرحلتين معا .

٢ - لأنه يعتمد على التجربة والملاحظة الذاتية للكاتب من خلال ممارسة عمل اجتماعي في المخيم الفلسطيني .

٣ - لأن السمات الاساسية لوضع المخيم النفسي والاجتماعي قبل الثورة وبعدها بارزة وعريضة لدرجة يمكن معها الاعتماد على تقييمات وآراء الفئات الواعية اجتماعيا وثقافيا والتي ساهمت في اعطاء الصورة .

ولذلك فإن المقال سيكتفي بمعالجة السمات البارزة ، ولن يتطرق الى تفاصيل وظواهر جانبية أو تفصيلية في وضع المخيم قبل الثورة وبعدها .

وبما إن موضوع المقال هو تأثير الثورة على المخيم الفلسطيني فإننا سنورد السمات الأساسية لوضع المخيم قبل الثورة باقتضاب ، لكي ننقل منها الى معالجة الأثر الذي أحدثته الثورة في المخيم .

حالة المخيم النفسية والاجتماعية قبل الثورة، وعن التبدل الذي طرأ على هذه الحالة

يمكن استخلاص صورة عن حالة المخيم الفلسطيني قبل الثورة - الذي كان مخيم لاجئين بكل ما تحمله كلمة لاجيء من معان معيشية ونفسية واجتماعية - من خلال السمات الأساسية التي كانت تشكل طابعه العام ، وهي :

١ - سمة الاتكالية واليأس : كانت الروح الاتكالية وكان الشعور العام باليأس سائدين عند الجماهير الفلسطينية في المخيمات . وقد كانت خدمات وكالة غوث اللاجئين التابعة للامم المتحدة الاونروا عاملا هاما من عوامل خلق النفسية الاتكالية أو الروح الاتكالية عند جماهير المخيمات . وقد تطورت الروح الاتكالية من الاتكال على خدمات الاونروا المعيشية الى اتكالية نفسية عامة شملت التصرفات اليومية والعامه للاهالي وتبلورت في الاتكالية السياسية، أي اتكال الجماهير الفلسطينية على الدول والجيوش العربية بدرجة اساسية، وعلى الامم المتحدة بدرجة أقل ، في تحرير بلادهم واعادتهم الى بيوتهم وممتلكاتهم . وقد نتج عن هذه النفسية الاتكالية شعور عام بالعجز عن تحقيق أو انجاز أي أمر . ونتج عن الشعور التام بالعجز شعور قوي بالمهانة كان يغذيه احتكاك سكان المخيم بالطبقة الوسطى في المدن العربية ، وهي الطبقة الكفوة والمؤهلة والتي تستلم زمام الوظائف . ونتج عن كل تلك الظواهر شعور باليأس تمثل في اعتقاد اهالي المخيم بعدم جدوى الجهود الجماعية أو الفردية في محاولة تغيير واقعهم وخاصة لانهم كانوا يدركون ان مصيرهم الشخصي والسياسي بيد غيرهم : بيد الانظمة ، بيد السلطات ، وبيد الظروف التي يتلاعب بها آخرون . كان مصير من في المخيم يقرر خارج المخيم ، وبالتالي كان هناك شعور عام بعدم جدوى أي تحرك أو عمل .

وقد وصف احد سكان المخيم هذه الحالة بقوله : « كنت عندما تلفظ كلمة « مخيم » او « لاجيء » يتبادر الى الذهن كلمة « اعاشة » وكلمة « أناس عاجزين مساكين » .

٢ - سمة القمع والأرهاب : كانت مخيمات الفلسطينيين قبل مجيء الثورة معرضة باستمرار للقمع والأرهاب المنظمين من قبل السلطات العربية المعنية، وخاصة في الاردن ولبنان . فقد أخضعت المخيمات لأرهاب من قبل اجهزة المخابرات في تلك الدول كان هدفه قهر ارادة الجماهير الفلسطينية وقتل روح المقاومة والتحدي والتمرد عندها ومنعها من التحرك والانطلاق . وقد أدى القمع والأرهاب المتواصلين الى حرمان الجماهير الفلسطينية في المخيمات من الحرية المطلقة، ومن حريات محدودة ولملوسة مثل حرية الانتقال والسفر ، حرية التعبير ، حرية التجمع والتنظيم ، حرية بناء المساكن ، ومن حرية العمل احيانا . وباختصار يمكن القول ان القمع والأرهاب دخلا الحياة اليومية للجماهير في المخيمات طوال تلك السنين .

٣ - سمة المجتمع التسلسلي : كان مجتمع المخيم مبنيا على اساس عشائري ، وكان الحكم فيه للكبار . كان الكبار يتسلطون على الصغار (كبير العائلة على من

دونه ، والآباء على الأبناء) . وكانت الكلمة الذهائية في كل الأمور للكبار . وكان الكبار يحتقرون الصغار ، ولم يكن للشبان والأولاد مكان في حياة المخيم . إضافة الى هذا ، كان مجتمع المخيم محافظا وتقليديا ، مما جعل امكانية التحرر الاجتماعي فيه - وخاصة للمرأة وللشبان - ضعيفة جدا . وهو في هذا مثله مثل المجتمع العربي لانه جزء من هذا المجتمع .

وكان رؤوس المجتمع العشائري في المخيم يتعاملون مع الارهاب والقمع الخارجيين ومع سلطات الاونروا بشكل مساوم يقدمون فيه الكثير من التنازلات . كانوا يخافون ، وبالتالي قلم يتحدثوا ولم يجابهوا . وكانوا في الوقت نفسه يحاولون ابقاء سيطرتهم على الشباب ويقاومون كل اتجاه تمردى عندهم خوفا من استدراج بطش خارجي اكبر . وباختصار ، كان الكبار ، بشكل عام ، عنوانا للتسلط وصمام امان للمحافظة والخنوع والاستسلام للقوى الخارجية الارهابية .

ولكن هذا الرضع نفسه ، وضع الاتكالية والياس والخوف من الارهاب والقمع والتسلط الاجتماعي ، كان يحمل نقيضه في طياته . فقد كانت تختمت - واختمرت - في داخله قوى التمرد والثورة ، وكانت تتعاظم فيه قوى رفض الواقع المهين . وقد كانت قوى الرفض والثورة ممثلة بالشباب الطبيعي في المخيمات والذي كان ينتمي الى احزاب وحركات سياسية عربية تقدمية . وقد خاض هذا الشباب الطبيعي نضالا سياسيا صلبا . وكانت هناك فترات يتحول فيها النضال السياسي الطلائعي الى حركة جماهيرية داخل المخيمات ، كانت تنجح احيانا في فرض او تحقيق بعض المطالب الجزئية - خاصة في نضالها ضد مشاريع التوطين الاستعمارية (الاميركية أساسا) التي كانت تشرف عليها الاونروا . لقد احبطت الجماهير الفلسطينية بقيادة وبتحريك من طلائعها السياسية مشاريع التوطين وبالتالي حالت دون تصفية القضية ، ودون اذابة الشخصية الفلسطينية . أما النمط العام للنضال السياسي في المخيمات فكان يبدأ بحركة سريعة وتنظيم خلايا ، وينتقل الى تحريك الجماهير والى نضال جماهيري محدود احيانا وواسع احيانا اخرى ، ثم ما يلبث ان يسحق من قبل اجهزة القمع العربية . وقد نتج عن النضال السياسي الجماهيري اتجاه طلائعي للنضال المسلح في اواخر الخمسينات ومطلع الستينات . ولكن النضال المسلح لم يتحول الى حالة جماهيرية الا بعد ظهور الثورة في المخيمات . فالثورة انطلقت من المخيمات ، ولكن المخيمات لم تتأثر بالثورة بشكل جذري الا بعد عودة الفدائيين اليها .

حالة المخيم الفلسطيني في ظل الثورة (١٩٦٨ - ١٩٧٤)

كان لظهور فصائل الثورة الفلسطينية في المخيمات آثار عميقة على هذه المخيمات من مختلف النواحي . وقد كانت التأثيرات الجذرية بكاملها تأثيرات ايجابية . كما كانت هناك بعض التأثيرات السلبية الجانبية التي جاءت كنتائج طبيعية لعدم وجود مرحلة انتقالية تهيء لقدم المقاومة الى المخيمات وتزيل تدريجيا آثار المرحلة السابقة للثورة . كان الانتقال مفاجئا وضخما وحديث « بين يوم وليلة » فعلا . وسنركز في هذا المقال على التأثيرات الجذرية ، أي الايجابية ، لانها هي الأساس . أما التأثيرات الجانبية ، أي السلبية ، فلا تذكر قياسا بالايجابيات .

انطلقت الثورة من المخيم وعادت بالبناوق لتحرر المخيم وجماهيره . ونحن نستعمل

كلمة « تحرر » هنا عن عمد ونقصدها حرفياً • فما حدث للجماهير الفلسطينية في المخيم كان عملية تحرير • كما أن تحرير المخيمات كان الخطوة الرئيسية الأولى على طريق تحرير فلسطين •

وحالما دخل الثوار الفلسطينيون المخيمات بسلاحهم خرجت السلطات واجهزة القمع والارهاب والمخابرات ، كما تعطلت عمليا سلطة الجهاز الاداري الذي كان يتحكم بالمخيمات ، جهاز الاونروا • ومع الحريسة التي حملتها الثورة للمخيم برزت الهوية الفلسطينية بقوة بعد غياب طويل وحلت محل هوية اللاجئ التي التصقت بالفلسطيني كالوباء • واعادت الثورة للفلسطيني ثقته بنفسه ، وجعلته ينبذ الاتكالية ويحمل البندقية ويبادر بنفسه ويعتمد على نفسه • ومن الممكن القول ان الثورة قد ردت الروح الى الشعب الفلسطيني المناضل • والتفت الجماهير حول الثورة تغذيتها بالرجال وتدعمها وتحميها • ولم يبق أحد في أي مخيم خارج فصائل المقاومة الفلسطينية • انضم الجميع الى التنظيمات السياسية والمليشيا والقطاعات العسكرية لفصائل الثورة • وتوالت دورات التدريب في المخيمات • وتلقى التدريب كل قادر على حمل السلاح من رجال وشبان واشبال ، واعداد كبيرة من الفتيات والزهرات • ونشأت في المخيم حالة جماهيرية ثورية لا مثيل لها ، في جو من الحرية المطلقة ومن سلطة الجماهير • وشعرت الجماهير الفلسطينية ان مصيرها قد أصبح بيدها ، ولاول مرة منذ النكبة ، لان البنادق اصبحت في يدها • واصبحت البندقية رمز الحرية للشعب المقهور والمسحوق •

وحدث تحول جذري في النفسية الفلسطينية • ومع تصاعد العمليات وتصاعد النضال ومع قوافل الشهداء واعراس الشهداء في المخيم ، بدأت الروح الاتكالية تزول ، وزال الشعور بالعجز التام ليحل محله شعور بالقوة الذاتية وبقوة الارادة • ودخلت مع البنادق مفاهيم العمل الجماهيري وقوة الجماهير و ارادة الجماهير ودورها في تحقيق النصر وفي تحرير فلسطين • كان ذلك ، كافيا لانزعاج اليأس من المخيم ولزرع الامل والثقة بالنفس مكانه • واصبح للفلسطيني دور ، الدور الطبيعي ، واصبح المخيم الفلسطيني يعتبر نفسه طليعة الثورة العربية •

اذن حققت الثورة للفلسطيني الحرية الجماعية والفردية المطلقة ، كما حققت له حريات محدودة وملموسة على رأسها حرية التعبير والتجمع والتنظيم، وحرية العمل العسكري والسياسي لاسترداد ارضه • كما حصلت الثورة للجماهير الفلسطينية على حريات محددة وملموسة من الانظمة العربية أهمها حرية السفر الجزئية (اذ ان ليبيا هي البلد العربي الوحيد الذي منح الفلسطينيين حرية السفر منه واليه • ويليه لبنان الذي منح حرية السفر التامة منه واليه لفلسطينيين لبنان ، وحرية السفر المقيدة اليه لفلسطينيين سوريا وغزة والعراق • ولكن سفر الفلسطينيين من وإلى الدول العربية ما يزال مسألة خاضعة للقيود والمصاعب) وحرية بناء المساكن وتحسين وضعها وترميمها (لبنان) ، وحرية العمل (لبنان) • اما حرية عمل الفلسطينيين - من الناحية النظرية - فهي متوقرة في كافة البلدان العربية ، ولكن عمليا تواجه حرية عملهم رقابة سياسية وعراقيل سياسية في بعض البلدان العربية مثل السعودية ومسقط وعمان وبعض امارات الخليج حيث تلعب المخابرات الاميركية والاردنية دورا فعالا ضد الفلسطينيين • أما في لبنان ، فقد أصبح للعامل الفلسطيني - لأول مرة - جهة تحميه وتدافع عن حقوقه وتدفع عنه الاستغلال • وقد استفاد العمال المهرة وغير

المهرة ، أكثر من أي فئة أخرى ، من حماية الثورة ودعمها لانهم كانوا احوج الناس اليهسا .

يمكن القول اذن ان الحالة النفسية العامة للمخيم الفلسطيني قد تحررت من عقد الاتكالية والعجز والخوف والاستسلام لتشمل بميزات الاعتماد على النفس والمقدرة والجرأة والمقاومة والصمود . وهذا انجاز ما كان ليتحقق الا بالثورة المسلحة ، ومن الصعب جدا تحقيقه بالتطور السلمي البطيء . ولكن الثورة قادرة على ان تفعل اكثر مما فعلت ، وان تبذل جهودا سياسية خاصة ، لتأمين حماية للفلسطيني ولعمله في كافة الاقطار العربية .

كما ان الثورة قد ابرزت الهوية الفلسطينية ورفعتها لدرجة اصبح معها الفلسطيني يفخر بانتمائه . واصبحت الهوية الفلسطينية هوية نضالية ، واصبح الانتماء الفلسطيني انتماء نضاليا في الوطن العربي كله .

أما تأثيرات الثورة على المخيم على الصعيد الاجتماعي فكانت عميقة وجذرية في بعض النواحي وسطحية في نواح أخرى ، كما سنرى في التحليل التالي . ومن الضروري ان نذكر ان عملية حدوث هذه التأثيرات كانت تتفاوت في المدى الزمني بحسب موضوع التأثير . فقد تعمقت بعض التأثيرات بسرعة نسبية - شهور بعد ظهور الثورة في المخيم - بينما استغرق بعضها الآخر وقتا اطول (سنوات) . وما تزال بعض التأثيرات بحاجة الى تعميق وترسيخ ، وربما تتطلب سنوات اضافية لكي تصبح حقائق اجتماعية جديدة .

١ - التأثير في حياة المخيم اليومية : حدث هذا التأثير خلال بضعة شهور من ظهور الثورة في المخيم . وقد كان بارزا وكبيرا . فقد حولت الثورة المخيم الى خلية او الى ورشة عمل متواصل في الليل والنهار . فبعدها كان الركود يسود المخيم والملل يملأ حياته اليومية ، ظهرت مكاتب الفدائيين ومعسكرات تدريبهم ، واخذت تستغل طاقات الناس وتحركهم . واصبح الجميع مشغولين . وكانت الصورة اليومية لحياة المخيم تعطي طابع عمل مكثف . ففي كل يوم - اثناء الليل والنهار - كانت تجري لقاءات واجتماعات وحلقات تنظيمية وندوات جماهيرية ، وتدريبات ، ومناقشات وتوزيع مهمات ، وتحميل مسؤوليات . وتحققت الرغبة الجماهيرية الفلسطينية منذ النكبة بالعمل من اجل تحرير فلسطين . واصبح النضال والمهام النضالية محور الحياة اليومية الفلسطينية في المخيمات .

٢ - التأثير على العلاقات داخل المخيم : كانت الثورة ثورة شباب . وقد ادى ذلك الى ظهور قيادات جديدة في المخيم الفلسطيني ، قيادات شابة ونشيطة وعنيفة ، وقادرة على العمل والانجاز . وقد تجاوزت هذه القيادات الشامية القيادات التقليدية المتقدمة في السن . واصبحنا نرى كهولا وكبارا ، اجدادا وآباء ، يجلسون في حلقات او في ندوات جماهيرية يستمعون بشغف واهتمام وتركيز الى ما يقوله الشبان ، الاحفاد والابناء . واصبح التواجد في هذه الندوات اوسع من ذي قبل وفيه مشاركة اكبر من قبل الجماهير .

واهتمز البنیان الاجتماعي التقليدي ، وتمكن الشبان من التحرر ، وامتلكوا الى حد كبير حرية التصرف والحركة وتصريف الامور . واصبح لهم دور مستقل فعال . كما ان الثورة قد اضعفت العلاقات العشائرية داخل المخيم . وقد ضعفت العلاقات العشائرية من خلال امور ثلاثة : أولا ، تطور الوضع داخل المخيمات من وضع مستقر الى وضع متحرك ، وتوجه الجميع من خلال هذا التحرك باتجاه تحرير فلسطين . وحل التنظيم او الفصيل الفدائي مكان العشيرة او الحمولة . واصبح الانتماء

لفلسطين ، من خلال التنظيم الفدائي ، يأتي أولاً • ثانياً ، استيعاب اعداد لا بأس بها من الفلسطينيين الذين فروا من مذابح ايلول الاسود في الاردن ، مما اضاف الى الطابع القومي لمجتمع المخيم • ثالثاً ، القبول بالقيادات الفدائية التي جاءت من خارج المخيم ، من غزة والضفة الغربية اساساً • وهذا أمر يحدث لأول مرة • وقد كان قبول المخيم لهذه القيادات دليلاً قومياً صحياً ، وذهب الى حد القبول بالفدائيين واستيعابهم في مجتمع المخيم من خلال تزويجهم بناتهم • وهذا تغيير اساسي اذا علمنا أن الزواج كان يأخذ طابعاً عشائرياً بل عائلياً محدوداً قبل قدوم الثورة • كان الزواج يتم داخل الحمولة نفسها أو داخل القرية نفسها ، وكان اعطاء بنت لـ « غريب » يعتبر مشكلة • كل هذه كانت مؤشرات على ضعف الحس العشائري داخل مجتمع المخيم •

٣ - خلق المؤسسات والاطر الجماعية : قبل الثورة لم تكن ، ولم يكن مسموحاً بوجود أية مؤسسات واطر جماعية تساعد على صهر افراد المجتمع الواحد وخلق علاقات جديدة وممتينة فيما بينهم • وقد رأيت الثورة ان التنظيم والعمل الجماعي هو السبيل الى صهر طاقات الشعب الفلسطيني في حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد ، فبادرت الى خلق الاطر الجماعية وشجعت قيامها فنشأت الاتحادات الشعبية والنقابية المهنية والفئوية • وأبرز هذه الاتحادات : العمال والطلاب والمعلمين والمرأة • وقد لعبت هذه الاتحادات دوراً في مجال عملها وان يكن هذا الدور قد اتخذ طابع العمل السياسي اساساً ، وأهمل تعميق طابع العمل النقابي لاسباب عديدة ووجيهة • ان تعميق عمل الاتحادات وتطويرها يحتاج الى جهود اكبر ووقت اطول •

أما الاطر الجماعية الاخرى ، والادنى مرتبة من الاتحادات الشعبية ، فكانت النوادي الرياضية والثقافية للشباب • وبعض النوادي ما تزال في بداياتها ، ولكنها تتطور بشكل مرض - النوادي الرياضية - وبعضها الآخر بحاجة الى اهتمام وجهود كبيرة - النوادي الثقافية •

٤ - التأثير على البيئة المحيطة بالمخيم : قبل الثورة ، كانت البيئة المحيطة بالمخيم اما معادية أو متسلطة ومسيطره ، أو في احسن الحالات محايدة • وكانت العلاقات بين المخيم والبيئة المحيطة علاقات تشويها عقدة النقص من جانب المخيمات ، ويشوبها التعقيد والحذر ، واحياناً الخوف والعداء • وقد ساعد على تعقيد هذه العلاقات كون اجهزة القمع والارهاب تنتمي الى البيئة المحيطة • وبعد دخول الثورة للمخيم انقلبت هذه العلاقة رأساً على عقب • زال الخوف وزال التسلط وزال الحذر وزالت عقدة النقص • ومر المخيم بفترة عدائية قصيرة مع البيئة المحيطة ، ثم انفتح على البيئة المحيطة واقام علاقات متينة معها في معظم الاماكن • اصبح المخيم بؤرة النضال العربي ضد الصهيونية وضد الاستعمار • وأخذت البيئة المحيطة تنظر بمنظار جديد كل الجدة الى المخيم وإلى جماهيره • وتدفقت القسوى التقدمية والثورية من البيئة العربية المحيطة الى المخيم لتكتسب خبرة نضالية وتشارك في المسؤولية القومية - التحرير • ونشأت لأول مرة علاقات وأواصر نضالية متينة بين المخيم الفلسطيني والجماهير العربية المحيطة به • وبالطبع انعكست هذه العلاقات النضالية على العلاقات الشخصية • وقد تبين مدى متانة هذه العلاقات الجديدة حين قاتلت الجماهير العربية الى جانب الجماهير الفلسطينية حين تعرضت الثورة الفلسطينية للتصفية في اكثر من بلد عربي • وقد آوت البيئة العربية المحيطة جماهير المخيمات وأطمعتها وسأندتها حين كانت تخلي المخيمات اتقاء للقصف الارضي والجوي • ولكن علاقة المخيم بالبيئة العربية المحيطة ما تزال بحاجة الى تعميق وترسيخ وإلى توسيع في أطرها ومستوياتها •

٥ - **التأثير على وضع المرأة** : قبل الثورة كانت المرأة في المخيم حبيسة البيت ، وحبيسة التقاليد الشديدة . وعند دخول الثورة الى المخيم حدث قدر بسيط من تحرر المرأة استدعته مهمات النضال ، كدخول المرأة في التنظيم وفي الميليشيا . وقد كان لدى المرأة الفلسطينية الاستعداد التام للتحرر وللمشاركة في الثورة بشكل تام كما ظهر من دراسة حول وضع المرأة الفلسطينية اجراها المؤلف في العام ١٩٧١ وظهرت في « شؤون فلسطينية » عدد ٦ . فقد قالت ٩٧,٦٪ من نساء العينة التي شملتها الدراسة ان للمرأة دورا في الثورة ، وقالت ٨١,٦٪ منهن ان على المرأة ان تقاتل في صفوف الثورة ، وقالت ٦٠,١٪ منهن ان على المرأة ان تقوم بكل المهام التي يقوم بها الرجال في الثورة . ولكن حين نظرنا الى نسبة اللواتي شاركن في الثورة منهن فعلا وجدناها ٢٤,٤٪ فقط ، بينما وجدنا ان ٦٥,٦٪ منهن لم يكن لهن أي دور في الثورة . كما ان المشاركة لمعظم اللواتي شاركن كانت موسمية أو مقطعة (جمع تبرعات ، توزيع بيانات ، بيع بطاقات الخ) . وعند سؤالين عن سبب التناقض بين الرغبة والممارسة ، وجدنا ان ٥٠,٩٪ منهن لم يشاركن نظرا لانشغالهن بالامور المنزلية وتربية الاولاد . وان ١٤,٦٪ منهن لم يشاركن نظرا لممانعة الاهل . كما ان هؤلاء النساء قلن انهن يرغبن رغبة شديدة في التحرر الاجتماعي ، لكن الخوف من المجتمع - من اهلن ومن كلام الناس - يمنعهن عن ذلك . يمكن الاستنتاج اذن بأن المرأة كانت - وما زالت - مستعدة للتحرر والمشاركة ولكنها بحاجة الى من يدعم عملية تحررها ويقف وراءها . والثورة كانت الجهة المؤهلة لذلك . ولكن الثورة لم تلتفت جديا الى مسألة تحرير المرأة وتثويرها . وبالتالي ما لبث ان تغلب الوضع التقليدي للمرأة ، فانكفأت الى داخل المنزل وخففت مشاركتها كثيرا في التنظيم وفي الميليشيا بشكل عام . والمهمة الاساسية للمقاومة الآن على عاتق اتحاد المرأة الفلسطينية هي تثوير المرأة وتوعيتها وانشاء قاعدة جماهيرية نسائية واعية وقادرة على المشاركة في اعباء النضال . وقد بدأ الاتحاد باقامة حلقات تثقيفية وبرامج محو أمية ومشاريع أخرى مماثلة ولكن الطريق ما تزال طويلة وشاقة . كما ان أي عمل لاتحاد المرأة بدون تجاوب الرجل ومساهمته لن يؤدي الى أي تغيير في وضع المرأة الفلسطينية .

٦ - **التأثير على التربية والتعليم** : قبل الثورة لم يكن هناك أي تعليم وطني فلسطيني ولم يكن هناك أي توجيه تربوي ثوري للمطالب الفلسطيني . فالتعليم كان - وما يزال - مسؤولية الاونروا . وبعد ظهور الثورة في المخيمات قامت الجماهير الفلسطينية باضرابات ومسيرات ضد الاونروا وسياستها التعليمية ، وطالبت باتباع سياسة تعليم وطنية ، وخاصة تدريس تاريخ وجغرافية فلسطين في مدارس الاونروا . وقد أدى النضال الجماهيري الى تخصيص ساعتين في الاسبوع لدراسة تاريخ وجغرافية فلسطين . ولكن هذا لا يكفي .

ولم تلتفت الثورة الى مسألة خلق تربية وطنية فلسطينية متكاملة وثورية ، الا مؤخرا من خلال تجربة مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي انشأ في العام ١٩٧١ قسما للتخطيط التربوي ، ومن خلال تجارب تربوية غير ناجحة للتنظيمات الفدائية . وكان مفروضا ان تكون معسكرات الاشبال مراكز للتربية الثورية المتكاملة ، ولكنها ليست كذلك اذ اقتصرت على البعد العسكري . ويمكن القول اننا ما زلنا بعيدين مسافة طويلة جدا عن تحقيق هدف التربية الوطنية والثورية الفلسطينية . ولا بد من التنويه بالمبادرات الفردية لبعض معلمي الاونروا الملتزمين بالتثقيف الوطني والثوري للطلاب ، ولكنها تبقى محدودة لانها ذات طابع فردي . يمكن القول اذن ان الثورة كانت مقصرة تقصيرا كبيرا في ايجاد تربية وطنية

وثورية في المخيمات وانها لم توجه العناية الكافية ولم تحرك الجهد البشري اللازم لهذا العمل . كما ان مقدارا كبيرا من اللوم يقع على عاتق المعلم الفلسطيني في هذا المضمار . واكبر مثال على تقصير الثورة تجاه التربية هي مدرسة اسعاد الطفولة في سوق الغرب (وهي مدرسة لابناء الشهداء) التي يفترض ان تكون مدرسة نموذجية تربويا وثوريا - خاصة وان تلامذتها ابناء شهداء وبعضهم عاش مذابح ايلول وبعضهم شاهد آباءهم أو عائلاتهم تقتل ، وبينهم عدد من الاشبال - ولكنها للأسف الشديد غير نموذجية وغير تربوية وغير ثورية . وبما ان العملية التربوية تحتاج الى وقت طويل والى جهود جماعية منتظمة ودائمة ، فالجال ما زال امامنا لتحقيق مثل هذه التربية في ظل الثورة وفي ظل الصراع الطويل والمرير مع العدو .

ولكي نكون منصفين نقول انه كانت هناك بعض الجوانب السلبية في مجال التربية والتعليم نتجت عن ظهور الثورة في المخيم . ومن هذه الجوانب زيادة نسبة تسرب الطلاب من المدارس في سن مبكرة ، وزيادة نسبة غيابات المعلمين واهمالهم في تحضير الدروس بحجة اعطاء وقتهم للعمل التنظيمي . ولكن من الممكن تلافي هذه السلبيات بسهولة اذا تدخلت الثورة بشكل مباشر وقوي في التوجيه والاشراف على عملية التربية والتعليم الفلسطينية .

٧ - **التأثير على الاولاد** : أهم تأثير للثورة على الاولاد (سن ٥ - ١٤) هي انها رسمت لهم طريقا - طريق النضال لتحرير فلسطين - وجعلت لهم رمزا - الفدائي - واسلوبا لتحقيق اهداف شعبهم - العمل الفدائي . لقد غرست الثورة ، بمجرد تواجدها في المخيمات ، العمل الفدائي وبداية قيم جديدة ونظرات جديدة الى الحياة في نفس كل طفل في المخيم الفلسطيني . واعطت الثورة للطفل أو الولد الفلسطيني ثقة عالية في النفس يلمسها كل من يحتك بالاولاد الفلسطينيين ، ونظرة مشرقة الى المستقبل ، لم تكونا موجودتين في مرحلة ما قبل الثورة . واعطت الثورة للولد الفلسطيني الاغنية الشعبية والثورية الفلسطينية التي كانت مختفية من حياته في مرحلة ما قبل الثورة . واصبحت تتردد على شفاه كسل طفل في كل مخيماتنا « يا فدائي خذني للاحارب » و « انا جنود العاصفة » و « نعيدك يا فلسطين من المية الى المية » و « فلسطين لا تحزني عند شباب العاصفة » و « انا صامد » الخ . ولكن كما قلنا اثناء بحث مسألة التربية ، على الثورة ان تفعل الكثير ، وبشكل برامج وظواهر أخرى ملموسة ، للطفل الفلسطيني لكي تنمي هذه التربية الخصبة التي احدثها تواجدها في المخيم .

٨ - **التأثير على القيم والمفاهيم الاجتماعية** : كان تأثير الثورة على القيم والمفاهيم الاجتماعية ضئيلا أو حتى غير ملموس . فلم تجر أية محاولة منظمة وموجهة نحو غرس مفاهيم وقيم اجتماعية جديدة . لكن طبيعة الانتقال وطبيعة التحرك الجماهيري اوجدت بعض القيم الجديدة التي ما زالت بحاجة الى المزيد من الترسخ والتعميق . وأهم هذه القيم قيمة العمل الجماعي وأهميته ، وقيمة العمل للوطن قبل العمل للذات ، والتضحية من أجل الآخرين . وقد أثرت الثورة أيضا على التصرفات المنحرفة للشباب ، واوجدت بدلا منها أنماط تصرف بناءة . من الامثلة على ذلك منع القمار واللعب بمكناات التسلية ، وطرح نمط قضاء الوقت في المجال الرياضي أو في العمل الجماهيري .

لكن يمكن التأكيد مرة أخرى ان الثورة ظلت بعيدة عن مسرح التغيير الاجتماعي المقصود ، كما حدث في ظل الثورة الكوبية أو الجزائرية . وهناك سببان رئيسيان لابتعاد الثورة عن مسرح التغيير الاجتماعي المقصود . وهذان السببان هما

فقدان الارض (وجود الثورة في ارض ليست ارضها ولا سلطة لها عليها) ، ونظرة الثورة الى مهمتها الرئيسية على انها مهمة سياسية - التحرير - وبالتالي توجيه كافة الطاقات نحو النضال المسلح وبناء التنظيم السياسي . وبالإضافة ، كان هناك شعور عند كوادر الثورة الفلسطينية بان طرق باب التغيير الاجتماعي سيقتح أبوابا ويثير مسائل لا قبل للثورة بكوادرها الحالية على مواجهتها وتحمل اعبائها . ويظهر هذا التردد حتى عند ضباط الكفاح المسلح المضطلع بمسؤولية المخيمات .

يمكن الاستنتاج أخيرا بأن تأثير الثورة على المخيم الفلسطيني كان عميقا في المجالين النفسي والسياسي ، وكان ضعيفا في المجال الاجتماعي . ولكن التغيير الاجتماعي بطبيعته يحتاج الى الكثير من التفاعل مع الظواهر الجديدة ، والى الكثير من الجهود الجديدة المتعمدة والهادفة نحو التغيير .

لقد ردت الحياة الى المخيم الفلسطيني في ظل الثورة ولكن المحافظة على دورة الحياة هذه وتطويرها ما يزال بحاجة الى جهود ضخمة ، والى المزيد من العمل الجماهيري الثوري . كما أن هذه التجربة الضخمة بحاجة الى صهر وترسيخ من اجل اهداف الثورة التي هي اهداف الجماهير . وعلى الثورة ان تفرز المزيد من الكوادر السياسية وان تساعد على بروز العديد من الكوادر الجماهيرية في المخيمات لتعميق الخط الثوري ولايجاد تغير نوعي في المفاهيم والتقاليد والقيم السائدة .

الاشتبال ... وعبور الحلم الفلسطيني

علي زين العابدين الحسيني

في عام ١٩٦٤ ، وخلال انعقاد مؤتمر الاتحاد العام لطلبة فلسطين في غزة ، وقف صحفي أمريكي يشاهد طلاب المدرسة الاعدادية في معسكر الشاطئ ، وهم ينشدون امام علم فلسطين نشيد « عائدون » . وعندنا ترجمت له كلمات النشيد ابدى دهشته لان هؤلاء الاطفال الذين ينشدون قد ولدوا في مخيم الشاطئ ، « فلأين ولماذا يعودون اذن ؟ » ويومها اصر ذلك الصحفي على توجيه سؤال للتلاميذ الصغار في احد الفصول : « عائدون لماذا ولأين ؟ » .

ووقف احد هؤلاء الصغار يحاول الاجابة علي هذا النحو : « قل له اننا نريد ان نعود لكي . . . » وتوقفت الكلمات — بدون تلعلم — في حلق الصغير :

ومرة اخرى يبدأ الصغير : « قل له اننا نريد ان نعود لكي . . . »

ويرتعش الصوت ، فيتوقف الصغير ، ويبدو اصراره على الاجابة فيعود بصوت يفص بالبكاء : « قل للامريكي اننا نريد ان نعود لكي . . . » . . . يتفجر الصبي الصغير في بكاء حار يهتز معه جسده النحيل فيتحول الصمت — الذي ران لحظة على الفصل — الى مظاهره تضج ببكاء الصغار .

— « انها اجابة دقيقة عن الوطن » .

لم يفدّر هؤلاء الصغار رؤية الوطن ، ومع ذلك كانوا يحسونه ويفرقونه ، يحفظونه عن ظهر قلب . الاطفال الذين نزحوا مع ذويهم عام ١٩٤٨ احتفظوا بحشد عظيم من الحقائق والتفاصيل عن الوطن شككت في خيالهم خريطة الوطن .

اما هؤلاء الذين ولدوا في الشتات فقد عرفوا الوطن من خلال عملية السرد الليلي واليومي التي كان الاباء والامهات والمسنون يحرصون على القيام بها ، كما لو كانوا يقدمون لصغارهم « كشف اعتذار » عن الحياة المريرة التي يعيشونها ، وعن الوضع المذل لواقعهم . وليحفروا في ذاكرة الصغار صورة ذلك الوطن الذي لا يشبه المخيمات . ويمتلئ بالرموز والتفاصيل الزيقية والجبيلة والمدنية والبطولات والاعراس ، حتى صار لدى كل طفل فلسطيني « فلسطينه الخاصة » التي يحلم بها : « كان لنا بيارة كبيرة » ، « كان بيتنا واسعا اكبر من هذه الغرفة بعشرين مرة » ، « كانت كلمتي مسموعة في البلد » ، « لم يقصدني احد في حاجة الا وقصيتها له » .

كان الطفل يصفي ، ويحلم بفلسطين « جميلة ، مليئة بالاشجار ، بدون اكواخ بيوتها واسعة ، واسعة . الكل يأخذ من الكل ، بلا طوابير تموين وبلا شوارع ضيقة ، ورائحتها مثل رائحة الياسمين وازهار الالوز والبرتقال » . وهكذا أصبح حضور فلسطين في وجدان الصغير حضورا عاطفيا ، ورومانسيا ، ومأساويا في الوقت ذاته . لقد كانت تلك الحكايات عن الوطن تتعش نفسية الطفل الفلسطيني وترطب واقعه

الجاف المرير ، وكان في مقدوره عندما يستغرقه الحلم الفلسطيني ان يستبدل المخيم بالقرية التي يعرفها جيدا .

— متى نعود ؟ كان هذا هو الحلم الليلي اليومي الذي حمله هؤلاء الصغار — صفار النزوح الاول . ونما معهم عبر السنوات المرة في منافع الالم ، وكلما ارتحلوا من بلد الى آخر بحثا عن لقمة العيش . هؤلاء الصغار هم الذين تدرّ لهم ان يصيروا ثوار عام ١٩٦٥ .

الفدائي . . والطفل الفلسطيني

ان الحرب (الانتصار او الهزيمة) تخلق وضعاً نفسياً خاصاً للجماهير الواقعة في دائرتها . لقد تجلّى هذا الوضع بوضوح اثر هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، لقد أحدث الانكسار العسكري انكساراً نفسياً انعكس بحدة على الصغار . وكانت هذه المحنة تمس الطفل الفلسطيني بشكل مباشر ، فقد ارغم الاف الاطفال — مع ذويهم — على النزوح من ارض الوطن خلال وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، ولقد عاش هؤلاء تجربة مريرة ومذهلة وغير قابلة للتصديق بالنسبة اليهم : فجأة يجدون انفسهم هاربين في اتجاه الشرق ، تلاحقهم طائرات مفزعة من فوق وجنود متوحشون في دبابات مخيفة ، فيتدافعون في دعر يعبرون نهر الاردن على حطام جسر داميا وسط صيحات الهلع والحزن والبكاء . وعلى امتداد الضفة الاخرى من النهر يبحث الكبار عن مكان « يستقرون » فيه ، الكثير منهم يتجه صوب « مخيم الكرامة » . وهناك يكتشف الصغار ان بينهم فدائيين .

لقد عثروا على المعادل الذي ينتشلهم من وضعهم النفسي الاليم وحالة عدم التصديق . « الفدائي هو البديل عن الجانب المهزوم من الحرب المشتعلة يوميا ، وهو ليس غريبا عنهم ، فهو ابن المخيم . . . وهم يعرفونه ، اذ هو يأتي بين الحين والآخر الى المخيم وعلى كتفه سلاحه السحري سريع الطلقات ، ولا بد ان تتاح لهم الفرصة لكي يسمعوا منه عن حياة الفدائيين وقتالهم . . . » (١) .

لقد استجذبت مظاهر حياتية جديدة في بيوتهم ، وصارت لديهم حكايات مثيرة وبلاغات عسكرية ، واثائيد ثورة ، وفدائيون يغتمرون الكوفيات ويتوغلون في ارض الوطن . والهيب شخصية الفدائي خيال ووجدان الاطفال الفلسطينيين في مخيمات النزوح الثاني . لقد ظهر الفدائي علنا . وكانوا يتأملون هذا البطل بمزيج من الحب والتهيب والغموض والتقدير . ثم صاروا يتحلقون من حوله ، يطلبون منه ان يزويهم ويعلمهم كيف يقاتل الاعداء . لقد صار الفدائي هو « المثل الاعلى » لدى هؤلاء الصغار . لم يعودوا يطمحون في ان يصيروا اطباء او مهندسين . انهم يريدون ان يصيروا فدائيين .

في تسجيل اذاعي (اجراه مراسل اذاعة العاصفة) مع اسرة الشهيد رشاد دياب (ابو الثلاث) حلفت شقيقته الصغيرة (١٢ سنة) على استشهادها بقولها : « انني لارجو ادمي لان لها ابنا استشهاد » (٢) .

لقد أصبح للموت مفهوم جديد لديهم . ففي دراسة عن جيل النصر (٣) وجه الباحث التربوي باسم سرحان هذا السؤال الى عينة من الاطفال : « كيف تشغز عندما تسمع بموت فدائي ؟ » اجاب ٢٦٪ منهم بانهم يشغزون بالفرح « لانه مات من اجل فلسطين » .

مؤسسة الأشبال والفتوة (٤)

بقدر ما كانت الثورة الفلسطينية تطمح بأن تعد الجيل الفلسطيني للقيام بدوره المستقبلي المسؤول في حرب الشعب طويلة الامد ، بقدر ما كان الاطفال الفلسطينيون مندفعين من تلقاء انفسهم — بتأثيرات الواقع — للمشاركة في الثورة ولفرض ضرورة هذه المشاركة فرضا على الثورة .

يقول الاخ صخر ، احد الذين عايشوا بدايات تجربة معسكرات الاشبال وكان فيما بعد المسؤول التنفيذي في مؤسسة الاشبال ، وامين سر مجلسها الاعلى (٥) : « بعد انطلاقة الثورة عام ١٩٦٥ ، كانت لدينا افكار حول ضرورة اقامة معسكرات تجمع فيها اكبر عدد ممكن من ابناء الثورة المتزمين وكان رائد الفكرة الشهيد منير شديد ، وكانت الفكرة تميل الى انتزاع الطفل الفلسطيني (١٤ سنة) من واقعه ، وتربيته تربية عسكرية محضة وفي اطار مبادئ الحركة (فتح) . غير ان هذه الفكرة لم تنفذ . وبعد عام ١٩٦٧ ، نزحت اعداد كبيرة من الفلسطينيين من الارض المحتلة ، فارتفع عدد سكان مخيم الكرامة الذي كان مركز التجمع الفدائي لنا حينذاك من ١٤ الف الى حوالي ١٤٠ الف . وبسبب التواجد تولدت علاقات مباشرة بين الفدائيين والجهاهير . ولاحظنا ان الاطفال الذين يتجمعون حول الفدائي يطلبون منه بالحاح ان يدرّبهم . لقد استرعت هذه المظاهرة اهتمام الاخ صلاح التعمري المفوض السياسي لقوات العاصفة في الكرامة ، فابتدأ في تشكيل النواة الاولى للاشبال بتدريبهم في العراء دون اقامة معسكرات خاصة بهم (لاعتبارات السرية في تلك الفترة) . »

بعد معركة الكرامة ، أصبح التواجد الفدائي العلني حقيقة واقعة ، فاقامت الحركة اول معسكر (علني) للاشبال في البقعة في شهر حزيران ١٩٦٨ . ورافقت اقامة هذا المعسكر حملة اعلامية ضخمة عن عمليات الثورة فاحتل معسكر اشبال البقعة اهتماما خاصا في الاعلام العربي والعالمي . وفي غضون الاشهر القليلة التالية اقيمت عدة معسكرات للاشبال في مختلف انحاء الاردن .

— هل أعددتكم برنامجا تدريبيا خاصا بمعسكرات الأشبال ؟

يجيب الاخ صخر : لقد شعرنا بضرورة اعداد برنامج متكامل لمعسكرات الاشبال ، كان علينا ان نجيب عمليا على هذا السؤال : « كيف نعد جيلا قادرا ومسؤولا يكون هو جيل النصر في حربنا الطويلة الامد » . وكان علينا ان نشكل لجنة من الخبراء الثوريين لمثل هذه المهمة ، وفي اوائل العام ١٩٦٩ اعلن بالفعل عن تشكيل المجلس الاعلى لمؤسسة الاشبال والفتوة .

— كيف كان التصور العام للبرامج في هذه المعسكرات ؟

وضعنا نظاما أساسيا لمفهوم فلسفة تربية الشبل الفلسطيني (٦) ، أكد على ان معسكر الاشبال هو المكمل الثوري الذي يطور شخصية الطفل الفلسطيني . ولم يكن المعسكر بديلا عن المدرسة ، ولا عن حنان البيت . ولهذا كانت معسكرات الاشبال تتوافر فيها جميع انواع الرعاية غير المتوافرة في المدرسة وفي بيئة المخيم . ولهذا وجدنا من الضروري اقامة علاقات مباشرة مع المدارس ، ومع اسر الاشبال لحل المشاكل التعليمية والتربوية والاجتماعية للاشبال . فتشكل « مجلس المعلمين » و« مجلس الآباء » واستعنا بخبراء في علم التربية والاجتماع لاعداد كواثر المعسكرات التي تم فرزها من تنظيم الحركة .

— مراحل اعداد المعسكر : —

« نبدأ اولاً باعداد الكادر المسؤول ، يتولى الكادر مهمة اختيار المكان ويشرع على الفور باقامة المعسكر ، وكنا نحرص على ان يشارك « الأشبال » في بناء واعداد المعسكر لتعميق الاحساس لديهم بالانتماء الى « معسكرهم » . ولا شك اننا واجهنا ظروفاً صعبة لكننا استطعنا ان نقيم اربعة عشر معسكراً للأشبال في مختلف انحاء الاردن (بخلاف معسكرات الأشبال التي اقامتها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) . »

يبقى السؤال : الى أي مدى حققت تجربة الأشبال في الاردن أهدافها ؟ :

يجيب صخر : « التجربة لم تقتصر على الاردن ، فقد اقيمت — فيما بعد — معسكرات اشبال في سوريا ، ثم في لبنان . وكانت المؤسسة هي الجهاز المركزي المسؤول عن جميع معسكرات الأشبال مع الاخذ في الاعتبار الاوضاع الخاصة بكل اقليم . أما عن تقييم التجربة ، فهي لم تأخذ مداها الزمني اللازم حتى يمكن تقييمها التقييم الدقيق والموضوعي . لقد بدأنا عملياً في النصف الثاني من العام ١٩٦٩ ، وكانت في الشهور الستة الاولى عبارة عن استعدادات . ثم نشطنا في النصف الاول من العام ١٩٧٠ لتنفيذ البرامج المعدة ، لتجني أحداث ايلول ١٩٧٠ ولتقصف مدفعية الملك ومعسكرات الأشبال مما أدى الى استشهاد الكثيرين . أما النياقون فقد التحق معظمهم بالقواعد حيث اثبتوا كفاءة قتالية عالية . أن أبطال عملية يفتاح الانتحارية والتي نفذت في ١١/٧/١٩٧٤ هم من اشبال معسكرات ١٩٧٠/٦٩ » .

ولقد احدثت رعاية الأشبال تغييرات نفسية وعضوية وروحية في الطفل الفلسطيني ، وتوانعت في هذه — على سلوكه الحيائي والاجتماعي ضمن اطار البيئة التي يعيش فيها ويتعامل معها . ففي المدرسة بدأ التغيير واضحا على « الأشبال » . كانوا سيجاولون ان يحصلوا على أعلى الدرجات ، وكانوا المثل العليا في الانضباط ، واحترام المدرسين . وكانت علاقة « مجلس المعلمين » بكادر المعسكر توفر جواً ملائماً لتطور هذا السلوك باطراد : الأشبال المتفوقون يحصلون على « تكريم » خاص في معسكر الأشبال ، أما الأشبال المقصرون في الدراسة فقد كان كادر المعسكر يوفر لهم بالاتفاق والتعاون مع « مجلس المعلمين » مدرسين لاعطائهم دروساً خصوصية لتقويتهم وهكذا غابت عن الفصل المشاكسات والمشافيات التقليدية . ، لقد كان هؤلاء الأشبال يمثلون الثورة أمام بقية التلاميذ وامام المدرسين أنفسهم ، ومن هنا حرصوا على ان يحافظوا — بما أمكن — على سلوكهم ومظهرهم كي يكونوا قدوة ثورية للجميع .

والثبنيء نفسه حدث على سلوكهم الاجتماعي في المخيم ، ومع أفراد الأسرة ، لقد خلق فيهم المعسكر روح التعاون ، والمبادئ الأخلاقية الصحيحة ، وغرس فيهم روح التضحية والقيام بالواجب تجاه الآخرين . لقد كان قائد المعسكر بمثابة القدوة الثورية التي شغف بها هؤلاء الأشبال ، ولقد ادركوا أن اي اخلال بالمبادئ الأخلاقية يعني انحرافهم عن السلوك الثوري . وهكذا أصبحوا يحملون مشاكلهم الاسرية والاجتماعية الى قائد المعسكر ليساعد في حلها ، ويتعاون كادر المعسكر مع « مجلس الآباء » ثم لحل مشاكل وهموم هؤلاء الأشبال بل واكثر من ذلك لقد افتتح كادر المعسكر آباء هؤلاء الأشبال ان عليهم بدورهم ان يغيروا من سلوكهم التقليدي لهؤلاء الشوار والصفار . ولقد أدى هذا كله الى نشوء علاقة حميمة وواعية بين معسكر الأشبال والبيئة الجماهيرية المحيطة به .

معسكر الأشبال المغلق : هذه تجربة اخرى لمعسكرات الأشبال . فالمعسكر المغلق يقتصر على اشبال يتجاوز عمرهم الثانية عشرة (١٢ — ١٦) . ومن المتفرغين لدورة

المعسكر التي تستمر عادة ستة شهور . ويعد اشبال هذا المعسكر اعدادا خاصا يؤهلهم للالتحاق فوراً بالقواعد او للقيام بمهام نضالية خاصة .

يقول الأخ عبد السلام مسؤول المعسكر (٧) : « كانت لدينا لائحة داخلية وبرنامج عمل للتربية العسكرية ، والكشفية ، والصحية ، والرياضية ، وللتعبئة السياسية ، وكانت هذه البرامج تقدم للاشبال بأسلوب يحقق هدفنا (اعداد مقاتلين ثوران لحرب الشعب) .

— برنامج يوم كامل في المعسكر المغلق :

- * ٤ صباحا استيقاظ
- * ٤،٢٠ — ٧ صباحا مسيرة وسباحة واعداد بدني .
- * ٧ — ٨ صباحا افطار وراحة .
- * ٨ — ٩ صباحا تدريب عسكري (طوابير) .
- * ٩ — ١٠ صباحا حواجز ، اختبار جراءة ، توازن .
- * ١٠ — ١١ صباحا تدريب عسكري .
- * ١١ — ١٢ ظهرا مهارات عامة .
- * ١٢ — ٢ بعد الظهر غداء وراحة .
- * ٢ — ٤ بعد الظهر نشاط حر (حفر خنادق ، استكمال تدريبات ، كرة طائرة ، كرة القدم ...) .
- * ٤ — ٥ مساء مهارات كشفية ، تربية صحية ...
- * ٥ — ٧ مساء عشاء .
- * ٧ — ١٠ مساء توعية سياسية ، مطالعات ، حفلات سهر ، اناشيد ثورية ،
- يتم تنظيم رحلات جماعية منظمة الى القواعد .
- لا خروج من المعسكر اذ زيارة الاهل خلال الدورة وممنوع زيارة الاشبال .

تقييم خاص لقائد المعسكر المغلق (٨) : « لقد التحق معظم هؤلاء الاشبال بالقواعد . كلف البعض خلال احداث ايلول وجرش وعجلون (٧٠ — ١٩٧١) بمهام نضالية اثبتوا فيها قدرة قتالية متفوقة . أما الذين اعتقلتهم السلطات الاردنية فقد تحملوا عمليات التعذيب بجلد شجاع غير عادي ورفضوا — حتى الموت — البوح بأسرار المعسكر وكان الحفاظ على السلاح من الامور المقدسة لديهم » .

معسكرات الاشبال بعد ايلول ١٩٧٠

لقد كانت معسكرات الاشبال « التي تعد جيل النصر » هدفا للقصف المدفعي الملكي ابان احداث ومجازر ايلول عام ١٩٧٠ . واستشهد عدد كبير من الاشبال ، ودافع الاشبال ببسالة عن معسكراتهم وعن ثورتهم . لقد تصدوا لمهام نضالية صعبة ومع ذلك كانوا ابطالا كبار . وبعد ايلول انضم عدد من اشبال جبال عمشان الى قواعد الفدائيين في جرش وعجلون وقتلوا جنبا الى جنب مع اخوتهم المقاتلين .

ماذا عن معسكرات الاشبال بعد الخروج من الاردن ؟ يجيب الاخ صخر : لدينا ثلاثة معسكرات في سوريا وخمسة في لبنان . اننا نعد الآن دراسة تحليلية شاملة عن تجربتنا في الاردن . هناك تجربة جديدة قمنا بها في صيف العام ١٩٧٤ في سوريا . لقد اسميناها « ثورة الشهيد عز الدين القسام » وهي الدورة الاولى لمعسكرات الاشبال الضيقية . يقول د. محجوب عمر (٩) عن هذه الدورة : « انها دورة تدريبية لا بد من الاستفادة من كل ما لازمها من صعوبات أو مشاكل أو إنجازات حتى يمكن تطوير هذه المعسكرات في المستقبل . لقد اشترك في المعسكر ٣٦ شبلا و١٤ زهرة ، وتراوخت أعمارهم من

ثمان سنوات حتى ستة عشر عاما وذلك على الرغم مما نصت عليه بيانات الدعوة للاشتراك في المعسكر من التحديد الأدنى للعمر باثني عشر عاما والاعلى بخمسة عشر عاما . لقد ضم هذا المعسكر اشبيالا قدموا من السعودية ولبنان وسوريا والكويت وقطر . من بينهم ٣٩ ولدوا في غزة و ٢٤ في الضفة الغربية و ١٩ في الضفة الشرقية ، و ٢١ في السعودية ، و ٧٦ في لبنان و ١٧٩ في سوريا و ٩٢ في بلاد أخرى .

لقد وضعنا لهذه الدورة الصيفية - ٤ اسابيع - برنامجا خاصا لتثقيف وتربية الجيل الجديد وتعميق انتمائه الوطني الفلسطيني والقومي العربي ولتعوده على السلاح والخشونة وحياة المعسكرات والقواعد ، ولتنمية روح الابداع والمبادرة لديه وتقوية روح التحدي والمخاطرة المسؤولة في اطار العمل الجماعي .

وقد تم تقسيم الاشبال الى ٤ مجموعات : مجموعات شبيبية (١٣ - ١٦ سنة) ، مجموعات اشبال (١٠ - ١٣ سنة) ، مجموعات اشبال من ٨ - ١٠ سنوات ، ومجموعات زهراء من ٨ - ١٠ سنوات .

ولقد حددت اللجنة العليا للمعسكر البرنامج اليومي للدورة كالتالي :

- * من ٧ - ٩ صباحا قيام ، وتحية علم ، وانطار .
- * من ٩ - ١٢ صباحا تدريب على الاسلحة الخفيفة .
- * من ١٢ - ١ بعد الظهر عمل جماعي داخل المعسكر .
- * من ١ - ٤ بعد الظهر غداء ، وراحة ، ونشاطات حرة .
- * من ٤ - ٦ مساء نشاطات حرة ، وتدريبات خاصة .
- * من ٦ - ٧ مساء توجيه وثقافة .
- * من ٧٠٢٠ - ٨٤٣٠ مساء عشاء .
- * من ٨٤٣٠ - ٩٤٣٠ سنيها .

شهادات الاشبال

التبيل صلاح (١٠) (العمر ١٤ عاما) : « ولدت في مخيم عقبة جبر ، اخي الاكبر ولد في دير ايان ، لا أعرف دير ايان لكنني أعرف ان فيها سهولا وجبالا واشجارا وبيوتا . اكملت الثاني الاعدادي . التحقت بمعسكر الاشبال منذ اليوم الاول الذي افتتح فيه . كنا في البداية ندرس في المدرسة وبعد ذلك نلعب في الشارع ، والان نتعلم في المعسكر الذي يعد جيل النصر . قبل الثورة كانت كرامة الشعب الفلسطيني (ضايعة) والان (في السماء) . »

الزهرة عبيده (١١) (العمر ١٣ عاما) : « تعرفت على فتح عن طريق شقيقي المقاتل في العاصفة وعن طريق والدتي . والدي لبناني وامي جزائرية . اول مرة رأيت فيها الكلاشنكوف قبل أكثر من عامين ، كنت أسير في السوق ورأيت فدائيا يحمل سلاحا ، كانت اول مرة أرى فيها هذا السلاح . كنت أريد ان أسأل الفدائي عن سلاحه لكنه كان يسير بسرعة . ورأيت ولدا في الشارع فقال لي انه كلاشنكوف . الان أستطيع ان أستعمل الكلاشنكوف . طريق تحرير فلسطين طويل وحرينا شعبية طويلة الامد » .

التبيل ابو الرائد (١٢) : (العمر ١٣ عاما) : « دخلت معسكر الاشبال يوم افتتاحه . ولدت في « دير دبوان » قضاء رام الله . كان اسمي ثائر وسمعت قصة عن بطولة ابو الرائد فغيرت اسمي . كل الاشبال ثوار . الثورة الجزائرية استمرت خمسة عشر عاما حتى تحررت الجزائر . . . ثورتنا طويلة الامد » .

التبيل ابو الفتوح (١٣) (العمر ٤٤ عاما) : « أنا من مواليد بيت مسوريك قضاء القدس وفي

الصف الاول ثانوي . دخلت معسكر الاشبال منذ تأسيسه قبل عام ونصف . هناك تدريبات عسكرية وتنشيف سياسي وحراسة معسكر ولنا علاقات مع الناس ، الذي يستشهد يكون قد قام بواجبه والذي يبقى يستمر في حمل الرسالة ولا يمكن لاية قوة ان تقضي على شعبنا . مهما طال الزمن شعبنا سيستمر في الثورة حتى النصر » .

الشهيد أبو كفاح (١٤) (العمر ١٣ عاما) : « نزلت أسرتي من الرملة الى القدس حيث ولدت فيها . أخي فدائي اعتقلته السلطات الاسرائيلية وحكمت عليه عشرون عاما . التحق خالي بالفدائيين بالقواعد . التحقت بمعسكر البقعة في الاردن في منتصف عام ١٩٦٨ بعد معركة الكرامة بأربعة أشهر . غادرت القدس كي التحق بالعمل الفدائي . قبل ذلك كنت أحب أن أصير مدرسا . بعد معركة الكرامة تمنيت أن أصير فدائيا . وبعد أن ازدادت العمليات الفدائية في القدس صممت على الالتحاق بالعمل الفدائي . أحببت مسؤول المعسكر بسبب معاملته الاخوية لنا (كان كثيرا ما يعد لنا الشاي بنفسه) . أحب الثائر الشهيد « أبو علي اياد » . . . كان قائدا عادلا » . . .

وبعد ، فإن ما سبق قد يعطي ملامح عن هذه التجربة الطليعية للثورة الفلسطينية ، لكنه لا يقدم تقييما شاملا دقيقا عن ما تحقق وما يتحقق منها ، ان تقييم كل التجربة يحتاج الى دراسة ميدانية واسعة بين الاشبال . الى جانب دراسة سيكولوجية لاكتشاف تأثيرات الواقع الثوري على الطفل الفلسطيني ، وكل ذلك في اطار التفهم الصحيح لطبيعة العدو ، وطبيعة التحدي الذي تواجهه وطبيعة الحرب التي نخوضها .

وإذا كانت مخيمات النزوح الاول قد تحولت الى « معازل تفریح » للفدائيين ورغدت الثورة بجيل من المقاتلين القوار ، فإن الاطفال الفلسطينيين في زمن الانبعاث الثوري الفلسطيني يجب ان يحققوا مقولة : انهم جيل النصر لقد استطاع اطفال النزوح الاول ان يغيروا ذلك الايقاع النغمي لكلمة « الفلسطيني اللاجئ المستكين » الى ايقاع ملحمي « للفلسطيني الفدائي الثائر » . لقد عبروا بسلاحهم الى « حلمهم الفلسطيني » . ولا بد لاطفال الثورة ان يجسدوا « الحلم الفلسطيني » الى نصر حقيقي .

أيلول ١٩٧٠ وشهادات واقعية الاطفال (١٥)

سألت احد الاطفال ، بعد أحداث أيلول « عما يجب أن يكون عندما يكبر » . فأجاب : « عندما أكبر أريد أن أظل فلسطينيا » . لقد كانت اجابة الطفل رد فعل نفسي لما يتعرض له الفلسطيني من مؤامرات التصفية وجروب الابداء . وليس بمقدور شيء ان يججو من ذاكرة الطفل تلك التفاصيل التي يحرص على الابقاء عليها في ذاكرته .

ان الاطفال الذين شاهدوا مجازر أيلول وانتشرت فيما بينهم قصص « جنود الملك الاشرار الذين يطمعون اصابع الاطفال حتى لا يحملوا البنادق ويصيروا فدائيين » لن ينسوا ذلك ، بل ان هذه الاحداث تعمق انتماءهم الفلسطيني بشكل أكثر حدة .

شهادة الطفل محمد أحمد (من مواليد عين السلطان) (العمر ١٣ عاما) في مدرسة « بيت اسعاد الطفولة » (١٦) — لبنان : « صباح يوم الخميس استيقظنا مبكرين على صوت القنابل والمدافع الاردنية والرصاص مثل زخات المطر يتساقط علينا . جاءت أمي وقالت : انبطحوا على الارض . وقال لي ابي : خذ اخوتك واذهب الى الملجأ . فذهبنا الى الملجأ وعند المساء رجعنا الى البيت ونمنا ، أما أمي وأبي فلم ينمنا خوفا من أن يحدث لنا شيء . ورجعنا الى البيت وحملت أمي أخي وعمره عشرة شهور وذهبت الى المطبخ ، فاذا بالزوابع تدخل الى البيت وطمس التراب وجوهنا ، وسمعنا صوت الضربة » تهز البيت ، فخرجنا من الغرفة فرأيت المطبخ قد تدمر وأبي وأختي

تحتة . ذهب اخي الى عمتي واخبرها عما حدث . وجاء عمي (الذي رباه والدي) ليسعف ابي وامي لكن (الجيش) راوه (وضربوه) . بقيت انا واخي في البيت ، اخذت اشد في أخي الصغير حتى تناولته من تحت الردم واخذت اركض في الشارع ورأيت عشرات القتلى ، والقطن (ياكلوا في) لحمهم . ووقعت عدة مرات على الارض ، وأخيرا رأيت عمتي ماشية في الشارع لا تعرف الى أين ذاهبة . وعندما وصلت الى بيتنا المتردم وجدت اختي في الشارع (قد قفزت من حم الضربة) ولكن عمتي لم تعرفها لانها مشوهة ، وأخيرا نطق (نطقت) اختي ، أنا سعيدة يا عمتي ، فلم يبق في عمتي شعور . وبعد أن اخذوا ابي وامي للدفن بقينا نبحث عن اختي وعمتي فلم نجدهم الا بعد أشهر . »

شهادة **الطفلة سحر حسين** (العمر ٩ سنوات) في بيت اسعاد الطفولة : « كانت حرب ايلول الاسود سنة ١٩٧٠ أهم حادثة في حياتي ، كانت الدبابات (قد قتل) الوف الاطفال والنساء والرجال والشيوخ ، وكانت النساء والاطفال والرجال (مرميه) في الشوارع . (كانوا الجيوش) يدخلون على البيوت ويقتلون الرجال والنساء والاطفال (وكانوا) الفدائيون يحاربون ليدافعوا عن وطننا ، وكانوا يحرقون (عجل) السيارات ويفجرون القنابل لكي لا تجيء الدبابات (والجيوش) (يقتلون) الناس كنا ندافع عن وطننا الجميل وطننا الحبيب . »

شهادة **الطفل برهان نعماني** ، الصف : اول تكميلي في بيت اسعاد الطفولة : « ... كان رجال البادية يدخلون الى المستشفيات فيقتلون من فيها من رجال ونساء وشيوخ واطفال واطباء ايضا ، وكانوا بالاختصاص يقطعون أصابع الاطفال كي لا يصبحوا فدائيين . ليس هذا فقط بل لقد ذهبوا الى المدارس وخاصة مدارس اللاجئين ونسفوها وقتلوا من فيها من طلاب وتلاميذ . ومن أشجع الجرائم ان الجيش الاردني حينما يرى سيارة ويجد فيها فلسطينيين بدون بطاقة الهوية يأمر سائق الدبابة ان يمر من فوقهم . »

شهادة **الطفلة صباح عيسى** (العمر ٩ سنوات) في مدرسة بيت اسعاد الطفولة : « ... اما الاطفال الصغار فأخذوا يبكون (ويندهون) في صوت (عالي) ولكن لا احد يرد على هؤلاء الاطفال . وبقينا في هذا الحال الصعب وبعد أيام (انقطع) الماء والكهرباء والاكل ولكن الاطفال لا يقدر ان يعيشوا في هذا (المازق) . »

شهادة **الطفل احمد فهمي محمود منصور** في الاول التكميلي في مدرسة بيت اسعاد الطفولة : « ... كنت ذاهبا الى البلدة لاشتري بعض حاجاتي . كنت مارا في الطريق واخذت انظر الى اليمين والشمال وفجأة فاذا باحدى الدوريات الاردنية تقف في وسط الطريق للبحث عن الفدائيين واسرهم نزلوا من السيارة واخذوا يلتفتون . وفجأة كان احد المدنيين يشتري بعض أدوات البيت وفيما هو والبائع (يتفصلون) في حساب المشتري والمبيع التفت (احدا) من (الجيش الهجري) الى هذا المدني فوجد انه يضع في جانبه قطعة من السلاح اي (مسدس) فوجهوا فوهات البنادق اليه قائلين له : « القي بسلاحك . » ولكن الفدائي البطل ابي ذلك فاطلقوا عليه النار فأردوه شهيدا . »

شهادة **الطفلة هالة ربيع** في مدرسة اسعاد الطفولة (٩ سنوات) : « ... في أحداث ايلول ١٩٧٠ توفي ابي وهو يسعف (الجرحا) . ان هذا اثر على قلبي وعلى تلوب الاسرة وهذا اثر علينا ولكن أخي الصغير عوني قال لامي قبل ان يموت « يا بابا جبلي بطيخ » فقال له ستاحضر لك في الصباح وطلع الصباح وكان هذا اليوم الاسود (يوم الثلاثاء وفي الساعة العاشرة) من من الشارع واراد ان يشرب ففصل (جبيلي

اشرب فجبت له يشرب وفي الساعة الخامسة تصاوب) ، فقلقت أُمي ومات أبي يوم الثلاثاء وطلعت جنازته يوم الجمعة الموافق ١٩٧٠/٩/٦ وكان ذلك اليوم يوم حزين .
[والدها سائق لسيارة الهلال الأحمر الفلسطيني استشهد أثناء أداء واجبه] .

ملحق : فلسفة تربية الشبل الفلسطيني

١ - التربية الوطنية وتهدف الى : ١ - تنمية الروح الفلسطينية الثورية والثقة بحتمية التحرير ، ب - تعميق الفهم التاريخي والجغرافي لفلسطين ، ج - تعميق الارتباط المادي والروحي بالارض الفلسطينية والولاء المطلق بها ، د - التعريف بالعدو الصهيوني الاستعماري ودراسة خططه وأساليبه .

٢ - التربية القومية وتهدف الى : ١ - تنمية الروح العربية الثورية المؤمنة بحتمية الوحدة عن طريق تحرير فلسطين ، ب - تعميق الفهم التاريخي والجغرافي للوطن العربي ، ج - تفهم وتنمية الروابط الاجتماعية والمصرية للامة العربية ، د - شرح أهداف العدو الاساسية واطماعه ليس بفلسطين وحدها بل بالوطن العربي كله .

٣ - التربية الانسانية وتهدف الى : ١ - التعرف على شعوب العالم الثالث ونضالها من أجل التحرر من الاستعمار ، ب - دراسة أساليب الاستعمار بأنواعه المختلفة للسيطرة على مصائر الشعوب النامية ، ج - شرح حروب التحرير الشعبية وتوضيح أثرها الفعال للقضاء على الاستعمار .

٤ - التربية الصحية وتهدف الى : ١ - بث العادات الصحية السليمة والقضاء على العادات الضارة ، ب - معرفة مواطن الامراض المعدية وأسبابها وطرق انتشارها وطرق الوقاية منها ، ج - التدريب على الاسعاف الاولي .

٥ - التربية الاجتماعية تهدف الى : ١ - خلق الروح التعاونية وتنمية الخلق الاجتماعي ، ب - تربية النشء على مبادئ الاخلاق الصحيحة من انتظام وتضحية وقيام بالواجب ، ج - الخدمة الاجتماعية العامة في الميادين الصحية والثقافية والتعميرية والترويحية .

٦ - التربية الرياضية وتهدف الى : ١ - تنمية اللياقة البدنية وصيانتها ، ب - صقل الروح والعقل باكتساب الاخلاق الرياضية لتحقيق العقل السليم والخلق السليم في الجسم السليم ، ج - تنمية المهارات البدنية النافعة ، د - التعود على النظام من خلال الالعاب الفردية ذات الحركات المنتظمة والتعود على التعاون من خلال الالعاب الجماعية .

٧ - التربية العسكرية وتهدف الى : ١ - اعداد الجيل القادر على القتال لتحرير وطنه وحماية حقه ، ب - التمرس في الشؤون العسكرية والتفوق باستعمال الاسلحة الحديثة وابتكار الاسلحة الملائمة لطبيعة حروب الشعب ، ج - غرس التضحية والشجاعة والتعاون في النفوس عن طريق القيام بالمناورات وتنفيذ المهمات ، د - تنمية صفات القيادة والانضباط لدى الشباب .

٨ - التربية العلمية وتهدف الى : ١ - غرس روح البحث العلمي وأسس منه من دقة ومثابرة وتحليل ومنطق ، ب - تنمية المواهب بالتطبيق العملي ، ج - تطبيق العلم بالممارسة الحقيقية .

٩ - التربية الفنية وتهدف الى : ١ - تنمية الروح الفنية والتذوق الفني ، ب - صقل المواهب العقلية وافتتاح المجال أمامها ، ج - احياء الفن الشعبي الفلسطيني والعمل

على نشره ، د - تنمية الموسيقى والغناء الجماعي .

- ١٠ - التربية المهنية وتهدف الى : أ - مساعدة الاشبال والفتوة على تقرير مصيرهم المهني الذي يختارونه ، ب - تنمية روح المهارات اليدوية ، ج - تنمية روح البناء العملي من خلال الممارسة الحقيقية للمهنة .
- ١١ - التربية الكشفية وتهدف الى : أ - التعود على حياة الخلاء والقيام بالرحلات الاستطلاعية ، ب - تنمية قوة الملاحظة ، ج - التعرف على الفنون الكشفية المختلفة .

١ - ١١ - ١٢ - ١٣ : جريدة فتح التي كانت تصدر في عمان ، العدد ٢٢ بتاريخ ٧/١٠/٧٠ .
لقد جمعت هيئة التحرير مجموعة من الاشبال والزهرات خلال احداث ٧٠/٧/٦ واشترك اربعة من المحررين في القاء الاسئلة . « كنا نعتقد اننا نخرج الصفار باستئنا لنكتشف على الفور انهم يعرفون نفس الاشياء التي نعرفها ولكن ببساطة أكثر ويمدق أعظم وثقة بلا حدود . وبعد اقل من ساعة فقدنا جميعا القدرة على توجيه اي سؤال وانبرى الاشبال يسألون » .
١٤ - تسجيل خاص مع ابو كفاح .

١٥ - تم استكتاب سبعين طفلا من اطفال مدرسة بيت اسعاد الطفولة في سوق الغرب في لبنان تتراوح اعمارهم بين التاسعة والثالثة عشرة وحدد الموضوع « اكتب أهم حادث في حياتك » وعند الفرز تبين ان ٣٥ طفلا (٥٠ ٪) اعتبروا ان احداث أيلول هي أهم ما واجههم في حياتهم . لها الباتون (ممن يقيمون اصلا في لبنان) فقد كتبوا عن احداث تتصل بالثورة « عمليات ، غارات جوية ، استشهاد ابو علي اباد ، استشهاد الاب والاخ » . تزكت الشهادات دون تصحيح الاخطاء اللغوية والاملائية .

١٦ - مدرسة بيت اسعاد الطفولة أسسها الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني عام ٥٧ . وتضم هذه المدرسة عددا من ابناء وبنات شهداء احداث أيلول ١٩٧٠ وعددا من ابناء المعتقلين والاسرى والايتم . وقد تم توسيع مبانيها عام ١٩٦٥ ونقلت من بيروت الى سوق الغرب . وتغطي حركة « فتح » معظم ميزانية هذه المدرسة .

- ١ - شؤون فلسطينية ، العدد ٦ ، ص ١٥٦ ، هاني حوراني .
- ٢ - من تسجيلات اذاعة العاصمة ، القاهرة .
- ٣ - شؤون فلسطينية ، جيل النصر ، العدد الاول ، ص ٩٥ .
- ٤ - مؤسسة الاشبال والفتوة ، اشبال حركة فتح أسست في اوائل ١٩٦٩ وكان لها مجلس اهل و لجنة .
- ٥ - حديث مسجل مع الاخ صخر ، معتبد حركة فتح لاطليم لبنان .
- ٦ - نشرت في مجلة الثورة الفلسطينية ، العدد ٢٢ ، ص ٢٢ .
- ٧ - حديث مسجل مع الاخ عبد السلام وكان مسؤولا عن ممسك الاشبال المطلق وهو خريج معهد التربية البدنية وخبر في الشؤون الكشفية وحائز على بطولات رياضية الى جانب المام كامل بالتربية العسكرية الثورية .
- ٨ - كانت للمعسكر ايعازات متكررة خاصة على النحو التالي : عندما يقول المدرب ثورة استرح تؤدي مجموعة الاشبال الحركة وهي تصيح : ثورة . وعندما يقول المدرب استعد تؤدي المجموعة الحركة وهي تصيح : نصر . واذا ما سال المدرب الاشبال : تعبانين ؟ يجيبون : وحوش . وعندما يحث القائد الطابور على الاستمرار في السير يردد « واحد اثنين » فيرد الاشبال عليه : نصر / فائر . هذا الى جانب الاناشيد الخاصة التي كان يرددها الاشبال اثناء « الهرولة » : « يحكي ان / ان ايه / ان غدائي / غدائي ايه / ثورة / ثورة ايه / ثورة / ثورة ايه / تحرير ايه / تحرير ايه / ياغا ايه / ياغا ايه / ياغا بلدي ... » .
- ٩ - ت - دراسة من الدورة في نشرة حزبية (فتح) .

واقع وفاق عمل المنظمات الجماهيرية الفلسطينية

نبيل ايوب بدران وعدنان عبد الرحيم

شهد صيف ١٩٧٤ انعقاد المؤتمرات العامة لثلاث منظمات جماهيرية فلسطينية ، المؤتمر العام السابع للاتحاد العام لطلاب فلسطين في الجزائر (١٦-٢١/٨/٧٤) والمؤتمر العام الثاني للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في بيروت (٥-١٠/٨/٧٤) ، والمؤتمر العام لاتحاد عمال فلسطين في دمشق (٢٠-٢٥/٨/٧٤) إضافة الى المؤتمر العام الاول لرعاية الشباب في بيروت في منتصف شهر تموز ١٩٧٤ ، وحضره مندوبون عن جمعية الكشاف الفلسطيني ، والأندية ، ومندوبون من دائرة رعاية الشباب في عدة دول عربية . استحوذت هذه المؤتمرات الاهتمام الشعبي والرسمي الفلسطيني ، وأعطت للحركة الشعبية الفلسطينية دفعا جديدا . والان ٠٠ وبعد مضي عشر سنوات على انطلاقة الثورة عام ١٩٦٥ ، يتوجب علينا القاء نظرة فاحصة لمسيرة المنظمات الجماهيرية الفلسطينية ، واستقصاء دورها ، ساعين الى معرفة حجم هذا الدور نظريا وفعليا في العمل الثوري الفلسطيني . ولن نقوم في هذا البحث بتحليل دقيق للمجتمع الفلسطيني المشرد ، وتاريخ المنظمات الجماهيرية الفلسطينية ، ونشوتها وتطورها ذلك لان كتاب الاخ شحاده يوسف (١) قد تناول هذا الواقع بايجاز ووضوح ، وقد شارك أحد كاتبتي المقال في النقاش الطويل الذي سبق كتابة الدراسة خلال العمل مع الاخ شحاده يوسف ، قسم الدراسات الفلسطينية في مركز الابحاث ، كما أنه لا مجال في هذه الدراسة للتعمق في الاستقصاءات ، والدراسات لتوضيح الموضوع بكامله ، بل سنركز عملنا على مسألة تحليل الجوانب الايجابية والسلبية من العمل الجماهيري الاجتماعي - السياسي ، والسعي الى توضيح شروط العمل المستقبلي لتأخذ المنظمات الجماهيرية الفلسطينية حجمها الحقيقي في مسيرة الثورة الفلسطينية ، وسيعتمد الباحثان على مواكبتهما لعمل هذه الاتحادات من خلال مواقعهما التنظيمية ، والتربوية ، واهتمامهما الخاص بالعمل الجماهيري ، ومن خلال ندوة مصغرة لمثلي بعض المنظمات الجماهيرية والتي عقدت بناء على دعوة مركز الابحاث لامداد هذه الدراسة والاستفادة من التراث المتعلق بمؤتمرات تلك المنظمات ، ونشاطاتها وأجوية بعض كوادر تلك المنظمات الخطية على استئلة طرحت عليها لاعداد هذه الدراسة .

١ - قبل البدء بالحديث عن المنظمات الجماهيرية الفلسطينية ينبغي تحديد بعض المفاهيم الاولية لتوضيح أهداف التحليل . ان تعبير اتحاد شعبي هو مرادف لتعبير تنظيم جماهيري أو شعبي ، فالاول يعبر عن الاسم ، بينما يعبر الثاني عن الهيكل ، ولما كان تعبير (اتحاد شعبي) لا يعبر عن مضمون عمل تلك المنظمات ، فسنتطرق عليها اسم المنظمات الجماهيرية .

المنظمة الجماهيرية هي تنظيم اجتماعي أو سياسي محض يضم فئة أو مجموعة جماهيرية ذات مصالح وأهداف واحدة ، ويمكن أن تكون هذه الفئات أو المجموعات مهنية أو سكانية ، وتستحق صفة (شعبية) عندما تستوعب القسم الأكبر

١ - يوسف شحاده ، الواقع الفلسطيني والحركة النقابية ، مركز الابحاث ، دراسات فلسطينية ، ٩٤ ، بيروت ، ١٩٧٣ .

من الفئات الجماهيرية الخاضعة لنفس الظروف الاجتماعية والسياسية وتسعى جماهيرياً الى تحقيق مصالحها وأهدافها ، وليس هناك منظمات شعبية غير سياسية لان الهدف النهائي لهذا النوع من المنظمات هو تحقيق مناخ سياسي يحقق كامل مصالحها . ومن هنا نستطيع القول بأن هناك منظمات محافظة ، وأخرى اصلاحية ، وثالثة تقدمية ، على أساس نظرتها الى النظام القائم ، ودعمها لتنظيم أي اتجاه سياسي معين ترى من خلال عمله أنه يحقق لها أهدافها بشكل مباشر أو غير مباشر .

٢ - يجري تصنيف الاتحادات حسب مصالح أفرادها . ويمكن تقسيم هذه المصالح الى مجموعات رئيسية أهمها - مصالح اجتماعية - مهنية ، مصالح اقتصادية محضة ، مصالح سياسية بحتة .

١ - المنظمات الجماهيرية ذات المصالح الاجتماعية - المهنية : أهمها النقابات العمالية (أو المشغلة) التي تتميز بشكلين . اتحادات عامة تضم العاملين بأجر في قطاعات معينة مثل قطاع الصناعة المعدنية أو جزء من هذا القطاع كقطاع السيارات مثلاً وكذلك الامر مع قطاع الخدمات الذي يمكن ان يشمل كل الفئات التي تعمل في هذا القطاع أو جزء من العاملين في هذا القطاع كعمال المطاعم مثلاً .

والشكل الثاني يتضمن النقابات العمالية المهنية التي تدافع عن مصالح العاملين في مهن معينة كعمال النجارة أو المعلمين وغيرهم ولاشك ان التنظيم النقابي الشامل هو الأفضل ولكن عليه في نفس الوقت احتواء حلقات تشمل عمال مهن معينة ذوي مصالح خاصة جداً . ويضم جميع هذه النقابات عادة اتحاد واحد يسمى أحياناً المجلس العام للنقابات العمالية أو الاتحاد المركزي للنقابات .

وبالإضافة الى الاتحادات المهنية يوجد اتحادات اجتماعية - مهنية تضم فئات من المهنيين المستقلين مثل الحرفيين ، والمزارعين والحامين والأطباء . ويجب التفريق هنا بين اتحاد مهني بحت يهتم بأمور مهنية بحتة - الأعداد المهني والشهادات . والتأهيل بعد التخرج والمناقشات العلمية وبين اتحاد اجتماعي - مهني له أهداف اجتماعية بجانب الأهداف المهنية .

ب - المنظمات الجماهيرية ذات المصالح الاقتصادية : وهي التعاونيات كالتعاونيات الانتاجية (صناعية - زراعية) ، والتعاونيات الاستهلاكية . وقد تتبع بعض التعاونيات الاتحادات الشعبية ذات المصالح الاجتماعية - المهنية ، وقد يتخذ بعضها شكلاً تنظيمياً مستقلاً يرتبط بالتنظيم الجماهيري الأصلي .

ج - المنظمات الجماهيرية ذات المصالح الاجتماعية : وتسعى هذه الاتحادات الى تطوير عناصرها اجتماعياً مثل اتحاد المرأة والشبيبة وغيرها . . . وقد تعمل في نفس الوقت الى تطوير كفاءات أعضائها المهنية ، ولكن اهتمامها الرئيسي ينصب على العمل الاجتماعي لخدمة قواعدها ، ويمكن ان يضم هذا النوع من الاتحادات حركات اجتماعية ، رياضية جماهيرية ذات صفة خاصة .

د - المنظمات الجماهيرية ذات المصالح السياسية : تدعو ضرورات العمل السياسي أحياناً ، الى أن يعمد التنظيم السياسي لتكوين منظمات جماهيرية تزيد من القناعات الجماهير حولها . ولخدمة أهدافه ، وأستراتيجيته كإحسان الدفاع عن الوطن ، أو لإحسان الدفاع عن الحريات العامة وغيرها ولهذه اللجان أهداف سياسية آنية تؤدي مهمات مرحلية لا يستطيع تأديتها التنظيم السياسي بسبب ظروف عمله أو بسبب شمولية المهمات التي تضطلع بها تلك اللجان .

٣ - يتضح مما سبق ان هناك منظمات شعبية تغطي نشاطاتها قطاعات كبيرة من

الجماهير كاتحاد العمال ، والمرأة والشبيبة ، بينما تقتصر نشاطات منظمات شعبية أخرى على قطاع صغير نسبيا من الجماهير كاتحاد الطلاب الذي يتعامل مع نفس القطاعات الجماهيرية التي ينشط بينها كل من اتحادى المرأة والشبيبة . وقد يكون لبعض المنظمات الشعبية طابع المرحلية ، مثل اتحاد رعاية الطفولة الذي قد يتحول إلى اتحاد للمرأة ، واتحاد المزارعين الذي قد يتحول إلى اتحاد التعاونيات الزراعية في حال تعميم هذه التعاونيات .

٤ - ان فعالية وكفاءة كل منظمة جماهيرية مرتبطة بمستواها التنظيمي أي هيكلية التنظيم ، وتجنيد عدد كبير من الكوادر الكفوة ، وقدرته على الاستفادة من امكانيات أعضائه وقدراتهم من خلال استراتيجيات واضحة وتكتيك نضالي واضح يضمن لهم المشاركة في اتخاذ القرارات ، وتنفيذها ، كما ان الاقتراب من الهدف الاستراتيجي للمنظمة الجماهيرية مرتبط بربط القاعدة الواسعة الجماهيرية لتلك المنظمة بهذا الهدف الذي يجب ان يتطابق مع مصالحها الحقيقية ، ورفع مستواها الاجتماعي والثقافي والمهني وتسييسها لخوض المعركة الحاسمة في سبيل الوصول إلى الهدف النهائي . وارتباطها بحركة سياسية صلبة تناضل لتغيير النظام الاجتماعي المعادي لمصالحها الحقيقية ، وتجعل من مكاسبها المرحلية دافعا لكي تزيد من تمثين تنظيمها ونضالها الجماهيري (٢) .

المعنى الجماهيري لحرب التحرير طويلة الامد

١ - تحدثنا سابقا عن مفهوم المنظمات الجماهيرية وأهدافها العامة ، واكدنا على أهمية وضوح رؤيتها السياسية ، ووعي قواعدها بالواقع السياسي المرتبط بقضيتها المشتركة . ويزداد الالتحام بين نشاطات المنظمات الشعبية ونضال التنظيمات السياسية خلال فترة النضال الوطني ، وقيام حرب التحرير الشعبية ، وبذلك يضمن خضوع الاتحادات إلى إستراتيجية النضال السياسي اليومي المسلح .

ولن نتحدث هنا بأسهاب عن مفهوم حرب التحرير الشعبية ، ونستطيع ان نراجع ذلك في عدد من الكراسات والكتب والتعميمات التنظيمية ، ولكننا سنؤكد على بعض القوانين الأساسية لها لتكون دليلنا في هذه الدراسة .

١ - ان حرب التحرير الشعبية هي الحرب الثورية الطويلة الامد التي تحقق النصر من خلال تدميرها لقوة العدو ونظامه السياسي .

ب - تعتمد حرب التحرير الشعبية طويلة الامد على تجنيد كامل طاقات الجماهير المعادية للنظام القائم والاستفادة منها في حرب التحرير ، وفي الوقت نفسه تقويض جبهة العدو .

ج - يتم تجنيد الجماهير من خلال اتباع أسلوب حرب الشعب طويلة الامد ومرآحتها التي تساعد على تنظيم الجماهير ، وتعبئة امكانياتها من خلال نضال تصاعدي ، وتثقيف مستمر .

د - تتم مراحل هذه التعبئة وتصاعد النضال من خلال وجود تنظيم سياسي قوي يوجه كامل العمل السياسي والاجتماعي والعسكري ، وقادر على بناء القوات العسكرية ، وشبه العسكرية .

ويلخص لي زوان هذه القوانين ، وعلى ضوء التجربة الفيتنامية يقوله « حيث انه فقط بتنظيم الجماهير بطريقة او بأخرى يمكن خلق الظروف لتثقيفها ، وبناء القوة

٢ - تجنيدنا هنا للدخول في تحليل الاتحادات المحافظة أو الإصلاحية التي قد تتمتع بتنظيم صلب ، ولكنها تخدم في نشاطاتها النظام القائم معتمدة على عدم وعي أعضائها لحقيقة مصالحهم ، أو تشويها لهذا الوعي .

المهائلة للثورة إذ انه ما ان يتم تنظيم الجماهير حتى تتزايد قوتها بمقدار مائة ضعف ، انه من أجل النضال يجري تنظيم الجماهير ، وبالعكس فانه من خلال النضال يجري تنظيم الجماهير وتثقيفها ، وتوسيع قوى الثورة . ولذلك فان الدعاية ، والتنظيم والنضال يجب ان تسير كلها جنبا الى جنب بهدف مشترك هو تشكيل وزيادة حجم الجيش السياسي الجماهيري ، استعدادا للقفزة الحاسمة - التنظيم والنضال ، ثم النضال والتنظيم ، ثم ثانياً النضال «٢٠٠» (٣) . والاستراتيجية السليمة لاي نضال تحرري هي تلك التي تدرك أطراف التناقض ، وتجدد الجماهير في عمل سياسي وعسكري يوصل حتما الى النصر ، بحيث يكون هذا النصر متجاوبا مع أماني الاكثريّة الساحقة من الشعب ، والمتمثلة بالطبقة العاملة ، والفلاحين المعدمين ولان هذه الطبقات هي التي ستقدم التضحيات الكبرى فهي تأمل في تغيير جذري في وضعها الاجتماعي وهي في التحليل الاخير عماد أي تقدم اجتماعي بعد التحرير .

٢ - وقبل الانتقال الى دور المنظمات الجماهيرية في حرب التحرير ، يجب توضيح كل من المفاهيم التالية ، تنظيم الجماهير ، والنضال ، وتعبئة الطاقات . وتشمل عملية تنظيم الجماهير في حرب التحرير ربط الجماهير بتنظيمات ملتزمة ، ومؤيدة ، ومتعاطفة مع الثورة ، وعلى هذه التنظيمات ان تعكس مصالح تلك الجماهير وأهدافها الحالية والمرحلية غير المتناقضة مع مسيرة الثورة ، وان تشمل الاكثريّة الساحقة من تلك الجماهير وتوظفها لخدمة استراتيجية الثورة والنضال المرهلي . ويزداد التزام الفرد بالثورة عبر عضويته في التنظيمات السياسية والعسكرية المشتركة مباشرة في النضال السياسي ، والعسكري ضد العدو . ومن خلال تكليفه بمهام محددة تزيد من ارتباطه بتنظيمه الجماهيري او السياسي وتعبئته لمزيد من الالتزام بالثورة . ولا تستطيع المنظمات الجماهيرية ان تحقق اهدافها الا اذا اتبعت اسلوب العمل الديمقراطي ، والجماعي ، اي ديموقراطية القرار ، ومركزية التنفيذ اعتمادا على الاطر التنظيمية المراعية لقواعد العمل الجماعي .

بما ان النضال في حرب التحرير الشعبية يعني العمل الدؤوب لزيادة فعالية الجماهير ، واضعاف جبهة العدو ، فلا يمكن ان ينحصر هذا النضال في الامور العسكرية البحتة ، بل يشمل النضال السياسي ، والاجتماعي ، وتداخل جميع هذه النضالات في التكتيك المرهلي ، اي ان نضالا ضد العشائرية يساعد على تقوية التنظيمات السياسية ، والعسكرية والجماهيرية . كما ان النضال السياسي على شكل مظاهرات واعتصامات ، واضراب يقوي من تحدي الجماهير للعدو ، والقوى المضادة للثورة . ومن الممكن ان تساعد عملية محور الامية مثلا على تثقيف الجماهير وتعبئتها كما ان النضالات النقابية المطالبة تساعد على تحسين الوضع المعيشي للعامل ، وتقوي تربطهم باتحادهم ، مما يساعد على تصعيد الدعاية والتحرير بين قطاعاتهم الواسعة ، وخلق كوادر خليفة بالعمل والتحرير الجماهيريين .

وتعني عملية تعبئة الطاقات ، توجيه كل الامكانيات البشرية والمادية لخدمة الثورة ، ولا يعني ذلك الاكتفاء بالامكانيات المتوفرة بل العمل على زيادة هذه الامكانيات من خلال تصعيد الدعم المادي للثورة وما يعكسه ذلك من تطوير في استهلاك ونتاج الفرد والجماعة ، وتطوير قيم ومسلك الفرد بالاضافة الى تطوير قدرات الجماعة الثقافية والمهنية لتزيد من عطائها وخدمتها لمتطلبات الثورة ، ان نجاح هذه العملية يعتمد في التحليل الاخير على مقدرة الثورة على توظيف تلك الطاقات والامكانيات لخدمة الاستراتيجية والتكتيك المرهلي الثوري ، ان حسن توظيف تلك الطاقات مرافقة

٢ - لي زوان ، الثورة الفيتنامية ، المشاكل الرئيسية والمهام الرئيسية - دار الظليعة ، بيروت

بالانتصارات العسكرية والثورية يعطي الجماهير الثقة بالنفس والتفاؤل في تحقيق النصر النهائي ، والمقدرة على تحقيق تقدم اجتماعي فعلي بعد التحرير .

٣ - وي طرح هنا تساؤل مشروع وهو : لماذا يعتمد التنظيم السياسي القائل على المنظمات الجماهيرية - والاجتماعية والمهنية ، بالإضافة الى اعتماده على التنظيمات الجماهيرية السياسية ذات الاهداف المرحلية ؟ ان الاجابة على هذا التساؤل مرتبطة بالتحليل السابق من انه لا يكفي وجود اهداف واحدة لتنظيم الجماهير ، بل يجب التأكد من وجود مصالح مشتركة لكي تستطيع هذه المنظمات الجماهيرية استقطاب قواعدها الجماهيرية وشدها الى نضالات اجتماعية - مهنية تزيد من قوة التنظيم والتصاق الاعضاء به لخلق مناخ ملائم للدعاية والتحريض السياسيين ، كما ان تطلع الجماهير الى الثورة والتفافها حولها ينبع من طموحها لان تعبر الثورة عن مصالحها البعيدة وتحققها وهي التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ، ويمثل العدو بالنسبة للجماهير عامة والكادحة بشكل خاص استغلالا بشعا لعملها ، ونهبها لخيرات بلادها . وتحتاج الثورة للمنظمات الشعبية لفهم مشاكل الجماهير ، والسعي لحلها لصالح العمل الثوري الجماهيري . وتطوير قدرة التنظيم السياسي على فهم حقيقة العلاقات الاجتماعية ، والتعمق في تحليل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية لوضع تصور واضح لعملية البناء بعد التحرير . ويحتاج التنظيم السياسي الى المنظمات الجماهيرية لتجنيد طاقات الجماهير وتطويرها ، ويعتمد على جهود النقابات والمنظمات الجماهيرية عامة لتحقيق هذه المهمات الوطنية كاتحاد العمال والفلاحين ، والمرأة ، وتلعب منظمات جماهيرية اخرى كاتحاد الكتاب والاطباء والمهندسين والفنانين دورا مساندا لعمل التنظيمات الجماهيرية الاخرى في هذا المجال .

أعباء المنظمات الجماهيرية في حرب التحرير

في سياق تحليل دور المنظمات الجماهيرية تحدثنا عن أهميتها السياسية والاجتماعية والمهنية والاقتصادية . كما ذكرنا بعض المهام ، الا اننا سنعنى في هذه الفقرة بالتوسع في تحديد المهام لاجتتنا اليها خلال تقييم وتوضيح دور المنظمات الجماهيرية الفلسطينية ، وخصوصا كما سنرى وبإل كما نتلمسه يوميا غياب النشاط الجماهيري الواسع للمنظمات الجماهيرية الفلسطينية والعربية الشرقية عامة . مما اعاق فهم دور المنظمات على الساحة الفلسطينية . وسنصنف المهمات نظريا الى سياسية واجتماعية (تضم التربوية والثقافية) والاقتصادية - المهنية . ولا نبتغي بذلك الزام منظماتنا الجماهيرية بالالتزام الحرفي بتحقيق جميع هذه المهمات . نريد من تصنيفها اعطاء صورة واضحة لشمولية العمل الجماهيري وتكامله فيما بين المنظمات الجماهيرية المختلفة . تتحمل كل منظمة الاعباء المرتبطة بوظيفتها ومتطلبات حرب التحرير . وتنطبق هذه المهمات نظريا على الاراضي التي تشرف عليها الثورة .

١ - المهمات السياسية : ويشمل هذا النشاط جميع المنظمات الجماهيرية وتجسد التزامها بالثورة .

٢ - تنظيم الاكثريّة العظمى من قطاعاتها ذات المصلحة بالتحرير ، تحقيقا لتنظيم جماهيري واسع مرتبط عضويا بالتنظيم السياسي . يعنى هذه الجماهير ويستقطب مزيدا من عناصرها للعمل السياسي - العسكري .

٣ - تحديد عدد كبير من المهمات المرتبطة بالثورة توظف مجهود كل فرد من قواعدها .

ج - مساعدة التنظيم السياسي على معرفة مشاكل الجماهير ليأخذ الخطوات اللازمة الملائمة مع خدمة الجماهير ودفعها الى مزيد من التنظيم والعمل . ويلورة برنامج هذا التنظيم لما بعد التحرير .

د - تدريب الكوادر السياسية المتحققة بالعمل الجماهيري للتصدي لمشاكل الجماهير ، خصوصا في الظروف الطارئة الناجمة عن الاعمال العسكرية وشراسة العدو . وتحمل أعباء البناء الوطني بعد التحرير .

هـ - تدريب عناصر جديدة من المنظمات الجماهيرية على العمل القيادي وذلك من خلال النضال والعمل الجماهيري . ويستقطب قسم من هذه العناصر للعمل السياسي العسكري .

و - توفير جو ملائم للعمل الدعائي والتحريضي بين الجماهير .

ز - تعويد الجماهير على نشاط علم جديد ، يزيد من طاقات الجماهير خصوصا في الاراضي المحررة ويمهد لاجتماع ما بعد التحرير . ويدخل ضمن هذا العمل محاربة قيم البالية وتوطيد قيم ومسلح جديدين .

ح - كسب عناصر مهنية متخصصة تدعم العمل العسكري وتنسب اليه او تتطوع مرحليا لتعمير المرافق المرتبطة بقواعد الارتكاز (تحصينات - مواصلات - صيانة) .

ط - اضافة الى دور المنظمات الجماهيرية في تنفيذ المهام السياسية المطلوبة منها من قبل التنظيم السياسي - العسكري ، عليها ايضا تمثيل الجماهير الواسعة في المجالس الوطنية والمحلية الثورية ، والنضال للحصول على نسبة من التمثيل العددي يتناسب وحجمها الفعلي . مما يجعلها تشارك فعليا في توجيه العمل الوطني .

٢ - المهام الاجتماعية : وتشمل جميع المنظمات الجماهيرية الاساسية مع مراعاة التخصص والتنسيق .

أ - خلق اطر تنظيمية جماهيرية مغايرة للاطر التقليدية (العشائرية وعلاقات الاقطاع) تساعد على تحرير الفرد من التقاليد البالية والتعارضة مع متطلبات الثورة والتقدم ، وتساعد هذه الاطر على خلق المناخ الملائم لتطوير الفرد ذاتيا واجتماعيا .

ب - تعويد الجماهير على الديمقراطية لزيادة مبادرتها الجماعية .

ج - تطوير امكانيات الفرد الذهنية والثقافية ليستطيع الاشتراك بشكل فعال في عمل الجماعة وتطويره . ويكون هذا العمل متمملا لاعمال مؤسسات تربوية مثل المدرسة والجامعة . ويدخل ضمن هذا النشاط التثقيفي المبرمج (مثل محو الامية ، وتعليم الكبار وتربية الشبيبة) . والتثقيف غير المبرمج (مثل القراءات والنقاش المنظم والندوات) .

د - تعويد عهد كبير من الاشخاص على تحمل المسؤولية والتمرس على التخطيط وعقلنة التنفيذ .

هـ - تعويد الجماهير على التعاون لحل المشاكل الاجتماعية العادية والنيابية من ظروف النضال . والعمل على تخفيف الاعباء على الافراد ليستطيعوا المشاركة بشكل احسن في الحياة العامة (مثل تخفيف العبء عن المرأة) .

و - توعية الجماهير على محاربة العادات السيئة والاهتمام بالنظافة والصحة العامة .

ز - تنظيم برامج وحلقات تدريس الكوادر على جميع المستويات لرفع مستوى الوعي السياسي - الاجتماعي والكفاءة النقابية والارتقاء بالعمل الجماعي .

٣ - المهمات الاقتصادية - المهنية : والمرتبطة اساسا بالمنظمات الجماهيرية الاجتماعية - المهنية والاقتصادية .

١ - معرفة مشاكل الجماهير المعيشية المادية والسعي الى حل هذه المشاكل بشكل يخدم الثورة ، مثل النضال النقابي المطليبي .

ب - دعم الثورة ماديا من خلال اشتراكات الاعضاء وتبرعاتهم . ورفع الانتاج وعقلنة الاستهلاك في الأراضي المحسرة ، او لدى التجمعات السكانية الخاضعة لسلطة الثورة .

ج - توجيه التدريب والتأهيل المهني لخدمة اعضاء الاتحاد ورفع كفاءتهم الانتاجية خدمة لحرب الشعب وعملية البناء بعد التحرير .

د - المساهمة ماديا وبشرياً في بناء وتحسين واعادة تعمير التجهيزات الاساسية في المناطق التي تشرف عليها الثورة مباشرة او غير مباشرة ، مثل المدارس والطرق والمجارير والابنية السكنية او الخاصة بالنشاطات العامة .

هـ - انشاء التعاونيات الاستهلاكية والانتاجية لزيادة المقدرة الاقتصادية للجماهير دعماً للثورة وتخفيفاً عن كاهل الجماهير المعيشية ، وتحقيق مقدرة على الصمود وتأمين المواد الغذائية والصيانة في ظروف الحصار .

و - تنظيم مكاتب عمل تتوسط في تشغيل القوى العاملة العاطلة وتوجيه القوى العاملة الفنية الى وظائف تتلاءم مع تخصصها بدلاً من تبديد كفاءتها في عمل غريب عن هذا التخصص وقليل المردود .

ز - تنظيم حلقات البحث المهنية والمتخصصة لدراسة المشاكل الاقتصادية والتقنية التي تجابه الجماهير والثورة لوضع حلول آنية وبعيدة المدى ، مثل بناء الملاجئ والتحصينات حسب ظروف الحرب المستجدة ، توزيع وحدات الخدمات والانتاج تحقيفاً لمعدلات التدمير الناتجة عن القصف ، تنظيم الخدمات خلال تغير تكتيك النضال العسكري والسياسي ... ودراسة تطوير التعليم والتربية عامة وتطوير التعليم والتأهيل والتدريب المهني ...

وتستخلص من مجمل المهمات المذكورة ان نشاط مجموع المنظمات الجماهيرية يشمل تنظيم وتوجيه العمل الاجتماعي - الاقتصادي للثورة مما يؤكد ان هذه المنظمات تمثل الذراع المدني للتنظيم السياسي - العسكري للثورة (٤) . ونكرر هنا ما ذكرناه سابقاً ان مقدرة اي اتحاد شعبي على العمل هو وضوح اهدافه الاستراتيجية والمطلبية المرورية وتوفر تنظيم جماهيري واسع يتميز بوجود عدد كبير من الكوادر النشطة والكفاءة ، قادر على فهم الوضع الاجتماعي الاقتصادي لقواعده وقطاعاته . فبرسخ لديه أسلوب تنظيم وجمع الاحصاءات والقياسات بالاستقصاءات المختلفة وتصنيف المعلومات ، والاستفادة منها في تحديد سياسته المطلبية وتحديد برامج اعماله . ولا تستطيع المنظمات القيام بهذه المهمات دون وضع برنامج شامل لتدريب الكوادر على الاعمال التنظيمية والنقابية والجماهيرية وحسب نوع المنظمة . ان منظمة جماهيرية

لا تهتم بتدريب كوادرها على جميع المستويات هي منظمة عاجزة فكريا وجماهيريا وتكون عبئا على التنظيم السياسي بدلا من أن تكون دعما له . ويجسد عجزها عجز التنظيم السياسي نفسه . ويشدد هوشي منه على أهمية التدريب التسلسلي فيقول : « يجب على الهيئات المدربة الا تحاول القيام بكل شيء بنفسها ، عليها ان تدرب الكوادر ذات المستوى المتدني ، وهسذه بدورها تدرب المستوى الادنى ، وهكذا تقوم اللجنة المركزية بتدريب الكوادر في المقاطعات والقرى . واننا لنستطيع بهذه الطريقة أن نوفر الجهد والوقت . كما ان الكوادر التي تدرب الذين يأتون مباشرة بعدها سوف تعرفهم معرفة افضل . ولكن التدريب بهذا الاسلوب يجب ان يتم بعناية . لا تطبيقه باهمال فسوف تكبر الاخطاء اكثر فأكثر بعد كل مستوى » (٥) . يؤكد هوشي منه ليس فقط على أهمية التدريب المتسلسل بل أيضا على سلامة التدريب واتفاقه مع استراتيجية الثورة ونضالها المرحلي المتعدد الالوجه . وتلاحظ من مجمل المهمات ان التدريب في نطاق عمل المنظمات الجماهيرية يشمل نشاطات عديدة منها سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو مهني أو تربوي أو ثقافي ، كما تتداخل هذه النشاطات ، مما يتطلب اعطاء جهد خاص في وضع برامج زمنية للدورات المختلفة والاعداد لها .

جرى الحديث سابقا حول مهمات المنظمات الجماهيرية في الأراضي المحررة والتي تشرف عليها الثورة ، وي طرح السؤال هل تتحمل المنظمات نفس الالعباء في الأراضي المحتلة ؟ قد لا يسمح لهذه المنظمات العمل بشكل صريح في الأراضي المحتلة ، مما يدفعها ويدفع العمل السياسي الى ايجاد اشكال مختلفة من العمل ، تبدو شكليا غير ملتزمة سياسيا ولكن تحقق الكثير من المهمات والمختلفة احيانا عن المهمات في الأراضي المحررة . ويجب اخذ بعين الاعتبار نوع الاحتلال ونوع النظام المعادي .

ففي المجال السياسي : على المنظمات الجماهيرية التعاون مع التنظيم السياسي لتوفير اطر تنظيمية تشمل اكبر قدر ممكن من الجماهير ، معرفة اوضاع ومشاكل الجماهير الناتجة عن الاحتلال ، تدريب كوادر تتصدى لهذه المشاكل ، اعطاء غطاء رسمي للعمل السياسي - النضالي ، دعم العمل التحريضي ، كسب كوادر ومناضلين للعمل السياسي - العسكري ، تجويد الجماهير على نمط جديد من النشاط العام .

في المجال الاجتماعي : تستطيع المنظمات الجماهيرية وباشكالها المتعددة والمتغيرة تحقيق معظم الالعباء المذكورة في نطاق المهمات الاجتماعية الخاصة بالاراضي التي تشرف عليها الثورة .

في المجال الاقتصادي - المهني : تسمى المنظمات الجماهيرية ، وحسب الظروف ، الى تحقيق قسم من المهمات المذكورة في نطاق المهمات الخاصة بالاراضي التي تشرف عليها الثورة . ساعية طورا الى دعم الاقتصاد الوطني امام الاستغلال الاستعماري ، وطورا آخر تخريب المؤسسات الاستعمارية مع رعاية للعمال الوطنيين . وحدها الظروف الموضوعية تستطيع تحديد المهمات والنشاطات في الاراضي المحتلة ، الا انها تدخل ضمن ممارسات الحركة الوطنية ، والثورية المقاتلة لتثبيت وجودها السياسي وكسب الجماهير وتجنيدهم في المقاومة والانضمام المباشر للثورة . ويتوجب على التنظيم السياسي الاساسي والمنظمات الجماهيرية المركزية ، دعم وجود المنظمات الجماهيرية والاشكال التنظيمية المختلفة في الاراضي المحتلة ماديا وسياسيا ، وتنظيم عملية تحريض عالية ضد سلطات العدو في حال تعرضها لهذه المنظمات .

كان لا بد من هذه المقدمة الطويلة لتحديد معنى المنظمات الجماهيرية (أو

٥ - هوشي منه ، حرب التحرير الفيتنامية ، مختارات - دار الطليعة ، بيروت ، طبعة ثانية ، ص ٣٠٣ .

الاتحادات الشعبية كما تسمى فلسطينياً) وتصنيفها وتحديد مهماتها وقت السلم وخلال النضال الوطني التحريري . مع العلم ان نوع ومهمات المنظمات يختلف مع تغير وسائل وعلاقات الانتاج في المجتمع . وهدفت هذه المقدمة الى توفير معايير واضحة لتقييم عمل المنظمات الجماهيرية الفلسطينية . ولكن نعلم في الوقت نفسه ان ظروف العمل الوطني الفلسطيني لا تتوزع تماما على عمل في الاراضي المحتلة وعمل في الاراضي المحررة ، فظروف الاقتلاع والتشتت ووجسود فلسطينيي الخارج ضمن انظمة عربية مختلفة ، تتفاوت نظرتها الى العمل الثوري الفلسطيني ، لا تسمح هذه الظروف بتحديد مهمات واحدة . يضاف الى ذلك ارتباط النضال التحريري الفلسطيني بالنضال التحريري العربي وما يفرضه من توثيق العلاقة مع المنظمات الجماهيرية العربية القطرية والقومية ، تملية ايضا مستلزمات النضال النقابي المحلي المشترك . تؤثر جميعها على توجهات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية مركزيا ومحليا . ومع الاعتراف باهميه هذه الظروف الموضوعية الا اننا نؤكد مجددا استراتيجية الثورة الفلسطينية بتنظيم الجماهير وتعبئة طاقاتها لخدمة مراحل حرب الشعب وتحرير كامل التراب الفلسطيني .

واقع المنظمات الجماهيرية الفلسطينية

١ - نشوء المنظمات الجماهيرية الفلسطينية وتصنيفها : لن نتحدث طويلا عن مراحل نشوء المنظمات الجماهيرية الفلسطينية فقد عالجهما شحاده يوسف في كتابه وبشكل واف ، لكننا سنتطرق سريعا الى الاسباب التي أدت الى نشوئها . فاهم عامل في نشوء هذه المنظمات الارادة الفلسطينية في ابراز الشخصية المميزة للشعب العربي الفلسطيني وجقه في النضال لتحرير ارضه وتحقيق عودته . وبعد انطلاق الثورة تسارع انشاء المنظمات لدعم الثورة المسلحة والدعوة لها في المحافل الدولية الجماهيرية . جاء انشاء الاتحاد العام لطلبة فلسطين عام ١٩٥٩ مع تزايد عدد الطلاب الجامعيين الفلسطينيين ونشاط اتحاد طلاب فلسطين في القاهرة الذي حافظ على وجوده منذ عام ١٩٤٤ . كان هدف هذه الطليعة الجامعية ابراز الشخصية الفلسطينية والدعوة المباشرة لتحرير فلسطين . وتسارع انشاء فروع للاتحاد بعد عام ١٩٦٣ . اما اتحاد العمال فتأسس عام ١٩٦٣ ، حين تداعبت بعض الكوادر النقابية القديمة التي عايشت الحركة النقابية الفلسطينية قبل ١٩٤٨، ورعت اجتماعها جامعة الدول العربية . وكان الهدف من انشاء الاتحاد ابراز الشخصية الفلسطينية في الوسط النقابي العربي ودعم العمل الدعائي الخارجي . وانشئت المنظمات الاخرى بعد بروز منظمة التحرير الفلسطينية وانطلاق الثورة عام ١٩٦٥ . ومن هذه الاتحادات ، الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية ، الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين ، والاتحاد العام للحقوقيين الفلسطينيين ، والاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين ، واتحاد شبيبة الثورة المنحصر عمله في سورية ، والاتحاد العام للمهندسين الفلسطينيين ، وأخيرا الاتحاد العام للطباء الفلسطينيين . ويوجد أيضا نقابات عمالية ومهنية عربية داخل الاراضي المحتلة خصوصا في الضفة الغربية .

وكما يتبين لنا اختلاف المنظمات واختلاف وظائفها . فقسم منها يخدم اهداف اجتماعية - مهنية واخرى اجتماعية او مهنية ، قاسمها المشترك دعم الثورة سياسيا ومساعدة أعضائها اجتماعيا ، ولا نستطيع اعطاء صفة « الجماهيرية » الى جميع هذه المنظمات أو الاتحادات . فالمهنية منها تضم عددا ضئيلا من الاعضاء ، ومن الغبن وضعفها بمصاف المنظمات الاساسية مثل اتحاد العمال او المعلمين او المرأة او الطلاب . كما ان وجود قسم من هذه المنظمات المستقلة يتناقض مع وجود تنظيمات اخرى مثل

اتحاد المعلمين الذي يجب ان يكون قسما من اتحاد العمال ، والخطأ مشترك لعدم تطور اتحاد العمال الى اتحاد النقابات العمالية الفلسطينية بسبب الظروف الاقتصادية المحلية التي لا تساعد على بروز نقابات عامة متخصصة . وسنتحدث عن هذه الظروف بشكل مفصل في الفقرة اللاحقة .

٢ - ممارسات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية

نتلمس من ممارسات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية جوانب ايجابية واخرى سلبية ، سنلقي الضوء عليها محللين اسباب التقصير وعمق المشاكل .

١ - الجوانب الايجابية من ممارسات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية

١ - ان اهم عامل ايجابي في ممارسات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية ازادتها في ابراز الشخصية الفلسطينية دعما لابراز الشخصية الوطنية للشعب العربي الفلسطيني وحقه بالنضال لتحرير ارضه والعودة . ونتج عن هذه الازادة نشاط فلسطيني شعبي على المستوى العربي والخارجي . فانتسبت هذه المنظمات الى الاتحادات العربية القومية والى الاتحادات العالمية . وجاء اشتراكها في الاتصادات العربية مكثفا نتج عنه مزيد من التحام هذه الاتحادات مع اهداف الثورة الفلسطينية ، والدفاع عن وجدها امام هجمات الرجعية العربية . مع العلم ان دفاعها كان عموما لفظيا لخضوع الاتحادات القومية والقطرية لسياسة السلطات العربية القطرية .

٢ - ونتج عن اشتراك المنظمات الجماهيرية الفلسطينية في الاتحادات العالمية مزيد من الدعاية للثورة الفلسطينية وللشخصية الوطنية للشعب العربي الفلسطيني ، مما ساعد على استصدار قرارات مؤيدة لحق الشعب العربي الفلسطيني ونضاله . وجاء الكثير من اللقاءات الرسمية الاولى بين الثورة وبعض الاتحادات الجماهيرية الاجنبية وبل الدول الاجنبية عن طريق المنظمات الجماهيرية الفلسطينية . وجسدت هذه المنظمات امام المنظمات الجماهيرية العالمية النضال الفلسطيني ، فألححت عليها حضور مؤتمراتها المحلية والاقليمية متحملين احيانا تكاليف انتقال واقامة الوفد الفلسطيني . وكان حصاد هذا النشاط الاعلامي الخارجي حصول الثورة على دعم مادي مقدم من قبل المنظمات الجماهيرية الصديقة . وحظيت المنظمات الجماهيرية الفلسطينية بمساعدات مباشرة ومنها منح دراسية تشمل التدريب النقابي والشبيبي والتخصص المهني والجامعي .

٣ - وساعد نشوء المنظمات الجماهيرية ومزاولة عملها على ترسيخ فكرة العمل الجماهيري والعمل النقابي ، فأصبحت قسما اساسيا من النشاط السياسي الاجتماعي الفلسطيني . وكان للتنافس القوي بين التنظيمات السياسية الفلسطينية على الفوز بقيادة المنظمات أثره في ترسيخ اهميتها ، بالرغم من السلبيات التي رافقت هذه التعبئة الفئوية . وأخذت المؤتمرات العامة لهذه المنظمات تستقطب اهتمام الجماهير والقادة على السواء لاهمية المناقشات التي تجري وما يليها من قرارات تخص واقع النضال الفلسطيني ومستقبله . وبدأ ظهور تيار من المندوبين يعكس رأي القاعدة ويتجاوز الانضباط الحزبي الضيق المعطل لوظيفتها النقابية السياسية . فهذا الدور الطليعي وحده يساعد على استقطاب الجماهير ويضمن الالتفاف الجماهيري العملي حول الثورة . وشجعت هذه المؤتمرات ايضا قيام نقد ذاتي لنشاط المنظمات وتوضيح اتجاه عملها في المستقبل القريب . وترجمت عملية تقييم الذات الى تطور نوعي في هيكل التنظيم ، حيث اعطي مجال اكبر للمندوبين في توجيه السياسة المحلية للتنظيم الجماهيري .

٤ - من المكتسبات الأساسية للمنظمات الجماهيرية الفلسطينية قبولها الرسمي في المجلس الوطني ، وهو تطور مهم في العمل الوطني الفلسطيني ، أي اعتبار المنظمات الجماهيرية قطبا في توجيه النضال . وكان لهذا الاعتبار أثره في زيادة عدد مندوبي المنظمات في هذا المجلس . وحتما سترتفع النسبة مع فعالية المنظمات واحترائها التسم الأكبر من قطاعاتها . واستطاعت المنظمات الحصول على نفوذ أقوى في اللجان الشعبية المشرفة على المخيمات في لبنان ويعول عليها كثيرا . وتسير المنظمات الجماهيرية حاليا نحو تحقيق الوحدة الوطنية على مستوى الامانة العامة ومجالس الفروع مما يساعد على تحقيق التآلف وخلق اجواء سليمة لعمل جماهيري واسع .

٥ - ونتج أيضا عن ممارسات المنظمات الجماهيرية تعرف واضطلاع بعض كوادرها على العمل النقابي . وساعدت الزيارات واللقاءات مع النقابات الصديقة وذات التراث النقابي العريق على تطوير التفكير النقابي لدى بعض قادة وكوادر منظماتنا الشعبية ، كما أفادتهم المناقشات في المؤتمرات والندوات الدولية - كما حصل عدد آخر من الكوادر والعناصر على تثقيف نقابي من خلال حضور الدراسات النقابية العربية أو حضور دورات في الدول الصديقة . وكوتت جميعها نواة من الكوادر الواعية القادرة على تحمل عبء انطلاق جديدة للمنظمات الجماهيرية الفلسطينية . وسنتحدث عن عدم فعاليتها في الوقت الحاضر في الفقرة اللاحقة .

ب - الجوانب السلبية لممارسات المنظمات الفلسطينية ومشكلاتها

لا تنفصل المشكلات التي واجهتها ، وتواجهها المنظمات الجماهيرية الفلسطينية عن طبيعة تلك المنظمات ومهامها السياسية والنقابية ، وعن الظروف السياسية والاجتماعية الخاصة بالواقع والنضال الفلسطيني . ولا نعني بالمشكلات العوائق « الفعلية » التي تعجز المنظمات عن تخطيها والخارجة عن ارادتها ، (لأن ليس هناك في قاموس العمل الجماهيري شيء اسمه المستحيل) ، بل نعني المشكلات التي تمثل ظواهر سلبية في ممارسات هذه المنظمات . ويمكن ادراج هذه المشكلات في اطار تقسيم يميز بين ما هو موضوعي منها وما هو ذاتي . تمثل المشكلات الموضوعية مجمل التأثيرات السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية النابعة من واقع الشعب العربي الفلسطيني ونضاله ، التي عرقلت وتعرقل عمل المنظمات . اما المشكلات الذاتية فتنبع من ممارسات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية نفسها .

اولا - المشكلات الموضوعية :

١ - تميز الواقع الفلسطيني بتشرد الشعب وتشردمه الى تجمعات في الاراضي المحتلة وعلى امتداد الوطن العربي ، خصوصا في المخيمات . ولذا من الصعب اعطاء صفة المجتمع لبنان الشعب العربي الفلسطيني . لقد أدى تشرد معظم الجماهير الفلسطينية ، وفقدانها لارضها الى تحطيم البنية الاجتماعية لهذا الشعب وفقدانه للمقومات الأساسية لكل مجتمع بشري المتمثلة بضرورة وجود ارض واحدة يعيش عليها افراد هذا المجتمع ، وعلاقات اجتماعية واقتصادية مميزة ، وانماط معيشية مشتركة بين افراده ، واطر ثقافية خاصة به . ولذلك فقد واجهت المنظمات الجماهيرية الفلسطينية التي تكونت وبالتحديد شكل معظمها تمثيل فئات وطبقات ، فقدت وحدتها وتماسكها . وخسرت تلاحمها ونضالاتها المشتركة . وعاشت في ظروف سياسية واجتماعية متنوعة في الاقطار العربية . وأدى ذلك الى تعقيد عملية القيام بفرز طبقي في « المجتمع الفلسطيني » او بالاحرى التجمعات الفلسطينية . تميز من خلالها الطبقات التي تكون الشعب الفلسطيني ، والتي من المفترض ان تقسوم المنظمات

الجماهيرية الاجتماعية - المهنية بتنظيمها والدفاع عنها . وتفسر هذه الحقائق الطابع السياسي الطاغى لنشاطات معظم المنظمات الجماهيرية القائمة ، وبالتالي صعوبة تحديد مجالات نشاطها الاجتماعي - الاقتصادي ، وتحديد هوية اعضائها . ان هذا التحليل لا ينفي وجود درجة معينة من التماسك الاجتماعي في الضفة الغربية وغزة وفي المخيمات الفلسطينية خصوصا في لبنان وسورية . ووجود حدود معينة للتمايز الطبقي بين فئات الشعب الفلسطيني ، وشبه يتلاشى في المخيمات . وبالتالي ينبغي ان نكون حذرين في استنتاجاتنا للقوانين التي تحكم النضال الوطني للشعب العربي الفلسطيني من الناحية السياسية ، والاجتماعية ، وبالتالي تجذب التبشير بأن الواقع الفلسطيني لا يخضع للقوانين التي تحكم حركة الصراعات الاجتماعية على امتداد العالم ، ان خصوصية الواقع الفلسطيني لا تنفي خضوعه لقوانين التطور التاريخي والاجتماعي العامة التي تحدد ارضية صراعاته السياسية وافاقها المستقبلية .

٢ - ولقد واجه العمل الجماهيري الفلسطيني قمعا في عدد من الدول العربية التي لا تسمح انظمة الحكم فيها بقيام ولو باشكال جنينية من التنظيمات النقابية في مجتمعاتها ، بينما يجعل بعضها من المنظمات الجماهيرية أداة لاحكام سيطرتها السياسية على جماهير شعوبها ، واشكالا تنظيمية حاوية تكتفي بالتهليل لانجازات السلطة . وبالتالي تعرقل أي تحرك نقابي جدي يسعى لتنظيم الجماهير والدفاع عن مصالحها ومساهمتها الفعلية في العمل الوطني . كما واجهت المنظمات الجماهيرية الفلسطينية في بعض الاقطار العربية اوضاعا سياسية واجتماعية متخلفة . وانعكس هذا الوضع على ممارسات فروع المنظمات الجماهيرية الفلسطينية ، بحيث انها ورثت معظم الامراض الاجتماعية التي تعاني منها تلك المجتمعات . وهي بالتحديد ، ضعف الوعي السياسي المرتبط بتكوين بل بايديولوجية المنظمات والاحزاب العربية ، وغموض برامجها الاجتماعية والاقتصادية ، وفهمها القاصر لدور المنظمات الجماهيرية في العمل السياسي ، وفشلها في تحريك الجماهير وتعبئتها للنضال من اجل قضاياها الوطنية والاجتماعية ، وكذلك غياب التقاليد والممارسات النقابية التي تعكس ميوعة العمل السياسي ولا غفلائته وجموده وتستره خلف ستارات فارغة . وتتميز ايضا هذه المنظمات والاحزاب العربية باضطراب الاطر المرجعية الاجتماعية وتقليديتها ، وقوة المؤسسات التقليدية التي لم تسمح للتشكيلات السياسية والنقابية بالحصول على الجريات الديمقراطية الاساسية والضرورية لممارسة المنظمات الجماهيرية . ان ارتباط النضال النقابي الفلسطيني بالنضال العربي لاسباب وطنية وقومية وجغرافية وتاريخية كان له تأثير سلبي احيانا على عمل التنظيمات الجماهيرية الفلسطينية حتى انه حدد احيانا افاق عملها وفعاليتها . ولا شك ان تداخل المهمات بين المنظمات الجماهيرية العربية القطرية وبين مثيلاتها الفلسطينية قد ادى من الناحية الاقتصادية والاجتماعية الى اضعاف اثر وقدرة تلك الاخيرة على تحقيق انجازات نقابية واجتماعية بارزة لصالح قواعدها الشعبية الفلسطينية ، بسبب كون تلك القواعد مرتبطة تنظيميا ومعاشيا بالنقابات العربية التي من المفترض ان تدافع عن حقوقها ومصالحها . ولذلك قنعت المنظمات الشعبية الفلسطينية في معظم الاحيان بممارسة دور سياسي محدود ، يرمي الى دعم الثورة الفلسطينية ، ومساعدتها في حشد ، وليس في تنظيم الجماهير الفلسطينية .

ولعل مشكلة فقدان السلطة السياسية الفلسطينية الفعلية بمعنى عدم قدرة الثورة الفلسطينية على الاستجابة الاجتماعية والاقتصادية لحاجات الجماهير الفلسطينية

بفئاتها وطبقاتها المختلفة ، قد اضعف امكانية المنظمات الجماهيرية الفلسطينية من الاستجابة لحاجات ومتطلبات نضالاتها المهنية والاجتماعية ، والاكتفاء بالنضال السياسي المرتبط بفعاليتها الذاتية ، وتطور الثورة ، ونموها على المستويين السياسي والعسكري . فبدلا من ان ترفد المنظمات الجماهيرية الثورة بكوادر مجربة وواعية تدفع العمل السياسي العام والتنظيمي الى الامام ، فانها امتصت خيرة كوادر المنظمات في نطاق عمل اللجان المحلية وفشلت في استيعابها ، فشلتها سياسيا ونقابيا . ولا شك ان ذلك لا ينطبق بصورة مطلقة على جميع المنظمات فبعضها كاتحاد الطلاب الذي كان وما يزال يرفد الثورة الفلسطينية بخيرة كوادرها وأنضجها ، وذلك يعود الى ظروف معينة ارتبطت بالاطار التاريخي لتكون الاتحاد وارتباطه الوثيق ببدايات العمل الثوري الفلسطيني ونموه .

٣ - ان غموض الفكر السياسي للعمل الفلسطيني ، وعموميته ، وعدم قدرته على رصد الواقع الفلسطيني بعوامله السياسية والاجتماعية ، وضعف بناه التنظيمية قد انعكس سلبا على عمل المنظمات الشعبية الفلسطينية ، وحسد تأثيرها بين اوساط الجماهير الفلسطينية في المخيمات وخارجها ، فلم يحدد هذا الفكر مثلا دورا واضحا لتلك المنظمات ، وكيفية عملها ، ولا الاطار النظري الفكري لهذا العمل ، ولا القنوات التنظيمية التي تستطيع من خلالها تلك المنظمات التأثير على حركة النضال الفلسطيني السياسية والاجتماعية . لم تدرك هذه القيادات أهمية المنظمات الجماهيرية في تسييس الجماهير الفلسطينية ، وتنظيمها من خلال انتماءاتها الاجتماعية والمهنية والسكانية . ولذلك كانت العلاقة بين قيادات الثورة والمنظمات الجماهيرية هي علاقة سلبية فوقية . تبرز حين تكون تلك القيادات بحاجة الى دعم بعض مواقعها او كسب الانصار لاتجاهاتها السياسية بما في ذلك اصواتها في المجلس الوطني الفلسطيني . وهي في سبيل الوصول الى هذه الاهداف لجأت الى تشويه ديموقراطية العمل النقابي وتعيين عناصر في مناصب قيادية في المنظمات دون الاخذ بعين الاعتبار مدى كفاءة تلك العناصر وتمثيلها للقواعد ، المفترض الدفاع عن مصالحها وعن رؤيتها لواقع النضال الفلسطيني ومستقبله .

- وشاركت بعض الانظمة العربية المحلية في تشويه ممارسات وقرارات معظم المنظمات الجماهيرية الفلسطينية المحلية . وذلك نتيجة تدخلها المباشر او غير المباشر وافقدتها جزءا من الاستقلالية التي لا يمكن بدونها ان تنجح تلك المنظمات في عملها السياسي والاجتماعي . لقد أدى ذلك الى اختلاف سياسات فروع المنظمات الشعبية ومواقفها ، تبعاً للبلد الذي تعمل فيه . وساهم ذلك في تمييع العمل السياسي الفلسطيني ككل ، وحد من قدرته على توضيح خطوته العامة ، واتجاهاته .

ثانياً : المشكلات الذاتية :

١ - واما بالنسبة للعوامل الذاتية التي تؤثر في نشاطات المنظمات ، يمكن القول عامة بأنها نتيجة للظروف السياسية التي أحاطت بتكوين معظم تلك المنظمات . اذ ان معظمها لم يتشكل او لم يشكل نتيجة لحاجات موضوعية اجتماعية بقدر ما كانت نتيجة لقرارات سياسية فوقية ازادت منها اكمال الاطار السياسي العملي لمؤسسات الثورة ، وتنظيماتها . ان توالدها السريع ، وشرذمتها يطرح تساؤلات جدية تتعلق بحقيقة المهام التي تقوم بها ، وقدرتها على اداؤها . واذا كانت اتحادات العمال والمعلمين والطلاب والمرأة والشبيبة والكتاب . . . تعبر عن حاجة موضوعية، (٦) لتنظيم مساهمة

٦- كما ذكرنا في بدء البحث ان الشكل الامثل هو ايجاد اتحاد النقابات وضم اتحاد المعلمين اليه وكذلك تطوير اتحاد الشبيبة والتنسيق بينه وبين اتحاد الطلاب ، ولكن ظروفنا عديدة تمنع ذلك حالياً .

تلك الفئات في النضال الفلسطيني ، فما هو مبرر قيام اتحادات مستقلة للأطباء والهندسين والفنانين ... ولماذا لا تتجمع الاتحادات المهنية في اتحاد مركزي واحد مع ابراز خصوصية كل مهنة .

٢ - تفتقر معظم المنظمات الجماهيرية الفلسطينية الى كوادرنقابية مؤهلة ومتمرسه ، تعي اهمية العمل الجماهيري وأسسها وأهدافه . وهذا مرتبط بغياب التقاليد النقابية في العمل السياسي الفلسطيني نتيجة لحدائنه ، وغيابه سابقساً في ثنايا المنظمات الجماهيرية العربية او انعدامه الكامل . فقط اتحاد الطلاب وحده حافظ على تراث طويل ولكن نمطه الخاص لا يخول استمرار وجود الكوادرنقابية لاننتقالها الى الحياة الانتاجية . ولم تستقطب في المنظمات الجماهيرية الاخرى . أما اتحاد العمال فلقد تلالشى عمله بعد ١٩٤٨ ، وبدأ عمله عام ١٩٦٣ مع تخلف في مستوى الكوادرنقاسية لما هو مطلوب من العمل النقابي الفلسطيني . واذا كان الانتقار الى الكوادرنقاسية المؤهلة والمتمرسه هو ظاهرة عامة في العمل النقابي الفلسطيني فانه من الملاحظ ان القيادات النقابية الفلسطينية بدلا من ان تسعى الى تدريب كوادرنقاسية جديدة على جميع المستويات لتأهيلها استلام مسؤولياتها في قيادة العمل النقابي ، تهمل الكوادرنقاسية التي تلتقت تدريبا في الدول العربية او في الخارج ، ولا تستفيد من امكانياتها . لا تسعى معظم هذه القيادات الى زيادة كفاءتها النقابية ووعيتها المهني والسياسي بحضور دورات تدريبية تؤهلها لممارسة مهماتها . بل توجه كل اهتمامها الى حضور المؤتمرات والندوات العالمية التي تقتنع فيها بدور المراقبة والتفريج ، دون المساهمة الجدية في تلك المؤتمرات من خلال اعداد الدراسات السياسية والنقابية المرتبطة بالواقع الفلسطيني وآفاقه .

٣ - وتشكو المنظمات الجماهيرية الفلسطينية ايضا من قلة الكوادرنقاسية المتفرقة في هيئاتها القيادية ومجالسها المحلية . وتفتقر ايضا الى وجود لجان متخصصة لتنظيم اعمالها وتوجيهها ، واعداد الدراسات والملفات الخاصة بالمؤتمرات العربية والعالمية ، التي تدعو اليها . كما انها في نفس الوقت تفتقر الى الاحصاءات والمعلومات التي تمكنها من معرفة مشاكل قاعدتها العامة والقطرية لوضع سياسة مطلبيية تلبى مصالح قاعدتها وتتفق والنضال الفلسطيني ، وتمكنها من اعداد المشاريع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية التي تخدم قاعدتها والثورة . ولم تنل هذه المنظمات الدعم اللازم من مركزي الابحاث والتخطيط لتنظيم جمع الاحصاءات والمعلومات وتحليلها ومساعدتها على وضع الخطط اللازمة لتطوير عملها وتنشيطه . ومن الطبيعي ان يكون هناك تعاون دائم وتنسيق مشترك بين تلك المؤسسات والاتحادات بحيث تستطيع المراكز العلمية الفلسطينية الاطلاع على واقع تلك المنظمات وحاجاتها العلمية ، والعملية . لكي تتمكن هذه المراكز على تقدير احتياجات المنظمات ومساعدتها .

٤ - ويمكن ان نضيف هنا عددا آخر من العوامل الذاتية التي تمنع المنظمات الجماهيرية من اداء مهماتها وهي من حيث الاهمية ، وأهمها ارتباط معظم قيادات المنظمات بالقيادات السياسية في الثورة مباشرة وليس بالتنظيم السياسي ككل . وسبب ذلك ضعف موقع هذه القيادات النقابية جماهيريا وقد عينت من قبل القيادات السياسية بطريقة مباشرة او غير مباشرة . فتعمل جاهدة على ارضاء هذه القيادات بدلا من الدفاع عن مصالح القاعدة وتقوية التنظيم الجماهيري دعما للثورة . ان خمولها السياسي هذا يعكس في ابتعادها عن مواجهة للمشكلات الداخلية التي تكاد تصرفها عن عملها الاساسي وهو تنظيم الفئات التي تدعي تمثيلها . ولذلك فان النشاط التنظيمي الداخلي يكاد يكون معدوما او عديم الفاعلية بالنسبة للكوادرنقاسية النقابية . وهذا ما يدفع تلك القواعد احيانا الى الابتعاد عن تلك الاتحادات بسبب

شعورها بعدم جدوى العمل فيها ، ولأنها تشعر بأن تلك القيادات لا تمثلها .
 ٥ - أن هذه المشكلات ، وتوالي التصيير الذي اشرنا اليه ، قلصت التواعد الجماهيرية لتلك المنظمات وأثرت على نشاطها . « فباستعراض تقارير الاتحادات نلاحظ أنها حين تتحدث عن الفشاطات تتحدث أساسا عن الوفود والزيارات أو حضور المؤتمرات وارسال البرقيات . كما تتحدث عن مساعي القيادات لتحقيق بعض المكاسب أو الخدمات لأعضائها أو قطاعاتها الشعبية » . (٧) ويجب أن لا يذعننا عدد المنتسبين إلى المنظمات الشعبية ، إذ يسعى وجميع الطرق تنسب أكبر عدد من الاعضاء في فترة الانتخابات لتحقيق فوز عناصر التنظيمات السياسية المتنافسة . ويتبخر هذا العدد بعد الانتخابات مباشرة فستعيد المنظمات حجمها الطبيعي ، الضئيل جدا نسبة لحجم الفئات التي تمثلها .

أسس تطوير عمل المنظمات الجماهيرية الفلسطينية للوصول إلى دورها الحقيقي

يرتبط التطور المطلوب لعمل المنظمات الجماهيرية الفلسطينية بالواقع السياسي ، والاجتماعي للثورة الفلسطينية واحتمالات تطوره ، إذ أنه لا يمكن عزل حركة العمل الجماهيري ومنظماته عن المجرى العام للنضال الفلسطيني وأنجزاته السياسية ومشكلاته والتحديات التي يواجهها . أن هذه العلاقة لا تنفي أهمية الدور الذي ينبغي أن تقوم به المنظمات الجماهيرية لتطوير هذا النضال ، وتصعيده ، وتعميق آفاقه السياسية والاجتماعية بقدر ما تؤكد . وإذا كانت تلك المنظمات قد فقدت إمكانات المبادرة السياسية والاجتماعية في النضال الفلسطيني ، فإن استعادتها لهذه المبادرة تتطلب تحقيق عدد من المهمات التي تساعد في تطوير عملها ، وتغييره كما ونوعا ، ولعل أهم تلك المهمات هي :

١ - زيادة تأثيرها على صنع القرارات السياسية ، المتعلقة بالمواقف السياسية الحاسمة في العمل الثوري الفلسطيني ، وألا تقنع بدورها الماضي القائم على الدعم والتأييد لانجازات القيادات السياسية وأن نجاحها في ذلك يعتمد على ما يلي .

١ - استقلالية العمل الجماهيري الفلسطيني عن الصراعات التنظيمية في الساحة الفلسطينية ، والتنافس على النفاع عن مصالح الجماهير ، والفئات التي تمثلها ، لا التسابق التنظيمي على السيطرة على المراكز القيادية في المنظمات الجماهيرية .

ب - ينبغي أن تعمل الكوادر المسؤولة في قيادات المنظمات الجماهيرية على تعزيز الوحدة الوطنية بين كوادرها ، وقواعدها . وذلك من خلال تجنب إثارة الحساسيات التنظيمية داخل مؤسسات تلك المنظمات ، أو التعصب التنظيمي القائم على الرغبة في السيطرة ، والاستفراد التنظيمي بمقدرات تلك المنظمات وفروعها ، وأجهزتها . والمساعدات التي تلقاها .

ج - نشر روح الديمقراطية الثورية بين قواعد المنظمات وتشجيع مبادرات القواعد ، واعتماد الكفاءة والخبرة النقابية أساسا لاختيار الكوادر القيادية ، وترقيتها وأن تختب التنظيمات السياسية خيرة كوادرها لتمثيلها في التنظيمات الشعبية .

د - التدريب المستمر للكوادر القيادية ، والقاعدية لزيادة وعيها السياسي والنقابي ، وذلك من خلال إقامة دورات التدريب النقابية والسياسية التي تعمق وعي القواعد بواجباتها ومسؤولياتها النضالية .

هـ - توسيع قواعدها الجماهيرية ، والسعي لاستقطاب كسل الكفاءات المهنية والتنظيمية للاستفادة من امكانياتها لخدمة العمل الوطني . وتكليفها بمهام تستوعب تلك الامكانيات وتشعرها بأهمية ما تقوم به من أعمال .

٢ - الالتفات الى العمل التنظيمي بين الجماهير الفلسطينية وذلك لا يتم بفرض العضوية الاجبارية ، من خلال التعميمات الابدائية من قبل الهيئات السياسية الفلسطينية أو المنظمات العربية التي تنتمي اليها تلك الجماهير كما هو الحال في اتحاد العمال ، والمعلمين ، وغيره وانما من خلال معايشة تلك الجماهير ، والاستجابة لحاجاتها ، والدفاع عن مصالحها .

- ومن الملاحظ ان مقرات قيادات معظم المنظمات الجماهيرية الفلسطينية تقع في المدن لا في المخيمات حيث تعيش جماهيرها ، وان يكون العمل التنظيمي مرتبطاً بمهام محددة ، ومسؤوليات واضحة ، وألا تكون الاحتياجات الوحيدة لتلك المنظمات هي تلك التي تتم قبل الانتخابات أو لجمع توافيق الاعضاء على بيانات تأييد انجازات معينة للقيادات السياسية الفلسطينية .

٣ - يجب ألا يكون دعم المنظمات الجماهيرية لنضال شعبها مقتصرًا على اصدار بيانات التأييد أو الاستنكار ، كما كان الحال في الماضي ، ذلك انها مطالبة بأن تسليح قواعدها ، وتقوم بعمليات تعبئة سياسية مستمرة للمشاركة المباشرة والفعالة في التصدي للتحديات العسكرية والسياسية التي تواجهها الثورة ، وأن تقوم بدعمها ماديا من خلال اشتراكات اعضائها ومشاريعها التعاونية لا ان تطلب منها مساعدات مادية ، لتأمين نفقات عقد مؤتمراتها . وحملاتها الانتخابية . . وان استقلالها المادي، هو شرط أولي لحرية حركتها السياسية .

٤ - تكتسب عملية برمجة النشاطات الخارجية للمنظمات الجماهيرية الفلسطينية أهمية خاصة ، بسبب حاجة الثورة الى نشاطها الاعلامي ويشمل ذلك الاعداد للمؤتمرات ، والندوات النقابية العربية والعالمية . وضرورة توفر احصاءات ومعلومات عن شتى نواحي او ابعاد النضال الفلسطيني ، والحقائق المتعلقة بالقضية الفلسطينية وتطوراتها كما ان ذلك يشمل ايضا معلومات ضرورية عن طبيعة المنظمات النقابية العالمية والعربية واتجاهاتها السياسية ، ونشاطاتها ، ومدى ثقها السياسي ، والنقابي ، وأن تدرس مع مؤسسات الثورة أو اجهزتها حاجات الثورة ، وطبيعة المساعدات التي تحتاج اليها ، لكي تطلبها كمساعدات من المنظمات النقابية العربية والعالمية . . ويتطلب ذلك تشكيل لجان متفرغة في قيادات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية تقوم باعداد الدراسات اللازمة للمؤتمرات العالمية والعربية بالتعاون مع كل من مركزي الأبحاث والتخطيط .

٥ - تطوير العمل النقابي الفلسطيني ، وتنشيط اهتمام الكوادر القيادية بالدفاع عن مصالح الفئات التي تمثلها ، بما في ذلك خوض صراعات مع المنظمات النقابية العربية للدفاع عن حقوق العمال الفلسطينيين ، ومصالحهم المهنية والمعيشية لتحسين شروط استخدامهم في المؤسسات الانتاجية العربية ولتعميق التضامن بين المنظمات الجماهيرية الفلسطينية والمنظمات النقابية التقدمية العربية ، والاتفاق على برامج عمل مشتركة معها .

ان العمل الجماهيري الذي نطمح لتحقيقه من خلال نشاطات المنظمات الجماهيرية الفلسطينية هو نضال سياسي ونقابي فعّال يمكن الجماهير الفلسطينية من صنع القرارات السياسية التي تحدد مسار نضال شعبنا ، وأهدافه ، وهذا يتم بتطوير

المنظمات الجماهيرية الحالية بحيث تصبح أكثر تمثيلا لقواعدها، وتضم خيرة الكوادر النقابية، المتمتعة بالوعي السياسي الوطني والطبقي . وأن تبرمج أعمالها، وتحدد أهدافها، وتطرح برامج عملها في شتى مجالات نشاطها، وأن تنسق مع المؤسسات التربوية، والعلمية الفلسطينية، وأن تمد نشاطاتها السياسية والنقابية الى الارض المحتلة، وأن تتعاون مع المنظمات المهنية الفلسطينية مهنيا، وتدعمها .

٦ - ويجب ان يشمل اهتمام المنظمات الجماهيرية الفلسطينية الاساسية النشاطات الاجتماعية والتربوية والثقافية والاقتصادية المذكورة في القسم الاول من هذا البحث . وستدعم مثل هذه النشاطات البنين التنظيمي لهذه المنظمات . وتوفر ممارسة جيدة لبروز الكوادر الواعية والنشيطة . كما سنجد ان مثل هذه النشاطات وابرزها، تعليم الكبار بما فيها محو الامية، والتعليم والتأهيل والتدريب المهني، وانشاء التعاونيات الاستهلاكية، وتحقيق نمط او انماط من الضمان الاجتماعي حسب الظروف المحلية، ستنشط المنظمات الاجتماعية - المهنية، والمهنية وتعطي لها مجالا للعمل في حال غياب السياسة المطبقة النقابية لارتباطها بالنقابات العربية القطرية . ولتستطيع هذه المنظمات القيام بهذه النشاطات يتوجب عليها الاقتناع بكامل دورها الجماهيري وتحديد مهمات مرحلية حسب الظروف المحلية، والاعتماد على احصاءات واستقصاءات ودراسات بالتعاون مع مركزي الابحاث والتخطيط . ويتطلب ايضا من المنظمات الجماهيرية الفلسطينية الاهتمام بالمشاكل العامة للتجمعات الفلسطينية خصوصا للمخيمات، واعطاء اهتمام خاص بتربية الاجيال الصاعدة، عماد استمرار النضال، وبناء فلسطين بعد العودة . وتبغى في عملها التنسيق فيما بينها تضافرا للجهود ودعمها للمنظمات الجماهيرية المختلفة المتممة لبعضها البعض . ويفرض مثل هذا التنسيق تقوية دائرة التنظيم الشعبي وتدعيمها بالكفاءات اللازمة لتساعد فعليا المنظمات الجماهيرية .

تأريخ حركة النضال الفلسطيني خلال فترة الانتداب

الدكتورة خيرية قاسمية

منذ ان نفذت الصهيونية الى فلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كان هناك تخوف من ان يحل القادمون الجدد محل السكان الاصليين ، ومع ان ردود الفعل العربية كانت اولية ومتقطعة وفورية الا انها مع السنين اتخذت شكل معارضة واعية للمشروع الصهيوني، ولم يعد ينظر الى الصهيونية على انها تهدد حياة السكان الاقتصادية بالخطر ، بل بدت وهي تخطط لاغتصاب ارض عربية تهديدا خطرا للفكرة القومية العربية الناشئة . ومن هنا شاركت مختلف الطبقات والطوائف من ملاكين ومنتقنين وتجار وفلاحين (مسلمين ومسيحيين) وبوسائل مختلفة متباينة الاندفاع والقوة ، بالتعبير عن معارضتها للصهيونية والهجرة .

ولم يكن في الامكان ان تخفف مشاعر العداء تلك المنافع التي يدعي الصهيونيون انهم حملوها معهم . وفشلت جميع المحاولات الرامية الى خداع الفلاحين واستمالة صغار الملاك او المثقفين على امل التوفيق بين المصالح العربية وبين الصهيونية .

بل كان الخوف من هذه القوة المتقدمة ببطء التي تساندها قوة عالمية هو الذي دفع الشعب الى ان يواجه المستقبل بثقل خوفه من عجزه عن المحافظة على مركزه . ولم تكن فلسطين معزولة عن التيارات والاتجاهات السياسية في المنطقة وشارك ابناءؤها في تشكيل الجمعيات والاحزاب القومية بعد ١٩٠٨ فامتد التحسس بالخطر الصهيوني الى مناطق اخرى من المشرق العربي بحيث يمكن القول ان موجة من الحذر من الصهيونية والمعارضة لها قد عمت المنطقة قبل الحرب العالمية الاولى .

نشوب الحرب كان فرصة تاريخية لتحقيق الاستقلال العربي والوحدة القومية ، بيد ان الحرب تمخضت عن قيام تحالف رسمي قوي بين الصهيونية والامبريالية البريطانية تجسد في تصريح بلفور الذي تضمن وعدا رسميا باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين على حساب شعب فلسطين ومستقبله . وكان على الحركة الوطنية في فلسطين ان تسعى الى تحقيق هدفين سياسيين عاجلين ، كسائر البلاد التي وقعت تحت السيطرة البريطانية او الفرنسية : ازالة السيطرة الاجنبية ونيل الاستقلال التام . لكن مهمة الحركة تعقدت في فلسطين بسبب الاماني الصهيونية لانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين وبسبب دعم بريطانيا وتأكيد تحقيق هذه الاماني .

وكانت تجربة العرب من الانتداب مريرة ، ولم يبأسوا من الكفاح في سبيل حقوقهم ، وكان يرجح ان تأتي مقاومتهم بثمرات حقيقية لولا عوامل عديدة : فالى جانب الحركة الصهيونية العالمية كانت سياسة الانتداب في دعم الصهيونية في عدة ممارسات منها التهويد ، الاراضي ، الهجرة ، الادارة وغيرها، واتباع سياسة التخدير بلجان التحقيق . ومع ان النضال الفلسطيني كان يجري باستمرار ضمن اطار عربي ،

فعروبة فلسطين ازلية تاريخاً وثقافة ومصيراً ، ألا أن كون الدول العربية آنذاك جزءاً مشلولاً من اجزاء العالم التابع للمعسكر الامبريالي ترك الوطنيين الفلسطينيين يجابهون الضغط الصهيوني وحدهم . وقد ظل عرب فلسطين خلال عهد الانتداب كله يعلنون موقفهم من البلاد العربية وهو ان نضالهم ضد انشاء وطن قومي يهودي ليس مجرد نضال محلي ، وانما هو موقف عام ضد الصهيونية التي تهدد العالم العربي ككل ، «وادرع العرب ببطء معنى هذا التهديد، خصوصاً في نهاية الحرب الثانية» (١) .

يضاف الى ذلك ظروف البلاد الاجتماعية آنذاك ، التي لا تختلف كثيراً عن ظروف المجتمعات العربية الاخرى الخاضعة للحكم العثماني ، تتغلب منها المشاعر الموروثة القديمة من دينية ومحلية وقبيلية ومصالح خاصة . وانحصرت الافكار السياسية والسيطرة الادارية لدى الاوساط الثرية المثقفة من وجهاء وتجار وضباط واقطاعيين ، لان مجالات التعليم في العهد العثماني كانت محدودة ومن نصيب تلك الطبقة . وظلت حركتها الى حد بعيد ، بحكم المصلحة والظروف ، حركة سياسة دون ان يكون لها محتوى اجتماعي واقتصادي . وخلال الانتداب ظلت هذه الطبقة الاجتماعية هي السيطرة سياسياً ولكنها لم تكن منعزلة عن المجتمع بل شاركت في الحياة السياسية وسيطرت على المؤتمرات واللجان . واتفقت هذه القيادة على ضرورة احلال الاستقلال محل السيطرة الاجنبية والقضاء على الوطن القومي اليهودي الا انها حتى عام ١٩٢٩ لم تقم بأي محاولة لمعارضة الانتداب بالقوة ، ما ارادته هو التوصل الى تفاهم مع الانتداب بشرط ان يغير موقفه من الوطن القومي .

والفشل المتواصل رفع من مكانة الفئة التي تضع في حسابها الثورة وسياسة لتحقيق الاهداف ، فحولت الحركة من حركة بطيئة سلمية الى حركة ثورية . صحيح ان الاسلوب الثوري لم يكن جديداً كل الجدة ، ولكن سياسة بريطانية اسرعت في تقديم الحركة وتحويلها الى عنف . لقد كان لعرب فلسطين فرصة لتحقيق اهدافهم بواسطة العنف في العشرينات عندما كانت الصهيونية في البلاد ضعيفة ، وهي فرصة افضل بكثير مما كانت لهم عندما حاولوا ذلك في الثلاثينات .

رغم كل هذه المعوقات فلقد اظهر الشعب منذ البداية صلابة وجراً واستعداداً للتضحية وتمسكاً بالارض لا مثيل له ، وتؤكد الوقائع التاريخية ان هذا الشعب قد ناضل نضالاً متواصلًا مريراً لمقاومة اخطار الصهيونية والاستعمار ، واتخذ هذا النضال اشكالا عديدة وتبنى مختلف الاساليب الكفاحية من الاحتجاج الى المقاطعة فالاضراب فالعصيان المدني فالثورة المسلحة . « وكي تعيش هذه القضية لا بد من الاطلاع على تاريخها ومتابعة مراحلها ومواكب خط تطورها . . . فاستلهم الماضي اذا ما تم على صورته الصحيحة ، يشكل حافزاً من حوافز النضال . . . من الضروري ان نبني اندفاعنا النضالي المعاصر على اساس الوعي الصحيح والحقائق الثابتة اذا ما اردنا لمسيرتنا الحالية ان تكون انطلاقة تاريخية لا مجرد هبة عابرة » (٢) .

وتتحدد قيمة ما يكتب من تاريخ القضية بناء على الاعتماد على المصادر الاولى ولا شك ان مذكرات واوراق كبار السياسيين الفلسطينيين الذين لعبوا دوراً كبيراً في القضية تشكل مادة اساسية للاستفادة منها . وظاهرة المذكرات في تاريخ فلسطين ضعيفة ، والسبب يرجع الى ان الحياة السياسية لم تكن مستقرة ، فتردد الزعماء السياسيين في كتابة مذكراتهم لوجود عامل الخوف والاضطهاد . وهناك عامل آخر

١ - مجيد خدوري ، الاتجاهات السياسية في العالم العربي ، (مترجم) بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢١٦ .

٢ - عبد الوهاب كيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٠ ، طبعة امان ، المقدمة ص ٧ .

فعادة المذكرات لم تتأصل بعد كتابتها بين رجالنا ، وما كتب منها هو أقرب للتقارير منها للمذكرات حسب فهم الغربيين لها ، او هي تجميع لذكريات حوادث قديمة كتبت بعد ان مضى بعض الوقت على هذه الاحداث واختلطت في كثير من الاحيان بالنسيان وبالعواطف الشخصية . هذه الحقيقة تفقد المذكرات الكثير من الاهمية السياسية لانه من الجائز ان يعدل السياسي رأيه وموقفه ازاء موقف معين بعد مضي فترة من الزمن، والمؤرخ يحتاج من السياسي موقفه ازاء هذه المسألة وقت حدوثها وفي حياته، ثم ان المذكرات لا يمكن تقويمها الا في اطار صاحبها من ناحية الدور الذي لعبه في الاحداث ، قربه وبعده عنها ، ثم اهميته من ناحية اتجاهاته الحزبية والسياسية، وعلى سبيل المثال : ما يقلل من اهمية مذكرات الاستاذ اميل الغوري (فلسطين عبر ستيين عاما (جزءان بيروت ١٩٧٢ - ١٩٧٣) انه كان حزبيا فهو يستطيع ان يحدث ويشرح في دقة موقف حزب (المفتي) او ما اطلت عليهم اسم المجلسيين ، ولكنه لا يمكن ان يؤخذ كلامه حقيقة مسلم بها تماما حين يبدي رأيه في موقف (المعارضين) .

ويبدو على مذكرات الاستاذ احمد الشقيري (بيروت ١٩٦٩) الطابع المستقل ان كما يقول في ص ١٠٧ انه بسبب فتور الحركة الوطنية ١٩٢٨ واشتداد الخلاف بين رجالات البلاد وارسنقراطية رأي الشباب « ان ننفخ روحا جديدة في الحركة الوطنية وان نشق خطا وطنيا مستقلا ، لا مجلسيا ولا معارضا » ، وفي معرض حديثه عن الحركة الوطنية وتعايشها مع الادارة الانجليزية وجه اتهامات كثيرة الى من اسماهم بالمجلسيين والمعارضين « . فالسيد أمين الحسيني بدأ حياته الوطنية شابا ثائرا ثم اصبحت رئيسا للمجلس الاسلامي الاعلى بموافقة السلطة البريطانية . وقد حدث ذلك في عهد هربرت صموئيل المندوب السامي اليهودي البريطاني . والسيد راغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس وسائر اعوانه ورؤساء البلديات كانوا يعينون لمناصبهم بموافقة السلطات البريطانية ، وبهذا اصبحت هذان الحزبان الوطنيان الكبيران يعيشان في كنف السياسة البريطانية » . ولكن الاتهامات الخفية التي وجهها الشقيري في ثنايا كتابه (للمجلسيين) وللمفتي دفعت الغوري الى الرد عليه في كتاب آخر « الشقيري في اليزان » ، وخرجت بذلك هذه الكتب عن مجال بحثنا لانها غرقت في بعض الامور الشخصية .

احيانا يحدث نوع من الخلط بين المذكرات والانطباعات واليوميات ، ما كتبه عارف العارف (رغم ان كتابه النكبة قد مضى عليه اكثر من عشر سنوات) هو اقرب الى اليوميات ، وكان عارف العارف منذ عهد الدراسة في الاستانة قد درج على تدوين مذكراته في يوميات متتابعة وازداد شغفه باليوميات لما صدر قرار التقسيم . ويقول في مقدمة الجزء الاول : انه رواية « يسروي للناس ما حدث بل وما رأى وما زواه له العدل الثقافت مستهدفا ان يدون الرقائق قبل اندثارها . ويحفظها لابناء الاجيال القادمة لان من حق الاجيال ان تعلم ما الذي جرى وكيف ولماذا الملت النكبة وكيف انقلبت الاوضاع » . ومع حرص العارف على تدوين الامور ساعة حدوثها محجما عن ابداء الرأي فله تحفظ قد يبدو غير معقول علميا « بأن احسن التواريخ واصدقها ما يكتبه المؤرخون بعد مضي ما لا يقل عن ربع قرن من الزمن ، وليس الذي يكتب فور وقوع الحادث ، اذ ان الكاتب مهما اوتي من عدل وحكمة وصدق ونزاهة لا بد ان يكون عند حدوث الحادث متأثرا بمصالحه الذاتية او الحزبية او القومية او الدينية ولا يكون حكمه في هذه الحال بعيدا عن مواطن الريبة والزلل ، واما الحكم الذي يلفظه المؤرخ بعد حين من الزمن فيكون انقى . وكلمما طال الحين كان الحكم ابعد عن الغمض والظعن ، اذ ان الكثر من الحقائق التي يسيل الناس بحكم غريزتهم التي انكارها حين وقوعها ، تكون قد تكتسفت به وضوح امرها ، ويكون الاشخاص الذين جرت الحوادث على ايديهم

والسنتهم او قامت بسببهم وفعالهم ، قد لاقوا ربهم وامسوا في نمة التاريخ » .

ويرتبط بالذكورات ما يمكن ان نسميه بالاوراق الخاصة ، وهذه لها اهميتها الخاصة اكثر من المذكرات ، ويرجع ذلك الى انها لا تحمل الرأي المسترجع فهي اهم من ناحية الدقة التاريخية . هذه الاوراق قليل منها ما نشر ، فهي اما فقدت او اصابها التلف او اخفيت بسبب ما تعرضت له فلسطين من احداث . محاولة متواضعة بدأت بنشر اوراق عوني عبد الهادي الذي شارك في السياسة العربية مدة تزيد على نصف قرن . وقد وقع في خطأ معظم ساستنا فهو لم يتصد لكتابة تاريخ الفترة التي عايشها الا بعد ١٩٦٦ ولكن بشكل متقطع فلم يتمكن من مواصلة هذا الجهد قبل وفاته . ١٩٧٠ ، واخرج مركز الابحاث اوراقه مؤخرًا في كتاب تحت عنوان « عوني عبد الهادي ، اوراق خاصة » ، وهي ليست مذكرات متكاملة بل مجموعة من الاوراق الخاصة بعضها الجزء الذي بدأ بتدوينه كمذكرات ، والبعض الاخر مراسلات بينه وبين رفاقه في العمل السياسي او مع كبار المسؤولين العرب والاجانب ، مع ان معظم المراسلات تحوي ردود الاخرين الا اذا احتفظ هو بمسودة او نسخة عنها ، وحوث اوراقه بعض الوثائق العامة وانطباعات وخواطر كان يسجلها في حينها وهي قليلة نادرة . والاوراق لم تغط تاريخ اسهامه بالحركة السياسية كما لم تعالج جوانب القضية ، ويمكن ملؤها بما يكشف عنه المستقبل من اوراق اخرى لدى غيره من المعاصرين في الحقل السياسي ولدى المهتمين بجمع الوثائق والاوراق .

والفرق بين المذكرات والاوراق الخاصة من جهة وبين الوثائق الرسمية ان الاولى تحمل في طياتها الجانب الانساني من الموقف الشيء الذي لا نجده في الاوراق الرسمية . ولا بد ان نسلم ان الوثائق البريطانية خلال عهد الانتداب هي الوثائق الاساسية لتاريخ القضية ، وقد جرت العادة الا يطلع الباحثون عليها قبل مرور نصف قرن من الزمن لذا فالحكومة لها وثائقها العلنية المنشورة في حينها عندما تكون هناك ازمة تعبر عن وجهة النظر البريطانية ، يضاف الى الوثائق البريطانية المناقشات التي تثار في البرلمان حول بعض القضايا وهذه تنشر سنويا تحت عنوان « المناقشات البرلمانية » . ومن المصادر الرسمية البريطانية كذلك ما كتبه الساسة البريطانيون من تقارير ونشرته الحكومة في حينها ، ولكنها لا تتناول المشاكل التي لها طابع سري بعض الشيء ، وهناك ما كتبه السياسيون البريطانيون بصفة شخصية ، وهي تجمع بين التاريخ والمذكرات .

وتستطيع الصحف ان تضيف معلومات متنوعة ، وتكسب المادة الرسمية ان لم يكن الحياة ، فعلى الاقل التعليل والشرح ، ولكن هذا المصدر يجب ان يأخذ بنوع من الحذر والتدقيق وان يقاس بدوره بالاحداث والظروف العامة التي كانت تتعرض لها فلسطين في الفترة التي نحن بصدها ، واحيانا الخلافات الحزبية التي تؤدي الى ان كثيرا من الصحف لا تصل الى مستوى الدقة المطلوبة ، ويندر ان تكون صحيفة مستقلة غير خاضعة لتأثير حزب او اتجاه ، مع ذلك فالصحافة هي المرأة التي ينعكس عليها الرأي العام والاتجاهات السياسية بصفة عامة وما يؤسف له ان مجموعاتنا الصحفية مبعثرة بين مكاتب العالم المختلفة وخزائن بعض المهتمين .

وتتحدد قيمة ما يكتب في تاريخ القضية بناء على معايير عامة ، لا بد من مراعاتها في كل عمل تاريخي (٣) منها قدرة المؤرخ على نقد ما تحت يده من المصادر واذا اعوزته ملكة النقد اصبح مجرد شخص يحكي كل ما يبلغه على انه حقيقة واقعة .

ويختلف الباحثون في النقد بسبب اختلافهم في الفهم والتفسير وتقدير معنى الحوادث فتأتي كتاباتهم متفاوتة ، ولا يمكن ان يحتكر احدها صفة الحقيقة وهي كلها تعطي للتاريخ الحركة والحياة . والمعيار الاخر ان يكون المؤرخ ذا عقل مرتب منظم كسي يستطيع ان ينسق انواع الحقائق ويربط بينها ، والمسير بمقتضى هيكل محدد يرسم الاسلوب والمنهج ، ويجعل واضحا في ذهن التارئء الاتجاه العام الذي يتبعه وبغير ذلك تختلط الحوادث امام المؤرخ ويعجز عن الربط بينها . واخيرا تتصدد قيمة التاريخ المكتوب بناء على بعد الباحث عن التحيز ومطابقته للواقع والحقيقة التاريخية بقدر المستطاع ، احيانا يتأثر الباحث باتجاه معين ، فيكتب وهو يحاول اخضاع الموضوع لرأيه ، فالكتابة التي يتعمد فيها المؤرخ ان يتخذ اتجاها معينا ، لا يمكن ان يعد ما جاء بها معبرا عن الحقيقة التاريخية ، وعلى المؤرخ ان يكون امينا فلا يخفي الوقائع التي قد لا يعرفها غيره ، او التي قد لا ترضيه ، ولا ريب ان الكشف عن عيوب الماضي واخطائه تفيد الى حد كبير في السعي الى تجنب عوامل الخطأ في الحاضر ، وعدم الكشف عنها يعد تضليلا عن المصلحة الوطنية ولا يمكن ان يكتب التاريخ بغير التوصل الى الوقائع الصحيحة .

ترى ما هي المحاولات العربية الجادة في السنوات العشر الماضية لتسجيل تاريخ حركة النضال الفلسطيني في فترة الانتداب استنادا الى المصادر التاريخية الاولية ؟ والى اي حد التزمت بالمعايير السابقة او خرجت عنها ؟ عديدة هي الكتب التي عالجت القضية الفلسطينية في عهد الانتداب كله ، او في فترة محددة منه ، وقليل منها قد انفرد بتسجيل حركة النضال ، اذ غالبا ما ابرز هذا النضال عبر بحث عام يعالج السياسة البريطانية والمخططات الصهيونية . وعند مناقشة الكتب التي الفت وظهرت مؤخرا يمكن ان نستشف منها اتجاهات ثلاثة : فاتجاه يتميز بالدقة والموضوعية والحياد يعرض الحقائق المستقاة من مصادر اولية في تسلسل دون ان يحاول ان يتخذ منها موقفا ، ويترك التحليلات وابداء الآراء والتقييمات والاحكام . وهناك اتجاه يتميز برنة الانبهار والتمجيد ويعتمد الانفعالات والعبارات الانشائية وغالبا ما يفتقر الى العمق اذ يتميز بالضحالة . واخيرا هناك موقف من لا يستطيع ان يتجرد من ارتباطاته وقناعاته الفكرية ، فيخضع الحقائق لرأي واتجاه مسبقين ، ويحاول ان يربط التطور السياسي بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية ، وبتعبير اخر يمكن ان نسوي الاتجاه الاول الحيادي والاتجاه الثاني الاعتدالي والثالث الانتقادي التحليلي .

ويمكن ان نضرب مثلا على الاتجاه الاول كتاب الدكتور عبد الوهاب الكيالي (تاريخ فلسطين الحديث) ويرتكز المؤلف فيه ارتكازا اساسيا على وثائق الحكومة البريطانية السرية بثقة زائدة رغم استعانته بمراد ارسيفية اخرى كالوثائق الصهيونية السرية والمصادر العربية الاولية المتوفرة . وقصود الكتاب معروضة بطريقة تتفق مع احداث سياسية بارزة متبعا داخلها نظام الفقرات التي قد تفقد البحث احيانا صفة التكامل . ويحاول المؤلف تاريخ النضال ببعده السياسي فقط ويفتقر الى تخصيص فصل او أكثر لدراسة البنية الاجتماعية والاقتصادية رغم انها كانت تمر عابرة ضمن الوثائق المعروضة في بحثه للصفة العائلية والشخصية للقيادات السياسية او تأثير الهجرة الصهيونية على بنية المجتمع او في المحاولات العربية لتطوير القدرات الذاتية . والكتاب في سرده لحشد هائل من الحقائق المتسلسلة يتجنب عملية الانتقاء .

حتى لو تناقضت الوثائق او تكررت ، ويترك ابداء الآراء والتقييمات والاحكام الى صفحات الكتاب الاخيرة التي تحدد بنظرة عميقة مكثفة المفاهيم والخطوط العامة التي ألف الكتاب بقصد ابرازها .

الكتاب بمجموعه تصوير للصراع السياسي الذي خاضه الفلسطينيون منذ
اواخر هذا القرن وحتى ١٩٢٩ بأسلوب علمي رصين وبشجاعة وتجرد وموضوعية
في معالجة مراحل الصراع .

ففي المرحلة الاولى التي سبقت الانتداب استعرض ردود الفعل العربية ازاء
الطبيعة الاستيطانية للحركة الصهيونية التي أخذت اشكالا عدة من احتجاج او مقال
او برقية او اعمال عنف وشملت قطاعات الشعب كله (٤) وانتشرت لدى اهل الثقافة
السياسية خارج فلسطين نظرا للقناعة العامة لدى هؤلاء ان ما يصيب فلسطين يصيب
العرب كلها ، ولم تكن ردود الفعل وليدة الصدفة والارتجال كما صورتها الدعاية
الصهيونية ، بل نتيجة وعي تام لطبيعة الفكرة الصهيونية واهدافها وتهديدها
للوجود القومي . ويلاحظ المؤلف انه في حملة المعارضة تتجلى ظاهرة الاعجاب
الضمني بالتقدم والاساليب التنظيمية في الحركة الصهيونية والادراك بان المعارضة
لا تصبح فعالة الا من خلال اكتساب المعرفة والمهارة والتنظيم (ص ٦٨) .

وفي المرحلة الثانية كشفت محاولات فرض الصهيونية على عرب فلسطين وجه
بريطانية الحقيقي ، كما كشفت طبيعة وسائل الحركة الصهيونية في فرض اهدافها
الامر الذي ادى الى توالي الانتفاضات وتشكيل الجمعيات الاسلامية والمسيحية واثارة
المزيد من الاهتمام والتأييد العربيين . المعارضة رغم انها لم تكن فعالة الا انها لم
تفشل كليا ، فقد وجدت السلطات البريطانية صعوبة متصاعدة في تطبيق سياسة
موالية ولم تكن المعارضة ، كما صورها وايزمان ، هياج مصطنع او نتيجة دعاية
(الاقنودية) التي تخشى ان تفقد مراكزها بسبب المنافسة (ص ١٥٠) بل تثبت التقارير
البريطانية انها حركة واعية منظمة تعبر عن استياء شعبي عميق الجذور (ص ١٧٧) .
وفشلت جهود الادارة البريطانية لكسب الرأي العام ، فلم تستطع التغلب على
الاساسين اللذين تنبعت منهما المعارضة ، الاساس السياسي والاساس الدستوري ،
فالادارة لم تكن في موقف يسمح لها بالغاء التصريح ، كما لم يكن في وسعها ان تغير
تكوينها الاستبدادي لتصبح دولة تمثل الشعب بالنظر الى ان منح حكومة ذاتية
للكثيرة العربية لا ينسجم مع سياسة الوطن القومي (ص ١٧٣) .

الصراع مع الصهيونية وحد بين مصلحة جميع الطبقات نظرا للمطابع الوطني
والقومي لهذا الصراع ، الا ان المؤلف يلاحظ ان قيادة الوجهاء والملاكين تمسكت
بالدور التقليدي الذي كانت تلعبه بين الحاكم والمحكوم كوسيلة للحفاظ على مصالحها
ومواقفها الطبقيّة ، رغم وضوح التحالف البريطاني الصهيوني ، فعجزت عن قيادة
الشعب في حالات النزاع . ولكنه في مواقع عديدة يفسر ذلك بالصراع بين جيلين او
ما اسماه « اقدم الشباب واحجام الشيوخ » ، الجيل الاكبر كان اكثر اعتدالا وبعدا
عن المقاومة ويؤثر احداث تغير في السياسة البريطانية من خلال التصميم السلمي
والاقناع السوي والعمل الدعائيسي (ص ١٥٧) . (الميثاق الوطني رغم
مناوئته للصهيونية لم يتحد سلطة الانتداب بشكل سافر) . وجيل صاعد
من الشباب المثقف يمت في غالبيته الى الطبقة الاولى وينتسب الى الطبقة
الموسطى ، وكان اكثر قدرة على الحركة واكثر خطرا على بريطانيا واكثر
اتصالا بالقرى ، حيث كان الفلاحون اشد استعدادا للثورة لان لديهم مخاوف حقيقية
(ص ١٦٨) .

٤ - يقلل الكاتب من قيمة معارضة الوجهاء فهم حينما يطرحون المشكلة امام البرلمان ، انما
يلعبون دور الوساطة الذي يقوده بين الحاكم والمحكوم .

والخلاف بين الفئتين لم يصل حـد الصراع (فبريطانية تطعن بتمثيل المؤتمر الثالث للشعب رغم اعتدال مقرراته ص ١٦٥ ، والدعايتان المناوئة للصهيونية والمناوئة لبريطانية كانتا تسييران في خطين متوازيين (ص ١٤٩) ، والوفد الفلسطيني الاول الى لندن يشرح لوزير المستعمرات الرقابة الشعبية الملتزم بها (ص ١٨٤) ، وينتقد موقف رئيس البلدية في حضوره حفل تدشين الجامعة العبرية (ص ٢٢٤) ويقابل وزير المستعمرات وفد مشترك من كل الجماعات (ص ٢٢٥) . بل ويورد المؤلف في ص ١٨٧ انه حين فقد الفلسطينيون اي امل بالظفر باي كسب حاسم عن طريق الجهود الدبلوماسية اصبح تنسيق وتعاون بين القيادة الوطنية والنشاطات السياسية في المناطق الريفية (ص ١٨٧) ، ولكنه يخرج بهذه النتيجة (ص ٢١٥) . ان القيادة رفضت ان تلزم نفسها باي اطار قد يفسر ضمنا انه موافقة على تصريح بلفور ولكنهم رفضوا ان يشجعوا قيام اي حركة ثورية ضد التحالف الانجلو صهيوني ولعل ذلك يعزى الى الرهبة من القوة العسكرية البريطانية او الى انها شعرت ان انشاء الوطن القومي أمر مفروغ منه . لم يقض النشل في التمسك باطار ثوري الى ظهور قيادة ثورية منبثقة من صفوف الوطنيين من مثقفي الطبقة الوسطى ، فتركت الطبقات الادنى وهي التي تكمن لديها الرغبة والمصلحة في الثورة دون قيادة .

في اواخر هذه المرحلة (١٩٢٨) ازدادت القناعة باستبعاد حدوث اي تغيير جذري في السياسة البريطانية في فلسطين خلال المستقبل المنظور ، وادرك الجميع ان الطريقة الوحيدة لمقاومة هذه السياسة انما هو معارضة الانتداب البريطاني كمجموع ، ونتيجة هذا التحول السياسي الذي اضطرت اليه زعامة الحركة كارهة - كما يقول المؤلف ص ١٩٩ - وجدت مدرستان فكريتان احدهما تدعو الى المقاومة السلبية غير العنيفة ، والاخرى قوى متحركة فاعلة تدعو الى انتهاج اساليب ثورية ، عوضا عن التطور السلمي التدريجي وحاول الانتداب تعزيز قوة العناصر الاكثر ميلا للتعاون (حزب ال نشاشيبي) ، ولم يكن ظهورها بدافع من الاعتبارات السياسية وحسب بل ينبثق من العداوات العائلية البالغة الحدة والتي تعود الى اجيال بعيدة زادت حدة السياسات الاستعمارية التقليدية الحريضة على ايجاد توازن بين العائلات المتنافسة . وبدت اللجنة التنفيذية ، قياسا ، اكثر تطرفا وثورية وعجزت عن الحيلولة دون العنف في احداث ١٩٢٩ . بل وادرك المندوب السامي التغيير الجذري الوشيك الوقوع في نظرة الفلسطينيين السياسية ، فلم تعد الاستراتيجية السياسية الفلسطينية مقتصرة على مقاومة الاستعمار اليهودي بل غدت تهدف الى الاستقلال الوطني والتخلص من الحكم البريطاني ص ٢٥١ ، ويقف المؤلف طويلا عند النتائج التي تمخضت عنها احداث ١٩٢٩ و ١٩٣٠ وقبل الانتقال الى المرحلة الثالثة « ان المعارضة بدأت همسا وانتهت بمعارضة عنيفة للشراكة الانغلو صهيونية ارتكزت الى شعبية عميقة ميالة الى شن صراع مسلح كوسيلة لاحداث تغيير في السياسات البريطانية الموالية للصهيونية في فلسطين ، فبعد هذه الحقبة تطور الصراع العربي ضد الصهيونية الى مجابهة بين الفلسطينيين العرب وحكومة الانتداب والصهيونية في ان واحد لقد اصبح حديث الطبقات ان قيام اضطرابات عامة هي الوسيلة الوحيدة لانقاذ البلاد »

وترسم رسالة مكدونالد (الكتاب الاسود) ١٩٣٠ بداية المرحلة الثالثة حيث فتح الطريق امام قوتين سياسيتين كانتا قد بدأتا باكتساب قدر اكبر من الهمية وعنصر المبادرة قوة المجلس الاسلامي الاعلى بزعامة الحاج امين الحسيني ، والتي كانت تعوض احلام الحكم الذاتي (ص ٢٢٦) والتي تجاوزت حدود الدوائر الدينية ، وقوة التيار المتطرف من القوميين العرب (حزب الاستقلال) (ص ٢٦٤) ، وكرهت العناصر

المعتدلة في اللجنة التنفيذية على تقديم تنازلات للمتطرفين حتى تستطيع الحفاظ على قيادة ربما أصبحت مزعزعة . في بحثه زعامة الحاج امين الحسيني - على ضوء الوثائق - (ص ٢٨٤ - ٢٨٥) يجد المؤلف ان المفتي هو القوة الوحيدة القادرة على تغيير الموقف ، سلطته الواسعة على الفلاحين ، نجاحه في الوصول الى مستوى الصدارة ضمن صفوف الحركة الوطنية ، مع الاحتفاظ بعلاقات ودية مع المندوب السامي وموقف متساهل تجاه البريطانيين رغم ان التناقض يزداد حدة ، ينم عن مهارة سياسية كبرى لا يمكن تفسيرها الا على ضوء الحالة القائمة داخل المعسكر السياسي الفلسطيني ، خصوم الحاج كانوا اشد موالية فاتهاماتهم له غير ذات اثر ، الكتل الاخرى الاكثر تطرفا لا تشكل تحديا له او خطرا حقيقيا ، حزب الاستقلال لم يعد قوة فعالة بعد ١٩٣٣ ، واقام المفتي تعاونا وتحالفا مع العديدين من الاستقلاليين . والمندوب السامي (واكهوب) يدرك ان نفوذ المفتي، الذي يضع ثقله الى جانب الاعتدال، هو ذو قيمة مؤكدة ، ولو وضع هذا الثقل الى الجانب الاخر فهو ، اي (واكهوب) ، واثق ان نشوب اضطرابات واسعة يصبح امرا لا مفر منه .

يفسر المؤلف اسباب احتزام المفتي للسلطة ومعارضته اي شكل من اشكال المواجهة بانه انعكاس لخوفه من القوة العسكرية البريطانية وأدراكه ان العرب لا يستطيعون الانتصار في اي صدام مباشر ببريطانية ، غير انه من الناحية الاخرى لا يستطيع بوصفه زعيما للحركة الوطنية ان يلتزم الصمت والهدوء وهو يرى الهجرة يزداد نطاقها .

ولما لم يكن هناك من امل ان تستجيب الحكومة لمطالب العرب بشأن الهجرة وبيع الاراضي والحكومة الذاتية اصبح من الواضح ان البديل الوحيد الباقي للحيلولة دون اقامة وطن قومي هو اللجوء الى الثورة المسلحة فكانت ثورة القسام التي القت ظلا كبيرا على المسرح السياسي واصبحت كل محاولة لاقامة تقارب مع السلطات مكتوبا عليها بالفشل (٥) .

ويبدل المؤلف على ان احداث ١٩٣٦ قد اخذت الزعماء على حين غرة ولكن هؤلاء كانوا حريصين على ركوب موجة المشاعر الثائرة (ص ٣٠٤) ، في حين يشير الى ان ردة الفعل العربية كانت عنيفة وتشكلت اللجان القومية في جميع المناطق ، وكانت الدعوة الى الاضراب عامة ومنظمة ومارست الجماعات المسلحة نشاطا في انحاء متفرقة من البلاد ، ولكنها امور لا يمكن ان تكون عفوية . وفكرت وزارة المستعمرات بازاحة المفتي عن المسرح السياسي ، ولكن (واكهوب) حذر في تقرير له بانه لا داعي للمبالغة في دور المفتي « ان مخاوف العرب الحقيقية من الصهيونية هي مصدر الاضطراب والخوف من سيطرة يهودية وشيكة يحس بها الجميع ، وان الهيئات التي نظمت الاضراب والثورة انبثقت الى الوجود محليا وتلقائيا (ص ٣١٦) . وادى اتساع الثورة بعد اقتراح مشروع التقسيم الى اجراءات شديدة لانتزاع زمام المبادرة من الثوار ، وكان على بريطانيا ان تواجه شعبا ثائرا . واتجهت بريطانيا نحو اقناع العرب بالفهم لاحتواء الثورة وان تدخل الى المسرح الحكام العرب الاكثر ميلا للتعاون . ووضعت في لندن خطوط سياسية ترمي الى حمل العرب على التزام الهدوء اثناء حرب في المستقبل مع المانيا وصدر بيان حكومي بالغاء مشروع التقسيم باعتباره غير عملي . ومع ان لندن أصبحت مركز ثقل فقد سارت الاضطرابات مع المفاوضات ، وتلخصت المطالب العربية التي طرحها وفد فلسطين بالاستقلال والتخلي عن الوطن

٥ - ينقل المؤلف عن مصدر قسامي (صبي ياسين ، الثورة العربية الكبرى) ١٩٣٦ - ١٩٣٩ دمشق . ولت ، ان المفتي لا يحبذ اساليب القسام باعلان الثورة (ص ٢٩٣) ، وفي موضوع اخر يشير الى ان المفتي كان يشكل منظمات مشابهة ص ٢٩١ .

القومي وابطال الانتداب (ص ٣٥٤) ، وتعثرت محاولات الوصول الى اتفاق على حساب تنازلات عربية ، واخيرا فرض الحل البريطاني في كتاب مكدونالد الابيض ، ورفضت اللجنة العربية العليا الكتاب الابيض بوصفه لا يحقق مطالب العرب التي تتلخص في ان تظفر فلسطين باستقلالها ضمن اتحاد فدرالي عربي (ص ٣٥٧) .
 واسهم التعب في القتال والضغط العسكري المتواصل والامل في ان تتحقق بعض جوانب الكتاب الابيض بالاضافة الى معاناة العجز في الاسلحة والذخائر ، في عرقلة استمرار الثورة فلاقت نهايتها « بهدوء يكاد يكون مفاجعا » (ص ٣٥٩) .

ينهي المؤلف كتابه بتقييم مكثف وتحليل علمي (كان يجدر التوسع به) لاسباب الفشل في الثورة : فيرجعها الى فقدان التوازن بين العرب واعداثهم ، والى التجزئة، والى ضيق افق القيادة ومحدودية طموحها ومهادنتها لبريطانيا الى ان تمكنت الصهيونية من حشد اعداد كبيرة واصبح الوطن القومي حقيقة قائمة ، وعلى الرغم من تخطي الشعب الفلسطيني لقيادته السياسية فقد استطاعت طبقة الوجهاء الحفاظ على مواقعها بسبب ضعف البنيان الطبقي العام للطبقة الوسطى ، وبسبب المزاخمة الصهيونية الخانقة التي حالت دون نمو هذه الطبقة وتطورها . كما ان تخلف الجماهير الفلاحية وسيادة العلاقات العائلية العشائرية وسطوة المفاهيم الدينية حالت دون نشوء تنظيمات وقيادات فلاحية تحل محل زعامات العائلات الفلسطينية ، يضاف الى ذلك ان الصهيونية كانت عدوا قوميا وطبقيا للعرب ان سيطر اليهود على القطاعات التجارية والصناعية والمسالية الامر الذي جمد ظهور بعض التناقضات الاجتماعية والاقتصادية بين العرب .

مع كل هذه المعوقات فالنتيجة التي خرج بها المؤلف من خلال بحثه « . . ان الشعب العربي في فلسطين لم يسجل على نفسه رغم كل الضغوط ورغم تخاذل معظم الزعامات السياسية ، سابقة استسلام او رضوخ للامر الواقع لا امام الصهيونية ولا امام الاستعمار البريطاني ، ومن هنا كانت هزيمة العرب في فلسطين وليدة القهر لا وليدة التخاذل » .

الاتجاه الثاني في تأريخ حركة النضال الفلسطيني هو ما يمكن تسميته بالاتجاه الاعتدالي ، الذي يفتح المجال رحبا للحديث الانشائي ويطغي عليه طابع التمنييات وكمثل عليه كتاب صالح مسعود ابو يصير « جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن » (بيروت طبعة رابعة ١٩٧١) ويستقي مادته بصورة رئيسية من كتب التاريخ التقليدية التي بحثت القضية الفلسطينية اثر نكبة ١٩٤٨ ومن مجموعات صحفية فلسطينية وعربية ، والمؤلف يشرح في مقدمة كتابه اسباب تصديه لشرح حقائق جهاد شعب فلسطين « وثائقيًا ومستنديًا » فلم « تجادلت مع سطحيين لم يلموا بالقضية . . ليدركوا كم جاهد شعب فلسطين العربي وكم كابد . . . وكان محور الجدل دائما دور عرب فلسطين في قضية بلادهم . . . وعمق ذلك الفرية التي اطلقها الصهيونيون والانكليز فلاقت اذانا صاغية لدى مجموعة كبيرة من العرب واصبحت حديثا ومرجعا لدى شبانهم . . . ولدى سطحيهم . . . اولئك السطحيون يقولون: كان على شعب فلسطين ان يثور امام الانتداب ثورة مدوية . . وان يتمسك بارضه . . وان يعزف عن الهجرة . . وان يعزف عن السلبية كلما سنحت فرص التفاهم مع الانجليز . . . البحث يهدف اذن « تصوير الواقع الصحيح الذي مرت به منذ اول يوم تلك المؤامرة الخطيرة . . . بتعاون دولي ضد شعب صغير اعزل، استطاع ان يصمد ثلاثين عاما، ثم اخذ يواصل نضاله ويقدم ضحاياه على مر السنين حتى الآن . . »

ثم يضع أسئلة يتصدى لاجابتها في كتابه « ترى هل مضت السنون الثلاثون هادئة منذ احتل الانجليز فلسطين حتى ١٩٤٨ حين هياوا كل سبب لانتصار اليهود ؟ » ترى هل كان سهلا على عرب فلسطين ان يغادروا بلادهم؟ ترى هل يتصور شعبنا العربي اليوم مقدار الثقل والالم والكفاح الذي تحمله شعب فلسطين وحده خلال مجابته للصهيونية العالمية والصليبية الاستعمارية ، وخلال جلاده مع الانجليز الذين اعلنوا انهم سوف يهيئون البلاد المقدسة لتكون وطناً قومياً لليهود ؟ ٠٠ وهل آن الوقت الذي يدرك معه الشعب العربي في كل مكان ان عرب فلسطين كافحوا ثلاثين عاما لا في سبيل فلسطين وحدها ، وانما كانوا يمثلون الخط الامامي لكل الامة العربية ومقدساتها ، وان الخطر اليوم يهدد كل العرب ويهدد ايضا اكثر دولهم أهمية مكانة ؟ » ٠

تبدأ فصول الكتاب بداية تقليدية هي ان العرب اسبق وجودا وكيانا في فلسطين من اليهود ، وهي نظرة ترجع الصراع الى عهود سحيقة بين المشرق العربي الاسلامي والمغرب الاوروبي الصليبي ، ورغم غلبة الطابع الديني على هذا الفصل الا انه لا يتسم بالتعصب الطائفي بل يحرص المؤلف على اظهار وحدة المسلمين والمسيحيين في مواجهة الخطر الصهيوني «رغم وحدة الهدف بين الصهيونية والصليبية الاستعمارية» (ص ١٠٧) ٠

وفي الفصل الذي يعالج فيه احداث الثورة العربية الكبرى ثم صدور تصريح بلفور ، يكرر المؤلف ذلك الرأي المحبذ بثناء العرب في ظل الحكم التركي وذلك لان التصريح لم يكن « الا وسيلة تترسم فيها غايات الصهيونية والصليبية الاستعمارية لخلق جسم غريب (٦) في قلب ديار العرب والاسلام ، وهو غاية باعتباره صورة لتحتيم الدولة العثمانية التي كانت تجمع العرب والأتراك في وطن واحد » (ص ٦٦) فماذا كان يحدث لو حارب العرب مع الأتراك؟ النتيجة التي يصل لها المؤلف ، والتي استقصاها من النتائج التي تمخضت عنها الحرب « ٠٠ انه لو لم يثر العرب لاسهموا بقوة في هزيمة الحلفاء ٠٠ والامر المؤكد ٠٠ ان ارجل اليهود عن فلسطين ستظل بعيدة» (ص ٧٩) ولو فرض ان الحلفاء كانوا سينتصرون « ٠٠ فهل كان العرب يأسفون على عدم تحركهم الثوري؟ فهل يمكن ان تكون النتائج حينئذ اسوأ مما حدث فعلا » ٠ (ص ٨٠) وتتالى فصول الكتاب وهي تشرح مواجهة شعب فلسطين للمحنة، والاساليب البريطانية التي سهلت لليهود « كل اسباب العمل والحركة والتصريف وحرمت على العرب كل عمل يتصل بمستقبلهم » ٠ ويبدأ المؤلف في سلسلة اتهاماته ولومه للذين يحيطون بفلسطين « لا نجد الا القليل جدا من مظاهر الاهتمام العربي بهذا الاخطبوط الذي بدأ يرسم خطوطه في فلسطين » (ص ١٠٤) ، ورغم ، الثقل الرهيب الذي وضع على كتف الشعب العربي « ثقل مقاومة اخطر قوتين في العالم ، الصليبية الاستعمارية والصهيونية العالمية » ٠

وفي صراع عرب فلسطين امام الخطر المزدوج « ٠٠ استمر الشعب يعقد مؤتمراته ، ويواصل اتصالاته السلمية مع جهات الاختصاص ، وعبثا حاول ان يصل الى نقاط يمكن ان يطمئن بها العرب ، ويعملوا بها ولها ٠ برغم وفوده المتلاحقة الى لندن ومحاوله خلق جو للفهم والتفاهم » ٠٠ (ص ١٣٢) ٠ ويبرر المؤلف عذرة الشعب الفلسطيني الى سياسة المسالة بين حين وآخر « املا ان تدرك بريطانيا تصميمه على النضال وتعود قليلا الى العدل الذي طالما تغنت به اثناء الحرب ٠٠ » (ص ١٣٣) لذلك

كان لا بد من اللجوء الى الثورة « كرد فعل للتصدي الصهيوني السافر والمخداع البريطاني المستمر ، وقد ظهر فيها الانجليز على حقيقتهم فما من معركة نشبت بين العرب واليهود الا كان الجنود الانجليز في الصف المحارب للعرب » (ص ١٣٧) لقد كانت بريطانيا رغم اللجان العديدة « تنظر الى فلسطين كأنها قطعة مجهولة اكتشفتها بريطانيا خالية من السكان وهي تفتح ابوابها لليهود ليسكنوها ويعمروها » (ص ١٥٨) ولكن الشعب العربي في فلسطين يقف وحيدا في معركة غير متكافئة « وجيرانه بل اخوته العرب في شغل عنه لكل منهم مشكلة يعانيتها ، والرأي العام العالمي لا يعنسي بالعرب الفلسطينيين وجهود هؤلاء ليست في المستوى الذي ترقى له جهود اليهود » (ص ١٥٨) . المؤتمر الاسلامي نفسه لم يستطع ان يخلق الاثر العملي ، « فقد كان المسلمون محكومين بالانجليز وكان هؤلاء هم المتصرفين في فلسطين وغير فلسطين » (ص ١٦٠) وشعوب العرب تقابل الاستغاثات بالمشاركة المعنوية ٠٠٠ وعلى الرغم من تلك النداءات المؤثرة التي كانت تديعها اللجنة فان آذان حكامهم واغنياتهم كانت مغلقة .

ويشرح المؤلف بعد ذلك لجوء شعب فلسطين الى مواجهة بريطانية بعهد ان باءت بالفشل المحاولات السلمية، وتميزت الفترة الاولى من هذه المواجهة بالمظاهرات واطلاق المقاطعة ، ومع اعترافه بان هذا لم يكن هو كل العمل المجدي الممكن القيام به ضد سياسة الانجليز لكن القوانين التي اصدرها الحكام ارغمت الشعب على ان تطول فترة استعداده للثورة قضاها باحثا عن السلاح ، مهما كان شأنه ضئيلا ، ومهما كان تاريخ صناعته الخ « (ص ١٧٢) .

وتزداد لهجة المؤلف الخطابية حدة وهو يشيد بعظم اضراب ١٩٣٦ ويرجع الدعوة اليه الى الحزب العربي) ويعزو للجنة العربية العليا التنظيم والاعداد لاحداث ١٩٣٦ . وتجنب ذكر الانشقاقات والخلافات بين الاحزاب واكتفى بقوله « تفاوت التفكير والاسلوب » ، ووصف الموالين للسياسة البريطانية « بالمعتدلين » . ويرسم في افاضة صورا من الفدائية والبطولة استمدتها من صفحات الجرائد اليومية (ص ١٨٤ وما بعدها) حتى ارغم تحرك الشعب الفلسطيني ، برغم قلة عدده ٠٠ الامبراطورية العجوز ان تستعين بقوات جديدة ، غير مكثفة بما في فلسطين من فرق اعدتها لتحارب العرب ولتجوّد فلسطين ص ١٨٥ . ويكيل الاتهامات لبيسان الملوك والامراء العرب بوقف اعمال الثورة « ٠٠ التاريخ ليردد بألم ومرارة تلك العبارة التي تضمنها بيان هؤلاء الكبار المذاع على عرب فلسطين من أنهم (يعتمدون) على حسن نوايا صديقنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ٠ » ص ٢٠٩ ، ويتطرق المؤلف مستطردا الى موقف فيصل من الصهيونية واتفاقية فيصل وايزمان ٠٠ « التي تمثل جانبا يعطي كل عربي حرية البحث الطليق في ان قضية فلسطين التي اکتوى بها اهلها اولا وقاتلوا عندها ثلاثين عاما كان بعض العرب موافقا على تعقيدها وهو غير مصمم على انقاذها ٠٠ » ص ٢٢٨ .

ويثبت المؤلف بالوقائع الصحفية ان بيان الرؤساء لم يخدم لهيب الثورة مما ارغم بريطانيا اخيرا على الدعوة الى مؤتمر لندن . ولم تأت هذه الدعوة الا « بفعل ثورة الاحرار الفلسطينيين وزعمائهم » لكن بريطانيا رفضت بادىء الامر ان يمثل الفلسطينيين احد من الزعماء ذوي العلاقة بالثورة من المبعدين الذين « هم الثوار وهم القادة » ص ٢٥٢ حتى فرض شعب فلسطين وثورته ممثليه في ذلك الاجتماع ٠ « وتقابل وجهها لوجه من يمثل الثورة المخلصة المستمرة ، ومن يمثل الانتداب البريطاني الذي فرض نفسه ليتمكن للصهيونية وسط بلاد العرب » ، واستمرت الثورة داخل فلسطين حتى اثناء انعقاد المؤتمر (اهمل المؤلف تفاصيل المباحثات التي دارت) ، وكان لا بد من توقف الثورة اما لماذا « القي العرب سلاحهم ، بل القوا عصيهم ، فلم يعد للسلاح

ذخيرة تستعمل ٠٠ « فقد جاء المؤلف بالمبررات التي ترفع عن كاهل شعب فلسطين اللوم : المظالم البريطانية ، تشرد القيادة ، ضعف القدرة المالية ، ازدياد الرقابة على الحدود ، نفاذ السلاح الخ ، وما بدا للشعب الفلسطيني من أمل ضمنه الكتاب الابيض (ص ٢٧٤ وما بعدها) .

وتنتقل فصول الكتاب بعد ذلك الى استعراض تطورات القضية بعد الحرب العالمية بعد ان جمدت مؤقتا خلال الحرب ، فيجد في اجتماعات الجامعة العربية في بلودان ومؤتمر لندن تمييعا للقضية ، حتى كان قرار التقسيم « ولم يكن احد في العالم العربي يشعر بالمرارة القاتلة من قرار التقسيم كما كان يشعر به الشعب العربي في فلسطين ، الكبل بسلاسل بريطانيا الحديدية والمسلطة عليه اثناسال الصهيونية وبرامجها ٠ ص ٣٠٨ . وبينما كان الشعب العربي في فلسطين ينتظر من العالم العربي ان يقف الى جواره والجامعة العربية قد أسست حديثا ، وضعت العقبات امام الكفاح الفلسطيني قبل وبعد دخول الجيوش العربية « لقد كانت دول الجامعة تمثل سبع دول تحمل كل منها اسما بلا جسم ، وجيشا بلا سلاح ، وفاقد الشيء لا يعطيه » ص ٣١٥ . مع ذلك فقد كان للشعب الفلسطيني دور ايجابي في المعركة ، استمد المؤلف وقائعه من كتابي عارف العارف (النكبة) ومذكرات عبد الله التل « ٠٠ كان الشعب الفلسطيني مهمل في اغلب الاحيان في وطنه ، بل لقد تعتمد البعض اقصاءه عن المعركة ، وهذا الشعب الذي احتفظ بأكبر الاجزاء في بلاده ، ودافع عنها وقاتل الى ان دخلت الجيوش ٠٠٠ بل ان شعب فلسطين تعرض لحملة قاسية جدا من بعض اجهزة الاعلام العربية ، بعضها تأثر ببعض الدعايات المغرضة ٠٠ او بعض حوادث الانحراف ٠٠ التي لا تمثل الاجزاء ضئيلا تأفها في تاريخ كل شعب مناضل ٠٠ « ص ٤١٦ .

في تقييم المؤلف لحرب ١٩٤٨ وجد ان الشعوب العربية لم ترتفع الى مستوى المعركة وجد ان قسما واحدا من الشعب العربي كان يصلي المعركة وحده ٠٠ الشعب الفلسطيني ، اما باقي الشعوب فكانت تنظر الى المعركة باعتبارها صراعا جانبيا ٠٠ تعطيه من حماسها ٠٠٠ القدر الذي لا يعرقل مظاهر سيرها اليومي ٠٠ ، ولا ريب ان ذلك كان ينبعث من مواقف الحكومات العربية التي لم تنظر الى معركة فلسطين باعتبارها معركة حيوية وتاريخية ٠٠ « ص ٤١٩ .

لقد كان يدفع المؤلف ايمان عميق بنبل القضية ، ودور الشعب الفلسطيني في الكفاح الصامد خلال فترة الانتداب ، ولكن الصياغة تغلب عليها صفة المبالغة وعبارات التمجيد وينقصها العمق والترتيب والتنسيق ، وقد توحى بأن الطابع العام لردود الفعل العربية انما تقوم على أسس عاطفية وليس على قناعات عقلية ، واهمل المؤلف بشكل ملحوظ خلفية المعارضة الاجتماعية والاقتصادية ويبدو اخيرا ان لقاء اللرم الكلي على الشعوب العربية وتبرئة الشعب الفلسطيني لا يخدم القضية ، هل كانت الاجزاء العربية الاخرى تملك زمام أمورها بنفسها ؟؟

الاتجاه الثالث ، الذي يمكن تسميته بالاتجاه التحليلي الانتقادي ، فهو يسعى الى دراسة هذه المرحلة دراسة ناقدة محللة ، مبنية على فكر يساري واضح ، يهتم بدراسة الخلفيات الاقتصادية والاجتماعية وتحديد التناقضات القائمة في المجتمع ليرى أثرها في حركة المقاومة والنضال والسياسة ٠ هذا الاتجاه لا يهتم بالاحداث اهتمام المؤرخ العادي الذي يسردها وينسقها ويعرضها مبوية مرتبة واضحة ، لكنه بعد استقرائه للاحداث يكون قناعة ، وينطلق من هذه القناعة التي نضجت في ذهنه الى اثباتها وابرازها وتأكيدا من خلال ما يختار من احداث هذه الحقيقة .

من أبرز أمثلة هذا اللون من الكتب كتاب الاستاذ ناجي علوش (المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧ - ١٩٤٨) (١) . وكتابه يقر منذ الصفحات الاولى في المقدمة بأنه يحاول « لا أن يؤرخ لهذه المرحلة فحسب ، بل أن يحللها ، ولذلك فهو ليس كتاب تاريخ تقليدي وان كان يحوي الكثير من المعلومات التاريخية » . من هنا يتضح الطبيعة الخاصة التي يتميز بها ، وقد بنى كتابه على حقيقة ثابتة وهي « أن مسؤولية الفشل تقع على الطبقة الاقطاعية القائدة آنذاك وقد آمن بهذه الحقيقة بل يقول انها « هي التي قادتني الى تحديد انتمائي السياسي » ويعترف الكاتب بصعوبة عمله ، لان ما حدث في فلسطين « لم يقيم التقييم العلمي الموضوعي الشامل حتى الان » أما غاية الكاتب من هذا التحليل « فقضية التقييم والتحليل قضية أساسية وهامة بالنسبة للحركة الوطنية ، لانها وحدها التي تضمن اتخاذ قرارات صحيحة ، وتضمن تطبيق هذه القرارات تطبيقا جيدا . ونحن بحاجة الى التحليل دائما لمعرفة حقيقة وضعنا وتحديد مهماتنا ، ولتحديد دور القوى المختلفة في العمل السياسي ، وبخاصة الى التقييم لمعرفة ما حققناه وأثره في الحركة الوطنية عامة ، ولتلافي أسباب قصورنا وعوامل ضعفنا » . وتحليل الماضي لا يتحول الى عمل سياسي الا اذا استهدف تحليل الحاضر واستشراف المستقبل » ، وهذا ما هدف له المؤلف حين وضع الكتاب .

الفصل الاول من كتابه « خلفية اقتصادية واجتماعية » لا بد منها في نظره ونظر غيره من اصحاب الاتجاه اليساري ، وتوصل في هذه الخلفية الى ان تركيب المجتمع كان تركيا شبه عشائري تسوده الثقافة الاسلامية ، وان التناقض كان قائما بين طبقة الملاك الثرية وطبقة العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة ، كذلك كانت المنافسة الصهيونية الشديدة في ميادين التجارة والصناعة . وقد أثر تركيب المجتمع العشائري في موقف الشعب من الثورة والثورات ، وقد غلبت عليه العلاقات الشخصية ، والولاءات المحلية والتجمعات المحدودة . كذلك أثر الاسلام ، في زيادة أهمية رجال الدين ، فمارس هؤلاء نفوذا فعالا على الصراع في فلسطين ، حتى اندمجت القيادة السياسية بالقيادة الدينية منذ الايام الاولى للاحتلال البريطاني حتى النكبة ، واتخذ الكفاح شكل جهاد دون ان يستطيع بلوغ المعنى المعاصر للمقاومة . أما التناقض بين طبقة الملاك وبقيّة الشعب، فقد كان على الرغم من اهميته ثانويا في حركة النضال والمقاومة، اذ ان طبيعة الاستعمار البريطاني والغزو الصهيوني ، أبرزت الى المقدمة « تناقضا قويا طبقياً عنصرياً ابادياً » ص ٣٤ بين العرب واليهود . لذلك قبل بالقيادة السياسية للطبقة المالكة التي تنهبهم . وقد استطاعت الطبقة المالكة ان تستفيد من الوضع ، فتطرح الشعار نفسه . فكانت نظريا ضد الانكليز والصهاينة ، ولكنها عمليا تدعو للتفاهم مع الانكليز وتعمل له وتبشر بالاعتدال في معالجة المسألة الصهيونية ، فهذه الطبقة التي كانت ، في رأي الكاتب ، تعمل جلادة لحساب العثمانيين ، هيأت نفسها لخدمة الانكليز ، واستطاعت ان تحقق انتصارات اقتصادية في التجارة والاملاك في ظل حكمهم « وان وضعها الطبيعي هذا هو الذي يفسر استعدادها للمساومة وترددتها وتخاذلها وهروبها ، وأشكال خيانتها التي سنراها واضحة على صفحات هذا الكتاب » ص ٣٢ .

يتسم المؤلف المقاومة في فلسطين الى مراحل ثلاث : مرحلة المؤتمرات والانتفاضات (١٩١٩ - ١٩٢٩) ، ومرحلة الاضراب الكبير والثورة الكبرى (١٩٣٠ - ١٩٣٩) وأخيرا مرحلة الركود والهزيمة (١٩٤٠ - ١٩٤٨) . وهو في عرضه لهذه المراحل لا يستقصي الاحداث ويتتبعها ، وانما يختار منها شواهد وأمثلة تؤيد مقدماته وقناعاته : فقد أثر التركيب الاجتماعي على الحركة الوطنية . اذ قاد الى تنافس عشائري عائلي ، استغله الانكليز احسن استغلال لصالحهم ، وهو الذي أوجد زعامات

فلسطينية وطنية ، تتمثل في آل الحسيني وجماعة المجلس الاسلامي (موافقة الانكليز على تعيين الحاج أمين الحسيني في منصب الافتاء ، على الرغم من انه قام بدور فعال في ثورة القدس ١٩٢٠) ، وأوجد بالمقابل معارضة قوية ، تعارض الفريق الاول في كل موقف يتخذه ، وتقف على طرف النقيض معه ، وتقبل مقترحات الانكليز وتتفق معهم في كثير من مواقفهم (بدء عملية معارضة سياسية قادها آل النشاشيبي) ص ٥٢ .

وقد استمر هذا الصراع الى آخر ايام المقاومة ١٩٤٨ حادا قويا يقسم البلاد ويهدد بنشوب حرب اهلية ص ١٤٨ (الدعوة الى المؤتمر الاسلامي ١٩٣١ ، الانتخابات البلدية ١٩٣٤ - الخلاف على المجلس التشريعي بين الحزب العربي وحزب الدفاع بداية ١٩٣٦ ، ازدياد حدة الخلاف بعد صدور الكتاب الابيض ١٩٣٩ بين حزب الدفاع والحزب العربي ، وتشكيل فرق السلام من المعارضين لتتبع الثوار باسم الانتقام لضحايا الثورة ص ١٤٧) . وكان هذا الاختلاف في كثير من الاحيان متأثرا بالصراع العربي المحيط بفلسطين ، حيث كانت الحكومات العربية تتبني بعض الزعماء وتغذيهم (كارتباط حزب الدفاع بالامير عبدالله ، واختلاف الزعماء حول مكاتب الدعاية ١٩٤٥ والمشروع الانشائي العربي) .

أما عن حقيقة القيادة السياسية التي تولت أمر الحركة الوطنية ، بمختلف الاشكال والاحزاب ، فكانت في الطبقة شبه الاقطاعية شبه البرجوازية ، التي حققت المكاسب في ظل الاستعمار الانكليزي ، وهذا الامر يفسر لنا معظم مواقفها التي اتخذتها خلال هذه المراحل يقول الكاتب « ولما كانت بشكل عام طبقة ضيقة الافق محدودة الطموح ، تفكر بمصالحها المباشرة واليومية ، فانها لم تتخذ مواقف جذرية بل ظلت مهاودة مساومة تؤثر المركب السهل على الوعر ، وتركب الموجة العارمة تتقدم بالمطالب الجزئية والضيئلة » ص ١٣٦ . وكان يهم هذه الطبقة المتزعمة ان تفهم الانكليز انهم ليسوا هدفا ، وان اليهود هم هدفها ، وكان هذا نقطة ضعف قاتلة من نقاط ضعف القيادة الوطنية ، لذلك فوجئت هذه القيادات بشعار حزب الاستقلال (الانكليز اساس الداء) . ولقد كان هذا الامر مدركا من قبل عدد من الوطنيين ، لابل ان حزب الدفاع ، استخدم شعار محاربة الانكليز ستارا لتغطية ارتباطه .

ولقد كانت طبقة الزعامات والقيادات تتجه بحكم تكوينها ومصالحها الى سياسة التعاون مع السلطة الاستعمارية ومهادنتها ومساومتها ، وتكثر الامثلة الدالة على مواقف هذه الزعامات (المقترحات التي قدمتها اللجنة الى المستر ملز السكرتير العام لحكومة الانتداب في فلسطين ١٩٢٦ ، ورد اللجنة التنفيذية على كتاب الحكومة البريطانية الابيض) ، وتظهر اساليب الزعامة السلمية ، وعدم ايمانها بالمقاومة المسلحة في معظم المواقف التي اتخذتها (الاستجابة لطلب الانكليز ١٩٣٠ بالغاء الاحتفالات بذكرى شهداء ١٩٢٩ ، ثم تخوف الزعامة من حركة القسام ، وعدم الاستفادة من الجور المتوتر الذي تولد عن بدء المقاومة وكذلك المساومة وانهاء الاضراب والثورة) (١٩٣٦) .

حكم الكاتب لم يكن على فئة معينة من القيادات ، بل كان حكمه عاما شمل كافة القيادات ، حتى حزب الاستقلال لم يتجه الى الشعب فلم يحظ بانتشار سريع فمنبته الطبقي جعل عناصره غير قادرة على التوجه الى الفلاحين والعمال فتبحث عن المناضلين في صفوفهم ، وتنشئ تنظيمات منهم ، لانها بذلك تكون قد خانت طبقها ص ٩٦ .

كذلك كانت نظرة الكاتب الى طبقة المثقفين ، الذين بدأوا مع نهاية الحرب الثانية

يفكرون جديا ببدء العمل من اجل انقاذ فلسطين فهؤلاء « لم يكونوا طبقيا او وعيا مختلفين كينيا عن قيادة الحركة الوطنية » . فهم من طبقة « الزعامات والوجهات » ومن قادة الحركة الوطنية ، وكل ما يميزهم عن غيرهم شهاداتهم ، فلم يستطيعوا ان يغيروا شيئا من ظروف الحركة الوطنية ص ١٥١ .

ويبين الكاتب في ثنايا هذه المساومات ان الانكليز ما كانوا ينظرون الى افراد هذه الطبقة بتقدير واحترام ، بل يظهرون الاستهانة بهم ، لمعرفة العميقة الدقيقة بطبيعتهم وجينهم . بالإضافة الى ذلك كانت هذه الطبقة قليلة الوعي ضيقة الافق ، متخلفة الفكر جامدة ، يظهر ذلك من موقفها من الحزب الشيوعي في فلسطين ، والشيوعية بوجه عام ، وعدم استقلالها التناقضات العربية في مواجهة المؤامرة الاستعمارية الصهيونية في فلسطين ، كذلك لم تحسن استغلال اندفاعات الشعب وانتفاضاته المتتالية فتعمل على تعبئته تعبئة مناسبة وكافية لمجابهة الخطر (ولما داهم الخطر ١٩٤٨ لم تفعل القيادة شيئا بل اكتفت باعمال جزئية) ص ١٦٢ .

وإذا تساءل القارئ بعد هذا عن دور الشعب ، وهل كان غائبا عن كل ذلك ، فإن الكاتب يبين ، ان الشعب لم يكن غافلا ، وكان يبدو في كثير من الاحيان ان الشعب في جهة والقيادة في جهة أخرى . لقد اتخذ الشعب في رأي الكاتب موقفا فيه كثير من الصحة والوعي وتمثل ذلك في الغضبات العديدة والغليان ، او التوتر او تأييد الثورة المسلحة ، والاشتراف بها . (انفجر عام ١٩٢٩ دون ان ينتظر أمر قيادته ، ودل هذا الانفجار كذلك على رفضه لسياسة المؤتمرات والاجتماعات ص (٧) . كذلك كان نشوء بعض حلقات الكفاح المسلح السرية تعبيرا عن نغمة جماهير الفلاحين والعمال على تهافت القيادات واستهتارها (وكانت حركة القسام ابلغ رد على سياسة زعماء فلسطين التقليديين ص ١١٨) . وكان الشعب في كثير من المواقف او القضايا يسبق قاداته فلا تكاد تلحق به فقد اندفعت الجماهير الى الثورة ١٩٣٦ « واصبحت الجماهير في المقدمة والقيادة في المؤخرة ، ولم تستطع القيادة على الرغم من حيوية الحاج امين وقماليته ، أن تلحق بالجماهير » ص ١٢٧ .

هذه الامور التي يقرها الكاتب يعترف بانها لم تعط ثمارها لان هذا الشعب لم يكن واعيا ، « اما شعب فلسطين ، فانه نتيجة ظروف معينة ، أهمها غياب تنظيم ثوري واع وفعال ، واستئثار طبقة الزعامات والوجهات بقيادته ، لم يع خطر المعركة التي يخوضها تماما » ص ١٧٣ ، لهذا فقد كان يندفع اندفاعات عفوية مرتجلة ، تنتهي في معظم الاحيان بالاجهاض او الاحتواء .

الا ان السبب الرئيسي الذي جعل الشعب يسكت في معظم الاحيان عن قاداته او يسمح بالتلاعب بمصيره ، او ينفاد لهم يرجع الى طبيعة التناقضات والصراع الذي عاشته فلسطين في هذه الفترة ، (كما مر سابقا) . كانت القيادة قادرة على احتواء حركات الشعب واجهاضها كما حدث في اضراب ١٩٣٦ وثورته ومكنت القيادة من توجيه الشعب الى الاتجاه الذي تريده . لقد كان هم الجماهير غير المنظمة او الواعية متجها الى الصهيونية او الانتداب فظلت ان الرعظ والضغط قديفندان في اصلاح القيادات ولم تنظر الى المسألة على انها خيانة واضحة فطالبت في اكثر من مرة او مؤتمر بوحدة الكلمة ، وأملت في ان (يتوب) الزعماء الى رشدهم ، وهذا هو الذي مكن هؤلاء من ان يمنعوا انهيارهم وانكشافهم وسهلت لهم التظاهر بالوطنية والسيطرة على جماهير الفلاحين والعمال .

الفصل الاخير في الكتاب او ما اسماه (دروس التجربة) لخص آراءه المثبوتة هنا وهناك وعرض في مقدمة ذلك مواقف الدارسين لهذه المرحلة في محاولتهم تقييمها

وتحليلها ، وكيف ان هذه المحاولات كلها كانت قاصرة تردّ ما حدث الى عامل آخر دون ان تكشف مساهمة العوامل كلها ومدى ترابطها ، فمنها ما يرد الامر الى تأمر الاستعمار ومنها ما يحصرها بخيانة الحكام ، ومنها ما يذهب الى الاشادة بالحركة الوطنية في فلسطين دون ان يحللها ويدرس تجربتها ، ومنها ما يلقي المسؤولية على شعب فلسطين دون الاهتمام بالظروف التي احاطت بقضية فلسطين وهو بعد ذلك يعرض رأيه ويردّ ما حدث الى اربع مجموعات من العوامل مترابطة متفاعلة : الاولى تتعلق بالظروف الدولية بعد الحرب الثانية ، والثانية تتعلق بظروف الوطن العربي المستعمر او شبه المستعمر وقياداته العميلة ، ومنها ما يتعلق بعرب فلسطين الذين لم يكونوا منفصلين عن هذا الوضع ونضالهم بعض من النضال العربي ، وثالثتهم القائدة اجتماعيا وسياسيا مثل كل الفئات القائدة في البلاد العربية من حيث تخلفها وجهلها وقصر نظرها ، وثافتها على مصالحها المباشرة . اما المجموعة الرابعة فتتعلق بالقيادة السياسية في فلسطين وما كانت عليه من تخلف فكري وثقافي ، وميل الى المساومة النظرية والعملية ، وضيق أفق وقصر نظر ، مما جعلها تفشل دوليا وعربيا ومحليا ، بينما نجح خصومها الصهاينة على كل الجهات .

هذا الفصل خلاصة فكر الكاتب وقناعاته التي سعى الى توكيدها بالادلة ، لكن بعضا مما جاء فيه ، من انتقاد المحاولات الاخرى التي سعت الى التقييم والتحليل وقسح في خطاه وتعميمه مثلها . فافتقر كتابه في بعض جوانبه الى شيء من الموضوعية او على الاقل الانسجام مع العنوان الذي وضعه لكتابه . اذ يوحي العنوان ان الكتاب سيعطينا صورة متعددة الالوان والجوانب لهذه المقاومة ، بما فيها من صفحات سوداء قاتمة ، وما فيها من صفحات مشرقة ، ولكن القارئ يخرج وقد غشت عينه سحابة ةائمة من الاسى يدفعه اليها تركيز الكاتب تركيزا مكثفا على القيادات وفصح بنيتها وتعاملها . صحيح انه ، يسعى الى تقييم الماضي من اجل الحاضر ، واستخلاص دروس التجربة لنعرف مواطني اقدامنا في نضال اليوم وثورته وكفاحه ، لكن هذا التقييم يجب ألا يدفع الى اليأس او التشاؤم . فجيل فلسطين المكافح اليوم يجب ان يميز الطيب من الخبيث ، ويتعلم من اخطاء الماضي ، وليس النظر الى الماضي بعين التعميم وفتح الصفحات السوداء منه فقط ، واغفال ما فيه من اشراق حتى على قلته .

صحافة المقاومة في عشر سنوات

١٩٦٥ — ١٩٧٥

غازي الخليبي

فلسطين بشكل خاص بعد نكبة العام ١٩٤٨ ، الى بداية الستينات من هذا القرن ، عندما بدأت تبرز الى الوجود فكرة ضرورة ابراز الشخصية الفلسطينية ، وتحديد دور خاص للشعب الفلسطيني في معركة تحرير فلسطين . ففي بداية الستينات ، وبشكل أكثر تحديدا في العام ١٩٥٩ ، بدأت تظهر الى الوجود الاثوية الاولى لمنظمات فلسطينية ، ذات طابع فلسطيني محض ، أخذت تبشر بالدموية لابراز الكيان الفلسطيني والشخصية الفلسطينية مدفوعة بموامل عدة ، أهمها التأثير المباشر الذي أحدثته الثورة الجزائرية في صفوف الجماهير الفلسطينية ، ثم نمو الخطر المباشر لاسرائيل والنتائج عن شروعا بتحويل نهر الأردن ، وما عناه ذلك من امكانيات نمو قدرتها البشرية والعسكرية والاقتصادية ، وقد بدأت هذه الدعوة تزداد تبلورا خلال السنوات الاولى من الستينات ، وازدادت قوة مع ولادة منظمة التحرير الفلسطينية ، والتي ظهرت الى الوجود عمليا بعد عقد المجلس الوطني الفلسطيني الاول في القدس في ١٩٦٤/٥/٢٨ .

لقد حكمت الاوضاع الصعبة التي كان يعيشها الشعب الفلسطيني في البلدان العربية ، صحافة المقاومة في بداياتها الاولى ، فلم يكن بإمكان أي تنظيم فلسطيني ، ان يصدر صحيفة علنية تعبر عن وجهة نظره ، ولذا فقد اقتصرت هذه التنظيمات ، المنشور السري والنشرة الداخلية للتعبير عن نفسها ، ونقل وجهات نظرها الى اوسع اطار ممكن من الجماهير الفلسطينية . واستطاعت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » ان تصدر في وقت مبكر نشرة شبه علنية هي نشرة « فلسطيننا - نداء الحياة » كما صدرت في وقت لاحق صحف

ان الحديث عن صحافة المقاومة خلال السنوات العشر الماضية حديث طويل ومتشعب ، ويشمل موضوعات عدة ، لا يمكن الاطاحة بها جميعا ، ولو من باب التعريف الاولي في مجال واحد ، ذلك ان صحافة المقاومة هي انعكاس لواقع المقاومة الفلسطينية بكل الاتجاهات السائدة فيها ، وبكل ما يعكسه هذا الواقع من تضاي و موضوعات مختلفة ، اضافة الى انها انعكاس بشكل او بآخر ، لواقع الشعب الفلسطيني وظروف وجوده في بيئات سياسية مختلفة ، وفي مواجهة ضغوطات وحالات تهر متفاوتة من مكان لآخر . وهذا المقال ، عبارة عن تعريف اولي ببعض صحف المقاومة التي ظهرت في هذه الفترة ، ومحاوله القاء ضوء على واقع الصحافة الفلسطينية والصعوبات التي واجهتها ، وأهم القضايا التي عالجتها خلال هذه الفترة موضوع البحث . وهو بهذا يشكل مدخلا لبحاث وكتابات تعالج هذا الموضوع الهام من زوايا عديدة .

في البداية لا بد من التمييز بين نوعين من صحف المقاومة ظهرت في هذه الفترة : (١) صحف سرية ، وتشمل صحف المقاومة السرية التي صدرت في الاراضي العربية المحتلة وفي بعض البلدان العربية في فترات متفاوتة ، وهي خارج نطاق البحث في هذا المقال . (٢) صحف ونشرات علنية ، أصدرتها منظمات فلسطينية في فترات مختلفة ، وهي موضوع البحث هنا ، وتشمل نقط تلك الصحف او النشرات التي صدرت خارج الاراضي العربية المحتلة* .

صحافة المقاومة قبل هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧
تعود البدايات الاولى لظهور صحافة فلسطينية تعنى بأوضاع الشعب الفلسطيني وبمعركة تحرير

الشخصية الفلسطينية للوجود الدولي ... ولتنظيم وتعبئة وحشد قوى شعب فلسطين المشتتة في مختلف الاماكن والبلاد» (٥). ووضحت طبيعة هذا الكيان وعلاقته بالنضال القومي في «النضال العربي الفلسطيني لا يتجزأ عن النضال القومي مطلقا» ولكن «ان مجرد انخراط العربي الفلسطيني في معارك جانبية وانشغاله في قضايا قومسية اجتهادية ، يعتبر في منطلقنا الثوري ، تشويه لمعنى النضال القومي وحقيقته من جهة ، وابطال للدور النضالي الفعال للانسان العربي الفلسطيني من جهة اخرى» (٦). وحرصت الجماهير الفلسطينية ضد الانخراط في الاحزاب السياسية ، او الانشغال بالقضايا القومية في «لا بد ان يكون ولاء الانسان العربي الفلسطيني للشعب العربي الفلسطيني ولقضيته العادلة كأساس» و «ان المكان الطبيعي لعرب فلسطين على ارض المعركة القومية هو فلسطين ، وكل وضع آخر للشعب العربي الفلسطيني هو وضع خاطيء مزيف ومغلوط» (٧).

ترافقت دعوة «فلسطيننا» للكيان الفلسطيني وضرورته ، بالدعوة الى تحديد اسلوب التحرير ، برفض الحرب الكلاسيكية «ان فهم طبيعة المعركة وابعادها الداخلية والخارجية ، يحتم على عرب فلسطين عدم قبول العسكرية الكلاسيكية منطلقا في معركة التحرير» (٨)، والتأكيد على العمل الفدائي وضرورة بروز حركة فدائية ، «فالمللوب هو ان تقوم في كل بلد عربي جماعات ، ليس من الضروري ان تترايب في قيادة موحدة في بادئ الامر ، بل المهم ان تكون سائرة في نفس الطريق ، ويكون هدف هذه الجماعات الفلسطينية ، الاغارة على إسرائيل واحداث التخريب فيها» (٩). وهذه الحركة الفدائية يجب ان «تكون فلسطينية خالصة، تستأدها الحكومات العربية» (١٠)، «ولا تكون مرتبطة بدولة عربية معينة» ، وتكون صديقة لجميع الدول والشعوب العربية. ويتعمد بنفسها عسك التيارات العربية المتنازعة» (١١). وأمام تعاضم الشعور بضرورة الكيان الفلسطيني في الاوساط الفلسطينية ، وامام بروز العديد من التنظيمات الفلسطينية ، أخذت «فلسطيننا» تزيد وتكثف من ابحاثها ومقالاتها حول الثورة ومنطلقها ومرآجل العمل الثوري ووحدة العمل الفلسطيني (١٢). ورفضت اللقاء الجبهوي ، وطالبت بقيام تنظيم

فلسطينية اخرى ، وفيما يلي تعريف باهم هذه الصحف .

(١) «فلسطيننا - نداء الحياة» صحيفة شهرية ، شيد علنية ، صدرت في بيروت في ١٨ صفحة قطع صفر ، في تشرين الاول «اكتوبر» ١٩٥٦ ، وكان يصدرها توفيق حوري ، الا ان «فتح» كانت تشرف على تحريرها وتوجيهها سياسيا (١)، واستمرت بالصدور بشكل منتظم نحو خمس سنوات ، حيث لعبت دورا مهما في نشر وتعميم أفكار «فتح» قبل بدء الكفاح المسلح . «في مجلة فلسطيننا ، خضنا جولة البحث والدراسة والمناقشة الفكرية اكثر من خمس سنوات ، رفعنا خلالها شعارات شعبنا في الثورة والكفاح المسلح سبيلا وحيدا ، وبداية حقيقية لتحرير وطننا والسليب» (٢). اعتمدت «فلسطيننا» اللغة المبسطة وال عاطفية للتأثير في الجماهير الفلسطينية ، ونقل أفكارها اليها واستنهاضها من خلال التذكير بنضالات شعب فلسطين في الفترات الماضية «اين أبطالنا ، اين ثوار الامس ، اين رفاق المجاهدين ، اين ابناء القسام ، واخوة عبد القادر ، اين رفاق سلامه وأبو دية وعبد الرحيم ، اين من شهدوا بطولاتهم وتضحياتهم ... ان يطاح فلسطين تنادي ، ان روايبها لمشتاقه لبنيها الاباء ، فهل يطول غيابكم أيها الابطال» (٣). وكانت مثل هذه النداءات تتكرر في معظم الاعداد ، وكانت تتخذ احيانا طابع التحريض ضد الواقع الذي يعيشه الفلسطينيون في البلدان العربية «لا كرامة لك أيها الفلسطيني، الا اذا حملت سلاحك واسترجعت بلدك ... ضيافتنا أصبحت خيانة ، فاطردونا الى حدود بلادنا وافسحوا لنا المجال لتنظيم صفوفنا داخل الوطن العربي الكبير ... الثورة الفلسطينية ثورة على أنصاف الطول ، فلما العودة الكاملة واما الفداء والاستشهاد» (٤).

كان موضوع الكيان الفلسطيني ، هو الموضوع الرئيسي في كل اطروحات ومقالات فلسطيننا ، وكانت من المبادرين في الدعوة الى الكيان الفلسطيني . فركزت في افتتاحياتها ومقالاتها على أهمية ابراز الكيان الفلسطيني ، وأكدت على «ضرورة الاعتراف بكيان فلسطيني ، حر يحصل الارادة الحقيقية للشعب الفلسطيني ، غير تابع او خاضع او موجه ، وذلك للعمل على ابراز

اليك الكلمة الثورية ، وترجم اليك الواقع الثوري «(١٨)». اعتمدت «العاصفة» أسلوب النداءات العاطفية لاستنهاض الجماهير وشحذ عزائنها ، وردت على الذين كانوا يتهمون العاصفة بالتوريط «أما شعارات الخيانة والضلال التي يرفعها ادعاء التوريط فقد اسقطت مع رافعها الى مستنقع التاريخ الآسن»(١٩) ، وحددت موقفا سلبيا من منظمة التحرير الفلسطينية ووصفتها «بالمنظمة المترهلة» واعتبرت «المرحلة الحالية من الكفاح الفلسطيني الباسل قد تجاوزت المنظمة كتخطيط وكأسلوب في العمل بعد ان قامت بتجديد القضية وتجميعها في المرحلة السابقة»(٢٠). كما دعت لان تكون الوحدة الوطنية الفلسطينية «صورة صادقة للقوى الوطنية العاملة في الداخل» وليست صورة لمرحلة زمنية مضت ، حيث برزت خلالها نوات معينة على مسرح العمل الوطني لسبب او لآخر»(٢١).

٣) فلسطين — ملحق الحرر : مجلة سياسية ، تحليلية ، تثقيفية ، صدرت نصف شهرية ، بـ ١٨ صفحة من القطع الكبير ، كملحق لجريدة «الحرر» اللبنانية ، في ١١/٥/١٩٦٤ ، واستمرت بالصدور حتى ٧/٦/١٩٦٧ حيث توقفت عن الصدور بعد ان أصدرت ٧٢ عددا . صدر العددان ٦٨ و ٦٩ ، بشكل يومي والاعداد ٧٠ و٧١ و٧٢ بشكل اسبوعي. أشرف على تحريرها الشهيد غسان كنفاني ، وكانت تعبر الى حد كبير عن وجهة نظر حركة القوميين العرب من مجل القضايا الفلسطينية التي كانت مطروحة آنذاك . ولقد اختلفت « فلسطين — ملحق الحرر» عن « فلسطيننا — نداء الحياة» لكونها كانت تصدر كملحق لصحيفة لبنانية ، فكانت علنية توزع في العديد من الاقطار العربية بدون صعوبة ، وكانت الاولى من نوعها ، كصحيفة فلسطينية علنية ، مما أوجد حولها عددا كبيرا من القراء ، وبحكم علنيتها واتساع نطاق توزيعها ، فقد لعبت دورا اساسيا في طرح ومعالجة أهم القضايا التي كانت تواجهها معركة تحرير فلسطين ، وكان لها تأثير واسع في اوساط المثقفين الفلسطينيين في البلدان العربية .

لم تعتمد « فلسطين — ملحق الحرر » الطابع الاخباري ، بل اعتمدت الاسلوب الدراسي — التثقيفي ، والتحليلي ، فهي كانت اقرب الى

فلسطيني موحد ، واكدت « ان وحدة الحركة الثورية الفلسطينية المسلحة ، لا يمكن ان تتحقق عن طريق القاء الجبهات الفلسطينية في تنظيم فلسطيني واحد ... [بل] تتحقق فقط بالقضاء الطلائع الثورية المخلصة وتنظيمها حول نواة حركة فلسطينية مسلحة بعيدة عن التأثيرات الانسية وبمعزل عن الخلافات ومؤثراتها»(١٦).

بالاضافة الى موضوع الكيان الفلسطيني ، الذي شكل القضية المركزية في كل كتابات ومقالات « فلسطيننا » فقد درجت على التفكير بالمعارك البطولية لشعب فلسطين وبطولات الفدائيين في العام ١٩٥٦ ، كما درجت على تحريض الجماهير الفلسطينية ضد وكالة الامم المتحددة لاجتثاث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين باعتبارها منفذة للسياسة الصهيونية والاستعمارية(١٤). وكذلك تحريضها ضد مشاريع تصفية القضية الفلسطينية كمشروع هيرشولد ، او القبول بقرارات تقسيم فلسطين الصادرة عن الامم المتحدة في العام ١٩٤٧(١٥) ، فاعتبرت « القضاء على الناعقين بقبول التقسيم في نفس المستوى والاهمية للقضاء على دولة اليهود المجرمين » ، كما اعتبرت الدعوة لقرار التقسيم « أخطر من وجود اسرائيل [لان] التقسيم يعني القضاء على ما تبقى من فلسطين . وبالتالي على الوطن العربي كله»(١٦). كذلك فقد دأبت « فلسطيننا » في الاعداد المتقدمة منها على تعريف الجمهور الفلسطيني بتجارب الشعوب الاخرى وثوراتها التحررية ، فقدمت له التجربة الكوبية ، وحرب الانصار السوفياتية(١٧).

٢) العاصفة : نشرة اخبارية شهرية ، اصدرتها « فتح » بثماني صفحات قطع متوسط ، اعتبارا من ١٥/٥/١٩٦٥ . كانت متقطعة ولم تصدر بانتظام. لم يصدر منها الاثنان اعداد حتى شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٧ . كانت اخبارية تحريضية ، دأبت على نشر عمليات العاصفة وتطبيقات الصحف العربية والاسرائيلية على هذه العمليات بشكل مضخم ومبالغ فيه ، صدرت بالاساس لتحل محل « فلسطيننا — نداء الحياة » التي توقفت عن الصدور « واليوم ، بعد ان تجسدت أفكار فلسطيننا في الواقع عمليا ، بما بدأته قوات العاصفة في ارضنا المحتلة ، تتقدم اليك العاصفة صوتا لحركة التحرير الوطني الفلسطيني ، تحبل

بمخاطبة الأرض ، وقدمتها له بصورة مضخمة ومبالغ فيها(١٢). كما اهتم بإبراز النشاط الإسرائيلي في أفريقية ، ونهت من مخاطر ذلك(١٥). وأبرزت دور الولايات المتحدة في تسليح إسرائيل بعد العام ١٩٦٥(١٦). بالإضافة الى ذلك ، فقد تصدت ، بالدرس والتحليل ، لتضاييا العمل الوطني الفلسطيني التي كانت مطروحة آنذاك ، والتي كان يقف على رأسها موضوع منظمة التحرير الفلسطينية ، دورها والموقف منها ، ثم وحدة العمل الفلسطيني ، ودور العمل الفدائي الفلسطيني في معركة التحرير . ويمكن القول ، انه لم يخل عدد من اعداد « فلسطين - ملحقات المحرر » من التعرض لموضوع او أكثر من هذه المواضيع . وكانت في تعاطيها مع هذه المواضيع ، تنطلق من وجهة نظر سياسية محددة ، هي وجهة النظر التي كانت تعبر عنها حركة التوميين العرب في تلك الفترة ، مما دفع بها الى ان تخوض نقاشا علنيا مع منظمة « فتح » حول موضوع العمل الفدائي الفلسطيني ودوره في معركة التحرير(١٧).

لقد اتخذت « فلسطين - ملحقات المحرر » موقف المؤيد مع تحفظ من منظمة التحرير الفلسطينية ، فكانت تؤكد ايجابيات ظهور المنظمة في إبراز الشخصية الوطنية الفلسطينية والكيان الفلسطيني ، بنفس الوقت التي كانت تتوجه بالنقد ضد الممارسات والتصرفات الفردية لاجد الشقري ، رئيس المنظمة آنذاك ، كما كانت توجه النقد للمنظمة لعدم قدرتها على تجاوز تناقضات الانظمة العربية وتعبئة توى الشعب الفلسطيني ، وانتقدت بشدة موقف قيادة المنظمة من الحزبيين من الفلسطينيين ومحاولة ابعادهم عن المنظمة فنهت الى خطورة مثل هذا الاتجاه ، فانتقد الشهيد فسان كنفاني ، في مقال له ظاهرة محاربة الحزبيين ووصفها « بظاهرة خطيرة كل الخطورة » تعمل على تشتيت القوى الثورية والتقدمية(٢٨). بالإضافة الى ذلك ، فقد دعت لان تكون منظمة التحرير الفلسطينية الارضية التي يتم عليها ، ومن خلالها ، وحدة كسل التنظيمات الفلسطينية ، ودعمت جميع هذه التنظيمات للدخول في المنظمة والمشاركة في جميع نشاطاتها(٢٩). وبالنسبة لوحدة العمل الفلسطيني ، فقد تبنت الدعوة لوحدة العمل الفلسطيني ، ولكن ربطت

مخاطبة عقول المثقفين ، من مخاطبة الجمهور ، فقد كانت اعدادها ، حافلة باستمرار ، بالدراسات المطولة وبالأبحاث والتعليقات التي تناولت معظم جوانب الصراع العربي - الإسرائيلي ، واستكبت لذلك عددا من الكتاب الفلسطينيين البارزين ، منهم : برهان الدجان ، وخري حماد ، ووليد الخالدي ، والدكتور منذر عنبتاوي ، والدكتور فايز صايغ . بالإضافة الى ذلك ، فقد كانت اول صحيفة تبادر بتعريف القارئ العربي والفلسطيني ، بالادب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة ، وبعض جوانب الادب الصهيوني ، فقدت على صفحاتها عددا من شعراء الأرض المحتلة ، كما اهتمت ايضا بالادب الفلسطيني بشكل عام . فخصصت صفحتين كاملتين من كل عدد للتعريف بالادب الفلسطيني ، لقد صدرت « فلسطين - ملحقات المحرر » بعد الاعلان عن ولادة منظمة التحرير الفلسطينية فجماعت لتسد فراغا لدى القارئ العربي ، في وقت برزت فيه القضية الفلسطينية ، وتصدرت الاحداث في المنطقة بازدياد حدة المواجهة بين اسرائيل واندول العربية ، بعد نجاح اسرائيل في تحويل نهر الاردن ، وفي وقت بدأت تتطور فيه البدايات الاولى لبروز شخصية وطنية فلسطينية ، وازداد فيه الحديث عن دور شعب فلسطين في معركة التحرير . ولذا فقد ركزت على مناقشة ومعالجة معظم القضايا المتعلقة بالصراع العربي - الإسرائيلي ، والتي برزت آنذاك ، من وجهة نظر محددة ، تتعارض مع وجهة النظر التي دعت اليها « فلسطيننا - نداء الحياة » و « العاصفة » فمن ناحية ، اهتمت بتعريف القارئ العربي بواقع العدو الإسرائيلي ، ويلاحظ في هذا المجال ، تركيزها على قوة العدو العسكرية ، واعطت اهتماما لاحتمال امتلاكه للقنبلة الذرية(٣٠)، ولم يكن هذا التركيز الا خدمة لموقفها السياسي الذي كان يرى في العمل الفدائي الفلسطيني مجرد عمل « ملحقات بالجيش النظامية منه للشورات الشعبية المسلحة »(٣١) كما اعطت اهتماما لموضوع الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة ، وقدمت للقارئ العربي صورة اولية عن الاحزاب الاسرائيلية واتجاهاتها ، واهتمت باوضاع العرب داخل الأرض المحتلة وبرزت نضالاتهم ضد الحكم العسكري الإسرائيلي ، وعرفت القارئ العربي

دعت منظمة التحرير الفلسطينية الى تبني العمل الفدائي واحتوائه « ان واجب المنظمة هو احتواء العمل الفدائي الفلسطيني في هذه المرحلة ، وكذلك من واجب المنظمات ان تفتح على منظمة التحرير وتتفاعل معها بهدف الوصول الى وحدة العمل الفدائي في الساحة الفلسطينية » (٢٧) واعتبرت تبني العمل الفدائي الاساس في أي استراتيجية موحدة للعمل الفلسطيني « ان الوحدة الوطنية هي وصول كافة القوى الفلسطينية العاملة في الساحة بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية الى استراتيجية موحدة للعمل الفلسطيني الثوري في هذه المرحلة ، تستطيع القوى مجتمعة ان تقاوم من خلالها ، وكل توجه لخلق وحدة وطنية في هذه المرحلة لا يقوم على هذا الاساس يبقى توجهها ناقصا ... هذه الاستراتيجية تتلخص في تبني العمل الفدائي ووضعه في المرتبة الاولى و ... » (٢٨).

بالاضافة الى هذه القضايا ، فقد تفردت « فلسطين - ملحق الحرر » بالمبادرة الى تبني وطرح شعار الحرب الاستباقية او الوقائية ضد اسرائيل . فركزت على تنامي قوتها العسكرية واحتمال امتلاكها للسلاح الذري ، لتدعم دعوتها للحرب الوقائية « ان حربا وقائية عربية هي المطلوب الان ، وبلا تردد ، هدفها المرطي بايجاز ، منع اسرائيل من انجاز سلاح نووي وتصدير حجبتها الدولي ، وان القوة العسرية المرشحة لهذه المهمة والقادرة عليها بشروط هي المتحدة [الجمهورية العربية المتحدة] والشروط هي صعود الجبهات العربية الأخرى » (٢٩) ، وبلغ من حماسها لهذا الشعار ان اعتبرته احد شروط وحدة العمل الفلسطيني وجانبا أساسيا من استراتيجيته « ان الوصول الى استراتيجية موحدة للعمل الثوري الفلسطيني في هذه المرحلة ، تقوم من جملة ما تقوم عليه ، على الدعوة الى حرب وقائية تحوّلها الانظمة العربية الثورية لتحطيم منشآت اسرائيل الذرية » (٤٠).

لقد كانت هذه ، أهم القضايا والمواضيع التي عرضتها وناقشتها « فلسطين - ملحق الحرر » في هذه الفترة ، التي امتدت نحو سنتين ونصف ، وعلى الرغم من تركيزها على هذه القضايا ، فقد كانت تولي اهتماما لتعريف القارئ ببعض

أي توجه لهذه الوحدة بالاتفاق مسبقا على استراتيجية العمل الفلسطيني ، وبشكل خاص حول دور العمل الفدائي الفلسطيني « ان وجود تصور واضح لمعاني السدور الفدائي لشعب فلسطين ، امر لا يجوز تجاهله او اغفاله ، ولا قيمة مطلقا لاي لقاء مفتعل بين القوى الفلسطينية اذا هي لم تتمكن بصبر وجلد ، ان تتوصل الى قناعة مشتركة حول استراتيجية العمل الفدائي الفلسطيني » (٣٠). وكانت تختلف مع منظمة « فتح » حول العمل الفدائي الفلسطيني ودوره في معركة التحرير ، فقد نظرت الى مبادرة « فتح » بالاعلان عن قيامها بعمليات فدائية داخل الارض المحتلة ، بعدم ارتياح وعاملته بحذر لا يخلو من نقد قاس ، وكانت ترى فيه نوعا من التورييط للجمهورية العربية المتحدة « ان هناك خطأ فاحشا في قذف هذا العمل [الفدائي] الى الساحة بغير توقيت صحيح ، وبغير غاية عسكرية واضحة متصلة بحقيقة دوره في معركة التحرير وبدون تنسيق واضح مع القوى العربية القادرة على خوض معركة التحرير » (٣١). وحددت نظرتها للعمل الفدائي الفلسطيني باعتباره عملا متما او مكمل لدور الجيوش العربية ، وان اداة الحسم الرئيسية في معركة تحرير فلسطين هي جيوش الدول العربية المحيطة بفلسطين وبشكل خاص الجمهورية العربية المتحدة (٣٢). ونادت بالتنسيق بين العمل الفدائي الفلسطيني والدول العربية ذات الاهتمام المباشر بالصراع العربي - الاسرائيلي (٣٣). وعليه ، فلم تعط اهتماما اختياريا للعمليات الفدائية التي كانت تقوم بها العاصفة ، الا في اعدادها الأخيرة عندما ظهر في اواخر العام ١٩٦٦. ومن نصف العام ١٩٦٧. تنظيمان فدائيان كانا مرتبطين بحركة القوميين العرب ، هما ، منظمة ابطال العودة التي اعلنت عن بدء عملياتها الفدائية في اواخر العام ١٩٦٦ (٣٤) ، ومنظمة شباب النار التي اعلنت عن بدء عملياتها الفدائية في اواسط العام ١٩٦٧ (٣٥). ولذا فقد اخذت تبرز العمليات الفدائية في صدر صفحاتها وبعناوين بارزة ، مع التركيز على دور العمل الفدائي الفلسطيني واهميته ، الا ان هذا الابرار لم يدفع بها الى التخلي عن نظرتها للعمل الفدائي باعتباره جزءا من استراتيجية عربية موحدة (٣٦) ، ولذا فقد

صحافة المقاومة بعد هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ حتى الآن

شكلت هزيمة الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، بداية مرحلة ، احدثت انعطافا هاما في تاريخ النضال الوطني الفلسطيني ، فقد حسبمت الهزيمة الجدل الذي كان سائدا بين القوى الوطنية الفلسطينية في المرحلة السابقة ، حول دور الشعب الفلسطيني في معركة التحرير ، فأكدت ضرورة ابراز الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة ، والدور الخاص للشعب الفلسطيني في معركة التحرير ، كما اكدت سيادة العمل الفدائي الفلسطيني ، واعتباره البداية في انهاء حرب تحرير شعبية لمواجهة الهجمة الامبريالية الصهيونية . كذلك فقد شكلت الهزيمة ظرنا موضوعيا مؤتيا ، دفع بانهاض حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة ، وشمول ظاهرة الكفاح المسلح الفلسطيني اوسع الجماهير الفلسطينية ، بتجاوزها اطار العمل السري المحدود والطلائعي الى اطار العمل العلني الواسع والجهايري . مما وضع صحافة المقاومة امام مرحلة جديدة وفي مواجهة قضايا ومهمات تختلف عما واجهته في المرحلة الماضية .

لقد كانت أبرز ظاهرة في صحافة المقاومة في هذه الفترة ، هي نموا السريع ، وتعددها الذي قام في معظمه على اساس التعدد التنظيمي في الساحة الفلسطينية ، وعلى اساس تمسك الصحف والنشرات التي كان يصدرها كل تنظيم . وفيما يلي تعريف اولي بمعظم هذه الصحف والنشرات .

« اولا » — صحف ونشرات مركزية ، وهي الصحف والنشرات الرسمية التي كانت تصدرها وتشرف عليها جهات مركزية في هذا التنظيم او ذاك ، وتعتبر الناطقة باسمه ، وهي على نوعين :

أ — صحف لبنانية جرى استئجار او شراء امتيازها من قبل منظمات فلسطينية ، ولكن باسماء اشخاص لبنانيين كما ينص على ذلك قانون الصحافة اللبنانية ، وهذه الصحف هي :

١ — الهدف : صحيفة سياسية يومية لبنانية بالاساس ، اشترت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين امتيازها باسم الشهيد غسان كنفاني ،

جوانب التاريخ الفلسطيني الحديث ، وبالمارك التي خاضها الشعب الفلسطيني ، والتعريف بأهم مناضليه وشهادته وكذلك التعريف بالمدن والبلدان الفلسطينية المحتلة . الا ان الملاحظ انها ، وصحف المقاومة الاخرى التي ظهرت في هذه الفترة ، لم تول اهتماما لوضع الفلسطينيين في البلدان العربية ، والتقود التي كانت تفرضها الانتلثة العربية على تنقلاتهم وعملهم (٤٤) . وكان الاهتمام فقط ينصب على دور وكالة الامم المتحدة لاعتاق وتسهيل اللاجئين الفلسطينيين ، كأداة لتذويب وتصفية القضية الفلسطينية . ولم تتعرض « فلسطين — ملحق الحرر » للوكالة الا في اعدادها الاخيرة (٤٤) .

٤ — اخبار فلسطين : صحيفة اسبوعية سياسية صدرت في غزة ، كناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية في ٤/١٠/١٩٦٥ ، واستمرت في الصدور حتى حرب حزيران « يونيو » ١٩٦٧ ، حانت بالاساس تصدر باسم زهير الرئيس ، ثم تنازل عن الامتياز للمنظمة ، واستلم رئاسة تحريرها (٤١) صدرت بـ ٨ صفحات قطع كبير ، خان طابعها اخباريا ، ركزت على ابراز اخبار منظمة التحرير الفلسطينية ونشاطاتها ، مع بعض التعليقات التفسيرية والسطحية حول علاقات منظمة التحرير الفلسطينية الخارجية ، وتأثيرات بعض القضايا الدولية على القضية الفلسطينية . كانت في موافقتها من قضايا العمل الفلسطيني ، منسجمة مع مواقف الجمهورية العربية المتحدة ، ففي البداية تجاهلت العمليات الفدائية الفلسطينية التي بدأتها العاصفة ، واعتبرت العمل الفدائي مرتبطا بالاستراتيجية العربية «من الطبيعي بل ومن الضروري ان يكون واضحا ومؤكدا ان حرب الفدائيين ترتبط ارتباطا كليا ووثيقا باستراتيجية التحرير وبالمخطط المرطلي له ، اي انه لا بد لها ان تأتي في مكانها من الخطة ، وفي دورها المد له من ادوار العمل» (٤٤) ، الا انها في اواخر العام ١٩٦٦ ، اخذت تبرز العمليات الفدائية داخل الارض المحتلة في صدر صفحاتها وبمناوين بارزة (٤٥) . كذلك فقد تبنت شعار الحرب الوقائية ، ولكن دون اهتمام او ابراز (٤٦) .

واصدرتها اسبوعية اعتباراً من ١٩٦٩/٧/٢٦ وتعتبر الصحيفة المركزية الناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . استلم الشهيد غسان كنفاني رئاسة تحريرها حتى استشهاده في تـوز (يوليو) ١٩٧٢ ، فحل محله في رئاسة تحريرها بسام ابو شريف . صدرت بـ ٢٠ صفحة قطع كبير حتى العدد ٢٦٢ ، واعتباراً من العدد ٢٦٣ الصادر بتاريخ ٧٤/٨/٣ صدرت بـ ٤٤ صفحة قطع صغير مع ادخال تعديلات فنية على تيوبوها واخراجها . بإمكان « الهدف » ان تصدر يومية ، الا أن الصعوبات المالية تحول دون ذلك (٤٧)، غير انها في بعض المناسبات ، كانت تصدر يومية لتغطية الاحداث (٤٨) . جمعت « الهدف » بين الطابع الاخباري كصحيفة اسبوعية ، والطابع التحليلي - التثقيفي ، اي المقال السياسي مع الدراسات النظرية المكتفة ، وهي بهذا كانت اقرب الى مخاطبة المثقفين من مخاطبة الجمهور العادي . الا أن هذا لم يحل دون اعتمادها الاسلوب التحريضي في مواجهة الاحداث الساخنة والتي تتطلب تعبئة جماهيرية . وصفت « الهدف » نفسها بانها مجلة « يقف وراءها شباب يقتنعون فكريا ثوريا » وبررت صدورها بـ « رفضها لكل الصيغ العاجزة المتخذة حيناً طابع المساومة ، وحيناً طابع المهادنة ، وحيناً ثالثاً طابع الوسيلة ، وهي تعتقد هذا الرنص الثوري اساساً للمعركة المصرية » وقالت « انها تأتي رداً على الصناعة الاعلامية العربية التي استغلتها القيم التجارية وقيم المجتمع المنهار... وفي دوامة العجز والفشل» و اضافت « انها لن تسمح لمواقف الارتجال والانفعال والمزايدة ان تحل مكان مواقف الموضوعية والعلمية » (٤٩) . وقد اهتمت « الهدف » كغيرها من صحف المقاومة الاخرى بالقضية الفلسطينية وعالجتها من وجهة نظرها الخاصة ، ففي الوقت الذي ركزت فيه على معظم القضايا العامة التي اهتمت بها صحف المقاومة الاخرى ، فقد اهتمت بابرار العمليات الخارجية التي ميزت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، كما ركزت على المقاومة داخل الارض المحتلة وبشكل خاص في غزة (٥٠) .

٢ - الحرية ، صحيفة سياسية اسبوعية ، تصدر في لبنان ، اشترت حركة القوميين العرب امتيازها في العام ١٩٥٩ ، وكانت تعبر عن وجهة

نظرها . ومع الاعلان عن قيام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعد حرب العام ١٩٦٧ ، اخذت تعبر عن وجهه نظرهما ، الا انه على ضوء الخلافات التي نشبت داخل الجبهة الشعبية ، عبرت عن تعاطفها مع الجناح اليساري في الجبهة ، وعقب الانشقاق الذي حصل في حركة القوميين العرب ، وغرعاها الفلسطيني الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، في اوائل العام ١٩٦٩ ، باتت تعبر عن وجهة نظر الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، فلسطينياً ، وعن وجهة نظر منظمة العمل الشيوعي اللبناني ، عربياً ودولياً (٥١) . صدرت « الحرية » بـ ١٦ صفحة قطع كبير ولا زالت ، ذات طابع تحليلي - دراسي ، مع جانب اخباري ، ركزت على الدراسات النظرية والقضايا الفكرية ، وهي بذلك كانت اقرب الى مخاطبة المثقفين من مخاطبة الجمهور العادي . امتازت عن غيرها من صحف المقاومة الاخرى ، بالتركيز بشكل مستمر وكثيف على القضايا اللبنانية ، وبالدخول في صراعات فكرية وسياسية مع الاحزاب الشيوعية العربية ، واتخذت موقفاً نقدياً من مواقف الاتحاد السوفياتي تجاه القضية الفلسطينية في البداية ، الا ان هذا الموقف تغير بعد حرب تشرين « اكتوبر » ١٩٧٣ ، حيث اخذت تبدو متعاطفة مع المواقف السوفياتية تجاه القضية الفلسطينية (٥٢) . كما امتازت بالمبادرة في تعريف القارىء بأوضاع اليسار غير الصهيوني في اسرائيل (٥٣) ، وبتعبق وتكثيف الحوار حول شعار دولة فلسطين الديمقراطية . اتخذت الحرية في البداية ، موقفاً معارضاً للوحدة الوطنية الفلسطينية من خلال منظمة التحرير الفلسطينية ؛ « فمُنظمة التحرير لم تعد خاصة بعد الخامس من حزيران ، قادرة على ان تشكل الاطار الذي يجمع حركة المقاومة الفلسطينية ، ولا الاطار القادر على توحيدها ، بل ان هناك دوائر فلسطينية ترى خطراً كبيراً يتهدد العمل المندائي من جراء ارتباطه بمنظمة التحرير ، بسبب علاقات المنظمة الوثيقة بالحكومات العربية... وتصرى في موافقة المنظمات المندائية على العمل من داخلها نوعاً من احياء الاموات » وطالبت ببحث قضية الوحدة الوطنية « خارج اطار منظمة التحرير وبين فرقاء ثوريين وعلى اساس من الفهم المشترك لقضايا النضال الفلسطيني » (٥٤) ، الا ان هذا

فرض الوحدة الوطنية .

لم تكن هذه الصحف الثلاث ، تتمتع بالحريّة نفسها التي تمتعت بها صحف المقاومة الأخرى ، لأنها خاضعة لقانون المطبوعات اللبناني ، الذي يفرض رقابة على الصحف اللبنانية ، إلا أنها امتازت عن صحف المقاومة الأخرى ، بوضعها المستقر نسبياً ، وانتظام صدورها ، وكذلك يكونها أكثر انتشاراً ، لأنها كانت توزع كأي صحيفة لبنانية ، وبحصولها على مردود مالي من مبيعاتها ، أو من بعض الإعلانات القليلة ، كانت تغطي به جزءاً من مصاريفها ونفقاتها .

ب - صحف ونشرات مركزية دورية أصدرتها منظمات المقاومة المختلفة ، لتعبر عن وجهة نظرها ، وقد صدرت هذه الصحف والنشرات في فترات متفاوتة ، ولم تكن كلها على درجة متقاربة من الجودة والأخراج الصحفي ، كما خضع معظمها لكثير من التغييرات ، سواء من حيث الأخراج أو انتظام الصدور ، فبعضها توقف عن الصدور بعد فترة ، وبعضها كان يعاود الصدور بعد فترة من التوقف ، ويمكن اجمال أهم هذه الصحف والنشرات بما يلي :

● من منظمة التحرير الفلسطينية .

١ - جريدة « فتح » وهي جريدة سياسية يومية ، صدرت بالاساس كناطقة بلسان حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » في ١٥/٦/١٩٧٠ ، ثم أخذت تصدر كناطقة بلسان اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية اعتباراً من العدد ١٧ بتاريخ ٣/٧/١٩٧٠ ، كانت تصدر في عمان ، بـ ٤ صفحات قطع كبير ، توقفت عن الصدور نحو شهرين من ٢٦/١/١٩٧١ - ٣/٢/١٩٧١ ، ثم عاودت الصدور من دمشق . وظلت تصدر يومية حتى تاريخ ٦/٨/١٩٧١ ، حيث صدرت اسبوعية اعتباراً من تاريخ ١٨/٨/١٩٧١ باعتبارها الجريدة المركزية الناطقة بلسان منظمة التحرير الفلسطينية . صدرت بـ ١٦ صفحة قطع متوسط ، واستمرت في الصدور اسبوعية حتى العدد ٣٤٠ بتاريخ ٣١/٥/١٩٧٢ ، حيث توقفت عن الصدور بقرار من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وصدرت بدلا عنها مجلة « فلسطين الثورة » . كانت « فتح » جريدة اخبارية -

الموقف السلبي تغير باتجاه ايجابي في فترة لاحقة ، فأخذت تدعو الى الدخول في المنظمة والمؤسسات المنبثقة عنها والعمل على تئويرها من الداخل « ومن هنا بات على يسار حركة المقاومة ان يتعامل مع الواقع القائم والتضال في نفس الوقت من أجل تغييره » (٥٥) . انتمت « الحرية » بكونها صحيفة يسارية ، فانضدت موقفاً ناقداً وتحريضياً ضد الانظمة العربية . بمجموعها ، واهتمت بالتركيز على اوضاع حركات التحرر الوطني العربية ذات الصفة اليسارية ، بشكل اكثف من « الهدف » او « الى الامام » فابرزت الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي ، وقدمت العديد من الدراسات السياسية والنظرية عنها (٥٦) ، كذلك فقد اهتمت بتقديم دراسات نظرية مكثفة عن الماركسية ، من وجهة نظرها الخاصة ، بحكم انتماؤها الايديولوجية .

٢ - الى الامام ، مجلة سياسية اسبوعية ، تصدر في لبنان ، صدرت كناطقة بلسان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة ، اعتباراً من العدد (٢٩٥) بتاريخ ١٧/٤/١٩٧٠ ، بعد ان تم استئجار امتيازها من قبل الجبهة الشعبية - القيادة العامة ، من صاحبها نسيب نمر ، ثم اشترت القيادة العامة امتيازها في فترة لاحقة ، رأس تحريرها ولا يزال ، فضل شرورو ، صدرت بـ ١٦ صفحة قطع كبير ، ثم صدرت بـ ٢٨ صفحة قطع متوسط اعتباراً من العدد ٢٨٩ في اواخر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ . قدمت نفسها في العدد الاول كناطقة باسم الجبهة الشعبية - القيادة العامة ، وبأنها « تلتزم اساساً بالثورة الفلسطينية غير منطلقة من تعصية تنظيمية [وتلتزم] بخط الانظمة الثورية العربية ، باتجاهاتها الداخلية لصلحة جماهيرها ، وبموقفها الجاد الواضح من التعصية الفلسطينية » . طابعها اخباري - تحليلي ، تلت من الاعتماد على الدراسات النظرية الفكرية ، وركزت على المآلات والتحليلات السياسية القصيرة ، اهتمت بالتركيز على الشؤون الفلسطينية . وقللت من التركيز على قضايا حركة التحرر الوطني العربية ، اعطت اهتماماً لموضوع الوحدة الوطنية ، فانززت نسي اعدادها الاولى باباً باسم « ايها المقاتلون اتحدوا » لتخاطب به قواعد المقاومة ومقاتليها تدعوهم الى

عسكرية ، صدرت في البداية نصف شهرية ، عن ادارة التوجيه المعنوي في جيش التحرير الفلسطيني بسـ ١٨ صفحة قطع صغير في ١٩٦٨/٦/١ ، واعتبارا من العدد التاسع ، صدرت شهرية بسـ ٥٠ صفحة حتى العدد ٥٣ ، حيث زادت صفحاتها الى ٩٨ صفحة . ومن تموز (يوليو) ١٩٧٢ حتى اذار (مارس) ١٩٧٢ ، غيرت اسمها الى المجلة العسكرية الفلسطينية ، ثم عادت وصدرت بالاسم القديم . اهتمت بقضايا الثورة الفلسطينية ، واهرت اخبار جيش التحرير الفلسطيني وقوات التحرير الشعبية ، ركزت على الدراسات العسكرية ، وغلب عليها الطابع الدراسي والمقالات المطولة .

٢ - الجندي ، نشرة اخبارية نصف شهرية ، صدرت بسـ ٤ صفحات اعتبارا من شباط (فبراير) ١٩٧٢ ولا زالت مستمرة في الصدور .

٣ - الثوري ، نشرة نصف شهرية ، اصدرتها قوات التحرير الشعبية ، في تموز « يوليو » ١٩٦٩ ، لم يصدر منها الا ٢٢ عددا حتى اب (اغسطس) ١٩٧٢ ، حيث توقفت عن الصدور . وهي نشرة اخبارية - اعلامية . كانت تصدر بأربع صفحات وحيانا ثنائي صفحات .

● عن حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)

١ - فتح ، نشرة اسبوعية ، اصدرها الاعلام المركزي لفتح في ايار (مايو) ١٩٦٩ بسـ ٨ صفحات قطع صغير ، تصدر متقطعة وبغير انتظام . طابعها اخباري - تثقيفي ، مع بعض التحليلات السياسية في بعض الاحيان .

٢ - المسيرة ، مجلة اسبوعية ، صدرت عن دائرة التعبئة والتوجيه السياسي في القيادة العامة لقوات العاصمة ، ابتداء من كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢ بسـ ٤٤ صفحة قطع صغير ، توقفت عن الصدور بعد العدد ٣٦ ، طابعها اخباري مع التركيز على بعض النواحي العسكرية .

٣ - الثورة الفلسطينية ، مجلة سياسية ، صدرت نصف شهرية في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ بسـ ٢٨ صفحة قطع صغير ، وتوقفت عن الصدور بعد العدد ١٥ ، ثم عادت للصدور شهرية ، وبـ ٨٠ صفحة قطع صغير في حزيران (يونيو) ١٩٦٩ ، لم تكن منتظمة في صدورها في العام ١٩٧١ ، وتوقفت عن الصدور في اواسط العام ١٩٧٢ .

تحريرية ، وجاءت لتسد فراغا في الساحة الاردنية ، في وقت كانت تنفتر فيه المقاومة في الاردن الى جريدة يومية تلاحق الاحداث يوما بيوم ، وفي وقت كانت تنفتر فيه حركة المقاومة الى جريدة تنطلق باسمها ، وتعتبر عن وجهة النظر الرسمية لها . لعبت جريدة « فتح » دورا تحريريا خلال الاحداث التي شهدتها الاردن في اواخر العام ١٩٧٠ واولئ العام ١٩٧١ ، وكانت توزع باعداد كبيرة ، فقد وصل مجموع ما كانت تطبعه اثناء صدورها في الاردن ، ١٠٠ الف نسخة ، كان يوزع منها في الاردن ٤٠ الف نسخة (٥٧) .

٢ - فلسطين الثورة ، مجلة سياسية

اسبوعية ، صدرت في ١٩٧٢/٦/٢٨ باعتبارها الصحيفة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، صدرت في البداية بسـ ٢٠ صفحة قطع متوسط ، ثم بسـ ٢٨ صفحة قطع صغير ، وزادت صفحاتها الى ٤٤ و ٥٢ في الاشهر الاخيرة من العام ١٩٧٤ . وهي مجلة اخبارية تطبيقية ، اعتمدت المقالات والتحليلات السياسية القصيرة ، مع تقديم بعض الدراسات النظرية بين حين وآخر ، وقدمت نفسها في العدد الاول بانها « تجسيد اولي للمسامي الذؤوبة والنضال الطويل نحو تحقيق الوحدة العضوية بين فصائل المقاومة » واضافت انها « التعبير عن فكر الثورة ووحدة مواقفها ومراكزها التوجيهية في مرحلة التحرير الوطني ، والتي من شأنها ان تنفي حالة الضياع والبعثرة والتشردم التي حوت بها المسيرة » . كانت تطبع في بداية صدورها عشرة الاف عدد ثم زادت الى ٢٥ الف يوزع منها في لبنان ثمانية الاف عدد (٥٨) ، وتوزع في معظم الاقطار العربية عبر مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية . وقد حققت قفزة نوعية في محتوياتها في السنة الماضية .

٣ - القاعدة ، نشرة شهرية اصدرتها دائرة التنظيم الشعبي في منظمة التحرير الفلسطينية ، ابتداء من ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ بسـ ١٨ صفحة قطع متوسط ، ليست منتظمة ، تعني بشؤون الاتحادات النقابية والمهنية الفلسطينية .

● عن جيش التحرير الفلسطيني وقوات التحرير الشعبية .

١ - صوت فلسطين ، مجلة سياسية -

ولم يصدر منها بعد ذلك الا عدنان ، كان الاخير في تموز (يوليو) ١٩٧١ . لم تقم « الشراة » بالمهام التي حددتها لنفسها ، حيث كانت تتوقف عن الصدور بين فترة واخرى ، وان اهميتها تعود الى الدور التحريفي الذي لعبته ايان - استخدام الصراع في الاردن خلال شهري آب (اغسطس) وابول (سبتمبر) ١٩٧٠ .

٢ - المقاومة ، نشرة اخبارية يومية ، صدرت بانتظام من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧١ حتى آب « اغسطس » ١٩٧٢ .

● عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة :

١ - الجبهة ، مجلة سياسية شهرية ، صدرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩ ، لم تكن منتظمة ، فلم يصدر الا عشرة اعداد خلال عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ . صدرت في البداية ب ٢٦ صفحة قطع صغير ، ثم زيدت الى ٤٨ صفحة ، كان طابعها اخباريا - تنقيفا ، اهتمت بتعريف القارئ بالحركة الصهيونية وبيع بعض تجارب الشعوب في نضالاتها التحريزية .

٢ - ١٧ ايلول ، نشرة شهرية صدرت في العام ١٩٧١ ، لم تكن منتظمة ، اصدرت بضعة اعداد ، ثم توقفت عن الصدور . كانت اخبارية ، اعلامية .

٣ - القاعدة ، نشرة تحريضية ، دورية ، غير منتظمة بمواعيد اصدار محددة ، صدرت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢ ب ٤ صفحات قطع كبير .

● عن طلائع حرب التحرير الشعبية - قوات الصاعقة :

١ - الطلائع ، مجلة سياسية اسبوعية ، اصدراها الاعلام المركزي لقوات الصاعقة في ٣/١٠/١٩٦٩ باعتبارها المجلة المركزية للناطقة بلسان طلائع حرب التحرير الشعبية ، ولا زالت مستمرة بالصدور بانتظام ، صدرت ب ١٦ صفحة من القطع الكبير ، واعتبارا من العدد ٨٢ بتاريخ ٦/٧/١٩٧١ ، اخذت تصدر باعتبارها ناطقة باسم اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية ، ثم باعتبارها ناطقة بلسان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من العدد ٩١ ، ثم توقفت عن الصدور بهذه الصفة اعتبارا من العدد ١٢٥ ، بعد ان تم الاتفاق بين منظمات المقاومة على تشكيل مكتب

اتخذت في الاعداد الاولى من صدورها ، طابعها اخباريا - تعبوي ، ثم اخذت في الاعداد اللاحقة تركز على النواحي التنقيفية ، وتقديم فكر «فتح» بطريقة مبسطة . اهتمت بشؤون الثورة الفلسطينية ، ولم تهتم بقضايا حركة التحرر الوطني العربية ، وقد عبرت عن نفسها بأنها ضد الايديولوجية ، فالثورة « تصنع بالعنف الثوري المسلح ، بلا تمهيدات ايديولوجية مباحة تبيد الزمن ، فالمهيدات الايديولوجية قد تمت في التاريخ » (٥٩) .

٤ - اصداء الثورة الفلسطينية ، نشرة اعلامية شهرية ، اصدرتها قوات العاصفة في العام ١٩٦٩ ، توقفت عن الصدور حتى نيسان (ابريل) ١٩٧٠ لم يصدر منها الا ١٤ عددا .

● عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين :

١ - الجماهير ، نشرة يومية صدرت في عمان في ٢٩/٧/١٩٧٠ بصفتين قطع صغير ، واستمرت في الصدور حتى ١٧/٩/١٩٧٠ . كانت نشرة تحضيرية ، اصدرتها الجبهة الشعبية ايان احتدام الصراع في الاردن بين حركة المقاومة والنظام الاردني بعد طرح مشروع روجرز .

● عن الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين :

١ - الشراة ، صدرت في حزيران (يونيو) ١٩٦٩ في عمان ، كجريدة شهرية ناطقة بلسان اللجنة المركزية للجبهة الشعبية الديمقراطية ، وعرفت نفسها في العدد الاول بأنها ، حاملة راية المشردين والعمال والفلاحين ... ومثير يدافع عن الثورة العالمية وعن ارتباط ثورتنا الفلسطينية بها ، [وانها تسمى من اجل] رفع مستوى يقظة الجماهير وشحذ عزيمتها [ومن اجل بناء] جبهة وطنية. تصير كل القوى ذات المصلحة في الثورة والتحرير بقيادة الثوريين الحقيقيين ... ولاتقاء المزيد من الضوء على كافة الحقائق المتعلقة بالقضية الفلسطينية ولهاثها وراء الحل السلمي التصوني . صدرت في البداية ب ٤ صفحات قطع كبير ، ولم ينتظم اصدارها او عدد صفحاتها ، لم يصدر منها قبل شهر آب (اغسطس) ١٩٧٠ الا سبعة اعداد ، انتظم اصدارها كجريدة نصف اسبوعية من العدد ٨ - ١٧ ، ايان احتدام الصراع في الاردن بعد طرح مشروع روجرز ،

الاعلام الموحد واعتبار « فلسطين الثورة » المجلة الرسمية الوحيدة الناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية ، وتابعت الصدور كثرة داخلية خاصة بقوات الصاعقة ب ٨ صفحات حتى العدد ١٥٠ ، واعتبارا من العدد ١٥١ بتاريخ ١٩٧٣/٥/٢٨ ، عاودت الصدور باعتبارها المجلة المركزية الناطقة بلسان قوات الصاعقة ، وبررت عودتها بعدم التزام منظمات المقاومة بالاعلام الموحد ، واتهمت « فتح » بالانفراد في توجيه الاذاعات الفلسطينية ومجلة « فلسطين الثورة » وأشارت الى استمرار منظمات المقاومة الأخرى باصدار مجلاتها وصحفها وقالت « أما وقد طال انتظارنا ، ولم يحدث أي تغيير في اتجاه ايجابي يكرس وحدة اعلامية ، فقد كان لا بد من ان تصدر مجلة « الطلائع » (٦٠) ، واعتبارا من العدد ١٧٠ ، لم ينتظم عدد صفحاتها ، فاحيانا كانت تصدر ب ٣٢ صفحة واحيانا ب ٢٤ صفحة قطع أقل من متوسط ، واحيانا تصدر ب ١٦ صفحة فقط . اتسمت بالطابع الاخباري - التحليلي ، اعتمدت الصورة والكاريكاتور بشكل بارز ، ابتعدت عن المقالات الطويلة والدراسات النظرية المكثفة ، واعتمدت المقالات البخرية الاخبارية والتحليلية . الا ان الامر لم يكن يخلو ، من تقديم بعض الدراسات السياسية الطويلة في حلقات متسلسلة (٦١) . امتازت الطلائع عن صفح المقاومة الأخرى ، بالتركيز على اوضاع العرب الدروز تحت الحكم الاسرائيلي ، سواء من كان منهم في الجولان او في الاراضي العربية المحتلة منذ العام ١٩٤٨ (٦٢) ، كما امتازت باعتماد الريبورتاج والتحقيقات الصحفية ، أكثر من صفح المقاومة الأخرى .

● عن الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين :

١ - **الشرارة** ، نشرة مركزية دورية ، صدرت في البداية في اوائل العام ١٩٧١ ، كثرة داخلية ، من الفرع اللبناني للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، واستمرت تصدر بهذه الصفة حتى العدد الخامس ، ثم اعتبارا من العدد السادس ، صدرت باعتبارها الصحيفة المركزية للجبهة الشعبية الثورية ، لم ينتظم اصدارها ولا عدد صفحاتها ، فلم يصدر منها حتى نهاية العام ١٩٧٤ الا ٢١ عددا ، واحيانا كانت تصدر كثرة ، واحيانا كمجلة ، واعتبارا من العدد ١٧ صدرت كثرة ب ٤ صفحات قطع متوسط ، اتخذت طابعا اخباريا تحليليا .

● عن جبهة النضال الشعبي لتحرير فلسطين :

١ - **النضال** ، نشرة ، اخبارية - تثقيفية ، شهرية ، صدرت في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧ حتى نيسان (ابريل) ١٩٦٩ ، لم يكن اصدارها منتظما ، فلم يصدر منها خلال هذه الفترة الا ١٥ عددا .

٢ - **النضال الشعبي** ، نشرة اخبارية ، تثقيفية ، شهرية ، صدرت في ايار « مايو » ١٩٦٩ حتى

الاعلام الموحد واعتبار « فلسطين الثورة » المجلة الرسمية الوحيدة الناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية ، وتابعت الصدور كثرة داخلية خاصة بقوات الصاعقة ب ٨ صفحات حتى العدد ١٥٠ ، واعتبارا من العدد ١٥١ بتاريخ ١٩٧٣/٥/٢٨ ، عاودت الصدور باعتبارها المجلة المركزية الناطقة بلسان قوات الصاعقة ، وبررت عودتها بعدم التزام منظمات المقاومة بالاعلام الموحد ، واتهمت « فتح » بالانفراد في توجيه الاذاعات الفلسطينية ومجلة « فلسطين الثورة » وأشارت الى استمرار منظمات المقاومة الأخرى باصدار مجلاتها وصحفها وقالت « أما وقد طال انتظارنا ، ولم يحدث أي تغيير في اتجاه ايجابي يكرس وحدة اعلامية ، فقد كان لا بد من ان تصدر مجلة « الطلائع » (٦٠) ، واعتبارا من العدد ١٧٠ ، لم ينتظم عدد صفحاتها ، فاحيانا كانت تصدر ب ٣٢ صفحة واحيانا ب ٢٤ صفحة قطع أقل من متوسط ، واحيانا تصدر ب ١٦ صفحة فقط .

اتسمت بالطابع الاخباري - التحليلي ، اعتمدت الصورة والكاريكاتور بشكل بارز ، ابتعدت عن المقالات الطويلة والدراسات النظرية المكثفة ، واعتمدت المقالات البخرية الاخبارية والتحليلية . الا ان الامر لم يكن يخلو ، من تقديم بعض الدراسات السياسية الطويلة في حلقات متسلسلة (٦١) . امتازت الطلائع عن صفح المقاومة الأخرى ، بالتركيز على اوضاع العرب الدروز تحت الحكم الاسرائيلي ، سواء من كان منهم في الجولان او في الاراضي العربية المحتلة منذ العام ١٩٤٨ (٦٢) ، كما امتازت باعتماد الريبورتاج والتحقيقات الصحفية ، أكثر من صفح المقاومة الأخرى .

٢ - **الصاعقة** ، مجلة سياسية شهرية ، لم يكتب لها النجاح . صدر عدد واحد منها فقط في تموز (يوليو) ١٩٦٩ .

٣ - **صوت الطلائع العمالية** ، مجلة عمالية شهرية صدرت ب ٢٨ صفحة قطع متوسط ، في ايار (مايو) ١٩٧١ ، توقفت عن الصدور ، بعد ان اصدرت بضعة اعداد .

● عن جبهة التحرير العربية :

١ - **النائر العربي** ، صدرت في الاردن كثرة سياسية ، اخبارية ، تثقيفية ، في ١٩٦٩/٨/٢ عن مكتب التوجيه والتنظيم في الجبهة ، مع بداية

منتظمة ، ولا تصدر باستمرار ، تصدر لفترة من الوقت ، ثم تتوقف لتعود للصدور في مناسبة اخرى ، وامام بروز حوادث ساخنة في المنطقة .
القليل جدا من هذه النشرات صدر قبل العام ١٩٦٧ ، في حين ان معظمها صدر خلال عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ .

● عن منظمة التحرير الفلسطينية

دأبت بعض مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في الاقطار العربية على اصدار نشرات او صحف اعلامية للتعريف بالثورة الفلسطينية ، اهمها :
١ - **التحرير** ، نشرة اخبارية ، اسبوعية ، اصدرها مكتب قطر ابتداء من شباط (فبراير) ١٩٧٠ ، لم تكن منتظمة في صدورها . ٢ - **التحرير** ، نشرة اخبارية ، اسبوعية ، اصدرها مكتب بغداد في حزيران (يونيو) ١٩٧١ ، لم تكن منتظمة في صدورها . ٣ - **قصبتنا** ، نشرة اعلامية ، دورية اصدرها مكتب الكويت في ايار (مايو) ١٩٧٢ ، غير منتظمة في مواعيد اصدارها . هذا ، بالاضافة الى نشرة « اخبار المنظمة » التي اصدرها مكتب الكويت في اوائل العام ١٩٦٧ حتى اواسط العام ١٩٦٩ ، وكاتت نشرة اخبارية ، اسبوعية ، غير منتظمة . ٤ - **نداء الثار** ، نشرة دورية ، اخبارية ، اصدرها مكتب الرباط بين آذار (مارس) ١٩٦٧ ونيسان (ابريل) ١٩٦٩ ، لم تكن منتظمة .
٥ - **نداء الارض** ، نشرة اخبارية ، دورية ، اصدرها مكتب الجزائر في اوائل العام ١٩٦٧ ، صدرت متقطعة لفترة من الوقت ثم توقفت .
٦ - **فلسطيننا** ، نشرة اعلامية ، اسبوعية ، اصدرها مكتب تونس في نيسان (ابريل) ١٩٧٢ ، واستمرت تصدر بانتظام حتى حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ . ٧ - **المقاومة** ، مجلة اسبوعية اصدرتها اللجنة السياسية للثورة الفلسطينية في العراق في ايار (مايو) ١٩٧٣ ، ولا زالت مستمرة ، سياسية اخبارية ، تحليلية .

● عن حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) :

١ - **حصاد العاصفة** ، نشرة اخبارية ، اسبوعية ، اصدرها مكتب اعلام « فتح » في لبنان ابتداء من ١٣/١١/١٩٦٨ ، واستمرت في الصدور منتظمة حتى اواسط العام ١٩٧٢ . ٢ - **النسور** ، نشرة اخبارية ، اصدرتها قيادة قطاع العرقوب في

ايلول (سبتمبر) ١٩٧٣ ، لم تكن منتظمة في مواعيد اصدارها ، صدر منها ٣٢ عددا خلال هذه الفترة .
٣ - **نضال الشعب** ، مجلة سياسية اخبارية ، تحليلية ، صدرت في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ كمجلة اسبوعية ، ب ٣٦ صفحة قطع صغير ، ثم اخذت تصدر شهرية . ولا زالت مستمرة في الصدور ، باعتبارها المجلة المركزية لجهة النضال الشعبي .

● عن المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين :

١ - **الحقيقة** ، نشرة تحليلية - تثقيفية ، شهرية ، صدرت في اواخر العام ١٩٦٨ واستمرت متقطعة خلال العام ١٩٦٩ ، ثم توقفت .
٢ - **المناضل** ، نشرة اخبارية - تحليلية ، نصف شهرية ، صدرت في اواخر آذار (مارس) ١٩٧٠ ، اصدرت بضعة اعداد ، ثم توقفت بعد ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ .
٣ - **اخبار بلادنا المحتلة** ، نشرة اخبارية عن الاراضي المحتلة ، صدرت نصف شهرية خلال العام ١٩٦٩ ، ولم يصدر منها الا ١٢ عددا ، حيث توقفت عن الصدور في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ .

● عن منظمة فلسطين العربية :

١ - **المقاتل الثوري** ، نشرة اخبارية صدرت في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ ، ولم يصدر منها الا اربعة اعداد .
٢ - **الكلمة المسؤولة** ، نشرة اخبارية - تحليلية شهرية ، صدرت في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ واستمرت في الصدور حتى نهاية آب (اغسطس) ١٩٧٠ .

● عن الهيئة العاملة لتحرير فلسطين :

١ - **الرأية القومية** ، نشرة اخبارية ، اعلامية ، صدرت اسبوعية خلال شهري آب (اغسطس) وايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ فقط .

ثانيا - **صحف ونشرات غير مركزية** كانت تصدرها فروع المنظمات في الاقطار العربية المختلفة ، او مؤسسات تنظيمية و اعلامية غير مركزية . الطابع العام لمعظم هذه الصحف والنشرات ، طابع اخباري اعلامي ، وكانت في معظمها غير

سياسية اخبارية ، اصدرها المكتب الطلابي للجبهة الديمقراطية ، فرع لبنان ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ ، لم يصدر منها الا عدد واحد .

٤ - **الشرارة** ، نشرة اعلامية ، اصدرها تنظيم الجبهة الديمقراطية في مصر في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ . لم يصدر منها الا عددان .

٥ - **الثوري** ، نشرة سياسية فكرية ، شهرية ، اصدرتها لجنة الفروع والبعثات الخارجية في الجبهة الديمقراطية ، وعرفت المجلة نفسها بأنها تهدف الى « اقامة العلاقة الثقافية - الفكرية - السياسية ، بين رفاقنا في الخارج ، والحركة الفكرية التقدمية في العالم العربي ، وتوثيق الروابط الفكرية السياسية بين التطور الثقافي اليساري للوطن العربي والتطور المماثل في انحاء العالم » ، وبالتالي فهي ليست نشرة خاصة بالجبهة الديمقراطية ، بل هي نشرة كانت تلتقي فيها كل التيارات الفكرية ، وما ينشر فيها يعبر عن رأي كاتب المقال (١٤) . صدر العدد الاول منها في كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ ، واستمرت في الصدور حتى ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢ . ولم يصدر منها خلال هذه الفترة الا ١١ عددا ، وكانت تستكتب كتابا عربيا واجانب .

٦ - **الوطن** ، نشرة تحريضية - تحليلية ، شهرية ، اصدرها تنظيم الجبهة الديمقراطية في الاردن من لبنان في ايار (مايو) ١٩٧٢ بـ ٤ صفحات قطع صغير ، اخصت بالتركيز على وضع الحركة الوطنية في الاردن .

● عن طلائع حرب التحرير الشعبية - قوات الصاعقة :

١ - **الطلائع والجهاهير** ، مجلة اخبارية - تحليلية ، شهرية ، اصدرها فرع لبنان في حزيران (يونيو) ١٩٧١ بـ ٤٢ صفحة قطع صغير ، ولا زالت مستمرة في صدورها بانتظام .

٢ - **صوت الجماهير** ، صحيفة اخبارية - تحريضية ، اسبوعية ، اصدرها فرع الاردن كجريدة يومية بأربع صفحات في حزيران (يونيو) ١٩٧٠ ، ثم توقفت ، بعد ان اصدرت ١١ عددا ثم صدرت اسبوعية في ١٠/٧/١٩٧١ ، صدر منها بضعة اعداد ثم توقفت .

● عن جبهة النضال الشعبي لتحرير فلسطين :

١ - **القواعد الثورية** ، نشرة اخبارية ، عسكرية ، شهرية ، اصدرتها اللجنة العسكرية

كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ ، كانت تعنى بشؤون المتطوعين ، لم تصدر الا بضعة اعداد ثم توقفت .

٢ - **فتح** ، نشرة اعلامية ، نصف شهرية ، اصدرها فرع « فتح » في العراق في آذار «مارس» ١٩٧١ ، توقفت عن الصدور ، بعد ان اصدرت بضعة اعداد .

● عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين :

١ - **الجبهة** ، نشرة اخبارية - تحليلية ، دورية ، صدرت في اواسط العام ١٩٧٠ عن فرع الجبهة في سورية ، واستمرت في الصدور حتى اوائل العام ١٩٧٢ . صدرت في البداية كثرة ثم تحولت الى صحيفة بـ ٤ صفحات قطع متوسط .

٢ - **البروليتاري** ، صحيفة تحريضية ، اصدرها تنظيم الجبهة الشعبية في اربد ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ ، لم يصدر منها الا عدد واحد .

٣ - **ما العمل** ، صحيفة شهرية تحريضية - تحليلية ، اصدرتها اللجنة التنظيمية للجبهة الشعبية في الاردن في اواخر العام ١٩٦٩ ، لم يصدر منها الا ستة اعداد ، ثم توقفت عن الصدور .

٤ - **الطالب الثوري** ، نشرة طلابية - اخبارية ، اصدرها المكتب الطلابي للجبهة الشعبية - فرع لبنان ، في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ ، تصدر متقطعة .

٥ - **صوت الجبهة** ، مجلة سياسية - اعلامية ، دورية ، اصدرتها لجنة المجال الخارجي في الجبهة الشعبية في مارس (آذار) ١٩٧١ . لم تصدر الا بضعة اعداد ، ثم توقفت .

٦ - **صدى الثورة** ، مجلة سياسية ، اعلامية ، دورية ، تصدر باسم لجان انصار الجبهة الشعبية في الخارج . صدرت في العام ١٩٧١ ، ولا زالت مستمرة بشكل متقطع .

● عن الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين :

١ - **قضايا الجماهير** ، صحيفة اخبارية - تحريضية ، دورية ، اصدرها الفرع التنظيمي في الزرقاء في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ ، صدر منها بضعة اعداد ثم توقفت .

٢ - **صوت الفقراء** ، نشرة اخبارية - تحريضية ، شهرية ، اصدرها تنظيم الجبهة الديمقراطية في جنوب لبنان ، اواخر العام ١٩٦٩ ، توقفت بعد ان اصدرت بضعة اعداد .

٣ - **الديموقراطية الشعبية** ، نشرة طلابية ،

سنة اعداد ، باعتبار كل شهرين عدد ، ثم اعتبارا من السنة الثانية صدرت شهرية . امتازت بوقرة أبحاثها ودراساتها التي غطت معظم جوانب القضية الفلسطينية وشؤونها ، بأسلوب بحثي علمي ، وتكتسب دراساتها أهمية علمية ووثائقية . استكثبت العديد من الكتاب الفلسطينيين والعرب والاجانب المعروفين بمناصرتهم للقضية الفلسطينية . واهتمت بتحليل أهم الأحداث التي كانت تواجهها القضية الفلسطينية على جميع الأصعدة ، فخصت أعدادها تقارير تحليلية عن أهم هذه الأحداث .

٢ - **الوطن المحتل** ، مجلة شهرية أصدرتها دائرة شؤون الوطن المحتل ، في منظمة التحرير الفلسطينية ، في العام ١٩٦٥ ، ولا زالت تصدر بانتظام . تخصصت بدراسة اوضاع المواطنين العرب في الاراضي العربية المحتلة وما يواجهونه من عسف واضطهاد ، من قبل السلطات الاسرائيلية المحتلة . كما اهتمت بدراسة اوضاعهم الاقتصادية في ظل الاحتلال الاسرائيلي .

● **صحف ونشرات بلغات أجنبية موجهة للرأي العام العالمي** ، للتعريف بالقضية الفلسطينية ، والنضالات التي يخوضها الشعب الفلسطيني :

١ - Palestine Revolution

نشرة شهرية بالانجليزية ، صدرت عن الاعلام الموحد لمنظمة التحرير الفلسطينية ، في ١١/١٥/١٩٧٣ .

٢ - Arab Palestinian Resistance

نشرة شهرية ، تصدر عن جيش التحرير الفلسطيني ، صدر العدد الاول منها في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٨ ، ولا زالت مستمرة في الصدور بانتظام .

٣ - FATH

نشرة شهرية ، باللغة الانكليزية ، اصدرها الاعلام المركزي في « فتح » من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٩ ، حتى آذار (مارس) ١٩٧١ .

٤ - FATH

نشرة شهرية ، باللغة الفرنسية ، اصدرها الاعلام المركزي في « فتح » ، في آذار (مارس) ١٩٧٠ ، توقفت عن الصدور في آخر العام ١٩٧٠ .

٥ - ALSAIQA

شهرية ، بالانجليزية ، اصدرتها توات الصاعقة في آذار (مارس) ١٩٧٣ .

بين كانون الثاني (يناير) وايار (مايو) ١٩٧٣ .

٢ - **التقدم** ، نشرة تثقيفية دورية ، اصدرها فرع سورية في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ صدر منها ٢٧ عددا ثم توقفت في نيسان (ابريل) ١٩٧٣ .

٣ - **النضال الطلابي** ، نشرة طلابية ، سياسية ، دورية ، اصدرها التنظيم الطلابي - فرع لبنان ، في كانون الثاني « يناير » ١٩٧٢ ، واستمرت في الصدور حتى ايار (مايو) ١٩٧٣ ، حيث توقفت بعد ان صدر منها سبعة أعداد . كانت تصدر بأربع صفحات تقطع متوسط .

ثالثا - **صحف ونشرات أصدرتها الاتحادات النقابية والمهنية الفلسطينية** ، كان طابعها الاهتمام بالقضايا النقابية ، اضافة الى النواحي الاخبارية والسياسية . كانت تفتقر الى صفة الاستمرار او انتظام الاصدار ، أهمها :

١ - **الفلسطينية الثائرة** ، مجلة شهرية ، اصدرها الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في الاردن في شباط (فبراير) ١٩٧٠ ب ٥٠ صفحة قطع صغير ، لم يصدر منها الا اربعة أعداد . اهتمت بابراز قضية المرأة ودورها في معركة التحرير ٢٠ - **فلسطيننا** ، مجلة شهرية ، اصدرها الاتحاد العام لعمال فلسطين في دمشق ، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ ، تصدر متقطعة ، بغير انتظام ٣٠ - **جيل الزيتون** ، نشرة طلابية ، سياسية ، اخبارية ، شهرية ، اصدرها الاتحاد العام لطلبة فلسطين في القاهرة ، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥ ، تصدر متقطعة وبغير انتظام ، ولم يصدر منها حتى آخر العام ١٩٧١ ١٤٧١ - **صدى الثورة** ، مجلة طلابية ، سياسية ، اخبارية ، اصدرها الاتحاد العام لطلبة فلسطين ، فرع لبنان ، في آذار (مارس) ١٩٧٤ ٥٠ - **مجلة جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني** ، صدرت في لبنان ابتداء من آذار (مارس) ١٩٧٢ ، توقفت فترة ، ثم تعاود الصدور . اهتمت بنشاطات جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني الانسانية والطبية .

رابعاً - **مجلات متخصصة** :

١ - **شؤون فلسطينية** ، مجلة فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة ، اصدرها مركز الأبحاث الفلسطينية اعتباراً من آذار (مارس) ١٩٧١ ، صدر منها في السنة الأولى

مجلة شهرية ، بالانجليزية ، أصدرتها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في آذار (مارس) ١٩٧٣ .

قضايا المقاومة من خلال صحفها

تعددت قضايا المقاومة وتنامت اهتماماتها ، على ضوء المهبات التي كانت تواجهها حركة المقاومة في مراحل تطورها المختلفة ، ولقد كانت هذه القضايا مجال اهتمام جميع صحف المقاومة ، وتعاملت معها بدرجات مختلفة من حيث المستوى والاهمية ، كما تباينت في تحديد طبيعة بعض هذه القضايا ، والتعاطي معها في مجرى النضال المستمر ، على ضوء تباين انتماءاتها السياسية والايديولوجية والتضليلية ، ولم يكن هذا التباين على درجة واحدة من الشدة أو المرونة بين كل الصحف ، كما لم يكن على درجة واحدة من الشدة والمرونة ايضا في كل الاوقات ، بل كان يشهد أحيانا ، ويكاد يغيب أحيانا أخرى ، على ضوء التطورات التي كان يشهدها الصراع العربي - الإسرائيلي ، وعلى ضوء التطورات التي كانت تواجهها القضية الفلسطينية بشكل عام ، وحركة المقاومة الفلسطينية بشكل خاص ، ان التباين أو الاختلاف بين صحف المقاومة ، في التعاطي مع الأحداث ، والموضوعات الفكرية والسياسية ، كان احدى المظاهر الرئيسية لصحف المقاومة ، هذا المظهر الذي كان يتكرر باستمرار ، وان بدرجات متفاوتة ، من فترة لأخرى ، وهو مظهر طبيعي ، لصحافة تمثل حركة تحرر وطني تضم تنظيمات مختلفة ، وتوى طبقة متعددة ، يجمعها ائتلاف وطني عام . ومن أمثلة هذا التباين ، الاختلاف حول طبيعة الثورة الفلسطينية ، فبينما كانت مجلة « الثورة الفلسطينية » تؤكد على الطابع الفلسطيني للثورة الفلسطينية (٦٥) ، وعلى تغييب الطابع الطبقي لها (٦٦) ، كانت صحف أخرى تعارض وجهة النظر هذه ، ف « الثائر العربي » كانت تؤكد باستمرار على الطابع القومي للثورة الفلسطينية ، وعلى الربط بين تحرير فلسطين والوحدة العربية ، « ان الترابط العضوي بين تحرير فلسطين والوحدة العربية تد أدركته الجماهير العربية منذ زمن طويل حين رفعت شعارات مثل فلسطين طريق الوحدة ، والوحدة طريق فلسطين ، وان أشد ما يخشاه

الصهيانية والاستعماريون ، هو ان يترجم هذا الترابط الى عمل يومي والى جهد دؤوب منظم ، وان أوضح ترجمة لهذا الترابط هو ان تقوم جبهة عربية التركيب ، عربية النظرة ، عربية الامتداد من أجل تحرير فلسطين » (٦٧) ، في حين ان « الهدف » و « الحرية » كانتا تعطيان اهمية لتأكيد الطابع الطبقي للثورة الفلسطينية ، بالتأكيد على الطابع الوطني الديموقراطي لحركة التحرر الوطني الفلسطينية (٦٨) . كذلك من أمثلة هذا التباين ، الاختلاف حول بعض الممارسات وأساليب النضال ، فبينما كانت الهدف تركز على العمليات الخارجية تجسيدا لشعارها ملاحقة العدو في كل مكان ، كانت بعض صحف المقاومة تتجاهل هذه القضية ، والبعض الآخر عارضها وانتقدها بشدة ، ف « الحرية » تصدت للعمليات الخارجية بالنقد الشديد ووصفتها بالاعمال الفردية والارهابية وحذرت من نتائجها (٦٩) كما انتقدت أسلوب ممارسة شعار ضرب المصالح الامبريالية كما طرحته « الهدف » فأكدت « ان العنف الفردي الذي يعتبر هذه المصالح الامبريالية ، مجرد مصالح مادية فردية متناثرة في العالم ، وبالتالي فعلى العمل الفدائي ان يوجه ضرباته الى هذه المصالح ويلاحقها في كل مكان في العالم ، تزييف لمعنى المعركة ضد المصالح الامبريالية [وأكدت] ان النضال ضد المصالح الامبريالية ، مرتبط بمدى نضال الجماهير الثوري في كل بلد عربي ضد الطبقة الحاكمة المرتبطة بشكل مباشر أو غير مباشر بالمصالح الامبريالية » (٧٠) . ومثل آخر على هذا التباين ، الاختلاف حول شعار دولة فلسطين الديموقراطية ، وطبيعة هذا الشعار ، الذي طرح في العام ١٩٦٩ ، وكان مجال نقاش واسع بين صحف المقاومة خلال ذلك العام والذي تلاه بعد أن أقره المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة المنعقدة في القاهرة في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ . فغد جوبه هذا الشعار بعارضه قوية من « الثائر العربي » ووصفته بأنه « ابن شرعي للقطرية الفلسطينية » (٧١) في حين كانت « الحرية » من المبادرين لتوسيع النقاش حول هذا الشعار ومضونه ، وأكدت ان هذا الشعار لا يتحقق « الا بازالة الكيان الصهيوني ممثلا بكافة مؤسسات الدولة الاسرائيلية القائمة وخاصة المؤسسة العسكرية بالإضافة الى المؤسسات النقابية

تباين في وجهات النظر في فهم موضوعات التحالفات والعلاقات الدولية ، والعلاقات العربية الرسمية والعلاقة مع القوى والحركات الوطنية الديمقراطية العربية ، شكلت بالإضافة الى الموضوعات التي طرحها نهوض المقاومة الفلسطينية وتعدد تنظيماتها كموضوع الوحدة الوطنية ، مجال اهتمام صحف المقاومة باتجاهاتها ، خلال هذه الفترة ، وتعاطت معها بدرجات من الاهتمام متفاوتة ، ومن انتباءات ايدولوجية وسياسية مختلفة . لقد اشتركت كل صحف المقاومة في التأكيد على حرب التحرير الشعبية كاسلوب لمواجهة الهجمة الامبريالية الصهيونية ، وتباينت في نظرتها لهذه الحرب وعلاقتها بالجيش النظامية العربية ، ثم مدى هذه الحرب الشعبية ، هل هي حرب شعبية فلسطينية بدعم عربي ، ام حرب شعبية فلسطينية يجري دفعها وتطويرها لتصبح حربا شعبية ؟ الا ان هذا التباين لم يمنع صحف المقاومة جميعها من التأكيد على الحرب الشعبية وان من زوايا مختلفة ، ولمس هذا التأكيد سواء من التكتيف في الحديث باستمرار عن تضاي الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية ، وتقديم الدراسات النظرية السياسية والعسكرية عنها ، او من خلال تكثيف عرض ومناقشة تجارب الشعوب المختلفة في حروبها التحريرية وبشكل خاص في الصين وميتنام وكوبه ، او من خلال التأكيد على الترابط الكفاحي بين حركة التحرر الوطني الفلسطينية وحركات التحرر الوطني في العالم . كذلك فقد اجبعت جميع صحف المقاومة على رفضها ومناهضتها لموضوعة التسوية السياسية المعبر عنها بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ او اي مشروع تسويي آخر . واكدت على قضية اساسية هي استمرار الكفاح المسلح حتى التحرير الكامل والقضاء على الكيان الصهيوني ، واهتمت بابرار النتائج السياسية المترتبة على القبول بتسوية سياسية مع العدو الاسرائيلي في هذه المرحلة ، وعملت بأساليب متعددة ، تحريضية ، وثقافية ، وتعبوية ، على تعبئة اوسع الجماهير وتحريكها ضد مثل هذه المشاريع .

ان الملاحظة الهامة ، في تصدي صحافة المقاومة لموضوعة التسوية السياسية للصراع العربي الاسرائيلي ، ان معظم صحف المقاومة ربطت في

والصهيونية ... وبأسلوب الكفاح المسلح على طريق حرب التحرير الشعبية ضد الصهيونية والامبريالية والرجعية [واكدت] ان دولة فلسطين الديمقراطية هي جزء لا يتجزأ من دولة فيدرالية اشتراكية عربية في المنطقة «(٧٢) . أما « الهدف » فلم تعط اهتماما لهذا الشعار بمستوى اهتمام « الحرية » وحددت موقفها منه ، بالمناداة بحل ديموقراطي للمسألة اليهودية التي وصفتها بانها حل لمسألة « اليهود الذين يعيشون في فلسطين وليس للدولة الاسرائيلية » واكدت « ان الحل الديموقراطي هو مسالة مكحلة للكفاح المسلح ... وجزء ملتحم كلياً بمعركة التحرر الوطني التي تخوضها الجماهير الفلسطينية والعربية بالسلاح »(٧٣) . أما نشرة « فتح » الاسبوعية فقد اكدت الشعار ، وقالت انه يعني تصفية الكيان الصهيوني العنصري في فلسطين ، اما التفاصيل « فان النضال والكفاح سيتكفلان بوضعها »(٧٤) ، مع التأكيد على ان هذه الدولة ، هي دولة علمانية بعيدة عن كل اشكال التمييز الديني والعنصري . ويلاحظ من خلال استعراض صحف المقاومة ان القضية المركزية التي اجبعت عليها هذه الصحف في ما يتعلق بالدولة الفلسطينية الديمقراطية ، ان هذه الدولة لا يمكن ان تنقام الا بعد القضاء على الكيان العنصري الصهيوني وبأسلوب الكفاح المسلح .

صحافة المقاومة خلال سنوات النهوض : نقد

تنوعت اهتمامات صحف المقاومة على ضوء التطورات التي كانت تشهدها المنطقة ، فخلال السنوات الثلاث الممتدة من هزيمة حزيران حتى مجازر أيلول في الأردن ، وهي السنوات الثلاث المجيدة التي شهدت نهوض حركة المقاومة الفلسطينية ونمو واتساع ظاهرة الكفاح المسلح الفلسطيني ، في نفس الوقت الذي بدأت تبرز فيه تعارضات وتناقضات بين مواقف الانظمة العربية وحركة المقاومة الفلسطينية من قضايا كثيرة ، أهمها موضوعة أسلوب التحرير ، حربا نظامية ام حربا شعبية ، وموضوع مستقبل ومنتهى الصراع العربي - الاسرائيلي ، بالقضاء على الكيان الصهيوني ، أم بتسوية سياسية يحدود شعار ازالة آثار العدوان على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ان هذه القضايا وما ولدته أيضا من

مواجهة الاحداث المستجدة ، ٤ - تعبئة وتحريض
أوسع الجماهير الفلسطينية والعربية وراء حركة
المقاومة الفلسطينية وموقفها السياسي .

ولقد اهتمت صحف المقاومة بمناقشة واستعراض
هذه الموضوعات خلال هذه الفترة ، وتفاوتت في
التعاطي معها ، وفي تغليب او ابراز موضوع على
آخر ، على الرغم من اتفاقها في الخط السياسي
العام ، ولذا فان استعراض صحف المقاومة خلال
هذه الفترة ، يكتب أهمية كبيرة ، لانه يكشف
الى أي مدى كانت صحف المقاومة قادرة على
الاضطلاع بمهماتنا في الاحداث الساخنة ، كما
يكشف الى أي مدى كانت قادرة على فرز القضايا
الرئيسية عن القضايا الثانوية والمشاركة في الصراع
بشكل ايجابي وفاعل . والصحف المستعرضة هنا
تضم صحفا يومية هي « فتح » و« الجماهير »
وشبه يومية « الشراة » بالإضافة الى الصحف
الاسبوعية الرئيسية وهي « الحرية » و« الهدف »
و« الى الامام » و« الطلائع » ثم « الناشر العربي »
كصحيفة شهرية . ولا بد في البداية من التأكيد على
ان الصحيفة اليومية تكون اقدر على القيام
بالتحريض في الاحداث الساخنة من الصحيفة
الاسبوعية ، التي تجب في مثل هذه الاحداث بين
الطابع التحريضي - التعبوي ، وطابع تقديم
العروض التحليلية للاحداث وتطوراتها المحتملة .

● **الشراة** : عاودت « الشراة » الصدور في
١٩٧٠/٨/١٥ ، كصحيفة نصف اسبوعية وأصدرت
حتى ١٩٧٠/٩/١٥ عشرة أعداد ، ويلاحظ من خلال
استعراض هذه الاعداد العشرة ، ان « الشراة »
أعطت أهمية مركزية لتأثيرات القبول العربي
بمشروع روجرز على وضع حركة المقاومة في
الاردن ، فبادرت الى الهجوم السياسي على النظام
الاردني ، وكشفت محاولاته لضرب حركة المقاومة
في الاردن ، وطرحته شعار « السلطة » كل
السلطة للمقاومة « (٧٧) كشعار تعبوي لتحريض
أوسع الجماهير في الاردن ضد النظام الاردني ،
وبنفس الوقت أخذت توجه الانتقادات لقيادة حركة
المقاومة على موقفها الذي وصفته بـ « المتردد
وغير الواضح وغير المحدد » (٧٨) ، ثم تخلت عن
شعار « كل السلطة للمقاومة » وتبنت شعار
السلطة الوطنية ، وخاضت معركة سياسية لتأكيد
مضمون وطبيعة هذا الشعار (٧٩) . بالإضافة الى

رحلة مبكرة بين موضوع التسوية ، وبين ضرورة
ايجاد طرف فلسطيني يشارك بها ، غير ايجاد
دولة فلسطينية ، فكانت تركز على التحركات
الاسرائيلية بين الوجيهاء والزعامات التقليدية في
الضفة الغربية وقطاع غزة وتربطها بموضوعية
الدولة الفلسطينية وبالتحركات الاميركية وبعض
المشايخ المشيوية التي كانت تطرحها كبلونات
اختيار (٧٥) . بالإضافة الى ذلك فقد كان موضوع
الوحدة الوطنية من المواضيع المركزية التي أخذت
جانبا كبيرا من اهتمامات صحف المقاومة ، فاشتركت
جميعها بالتأكد على أهميتها وضرورتها ، وتباينت
في غونها وشروط قيامها ، وضمت صحف المقاومة
بجميع اتجاهاتها الكثير من المقالات والتحليلات ،
والابحاث والدراسات عن الوحدة الوطنية
الفلسطينية وشروط قيامها ، وعن تجارب الشعوب
الآخري في هذا المضمار .

الموقف من مشروع روجرز كما عرضته صحف

المقاومة : ان الموقف من مشروع روجرز كما
عرضته صحف المقاومة ، بعد قبول بعض الانظمة
العربية به ، يعطي نموذجا حيا على وحدة هذه
الصحف وتنوعها في آن واحد ، فعلى الرغم من
اتفاق جميع صحف المقاومة (٧٦) على رفض المشروع
ومناهضة قبول بعض الانظمة العربية به ، إلا
أنها تباينت في التعبير من موقفها هذا ، كما تباينت
في أساليبها التحريضية والتعبوية ضد المشروع ،
وستستعرض هنا مجموعة من صحف المقاومة
الرئيسية خلال الفترة الممتدة من أواخر شهر
تموز (يوليو) ١٩٧٠ الى أوائل النصف الثاني
من شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، وهي الفترة
التي اشتدت فيها حدة المواجهة بين النظام الرجعي
في الاردن وحركة المقاومة الفلسطينية ، وتمت
خلالها احتمالات الصدام العسكري بينهما ، كما
انها الفترة التي شهدت نمو التعارضات بين القوى
الوطنية العربية الى درجة كبيرة . لقد تولد عن
قبول بعض الانظمة العربية بمشروع روجرز مجموعة
من القضايا الرئيسية التي فرضت نفسها كأهم
أحداث في المنطقة . ويمكن اجمال هذه القضايا
بالموضوعات التالية : ١ - نتائج ودلالات القبول
العربي بمشروع روجرز ، ٢ - تأثيرات هذا
القبول على وضع حركة المقاومة في الاردن ،
٣ - تحديد السياسات والشعارات الصائبية في

وأكدت على رفض الثورة الفلسطينية لهذا المشروع ، ولكن دون الهجوم السياسي المباشر على مصر ، باعتبارها المبادرة في القبول به (٨٢) ، مع التركيز على هدف الولايات المتحدة من طرح هذا المشروع ، بخلق تصدع وانقسام في الصف الوطني العربي (٨٣) ، وأخذت تبرز عمليات المقاومة داخل الأرض المحتلة مع بداية الإعلان من وقف إطلاق النار على الجبهتين المصرية والإردنية لتأكيد عدم التزام المقاومة بوقف إطلاق النار وأصرارها على رفض المشروع . وفي هذا المجال ، فقد كانت تؤكد جدية مشروع روجرز وأدانت من يعتبر القبول به ، مجرد مناورة أو تكتيك (٨٤) . ثم على ضوء تطور الأوضاع في الأردن ونمو احتمالات الصدام بين قوات السلطة الأردنية وحركة المقاومة ، أخذت تعطي اهتماما لتحركات النظام الأردني السياسية والعسكرية (٨٥) ، ثم أخذت حديثها عن النظام الأردني يتسم بالطابع التحريضي ، مع تزايد استفزازات السلطة الأردنية ضد الفدائيين ، ولكن دون تحديد شعارات سياسية محددة ، مجرد إدانة السلطات الأردنية واتهامها بافتعال الصدامات مع حركة المقاومة وتحميل المسؤولية « للعلاء والعناصر المشبوهة » (٨٦) داخل السلطة ، ثم تطور هذا الاتهام ليشمل كل السلطة « إن ما تشهده عمان منذ أكثر من اسبوع ليس بالتأكيد حوادث عرضية سببها أخطاء فردية من الفدائيين أو حتى من بعض عناصر الجيش ، وإنما هو مخطط من السلطة المتآمرة لضرب الثورة وضرب حركة الجماهير الثورية » ولكن مع التأكيد على أن « الثورة تريد أن يسود الهدوء في عمان حتى تتفرغ الثورة لمعركتها الأساسية مع العدو » (٨٧) . وفي الأعداد التالية زادت من تحريضها ضد السلطة الأردنية ، وأخذت تحدد مطالب محددة ، دعت السلطة الأردنية إلى تنفيذها وهي : تصفية العلاء داخل السلطة ، تطهير الأجهزة والجيش والأمن العام من العناصر التي ارتكبت المجازر ، مع التأكيد على أن الثورة الفلسطينية لا تهدف « إلى طلب نظام الحكم واستسلام السلطة » واتهام « أواسط نافذة في النظام » بتصوير الأمر « كأنه صراع بين نظام الحكم من جهة وبين الثورة الفلسطينية من جهة ثانية على الحكم في الأردن » . والإشارة إلى أنه « لم يكن في حساب الثورة الفلسطينية في يوم من الأيام ، ولا تضع في

هذا الموضوع ، فقد ركزت « الشرارة » على ربط القبول العربي بمشروع روجرز بمحاولة إيجاد طرف فلسطيني يشارك في التسوية السياسية عبر إيجاد دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة فقالت « أن تمرير الحل وإخفاء النقمة الفلسطينية قد يستدعي منحهم [الفلسطينيين] دويلة صغيرة في الضفة الغربية ، وهكذا يكون مشروع الدويلة الفلسطينية هذا جزءا لا يتجزأ من مخطط إعادة تركيب الأوضاع في المنطقة لصالح الحفاظ على توازن النظام الرجعي والوئاع الإمبريالية ، إذ بدون هذا المشروع يبقى ثمة خطر أن تتحول نقمة الشعب إلى انتفاضة تززع أركان النظام وتثير الحريق الثوري في المنطقة ، كما تنتشر النار في الهشيم » (٨٨) . لقد استخدمت « الشرارة » الأساليب التحريضية المعروفة ، لتأكيد شعاراتها ، واستقطاب أوسع الجماهير حولها ، سواء من خلال العناوين البارزة والعريضة ، والافتتاحيات التي صيغت بلهجة تحريضية أو من خلال الشعارات والأخبار التحريضية التي كانت توضع في أماكن بارزة وبالخط الأسود .

● **الجماهير** : ركزت الجماهير في معظم أعدادها ، على موقف مصر من مشروع روجرز ، وخلفيات هذا القبول الأيديولوجية والسياسية ، كما أعطت اهتماما كبيرا لموقف كل من الهيئة العاملة لتحرير فلسطين ومنظمة فلسطين العربية ، على خلق وضع انضمامي داخل حركة المقاومة (٨٩) ، ولم تطرح شعارات محددة ، باستثناء الهجوم على مشروع روجرز والقبول العربي به ، وتأكيد مخاطر هذا القبول على القضية الفلسطينية .

● **جريدة « فتح »** : أن جريدة « فتح » باعتبارها الجريدة الناطقة بلسان اللجنة المركزية لحركة المقاومة ، كانت تعبر عن المواقف الرسمية للجنة المركزية ، إلا أنها من ناحية أخرى ، فقد كانت تعبر بدرجة أو بأخرى عن مواقف حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » والأعداد من العدد ٣٤ الصادر بتاريخ ١٩٧٠/٧/٢٣ حتى العدد ٨٥ الصادر بتاريخ ١٩٧٠/٩/١٦ ، دارت كلها حول مشروع روجرز والتطورات التي ولدها القبول العربي به . ويلاحظ من خلال استعراض مجموع هذه الأعداد ، أن الأعداد الأولى منها ركزت على نتائج تنفيذ مشروع روجرز على القضية الفلسطينية ،

حساباتها قلب نظام الحكم» . بالإضافة الى دعوة الحكومة الاردنية لان تسارس صلاحياتها « ان الحكومة مطالبة بأن ترتفع الى مستوى مسؤوليتها، وهي ان صهبت تستطيع مدعومة بكل قوى الشعب تجنّب البلاد الحرب الاهلية والمذبحة الرهيبة» (٨٨). لقد عكست « فتح » لعدة أعداد هذه السياسة ، ثم رفعت شعار السلطة الوطنية وأخذت تحرض الجماهير ضد السلطة الاردنية ، كسلطة متأثرة وتخطط لضرب حركة المقاومة ودعمت الجماهير والقوى الوطنية في الاردن للالتفاف حول هذا الشعار ، ولكن دون تحديد أساليب وكيفية وضع هذا الشعار موضع التنفيذ . ودعت كافة القوى الوطنية في الاردن « لدراسة اقوى السبل العملية الكفيلة بتحويل القرارات السياسية التي تخدم قيام السلطة الوطنية الى ممارسات عملية حقيقية» (٨٩). انتهجت « فتح » الاسلوب التحريضي خلال هذه الفترة ، سواء من حيث العناوين او استخدام الصورة ، والشعارات التحريضية او الافتتاحيات .

● **الهدف** : في ثمانية أعداد متتالية ، وهي الاعداد الصادرة بين ١٩٧٠/٨/١ - ١٩٧٠/٩/١٩ استعرضت « الهدف » الموضوعات المختلفة التي تولدت عن مشروع روجرز ، في البداية ركزت « الهدف » في مقالاتها وتعليقاتها على خطورة القبول بشروط روجرز ، ووصفت مقترحات روجرز بأنها « شروط استسلام واضحة» (٩٠) وهاجمت الذين يبررون القبول بهذه المقترحات ، وصبت هجومها الشديد على مصر ، والصحافة اللبنانية التي أخذت تدافع عن مصر وتبولها بالمشروع ووصفتها بصحف « التاكسي المستأجرة» (٩١) كما أبرزت دور كل من الهيئة العاملة لتحرير فلسطين ومنظمة فلسطين العربية في شق المقاومة ووصفتها « بالمنظمات الملوغمة» (٩٢) وأكدت ان القبول بشروط روجرز يعني تصفية المقاومة ، بتصنيفها سياسيا عبر التضييق الاعلامي وقطع المعونات تهيدا للتصفيه المادية لها وتصفيه حركة التحرر الوطني التقدمية العربية(٩٣). وربطت التصفيه السياسية بمحاولة الانظمة العربية ايجاد طرف فلسطيني يشارك بالتسوية « ان الاستسلام الاستراتيجي الذي يشكل واتعبا النقطة الجوهرية في التوجهات العملية للانظمة العربية ... لا

يستطيع ان يؤدي مهامه دون وجود طرف فلسطيني تحمله هذه الانظمة مسؤولية الاستسلام الفلسطيني» (٩٤). ثم أخذت تعطي - الى جانب ذلك - اهتماما لما يجري في الاردن ، وقالت ان الاردن يشن « حرب استنزاف ضد المقاومة لترويض الجماهير وتيئسها» (٩٥). وعلى صعيد تحديد مهمات المرحلة دعت الى تحطيم وقف اطلاق النار باستمرار عمليات المقاومة ، وشن « حملة اعلامية مشتركة تفضح معنى القبول العربي بشروط الاستسلام وتعيب الجماهير ضد ذلك القبول » مع الدعوة الى تأكيد الوحدة الوطنية ، بوحدة برنامج عملها ومخططاتها(٩٦). وأبرزت عمليات خطف الطائرات التي قامت بها الجبهة الشعبية في الايام الاولى من ايلول (سبتمبر) ووصفتها بأنها « أصابت مفاصل الحل السلمي» (٩٧). وفي احد تعليقاتها ربطت بين قبول اسرائيل بمشروع روجرز وسعيها للهيمنة الاقتصادية على المنطقة ، وأشارت الى وجود مدرسة اقتصادية اسرائيلية « ترى في السلم العربي - الاسرائيلي وسيلة لتطوير اقتصاد اسرائيل واقامة علاقات اقتصادية مع البلدان العربية على غرار العلاقة بين البلدان الصناعية والبلدان المتخلفة» (٩٨). ان ما ميز « الهدف » عن بعض صحف المقاومة ، هو تحريضها الشديد ضد الانظمة العربية التي قبلت المشروع ، حيث اعتبرت « الصبت عن اي نظام قبل بشروط روجرز وركع أمام السوط الامبريالي لا يؤدي الا الى امداء المعونة لمثل ذلك النظام كي يعبر عنق الزجاجة. ويستخدم فترة التشويش لاجتياز الغضب الشعبي بسلام» (٩٩). وشاركتها في تحريضها الشديد هذا صحيفتا « الحرية » و« الى الامام » .

● **الحرية** : في ثمانية اعداد متتالية ، وهي الاعداد الصادرة بين ١٩٧٠/٧/٢٧ - ١٩٧٠/٩/١٤ استعرضت « الحرية » مشروع روجرز والنتائج المترتبة عن القبول به . فوصفته بأنه « مشروع اجرائي تنفيذي لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢» (١٠٠) وانتقدت أي موقف يرى في قبول المشروع « موقفا تكتيكيا لاجراحي الولايات المتحدة» (١٠١). ووجهت « الحرية » انتقادها الشديد الى مصر ، واتخذ هذا الانتقاد طابعا تحريزيا هجوميا ، كما انتقدت الاتحاد السوفياتي، واتهمته بالاشترك مع الولايات

يتشكل « الا حين تتخذ حركة المقاومة مواقف سياسية واضحة تنضج توافق الانظمة العربية المعنية بالتسوية السلمية مع النظام الاردني الذي يتأمر عليها تمهيدا لتصفية القضية الفلسطينية(١٠٨) الا ان « الحرية » لم تبين شعار اسقاط السلطة في الاردن الا في فترة متأخرة ، فأول اشارة الى تفضية السلطة في الاردن وردت في العدد ٥٢٢ بتاريخ ١٩٧٠/٩/١٤ ، وأشارت الى ان حركة المقاومة مجبرة على تبني هذا الشعار ووضعه موضع التنفيذ لان دخول الحل السياسي مرحلة التنفيذ وضع المقاومة امام مخرج لا بديل له : الصراع من اجل الاستمرار ، والاستمرار في اخر الخسائر ، يعني استمرار النظام الاردني او المقاومة(١٠٩). وقد انتقدت « الحرية » عمليات خلف الطائرات التي قامت بها الجبهة الشعبية في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ووصفتها بانها « تشكل مهربا مصطنعا من البحث عن اسلوب فعال لمواجهة المؤامرة »(١١٠).

● **الى الامام** ، في ثمانية اعداد متتالية في الفترة بين ١٩٧٠/٧/٣١ - ١٩٧٠/٩/١٨ ، استعرضت « الى الامام » الموضوعات التي ولدتها مشروع روجرز ، فأكدت رفضها للمشروع ووصفته بانسه مشروع استسلامي . وانتقدت قبول مصر للمشروع ، وحرخت الجماهير ضد هذا القبول ، كما انتقدت القوى التي بررت هذا القبول بانسه مناورة تكتيكية (١١١)، كما تصدت للصحف اللبنانية المؤيدة لمصر ، والتي هاجمت حركة المقاومة على موقفها(١١٢)، وعلى المستوى الفلسطيني فقد اتخذت موقفا انتقاديا تحريضا ، من موقف كل من منظمتي فلسطين العربية ، والهيئة العاملة لتحرير فلسطين(١١٣)، وركزت على وحدة المقاتلين وتوسيع عمليات المقاومة في الارض المحتلة ، وربطت بين تنفيذ المشروع ، وايجاد دولة فلسطينية وأشارت الى ان اوساطا عربية عديدة طرحت موضوع الدولة الفلسطينية وقالت « ان الذين يطرحون الدولة يريدون الانتهاء الابدي من علاقتهم بالقضية الفلسطينية »(١١٤)، وحول الوضع في الاردن ، اشارت الى ان الصدامات المتكررة التي افضلتها السلطات الاردنية ، كانت تستهدف ابعاد قوات المقاومة عن الاغوار وجلبها الى العاصمة واجبارها على خوض معركة لم

المتحدة في فرض التسوية وفي تنفيذ مشروع روجرز الذي وصفته انه « حصيلة اتفاق غلبي بين طرفي التوازن الدولي الكبيرين على خطوط حل سلمي يحفظ المصالح الجوهرية لاسرائيل ، ويفرض تنازلات نهائية وحاسمة على الانظمة العربية اللاهفة وراء التسوية »(١٠٦) كما تصدت للحملات الاعلامية التي شنتها الصحافة اللبنانية المؤيدة لمصر على حركة المقاومة الفلسطينية(١٠٦). كذلك فقد ربطت بين تنفيذ المشروع وايجاد طرف فلسطيني مفاوض عبر ايجاد دولة فلسطينية ، فقالت « ان الطرف المصري - السوفياتي ينشد حلا سياسيا لمسألة المقاومة عن طريق ادخال الفلسطينيين في مفاوضات الحل السلمي بمطالين تجري الان محاولة البحث عنهم بصورة فعلية ، والثمن الذي يلوح به لقاء الانتزاع الفلسطيني المطلوب هو الدولة الفلسطينية التي يمكن ان تشمل ضفتي الاردن معا »(١٠٦). وأكدت انه يتبول المقاومة بالدولة الفلسطينية تكون قد صفت نفسها بنفسها كحركة تحرر وطني [لانه] حين تنخرط في التسوية - الصنفة ، لتقبض ثمنا لانخراطها دولة تعين حدودها اتفاقات السلام ، تكون قد ارتضت اولا ، علاقة جديدة بالكيان الصهيوني قوامها الاعتراف به وضمان سيادته وأمنه والخضوع للقبز القومي الذي يمارسه . وتكون قد ارتضت ثانيا علاقة جديدة بالقوى الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة ، ثم تكون هي تد ارتضت ثالثا بالتحول في ظل المعطيات المذكورة الى نظام عربي اخر يزامن الانظمة القائمة الان في خضوعه للتوازن الدولي وللتوازن الطبقي السياسي السائد في المنطقة ، والذي يسد امام الجماهير العربية والفلسطينية اتفاق التحرير القومي والثورة الوطنية الديمقراطية(١٠٥). بالاضافة الى ذلك فقد اهتمت « الحرية » بابرار أهمية الوضع في الاردن وقالت « ان المعركة الفعلية التي بوسع حركة المقاومة الفلسطينية ان تخوضها ضد التسوية السلمية ميدانها الحقيقي في الاردن »(١٠٦) وادانت تردد قيادة حركة المقاومة في عدم اتخاذ مواقف حاسمة في الاردن(١٠٧)، وأشارت الى ان النظام الاردني يشن حرب استنزاف على حركة المقاومة في الاردن، وطالبت المقاومة في الاردن « ان تحمي نفسها بسياج من الجماهير » وقالت ان هذا السياج لا يمكن ان

طرح شعارات تحريضية عدائية ضد النظام الاردني ، واتهمت السلطات الاردنية بتحويل مؤامرة روجرز الى حرب اهلية في الاردن ، وطالبت حركة المقاومة بالحرص « على مواصلة مسيرتها الكفاحية ضد العدو الصهيوني وعدم الغرق في مهام الصراعات الجانبية التي تحاول السلطة عن طريقها استنزاف طاقة المقاومة وتعطيل فاعليتها الاساسية » (١٢٢).

● **الثائر العربي** ، في العدين ٣٠ و ٣١ ، ناقشت « الثائر العربي » مشروع روجرز والنتائج المترتبة على تنفيذه ، فأكدت معارضتها لهذا المشروع ، وانتقدت موافقة مصر عليه ، وحذرت من أن التمازج بين القائلين للمشروع والرائضين له ، سيتحول الى تناقض ، وأشارت الى ان « أخطر ما في الخطوة الامريكية هو تحويل القتال ضد العدو الصهيوني الى اقتتال داخلي » (١٢٣) كما أكدت ان المشروع يستهدف « الإبقاء على الوجود الصهيوني أسفينا في قلب الوطن العربي ... والقضاء على الثورة الفلسطينية قضاء مبرما » (١٢٤)

صحافة المقاومة في مواجهة سنوات الحصار :
بعد مجازر ايلول في الاردن ، اشتدت حملات التطويق والحصار - العسكرية والسياسية - ضد حركة المقاومة ، فتعرضت لاكثر من حملة عسكرية شنتها القوات الاسرائيلية على قواعدها في جنوب لبنان ، كما واجهت الهجمات العسكرية المستمرة ، التي شنتها القوى الرجعية المحلية ضدها ، بالإضافة الى ذلك فقد سمعت القوى المعادية ، من حربها النفسية - التشكيكية ضد حركة المقاومة ، بهدف عزلها عن جماهيرها ، ودفعها الى المواقف الاستسلامية . وكانت أبرز القضايا التي التفتتها صحافة المقاومة بعد مجازر ايلول ، وسلطت الضوء الكثيف عليها ، التحركات الإسرائيلية داخل الاراضي المحتلة ، بهدف ابراز قيادات محلية تقليدية ، تكون بديلا عن حركة المقاومة ، هذه التحركات ، التي تراكفت مع تسريب اخبار عن مشروعات امريكية ماثوثة لاجاد دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة . ولاكثر من سنة ، تعاطت صحف المقاومة جميعها مع هذه الموضوعية ، بأسلوب تحريضي احيانا ، وبأسلوب تمبوي - تحليلي ، أحيانا اخرى ، وأبرزت مخاطر وضع هذه المشروعات

تخترها ، وقالت « يراد من الساحة الاردنية في هذا الوقت الدقيق من مراحل تنفيذ بتود روجرز ، ان تكون ملتوية لتصور على انها الساحة التي تجري على ارضها العديد من الصدمات الدموية ... لصرف الانتباه عما يجري في المجال العربي والعالمى ... والهاء فصائل المقاومة باستنفارات يومية ، لتكرس طاقنها للدفاع عن نفسها في ساحة واحدة وتتعد عن مهام النضج الجدي لخطوط المؤامرة » (١١٥) وعلى الرغم من أن « الى الامام » أكدت وجود « تناقض بين الجماهير والسلطة العميلة الرجعية في الاردن » الا انها لم ترفع شعار اسقاط النظام الاردني (١١٦) . من ناحية اخرى فقد ثمنت « الى الامام » عمليات حط الطائرات التي قامت بها الجبهة الشعبية ، وانتقدت قرار اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية بتجميد عضوية الجبهة الشعبية انذاك ، نتيجة الخلاف معها حول معالجة موضوع الرهائن (١١٧).

● **الطلائع** : في سبعة اعداد متتالية في الفترة بين ١٩٧٠/٨/٣ - ١٩٧٠/٩/١٤ ، ناقشت « الطلائع » مشروع روجرز والنتائج المترتبة على القبول به ، فأكدت خطورة هذا المشروع ووصفته بأنه « البهران الاكثر سطوعا على ان الولايات المتحدة ، جادة هذه المرة اكثر من اي مرة مضت ، لتصفية القضية الفلسطينية مستخدمة كل ثقلها المادي والمعنوي لتحقيق هذا الهدف » ودعت لإحباط هذا المشروع بانتهاج سياسة « النفس الطويل » والبعد عن « المسراخ والتشنج » (١١٨) ، ودعت حركة المقاومة « ان تتجنب الدخول في صدامات مع اطراف من حركة التحرر العربي التي تختلف معها في الرأي » (١١٩) . وقالت « ان المتاوراة الامريكية الجديدة تأمل ان يتوقف اطلاق النار على جبهة العدو ، لبدأ على الجبهات العربية الداخلية ، وحركة التحرر العربية مدموة لإبقاء البنادق - كل البنادق نحو العدو » (١٢٠) وركزت على ضرورة وحدة حركة التحرر الوطني العربية . ودعت الى نقل العمل الفدائي لداخل الارض المحتلة (١٢١) . اتخذت « الطلائع » موقفا تحريزيا ضد مشروع روجرز وركزت على كشف نتائج الخطيرة على حركة التحرر الوطني العربية ، ولم تتخذ موقفا تحريزيا ضد الانظمة العربية التي تبنت به . وبالنسبة للوضع في الاردن ، فقد تجنبت

ومن القضايا التي ابرزتها صحف المقاومة في هذه الفترة ، واخذت جانباً كبيراً من اهتماماتها ، كان موضوع تجربة حركة المقاومة في الاردن ، وقد هذه التجربة وتقييمها ، ولقد تباينت صحف المقاومة ، واختلفت ، في نقد وتقييم هذه التجربة ، وكشفت في ممارستها لعملية النقد عن نرجسية واضحة ، واندفعت - احيانا - في حرب اعلامية فيما بينها ، دفاعاً عن المنظمات التي تنطق باسمها او تعبر عنها(١٢٦). كذلك فقد ابرزت صحف المقاومة في هذه الفترة ، موضوع الوحدة الوطنية، واكدت على اهميته وضرورته ، واعتبرت معظمها ، ان الصيغ السابقة للوحدة الوطنية لم تعد كافية ، ودعت الى الارتقاء بهذه الصيغ ، الى مستوى مواجهة مهمات المرحلة .

صحافة المقاومة : ظواهر وميزات

١ - صحافة ناشئة وظروف صعبة : لم تنطلق صحافة المقاومة بعد هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، مستندة على تراث صحفي سابق ، او خبرة صحفية جرى تكليفها وتطويرها في مرحلة سابقة ، فالبدائيات الاولى لصحافة المقاومة التي استعرضناها في فترة ما قبل الهزيمة ، لم تكن الا محاولات اولية ، وهي محاولات قد تسد جانباً من متطلبات تلك المرحلة التي كان فيها العمل الوطني الفلسطيني عملاً سريعاً ومحدوداً ، الا انها، حتماً ، تقف عاجزة عن تلبية مهمات المرحلة بعد نهوض المقاومة الفلسطينية المسلحة واكتسابها الطابع العلني والجهاري ، ووقوفها كقوة صدام امامية ورئيسية في مواجهة الهجمة - الابدالية - الصهيونية - الرجعية ، فالمرحلة التي اعقبت الهزيمة ، كانت تفرض على صحافة المقاومة مهمات جديدة ، كان يقف على رأسها تعبئة وتجديد اوسع الجماهير والارتقاء بوعيها السياسي وقدرتها النضالية ، وربطها بالاحداث وتطوراتها المتلاحقة يوماً بيوم ، ولم تكن تلبية مثل هذه المهمات بالامر السهل على صحافة ناشئة ، تنطلق من الصفر ، ومحكومة منذ نشأتها بمجموعة من الظروف والاضاع المعقدة ، اهمها حالة النشأة التي يعيشها الشعب الفلسطيني ، وعدم وجود ارض خاصة به يمارس عليها سيادته وتماثونه . فالانظمة العربية كانت تعامل الفلسطينيين الذين يعيشون على ارضها ، كمقيمين وليس كمواطنين يتمتعون

المشبوهة على مستقبل النضال الوطني الفلسطيني وحركة التحرر الوطني العربية ، وربطها بمجمل التطورات السياسية التي كانت تجري في المنطقة، بهدف الوصول الى تسوية ذليلة مع العدو الاسرائيلي(١٢٥). كذلك فقد شكلت موضوع علاقة حركة المقاومة مع النظام الرجعي في الاردن ، القضية الاكثر بروزاً في صحف المقاومة خلال هذه الفترة ، مسلطت الضوء الكثيف على موافق النظام الاردني من الحركة الوطنية في الاردن ، ومن القضية الفلسطينية خلال الربع قرن الاخير ، فقدت الكثير من الابحاث والدراسات والمقالات ، التي تناقش وتعرض تاريخ النظام الاردني القمعي ضد حركة الجماهير في الاردن ، ومواقفه الخيانية من القضية الفلسطينية ، وكان ابرز ما في هذه المقالات ، تسييل الضوء على المؤسسة العسكرية الاردنية ، وكيف حولها النظام الاردني الى اداة قمع واضطهاد ضد القوى الوطنية في الاردن . وعلى الرغم من تباين صحف المقاومة في تحديد السياسات الصائبة لمواجهة النظام الاردني ، ومحاولاته المستمرة لضرب حركة المقاومة ، الا انها جميعها اجتمعت على ادانة النظام الاردني ، وتحريض اوسع الجماهير ضده ، ولقد برز هذا الاجماع بشكل واضح ، بعد المجازر الجديدة التي ارتكبتها قواته ضد حركة المقاومة في احراج جرش وعجلون في تموز (يوليو) ١٩٧١ ، حيث فقدت حركة المقاومة بعد هذه المجازر ، تواجدتها العلني في الساحة الاردنية ، وخاضت صراعاً سياسياً مكثوفاً معه على اكثر من جبهة ، سواء على صعيد الداخل ، او على صعيد تطويق واجهاض تحركاته السياسية في الخارج ، والتي اتسمت بالخطورة بعسده ان طرح ما يسمى « بمشروع المملكة العربية المتحدة » في آذار (مارس) ١٩٧٢ .

كذلك فقد اكتسب وضع حركة المقاومة في لبنان ، وطبيعة علاقتها المقاومة مع السلطات اللبنانية ، اهمية مركزية في اهتمامات صحف المقاومة في هذه الفترة ، وركزت في هذا المجال ، على ضرورة تدعيم علاقة حركة المقاومة مع الحركة الوطنية في لبنان ، وبنفس الوقت تدميم وتمتين علاقتها مع حركات التحرر الوطنية والديمقراطية العربية .

وعلى الرغم من تكريس هذا الاعتراف ، فقد كانت صحيفة « فتح » مثلها مثل كل صحف المقاومة الأخرى التي كانت تصدر في الأردن ، كانت تتعرض للملاحقات رجال السلطة الأردنية ومطارداتهم ، وكانت تطبع ، كما كانت تطبع صحف المقاومة الأخرى تحت الحراسة المسلحة .

لقد كانت الأردن ، الأرض الذي تبلورت فيه البدايات الأولى لصحافة المقاومة ، بحكم التواجد الرئيسي لحركة المقاومة هناك ، وعندما استطاعت السلطة الأردنية أن تقضي على الوجود العلني لحركة المقاومة في الأردن بعد مجازر أيلول ١٩٧٠ وجرش ١٩٧١ ، تعرضت صحف المقاومة التي كانت تصدر هناك ، لهزة كبيرة ، فتوقف بعضها عن الصدور لفترة ، وبعضها توقف نهائياً عن الصدور وبعضها صار يصدر من خارج الأردن . في حين أن بعضها تحول إلى نشرات سرية . لقد شكلت هذه الأوضاع الصعبة التي كانت تعيشها صحف المقاومة ، أحد الأسباب الرئيسية في عدم انتظام صدورها وفي عدم وجود كادر صحفي مستقر وثابت . فالعاملون والحررون في صحف المقاومة ، لم يكونوا في معظمهم ، متفرغين لمهامهم الصحفية ، بل كان عليهم القيام بمهام نضالية وتنظيمية متعددة ، وكانوا يعيشون أجواء الأرباب والملاحقات والمطاردات المستمرة ، شأنهم شأن أي عنصر يعمل في منظمات المقاومة .

أن هذه الظروف والأوضاع الصعبة ، دفعت بعض منظمات المقاومة ، إلى استئجار أو شراء امتياز صحف لبنانية ، لتتخذ منها مبراً إعلامياً وسياسياً يعبر عن وجهة نظرها ورؤيتها للأحداث ، على الرغم من التكاليف الباهظة الذي يتطلبها استئجار أو شراء صحيفة لبنانية . « إلا أن هذه الصحف المستأجرة أو المشتراة ، لم تكن تتبجح بالحرية الكاملة التي كانت تتبجح بها صحف المقاومة الأخرى ، فكون هذه الصحف لبنانية ، يجعلها خاضعة لتأتون المطبوعات اللبناني ، الذي يفرض حدوداً وقيوداً على الصحف اللبنانية ، وكثيراً ما تعرضت صحف المقاومة اللبنانية للإحالة على المحاكم وفرضت عليها الغرامات ، لخبر نشرته ، لا يتفق وقانون المطبوعات اللبناني . إضافة إلى ذلك ، فإن الصحفيين الفلسطينيين الذي يعملون في هذه الصحف ، لا يتبعون بنفس

بحق المواطنة الكاملة ، فكانت لا تسمح لهم أو لأي تجمعات سياسية تعبر عن تطلعاتهم وأهدافهم ، أن تصدر صحفاً رسمية خاصة بهم ، والفلسطينيون في الضفة الغربية الذين كانوا يتمتعون شكلاً ، بالمواطنة الكاملة كأردنيين ، كانوا يعيشون في ظل حكم رجعي فاشي ، يضطهد كل الوطنيين ، ويضطهد أي صحافة وطنية أردنية كانت أم فلسطينية ، ولم يكن فلسطينيو قطاع غزة ، بأحسن حالاً من فلسطينيي الضفة الغربية ، والصحفية الوحيدة التي ظهرت في قطاع غزة قبل الهزيمة ، وهي صحيفة « أخبار فلسطين » لم تقدم شيئاً للجمهور الفلسطيني .

لقد فرضت هذه الأوضاع الصعبة نفسها على صحافة المقاومة منذ نشأتها ، لذا فقد اعتمدت منظمات المقاومة في بداية نشاطاتها على المنشور السري أو إصدار نشرات شبه علنية كانت توزع بشكل محدود ، كما اعتمدت أيضاً على إقامة علاقات لها مع بعض الصحف العربية المعروفة باتجاهاتها الوطنية ، وبشكل خاص بعض الصحف التي تصدر في لبنان ، لتعريف الجمهور بأنكارها ونشاطاتها . ومع تأكيد ظاهرة العلنية ، وبروز سلطة الثورة في فترة لاحقة على الهزيمة ، ومع تكلف تجربة صحفية فلسطينية من خلال هذه البدايات الأولى لصحافة المقاومة بدأت تتبلور ملامح أولية لصحافة فلسطينية مقاومة ، أخذت تنمو في مجرى النضال اللاحق كما أخذت تلبى جوانب عديدة من متطلبات المرحلة الثورية الجديدة من العمل الوطني الفلسطيني . ولم تبدأ هذه الملامح في التبلور إلا في العام ١٩٦٩ ، فأخذت النشرة التي كانت تطبع على ورق الحرير « ستانسل » تتحول إلى ما يشبه الصحيفة أو المجلة ، وتوزع وتباع في الشارع علناً ، مثلها مثل أي صحيفة رسمية ، لقد فرضت صحافة المقاومة شرعيتها من خلال الثورة وقانونها ، وليس من خلال قوانين المطبوعات في البلدان العربية ، هذه القوانين التي كانت تعتبرها لا شرعية ، فصحيفة « فتح » عندما صدرت كناطقية بلسان اللجنة المركزية لحركة المقاومة ، لم تعترف بها السلطة الأردنية بهذه الصفة إلا بعد أن جرى تكريس الاعتراف بها ، باتفاقية عمان الملحقة لاتفاقية القاهرة التي عقدت بعد مجازر أيلول في الأردن .

٣ - صحافة أسبوعية أو شهرية ، باستثناء الفترة التي كانت تصدر فيها صحيفة « فتح » في الاردن كصحيفة يومية ، فان الصفة الغالبة على صحافة المقاومة ، انها صحافة اسبوعية وشهرية ، ولم يصدر عن منظمات المقاومة أي صحف يومية باستثناء النشرات الاخبارية التي كانت تصدرها هذه المنظمات بين فترة واخرى . ان هذا يعود بشكل اساسي ، الى ان الصحيفة اليومية ، تحتاج الى كادر متفرغ ، كما تحتاج الى امكانيات مالية وفنية ، لا تقدر عليها منظمات المقاومة ، في الظروف التي تعيشها . ان عدم وجود صحيفة مقاومة يومية او اكثر ، يشكل نقصا في صحافة المقاومة ، لا تسده اقامة علاقات مع هذه الصحيفة او تلك من الصحف اليومية اللبنانية ، لان هذه العلاقات عرضة للتبدل والتغير على ضوء تطور الاحداث ، وتطور المواقف السياسية . وان الجهة الوحيدة القادرة على اصدار صحيفة مقاومة يومية ، هي الاعلام الموحد .

٤ - صحافة ملتزمة : ان أهم ما يميز صحافة المقاومة انها صحافة ثورة ، تقوم على اساس من الالتزام بهذه الثورة والتعبير عن قضاياها وتطلعاتها ، وبالتالي فانها صحافة ملتزمة سواء على المستوى العقائدي او السياسي . ولا توجد أي صحيفة من صحف المقاومة ، يمكن ان توصف انها مستقلة ، لان أي صحيفة تعبر وتنتطق بلسان احدى التنظيمات ، وبالتالي فانها فيما تعرضه او تعبر عنه ، انما تعرض او تعبر عن وجهة نظر تنظيمية ، وعن خط سياسي عام . وبغض النظر عن مدى جدية التزام هذه الصحيفة او تلك ، او مدى قدرة هذه الصحيفة او تلك ، في تجسيد التزامها والتعبير عنه بوضوح ودقة ، فان هذا الالتزام ، جعل من صحف المقاومة ان لا تتناول الا قضايا الثورة ، والشؤون المتعلقة بها ، وان تبعد كلياً عن الاسلوب الصحفي التجاري ، كما نتج عن التزامها ، ان لا تعطي أهمية للاعلان التجاري الا فيما ندر ، وبما يتفق مع خطها السياسي ، كما ادى الى ان يكون توزيعها محدودا ، كحال أي صحيفة عقائدية ملتزمة ، لا تقرأ الا من قبل الفئات والقوى التي تتعاطف معها ، او ذات الاهتمام المباشر بالقضايا التي تثيرها . وقد نتج عن كل ذلك ، وقومها في صعوبات مالية ، جعل من الصعب على أي

الحتوق التي يتمتع بها أي صحفي لبناني ، وفر مشمولين برعاية نقابة الصحافة اللبنانية . وكحال أي فلسطيني مقيم في لبنان ، فانه لا يحق لأي فلسطيني ان يعمل في صحيفة لبنانية وان كانت صحيفة مقاومة ، الا بعد الحصول على اذن عمل ، وطيلة عمله ، يعيش تحت التهديد بانتزاع اذن العمل منه على ضوء أي تطورات يمكن ان تحدث . الا انه على الرغم من هذه الصعوبات والعراقيل ، فقد استطاعت صحافة المقاومة ان تقف على قدميها ، وان تطور نفسها وتسير الى الاحسن ، وخلال السنتين الاخيرتين ١٩٧٣ و ١٩٧٤ ، استقرت اوضاع عدة صحف ، بحيث انها اخذت تصدر بانتظام وبشكل مستمر ، وان تحافظ على درجة من الجودة والاخراج الصحفي .

٢ - التعدد : ان أبرز ظاهرة في صحف المقاومة هو تعددها الذي لا يحكمه قانون محدد او ضوابط محددة ، فالعدد ظاهرة طبيعية في صحافة تمثل حركة تحرر وطني تضم عدة تنظيمات ، وأكثر من وجهة نظر ، وهو في هذه الحالة يكون ظاهرة صحية ، يعكس تعايش الآراء المختلفة وتصارعها في جبهة وطنية واحدة ، كذلك فان هذا التعدد يكون طبيعياً وصحياً ، عندما يقوم على أساس التخصص ، كان تكون هناك صحف يومية اخبارية - تحريضية ، او صحف اسبوعية تعبوية - تحليلية ، ومجلات شهرية فكرية ، الا ان الملاحظ في صحف المقاومة ، ان تعددها ، وان كان يقوم في جانب منه على هذين الاساسين ، فانه في جانب آخر ، يقوم على عوامل اخرى ، ولدتها طبيعة العلاقات بين منظمات المقاومة في ما بينها ، هذه العلاقات التي لم يجر ضبطها على الرغم من الائتلاف في جبهة وطنية واحدة ، والائتلاف على قيام اعلام موحد ، كما ولدتها ايضا ، العلاقات التنظيمية غير المستقرة ، والخلافات السياسية داخل التنظيم الواحد ، فقد كان يصدر عن التنظيم الواحد عدة نشرات متعارضة في خطها السياسي ، ووضح من مثل هذه الظاهرة ، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ثم « فتح » . لقد ولد هذا التعدد في جانبه غير الطبيعي حالة من الاربك السياسي بين الجماهير ، كما ولد حالة من الفوضى الاعلامية ، وأدى الى هبوط مستوى العديد من هذه الصحف وعدم استقرارها وعدم انتظام صدورها .

وحتى هذه الحالات النادرة لم تكن تعكس شعورا مميذا بأزمة الاعلام الفلسطيني ، ولم تات كجزء من عملية نقد وتقييم واسعة وشاملة ، تتناول الجوانب المختلفة لهذا الاعلام ، بروح موضوعية ، بل كانت في معظمها ، عبارة عن نظرة سريعة ، تكثف الضوء على جوانب جزئية ، برزت في مواجهة بعض القضايا او الاحداث ، فمثلا اثار « الى الامام » (١٢١) في احد اعدادها ، ظاهرة الاعلان المضخم والمبالغ فيه عن عمليات المقاومة العسكرية ، و اشارت الى مخاطر مثل هذا النهج الاعلامي على ثقة الجماهير بالاعلام الفلسطيني ، وكررت ما يشبه هذا الموقف ، حين عرضت على صفحاتها كلمة احمد جبريل ، الامين العام للجبهة الشعبية - القيادة العاملة ، في المجلس الوطني الفلسطيني في دورته التاسعة ، والذي وصف الاعلام الفلسطيني بأنه « نسخة رديئة عن الاعلام العربي التهرجي ، عمل على تجميع المد الجماهيري بأن اغرقت في بحر العواطف والانفعالات الآتية » واتهم الاسلام الفلسطيني بأنه ساهم الى جانب الاعلام العربي « في تضليل الجماهير... وبافساد الروح الثورية للمقاتلين [لان] عمليات كثيرة كتبت بأسمائهم وهم لا يدرون عنها » (١٢٨). وأشسست « الهدف » (١٢٩) في دراسة لها عن الاعلام الفلسطيني ، الى هذه الظواهر نفسها ، فوصفت الاعلام الفلسطيني بالفوضى ، وبأنه اعلام غوغائي ، ألبس المقاومة « ثوبا فضفاضاً من الادعاء بصورة غير مباشرة [مما ادى] الى تراخي التعبئة والاندفاع الى المقاومة » كما اتهمته بالفرق « في مناسبات ومبالمفات وصلت أحيانا الى حد الاضحاك » . وبعض هذه الظواهر وغيرها ، وردت في مقال « الطلائع » (١٣٠) عن اعلام المقاومة ، الذي وصفه المقال بأنه « اعلام غير موجه ... لا يمثل على الاطلاق ، أي صلة بين الجماهير والتنظيم السياسي الذي يعبر عنه [وبأنه] يعتمد اعتمادا كلياً على ثقافة وإطلاع العاملين فيه ... قريهم من القيادات والمعلومات التي لديهم » كما اتهم المقال ، « اعلام المقاومة ، بتحويل الهزائم الى انتصارات ، وافتعال المعارك الجانبية .

ان هذه الملاحظات النقدية لاعلام المقاومة ، على الرغم من جزئيتها ، واتصافها بالملاحظة العابرة ، أكثر من اتصافها بالملاحظة الدراسية النقدية ،

صحيفة مقاومة ايجاد كادر متفرغ لها ، اضافة الى ذلك ، فباستثناء صف المقاومة اللبنانية ، التي توزع كأي صحيفة لبنانية وتباع في الاسواق ، فان صف المقاومة الأخرى ، توزع بالمجان ، وقل ان تبيع ، وبالتالي ، فانه بالكاد ان تسد من خلال البيع مصاريفها المتواضعة ، التي لا تتعدى مصاريف الطباعة والورق .

٥ - **عدم الاستقرار والانتظام** : ان إحدى الظواهر الهامة التي عكستها صحافة المقاومة ، هو عدم انتظام واستقرار معظمها ، فباستثناء صف المقاومة اللبنانية ، و « الطلائع » و « صوت فلسطين » و « فلسطين الثورة » فان صف المقاومة الأخرى كانت تتعرض للتوقف بين فترة وأخرى ، كما انها لم تكن منتظمة في صدورها ، وان أحد الأسباب الرئيسية لذلك ، بالاضافة الى ما ذكرته سابقا - هو ان الكثير من صف المقاومة ، لم تكن تصدر الا في المناسبات و امام بروز أحداث ساخنة في المنطقة ، فالشراة ، مثلا ، التي كانت تصدرها الجبهة الشعبية الديمقراطية لم تصدر بشكل منتظم الا قبل مجازر ايلول في الاردن ولفترة محددة لم تتعد الشهر ، ولم تصدر بعد ذلك الا مرتين . كذلك فان الصحف والنشرات الكثيرة التي صدرت في الاردن قبل مجازر ايلول ماتت بسرعة بعد انتهاء الاحداث وخلال فترة قصيرة . ان هذه الظاهرة ، تؤكد انه كانت هناك دفقات من الحماس تنتاب بعض منظمات المقاومة ، خلال الاحداث الساخنة ، فتصدر بعض الصحف ، ثم يبرد هذا الحماس بعد فترة وانقضاء الاحداث ، لتوقف الصحف عن الصدور او تموت نهائيا . إلا ان هذا الوضع لم يمنع وجود صحف كرسست نفسها واستقرت ، وانتظمت في اصدارها ، وبها ومن خلالها يمكن القول ، انه تم ارساء تجربة صحفية فلسطينية ، وتم بلورة صحافة مقاومة فاعلة .

صحافة المقاومة : نظرة تقييم أولية

لم تجر خلال السنوات العشر الماضية أي عملية تقييم نقدية لصحافة المقاومة وتجربتها كصحافة ثورة ، باستثناء حالات نادرة ، تناولت فيها بعض صف المقاومة ، الاعلام الفلسطيني بشكل عام ، دون التطرق بشكل محدد الى صف المقاومة ذاتها ، وتقييم دورها الاعلامي والتعبوي ،

باعتبارها أهم وسائل اعلام المقاومة ، وأكثرها تأثيرا ، ان تقوم بمثل هذه المهمات ، فكان من واجبها على **الصعيد الفلسطيني** ، بعد هزيمة حزيران ، ان تنتشل الجماهير الفلسطينية من اي شعور باليأس او الضياع بعد الهزيمة ، وان تقوم باعادة تعيئتها وحشد طاقاتها بما يتلاءم ومتطلبات المرحلة الجديدة من النضال الوطني الفلسطيني ، بتربيتها تربية سياسية كفاحية ، وتعريفها بواقع عدوها ، دون اوهام ، وتخليصها من الافكار الشوفينية والرجعية التي ملقت بأذهانها في السنوات الماضية ، وان تعيد صياغة أساليب تفكيرها ورؤيتها للحداث، للارتقاء بوعيا السياسي وتقدرتها على الصمود والمواجهة ، بما يزيد من فعاليتها الكفاحية وقدراتها النضالية على مواجهة المؤامرات التي كانت تحاك ضد الثورة الفلسطينية لتلغص عليها منذ البداية أو اجهاؤها .

وعلى **الصعيد العربي** ، فقد كان عليها ان تقوم بمهمة تعريف الجماهير العربية بالقضية الفلسطينية، وبالذور النضالي الذي تلعبه الثورة الفلسطينية في مواجهة الهجمة الامبريالية - الصهيونية - الرجعية ، وبالتالي تأمين اكبر دعم ممكن من هذه الجماهير للثورة ، عبر تمثين تحالفات الثورة الفلسطينية مع القوى الوطنية والديموقراطية العربية ، وعبر تأكيد الوحدة الكفاحية بينهما . وعلى **الصعيد العالمي** ، فقد كان عليها ، ان تقدم للرأي العام العالمي ، الانسان الفلسطيني المناضل ، في سبيل قضية عادلة ، ضد عدو عنصري ، استيطاني ، مدعوم من قوى الامبريالية العالمية ، وان تسمى لتعتين العلاقات الكفاحية بين الثورة الفلسطينية وحركات التحرر الوطني العالمية ، وكل الشعوب المحبة للتقدم والسلام في العالم .

لقد كان على صحافة المقاومة ان تقوم بمثل هذه المهمات العظيمة ، وهي صحافة ناشئة واجهت صعوبات عديدة منذ بداياتها الاولى . فتمكنت خلال فترة قصيرة ، نسبيا ، ان تبلور اهتماما جماهيريا في الاوساط الفلسطينية بشكل خاص ، وبعض الاوساط العربية بشكل عام ، بالقضايا والمواضيع التي كانت تثيرها على صفحاتها . لان صحافة المقاومة ، بالموضوعات التي كانت تثيرها ، كانت بمثابة فتح جديد لمي

فانها تعكس واقعا معينا كان يعيشه الاعلام الفلسطيني ، هذا الواقع الذي لم تكن صحف المقاومة مستثناة منه بدرجة او باخرى . ذلك ان هذه الصحف كانت لحدى الوسائل الرئيسية للاعلام الفلسطيني فكانت سلاح المقاومة الرئيسي في مواجهة حملات التشكيك والحرب النفسية التي كانت تتعرض لها ، كما كانت وسيلتها الرئيسية في تثقيف وتعبئة وتحريض اوسع الجماهير الفلسطينية والعربية لمصلحتها ، ولم تكن وسائل الاعلام الاخرى من اذاعة وكراسات وملصقات ، بمستوى أهمية الصحافة ، فالاذاعات الفلسطينية التي تبث من بعض البلدان العربية ، لا تستطيع القيام بأكثر من المهمة التحريضية - التوعوية ، لان اوقات بثها محدودة ، أما الكراس فلا يتجاوز المهمة الاعلامية - التثقيفية ، والملصق لا يخرج عن كونه ، وسيلة اعلامية تحريضية ، في حين ان الصحافة تقوم بهذه المهمات المتعددة والمتنوعة في آن واحد ، سواء قامت على أساس التخصص في احدى هذه المهمات ، او الجمع بينها في صحيفة واحدة .

ان أي تقييم نقدي لصحافة المقاومة يجب ان يقوم من خلال التحديد الواضح والثوري لمهمة الاعلام في مرحلة التحرر الوطني ، فاعلام المقاومة باعتباره اعلام حركة تحرر وطني تخوض كفاحا مسلحا ، يعتبر أداة من أدوات النضال في معركة التحرير ، وأحد الأركان الرئيسية في الحرب النفسية ضد العدو ، وهو سلاح في منتهى الفعالية والخطورة ، اذا أحسن استخدامه ، يشكل أداة نوعية وتعبئة وتحريض لأوسع الجماهير ، ويزيد من تماسكها ، في الوقت الذي يعمل على تغثيت قوة العدو المعنوية، واذا أسئء استخدامه، فإنه يتحول الى سلاح ضد الثورة ، يثير انفعالات الجماهير وعواطفها دون ان يعيئها تعبئة حقيقية ، وينشر فيها التراخي ، والتواكل ، يدفعها الى الانفعال الشديد، عند تحقيق الانتصارات الجزئية، والى اليأس القاتل عند اول هزيمة ولو جزئية ، فالاعلام الثوري ، اعلام يضبط خطواته مع خطوات الكفاح المسلح والتطورات التي تواجهها الثورة ، يبقى على صلة بالجماهير ، يضبط خطواتها ، ويوجهها ، بما تقتضيه مصلحة الثورة .

وعليه ، فقد كان على صحافة المقاومة ،

سمارك جاثبية ، محض ذاتية ، كما ولد لديها حالة من الاتانية بالتركيز على أخبار ونشاط التنظيم الذي تعبر عنه ، وتغيب أخبار ونشاطات التنظيمات الأخرى . لقد ولدت هذه الظاهرة حالة من الأرباك السياسي لدى الجماهير ، وأفقدت صف المقاومة عموماً لحساب خصوصيتها ، ودفعها الى الوقوع في فخ العصبوية التنظيمية .

ومن هذه الظواهر الأكثر بروزاً ، عدم قدرة صحافة المقاومة على تجاوز الظاهرة العامة التي اتسم بها الإعلام العربي ، وهي ظاهرة الإعلام المضخم والطرح الإخباري المبالغ فيه ، فساهمت صحف المقاومة الى جانب الإعلام العربي في تضخيم العمل الفدائي الفلسطيني ، وفي المبالغة في العمليات العسكرية التي كانت تقوم بها فصائل المقاومة المختلفة . ذ « الهدف » (١٦١) ، مثلا كانت لا تجد حرجاً في تقديم بعض العمليات العسكرية العادية بعنوان بارزة ومضخمة ، فخطفت طائرة مثلاً قدمته بعنوان رئيسي « عملية خطف الطائرة الأميركية تهز العالم ، الفدائيون يوجهون ضربة مؤلمة للإمبريالية الأميركية » وكذلك « الحرية » (١٦٢) أيضاً لم تجد حرجاً ان تساهم في تضخيم بعض العمليات الفدائية العادية ، وتقديمها كأنها عمليات تمثل تطوراً نوعياً في العمل الفدائي الفلسطيني . وقس على ذلك العديد من صحف المقاومة الأخرى . ان هذه العقلية الإعلامية ، التي كانت تركز وراء بعض الأخبار العادية وتضخيمها ، تولد نتائج خطيرة ، لا يمكن الاستهانة بها ، لأنها من ناحية ، تعكس نفسها على مناقشة وتطويل أية ظاهرة او قضية ، من ظواهر وقضايا الثورة ، بدقة وموضوعية ، كما انها من الناحية الأخرى ، تهدم جدار الثقة الذي يمكن ان يقوم بين هذه الصحف وجماهير الثورة ، بالاضافة الى انها تنمي آملاً زائفة لدى هذه الجماهير ، تدفع بها الى عدم تلمس المخاطر الحقيقية التي تواجهها ، والى النيل من قدرتها على الصمود في الظروف الصعبة .

بالاضافة الى هاتين الظاهرتين الرئيسيتين ، فان هناك ملاحظة جديرة بالاهتمام ، وهي ان صحف المقاومة ، على الرغم من انها غطت خلال هذه السنوات القليلة ، العديد من قضايا وجوانب القضية الفلسطينية وترغعاتها العربية والدولية ، الا انها تجاهلت تسليط الضوء على قضايا تعتبر

الصحافة العربية ، الرسمية وشبه الرسمية ، لأول مرة بعد نكبة العام ١٩٤٨ ، تقوم صحافة علنية ، تستعرض وتناقش بحرية تامة ، قضايا الثورة الفلسطينية والعربية ، وقضايا حركات التحرر الوطني العالمية ، لأول مرة يجد القارئ الفلسطيني بين يديه ، هذه الاعادة المكثفة لتاريخه الوطني ، بنهج تحليلي ، في معظم الاحيان ، لأول مرة ، يقرأ الجمهور الفلسطيني ، عدوه ، بهذه الكثافة ومن جوانبه المختلفة ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية . يقرأ علاقاته وتحالفاته الدولية ، ويتابع تأثيرات مثل هذه العلاقات على نضاله وعلى قضيته . لقد أوجدت صحافة المقاومة ، وعياً عاماً بين الجمهور الفلسطيني ، بالقضية الفلسطينية ، وعياً يختلف كثيراً عن ذلك الوعي المسطح والهامشي ، الذي أوجدته السياسات الرسمية العربية وأجهزة اعلامها ، وعياً بدأ ينتزع من ذهن الجماهير الفلسطينية ، الأفكار الشوفينية والرجعية ، والأوهام السابقة ، عن معركته التحريرية . لقد أوجدت صحف المقاومة الوقيعية ، خلال فترة قصيرة من الزمن ، مكانة مرموقة لها ، بين العديد من المهتمين بالقضية الفلسطينية ، سواء على المستوى العربي او الدولي ، وساهمت هذه الصحف ، مساهمة فعالة ، في التعريف بالقضية الفلسطينية وبنضالات الشعب الفلسطيني في الأوساط التقدمية في الراي العام العالمي ، كما ساهمت مساهمة فعالة في اذكاء وتعميق الحوار حول واقع حركة التحرر الوطني العربية ، وكانت النافذة التي أطلقت منها العديد من الحركات الوطنية والديموقراطية على الجمهور العربي ، في وقت كانت تتعرض فيه للخلق الإعلامي من أكثر الصحف العربية .

الا انه ، على الرغم من هذه الظواهر الإيجابية ، فان أكثر من ظاهرة سلبية ، مثلتها هذه الصحف خلال السنوات القليلة الماضية . ومن هذه الظواهر البارزة ، عدم قدرة صحف المقاومة على الجمع بشكل خلاق بين كونها صحفاً تعبر من الناحية العامة عن حركة تحرر وطني تضم منظمات عديدة باتجاهات سياسية وايدولوجية مختلفة ، وبين كون هذه الصحف ، منفردة ، تعبر عن إحدى هذه المنظمات . ان عدم القدرة هذه ، أوقع صحف المقاومة ، في مناسبات اعلامية ، وفي

والاجتماعية ورصد تأثيراتها على نمو الحركة الوطنية داخل الارض المحتلة . ومن هذه القضايا الهامة أيضا، قضية تحرير المرأة، ودورها في معركة التحرير الوطني ، هذه القضية التي لم تأخذ من اهتمامات صحف المقاومة الا مقالات متفرقة ، وشبه عادية ، وماتت في المهد ، اول تجربة لايجاد مجلة تناول هذه القضية من جميع جوانبها ، السياسية والاجتماعية .

ان هذه الظواهر السلبية العديدة لصحافة المقاومة ، لا تنقل من الفواحي الايجابية التي منحتها ، خلال هذه الفترة الزمنية القصيرة ، وهي ظواهر لا بد من معالجتها ، بثورية ، لتدعيم هذا البنيان الصحفي ، الذي يعد احد الانجازات الوطنية للشعب الفلسطيني خلال مسيرته النضالية الشاقة والطويلة .

١٧ — انظر حول التجربة الكوبية ، فلسطيننا — نداء الحياة ، الاعداد من ٣٦ — ٣٩ ، وحول حرب الانتصار السويسرية ، العدد ٢٤ .

- ١٨ — العاصفة ، العدد ١ .
- ١٩ — العاصفة ، العدد ٢ .
- ٢٠ — العاصفة ، العدد ٨ .
- ٢١ — المصدر نفسه .

٢٢ — حول وضع اسرائيل العسكري انظر « فلسطين — ملحق المحرر » ، الاعداد ٣ و٤ و٥ و٢٢ و٢٣ و٣٥ و٤٠ و٤٢ و٤٣ و٤٧ و٤٩ و٥٠ و٥٦ و٥٧ و٦٥ . وحول السلاح الذري الاسرائيلي ، انظر الاعداد ٢٢ و٢٥ و٢٨ و٣١ و٤٠ و٤٧ .

٢٣ — فلسطين — ملحق المحرر ، العدد ٨ .

٢٤ — حول الهجرة اليهودية انظر الاعداد ٣ و١١ و١٢ و١٧ ، وعن الاحزاب الاسرائيلية ، انظر الاعداد ٢ و١٨ و١٩ و٢٠ و٢٢ و٢٢ . وقد اهتمت بشكل اساسي بالحزب الشيوعي الاسرائيلي ، والانشقاق الذي حدث فيه ، واعتبرت الانشقاق كدليل على عدم امكانية ايجاد « صيغة لعمل يهودي — عربي مشترك في مجال القضية الفلسطينية » ، العدد ٣٢ ، وحول منظمة الارض ، انظر الاعداد ٤ و٥ و١٠ و٣٤ . وحول اوضاع العرب داخل الارض المحتلة ، انظر الاعداد ١ و٤ و٥ و٧ و١٠ و٢٠ و٦٤ .

من صلب القضية الفلسطينية . ومن المواضيع الرئيسية التي كان يجب على هذه الصحف لفت الانتباه اليها ، ومعالجتها . من هذه القضايا مثلا، سياسة الجسور المفتوحة بين الضفة الغربية المحتلة والضفة الشرقية ، ومدى تأثيراتها على الكفاح المسلح الفلسطيني، وعلى مستقبل الصراع العربي — الاسرائيلي ، لقد كانت هذه القضية شبه غائبة في صحف المقاومة . ومن هذه القضايا ايضا ، وضع العمال العرب الذين يعملون في المؤسسات والورش الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة منذ العام ١٩٤٨ . ان هذه القضية لا تعالج من خلال النداءات التحذيرية والمناشدات العاطفية للعمال العرب أن لا يعملوا في المؤسسات الاسرائيلية ، بل تعالج من خلال دراستها دراسة علمية ، بدراسة أسباب هذه الظاهرة الاقتصادية

✽ في فترة لاحقة للاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية في العام ١٩٦٧ ، ظهرت بعض الصحف في الضفة الغربية ، تعارض الاحتلال وتبدي تعاطفا مع حركة المقاومة الفلسطينية ، وأهم هذه الصحف ، جريدة الشعب ، ومجلة النجر .

١ — انظر أبو فائر ، صحافة فتح والثورة . شؤون فلسطينية ، العدد ١٧ ، ص ٦٤ .

٢ — انظر نشرة العاصفة ، العدد ١ ، تاريخ ١٥/٥/١٩٦٥ .

- ٣ — انظر فلسطيننا — نداء الحياة، العدد ١٥ .
- ٤ — فلسطيننا — نداء الحياة ، العدد ٣٤ .
- ٥ — فلسطيننا — نداء الحياة ، العدد ١٣ .
- ٦ — فلسطيننا — نداء الحياة ، العدد ٣٢ .
- ٧ — المصدر نفسه .
- ٨ — المصدر نفسه .
- ٩ — فلسطيننا — نداء الحياة ، العدد ١٢ .
- ١٠ — المصدر نفسه .
- ١١ — فلسطيننا — نداء الحياة ، العدد ١٦ .
- ١٢ — انظر فلسطيننا — نداء الحياة ، الاعداد ٢٢ و٢٤ و٣٦ .
- ١٣ — فلسطيننا — نداء الحياة ، العدد ٣٤ .
- ١٤ — انظر فلسطيننا — نداء الحياة، العدد ١٢ .
- ١٥ — انظر فلسطيننا — نداء الحياة ، الاعداد ٢ و١٢ و١٣ و١٥ و٣٢ .
- ١٦ — فلسطيننا — نداء الحياة ، العدد ٣٢ .

٥٠ - لو أخذنا أعداد السنة الأولى من «الهدف» كمنوذج وهي الأعداد (١ - ٥٢) نلاحظ أنها شملت ٢٤ خبرا ومقالا وتحقيقا عن العمليات الخارجية ، كما شملت ١١ مقالا وتحقيقا عن العمليات العسكرية للجبهة الشعبية في غزة فقط .

٥١ - عقب الإنشقاق كانت تنطق باسم منظمة الاشتراكيين اللبنانيين عربيا ودوليا وهي المنظمة التي شكلها المشقون عن فرع القوميين العرب في لبنان . ولكن عقب تشكيل منظمة العمل الشيوعي اللبناني ، باندماج منظمة الاشتراكيين اللبنانيين والاشتراكي اللبناني في تنظيم واحد أخذت تنطق باسم منظمة العمل اعتبارا من العدد ٥٧٤ .

٥٢ - حول مواقف « الحرية » النقدية من الاتحاد السوفييتي راجع الأعداد ٤٤٦ ، ٤٤٧ و ٤٥٨ و ٤٦٠ و ٤٦٢ و ٤٦٥ ، وحول صراعاتها الفكرية والسياسية مع الأحزاب الشيوعية العربية راجع الأعداد ٤٥٤ و ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ - ٤٦٣ و ٤٨١ و ٤٨٤ - ٥٠٣ - ٥٠٥ .

٥٣ - انظر عرضها للمنظمة الاشتراكية الاسرائيلية « ماتزين » في العددين ٤٨٦ و ٤٧٨ .

٥٤ - الحرية ، العدد ٤٤٦ بتاريخ ١٣/١١/١٩٦٩ ، وللمزيد حول هذا الموقف انظر الأعداد ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٥٠ و ٤٥١ و ٤٥٩ .

٥٥ - الحرية ، العدد ٤٧٨ ، وللمزيد ، انظر العددين ٤٨١ و ٤٨٢ ، وانظر دراسة ماتزين للموضع الطبقي للمجتمع الاسرائيلي كما عرضتها الحرية في الأعداد ٥٦٥ - ٥٦٧ .

٥٦ - معظم أعداد الحرية تصوي أخبارا أو تحليلات عن الجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي ، انظر دراساتنا المبكرة عنها في الأعداد ٥٢١ - ٥٢٦ والأعداد ٥٥٠ - ٥٥٦ و ٥٧١ .

٥٧ - جريدة فتح ، العدد ٣٤٠ .

٥٨ - حديث خاص مع أحمد عبدالله محيد ، رئيس تحرير « فلسطين الثورة » جرى في ١/ ١٩٧٤/١١ .

٥٩ - الثورة الفلسطينية ، العدد ٨ .

٦٠ - الطلائع ، العدد ١٥١ .

٦١ - انظر دراسة « الطلائع » عن البترول

٢٥ - حول هذا الموضوع انظر الأعداد ١٤ و ١٥ و ١٦ و ٣٥ و ٣٩ و ٦٠ .

٢٦ - حول هذا الموضوع انظر الأعداد ٤٢ و ٤٣ و ٤٩ .

٢٧ - انظر « فلسطين - ملحق المحرر » ، الأعداد ٨ و ٣٥ و ٣٧ و ٣٨ .

٢٨ - « فلسطين - ملحق المحرر » ، العدد ٣١ .

٢٩ - حول المنظمة والموقف منها انظر الأعداد ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٩ و ٢١ و ٢٢ و ٢٥ و ٢٩ و ٣١ و ٥٥ وانظر بشكل خاص العدد ٢١ حول انتقاد الشقيري ، والعدد ٣١ حول الدماغ عنس الحزبيين .

٣٠ - فلسطين - ملحق المحرر ، العدد ٣٥ .

٣١ - فلسطين - ملحق المحرر ، العدد ٣٨ .

٣٢ - فلسطين - ملحق المحرر ، العدد ٨ .

٣٣ - المصدر نفسه .

٣٤ - انظر فلسطين - ملحق المحرر ، العدد ٥٣ .

٣٥ - انظر فلسطين - ملحق المحرر ، العدد ٦٧ .

٣٦ - المصدر نفسه .

٣٧ - فلسطين - ملحق المحرر ، العدد ٥٥ .

٣٨ - المصدر نفسه .

٣٩ - فلسطين - ملحق المحرر ، العدد ٢٣ .

٤٠ - فلسطين - ملحق المحرر ، العدد ٥٥ .

٤١ - ان « فلسطين - ملحق المحرر » لم تناقش الا في مقال واحد في عددها « ٤٩ » حول حق العمل للفلسطينيين في البلدان العربية .

٤٢ - حول هذا الموضوع انظر « فلسطين - ملحق المحرر » ، الأعداد ٥٠ و ٥٤ و ٥٩ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٥ .

٤٣ - انظر أخبار فلسطين ، العدد ١ تاريخ ١٩٦٥/١٠/٤ .

٤٤ - أخبار فلسطين ، العدد ٢ ، تاريخ ١١/ ١٩٦٥/١٠ .

٤٥ - انظر أخبار فلسطين ، الأعداد ٥٣ و ٦٥ و ٧٧ .

٤٦ - انظر أخبار فلسطين ، العدد ٢ .

٤٧ - حديث خاص جرى مع بسام أبو شريف بتاريخ ٢٢/١٠/١٩٧٤ .

٤٨ - خلال معارك أيلول ١٩٧٠ في الاردن ، صدرت لمدة أسبوع بشكل يومي .

٤٩ - انظر الهدف ، العدد ١ بتاريخ ٢٦/٧/ ١٩٦٩ .

في الضفة الغربية وتباحثه معهم بشأن الكيان الفلسطيني . وراجع « الحرية » الاعداد ٤٤٩ و٤٥٠ و٤٥٩ و٤٧٥ . وقالت الحرية في العدد ٤٥٠ « يعتبر موضوع الدولة الفلسطينية هو المدخل الذي لا بد منه لإيجاد حل نهائي لقضية فلسطين » وأشارت الى ان محاولات ستجيري « لدفع منظمة التحرير الفلسطينية بزعامته فتح نحو الموافقة على هذه الفكرة » . وراجع أيضا مجلة « الثورة الفلسطينية » الاعداد ١٧ و١٨ و٢٢ ، ونشرة « فتح » الاسبوعية العدد ٦ ، و« والتاثر العربي » العدد ٤ ، و« الطلائع » العدد ٢٧ ، و« الى الامام » العدد ٢١٧ .

٧٦ - جميع منظمات المقاومة رفضت المشروع وناهضت تبول بعض الانظمة العربية باستثناء منظمين صغيرتين هما منظمة فلسطين العربية ، والهيئة العاملة لتحرير فلسطين ، اللتين اتخذتا موقفا منسجما مع الجمهورية العربية المتحدة ، لذا فقد كانتا محل نقد من بعض صحف المقاومة لوقتئها هذا .

٧٧ - الشرارة ، الاعداد ٨ و١١ .
٧٨ - الشرارة ، الاعداد ١٠ و١٢ و١٥ و١٧ .
٧٩ - الشرارة ، العدد ١٦ و١٧ .
٨٠ - الشرارة ، العدد ٩ وانظر كذلك العدد ١٠ .

٨١ - انظر الجماهير ، الاعداد ١٤ و١٥ .
٨٢ - انظر جريدة فتح ، الاعداد من ٣٤ - ٥٥ .
٨٣ - انظر جريدة فتح ، العدد ٤٥ و٤٧ .
٨٤ - انظر جريدة فتح ، العدد ٤٧ .
٨٥ - انظر جريدة فتح ، العدد ٥٥ .
٨٦ - جريدة فتح ، العدد ٥٧ و٥٨ .
٨٧ - جريدة فتح ، العدد ٧٠ .

٨٨ - جريدة فتح ، العدد ٧٣ وانظر العدد ٧١ .
٨٩ - جريدة فتح ، العدد ٨٢ . وحول شعار السلطة الوطنية انظر الاعداد ٨٠ - ٨٥ .

٩٠ - الهدف ، العدد ٥٣ .
٩١ - الهدف ، العدد ٥٦ .
٩٢ - الهدف ، العدد ٥٥ .
٩٣ - المصدر نفسه .
٩٤ - الهدف ، العدد ٥٦ ، وحول الموضوع نفسه ، انظر العدد ٥٧ .

٩٥ - الهدف ، العدد ٥٨ ، وانظر حول الوضع

العربي سلاح في المعركة ، الاعداد ١٤ و١٧ - ٢٢ .

٦٢ - انظر التحقيقات الاولى عن اندروز في « الطلائع » ، الاعداد ٩ و١٠ و١٢ .

٦٣ - الخائر العربي ، العدد الصادر بتاريخ ١٥/٦/١٩٧٤ .

٦٤ - الثوري ، العدد ١ .

٦٥ - انظر ، مجلة الثورة الفلسطينية ، الاعداد ١٢ - ١٤ و١٦ و٢٢ .

٦٦ - المصدر نفسه ، الاعداد ٧ و١١ و١٢ و١٤ و٢٠ و٢٢ .

٦٧ - الخائر العربي ، العدد ٩ ، وللمزيد انظر ملف الفكر القومي في تاريخ النضال الفلسطيني ، العدد الخاص الصادر عن الاشهر الثلاثة الاولى من العام ١٩٧٢ ، وانظر كذلك الاعداد من ١ - ٩ و١٦ . وقد اشتركت « الطلائع » في تأكيد هذا الطابع وان بدرجة أقل ، حين أكدت على « ان وحدة العمل الفدائي لا بد وأن تكون من خلال استراتيجية نضال قومية محددة الاهداف والاساليب » العدد ١٧ .

٦٨ - انظر الحرية ، العدد ٤٦٥ - ٤٦٦ ، والهدف العدد ٢ و٣ .

٦٩ - انظر الحرية ، العدد ٥٠٤ .

٧٠ - المصدر السابق ، وانظر الحرية ، العدد ٤٦٧ ، وحول وجهة نظر « الهدف » من العمليات الخارجية وشعار ضرب المصالح الامبريالية انظر الاعداد ٤ و٧ و٨ و١٢ و١٧ و٢٠ و٢٢ و٢٨ و٣٠ و٣٢ و٣٦ و٣٧ .

٧١ - الخائر العربي ، العدد ١٦ ، وللمزيد انظر الاعداد ٢١ و٢٢ - ٢٥ .

٧٢ - الحرية ، العدد ٥٠٦ ، وانظر كذلك العدد ٥٠٧ .

٧٣ - الهدف ، العدد ٣٩ ، وانظر كذلك العدد ٤٤ .

٧٤ - نشرة « فتح » الاسبوعية ، العدد ٩ ، السنة الاولى .

٧٥ - راجع المزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع قبل مجازر أيلول ١٩٧٠ ، « الهدف » الاعداد ١ و٥ و١٠ و١٢ و٣٠ و٤٧ ، وفي العدد ٤٧ سلطت « الهدف » الضوء على نشاطات ناحوم جولدمان ، رئيس المؤتمر اليهودي ، بخصوص هذا الموضوع واتصاله ببعض الوجوه

مجزرة أيلول « قد هيات طرفنا نفسيا سلبيا من الممكن ان يستخدم حتى اقصى مدى لترسيخ فكرة الدولة الفلسطينية » . وانظر « الحرية » المحدثين ٥٤٩ و ٥٥٤ . واعتبرت « الحرية » في العدد ٥٤٩ أن الدولة الفلسطينية من « اخطر المؤامرات على القضية الفلسطينية » وقالت ان الذي يحدد تدرج حركة المقاومة على مواجهة مشروع الدولة ، هو خروجها الفعلي عن الخطة السياسية العربية المرسومة للتسوية السلمية » . وانظر كذلك « الى الامام » ، الاعداد ٢٢٢ - ٢٢٤ و ٢٢٦ ، وجريدة « فتح » اليومية الاعداد ١١١ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٧ و ١٢٩ و ١٣٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٨ . وانظر الطلائع ، الاعداد ٥٦ و ٩٥ و ١٠٩ .

١٢٦ - حول نقد وتقييم تجربة المقاومة في الاردن انظر الهدف ، الاعداد ٧٢ و ٧٣ و ٧٥ و ٨٢ و ٨٤ و ٩١ - ٩٣ و ٩٧ و ١٠٢ . وانظر « الطلائع » الاعداد ٥١ و ٥٢ و ٥٩ و ٦٠ و ٦٦ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٩٧ ، وانظر « الحرية » الاعداد ٥٤٩ و ٥٥١ و ٥٥٣ و ٥٧٠ و ٥٧٢ - ٥٧٤ . وانظر « فتح » الاسبوعية الاعداد ٣٠٠ و ٣٠٢ و ٣٠٣ ، و« فلسطين الثورة » العدد ٢٧ و« الثالث العربي » العدد الخاص الصادر « آذار » « مارس » ١٩٧٢ ، و« الى الامام » ! اعداد ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٤٢ و ٢٤٧ و ٢٥٩ و ٢٦٩ .

١٢٧ - الى الامام ، العدد ٣٠٩ .

١٢٨ - الى الامام ، العدد ٣٥٩ .

١٢٩ - الهدف ، العدد ٥١ .

١٣٠ - الطلائع ، العدد ١١٨ .

١٣١ - الهدف ، العدد ٧ .

١٣٢ - انظر الحرية الاعداد ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٩٥ ، حول عرضها لعمليات عسكرية قامت بها الجبهة الشعبية الديمقراطية في اواخر العام ١٩٦٩ ، وهي العمليات التي سميت آنذاك بعملية الخط الاحمر ، وعملية هوشي منه ، وعملية تشي جينغرا ، والتي قدمها اعلام الجبهة الديمقراطية ، كعمليات تشكل تطورا نوعيا في العمليات الفدائية الفلسطينية ، في حين انها في حقيقة الامر لم تتجاوز اطار العمليات العادية . وهي مهاجمة وقصف بعض المواقع الاسرائيلية .

في الاردن ، الاعداد ٥٥ و ٥٩ و ٦٠ .

٩٦ - الهدف ، العدد ٥٨ .

٩٧ - الهدف ، العدد ٦٠ ، وانظر كذلك العدد ٥٩ .

٩٨ - الهدف ، العدد ٥٩ .

٩٩ - الهدف ، العدد ٥٨ .

١٠٠ - الحرية ، العدد ٥٢٥ .

١٠١ - المصدر نفسه .

١٠٢ - الحرية ، العدد ٥٢٦ ، وحول الموقف من الاتحاد السوفياتي انظر أيضا الاعداد ٥٢٧ - ٥٣٠ .

١٠٣ - انظر الحرية ، المحدثين ٥٢٦ و ٥٢٧ .

١٠٤ - الحرية ، العدد ٥٢٨ .

١٠٥ - الحرية ، العدد ٥٢٩ .

١٠٦ - الحرية ، العدد ٥٢٧ .

١٠٧ - انظر « الحرية » ، الاعداد ٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٣١ .

١٠٨ - الحرية ، العدد ٥٣١ .

١٠٩ - الحرية ، العدد ٥٣٢ .

١١٠ - المصدر نفسه .

١١١ - انظر « الى الامام » ، الاعداد ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٦ .

٣١٢ - انظر « الى الامام » ، العدد ٣١٢ .

١١٣ - انظر « الى الامام » ، العدد ٣١٣ .

١١٤ - المصدر نفسه .

١١٥ - انظر « الى الامام » ، العدد ٣١٥ .

١١٦ - المصدر نفسه .

١١٧ - انظر « الى الامام » . المحدثين ٣١٦ و ٣١٧ .

١١٨ - الطلائع ، العدد ٤٠ .

١١٩ - المصدر نفسه .

١٢٠ - الطلائع ، العدد ٤١ .

١٢١ - الطلائع ، العدد ٤٤ .

١٢٢ - الطلائع ، العدد ٤٦ .

١٢٣ - الثالث العربي ، العدد ٣٠ .

١٢٤ - الثالث العربي ، العدد ٣١ .

١٢٥ - حول هذا الموضوع انظر « الهدف » ، الاعداد ٧٥ و ٧٧ و ٧٨ و ٨٢ و ٨٤ و ٨٩ و ٩٠ - ٩٣ . واعتبرت « الهدف » في العدد ٩٠ ، ان

منظمة التحرير الفلسطينية في عشر سنوات

راشد حميد

المقدمة الى دورات المجلس الوطني وتوصيات لجان المجلس الوطني ومقراته . وهذه المواد متوافرة الى حد كبير في مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية في بيروت وذلك بالتحديد في قسمي الوثائق والملفات .

الا انه لا بد في البداية من عرض سريع للآطار التاريخي الذي برزت فيه منظمة التحرير الفلسطينية عل ذلك يساعد على توضيح نشوء المنظمة وتطورها .

أسفرت الحرب العربية - الاسرائيلية في العام ١٩٤٨ عن قيام دولة اسرائيل وتشريد الشعب العربي الفلسطيني خارج ارضه وفقدانه الجزء الاكبر من وطنه . الا ان هذا الشعب الذي تاوم الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية لثلاثة عقود خلت لم يكن ليستسلم للارادات الخارجية ويخضع للأمر الواقع الذي جعل منه شعبا لاجئا مشردا . وكانت هذه المحنة كبيرة جدا بحيث ترتب على الشعب العربي الفلسطيني ان يجعل لتأمين قوته اليومي وسلامة بنيته تحت اقسى الظروف واشدها يؤسا .

ولم يلبث الشعب العربي الفلسطيني ان الملمس جراحه وراح يناضل في سبيل استرداد وطنه السليب على اكثر من معيد . فمنهم من قاتل العدو من خلال اجهزة رسمية مثل بعض اجهزة الاستخبارات العربية ، ومنهم من انضم الى مختلف الاحزاب العربية القومية والدينية واليسارية ، مستهدفين جميعا انزال المهزمية بقوات الاحتلال الصهيوني والعودة الى الوطن السليب .

تعتبر منظمة التحرير الفلسطينية الان على الصعيد الفلسطيني والعربي والدولي الممثل الشرعي للشعب العربي الفلسطيني . ولم تصل المنظمة الى هذا الوضع الا بعد نضال شاق وطويل دفع ثبته الشعب الفلسطيني الالف الشهداء والجرحى والمعتقلين والمشردين والمبعدين داخل الارض المحتلة وخارجها . ونظرا لذلك يبدو من الاهمية بمكان عرض مسيرة المنظمة في السنوات العشر الاخيرة منذ انشائها حتى الان . ويجري التركيز في هذا العرض على الجوانب الفلسطينية في تطور المنظمة وتقدمها . ولذلك ارتأيت ضرورة للتركيز على دورات المجلس الوطني الفلسطيني الاثني عشر وتطورها وقراراتها التي تعكس الصورة الشاملة لمسيرة المنظمة والنضال الفلسطيني في العقد الاخير . فالدورات الثلاث الاولى للمجلس الوطني الفلسطيني تعطي صورة عن المرحلة الاولى لنشوء المنظمة وتطورها . اما الدورات التالية فتعطي صورة عن تطور النضال الفلسطيني المسلح وتصدره القيادة الفلسطينية عن جدارة نضالية . وميزة التركيز على دورات المجلس الوطني الفلسطيني انه يبين بوضوح كيف اصبحت المنظمة اطارا للوحدة الوطنية الفلسطينية سياسيا وعسكريا واعلاميا وماليا . وبلي دورات المجلس الوطني عرض موجز لمهام وأعمال مختلف هيئات ودوائر واجهزة منظمة التحرير الفلسطينية مما يصور تشعب مهام المنظمة واعمالها والاعباء التي تتع على كاهلها . ولا بد هنا من الاشارة الى ان المصادر الاولية التي جرى اعتمادها هي الميثاق الوطني الفلسطيني والنظام الاساسي للمنظمة وتقارير اللجنة التنفيذية ودوائر المنظمة

المرحلة الاولى

وتساعد النضال الفلسطيني وبدات بوادر الحركة الثورية المسلحة تلوح في الافق بدافعين رئيسيين : ١ - انتصار ثورة الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي ، ٢ - تزايد التحدي الاسرائيلي بمحاولة تحويل مياه نهر الاردن . وادركت انظمة الحكم العربية هذا التحول فراحت تحاول بشتى الوسائل احتواء او ضبط الحركة الفلسطينية الناهضة . ونتيجة لهذه الاوضاع صدر قرار مؤتمر القمة الاول للموك ورؤساء دول الجامعة العربية الداعي الى تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره . . وأوكل هذا الامر الى الاستاذ احمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية .

صدر قرار جامعة الدول العربية المذكور في الثالث عشر من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤ . وفي الجادي والعشرين من شهر اذار (مارس) من العام نفسه ، وبعد ان تآمر الشقيري بجولة في الدول العربية اتصل خلالها بشخصيات فلسطينية ووضع مشروعي الميثاق والنظام الاساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية (١) ، اختار لجائنا تحضيرية في جميع البلاد العربية المضيفة للفلسطينيين وقامت تلك اللجان بأعداد قوائم بأسماء المرشحين من تلك البلاد لعضوية المؤتمر الفلسطيني الاول وذلك عملاً بالمادة السادسة من مشروع النظام الاساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وما ان انتهت اللجان التحضيرية مهماتها حتى اختار الشقيري لجنة التنسيق وضمت هذه اللجنة ست لجان فرعية هي : ١ - لجنة الاعلام ، ٢ - لجنة الدراسات والمقترحات ، ٣ - لجنة جدول الاعمال ، ٤ - لجنة الإتصال ، ٥ - لجنة الافتتاح ، ٦ - اللجنة الادارية .

اعدت اللجنة الادارية المتفرعة عن لجنة التنسيق قائمة نهائية بأسماء المرشحين لعضوية المؤتمر ، وضمت القائمة أسماء أشخاص يمارسون مختلف النشاطات، والاعمال بينهم الاعيان والنواب والوزراء والنواب والاعيان السابقون . ورؤساء البلديات والمجالس القروية في الاردن

ورجال الدين والمحامون والاطباء والصيادلة والمهندسون واساتذة الجامعات وممثلو اتحاد الطلبة واعضاء المجلس التشريعي في قطاع غزة ورؤساء الغرف التجارية والتجار والمقتربون وممثلو الهيئات النسائية والخيمات وشيوخ عرب بشر السبع والنفباء وممثلو اتحادات وتقابلات العمال والمزارعين ورؤساء مجالس الشركات ومدراء وموظفو المصارف وخالقهم (٢) . ثم شكل مكتب للمؤتمر تولى توجيه الدعوات لحضور المؤتمر .

المجلس الوطني الاول : عقدت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر صباح الثامن والعشرين من ايار (مايو) ١٩٦٤ بحضور ٤٢٢ عضواً وممثلين عن سائر الحكومات العربية . وانتخب المؤتمر الاستاذ احمد الشقيري رئيساً للمؤتمر كما انتخب مكتباً للرئاسة مؤلفاً من ثلاثة نواب للرئيس وامين عام صار يعرف فيما بعد بأمتين النسر . وبدأ المؤتمر بتأليف اللجان وقام مكتب الرئاسة بتنسيق عضويتها ثم اعد جدولاً خاصاً باللجان واسماء اعضائها واختارت كل لجنة منها رئيساً ومقررراً وامين سر . وبعد ان فرغت اللجان من اعداد تقاريرها قدمتها الى المؤتمر فناقشتها واتخذت قراراتها أبرزها (٣) : ١ - اعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، ٢ - يصبح المؤتمر بكامل اعضائه المجلس الوطني الاول ، ٣ - المصادقة على الميثاق ، ٤ - المصادقة على النظام الاساسي ، ٥ - المصادقة على اللائحة الداخلية للمجلس الوطني ، ٦ - المصادقة على النظام الاساسي للصندوق القومي ، ٧ - تشكيل كتائب فلسطينية عسكرية نظامية وكتائب فدائية قتادية وفعالة .

وقد يلاحظ في البند السابع من القرارات الصادرة عن المجلس الوطني الاول تركيز على دور القوات النظامية بذكرها دون اضافة صفات بينما اضيف للكتائب الفدائية كلبها « قتادية وفعالة » . وقد يعتبر ايضا ذكر هذه الكتائب مجرد محاولة لاستيعاب طلائع المعسل الفدائي التي اخذت تظهر آنذ ولو بحجم محدود .

ولا بد ايضا من ملاحظة ان اعضاء المجلس الوطني الاول لم يدعوا على اساس تنظيمي او حزبي بل اختارهم الشقيري من مختلف قطاعات

وليس تسمية لها وجودها المستقل. وإن اليهود ليسوا شعبا واحدا له شخصيته المستقلة وإنما هم مواطنون في البلدان التي ينتمون إليها . ويرى أن المذاهب العقائدية السياسية والاجتماعية والاقتصادية لا تشغل الفلسطينيين عن واجب تحرير وطنهم وأنهم جميعا يشكلون جبهة وطنية واحدة، شعاراتهم الوحدة الوطنية والتعبئة القومية والتحرير . أما الحكومات والشعوب العربية فعليها تعبئة جميع طاقاتها العسكرية والمادية والروحية في سبيل تحرير فلسطين . وإما منظمة التحرير الفلسطينية فمسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني في سبيل التحرير في جميع الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية وسائر ما تتطلبه قضية فلسطين على الصعيدين العربي والدولي . ويجري تحقيق أهداف الميثاق وفقا للنظام الاساسي للمنظمة الذي يحدد كيفية تشكيل المنظمة وهيئاتها ومؤسساتها واختصاصات كل منها. وجميع ما تقتضيه الواجبات الملقاة عليها بموجب هذا الميثاق . ولا يري الميثاق ان تمارس المنظمة اية سيادة اقليمية على الضفة الغربية للاردن . ولا تطاع غزة ولا منطقتي الحماة . والميثاق لا يجري تعديله الا بأكثرية ثلثي مجموع اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني وذلك في جلسة خاصة تعقد من اجل هذا الغرض(٨) .

والاساس الثاني لعمل منظمة التحرير الفلسطينية بعد الميثاق هو النظام الاساسي الذي يعتبر اساسا للعلاقات في المنظمة الالتزام بالتضال والعمل الوطني مع الترابط الوثيق بين مختلف المستويات من قاعدة المنظمة الى قيادتها الجماعية . كما يعتبر النظام الاساسي جميع الفلسطينيين اعضاء طبيعيين في منظمة التحرير الفلسطينية يؤدون واجبه في تحرير فلسطين قدر طاقاتهم وكفاءاتهم ، وهم القاعدة الكبرى لهذه المنظمة(٩) . ويضم النظام الاساسي بابا حول المجلس الوطني وبابا اخر حول اللجنة التنفيذية وبابا ايضا للاحكام العامة . وتستجري الاشارة الى بعض مواد تلك الابواب في المكان المناسب من هذا المقال .

الشعب الفلسطيني . وليس هنا مجال الغوص في تفاصيل هذا المجلس وما جرى فيه . فقد ذكرت الصحف ان السلطات الاردنية منعت بعض الاشخاص من الحضور وان رجال الاستخبارات الاردنية تدخلوا في امور المؤتمر كثيرا . وقد دخلت في تشكيل المجلس اعتبارات عربية عديدة ومختلفة* .

الميثاق القومي (الوطني) الفلسطيني والنظام

الاساسي للمنظمة* : كان الهدف من قيام منظمة التحرير الفلسطينية هو انشاء الكيان الفلسطيني . وقد وردت كلمة كيان على لسان عبد الخالق حسونة ، الامين العام لجامعة الدول العربية اذ كان في مؤتمر صحافي عقده في القاهرة يوم 15/1/1964 . ولم تذكر الكلمة في البيان الصادر عن مؤتمر القمة العربي الاول . وقد قال الشقيري ان « الهيكل العام للكيان الفلسطيني [يوجد] في مشروعين ، الاول الميثاق القومي ، والثاني النظام الاساسي لمنظمة التحرير »(١٠) . وقد اوجز الشقيري نفسه صورة الكيان بالكلمات التالية(١١) :

- ١ - كتاب فلسطينية مسلحة تشكلها القيادة العربية المتحدة بالتعاون مع الدول العربية .
- ٢ - صندوق فلسطين يجبي الاموال بأمانة وينفقها بأمانة وحساباته مفتوحة للشعب .
- ٣ - مكاتب سياسية في جميع انحاء العالم لكسب الاصدقاء والتماس العون والمجدد اينما وجدناه .
- ٤ - تنظيم فلسطيني لجميع فئات الشعب اللاجئ والمقيم .

أما المبادئ العامة لتحقيق اهداف منظمة التحرير الفلسطينية فتتجسد في الميثاق الفلسطيني المؤلف من تسع وعشرين مادة . ويعتبر الميثاق فلسطين وطننا عربيا حدوده تلك التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني ، وان الشخصية الفلسطينية صفة اصيلة لازمة لا تزول وتنتقل من الاباء الى الابناء . اما الفلسطينيون فهم المواطنين العرب الذين كانوا يقيمون اقامة عادية في فلسطين حتى العام ١٩٤٧ ، سواء من اخرج منها او بقي فيها ، وكل من ولد لاب عربي فلسطيني بعد هذا التاريخ . ويعتبر الميثاق اليهودية ديانة مساوية

* أنظر على سبيل المثال صحيفة المحرر اللبنانية في الفترة التي سبقت وصاحبت وأعقبت انعقاد المؤتمر
** ادخلت عليها بعض التعديلات أشعر إليها في صفحات تالية .

هي : السياسية والمالية والعسكرية والإعلامية
ولجنة التنظيم الشعبي . وبعد مناقشة توصيات
اللجان واتخاذ القرارات اعيد انتخاب الاستاذ
احمد الشقيري رئيسا للجنة التنفيذية للمنظمة .
وبعد ذلك التقى الشقيري بيانا حدد فيه أسس
العمل التي ستتجهجها اللجنة بقوله :
١ - الاستمرار في اعداد الشعب لمعركة التحرير .
٢ - السعي بكل جهد وطاقة لاجراء انتخابات
حرة نزيهة للمجلس القادم ، ٣ - استبعاد اللجنة
الى وضع قانون التنظيم الشعبي موضع التنفيذ .
٤ - سحب اموال المنظمة سيكون بتوقيعي رئيسي
اللجنة التنفيذية والصندوق القومي الفلسطيني .

ومن ابرز قرارات هذه الدورة الثانية للمجلس
العمل على مرض التجنيد الاجباري لجميع
الفلسطينيين اينما كانوا اسوة بما طبق في قطاع
غزة ، ومناشدة الذول العربية تسهيل مهمة
قيادة جيش التحرير الفلسطيني في اختيار وانتقال
الضباط والعناصر العسكرية الاخرى في وحداته
المختلفة وفقا للحاجات العسكرية لجيش التحرير
وتمكن القيادة من تدريب الفلسطينيين في اراضي
تلك الدول . ثم الاهتمام الجدي في دور المرأة
الفلسطينية في معركة التحرير مثل المقاومة الشعبية
والخدمات الطبية والاسعاف الميداني .

وفي مجال التنظيم الشعبي فقد أمر المجلس
قانون التنظيم الشعبي . وكانت لجنة التنظيم
الشعبي قد قدمت التوصيات التالية :

١ - درست اللجنة مشروع الموازنة الخاصة
بالتنظيم الشعبي واستلقت نظر اللجنة ان
الاعتمادات المرصدة للتنظيم الشعبي لا تتناسب
والدور الكبير الملقى على عاتق التنظيم الشعبي
في المعركة .

٢ - زيادة الاعتمادات المخصصة للتنظيم
الشعبي من عشرة الاف دينار اردني الى مئة الف
دينار اردني تؤمن من بند الاحتياطي لتمكين المنظمة
من انشاء فروع اكثر لمكاتب التنظيم الشعبي
ولمساعدة الاتحادات والتنظيمات القائمة .

٣ - العمل على صهر الحركات الفلسطينية في
المنظمة .

٤ - يحث المجلس الدول العربية على تقديم
التسهيلات اللازمة لتحقيق التنظيم الشعبي في
اسرع وقت .

المجلس الوطني الفلسطيني : ان المجلس
الوطني الفلسطيني هو السلطة العليا للمنظمة
ويضع سياستها ومخططاتها وبرامجها . ومدة
المجلس ثلاث سنوات ويعقد دورة واحدة كل سنة
في شهر ايار (مايو) او دورات استثنائية بدعوة
من رئيس المجلس بناء على طلب من اللجنة
التنفيذية او من ريع اعضاء المجلس . ويعتقد
المجلس في القدس او غزة او اي مكان اخر وفقا
للظروف . وللمجلس مكتب رئاسة مؤلف من
الرئيس ونائين له وامين عام (سر) ينتخبهم
المجلس في بدء انعقاده وتتألف عضوية المجلس في
اعضاء منتخبين انتخابا مباشرا من الشعب
الفلسطيني وهو امر لم يتم نظرا للظروف العربية
والفلسطينية التي مر بها النضال الفلسطيني .
وكان قد وضع لهذه الغاية نظام خاص من قبل
اللجنة التنفيذية^(١٦) .

وفي دورة انعقاده العادية ينظر المجلس فيما
يلي :
أ - التقرير السنوي الذي تقدمه اللجنة
التنفيذية عن انجازات المنظمة واجهزتها ، ب -
التقرير السنوي للصندوق القومي واعتساد
الميزانية ، ج - الاقتراحات التي تقدم اليه من
لجان المنظمة ، د - اي مسائل اخرى تعرض
عليه .

وتتألف في المجلس ، من اجل تيسر اعماله ،
اللجان الضرورية التي تنظر في امور معينة ثم تقدم
توصياتها الى المجلس الذي ينظر فيها ويناقشها
ثم يصدر قراراته بشأنها بأغلبية اصوات
الحضور . ويكتبل النصاب القانوني للمجلس
بحضور ثلثي اعضائه^(١٧) .

وهنا لا بد من استعراض تجربة المجلس الوطني
الفلسطيني في النضال الفلسطيني وظروفه الصعبة
القاهرة . وسيتم التركيز على ابرز القرارات
الصادرة عن سائر دورات المجلس .

المجلس الوطني الثاني : عقدت الدورة الثانية
للمجلس الوطني الفلسطيني^(١٨) في الحادي
والثلاثين من شهر ايار (مايو) ١٩٦٥ في القاهرة .
وعملا بالمادة التاسعة من النظام الاساسي اقر في
الجلسة الاولى جدول اعمال المجلس وتم انتخاب
الهيئة الجديدة لمكتب رئاسة المجلس فأعيد
الشقيري رئيسا للمجلس . وتألفت خمس لجان

بورقنية الداعية للاعتراف بدولة إسرائيل وعلى عدم اتخاذ الحكومات العربية منه موقفاً حازماً . وفي الدورة الثالثة أعلن عن تسليح الصين الشعبية للمنظمة وعن أن وحدات فلسطينية يجري تدريبها في الصين . كما أعلن عن إمكانية حصول إسرائيل على السلاح النووي وضرورة مواجهة الامر (١٦) .

المرحلة الثانية

وتتابعت الأحداث الى أن وقعت حرب حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ . فكانت هذه الحرب عاملاً مساعداً على اشتداد عود الثورة الفلسطينية المسلحة . فهزيمة الجيوش العربية واستمرار ضربات الفدائيين ضد إسرائيل في المقابل ولدت للمقاومة دعماً كبيراً بين الشعوب العربية وصارت من أبرز الحركات في الساحة العربية وذات وزن سياسي لا يمكن اغفاله بل لا بد من أخذه في الحسبان . ولذلك لم يعد بوسع المنظمة ان تستمر وتمتد قائدة للشعب الفلسطيني بدون الطلائع الحاقلة لهذا الشعب . ذلك انه نتيجة حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ سقط قطاع غزة والضفة الغربية في يد الاحتلال الاسرائيلي وفيهما جزء كبير من الشعب الفلسطيني . ومن نتائج ذلك على المنظمة انه لم يعد بإمكانها عقد مجلس وطني فلسطيني موسع . وعلى الرغم من ذلك مرت فترة انتقالية دار الحديث خلالها عن ضرورة عقد المجلس الوطني الفلسطيني واضطر الشقري الى الاستقالة من قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ليحل محله يحي حموده ، الذي أجرى اتصالات مع مختلف المنظمات الفلسطينية من اجل إعادة تشكيل المجلس الوطني الفلسطيني . وطبيعي ان تبرز القوى الحاقلة في المجلس الجديد .

المجلس الوطني الرابع : دامت الدورة الرابعة للمجلس الوطني الفلسطيني من العاشر الى التاسع عشر من تموز (يوليو) ١٩٦٨ في القاهرة ، وكانت نقطة بارزة في تاريخ العمل الفلسطيني . فقد ضم كل واحد من المجالس الوطنية السابقة أكثر من اربعمئة عضو ، بينما ضم المجلس في دورته هذه مئة عضو بينهم ممثلين عن جميع المنظمات الفلسطينية العاملة وعن جيش التحرير الفلسطيني ومن عدد من العاملين من ابناء فلسطين . وبمجا يلي أسماء المنظمات التي مثلت في المجلس وشازكت في اعماله (١٧) : ٣٨ ممثلاً عن

٥ - الاستفادة من فعاليات اعضاء المجلس وشيوخ القبائل والعشائر والممثلين الشعبيين في المخيمات في المراحل الاولى من التنظيم الشعبي .
٦ - توصي اللجنة بتشجيع الاتحادات المختلفة ضمن اطار التنظيم الشعبي والعمل الفلسطيني الشامل .

المجلس الوطني الثالث : وفي ايار (مايو)

١٩٦٦ انعقدت الدورة الثالثة للمجلس الوطني الفلسطيني في غزة من الاعضاء القدامى بشكل رئيسي اذ لم يجر انتخاب مجلس جديد بسبب ما وعد رئيس المنظمة في الدورة السابقة . وشهد هذا المجلس عرضاً عسكرياً ومناورة بالذخيرة الحية قام بهما جيش التحرير الفلسطيني . وكان الشقري قد ذكر في تقريره للمجلس ان السدول العربية لم تدفع المبالغ المترتبة عليها وانه لم يطرأ اي تقدم بالنسبة الى المرحلة الثانية من انشاء جيش التحرير الفلسطيني (١٨) .

وهكذا تظهر ومنذ فترة مبكرة من حياة المنظمة انها واجهت مشاكل جسيمة وعقبات ضخمة ، فلا الجيش تقدم ولا الدول العربية وقت بالتزاماتها للمنظمة اذف الى ذلك ايضاً علاقات المنظمة ذاتها مع الاحزاب والقوى الفلسطينية المتعددة التي لم تتقبل في البداية المنظمة بتشكيلها وبنيتها التائمين . فقد وقتت حركة القوميين العرب في وجهها كما وقتت الهيئة العربية العليا وان يكن ذلك لاسباب مختلفة (١٩) .

وما كادت الدورة الثالثة للمجلس الوطني تنهي اعمالها حتى اشتدت الازمة بين المنظمة والنظام الاردني الذي انمى نشاطات المنظمة التي كانت تجري في الاردن في تلك الاثناء من اجل اجراء انتخابات للمجلس الوطني الفلسطيني القادم . وبدأت حملة واسعة ضد الفلسطينيين في الاردن . وبذلك لم تسر الامور كما كانت المنظمة تخطط وتحسب ، بل تكاثرت وزادت حدتها (١٥) .

ويلاحظ ان الشقري كان يبدأ في كل دورة للمجلس بابراز مسألة من المسائل يجري التركيز عليها وكأنها الشغل الشاغل . وقد يكون ذلك محاولة منه لتجنب اثاره المسائل الاساسية امام المجلس الوطني . ففي الدورة الثانية بدأ بالاستقالة احتجاجاً حول تصريحات الحبيب

مستهدفة توجيه هذا النضال وتوحيده (١٨). وقد استطاع المجلس في هذه الدورة ان يحقق ثلاثي جميع المنظمات الفلسطينية العاملة في رحابه ومشاركتها في جميع اعماله وموافقتها على مقرراته . وبالتحديد اقر المجلس ان الهدف هو تحرير فلسطين بكاملها وممارسة سيادة الشعب العربي الفلسطيني عليها وان لهذا الشعب الحق في أن يقيم لنفسه وعلى ارضه المجتمع الذي يرتضيه وان يقرر موقعه الطبيعي في الوحدة العربية . وأكد على الشخصية العربية الفلسطينية والوقوف في وجه اي محاولة لاذابتها او الوصاية عليها . واختار المجلس الكفاح المسلح اسلوب نضال لاسترداد الارض والحقوق الفلسطينية .

واقتر المجلس ان الثورة الفلسطينية جزء من الثورة العالمية ضد الاستعمار العالمي والامبريالية الامريكية بشكل خاص . وطلب الى الدول الاشتراكية والعالم الثالث وجميع حركات التحرر في العالم ادراك الاخطار المترتبة على الحركة الصهيونية وادانتها اسرائيل . واعلن وقوف الشعب الفلسطيني طرفا مع جميع حركات التحرر الوطني في العالم . وخص المجلس بالتقدير حكومة الصين الشعبية وشعبها لتأييدها للنضال الفلسطيني واعدائها الصريح لاسرائيل ورفضها الاعتراف بها او بشرعية اغتصابها ارض فلسطين .

وتبنى المجلس اسنسا للاعلام ابرزها : ١ - عدم الدخول في منافسات اعلامية ، واعطاء صورة واقعية عن الحوادث والمعارك ، ودعموا الصحف ووسائل الاعلام العربية الى الانضباط فيما تكتب عن الكفاح الفلسطيني المسلح ، والابتعاد عن اساليب الاثارة والاحتزاز من انتشار المعلومات التي قد تفيد العدو . ٢ - ايجاد ادارة تخطيط مركزي للاعلام تصدد الاساليب والمحتويات الاعلامية . ٣ - التيقظ للحرب الاعلامية التي يشنها العدو . وضرورة القيام بحملة اعلامية مركزة الى الاسرائيليين انفسهم خلال الاذاعات والصحف العالمية .

وفي المجال العسكري اقر المجلس ضرورة العمل على تدعيم جيش التحرير الفلسطيني وقيادة حجه وتطويره وعلى ان يكون حر الإرادة والقيادة . وكلفت اللجنة التنفيذية باتخاذ جميع الاجراءات اللازمة لتحقيق ذلك . ودعا الى العمل على وفاء

المكتب الدائم للمنظمات الفلسطينية التالية : ١ - حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، ٢ - طلائع حرب التحرير الشعبية (المصاعقة) ، ٣ - جبهة تحرير فلسطين (ج.ت.ف.) ، ٤ - الهيئة العاملة لدعم الثورة ، ٥ - جبهة ثوار فلسطين ، ٦ - جبهة التحرير الشعبية الفلسطينية ، ٧ - منظمة الشباب السوري الفلسطيني ، ٨ - منظمة طلائع الفداء . و ١٠ ممثلين عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي تضم : ١ - شباب الثار ، ٢ - ابطال العودة ، ٣ جبهة التحرير الفلسطينية ، و ٢٠ مثالا لجيش التحرير الفلسطيني وقوات التحرير الشعبية ، و ٣ عن الاتحادات الفلسطينية : ١ - الاتحاد العام لعمال فلسطين ، ٢ - والاتحاد العام لطلبة فلسطين ، ٣ - الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية . ولاول مرة في تاريخ المجلس الوطني يكون رئيسه المنتخب غير رئيس اللجنة التنفيذية .

واستبدل المجلس في هذه الدورة كلمة « القومي » « بالوطني » من اسم الميثاق بحيث اصبح « الميثاق الوطني الفلسطيني » . وخفف التعديل من استعمال كلمة « قومية » واستبدل بعض المصطلحات « القومية » بمصطلحات « ثورية » . مثلا ، المادة التاسعة في الميثاق الاصلي تقول ان المذاهب المعنائية لا تشغل اهل فلسطين عن تحرير وطنهم كواجب اول ، بينما الميثاق المعدل يقول ان المرحلة التي يعيشها الشعب العربي الفلسطيني هي مرحلة الكفاح الوطني لتحرير فلسطين ، ولذلك فان التناقضات بين القوى الوطنية الفلسطينية هي من نوع التناقضات القانونية التي يجب ان تتوقف لصالح التناقض الاساسي . وركز الميثاق المعدل ايضا على الكفاح المسلح والحرب الفدائية وبرزهما .

وهنا تجدر الملاحظة ان تعديل الميثاق هذا يجد ذاته يخالف من الناحية الاجرائية المادة (٣٣) من الميثاق الوطني الفلسطيني الذي يقول : « لا يعدل هذا الميثاق الا بأكثريه ثلثي مجبوع المجلس الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية في جلسة خاصة يدمى اليها من اجل هذا الغرض » . وهو امر لم تجر مراعاته .

وقد حددت الدورة الرابعة للمجلس المنطلقات والمواقف الاساسية للنضال الفلسطيني بالتفصيل

حسبها يرى ذلك ملائما ، وبحسب ما تمليه متطلبات معركة التحرير ومقتضيات تعميق الوحدة الوطنية ، في ضوء احكام الميثاق الوطني ، وذلك وفق نظام تقدمه اللجنة التنفيذية في الدورة المقبلة . . وعدلت في المادة (٨) عبارة « مرة كل سنة » لتصبح « مرة كل ستة اشهر » . وفي المادة (٩) ايضا عدلت عبارة « امين عام » لتصبح « امين سر » -واضيفت المادتان التاليتان :
 ١ - القدس هي مقر المجلس الوطني الفلسطيني .
 ٢ - اذا شغل مقعد او اكثر في المجلس الوطني لأي سبب من الاسباب ، يعين المجلس العضو او الاعضاء للملء المقاعد الشاغرة .

المجلس الوطني الخامس :

المجلس الوطني الخامس : في شباط (فبراير) ١٩٦٦ عقدت الدورة الخامسة للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة وشارك في اعمالها ٣٣ منن فتح ، ١٢ من الساعة ، ٤٢ من المستقلين ، بينما قاطعتها كل من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وقوات التحرير الشعبية . وفي هذه الدورة جرى انتخاب اللجنة التنفيذية انتخابا بينيا كان يعينه الرئيس تعيينا في الدورات السابقة . وقد انتخب ياسر عرفات رئيسا للجنة التنفيذية لأول مرة في هذه الدورة . وقد تبنى هذا المجلس خطة العمل السابقة التي وضعها المجلس السابق ووافقت على ترغ رئيس المجلس الوطني بحيث يكون مساويا من الناحية المادية لرئيس اللجنة التنفيذية .

المجلس الوطني السادس

انعقدت الدورة السادسة في الفترة ٧ - ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ في القاهرة . وضم المجلس في هذه الدورة ١١٢ عضوا يمثلون جميع المنظمات تقريبا باستثناء الهيئة العاملة لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي جرت معها محاولات لوقف مقاطعتها للمجلس . وأقر هذا المجلس اضافة ثمانية اعضاء يمثلون الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين . كما اقر رفع عدد ممثلي الاتحاد العام لمبيل فلسطين من ممثل واحد الى خمسة ممثلين ورفع عدد ممثلي الاتحاد العام لطلاب فلسطين من ممثل الى ثلاثة ممثلين . واقر ايضا زيادة تمثيل المرأة من واحدة الى اثنتين ، ووافق المجلس على اقتراح

دول جامعة الدول العربية بالالتزامات المترتبة عليها في ميزانية جيش التحرير وزيادة هذه الالتزامات . واقر ضرورة رصد الاعتمادات المالية اللازمة لتصعيد الكفاح المسلح وتطويره . وقال بضرورة تمكين قوات جيش التحرير الفلسطيني من المرابطة في الاماكن التي ينبغي ان ترابط فيها لصالح الثورة الفلسطينية . ودعا المجلس الى تشكيل قيادة عسكرية لقوات المنظمات الفدائية الممثلة في المجلس الوطني والى تطبيق نظام التجنيد الاجباري على الشعب الفلسطيني في مختلف الاقطار العربية .

واقر المجلس لذلك وضع الخطط اللازمة للاستفادة من طاقات المرأة الفلسطينية في الكفاح المسلح بها يتناسب وامكاناتها . واعتبر المجلس النظام السابق للتنظيم الشعبي لا يتناسب والظروف الحالية ولا يخدم هذه المرحلة من كفاحنا الوطني واقر استبداله بنظام آخر . واقر اعتماد اسلوب التنظيم الشعبي القائم على تنظيم القطاعات الشعبية نقابيا ومهنيا وبأي شكل آخر .

واقر ايضا المجلس ايجاد وفد او اكثر من اعضاءه او من خارج المجلس لحث الحكومات العربية على الوفاء بالتزاماتها في ميزانية المنظمة والجيش . واقر المجلس ايضا توحيد الجباية المالية وتكليف اللجنة التنفيذية بوضع خطة لتنفيذ ذلك خلال فترة لا تتجاوز ستة شهور .

واجرى المجلس في دورته الرابعة بعض التعديلات على النظام الاساسي اهمها (١٩) .

١ - تعديل المادة (٣٠) بحيث تصبح : « يحل المجلس الوطني المنعقد في القاهرة بتاريخ ١٠/٧/١٩٦٨ محل المجلس الوطني الانتقالي السابق لتنظيم التحرير الفلسطينية . ويبارس جميع الصلاحيات المتوقعة به بمقتضى هذا النظام » . وعدلت المادة (٣١) بحيث « تكون مدة المجلس الوطني آنف الذكر سنتين ابتداء من ١٠/٧/١٩٦٨ ، واذا لم يتيسر اجراء انتخاب لاهضاء المجلس الذي سيخلفه ، يجتمع ويقرر اما تمديد مدته لفترة اخرى او ان يشكل مجلسا جديدا بالطريقة التي يقرها . واطاف المجلس المادة التالية الى النظام الاساسي : « يحق للمجلس الوطني ، وتعود له وحدة صلاحية ضم اعضاء جدد اليه من حين لآخر ،

وقوات التحرير الشعبية .

الجلس الوطني السابع - عقد المجلس الوطني دورته السابعة في القاهرة (٣٠ ايار (مايو) - ٤ حزيران (يونيو) ١٩٧٠) . واتخذ قرارات مهمة اذ تبني بيان ١٩٧٠/٥/٦ المذكور اعلاه والصادر عن القيادة الموحدة التي تشكلت من سائر فصائل المقاومة اثر احداث ١٩٧٠/٢/١٠ بين المقاومة والسلطات الاردنية . كما وافق على تشكيل اللجنة المركزية كما هو مذكور اعلاه . ومن ابرز قراراته ايضا انشاء قيادة عسكرية واحدة للثورة تتولى قيادة القوات التي توضع تحت تصرفها وتطويرها وتحريك وتوجيه عملياتها وتوحيد تدريبها .

وقد حدد المجلس المهات التالية للجنة المركزية :
١ - معالجة المسائل الملحة بطريقة لا تتعارض والميثاق الوطني ، ٢ - العمل على تحقيق صيغ اعمق واكثر تقدما للوحدة الوطنية ، ٣ - متابعة تنفيذ قرارات المجلس الوطني وقراراتها هي ، ٤ - مناقشة المسائل المحالة اليها من اللجنة التنفيذية او اي من اعضائها وتتخذ القرارات الملزمة وفق النظام الداخلي الذي تقرره اللجنة المركزية .

هذا وتقدم اللجنة المركزية الى المجلس الوطني في دورته العادية او الاستثنائية تقريرا عن اعمالها ومدى فعاليتها . ويحق لها تجريد او تعليق عضوية اي عضو او تنظيم او اتخاذ اي عقوبة بشأنه على ان يعرض الامر على المجلس الوطني في اول دورة لانقاده ويكون قراره نهائيا في الامر . ويحق للجنة كذلك اتخاذ الاجراءات الكفيلة بعدم قيام اي تنظيم فدائي جديد .

وبما ان انتهى المجلس الوطني من دورته السابعة حتى تحركت السلطة في الاردن لضرب المقاومة مما دعا اللجنة المركزية لعقد اجتماع طارئ اصدرت في اعقابها بيانا دعت فيه المجلس الوطني الفلسطيني لعقد دورة استثنائية في عمان لبحث الموقف واتخاذ القرارات المناسبة لحماية الثورة . وعقدت الدورة في اب (اغسطس) ١٩٧٠ . واعلن المجلس رفضه للحلول المقترحة ومشروع روجرز وقرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ ، وكلف المجلس اللجنة المركزية بتشكيل هيئة قيادية شعبية عربية تمثل تحرك الشعب العربي وتقوده

جيش التحرير بان يمثل الجيش يتانده فقط بجلا من ستة اعضاء في الدورة السابقة انطلاقا من مبدأ ان الجيش مكانه القتال والتحرير وليس السياسة . وقرر كذلك اضافة اربعة اعضاء مستقلين . واكد المجلس على مقررات المجلسين السابقين واعلن للمرة الاولى ان هدف الكفاح الفلسطيني هو « التحرير الشامل والكامل لفلسطين وانهاء الكيان الصهيوني فيها واعادة الشعب الفلسطيني اليها **واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية** بعد التحرير بعيدة عن كل انواع التمييز العنصري والتعصب الديني » .

وبعد هذه الدورة اشددت التحركات وزادت المخططات المعادية للمقاومة الفلسطينية في الاردن بشكل خاص . ونتيجة لذلك كثفت مختلف فصائل المقاومة الاتصالات فيما بينها بهدف تحقيق الوحدة الوطنية ، واصدرت بيانا في ١٩٧٠/٥/٦ في عمان من اهم ما جاء فيه (٢) :

١- اشتراك جميع فصائل المقاومة في المجلس الوطني القادم والمؤسسات المنبثقة عن منظمة التحرير الفلسطينية ولا يصبح موضوع هجوم المنظمات في المجلس الوطني موضع بحث بين المنظمات الفدائية .

٢ - تشكل بقرار من المجلس الوطني لجنة مركزية تشترك فيها جميع فصائل المقاومة لتمارس دورها القيادي في حركة المقاومة ، وتحل اللجنة المركزية المنبثقة من المجلس الوطني محل القيادة الموحدة الراهنة ، وتشكل اللجنة المركزية وفقا لما امره المجلس اللاحق من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وممثلا لكل منظمة من المنظمات الفدائية ورئيس المجلس الوطني الفلسطيني وقائد جيش التحرير الفلسطيني وفلانا من المستقلين . وقد حمل البيان توقيع كل من حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، والجيبة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، وجبهة التحرير العربية ، ومنظمة فلسطين العربية ، وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني ، واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وطلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) ، والجيبة الشعبية لتحرير فلسطين ، والجيبة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) ، والهيئة العاملة لتحرير فلسطين ، والمنظمة الشعبية لتحرير فلسطين ،

لذلك ايضا وردا عليه ازدادت محاولات تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية وحقتت انجازات مهمة برزت اثارها على المكتسبات السياسية التي انجزتها حركة المقاومة لاحقا .

المجلس الوطني الثامن : وخلال الفترة

١٩٧١/٢/٢٨ — ١٩٧١/٢/٥ عقد المجلس الوطني جلسته العادية الثامنة في القاهرة مستعرضا الاوضاع العامة للمسيرة الفلسطينية في مجالاتها السياسية والعسكرية والمالية والاعلامية . واتخذ قرارات لقيام الوحدة العسكرية لجميع تسوى المقاومة تحت قيادة عسكرية واحدة على اساس وحدة التنظيم والتدريب والتسلح والعمليات . واقر المجلس ان يكون الصندوق القومي الفلسطيني هو صندوق الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية وتوجد فيه جميع الشؤون المالية للنضال الفلسطيني . واتخذ قرارا بتشكيل مجلس وطني جديد من مئة وخمسين عضوا يختارون على اساس الكفاءات الثورية والنضالية والوطنية ومن ذوي الكفاءات الفكرية والاختصاص وتمثيل النقابات والاتحادات المهنية مع مراعاة التمثيل الجغرافي قدر الامكان . واكد المجلس رفضه فكرة قيام دولة فلسطينية .

وفي هذه الدورة دخل المجلس فائق وراذ ممثل منظمة الانتصار على اساس خاص كما دخله صبري جريس وحبيب قهوجي ومحمود درويش ممثلين عن عرب الداخل الذي بقوا منذ العام ١٩٤٨ ، وهي المرة الاولى التي يمثل فيها هؤلاء في المجلس الوطني .

المجلس الوطني التاسع : وفي تموز (يوليو)

١٩٧١ عقد المجلس الوطني دورته التاسعة في القاهرة . وفي هذا الوقت بدأت القوات الاردنية مهاجمة مواقع الثورة العسكرية في احراج جرش وعجلون بهدف اتمام العملية التي بلغت اشدها في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، مما زاد الدعوة الى الوحدة الوطنية قوة . وقد اشتركت في هذه الدورة جميع فصائل حركة المقاومة اذ حضر ممثلو الجبهة الشعبية الاثني عشر بينما كان حضورها في الدوريتين السابقتين رمزيا اذ ارسلت ممثلا واحدا في كل مرة . وشهدت هذه الدورة ايضا زيادة تمثيل الاتحادات من ١٠ الى ٢٥ عضوا ، وهذا على ما يبدو نتيجة لتوجه الثورة الفلسطينية الى التركيز

في نضاله ضد « الامبريالية والصهيونية والمبلاء » . وعهد المجلس الى لجنة مشتركة من اللجنة المركزية ومركز التخطيط لوضع الصيغة التفصيلية لمواجهة جميع الاحتمالات الناشئة عن الوضع الراهن .

احداث ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ وانعكاساتها :

يشكل الاردن ساحة اساسية وقاعدة لا غنى عنها بالنسبة لحركة المقاومة الفلسطينية ، وذلك لسببين رئيسيين : ١ — للاردن اطول حدود مع اسرائيل يبلغ طولها نحو ٦٥٠ كيلو مترا فيها مواقع استراتيجية مهمة للعمليات الفدائية القتالية . ٢ — الوضع الديمغرافي للاردن حيث يشكل الفلسطينيون اكثر من نصف سكان البلاد موزعين في جميع المناطق المدنية والريفية . ويمكن ان يضاف سبب ثالث هو العلاقة الخاصة التي نشأت وتطورت بين الشعبين الفلسطيني والاردني اثر الحاق الضفة الغربية بالملكة الاردنية الهاشمية . وهذه الاسباب تحكم بالضرورة مواقف الحكومة الاردنية وحركة المقاومة الفلسطينية على السواء . وقد تميزت العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية منذ نشأتها وبين النظام الاردني بازمات ونوترات شديدة لان النظام الاردني الرجعي يجري في نجاحات حركة المقاومة بقيادة منظمة التحرير والانتفاخ الجماهير حولها خطرا يهدد نفوذه ومصالحه المرتبطة بمصالح الاستعمار الامبريالية . وهكذا حاول النظام الاردني دوما تصفية الحركة الفلسطينية . وبلغت محاولاته اشدها في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ حين حصل الصدام الدامي الكبير بين قوات السلطة الاردنية وقوات الثورة الفلسطينية .

ونتيجة لمحاولات التصفية في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ وفي تموز (يوليو) ١٩٧١ عقدت حركة المقاومة اهم قاعدة لها في منطقة الطوق وانتهى وجودها العسكري والعلمي على الساحة الاردنية ولم تعد هناك صلة مباشرة ويومية بين الثورة الفلسطينية وجماهيرها . ومن جهة ثانية كانت تلك المحنة باهظة التكاليف بحيث تأثر عمل الكثير من دوائر المنظمة . وترتب نتيجة لذلك على حركة المقاومة ان تحاول العودة الى الاردن وفي الوقت ذاته تركيز قواها خارجة كي لا يتكرر ما حدث وتستمر مسيرة الثورة بقوة الى امام . ونتيجة

في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣ بحيث ضم مئة وثمانين عضوا بينهم الامين العام للحزب الشيوعي الاردني . وقد حضر الدورة ١٤٣ عضوا . وأكد المجلس على الوحدة الوطنية ودعا الى الالتزام بالوحدة الاعلامية وبصدور جميع المنشطات والعمليات باسم القيادة العامة للثورة . وتقرر تشكيل مجلس عسكري أعلى يمثل جميع فصائل المقاومة والكفاءات العسكرية الفلسطينية وتشكيل قيادة عسكرية واحدة في مختلف ساحات العمل الفلسطيني . ويكون رئيس هذا المجلس العسكري هو رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة ويتكون من مسؤول الدائرة العسكرية في المنظمة ومن مندوب عن كل فصيلة . وتكون جميع القوات المسلحة تحت امرة هذا المجلس وله الصلاحيحة الكاملة في تحريك هذه القوات من خلال قيادتها . وأقر المجلس الوطني ضرورة اشتراك جيش التحرير في المجلس العسكري الاعلى والا يتصرف كفصيل سياسي بل كمؤسسة عسكرية . ومن جهة ثانية تقرر تأليف مجلس مركزي مؤلف من ١٩-٢١ عضواً يكون صلة الوصل بين المجلس الوطني واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير . ويجتمع هذا المجلس مرة كل ثلاثة شهور ومهمته المتابعة والمراقبة والمساهمة في تنفيذ قرارات المجلس الوطني . ويرأس هذا المجلس رئيس المجلس الوطني . وقد ضم المجلس المركزي ٤ من فتح و ٢ من الصاعقة و ٢ من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين و ٢ من الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين و ٢ من جبهة التحرير العربية و ٦ من الاتحادات الفلسطينية و ٥ من المستقلين (٢٢) .

المرحلة الثالثة

لم توقف المقاومة الفلسطينية عملياتها العسكرية ضد قوات الاحتلال بل استمرت بها وصعدتها رغم كل ما اعترضها من عقبات على أكثر من صعيد . وقد تميزت الفترة بين حزيران (يونيو) ١٩٦٧ - تشرين الاول (نوفمبر) ١٩٧٣ بالمساعي السلمية والحلول المقترحة . ومع ذلك كانت قوات الثورة الفلسطينية تزيد من ضرباتها ضد المواقع الاسرائيلية حتى بدأ وكان الصراع لا يعني الا طرفين هما المقاومة الفلسطينية واسرائيل . واصبح العالم كله تقريبا مسرحا للعمليات والعمليات المضادة بين الطرفين . وركزت العسكرية الاسرائيلية

على ان تلعب الاتحادات دورا أكثر فاعلية وأهمية في صفوف الفلسطينيين في المرحلة المقبلة بعسود الانتكاسة العسكرية في الاردن . وركزت هذه الدورة على علاقات المقاومة بالنظام الاردني وعلى ضرورة التزام الاخير باتفاقية القاهرة وبروتوكول عمان . وقد الغيت اللجنة المركزية للمنظمة في هذه الدورة .

المجلس الوطني العاشر : عقدت الدورة العاشرة

في نيسان (ابريل) ١٩٧٢ في القاهرة وسبقها مؤتمر شعبي تألف من خمسمئة عضو يمثلون الفلسطينيين وممثلون عن الاحزاب والحركات الثورية في العالم العربي وذلك كرد على مشروع حسين بن طلال لاتمامة المملكة العربية المتحدة . واتخذ المؤتمر قرارات عديدة تبناها جميعها المجلس الوطني في جلسة دامت يوما واحدا فقط . ومن هذه القرارات : رفض مشروع المملكة العربية المتحدة ، تعبئة وتنظيم القوى من أجل حرب شعبية طويلة الامد ، ودمج نضال الشعبين الفلسطيني والاردني في جبهة مشتركة . وفي مجال الوحدة الوطنية أقر المؤتمر توحيد جميع القوات المسلحة لجميع فصائل الثورة في مؤسسة عسكرية واحدة ، وتوحيد جميع مصادر الجباية وجميع مجالات الصرف توحيدا كاملا ضمن الصندوق القومي الفلسطيني ، وتوحيد أجهزة الاعلام ووسائله في جهاز مركزي واحد ووسائل موحدة ، وتوحيد جميع أجهزة العلاقات الخارجية لمختلف المنظمات على ان يستمر تشكيل الهيئات القيادية لمنظمة التحرير على أسس جبهوية . وأقر المجلس توسيع عضويته وتشكيل لجنة من اثنين وعشرين عضوا لمتابعة موضوع الوحدة الوطنية . وقد بدأت الوحدة الاعلامية ووحدة الجباية تفر انتهاء المؤتمر . كما شكلت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢ « الجبهة العربية للمشاركة في الثورة الفلسطينية » مؤلفة من الاحزاب والحركات الوطنية والتقدمية في العالم العربي بهدف ربط النضال الفلسطيني بالنضال العربي . وهنا لا بد من الاشارة الى ان لجنة المتابعة من أجل الوحدة الوطنية لم تنجح في مهمتها وانما حققت بعض التقدم على الصعيد الاعلامي (٢١) .

المجلس الوطني الحادي عشر : اتسعت عضوية

المجلس الوطني الحادي عشر الذي عقد في القاهرة

٢٣٨ بدأت الدبلوماسية العربية وخاصة المصرية تعمل بنشاط متزايد في سبيل عقد مؤتمر سلام و اجراء تسوية شاملة ونهائية لقضية الشرق الاوسط . وقيل ان مشروع وقف اطلاق النار يتضمن اتفاق الدولتين الكبيرين على الخطوط العريضة لتسوية تشمل قضية الشعب الفلسطيني عن طريق انشاء دولة فلسطينية مستقلة من الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس العربية(٢٥).

وهكذا نشأ وضع سياسي جديد حرج ووجدت المقاومة الفلسطينية نفسها فيه فراحت تجري الاتصالات والمشاورات الواسعة ضمن فصائلها ومع الدول العربية والاتحاد السوفياتي في محاولة للخروج بموقف واضح ومحدد . ولم يصدر عن منظمة التحرير الفلسطينية بيان رسمي حول الموقف من مؤتمر السلام .

ولا بد ان نلاحظ في هذا الوضع السياسي الجديد ان منظمة التحرير الفلسطينية ، قائدة النضال الفلسطيني ، طرف فاعل ومؤثر في هذا الوضع ولكنها ليست الطرف الفاعل والمؤثر الوحيد . ولذلك لا بد لها من ان تناضل في هذه الظروف الحرجة لتجاز أكبر قدر ممكن من الانجازات دون ان يكون ذلك على حساب الهدف الاستراتيجي للثورة مع ضمان استمرار الكفاح المسلح . وهذا هو الطريق الذي تسير فيه منظمة التحرير الفلسطينية . ولذلك من الضروري الحفاظ على الوحدة الوطنية أكثر من أي وقت مضى من أجل ان تصب الجهود جميعها في صالح الثورة .

المجلس الوطني الثاني عشر : وهكذا انعقدت الدورة الثانية عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني في الفترة ١ - ١٩٧٤/٦/٨ في ضوء التطورات السياسية والعسكرية التي حدثت في المنطقة العربية . وصدر عن المجلس بيان سياسي مرحلي جاء فيه* : ١ - رفض قرار مجلس الامن ٢٤٢ . ٢ - قيام السلطة الوطنية المستقلة المناهضة على كل جزء من الارض الفلسطينية يتم تحريره . ٣ - النضال ضد أي مشروع كيان فلسطيني ثمنه الاعتراف والصلح والحدود الامنة لاسرائيل والتنازل عن الحق الوطني وحرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه في العودة وحقه في تقرير

والدماية الاسرائيلية على حركة المقاومة الفلسطينية . أما بالنسبة لانظمة الحكم العربية المعنية فقد ساد تلك الفترة ما وصف مرارا بأنه حالة اللارح واللاسلم . ولكن جرت في الوقت نفسه استعدادات عسكرية مهمة عربية واسرائيلية . وغداة وقعت حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٢ . ولكن حركة المقاومة الفلسطينية بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية كانت مستعدة طبيعيا للقتال بسبب استمرار نضالها بكل قوة . وظهر يوم القتال أصدر ياسر عرفات ، القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ورئيس اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير الفلسطينية ، نداء الى جميع المقاتلين داخل الوطن المحتل وخارجه جاء فيه : « ان المزيد من الضربات لخطوط مواصلات العدو ومراكز تجمعاته ومرافقه الحيوية داخل الارض المحتلة وحدودها أمر هام وحاسم خصوصا وانكم تقومون الان بدور الجندي المجهول بكل عظيتم الذي يقاتل بصمت ويستشهد بصمت من أجل شعبه وامتة » (٢٦).

وقد تشكلت القوات الفلسطينية المناهضة في حرب تشرين الاول (اكتوبر) من كوادر الثورة ومناضليها في داخل الارض المحتلة ومن قوات الثورة وتشكيلاتها العسكرية خارج الارض المحتلة وهي فصائل المقاومة وجيش التحرير الفلسطيني . وقد قاتلت هذه القوات وفقا لظروف الجبهات . والى جانب ذلك سخر الاعلام الفلسطيني وسائله في خدمة الحرب طوال نشوبها* . وبعد وقف اطلاق النار بناء على قرار مجلس الامن رقم ٢٣٨ في ٢٢/١٠/١٩٧٢ عقدت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية اجتمعا طارئا اصدرت في اعقابها بيانا جاء فيه : « ان اللجنة التنفيذية تعلن لشعبنا الفلسطيني والجماهر العربية والقوى الصديقة لنضال شعبنا في العالم ان الثورة الفلسطينية التي انطلقت منذ بداية عام ١٩٦٥ ليست معنية بهذا القرار وهي تؤكد انها ستتابع الكفاح المسلح ضد الكيان الصهيوني من أجل تحرير الوطن وحسب شعبنا في تقرير مصيره بنفسه وعلى ارضه... » (٢٧) . وبعد قبول مصر وسورية لقرار مجلس الامن رقم

* لمزيد من التفاصيل راجع : **الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة : وقائع وتفاعلات ، ١٩٧٤ ، مركز الابحاث ، بيروت .**

* وهو المعروف ببرنامج النقاط العشر .

اللجنة التنفيذية

هي السلطة التنفيذية العليا للمنظمة وهي دائمة الاتعداد وأعضاؤها متفرعون للعمل وتولى تنفيذ السياسة والبرامج والمخططات التي يقرها المجلس الوطني الفلسطيني وتكون مسؤولة أمامه مسؤولة تضامنية وفردية . وتؤلى اللجنة التنفيذية تمثيل الشعب الفلسطيني والاشراف على تشكيلات المنظمة واصدار اللوائح والتعليمات واتخاذ القرارات الخاصة بتنظيم أعمال المنظمة على الا تتعارض مع الميثاق او النظام الاساسي ، وتنفيذ السياسة المالية للمنظمة واعداد ميزانيتها . وتباشر اللجنة عموما جميع مسؤوليات منظمة التحرير وفق الخطط العامة والقرارات التي يصدرها المجلس الوطني . وقد أنشأت اللجنة عدة دوائر أهمها: الدائرة السياسية، الدائرة العسكرية ، الدائرة الاعلامية ، دائرة التنظيم الشعبي ، الصندوق القومي الفلسطيني ، دائرة شؤون الوطن المحتل ، دائرة الشؤون التربوية والثقافية . ولكل دائرة مدير عام والعدد اللازم من الموظفين . ويحدد اختصاص كل دائرة بنظام خاص تضمه اللجنة التنفيذية . ولجنة صلاحية انشاء أي دائرة جديدة ترى ضرورة لها . وتستمر اللجنة التنفيذية في ممارسة صلاحياتها واختصاصاتها ما دامت متمتعة بثقة المجلس الوطني الذي يحق له اعادة انتخابها اذ يتوجب عليها تقديم استقالتها للمجلس الوطني الجديد . ويتكون النصاب القانوني للجنة التنفيذية من ثلثي أعضائها وتتخذ قراراتها بأغلبية أصوات الاعضاء الحاضرين . وقد تراوح عدد أعضاء اللجنة التنفيذية بين ٩ - ١٥ عضوا . أما اللجنة الحالية فتتكون من ١٤ عضوا . وقد اضاف المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الرابعة (١٠ - ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨) مادة اضافية الى النظام الاساسي فيما يتعلق باللجنة التنفيذية . وذكرت هذه المادة الجديدة انه اذا شغرت العضوية في اللجنة بين فترات انعقاد المجلس الوطني لاي سبب من الاسباب تملأ الحالات الشاغرة كما يلي :

١ - اذا كانت الحالات الشاغرة تقل عن الثلث يؤجل ملؤها الى اول انعقاد للمجلس الوطني . ٢ - أما اذا كانت تلك الحالات تساوي ثلث الاعضاء او أكثر يتم ملؤها من قبل المجلس الوطني في جلسة خاصة يدعى لها خلال مدة لا تتجاوز ثلاثين يوما . ٣ - واذا تعذر دعوة المجلس الى اجتماع غير عادي في حالة

مصره فوق ترابه الوطني . ٤ - ان أية خطوة تحريرية تتم هي حلفة لتابعة تحقيق استراتيجيه منظمة التحرير في اقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية . ٥ - النضال لاهامة جبهة وطنية اردنية - فلسطينية هدفها حكم وطني ديمقراطي في الاردن يتلاخم مع الكيان الفلسطيني الذي يقوم نتيجة الكفاح والنضال . ٦ - اقامة وحدة نضالية بين الشعبين وبين كافة قوى حركة التحرر العربي المنفتحة حول هذا البرنامج . ٧ - تعزيز الوحدة الوطنية والارتقاء بها الى المستوى الذي يمكنها من القيام بواجباتها ومهامها الوطنية والقومية . ٨ - تنازل السلطة الوطنية بعد قيامها من أجل اتحاد اقطار المواجهة في سبيل استكمال تحرير كامل التراب الفلسطيني وكخطوة على طريق الوحدة العربية الشاملة . ٩ - تعزيز التضامن مع البلدان الاشتراكية كخطوة التحرر والتقدم العالمية لاجتياح كافة المخططات الصهيونية الرجعية الامبريالية . ١٠ - على ضوء هذا البرنامج تضع قيادة الثورة التكتيك الذي يخدم ويحقق من تحقيق هذه الاهداف . واتخذ المجلس قرارا بتوسيع عضوية اللجنة التنفيذية بحيث تضم ١٤ عضوا بينهم ثلاثة ممثلين عن الجبهة الوطنية في الضفة الغربية . واتفق على ان يعقد المجلس في حال حصول تطورات جديدة على الوضع . وهكذا فان المرحلة الراهنة دقيقة جدا وفضل رد عليها هو المزيد من الوحدة الوطنية والمزيد من الوعي للمغفريات في هذا العالم بحيث نحافظ على مكتسباتنا ونحقق مزيدا منها دون تفریط بمصلحة الثورة على المدى البعيد .

بعد هذا العرض السريع لابرز معالم المسيرة الفلسطينية في السنوات العشر الاخيرة لا بد من الحديث بسرعة عن هيئات منظمة التحرير الفلسطينية وأجهزتها التي عملت ولا زالت تعمل في سبيل تحقيق أهداف الثورة وتنفيذ سياساتها والقرارات الصادرة عن قيادة الثورة . وهنا يجب ان أشير الى ان المحن والازمات التي مرت بها الثورة الفلسطينية أثرت كثيرا على عمل وتنظيم ومعالجة هذه الهيئات والمؤسسات . وظروف الشعب الفلسطيني في الشتات جعلت مهمة منظمة التحرير الفلسطينية من أصعب المهمات . ورغم كل ذلك عملت الكثير وحققت نجاحات لا بأس بها .

وله الحق في مراقبة صرف الاموال والمسامدات التي تقرها اللجنة التنفيذية ويقدمها الصندوق السي الهيات والنوادي والجمعيات والؤسسات والتحقق من صحة وسلامة صرفها على الاغراض التي قدمت من اجلها .

وتشكل الاستقطاعات من دخول الفلسطينيين العاملين في الدول العربية أبرز جوارد الصندوق وهي نافذة في كل من العراق وسورية ومصر وليبيا والكويت وقطر و ابو ظبي حيث يجري الإستقطاع اما تنفيذاً لتشريعات او تطبيقاً لقرارات وزارية صدرت بهذا الشأن . أما في السعودية والجزائر فالاستقطاع من دخول الفلسطينيين يجري بصورة منتظمة وتخصيص جصيلته لغير الصندوق . وتعمل مكاتب المنظمة في الكويت وليبيا ومصر على تحصيل ضريبة التحرير من الفلسطينيين العاملين في القطاع الخاص على شكل التزام شهري يكتب به التجار والملاكون وأرباب المهن الحرة وسائر الشركات والمؤسسات الاهلية . وتجدر الاشارة الى ان الحكومات العربية لا تسدد التزاماتها المتراكمة لصالح الصندوق القومي الفلسطيني ؛ ولا يخلو تقرير مالي في المجالس الوطنية المختلفة من الإشارة الى هذه الناحية .

الدائرة السياسية : هي من اول دوائر منظمة التحرير الفلسطينية ومهمتها الاشراف على مكاتب المنظمة في مختلف البلدان وحضور المؤتمرات الدولية، والعلاقات السياسية بين الدول والجهات الاخرى ومنظمة التحرير الفلسطينية . والواقع ان البراتب يلاحظ ان اللجنة التنفيذية تقوم عمليا بالكثير من المهام التي يفترض ان تقوم بها الدائرة السياسية للمنظمة . ويبدو لذلك انها مجرد جهاز تنفيذي وان اللجنة التنفيذية هي التي تتخذ المبادرات مباشرة .

وتشرف الدائرة السياسية على جميع مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في العالم . وللمنظمة مكاتب في كل من غزة (اغلق بعد الاحتلال الاسرائيلي) والقاهرة وبيروت وبغداد ودمشق وطرابلس الغرب والجزائر والكويت وقطر والخرطوم وبيلغراد ونيويورك وجنيف ولندن وبرلين الشرقية وبكين وبوخارست ومصوفيا وغيرها . الا ان مسألة تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج هي مسألة معقدة للغاية . فهناك مكاتب تقوم بهذه المهمة في انحاء كثيرة من العالم تحت اسم غير اسم المنظمة التحرير الفلسطينية . فهناك مكاتب حركة التحرير

القوة القاهرة تملأ الشواغر لأي من الحالتين السابقتين من قبل اللجنة التنفيذية ومكتب المجلس الوطني ومن يستطيع الحضور من اعضاء المجلس الوطني وذلك في مجلس مشترك يتم لهذا الغرض ويكون اختيار الاعضاء الجدد بأغلبية أصوات الحاضرين .

وهنا تجدر الاشارة الى ان اللجنة التنفيذية قبل دخول المنظمات الفدائية المجلس الوطني (قبل تموز يوليو) ١٩٦٨) كانت تتميز بطغيان صلاحيات رئيسها وسلطته (٦٦) . اما في المرحلة التالية فقد تغيرت الامور كثيرا بحيث صارت اللجنة التنفيذية تنتخب انتخاباً بعد ان كان رئيسها فقط ينتخب ثم هو يعين بقية الاعضاء في اللجنة . وهذا تطور نوعي ملحوظ في العمل الفلسطيني . وصار في الفترة التالية مجال أكبر للحوار والمناقشة حيث أصبح المجلس الوطني واللجنة التنفيذية انعكاساً للقوى الفلسطينية وموازيتها .

ومن الناحية العملية فان اللجنة التنفيذية هي التي تضع المشاريع والسياسات وتنفذها ويحصر دور المجلس الوطني بدور المناقش . ان السلطة الفعلية هي في يد اللجنة التنفيذية .

الصندوق القومي الفلسطيني : انشئ الصندوق القومي الفلسطيني لتحويل منظمة التحرير الفلسطينية، والمجلس الوطني ينتخب رئيس مجلس ادارة الصندوق القومي من بين اعضائه ويعتبر عضواً في اللجنة التنفيذية . ويتألف مجلس ادارة الصندوق من اعضاء لا يقل عددهم عن احد عشر عضواً ، ويعينون بقرار من اللجنة التنفيذية . وهدة عضوية مجلس الادارة ثلاث سنوات قابلة للتجديد بموافقة اللجنة التنفيذية . واعمال مجلس ادارة الصندوق هي تسلم جميع الموارد المختلفة ، وتمويل المنظمة وجميع اجهزتها وفق ميزانية سنوية تضعها اللجنة التنفيذية ويقرها المجلس الوطني . ومن مهامه ايضا تنمية موارد الصندوق بجميع الوسائل والامكانيات المختلفة والاشراف على أوجه صرف النفقات التي تحتاجها دوائر المنظمة ومكاتبها و اجهزتها ومؤسساتها في جميع المجالات المدنية والعسكرية وتنظيم وسائل صرفها ومراقبتها وتدقيق مستنداتها . ومن مهام مجلس الادارة وضع نظام مالي خاص تنظم بموجبه عمليات سحب و صرف الاموال ضمن حدود الميزانية العامة .

وأبرز ما يجب الإشارة إليه في هذا المجال انشاء الاعلام الموحد في حزيران (يونيو) ١٩٧٢ . ويرأس مجلس الاعلام الموحد رئيس دائرة الاعلام والتوجيه القومي في المنظمة . ويضم هذا المجلس ممثلا عن كل تنظيم يلتزم بالوحدة الوطنية ويمارسها ضمن منظمة التحرير الفلسطينية ، ويضم أيضا مديري مركزي الأبحاث والتخطيط وأي كفاءات اعلامية فلسطينية او عربية لا يزيد عددها عن ثلاثة وبموافقة اللجنة التنفيذية .

وللاعلام الموحد وكالة انباء هي « وكالة الانباء الفلسطينية » (ونا) التي استطاعت ان تشد انتباه جميع وكالات الانباء والصحف والاذاعات في العالم بحيث انه لم يعد من صحيفة أو اذاعة الا وتنقل اخبارها متخذة اياها المصدر الرسمي والاساسي ليس فقط لاخبار الثورة الفلسطينية وانما أيضا لاخبار الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة وفي تجعباته ومؤسسته ومنظماته الجماهيرية في الخارج .

ويصدر الاعلام الموحد مجلة « فلسطين الثورة » ، المجلة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وتطبع المجلة ٢٥٠٠٠ نسخة اسبوعيا توزعها على القاتلين بدون مقابل ، وتباع في اسواق الدول العربية والاوروبية بسعر رمزي ترويجا للفكر الثوري وتعبئة للجماهير .

ويتبع للاعلام الموحد مؤسسة السينما الفلسطينية التي أنتجت العديد من الافلام حول الثورة الفلسطينية بمختلف جوانبها . وتوزع المؤسسة افلامها في العالم .

ويتبع للاعلام الموحد كذلك فرقة الفنون الشعبية التي تضم نحو ثلاثين عضوا بين فني واداري . وقدمت الفرقة عددا من العروض الفولكلورية في عدد من البلدان العربية . ومع ذلك تعاني الفرقة من عجز مالي . وهناك أيضا الفرقة المسرحية الفلسطينية التي قدمت مسرحيتين .

وعني بالاعلام الموحد غنابة خاصة بالاذاعة التي لا يمكن حجزها عن ان تصل الى حيث يراد لها ان تصل بين جماهير الشعب داخل الارض المحتلة وخارجها . ولقد وسع الاعلام الموحد من شبكة اذاعته . فبالاضافة الى الاذاعة المركزية في القاهرة فان هناك عدة اذاعات في بغداد والجمهورية العربية اليمنية والجزائر وليبيا والسودان تبث في فترات مختلفة وبتدد زمنية متفاوتة لا يصال صوت الثورة

الوطني الفلسطيني (فتح) . وهناك مكاتب جامعة الدول العربية التي تضم ممثلين عن فلسطين .

وهناك هيئات مهمة تعمل تحت الدائرة السياسية في المنظمة مثل اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان . وهي هيئة ذات صلاحيات كافية وتمثل اللجنة التنفيذية ومقيمة بصورة دائمة في بيروت ، شكلت في ١٩٦٩/١١/١١ وبشارت مهماتها بعد اسبوع من تشكيلها . وكان الهدف من متابعة تنفيذ اتفاق القاهرة ، الذي وقع بين لبنان والمقاومة في ١١/٣/١٩٦٩ ، فيما يتعلق باوضاع الفلسطينيين المقيمين في لبنان وفيما يتعلق بنشاط الفدائيين في جنوب لبنان . وقد الحق بها سرية من جيش التحرير الفلسطيني مع عدد من الضباط ليتولوا بالتعاون مع مسؤولي المنظمات الفدائية الاشراف على ادارة المخيمات وضبط استعمال السلاح . وقد شكلت الحكومة اللبنانية منذ البداية لجنة برئاسة وزير الداخلية وعضوية كبار مسؤولي الامن العام وقوى الامن وبعض كبار ضباط الجيش لتمثل الجانب اللبناني في الاجتماعات الاسبوعية في ممثلي اللجنة السياسية العليا بهدف وضع الصيغ التنفيذية والاطر التفصيلية لبنود اتفاق القاهرة والى معالجة المشاكل الطارئة بين الفدائيين والسلطة ولتنظيم علاقة السلطة بالمخيمات الفلسطينية بصورة عامة . وتضم اللجنة الآن : ١ - مجلس أعلى للبلدشيا ، ٢ - لجنة فرعية لادارة شؤون المخيمات ، ٣ - لجنة فرعية للعلاقات الخارجية والمفاوضات مع السلطة .

دائرة الاعلام والتوجيه القومي : تتولى أمور الاعلام الفلسطيني وقد بذلت مساع كبيرة لتحقيق الوحدة الوطنية على الصعيد الاعلامي . وتشرف الدائرة على برامج اذاعية . واجرت أيضا اتصالات مع الجمعيات والؤسسات العامة والصحافيين لتزويدها بالمواد الاعلامية التي تصدر عن أجهزة الدائرة . ومن مهامها استقبال الوفود الاعلامية والسياسية من صحافيين وباحثين ومؤلفين ورجال دين وصانعي الرأي النضال وموجهيه .

وقد ادارت الدائرة في المرحلة الاولى من حياة المنظمة اذاعة خاصة من القاهرة تكلمت المنظمة بتكليفها للحكومة المصرية . كما أصدرت في غزة صحيفة « اخبار فلسطين » التي توقفت عن الصدور اثر حرب العام ١٩٦٧ .

فلسطين وذلك أمام المجلس التنفيذي والمؤتمر العام للمنظمة العربية وقد أقر المؤتمر العام في دورة كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤ جميع المشروعات المطروحة وهي : ١ - إصدار دائرة معارف فلسطينية ، بالتعاون بين المنظمة العربية والدائرة وتساهم المنظمة العربية في هذا المشروع ببلغ اربعين الف دولار خلال سنتي ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ .

٢ - دراسة مشروع انشاء مكتبة الطفل الفلسطيني والعربي ، وستتولى المنظمة العربية وضع الدراسة الفنية لهذا المشروع بالاستعانة بعدد من الخبراء والمختصين . ٣ - دراسة مشروع انشاء المسرح الوطني الفلسطيني ، وستتولى المنظمة وضع الدراسة الفنية لهذا المشروع بالاستعانة بعدد من الخبراء والفنيين المختصين .

٤ - دراسة مناهج التعليم والكتب المدرسية في فلسطين المحتلة . ٥ - دراسة الكتب المدرسية عن فلسطين . ٦ - دراسة مشروع اعداد افلام ثقافية عن فلسطين وقضيتها . ٧ - مشروع محور الامية لابناء فلسطين .

وأما الصعوبات والمشاكل التي تواجه الدائرة فهي : ١ - ميزانية الدائرة هي أقل ميزانية بالنسبة لجميع دوائر المنظمة . ٢ - جهاز الدائرة محدود جدا بسبب عدم وجود مخصصات مالية كافية . ٣ - الإزدواجية في العمل وتشابك السلطات والصلاحيات . ويلاحظ ان المنظمات الفلسطينية العاملة ضمن منظمة التحرير تقوم بأعمال واتصالات هي من صلاحيات الدائرة .

الدائرة العسكرية : أقر المجلس الوطني في دورته الرابعة احداث هذه الدائرة التابعة للجنة التنفيذية بعد ان كانت جهاتها قد احيلت الى الجيش في السابق . وقد قامت الدائرة بتجهيز الجيش بالسلح وتأمين المهتمات والليات بموجب عقود بين المنظمة والجهات المصدرة للسلح . وقامت اللجنة بالتنسيق بين اللجنة التنفيذية وقيادة الجيش وقوات التحرير الشعبية وبين اللجنة التنفيذية وقيادة الكفاح المسلح .

وهي تشرف على قيادة الكفاح المسلح وتعنى بالشؤون العسكرية الفلسطينية . وأعمال هذه الدائرة هي من أعقد الاعمال . ومن المشاكل الدائمة التي واجهتها هي الوحدة العسكرية

الفلسطينية الي عبوم الجماهير والمواطنين في كل مكان . وقد حققت الاذاعات تقدما مهما بحيث ان خدماتها أصبحت تتم بسرعة أكبر من السابق وبحيث انها أصبحت تواكب الحدث حين وقوعه بسبب وجود مكتب للاعلام الموحد يستطيع ان يتابع الحدث بصورة سريعة للغاية ، يسجله ويعلق عليه ويرسله فوراً الى الاذاعات كي نذيعه على العالم .

دائرة شؤون الوطن المحتل : مهمتها متابعة الاحداث داخل الوطن المحتل وهذا يشمل التقارير عن اوضاع المواطنين في ظل الاحتلال واجراءات قوات الاحتلال تجاههم ومخططاته السياسية والاقتصادية والاستيطانية ومتابعة المقاومة للاحتلال ومخططاته . وخصصت الدائرة الاموال لدعم سمود الشعب الفلسطيني الرازح تحت الاحتلال من أجل منع نزوحه وتثبيت المواطنين بالارض .

ولقد كان دور هذه الدائرة ضئيلاً بسبب عدم وجود جهاز قوي وفعال للعمل داخل الارض المحتلة في كل منظمة فلسطينية خصوصاً القطاع الغربي في فتح . وهناك ايضا سبب آخر هو نقص الاموال المرصودة لهذه الدائرة . وان التركيز على العمل التنظيمي الاحادي عكس نفسه على عدم الاهتمام بهذه الدائرة الاهتمام الكافي .

دائرة الشؤون الثقافية والتربوية : مهمتها معالجة التنشآت الثقافية والتعليمية للفلسطينيين في الاقطار العربية المختلفة . وتشترك الدائرة في اجتماعات واعمال اللجان والمؤتمرات التربوية والثقافية في اطار الجامعة العربية . وهي تقوم بتنظيم المنح والبعثات الدراسية التي تقدم من الحكومات العربية والدول الصديقة لصالح ابناء فلسطين . وقد عنيت الدائرة بمسألة تعليم ابناء فلسطين في الكويت وحققت نجاحاً ملحوظاً .

وقد عملت الدائرة على تسهيل قبول طُلاب الارض المحتلة في الجامعات العربية . وقد درست الدائرة فكرة انشاء جامعة فلسطينية في الارض المحتلة الا انها رأيت من الافضل استبعاد الفكرة في الوقت الحاضر .

وقد شاركت الدائرة مشاركة كاملة في اعمال المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . وقد طرحت الدائرة عدداً من المشروعات والبرامج التربوية والثقافية تخدم ابناء فلسطين وقضية

وتلتزم الاتحادات بتوجيهات المجلس وبالسياسة العامة التي يضعها . ويكون مقر المجلس حيث تكون اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . ومن مهام دائرة التنظيم الشعبي أيضا تشكيل مجالس شعبية في المخيمات والتجمعات الفلسطينية ، والمساهمة مع الامانات العامة للاتحادات الفلسطينية في رسم السياسة لنشاط الاتحادات وتنسيق جهودها وتحقيق ارتباطها بالكفاح المسلح ، وتسهم الدائرة في تنظيم العلاقات مع الجماهير العربية والرأي العام الدولي لضمان مساعداتها المادية والمعنوية . وقد قامت الدائرة بنشاطات عديدة كما قامت بالتعاون مع الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية بإرسال ثلاث دورات للاتحاد السوفياتي للتدريب والتعليم الجامعي والكووموسمول .

وأبرز الاتحادات في المجلس الاعلى للاتحادات الفلسطينية (٢٧) : الاتحاد العام لعمال فلسطين ، ولطلبة فلسطين ، وللمرأة الفلسطينية ، وللمعلمين الفلسطينيين ، وللفنانين ، وللأطباء والصيادلة الفلسطينيين ، وللمحامين والحقوقيين الفلسطينيين ، وللكتاب الفلسطينيين ، والصحافيين ، وللمهندسين الفلسطينيين .

أما أهم مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية التي تتمتع بدرجة من الاستقلالية فهي : الهلال الأحمر الفلسطيني ، مركز الأبحاث ، ومركز التخطيط . ويجد القارئ في نواح مختلفة من هذا العدد الخاص من شؤون فلسطينية بحثا عن كل من هذه المؤسسات الثلاث وعن نشاطاتها بحيث لا نجد ضرورة للتوسع في الكلام عنها في هذا المقال .

لتصائل المقاومة وجيش التحرير الفلسطيني . ولم يكن في أي مرحلة من المراحل للمنظمة سيطرة تامة على جميع القطعات العسكرية الفلسطينية . ويقال جيش التحرير من :

- ١ - قوات الصاعقة (عين جالوت) في مصر .
- ٢ - لواء القادسية في العراق .
- ٣ - لواء حطين في سورية .

٤ - قوات التحرير الشعبية وهي القوات غير النظامية التابعة للجيش والتي انشئت لجسارة الفصائل الفدائية ومشاركتها القتال ضد اسرائيل .

دائرة التنظيم الشعبي : ان مهام هذه الدائرة

هي اعتماد اسلوب التنظيم الشعبي القائم على تنظيم القطاعات الشعبية نقائيا ومهتيا وبأي شكل آخر ، ومتابعة تنفيذ مخطط الاتحادات والتنظيمات الشعبية القائم منها والذي سوف يستجد . وتعمل الدائرة على تنظيم صفوف المهنة الواحدة وتأليف اللجان التي تخدم تعبئة جميع جهود أبناء الشعب الفلسطيني . وتغني الدائرة بالامور الثقافية والاجتماعية والاقتصادية . وشكلت الدائرة المجلس الاعلى للاتحادات الفلسطينية الذي انيطت به المهام التالية : ١ - العمل على تنظيم جميع قطاعات الشعب الفلسطيني وتنظيم العلاقة فيها بينها . ٢ - رسم السياسة العامة للاتحادات وتنسيق جهودها وتحقيق ارتباطها بالكفاح المسلح وتنظيم العلاقات بالجماهير العربية وغير العربية والقيام بأعمال المساندة المادية والطبية والترفيهية والاجتماعية والدعوة للثورة . ٣ - حسم ما ينشأ من خلاف بين الاتحادات الاعضاء في المجلس .

١ - أنظر تقارير المنسوب العام لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة .

٢ - الجامعة الامريكية في بيروت ، دائرة الدراسات السياسية والادارية العامة ، الوثائق العربية ١٩٦٤ ، بيروت ، الوثيقة رقم ١٨ ، ص ١٤ .

٣ - أنظر : أ - منظمة التحرير الفلسطينية : المؤتمر الفلسطيني الاول ١٩٦٤/٥/٢٨ - ٢ / ١٩٦٤/٦ . (لا توجد معلومات اضافية ، النسخة موجودة في قسم الوثائق في مركز الابحاث

بمنظمة التحرير الفلسطينية) ، ص ٤٢-٥٦ .

ب - وزارة الإرشاد القومي ، الهيئة العامة للاستعلامات ، ملف وثائق فلسطين ، الجزء الثاني ، القاهرة ، الوثيقة رقم ٣١٥ ، ص ١٢٧٥ و الوثيقة رقم ٣١٩ ، ص ١٢٨٧ - ١٢٩٠ .

٤ - المصدر السابق (١) ، ص ٧٧-٨٥ .

٥ - المصدر نفسه ، ص ٧-١٢ .

٦ - المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

٧ - المصدر نفسه ، ص ٣٩ .

- الإبحاث ، بيروت .
- ١٨ - المصدر السابق .
- ١٩ - المصدر السابق .
- ٢٠ - راجع ملف المجلس الوطني في قسم الملفات في مركز الأبحاث ، بيروت .
- ٢١ - أنظر البلاغ اللبنانية ، ١٩٧٣/١/١ .
- ٢٢ - الدستور اللبنانية ، ٩ نيسان (أبريل) ١٩٧٣ .
- ٢٣ - فلسطين الثورة - الملحق اليومي ، ٨/١٩٧٣/١ .
- ٢٤ - وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) ، ٢٣/١٩٧٣/١ .
- ٢٥ - النهار اللبنانية ، ١٩٧٣/١/٢٩ .
- ٢٦ - أنظر : المحرر اللبنانية ١٦ تموز (يوليو) ١٩٦٥ . فيها حديث لعضو اللجنة التنفيذية آنذاك الدكتور فايز صايغ حول صلاحيات رئيس اللجنة وتجاوزاته .
- ٢٧ - من أجل الحصول على معلومات أساسية عن أهم الاتحادات ، أنظر : يوسف شحادة ، الواقع الفلسطيني والحركة النقابية ، مركز الأبحاث ، بيروت ، ص ٦٣-١١١ .
- ٨ - أنظر : المواد التالية من الميثاق القومي الفلسطيني : ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .
- ٩ - أنظر : النظام الأساسي ، المادتان ٣ و ٤ .
- ١٠ - أنظر : منظمة التحرير الفلسطينية ، مكتب دمشق ، نظام انتخاب المجلس الوطني الفلسطيني ، دمشق ، ١٩٦٥ ، ص ٢٣-٥ .
- ١١ - أنظر : النظام الأساسي ، المواد ٥-١٢ .
- ١٢ - منظمة التحرير الفلسطينية ، دائرة الاعلام والتوجيه القومي ، المجلس الوطني الفلسطيني في دورة انعقاده الثاني ، قسم الملفات ، مركز الأبحاث ، بيروت .
- ١٣ - صحيفة النهار اللبنانية ، ١٩٦٦/٥/٢٥ .
- ١٤ - راجع ملف منظمة التحرير الفلسطينية حول تلك الفترة في مركز الأبحاث ، بيروت .
- ١٥ - المصدر نفسه .
- ١٦ - راجع ملف المجلس الوطني في مركز الأبحاث ، بيروت .
- ١٧ - منظمة التحرير الفلسطينية ، المجلس الوطني المنعقد في القاهرة من ١٠ - ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ ، موجود في قسم الوثائق بمركز

[١]

الثورة والطفل الفلسطيني

والخليل ونابلس وبيت لحم واللد وراما والنقب .
ولكن الخطر الذي كان يهدد هذا الطفل ، هو
محاولة اذابته ومهره في المجتمعات العربية ،
وداخل الكيان الصهيوني ، وما كان هذا ليتم الا
من خلال تشيخته ثقافيا وفكريا ووطنيا ... الى اخر
ذلك من الوان الشتات .

ولقد روى لي أحد أبناء قرية بيت دراس من
نزحوا في العام ١٩٤٨ الى مدينة رفح في قطاع
غزة هذا المشهد قال : « اذكر في العام ١٩٥٢ ،
ان مدرستنا كانت عبارة عن عدة خيم كبيرة ، وكنت
أقطع مسافة طويلة مشيا على القدمين كي أصل
اليها . ولم تكن في الخيمة بالطبع اية مقاعد ،
كنا نجلس على الأرض وكان المدرس يعلمنا كتابة
الحروف على الرمل ، كانت الأرض هي اللوح ،
واصبح المدرس كان الطباشير . ولم يكن مدرسا
حينذاك يستخدم كتابا وانما كان يعتمد على
ذاكرته وكثيرا ما كان يخرج من الدرس الاساسي
ليحكى لنا موضوعا مختلفا غالبا ما يكون عن
فلسطين .. وكان لكل مدرس طريقة مختلفة وكل
خيمة تختلف الحصص الدراسية فيها عن
الآخري .. »

ولا اعتقد ان الوضع التعليمي في المخيمات
الفلسطينية الآخري بعد النزوح مباشرة يختلف
كثيرا عن المشهد السابق فمئذ العام ١٩٤٨
والشعب الفلسطيني يواجه شتاتا ثقافيا وتربويا
نتيجة للشتات البشري وتوزعه الجغرافي في أرجاء
البلاد العربية .

واذا كان بناء طفل واع مستنير ، يتقف نفسه
وامته مسألة ملحة بالنسبة للامة العربية ككل ،
فهو مسألة لا غنى عنها بتاتا بالنسبة للشعب

استطاع الطفل الفلسطيني ان « يكبر » في ظل
سنوات النزوح والحياة البائسة التي عاشها ،
ومواجهة الجوع والمرض وقسوة الطبيعة . انه
يعيش واقعه بشكل حاد . وهو مضطر الى ذلك :
يعاني ، يتالم ، يقتل ، يسير في الجنازات ،
يتدرب على السلاح .. الخ ، وقد أصبح محاطا
بجثة رموز وأشياء تشكل مع الخيال الطفلي
الجامح ، عالم طفلنا الفلسطيني . فوجود الطفل
الفلسطيني في بيوت من التلك الصديء ، وازقة
متربة ، وانكؤام من القاذورات ويؤك من الماء ،
وملابس ممزقة ، جعلته « يكبر » ويقاتل على
امتداد سنوات الاحتلال ، جعلته فتى الثورة
وشبابها ورجلها في المستقبل .

وقد لاحظ الاسرائيليون بقلق ان الطفل
الفلسطيني في الأرض المحتلة يميل في لوهه الى أن
يمثل العبا تحكي عن المعارك والبطولات . ولاحظ
احد المرسلين العسكريين الاسرائيليين ان الصغار
في غزة يشاكسون جنود الاحتلال بطريقة استفزازية
وساخرة ، عندما يملأون أكفهم « بحبات الباذنجان »
ويقتذفونها على سياراتهم بنفس الطريقة التي يذف
بها الفدائيون بقتالهم على جنود الاحتلال . او
يحمل الاطفال في المخيمات قطعاً خشبية بشكل
بنادق بعضهم يخبئ في خندق ، والبعض الآخر بين
البيوت التنيكية في وضع استحكام ، البعض الآخر
تسلق بعض الاشجار ، واخر برميل النفايات ،
والجميع يوهون انفسهم ببعض فروع الاشجار ،
وخارج الخيم ، هناك بعض الاطفال يمثلون دور
افراد العدو ويحملون قطعاً خشبية مختلفة ايضا
ويتقدمون نحو الخيم . هكذا يلعب اطفالنا نسي
الخيم ، وهكذا يكبرون ويقاتلون اعداءهم نسي
معارك حزيران في غزة وخان يونس ورفح والقدس

هذا المركز يمكن استخدامه كروضة اطفال صباحية وكمركز نشاط نسائي في فترة بعد الظهر . ويشمل هذا النشاط مشاريع . محو امية ، تنمية ثقافية واجتماعية وصحية . ومن المستحسن ان توزع هذه المراكز في عدة اماكن من المخيم بدلا من حصرها في مكان او منطقة حتى يتسنى لأكبر عدد ممكن من الاطفال والنساء الاستفادة منه .

ولقد بدأت فكرة رياض الاطفال تلاقى اهتماما خاصا من قبل العديد من الجهات الفلسطينية بعد الادراك لمدى اهمية السنين الاولى من عمر الطفل قبل التحاقه بالمدرسة . حيث ان اطفالنا هم جيل النضال الذي سيصنع التاريخ .

انعاش المخيم الفلسطيني (أ)

تأسست جمعية انعاش المخيم الفلسطيني في شباط ١٩٦٩ ، على يد عدد من السيدات اللبنانيات والفلسطينيات اللواتي شعرن ان « واجب الاخوة والتضامن مع ابناء النازحين يفرض عليهن الانتقال الى داخل المخيمات لسد حاجات ابنائهن والمساهمة معهم ضمن امكانياتهن المحدودة في تنمية طاقاتهم الذاتية . وقد ركزت الجمعية جهودها منذ نشأتها على اكثر القطاعات حاجة للدعم والتضامن وانشأت الجمعية حديقة للاطفال قرب مخيم شاتيلا في عقار قدمته جمعية الكشاف المسلم بهوافة جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية يؤمها ٢٠٠ طفل تتراوح اعمارهم بين اربع وست سنوات . فجاءت هذه الحديقة محاولة اولى لانقاذ الاطفال في سن هو غاية في الحساسية لانه بداية تكوين الشخصية والعادات وحرصت الجمعية على ان يعيش الاطفال في جو منسجم في بيئتهم فاختارت لهم معلمات من المخيم نفسه لانهن اكثر ادراكا لعظية الاطفال واكثر تحسنا بواقعهم من معلمات يجئن من الخارج . لانه من المهم جدا ان يكون معلمات رياض الاطفال من كوادر مسؤولة تلتحم مع الناس وتعيش واتعمهم وتساهم في تفسير هذا الواقع وبالتالي تغييره . ان دور المعلمة يجب ان لا يكون وظيفيا بل تابعا من ايمانها بهذا العمل واهميته .

وكخطوة في هذا الطريق ، قام مركز التخطيط - قسم التربية - بتنظيم دورة تدريبية مكثفة لمعلمات رياض الاطفال في صيف ١٩٧٤ ، وهذه الرياض موزعة كالتالي (أ) :

الفلسطيني وتحرير فلسطين . فالتحرير يتطلب جهود اجيال متتالية تمتلك كل الصفات . وهذه الصفات لا يمكن غرسها في نفوس الاطفال الا من خلال تقديم افضل تربية ممكنة لهم ، تهدف الى تنمية شخصياتهم في كافة جوانبها . وبالتالي علينا ان نوجه لتربية اطفالنا بشكل علمي ومدروس ، لكي نحصل في النهاية على جيل مسؤول وقادر على التصدي للاستعمار المباشر وغير المباشر .

ومن اجل هذا الغرض ، قامت عدة مؤسسات منبثقة عن الثورة او مرتبطة بها . وستعرض هنا لحة موجزة عن كل منها :

قسم التخطيط التربوي والاجتماعي

تم انشاء قسم التخطيط التربوي في تشرين الاول (اكتوبر) من العام ١٩٧١ ، وحدد القسم مهمته على النحو التالي « اعداد برنامج تربوي وتعليمي يضع حدا للنشآت الفكرية والثقافية وفي تتيير اتجاه التربية والتعليم التي يطلقها الطالب الفلسطيني ، واعتماد الاسلوب الثوري في خلق الجيل الفلسطيني الثوري الجديد المؤهل لتحمل مسؤولياته الوطنية والثورية على مدى المراحل القادمة في حياته » .

ولقد قام قسم التربية في مركز التخطيط بوضع كتيب صغير عن « فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني » وتواجه هذه الفلسفة واقع هذا الشعب ووجوده مشتتا في مجتمعات وبلدان متعددة مما يستلزم ان يتم التعليم في ظروف غريفة واستثنائية حيث لا توجد الاسس المادية لذلك . وحيث هناك ضرورة لمعيشة ثقافات سائدة تمتلك الاسبقية والخبرة والسيادة .

ولقد وجد القسم ان المخيمات والتجمعسات الفلسطينية تتوفر التي رياض اطفال ، حيث ان وكالة الغوث لا تستقبل الاطفال الا بعد بلوغهم السنة السادسة اي ابتداء من المرحلة الابتدائية . ونتيجة لذلك فان في لبنان حوالي ٧٥٠٠ طفل في عمر ٤ وه سنوات لا يلاقون العناية اللازمة بهم ، خاصة وان الابعاء اليومية للقاءة على عاتق الام لا تعطيا الوقت الكافي للاهتمام باولادها ، وحتى لو وجدت الوقت فانها تحتاج الى الكثير من التوجيه لفستطيع العناية بطفلها كما يجب . لذلك فان فكرة انشاء روضة او اكثر في كل مخيم ، يمكنها ان تحل مشكلة الام والطفل نسبيا حيث ان

الرياض المتوفرة للمسة الدراسية ٧٤ - ١٩٧٥

المكان	عدد رياض الاطفال	عدد المعلمات
البرج الشمالي	١	٢
برج البراجنة	٢	٤
تل الزعتر	٢	٤
النهر البارد	١	٢
شاتيلا	١	٨
بعلبك	١	٤
عين الحلوة	١	٢
الرشيدية	١	٢
اسعاد الطفولة	١	٤
المجموع	١١	٣٢

فقد قام المسؤولون عن المخيم بتوفير بعض الامكانيات الضئيلة وتلقوا مساعدات وهبات لتأمين الحاجات اليومية للاطفال ، كما يهدف المخيم الى تثبيت الوعي الثوري في نفوس الجبل الصاعد لكي يكون ذخيرة الشعب العربي في كفاحه المصري الطويل الشاق .

والنشاطات اليومية تتبدى من التربية البدنية وتعليم أسس النظافة والقواعد الصحية ، وتعداها الى النشاطات اليدوية من رسم واشغال والعباب الرياضية . والنشاط الثقافي المكون من محاضرات مرتبطة بوضعهم الطبقي والقومي . واعطي الاطفال مجالا في تكوين مواهبهم الفنية او العقلية بتشجيعهم على تقديم برامج متنوعة من تمثيل ورقص وأناشيد ، كان يحضرها احيانا زوار المخيم . كما تم تأمين العناية الطبيعية للاطفال وتزويدهم بالفداء الصحيح طوال فترة المخيم (٣).

وكان لنا لقاء مع ابي (٤) - زوجة الشهيد غسان كنفاني ومن أسرة مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية حول افتتاح روضة جديدة في برج البراجنة . فقالت : ان المخيمات بحاجة الى روضات . وقد تقبل الاجالي هذه الفكرة بكل سرور . وسنعطي الافضلية للاولاد الذين تعمل امهاتهم ، وذلك لضيق المكان . اذ تتسع هذه الروضة لتسعين طفلا ، يداوم نصفهم في الصباح والنصف الاخر بعد الظهر . ولكن لهذه الروضة ميزة خاصة ، اذ انها خصصت غرفة خاصة للاطفال المتخلفين عقليا ، وتوجيه الاطفال ليتقبلوا رفاههم هؤلاء . واضافت بان هؤلاء الاطفال سيتعلمون كل شيء عن فلسطين ولكن من خلال الألعاب والاناشيد والاشغالي ، وسنتبع طريقة الحوار والنقد لان هذه هي الطريقة الوحيدة التي تنمي شخصية الطفل .

مدرسة اسعاد الطفولة

تعتبر مدرسة اسعاد الطفولة في سوق القرب انجازا فلسطينيا خالصا ، نفخر به ، فلقد ساهمت المدرسة في ابواء عدد كبير من الايتام ومن الاطفال المرضى للخطر الجسدي والنفسي نتيجة ممرض الوالد او الوالدة بالمل . ووجدت الثورة في هذه المؤسسة معنا اساسيا قادرا على استيعاب ابناء شهداء الثورة .

وقد عمدت الدورة التدريبية في مدرسة اسعاد الطفولة للاستفادة من الامكانيات المتوفرة هناك ، ولحاولة تقديم نموذج لما يمكن ان تكون عليه المدرسة . وكان للدورة ثلاثة اهداف : (١) تحضير المعلمة تربويا لتكون قادرة على معاملة الاطفال بالطرق التربوية الحديثة . (٢) تهيئة المعلمة سياسيا لتكون اكثر وعيا وادراكا لمسؤوليتها تجاه الاطفال حيث انهم الجيل الذي سيواصل النضال . (٣) تنمية المعلمة اجتماعيا وثقافيا لتكون اقدر على فهم احتياجات مخيمها وعلى المساهمة في ايجاد حلول للمشاكل التي تواجه الاهل في المخيم .

مؤسسة غسان كنفاني الثقافية

« نظمت المؤسسة من الخامس وحتى الخامس عشر من شهر ايلول ١٩٧٤ مخيمها التربوي للاطفال في اخراج شهر الرملة بالقرب من جزين . وقد ضم هذه السنة ٤٥ طفلا وطفلة تتراوح اعمارهم من ٩ - ١٢ سنة .

واهداف هذا المخيم السنوي متعددة . فهو يهدف اولا وقبل كل شيء الى الاستفادة من فترة العطلة الصيفية في وضع اطفال الطبقة الكادحة والمخيمات في جو يساعد على توعيتهم قوميا وتطويرهم عقليا وجسديا . وذلك من خلال نشاط تربوي مكثف وفي جو ملائم ينتشلهم ، ولو لفترة قصيرة ، من محيط معيشي متردد غرض عليهم وعلى ذويهم فرضا .

في المركز تقديم اقتراحاته وخدماته لتحقيق تجربة تربوية رائدة تنبع من مفاهيم فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني الموضوعية من قبل المركز ، املا في تقييم كامل لهذه التجربة او بعض جوانبها في حال التوسع في تشييد مدارس لابناء الشهداء او مدارس للثورة عامة . وتغني ، تجربة مدرسة اسعاد الطفولة تصور تربية عربية فلسطينية ثورية .

نظرة احصائية عامة عن المدرسة (أ): يوجد في مدرسة سوق الغرب ٤٣٩ تلميذا في قسم التعليم العادي و١٥ تلميذا في قسم التعليم المهني اي ما مجموعه ٤٥٤ تلميذا . اما عدد التلاميذ في القسم الداخلي فهو ٣٧٧ ويعمل في المدرسة ٨٤ شخصا بين اداري ومعلم ومشرف وعامل ويقيم منهم ٧٦ شخصا في المدرسة .

يشمل التعليم العادي او الاكاديمي ثلاث مراحل: الروضة والابتدائي والاعدادي او التكميلي . ويبين لنا جدول رقم (١) توزيع التلاميذ على الصفوف والشعب . ويتضح لنا من هذا الجدول ان القسم الاكبر من التلاميذ (٨٢ بالمائة) موجودون في المرحلة الابتدائية ومعظمهم في الصفوف الاربعة الاولى حيث يحتوي كل صف من هذه الصفوف على شعبتين . ونلاحظ من جهة اخرى ان مجموع عدد التلاميذ في المرحلة التكميلية هو ٣٥ تلميذا (اقل من النصف بقليل في الصف الاول تكميلي) .

« وجاء هذا الاهتمام بمدرسة اسعاد الطفولة اثر تقييد السلطة الاردنية الرجعية نشاط مؤسسة الشؤون الاجتماعية التابعة لحركة فتح حيث لم يسمح بتوسيع مدرسة بيت المقدس في عمان ، كما جرت ملاحقة الاشبال ومنهم ابناء شهداء . وتعددت حركة فتح بمساعدة المدرسة وتغطية العجز المادي السابق والتكاليف الاضائية ، من ثابتة ودورية .

مفتحت المدرسة ابوابها لايواء مئات من ابناء الشهداء والمشردين والاشبال (٥) . كما قدمت جناحا خاصا للجرحى نجسدت المدرسة بعملها هذا حقيقة مهمة وهي اهمية النظر الى المستقبل وتهيئة مؤسسات قادرة على مواكبة الؤحدات واستمرار الثورة .

واجتذبت المدرسة مؤخرا اهتمام القيادة الفلسطينية والعرب التقدميين عامة لانهم رأوا فيها بلورة تربوية رائدة تعكس مفاهيم الثورة وازادتها بالانصر . وظهر من جانب المسؤولين من حركة فتح اهتمام كبير بتقييم المدرسة ووضع خطوط جديدة لها تحققت الامل المعقودة عليها . وشجعت الحركة مركز التخطيط الفلسطيني على القيام بتقييم شامل للمدرسة .

وجاء اهتمام مركز التخطيط بالمدرسة لكونها احدى المؤسسات التربوية الفلسطينية الصاعدة والاكثر استقلالا تربويا . كما تقع المدرسة في دائرة عمله المباشر ، فيستطيع قسم التخطيط التربوي

جدول رقم (١)

توزيع التلاميذ حسب الصفوف والشعب والجنس
في السنة الدراسية ١٩٧٢/١٩٧٣

المجموع	اناث	ذكور	
٣٩	١٥	٢٤	الروضة
			المرحلة الابتدائية :
٣٥	١٧	١٨	تمهيدي أ
٣٢	١٣	١٩	تمهيدي ب
٦٧	٣٠	٣٧	
٤٣	١٧	٢٦	الاول أ
٤٣	٢١	٢٢	الاول ب
٨٦	٣٨	٤٨	

٣٧	١٨	١٩	ثاني أ
٣٥	١٧	١٨	ثاني ب
٧٢	٣٥	٣٧	
٣٠	١٧	١٣	ثالث أ
٣٠	١٦	١٤	ثالث ب
٦٠	٣٣	٣٧	
٤٣	١٤	٢٦	رابع
٣٧	١٨	١٩	خامس
٢٦٥	١٦٨	١٩٧	المجموع
المرحلة التكميلية :			
١٦	٦	١٠	الاول
٦	٥	١	الثاني
٨	٥	٣	الثالث
٥	٤	١	الرابع
٣٥	٢٠	١٥	المجموع
٤٣٩	٢٠٣	٢٣٦	المجموع العام

١٢	الامام موسى الصدر
٨	مديرية شؤون اللاجئين
٢٤	اولاد الموظفين
٦	يدفعون اقتساطا
٤٥٤	المجموع

**توزيع التلاميذ الداخليين حسب الجهة الموفدة
والوضع الاجتماعي
خلال السنة الدراسية ١٩٧٣/٧٢**

٤٤	١٢٨	١٧٢	ابناء او اخوة شهداء
٦	٥	١١	ابناء اسرى ومقاتلين
٢٤	٣٣	٥٧	حالات اجتماعية خاصة
٧٤	١٦٦	٢٤٠	

نلاحظ من الجداول ان اكثرية ابناء الشهداء هم من الذكور وسبب ذلك وجود قسم من بنات ابناء الشهداء في مدرسة بيت المقدس في صيان .
اطفال بيت اسعاد الطفولة : لو دخلت خطوة واحدة داخل بناء مدرسة اسعاد الطفولة لوجدت لوحة زيتية تترجم كل ما بداخل هذه المدرسة : فدائي يحمل طفلا بيده ، والى جانبه شبل يحمل السلاح ، وفي الخلف تمتد خيام اللاجئين وبخط

اضافة الى هؤلاء التلاميذ ، يوجد ١٥ تلميذة في القسم المهني حيث يتعلمن خلال دورة مدتها سنتان الخياطة والتطريز والتربية المنزلية ورعاية الطفل وثقافة عامة .

ابتداء من العام ١٩٧٠ تولت حركة فتح الممثلة بالشؤون الاجتماعية تمويل المدرسة حتى تتمكن من استيعاب ابناء الشهداء . وحتى ذلك التاريخ كانت المدرسة تضم ١٥٠ تلميذا ، معظمهم من الاناث من بينهم حوالي ٥٠ تلميذة وتلميذا لبنانيا . وكانت المدرسة تحت الاشراف التام للاتحاد النسائي الفلسطيني الذي شيد المدرسة . اضافة الى التلاميذ وذوي الحالات الاجتماعية الخاصة من التلاميذ المرسلين من قبل الاتحاد النسائي .

٢ - وضع الطلاب الاجتماعي والجهات الموفدة :

يظهر لنا من الجدول التالي توزيع التلاميذ حسب الجهات الموفدة :

**توزيع التلاميذ حسب الجهات الموفدة
خلال العام الدراسي ٧٣/٧٢**

٢٨١	فتح - الشؤون الاجتماعية
(٩٠ منهم لبنانيون)	
٦٦	الاتحاد النسائي الفلسطيني
٥٤	مديرية الانعاش الاجتماعي في لبنان

فالقصة تستهوي الطفل في سن مبكرة جدا ، فهو يصفي الى احاديث أمه وجدته منذ الثانية والنصف من عمره ، وتظل متعة الاستماع الى القصص نامية في نفسه حتى ما بعد مرحلة المراهقة . « فالقصة » نمطا « كتابيا قادرا على نقل المعرفة التاريخية للأطفال ، كما انها اقتر ألوان الادب على توحيد الاتجاهات المرغوب فيها لديهم ، وترسيخ القيم المعنوية ، وذلك عن طريق استشارة مشاركتهم العاطفية للنماذج من الملوك الانساني العربي التي تقوم بتقديمها للمواقف الانسانية العربية التي تصوورها » (٧) .

هناك اذن مؤشرات تقود الى تحديد الخطوط البهرية لكتابة الطفل العربي والطفل الفلسطيني خاصة ، سواء من ناحية الشكل ، او المضمون ، أو الفن . اذ لا يمكن ان تصور لهم عالما وهميا يعيشون في وهم الانتصار عليه بالصدفة ، كما هو سائد في كتب الاطفال في العالم العربي . وقد تمت بنفسي في قسم التربية في مركز التخطيط بدراسة حول اوضاع القصص الموجودة في الوطن العربي فوجدت ان مجموعة كبيرة من هذه القصص هي قصص أجنبية مترجمة تتعلق بالسحر والاساطير والبطولات الفردية والجن والعمالقة . كما تركز معظم هذه القصص على حياة افراد ومشاكل الافراد ومغامراتهم ، وهي نادرا ما تهتم بمشكلة جماعة او شعب او مجتمع ما .

كما ان معظم هذه القصص تنزع الى تبسيط المشاكل التي يواجهها الانسان واختصارها بمشكلي الاثراء والزواج السعيد . وحتى هاتان المشكلتان تعالجان بشكل سطحي وسهل يجعل الطفل يعتقد ان مشاكل الحياة تحل ببساطة وسهولة او بسحر او بقوة خارجة عن ارادته . كما تحتوي معظم هذه القصص على نزع طبعية عميقة ، فهي تركز على افضلية طبقة معينة من المجتمع ، وهي طبقة الملوك والامراء والنبلاء والعائلات الكريمة .

ان هذه الانكار التي ترسخ الطبقة الاجتماعية ضارة بالاطفال ويجب محاربتها لانها افكار سلبية تؤدي الى احداث شعور بالنقص والعجز عند الاطفال الذين لا ينتهون الى الطبقات العليا . الا ان هناك جزءا صغيرا من هذه القصص يحتوي على افكار ايجابية وجيدة كالاهتمام بالفولكلور

كوفي واضح نقرأ على اللوحة نفسها مقطعا شهيرا من اناشيد العاصفة :

والطفل ان قتلوا أبوه/

واجب علينا نحضنه

والبيت بالسي يهدمه/

واجب علينا نعمره .

تضم المدرسة سبعة أجنحة أطلق على كل جناح اسما لمدينة فلسطينية ، وأصبح يطلق على ساكنيه اسم شعب هذه المدينة . فهناك شعب نابلس ، وشعب طبرية والرمله والقدس وحيفا والناصرة . . . وذلك ليبقى بين الطفل وبلاده علاقة يومية ، اذ يعيش معها في ما تعطيه « فشعب نابلس » — طابق نابلس — يعني ثمر ما يزرع ، وهكذا بالنسبة الى كل طابق .

كما ويشرف الهلال الاحمر الفلسطيني على الاطفال ، ويوزر مندوبو الهلال الاحمر هذه المدرسة مرة كل اسبوع .

وإذا كان لي من كلمة أخيرة أقولها ، فهي أن المؤسسة كانت تضم — كما قلت — ١٥٠ طالبا فأصبحت بعد أن تسلمتها حركة فتح ، تضم حوالي ٥٠٠ طالب . .

والى جانب الدروس والمطالعة ، هناك فرقة الكشاف ، وفرقة الرقص والتبثيل التي مثلت المدرسة في الصيف الماضي في ألمانيا الشرقية . ويشهد النشاط الفني حاليا تطورا أساسيا نتيجة توسيع قاصدة التدريب واضافة الموسيقى والكورال . وتستطيع مستقبلا هذه النشاطات رفع اسم المدرسة عاليا وخلق جو فني فلسطيني ثوري مستمر التطور .

وأستطيع القول ان هذه هي المدرسة الوحيدة التي تنفرد بتربية وطنية فلسطينية ثورية . فالطالب يعرف بلاده شبرا شبرا ويحبها ويعتز بها ، برغم بؤسه .

دار الفن العربي

بعد فترة عمل استغرقت عامين وجد عدد من الاختصاصيين الفلسطينيين من خبراء وأدباء بأن أكثر أنشط الادب حيوية وامتلاء بالصور الحسية الموحية للاطفال وأقواها جاذبية لهم ومتمعة هو « القصة » .

ان هذا الانتاج من الدار - اول دار في المنطقة العربية متخصصة في نشر وتوزيع كتب اطفال وغيرها من الوسائل والالعب التعليمية والتثقيفية يستحق وحده ان يكون موضوع حلقة بحث ودراسة يدعى اليها المعنيون بكتب الاطفال والخبراء التربويين والفنانون المتخصصون في جميع البلاد العربية وهو على ما اعتقد ما تمتمز الدار ان تدعو اليه قريبا .

بقي ان اقول ان الكثير من الخطط والمناهج وانتجارب التعليمية والتربوية التي توضع للطفل الفلسطيني يصعب تحقيقها بسبب واقع الشتات الذي يعيشه الطفل الفلسطيني . ولا بد بعد ان تم الاحتراف عريسا وعالميا بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني ، ان تتمكن من اداء رسالتها التربوية والتعليمية والتثقيفية والوطنية تجاه الطفل الفلسطيني في اماكن تجمعه .

نبيلة سلباق برير

- ٥ - تقرير عن مدرسة اسمعاد الطفولة في سوق الغرب - قسم التخطيط التربوي ، مركز التخطيط الفلسطيني ، ١٩٧٣/٣/٣١ .
- ٦ - المصدر السابق .
- ٧ - حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربي ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٧٨ .

الشعبي والوطن والارض والعمل الجماعي .
بعد فترة عمل استغرقت عامين ، قرر قسم التربية في مركز التخطيط بمساعدة الدكتور نبيل شعث مدير المركز ، والدكتور احسان عباس ، المستشار الادبي ، انشاء قسم خاص بالطفل العربي وبالطفل الفلسطيني خاصة ، بهدف المساهمة في انشاء دار لنشر كتب وقصص موجهة للاطفال وضمن اطار مبادئ « فلسفة التربية والتعليم للشعب العربي الفلسطيني » . ولقد قطع القسم شوطا جيدا في هذا المجال وتم انشاء اول دار في الوطن العربي متخصصة في نشر وتوزيع كتب وقصص والعباب (وسلايدات) - عن تاريخ وجغرافية فلسطين .

وقد أنتجت « دار الفتى العربي » إنتاجها الاول حتى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٤ ، الذي ضم ستين كتابا وقصة من بينها خمسين قصص ترجمت الى اللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية ، بالإضافة الى اصدار الدار لأول اطللس اطفال في الوطن العربي (اطللس فلسطين) .

- ١ - نشرة اعلامية خاصة ، تشرين الثاني ، ١٩٧٤ ، بيروت .
- ٢ - احصاء ورقية عمل في مركز التخطيط الفلسطيني ، ١٩٧٣ .
- ٣ - مجلة الهدف ، ايلول ، ٢١ ، ١٩٧٤ .
- ٤ - تسجيل خاص مع آني كلفاني ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٤ .

الهلال الأحمر الفلسطيني نظرة في نشاطاته

والانسانية بما يتفق ورسالة الهلال ٦٠ - المساهمة في تأمين وسائل الاسعاف الاولي في مكان الحوادث ونقل المرضى والمصابين الى مراكز الاسعاف ٧٠ - توثيق الصلة وتبادل المعونة وبين مختلف جمعيات الهلال والصليب الاحمر الدولي . ونصت المادة السابعة من الباب الثاني على الاستقلال المالي والاداري للجمعية وحددت المادة الثامنة مصادر مالية الجمعية التي هي اشتراكات الاعضاء والتبرعات والهبات والوصايا والاقواف وما يقرره المكتب التنفيذي . اما المؤسسات الدستورية للجمعية فقد حددتها المواد ١٩ - (٤٤) على الشكل التالي : ١ - الجمعية العمومية تتكون من جميع الاعضاء العاملين المسددين لاشتراكهم السنوي والذين مضى على عضويتهم عام ميلادي كامل وهي اعلى سلطة في الجمعية ممثلة في المؤتمر المنتخب من بين اعضائها ٢٠ - المؤتمر : يتشكل مسن ممثلي الاقاليم الذين تنتخبهم الجمعية العمومية بنسب يحددها النظام ، ويعتبر المؤتمر اعلى سلطة في الجمعية ٣٠ - المجلس الاداري : وهو اعلى سلطة في الجمعية في غياب المؤتمر ويضم اعضاء المكتب التنفيذي والكفاءات المرشحة من المكتب التنفيذي والقررة من المجلس وامناء سر المجالس الادارية للفروع ٤٠ - المكتب التنفيذي : هو اعلى سلطة في الجمعية بغياب المجلس الاداري والمؤتمر . ويتكون هذا المكتب من تسعة اعضاء ستة منهم ينتخبهم المؤتمر والثلاثة الآخرون يختارهم الستة المنتخبون .

نشاطات الهلال الاحمر المباشرة للشعب الفلسطيني والمقاتل الفلسطيني

الخدمات الطبية : تقوم هذه الجمعية بتقديم الخدمات الطبية للشعب الفلسطيني والمقاتل الفلسطيني عن طريق انشاء المستشفيات والعيادات الشعبية وغيرها من أوجه النشاطات وبالنظر الى جغرافية مراكز

مع تصاعد الكفاح الفلسطيني المسلح ، وازدياد الجرحى والمنكوبين من مقاتلينا وشعبنا نشأت الحاجة الى ايجاد جهاز طبي يتولى العناية بهؤلاء الجرحى ويرعى لحوائهم الصحية . وفي مطلع العام ١٩٦٩ تأسست جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني بهدف تقديم المساعدة لضحايا الحرب المدنيين والعسكريين . ثم قرر المجلس الوطني الفلسطيني ان يكون الهلال الاحمر الفلسطيني هو الجهة الطبية الفلسطينية التي تمثل منظمة التحرير الفلسطينية في مجال الخدمات الطبية .

النظام الاساسي لجمعية الهلال الاحمر الفلسطيني : بعد مضي اربع سنوات على تأسيس جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني وضع اول نظام اساسي لهذه الجمعية يحتوي على ٤٤ مادة قسمت الى ثلاثة ابواب ، الباب الاول منها يحدد تاليف الجمعية وشاراتها واهدافها ، والباب الثاني خصص لمعالجة الشؤون المالية للهلال اما الباب الثالث فقد نص على شروط العضوية . ونستعرض فيها أبرز مواد هذا النظام الاساسي : حددت المادة الرابعة من الباب الاول علاقة الجمعية باتفاقات جنيف واعترفت بهذه الاتفاقات واعلنت استعداد الجمعية لتنفيذها والتقيد بها حسب نصوصها . اما المادة السادسة في الباب نفسه فقد حددت اهداف الجمعية ورسالتها على الوجه التالي : ١ - ان تقوم بالاستعداد في زمن السلم والعمل في زمن الحرب على تقديم المساعدة للمدنيين والعسكريين وجميع المتضررين من الحرب ٢٠ - تنظيم اعمال الاسعاف الطبي ٣٠ - توفير الاسعافات العاجلة والضرورية لضحايا الكوارث والنكبات العامة ٤٠ - النهوض بمهنة التمريض واعداد هيئة تمريض للمستشفيات . ٥ - المساهمة في الخدمات الاجتماعية

الهلال ترى أنها تقسم الى قسمين :

ومستشفى فلسطين بالقاهرة افتتح في العام

١٩٧٣ .

٢ - الوحدات الطبية المجمع : وتشمل

الاقسام التالية : ١ - قسم العيادة

الخارجية ، ويشرف عليها طبيب باطني عام .

٢ - قسم عيادة الاسنان ، ويشرف عليها

طبيب للأسنان ٣ - قسم المختبر ، ويشرف

عليه مساعد فني مختبر ٤ - قسم

الصيدلة ، ويشرف عليه مساعد صيدلي .

٥ - غرفة غيار وتضميد للجروح ، ويكون

فيها ممرض قانوني وثلاثة أو اربعة من

مساعدى المرضى ٦ - قسم لت تركيب

الاسنان .

والوحدات الطبية المجمع موزعة بين

لبنان وسوريا كما يلي :

١ - وحدة دير ياسين العلاجية - مخيم

شاتيلا - لبنان .

٢ - وحدة غزة العلاجية - منطقة صبرا

- لبنان .

٣ - وحدة اليرموك العلاجية - مخيم

اليرموك - سوريا .

٤ - وحدة القسطل العلاجية - درعا -

سوريا .

٣ - العيادات الشعبية : يبلغ عدد

العيادات الشعبية التابعة لجمعية الهلال

الاحمر الفلسطيني خمسا وعشرين عيادة

تقريبا : موزعة بين سوريا ولبنان ومصر

والسودان وتشتمل العيادة الشعبية على ما

يلي : غرفة كشف للطبيب ، غرفة غيار ،

وصيدلية .

وتوزع هذه العيادات على كافة المخيمات

الفلسطينية في كل من سوريا ولبنان بشكل

خاص كما يوجد في بعض المخيمات اكثر من

عيادة كما هو حاصل في مخيم شاتيلا حيث

يوجد وحدة دير ياسين في مخيم شاتيلا

ووحدة غزة العلاجية في منطقة صبرا

وتعتبران في منطقة واحدة .

اما بالنسبة لعمل العيادات الشعبية

فبعضها يعمل طوال أيام الاسبوع وبعضها

يعمل يومين أو ثلاثة بالاسبوع حسب

الامكانيات المتوفرة لدى الجمعية على ان

١ - مستشفيات وعيادات ومراكز طبية

على خطوط التماس مع العدو . وذلك لتقديم

الخدمات الطبية للمقاتل الفلسطيني في اماكن

وجوده وايضا تقديم الاسعافات الاولية

اللازمة اثناء المعارك . والقيام بعمل

العمليات الطارئة والمستجلة بالنسبة لهذا

المقاتل مثل مستشفى جمال عبد الناصر في

خرية روجا جنوب لبنان . بالاضافة الى عدة

عيادات حدودية مثل عيادة الرفيد وجويا ،

وغيرها . هذا في لبنان ، اما في سوريا فان

الخدمات الطبية العسكرية التابعة لقوات

الثورة الفلسطينية مباشرة تقوم بتأمين

الخدمات الطبية للمقاتل الفلسطيني في مكان

وجوده واثناء المعارك .

٢ - اما القسم الثاني فهي المستشفيات

والعيادات الطبية وغيرها في اماكن اقامة

الشعب الفلسطيني وخصوصا بالخيمات

حيث نجد في كل مخيم من مخيماتنا في كل من

سوريا ولبنان عيادة واحدة طبية وتقديم

الجمعية خدماتها الى الشعب والمقاتل من

خلال عدة اقسام مختلفة وهي :

١ - المستشفيات ٢ - الوحدات الطبية .

٣ - العيادات الشعبية ٤ - دور النقاها .

١ - المستشفيات : يبلغ عدد المستشفيات

التابعة لجمعية الهلال الاحمر الفلسطيني

سبع مستشفيات موزعة بين سوريا ولبنان

ومصر ويشتمل كل مستشفى على ما يلي :

غرفة عمليات ، قسم للاشعة ، مختبر ، عيادة

خارجية ، غرفة استقبال الطوارئ .

وهذه المستشفيات موزعة كما يلي :

١ - مستشفى القدس - بيروت - لبنان .

٢ - مستشفى حيفا - بيروت - لبنان .

٣ - مستشفى الجليل الاعلى - صور -

لبنان ٤ - مستشفى جمال عبد الناصر -

خرية روجا - لبنان ٥ - مستشفى غزة -

صبرا - لبنان (يعمل قسطن في حالة

الطوارئ) ٦ - مستشفى يافا

الجراحي - دمشق - سوريا ٧ - أفرد

جناح من مستشفى القصر العيني بالقاهرة

ليعمل تحت اشراف جمعية الهلال الاحمر

بيروت ولعدم ضبط الارقام في باقي المراكز
فاننا نورد هنا ما حصلنا عليه من
احصائيات على سبيل المثال لا الحصر ،
وهي ارقام وردت في النشرات الشهرية التي
تصدرها الجمعية :

اولا : الخدمات التي يقدمها مستشفى
القدس

١ - قسم العمليات

نوع العملية	العدد في العام ١٩٧١	العدد في العام ١٩٧٢
جراحة القلب		
والاولية الدموية	٤٤	
جراحة الجهاز الهضمي	٢٢	
جراحة التجميل	٥٠	٧٠
جراحة اسالك البولية	١٢١	٨
للجراحة العامة	٢٢٩	٢١٠
جراحة العيون	٢٧	
جراحة العظم	٢١٠	١٤٧
جراحة الانف والاذن والحنجرة	٤٨	٨١
جراحة الجمجمة	٢	
جراحة الصدر	-	٢٥
المجموع	٧٦٢	٥٤١

٢ - قسم الاشعة : قام هذا القسم بتصوير
ما مجموعه ٢٠٩٧ صورة شعاعية في العام
١٩٧١ و ٣٨١٨ صورة في العام ١٩٧٢ ،
ويتقاضى القسم رسما بسيطا عن الحالات
المدنية دعما لمالية الجمعية .

٣ - قسم المختبر : يقوم هذا القسم
بعمل مختلف التحاليل المخبرية ضمن
امكاناته المتاحة . وفي العام ١٩٧١ قام
القسم باجراء ٩٧٢٢ تحليلا تقع ضمن عشرة
انواع من التحليلات ، اما ما يخرج عن
نطاق امكانات القسم فيرسله الى المختبرات
المدنية وخاصة مختبرات مستشفى الجامعة
الاميركية التي تقوم بها دون مقابل . اما
في العام ١٩٧٢ فقد اصبح القسم يقوم بـ ٢١

يكون هناك عيادة شعبية في كل مخيم من
المخيمات الموجودة في سوريا ولبنان . وتبعا
لذلك نرى أن عدد العيادات الشعبية في
لبنان يبلغ خمس عشرة عيادة تستقبل في
الشهر ١٨٩٤٠ حالة بين علاج وغيار . أما
في سوريا فعدد العيادات فيها ثلاثة تستقبل
في الشهر ٩٠٦٠ حالة بين علاج وغيار . وفي
مصر يبلغ عدد العيادات فيها ثلاث (لا
يوجد احصاء حول عدد المترددين عليها)
وفي السودان يوجد هناك عيادة واحدة
تستقبل نحو ٥٠ حالة يوميا . اما من جهة
الوصفات الطبية التي تصرف من صيدليات
الهلال فتصرف لقاء رسم رمزي بمعدل ليرة
لبنانية للوصفة في لبنان وليرة سورية في
سوريا وما يعادلها في مصر .

٤ - دور النقاهاة : وهي تستقبل ذوي
العاهات المستديمة الذين يحتاجون الى
عناية خاصة ومراقبة طبية دائمة كما
تستقبل المرضى بعد انتهاء علاجهم في
المستشفيات . والغرض من انشاء دور
النقاهاة هو اعداد المرضى الذين يمرون في
آخر اطوار العلاج للحياة الطبيعية .
والمرضى هنا يتلقون ثلاثة أنواع من
العلاج : العلاج الصحي والعلاج النفسي
والعلاج الطبيعي .

لذلك فان دور النقاهاة تضم طبيبا نفسانيا
بالاضافة الى طبيب الصحة العامة وقد
انشئت دور النقاهاة في الاماكن والمخيمات
التالية : دار النقاهاة في مخيم اليرموك
(دمشق) ، دار النقاهاة في مخيم درعا ،
دار النقاهاة التابعة لمستشفى حيفا (مخيم
برج البراجنة - لبنان) دار النقاهاة في
القماطية (عالية - لبنان) اغلقت في عام
١٩٧٢ ، دار النقاهاة في مخيم الرشيدية
(صور) .

احصائيات

نظرا لعدم امكان الحصول على
احصائيات كاملة وكافية عن نشاط مراكز
جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني وذلك لعدم
استعمال التدوين للحالات التي ترد الى
مراكز الهلال باستثناء مستشفى القدس في

بعدد العيادات والمترددين عليها في كل من الأردن وسوريا ولبنان خلال العام ١٩٧١ (مع ملاحظة ان الأرقام المتعلقة بالأردن هي لغاية شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ حيث اقتضت السلطة الاردنية عيادات الهلال الاحمر الفلسطيني يوم ١٩/٩/١٩٧١) .

عدد الحالات	عدد العيادات	المقتر
٢٩٤١٨٢	٣٠	الأردن
١٨١٩٢٠	٦	سوريا
٢٢٣٩٥٢	١٦	لبنان
٧٠٠٠٥٤	٥٢	المجموع

نوعاً من التحليلات الطبية المختلفة وقام في العام نفسه بأكثر من ١٥ ألف تحليل . وبجانب ذلك فقد استقبل القسم في العام ١٩٧١ ٢٢٦ متبرعا بالدم لما في العام ١٩٧٢ فقد استقبل ١٠٧٦ متبرعا استهلك ما تبرعوا به من دم داخل المستشفى نفسه .

٤ - قسم الطوارئ : في العام ١٩٧٢ كان نشاط قسم الطوارئ كما يلي :

معاينات : ٤٩٧٢ حالة ، دخول الى المستشفى ٣٦٠ حالة دخول تحت المراقبة ١٦٤ حالة ، والمجموع ٥٤٩٦ حالة . اما العيادات الخارجية فقد استقبلت في العام ذاته ٢٤١٨ حالة .

ثانياً : العيادات : (١) فيما يلي بيسان

(٢) عيادات الاسنان خلال العام ١٩٧١

اسم العيادة	خلع	معالجة وحشو	تركيب	عدد اجمالي
وحدة دير ياسين	٢١٤٦	٥٦٦٦	٧٧٨	٨٦٤٠
وحدة الشهيد جمال	٥٦٥	١٣٢٠	-	١٨٨٥
مخيم اليرموك	١٤٤١	٤٥٠٧	٦٠٣	٦٥٥١
درعا	١٥١٢	١٠٠٨	-	٢٥٢٠
الموحدات	١٦٤٢	١٢٥٣	٢٥٠	٣٤١٥
المجموع				٢٥٠١١

الابوئة المنتشرة بين الاهالي ، بشكل مستمر مثل الجرب وغيره :

وبالفعل فقد قامت الجمعية بواجبها هذا . فقد قامت خلال العام ١٩٧١ بحملة تطعيم ضد الكوليرا في المعسكرات (المخيمات) وفي القطاعات العسكرية حيث تم تطعيم أكثر من عشرة الاف شخص ضد هذا المرض ويجري حالياً الفحص الدوري للمقاتلين والقيام بما يلزم من اجراءات وقائية .

كما شاركت جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني في حملة التطعيم ضد الجدري التي بدأت في شهر نيسان ١٩٧٢ فقد قامت بفتح مراكزها الطبية من مستشفيات وعيادات شعبية ومراكز اسعاف لتطعيم أبناء الشعب الفلسطيني والعربي على السواء ومنحت

الصحة الوقائية

تقوم جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني بواجبها لتقديم خدماتها الصحية في هذا المجال حيث ان الصحة الوقائية هي من الضرورات الملحة والواجب القيام بها في مراكز تجمع شعبنا او مقاتلنا . وتقوم الجمعية في حال انتشار أي وباء في العالم العربي بالاتصالات اللازمة مع وزارات الصحة العربية لتأمين الامصال والادوات اللازمة حيث يقوم العاملون بالهلال بالتطعيم ضد ابوئة داخل التجمعات السكنية . وفي رأينا يجب على الهلال الاحمر الفلسطيني القيام بمسح صحي كامل لجميع افراد الشعب الفلسطيني في المخيمات حيث توجد بعض

الدولية . ويتأريخ ١٩٦٩/١/٢٥ ، قبلت الجمعية كعضو مراقب في المؤتمر الاقليمي للصليب الاحمر الدولي . وقد اعترفت اللجنة الدولية للصليب الاحمر الدولي بالجمعية رسمياً عندما ارسلت جمعية الصليب الدولي الى الهلال كتابا رسمياً تطلب فيه من الجمعية السعي لىدى الثورة الفلسطينية بالسماح لزيارة الاسير الاسرائيلي الذي اسر بمعركة المظلة .

وتعتمد الجمعية لدعم مركزها بين الجمعيات الطبية في العالم على انشاء فروع للهلال الاحمر الفلسطيني في الدول العربية والاجنبية تعد المركز الام بالمساعدات المالية وبالمنوعات والتجهيزات الطبية وكذلك بالاختصاصيين في الحقول الطبية المختلفة . اما في البلاد التي لا يوجد للجمعية مراكز فيها فتقوم مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية ان وجدت بمهام فروع الجمعية . وخصوصاً في الدول الاشتراكية والدول الاسيوية والافريقية الصديقة . وهناك بعض الفروع التي لها صبغة خاصة في العمل . خصوصاً فرع سويسرا حيث يوجد مكتب منظمة الصليب الاحمر الدولي فيناط بممثل الهلال هناك مهمة الاتصال باللجنة الدولية والرابطة الدولية لجمعية الصليب الاحمر الدولي بعد رجوعه للمكتب التنفيذي في كثير من القضايا المكلف بها . ومن أبرز مهمات هذا الفرع متابعة قضية الاعتراف بالجمعية من قبل الصليب الاحمر الدولي لتصبح عضواً عاملاً . حيث انها حتى الان تعتبر عضواً مراقباً . كذلك هناك مهمة خاصة مناهة بهذا الفرع نظراً لقربه وسهولة الاتصال مع منظمة الصليب الاحمر الدولي لمتابعة قضايا اسرى الثورة الفلسطينية لدى الكيان الصهيوني .

اما الدول التي للجمعية فروع ثابتة ودائمة فهي عشرة فروع في الدول العربية وتسعة فروع في الدول الاجنبية .

فمراكزها في الدول العربية كما يلي : في لبنان لها مركز في كل من بيروت وصيدا ، وفي سوريا لها مركز في كل من دمشق

شهادات للتعليم من وزارات الصحة الغربية .

الدورات التدريبية

بموجب المادة السادسة من النظام الاساسي لجمعية الهلال الاحمر الفلسطيني عن تنظيم اعمال الاسعاف الطبي والنهوض بمهنة التمريض والعمل على تمييز المرضين والمرضات وتدريبهم على اعمال المستشفيات والاختصاصيين وغيرهم . قامت الجمعية منذ تأسيسها بعمل الدورات التدريبية من دورات اسعافات اولية ودورات تمريض . وكانت اول تجربة في هذا الميدان عام ١٩٦٩ حيث نظمت دورتا تدريب لاعمال الاسعاف الاولي بالاردن لعدد من الشباب والفتيات بلغ عدد المتحقين بكل دورة واحدا وعشرين شخصا . اما على صعيد دورات التمريض فقد نظمت دورة لهذا الشأن ضمت نحو خمسة عشر شابا وفتاة وكانت مدة الدورة سنتين ، خرجوا عام ١٩٧٢ . والتحقوا للعمل بمراكز الجمعية . كذلك قامت الجمعية بارسال عدة دورات الى دول اجنبية فقد تم ارسال بعثة مكونة من حوالي عشرين فتاة الى بلغاريا لمدة ستة شهور والحقن جميعا بالعمل بمراكز الجمعية . وارسلت دورة اخرى لتدريب المرضات الى لندن . مؤلفة من عشر فتيات وذلك للتدريب هناك .

نشاطات جمعية الهلال الاحمر

الفلسطيني غير المباشرة

المقصود بهذا العنوان النشاط الذي تقوم بها الجمعية لتدعيم مركزها بين شعوب العالم العربي بشكل خاص والعالم الاجنبي بشكل عام . ومنذ تأسيسها وهي تقوم بكل الجهد الممكن لتحقيق هذا الهدف ونظرا لاهمية هذا الموضوع فقد ورد النص عليه في النظام الاساسي . فقد نصت المادة السادسة منه على توثيق الصلة وتبادل المعونة بينها وبين جمعيات الهلال والصليب الاحمر الدولي الاخرى وغيرها من الهيئات المماثلة . ومنذ عام التأسيس قامت الجمعية بمساعدة جمعيات الهلال الاحمر العربية باتصالات لاشراك الجمعية داخل هيئة الصليب الاحمر

(أريد) : قامت السلطة هناك باعتقال جميع الأطباء والمرضين الموجودين في المستشفى واستولت على جميع المعدات ثم دمرت مبنى علما بأنه يحتوي على عنابر وغرفة عمليات تحت الأرض ، لاستعمالها اثناء المعارك .
الخسائر حوالي ٤٠ الف دينار .

ج - مستشفى منطقة الطفيلة الميداني : استولت عليه السلطات الاردنية . ونهبت محتوياته علما بان الخدمات الطبية المقدمة من الجمعية يستفيد منها في المقام الاول ابناء العشائر الاردنية في جنوب الاردن الذين كانوا يعانون من عدم توفر اي خدمات صحية في منطقتهم . خسائره حوالي ١٠ الاف دينار .

د - مستشفى دبين الميداني : دمر هذا المستشفى اثناء مذبحه جرش في تموز عام ١٩٧١ . وقد كان هذا المستشفى يضم غرفة عمليات كاملة وعنابر وجميع الاقسام لهذا المستشفى موجودة في مغاور تحت سطح الارض سلح بنائها بحيث لا يتاثر بالقصف المدفعي . خسائره ٣٠ الف دينار .

هـ - بالاضافة الى تدمير مستشفى متنقل داخل مخيم الحسين بعمان يضم غرفة عمليات وكامل اقسام اي مستشفى وتقدر قيمته بـ ٣٠ الف دينار .

٢ - العيادات الطبية : لقد تعرضت جميع عيادات الهلال الاحمر الفلسطيني في الاردن للتدمير والنهب التعمد وكانت الحصيلة تدمير ١٨ عيادة شعبية ونهب كامل محتوياتها . وتقدر خسائر هذه العيادات بـ ١٠٠ الف دينار وهي موزعة كالآتي : عيادات الهاشمي ، الوحدات ، مخيم البقعة ، مخيم الحسين ، مخيم شنلر ، مخيم جبل النضر ، مخيم سوف ، مخيم غزة ، اربد ، الحصن ، معان ، الطفيله ، الشوبك ، الكرك ، المفرق ، السلط ، الزرقاء ، جرش .

٣ - عيادات الاسنان : تدمير ونهب جميع عيادات الاسنان ويبلغ عددها سبعة بالاضافة الى مختبر لعمل الاسنان في اربد نهبت محتوياته ودمر بكامله ، هذه العيادات موزعة كالآتي : عمان ، السلط ، جرش ، مخيم

وخمص وحلب ، ولها مركز في كل من بغداد والجزائر وتونس والخرطوم والكويت والدوحة ، اما في ليبيا فلها مركز في كل من طرابلس المغرب وبنغازي كذلك في مصر لها مركز في كل من القاهرة والاسكندرية .

اما في الدول الاجنبية فلها مركز في كل من ايطاليا وفرنسا وسويسرا والمانيا (فرانكفورت) والسويد وانجلترا والولايات المتحدة وكندا وبورتوريكو .

خسائر جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني خلال عام ١٩٧٠/١٩٧١ في الأردن

منذ الحلقة الاولى من سلسلة الارهاب الهاشمي ضد ثورتنا ، قامت اجهزة القمع الاردنية باعمال الاجرام فقد قامت اجهزة الدولة هناك باطلاق الرصاص على سيارات الاسعاف في احداث حزيران ١٩٧٠ مما ادى الى استشهاد ثلاثة من العاملين ، اثنان منهم من سائقي سيارات الاسعاف . كذلك نشير الى حادثة اقدام دورية مدرعة من حرس الاذاعة الاردنية بالهجوم على سيارة اسعاف تنقل الجرحى والاجهاز عليها وعلى السائق وعلى المرضى والمرافق لهم دون احترام لاشارة الهلال والصليب الاحمر .

وقد استمرت السلطة الهاشمية في تدمير منشآت الجمعية هناك في اثناء حوادث ايلول الاسود ودمرت المستشفيات التابعة للجمعية ونهبت محتوياتها . وبعد ذلك اقدمت السلطة على اغلاق جميع مراكزها في الاردن في ١٩٧١/٨/٩ . وفيما يلي تقرير عن الخسائر التي حصلت .

١ - المستشفيات

١ - مستشفى الكرامة الجراحي بعمان : كان مجهزا تجهيزا كاملا ويحتوي على غرفة عمليات وقسم اشعة ومختبر بنك دم وصيدلية بالاضافة الى اجهزة تخطيط القلب والتصوير والمتقيم . وكان يتسع لـ ٥٠ سريرا . تقدر خسائره بحوالي ٧٤ الف دينار .

ب - مستشفى الشهيد عيد الرحمن عودة

في حقل الارشاد الصحي والاجتماعي والتمريض والصيدلة والعناية بالامومة والطفولة . قامت السلطات الاردنية بنهب المركز ثم تحويله الى مركز للشرطة العسكرية الاردنية . خسائره حوالي ١٠٠٠ دينار .

٢ - مركز ضباط الاسعاف : كان هذا المركز معهدا يتلقى به الطلبة علم التمريض والصيدلة والارشاد الصحي والاجتماعي وقيادة سيارات الاسعاف تقدر خسائره بحوالي ١٠٠٠ دينار .

٣ - مركز الجمعية بالزرقاء : نهبت جميع محتوياته من الات خياطة ونسيج واثاث امانات للمقاتلين وتقدر قيمة خسائره حوالي المفي دينار .

٤ - مركز الجمعية الاسعافية في حالات الطوارئ وعددها ستون مركزا رئيسيا وفرعيا دمرت وتقدر خسائرها بحوالي ٣ الاف دينار .

٥ - مقر الجمعية في الحسين : نهبت ثم دمر بكامله وبجميع محتوياته وتقدر خسائره ١٢ الف دينار .

اسعد حموري

المبقة ، اربد ، الطفيلة ، دبين ، تقدر خسائره هذه العيادات بحوالي ١٠ الاف دينار .

٤ - الصيدليات والمستودعات : ١ - المستودعات الطبية في عمان ، كانت تضم الادوية والاجهزة الطبية والمواد الغذائية للهلل . وقامت السلطة بنهب هذه المستودعات وتدمير بعضها وتقدر خسائرها بحوالي ٢٠٠,٠٠٠ الف دينار .

ب - مستودع الادوية في الطفيلة : كان مصيره النهب والتدمير وتقدر خسائره بحوالي ٣٠ الف دينار .

ج - مستودع الادوية في اربد : - نهبت ثم دمر وتقدر خسائره بحوالي ٥٠ الف دينار .

٥ - سيارات الاسعاف : دمرت السلطات العسكرية في اعتداءاتها على سيارات الاسعاف والسيارات التابعة للجمعية ما مجموعه ٢٤ سيارة . تقدر قيمتها بحوالي ١٠٠,٠٠٠ دينار .

٦ - المراكز الاجتماعية والاسعافية :

١ - مركز المرشادات الصحيات : لقد انشأ هذا المعهد لسد حاجة الجمعية الى كفاءات خاصة من الفتيات المدربات يعملن

أوروبا الغربية والقضية الفلسطينية

١٩٦٥ - ١٩٧٥

الدكتور عدنان العمدة

عندما شهد عام ١٩٦٥ ولادة جديدة لحركة التحرر الوطني الفلسطيني كانت أوروبا الغربية * تقف من القضية الفلسطينية موقفا قائما على أساس ان القضية قد تم تصفيتا نهائيا عام ١٩٤٨ ، فقد استطاعت عقدة الذنب الأوروبية تجاه اليهود ان تتغلغل الى صميم المجتمع الأوروبي لدرجة أصبحت فيها كلمة فلسطيني في أوروبا مرادفة لكلمة نازي واختفت القضية الفلسطينية عن الساحة الأوروبية وعن الضمير الأوروبي بعد ان تعرضت منذ الحرب العالمية الثانية الى حملة متواصلة من التضييل الاعلامي والتزيف التاريخي وبدا ان أوروبا الغربية قررت الغاء التعامل مع القضية الفلسطينية واصبحت تنظر اليها كمجرد ملاحظة قانونية على هامش ملف علاقاتها مع إسرائيل وتقلصت القضية أوروبا الى مشكلة لاجئين تظهر مرة في السنة على جدول أعمال الأمم المتحدة كمسألة منبثقة عن النزاع العربي - الإسرائيلي . وقد أخطأت الحكومات الأوروبية في تقديرها مدى ارتباط القضية بهذا النزاع وكلفها هذا الخطأ رسيدا هائلا من نفوذها في المنطقة ، فبالرغم من المركز الذي كانت تحتله القضية الفلسطينية في العلاقات العربية إلا انها لم تكن تمثل في العلاقات العربية - الأوروبية سوى عامل سلبي (أوروبا) يشكل عبئا على المصالح الأوروبية وكانت الحكومات الأوروبية تنظر الى هذا العامل بحذر لما يشكله على المدى البعيد من تهديد لاستراتيجية تطويق حركة التحرر العربية ، لهذا فان الكثير من الدعم والتأييد الذي حظيت به إسرائيل كان هدفه منع التفاعل بين حركة التحرر الفلسطينية وحركات

* يقتصر البحث على دول المجموعة الأوروبية ، وهي فرنسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا وبولندا وبنجيكا والدانمرك ، وإيرلندا ولوكسمبرج . وتعتد الدراسة على الأسلوب التحليلي القائم على تقييم الموقف وتجنب الأسلوب الوصفي في تسجيل المواقف عن طريق الاستشهاد بالبيانات والتصريحات الرسمية . وتهتم الدراسة بالدرجة الأولى بالموقف الحكومي باعتباره الموقف المؤثر قانونيا وفعليا على تطور القضية ، فالقرار السياسي في الدول الديمقراطية يكون عادة نتيجة لتفاعل التيارات والاتجاهات الاجتماعية والسياسية المختلفة . ولا يشمل البحث الدول الإسكندنافية (السويد ، النرويج ، فنلندا ، وإيسلندا) التي تنتهج في السياسة الخارجية خطا خاصا ، كما لا يشمل النمسا وسويسرا بسبب حيادها التقليدي على الرغم من كونها مرتبطتين اقتصاديا وثقافيا بالنظام الغربي الرأسمالي ، كما لا يشمل إسبانيا والبرتغال واليونان لاختلاف المستوى الاقتصادي والنظام السياسي في هذه الدول عن دول الديمقراطيات البرلمانية . أما الفاتيكان فيستثنى من البحث لكونه لا يمثل قوة سياسية مع انه ربما يلعب دورا معنويا في قضية القدس .

التحرر العربية الاخرى في مصر وسوريا والجزائر واليمن خاصة بعد ان تمكنت هذه الحركات من تسلم الحكم في هذه البلدان .

في عام ١٩٦٥ كانت الدول العربية في مؤتمرات القمة (القاهرة والاسكندرية) قد اقرت انشاء ودعم منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني ، كما اقرت مبدا معاملة الدول الاجنبية على ضوء مواقفها من القضية الفلسطينية وتنفيذا لهذا المبدا اقدمت عدة دول عربية على قطع علاقاتها مع المانيا الغربية بعد ان افترض امر امدادها لاسرائيل بالسلاح واقدامها على اقامة علاقات دبلوماسية معها . وردت المانيا على هذا الاجراء بتصعيد دعمها السياسي والمالي لاسرائيل وكان هذا الموقف منسجما مع الموقفين الفرنسي والبريطاني ومع الاتجاه العام لمواقف باقي دول المجموعة . ولم تجد الدول الأوروبية في قرارات مؤتمرات القمة العربية اي قيمة تستحق اعادة النظر في مواقفها من القضية الفلسطينية وظلت تنظر الى القضية كملحق « انساني » للنزاع العربي - الاسرائيلي حسب تعريفها لهذا النزاع وهو تعريف لا يشمل القضية الفلسطينية ، ويمكن القول انه عندما حل عام ١٩٦٥ كانت فلسطين قد تم شطبها نهائيا من الملف الاوروبي حول النزاع ، هذا في الوقت الذي كانت القضية تشق طريقها عربيا لتصبح قضية العرب الاولى . فبالنسبة لاوروبا والولايات المتحدة كانت القضية هي تأمين وجود اسرائيل واستمرارها وهذا ما يفسر الاهمال المقصود الذي قابلت فيه المجموعة الأوروبية قرارات مؤتمر القمة (انشاء المنظمة) والبيان التاريخي الاول عن بدء الكفاح المسلح في المناطق المحتلة من فلسطين الذي اصدرته منظمة فتح . واذا القينا نظرة الى سياسات كل من بريطانيا وفرنسا تجاه الشرق الاوسط خلال ذلك العام فاننا نجد مثلا ان بريطانيا التي غرقت حتى اذنيها في التآمر على فلسطين والشعب الفلسطيني كانت منهمكة في توطيد قواعدها الاستعمارية في جنوب اليمن والخليج العربي . اما فرنسا التي ربطتها باسرائيل حملة السويس فقد كانت مع بداية العهد الديجولي منهمكة في اعادة تنظيم علاقاتها مع دول العالم الثالث مثقلة بدروس هزائنها العسكرية في فيتنام والجزائر . وهكذا يمكن اعتبار عام ١٩٦٥ عام التطابق بين المصالح والاهداف الأوروبية والاسرائيلية وهو ما يفسر ولكن لا يبرر الاهمال والصمت الذي قابلت به دول المجموعة عودة الروح الى النضال الفلسطيني المسلح .

الموقف اثناء وبعد حرب يونيو ١٩٦٧

اذا كانت حرب يونيو ١٩٦٧ من الناحية العسكرية قد دخلت القضية الفلسطينية من باب الهزائم والمؤامرات فانها من الناحية السياسية سجلت نقطة التحول في النظرة العربية والفلسطينية الى ابعاد المعركة مع الصهيونية واسرائيل ، فبجانب البعد الاقليمي للمعركة (احتلال الاراضي العربية) برز بوضوح البعد الدولي (ارتباط اسرائيل بحلف شمال الاطلسي والمصالح التي تحركه) . ودون الدخول في التفاصيل الاستراتيجية لهذا البعد فان حجم الدعم العسكري والتأييد السياسي الذي ناله العدوان الاسرائيلي على جميع المستويات الأوروبية قد دل بان اسرائيل كانت تتصرف كجزء من النظام الاوروبي وانها ترتبط بهذا النظام سياسيا وعسكريا وايدولوجيا وعليه فان المجموعة الأوروبية كانت تنظر لاي تحرك عسكري او سياسي (عربي او فلسطيني) موجه ضد اسرائيل على انه يشكل خطرا على مجمل نظام علاقات المجموعة الأوروبية . ولكن اسرائيل بكل ما تمثله من قوة عسكرية فعالة لم تكن تكفي لوحدها لتغطية جميع متطلبات الدفاع عن مصالح المجموعة في المنطقة لهذا

فقد ظهرت بعد حرب يونيو ١٩٦٧ عدة محاولات اوروبية لخلق علاقات متعادلة ظاهريا بين المجموعة وطرفي النزاع وكان هدف هذه المحاولات ضمان استمرار فعالية اسرائيل كاداة استعمارية مع اجراء تغيير شكلي على مضمون العلاقات الأوروبية - العربية . وكان موقف فرنسا الديقولية عام ١٩٦٧ اوضح المواقف لمفهوم العلاقات المتعادلة في السياسة الأوروبية(١) وقد تميز هذا الموقف بادانة العدوان الاسرائيلي وتحذير اسرائيل من عاقبة سياسة التوسع والاحتلال . ان اهمية الموقف الفرنسي هذا لا تقع في ردة الفعل المباشرة التي احدثها سواء في اسرائيل او الدول العربية او اوروبا الغربية ولكنها تقع في سلسلة المواقف التي اتخذتها الحكومة الفرنسية فيما بعد داخل المجموعة . وبينما أعلنت فرنسا ان موقفها الجديد يشكل قاعدة من قواعد سياستها الخارجية تجاه الشرق الاوسط حرصت بريطانيا على تسجيل موقفها فقط ضمن الصياغة الدولية للقرار ٢٤٢ (نوفمبر ١٩٦٧) . اما المانيا الغربية واطاليا وباتي دول المجموعة فقد اكتفت باعلان حيادها السياسي والعسكري تجاه الاطراف المتنازعة وقد حرصت حكومة المانيا بالذات على الاعلان بأن حيادها السياسي لا يعني اي انتقاص للالتزامات المعنوية تجاه أمن اسرائيل ومصير شعبها . ولما كان القرار ٢٤٢ لا يعالج من القضية الفلسطينية سوى ذلك الجزء الاقليمي المتعلق بالانسحاب من الاراضي المحتلة فان الدول الأوروبية وجدت في القرار افضل حجة للاستمرار في اهمال القضية الفلسطينية كقضية تحرير وطني .

أوروبا الغربية والمقاومة الفلسطينية

كما اوضحت حرب يونيو مدى عمق التحالف السياسي والعسكري بين اسرائيل واوروبيا الغربية لدرجة اعتبرت فيها بعض الدول الأوروبية حرب اسرائيل حربها هي وبقاء اسرائيل بقاءها وان كانت لاسباب داخلية وخارجية لم تصرح بذلك جهرا ، فان معركة الكرامة (١٩٦٨/٣/٢١) قد اوضحت الطريقة السلبية التي قابلت فيها الحكومات الأوروبية المناسبة الاولى للظهور العلني لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فمن المعروف ان سجلات وزارات الخارجية الأوروبية قد جمعت ما فيه الكفاية من الوثائق المتعلقة بالشعب الفلسطيني ومراحل النضال السياسي والاجتماعي التي مر بها منذ عهد الاندباب البريطاني فالمعلومات هي اخر ما يلزم الحكومات الأوروبية لاتخاذ موقف موضوعي (سلبى او ايجابى) من المقاومة الفلسطينية لهذا فان الموقف الأوروبي المبدئي في تأييد قيام كيان اسرائيلي على حساب حقوق الشعب الفلسطيني هو الذي املى على الحكومات الأوروبية اتخاذ موقف معاد لحركة المقاومة الفلسطينية لهذا فقد شهدت فترة ما بعد معركة الكرامة على مستوى الحكومات الأوروبية أعنف حملة تشهير وتشويه للمقاومة الفلسطينية الى درجة ذهبت فيها بعض الاوساط الاعلامية الأوروبية لحد وصف الاحتلال الاسرائيلي بالتقدم والرقي ، وتعطي المانيا الغربية مثالا رائدا عن هذا الموقف اثناء الحملة التي قام بها السفير الاسرائيلي آثر بن ناتان عام ١٩٦٩ لاقفاء المحاضرات في الجامعات الالمانية منددا ومستنزها بالمقاومة الفلسطينية ومتهما المدافعين عنها من الطلبة الالمان بالنازيين الجدد . وقد لعبت الصحافة المقربة للدولة او الاحزاب الحاكمة في عدة دول اوروبية دورا هاما في تشويه صورة المقاومة الفلسطينية والتفني بامثلة الاحتلال الاسرائيلي ومنح هذا الاحتلال التأييد المعنوي في عملية التنصيف التي يمارسها ضد الشعب الفلسطيني (الطرد ، قصف المخيمات ، الاعتقال والعقاب الجماعي ، نسف البيوت) . ووصلت الهستيريا الرسمية وشبه الرسمية ضد الفلسطينيين اوجها على

أثر حادثة الألعاب الاولمبية في ميونيخ (١٩٧٢) فأتخذت جميع هذه الحكومات اجراءات قاسية ضد المواطنين الفلسطينيين من طلبة وعمال فيها(٢). وبينما كانت المقاومة الفلسطينية تكتسب قواعدا جماهيرية لدى فئات واسعة من المجتمع الاوروبي (في اوساط الطلبة والعمال والمثقفين) كقضية تحرر وطني وكفاح ضد احتلال اجنبي كانت الحكومات في أوروبا تصنفها بين الحركات الارهابية ذات الجذور الفوضوية بسبب محاربتها « دوله ديموقراطية ومجتمعا حضاريا » - أي اسرائيل . وقد اذت الحملة الرسمية الموجهة ضد المقاومة الفلسطينية الى تحويل الحركة المعادية للسامية في أوروبا من حركة معادية لليهود الى حركة معادية للعرب وأصبح الفلسطينيون وبالتالي العرب هم هدف العداة ، وسبب هذا النوع من التوجيه الفكري « أزمة فلسفية » في اوساط كبار المفكرين في أوروبا الغربية فتنبت مجموعة منهم على رأسها رودنسون (اسرائيل واقسع استعماري) ودويتشر (اسرائيل بروسيا الشرق الاوسط) ورسل وتوينبي (اسرائيل انهيار للقيم الحضارية) وجهة النظر المساندة لحق الشعب الفلسطيني في المقاومة والتحرر بينما اختارت فئة أخرى على رأسها سارتر (العداة لاسرائيل عداة للسامية) واونسكو ودورنات وجهة النظر المؤيدة لاسرائيل على أساس انها الحل الوحيد للمسألة اليهودية ، ويقوم موقف هذه الفئة الاخيرة على الخلط بين اسرائيل ومعاداة السامية ، وقد خدم هذا الخلط عملية التهميه التي لجأت الحكومات الأوروبية اليها لتغطية عداتها الاصيل لحركة التحرر العربية واستعمالها لاسرائيل كإداة لضرب هذه الحركة . الا ان المقاومة الفلسطينية التي اقامت نضالها على حسابات غير حسابات مواقف وسياسات الحكومات الأوروبية أظهرت منذ عام ١٩٧٠ من قوة الاستمرار والفعالية ما أكد قدرتها على اخراج قضية فلسطين من زاوية الحجز الاجباري الذي دافعتها اليه مواقف الحكومات الأوروبية . وكان للجو الثوري الذي ساهمت الثورة الفلسطينية في خلقه سواء في العالم العربي او في أوروبا نفسها اثر ملموس في تحريك الموقف الأوروبي تدريجيا نحو فهم أكثر واقعية للعوامل المؤثرة في القضية الفلسطينية واكثر مرونة لطبيعة النزاع العربي - الاسرائيلي(٣) .

١٩٧٠ بداية التحول وأشكاله

في مطلع عام ١٩٧٠ كانت المقاومة الفلسطينية قد فرضت نفسها على العالم كحركة تحرر وطني في الوقت الذي ظلت الحكومات الأوروبية تتجاهل وجود الشعب الفلسطيني كحقيقة سياسية وكان هذا الموقف قائما على القناعات الأوروبية التالية :

— قرار مجلس الامن ٢٤٢ بتفسيره الاسرائيلي كاف حسب ميزان القوى العربي - الاسرائيلي لحل النزاع او تجميده .

— ان الحياد في النزاع لا يعني الحياد تجاه وجود وأمن اسرائيل (وهو الموقف الالماني) .

— ان قضية فلسطين تتعلق بعقدة الذنب الأوروبية أما قضية الفلسطينيين فهي قضية عربية (اسكان واستيطان اللاجئين في الدول العربية) .

— ان وجود وأمن وضمان حدود اسرائيل مسألة غير قابلة للتناش .

بناء على هذه القناعات دارت في الاوساط الصحافية والاكاديمية الأوروبية مناقشة كبرى للقضية الفلسطينية وكان محتوى المناقشة التي ادارها اليسار الأوروبي ان الاحتلال الاسرائيلي لا يختلف بدوافعه الايديولوجية عن الاحتلال النازي لدول أوروبية وان المقاومة الفلسطينية تمتلك من الشرعية ما كان للمقاومة الأوروبية (الفرنسية

والإيطالية وغيرها) وكان لا بد لهذه الأفكار أن تنسرب الى الأوساط الحاكمة عن طريق الأعضاء الشباب في الأحزاب الليبرالية والاشتراكية الديمقراطية ومنذ عام ١٩٧٠ بدأت بعض الأوساط الحكومية الأوروبية تمهد للاعتراف بالوجود السياسي الفلسطيني وتبحث عن الوسائل والطرق للتعامل مع هذا الوجود ، وكان أساس البحث قناعة خفية بتداخل القضية الفلسطينية بالنزاع العربي - الإسرائيلي ، ولكن الحكومات الأوروبية فضلت عدم اظهار هذه القناعة لكي تظل منسجمة مع موقفها السابق في الحكم على المقاومة الفلسطينية بمعزل عن دوافعها السياسية ، ويتركز مبالغ فيه على الناحية الانسانية من القضية الفلسطينية (اللاجئيين) وعلى هذا الأساس قامت الدول الأوروبية بعدة مبادرات لتقوية نفوذها في الشرق الأوسط عن طريق لعب دور في القضية الفلسطينية ولكن هذه المبادرات فشلت لسببين : —

اولا : حرصت أوروبا الغربية لعب هذا الدور بعيدا عن أي اتصال او احتكاك بالفلسطينيين (منظمة التحرير الفلسطينية) وكانت سياستها قائمة على أساس أن تقوية العلاقات مع بعض الدول العربية المؤثرة في السياسة العربية تكفي لانجاح المبادرة .

ثانيا : اعتبار أوروبا الغربية القضية الفلسطينية خاضعة للاحتكار الدبلوماسي الأمريكي والسوفيتي وعلى هذا الأساس منحت الولايات المتحدة مطلق الحرية في التعبير عن سياستها تجاه هذه القضية .

الا ان نجاح المبادرة الفرنسية المؤقت عام ١٩٦٧ والذي كان قائما على نظرية استقلالية الموقف الأوروبي وما حققه هذا النجاح من توازن في العلاقات العربية - الفرنسية (٤) قد جعل للموقف الفرنسي وزنا خاصا في الجهود الأوروبية المشتركة نحو ايجاد مخرج سياسي منطقي من مأزق التناقض بين التأييد المطلق لاسرائيل والالتزام الدولي بقرارات الامم المتحدة .

المواقف المشتركة للمجموعة الأوروبية

لم يظهر أي موقف أوروبي مشترك تجاه القضية الفلسطينية او النزاع العربي - الاسرائيلي حتى مطلع عام ١٩٧١ وقد بدأت التمهيدات لاجراء مثل هذا الموقف خلال الاتصالات التي اجراها وزير خارجية فرنسا آنذاك (شومان) مع زملائه في حكومات السوق المشتركة (ولم تكن السوق تضم آنذاك بريطانيا او الدنمرك او ايرلندا) . وقد نتج عن هذه الاتصالات صدور ما تعارف على تسميته « بوثيقة شومان » (٤) وحددت الوثيقة الخطوط السياسية العامة لسياسة دول السوق تجاه مشكلة الشرق الأوسط وأكدت ان هذه السياسة تقوم على مبدئين هما وجوب انسحاب اسرائيل من المناطق التي احتلتها اثناء حرب يونيو ١٩٦٧ وعدم السماح بتحقيق مكاسب اقليمية عن طريق الحرب والمطالبة بحل مشكلة اللاجئيين الفلسطينيين بموجب قرار الامم المتحدة رقم ١٩٤ لعام ١٩٤٨ (العودة او التعويض) واقامة ادارة دولية للقدس . ويلاحظ من صياغة الوثيقة تشابهها مع مشروع روجرز الذي اعلن عنه عام ١٩٧٠ وتطابقها مع العرض الوارد في القرار ٢٤٢ وعدم تضمنها أي عنصر جديد بالنسبة للقضية الفلسطينية . وقد تعرضت الوثيقة بعد صدورها الى عملية المساومة التي تمر بها عادة قرارات المجموعة الأوروبية . فبينما اعتبرت الحكومة الفرنسية موقفا سياسيا الزاميا اعتبرتها ألمانيا الغربية مجرد ورقة عمل او توصية غير ملزمة وعملت مع كل من هولندا وبلجيكا فيما بعد على ابطال مفعولها بدليل ان المواقف الأوروبية في

المستقبل لم تتخذ من الوثيقة أساسا لتطوير موقف مشترك أكثر تماسكا والزاما وإنما جاء مثل هذا الموقف نتيجة لعوامل خارجية مثل حرب أكتوبر ١٩٧٣ (القوة الذاتية للدول العربية) وازمة الطاقة الدولية (استعمال العرب للنفط سلاحا في معركتهم) .

الموقف المشترك بعد أكتوبر ١٩٧٣

كما اظهرت حرب يونيو ١٩٦٧ الابعاد الدولية لطبيعة العلاقة بين اسرائيل والتحالف الاوروبي - الأمريكي فقد اظهرت حرب أكتوبر ١٩٧٣ طبيعة العلاقة التاريخية والقومية بين الدول العربية وفلسطين وبين حركة التحرر العربية وحركة التحرر الفلسطينية ، فالجيوش العربية التي انطلقت لتحرير الاراضي العربية من الاحتلال الاسرائيلي لم تكن من حيث المبدأ تتقيد بان دفاعها بأي حدود جغرافية وكانت مصر وسوريا وفلسطين بالنسبة لها ارضا واحدة محتلة من عدو واحد وكان لمساهمة قوات الثورة الفلسطينية في القتال دليل متجدد على التلاحم الذي رافق ارتباط القضية الفلسطينية بمسألة احتلال الاراضي العربية ، كما أكد لجوء الدول العربية المصدرة للنفط الى استعمال النفط كأداة سياسية على مدى تأثر القضية الفلسطينية على نوع القرارات السياسية والاقتصادية للدول العربية . وامام خسائر اسرائيل العسكرية ووحدة الموقف العربي وضغط ازمة النفط تنبهت المجموعة الأوروبية الى تجدد الفعالية والتفاعل بين حركة التحرر العربية وقضية فلسطين فعمد مجلس وزراء خارجية المجموعة اجتماعا طارئا في ٦ نوفمبر ١٩٧٣ وأصدر بيانا بشأن النزاع العربي - الاسرائيلي تضمن هذه المرة عنصرين لم يتوفرا في وثيقة شومان (١٩٧١) العنصر الاول انهاء اسرائيل لحالة احتلال الاراضي العربية والثاني التأكيد على اخذ « الحقوق المشروعة للفلسطينيين بعين الاعتبار لدى اقامة سلام في المنطقة » . وكانت هذه اول مرة تشير بها الدول الأوروبية في بيان مشترك الى القضية الفلسطينية عن طريق الإشارة الى الحقوق المشروعة للفلسطينيين . وقد فسرت الاوساط الأمريكية هذا القرار بأنه تسجيل لصياغة معتدلة المقصود منها ارضاء غرور دول النفط العربية وأنه جاء نتيجة شعور أوروبا لفترة طويلة بفقدان الإرادة السياسية بسبب حاجة أوروبا الغربية الى مظلة الحماية العسكرية الأمريكية (٥) . ولكن التوسع في متابعة الموقف الأوروبي بعد صدور هذا البيان لا يؤيد هذا التفسير بل أنه يشير الى ان الحكومات الأوروبية وفتت بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ امام مفترق عدة طرق اختارت منها الطريق الاقتصار المؤدي الى ضمان مصالحها في المنطقة وهو طريق التعامل مع النزاع على أساس الحقائق التاريخية التي تحركه ومن أولى هذه الحقائق الحقيقة الفلسطينية .

الحوار العربي - الأوروبي (١)

لا يمكن اعتبار بدء حوار سياسي - اقتصادي بين مجموعة دول السوق الأوروبية ودول جامعة الدول العربية موقفا أوروبيا من القضية الفلسطينية ولكن متابعة مراحل هذا الحوار منذ مارس ١٩٧٤ (قرر مجلس وزراء السوق الأوروبية الموافقة على اقامة الحوار) تشير الى ان الدول الأوروبية ستحاول توجيه الحوار بعيدا عن القضايا السياسية (أي القضية الفلسطينية والنزاع العربي الاسرائيلي) بحجة ان معالجة المسائل الاقتصادية تتطلب الابتعاد عن مواقع الحساسيات السياسية وامام هذا المنطق الأوروبي أبدت الدول العربية بأن المصالح الاقتصادية لا يمكن ان تنمو نوا صحيا الا اذا قامت على قاعدة اتفاق مبدئي على مجموعة من القضايا السياسية وأهمها قضية فلسطين والاحتلال الاسرائيلي . وتدل الاتصالات القائمة الان للاعداد للجولة الثانية

للحوار بأن الدول العربية قد اشترطت ان تكون منظمة التحرير الفلسطينية طرفا عربيا فيه (٧) . انه من التسرع الاستنتاج بان مجرد قبول المجموعة الأوروبية بإشراك المنظمة في الحوار سيعني قبول ما تمثله من قيم واهداف سياسية بالنسبة للقضية الفلسطينية ولكن مثل هذا القبول (وهو غير وارد لغاية كتابة هذه الدراسة) اذا حدث مضافا اليه التطورات التي طرأت على الموقف الأوروبي في الاشهر الثلاثة الماضية سيؤدي الى تبلور موقف اوروبي اكثر تقدما نحو تفهم الدور الفلسطيني والاعتبارات الفلسطينية في السياسة الخارجية للدول العربية . ان محاولة المجموعة الأوروبية قصر الحوار على قضايا امدادات النفط والتعاون الاقتصادي تشير الى ان القوى الضاغطة تجاه اسرائيل في السياسة الأوروبية لازالت تحتفظ بمركزها القوي .

فرنسا والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية

كما كان موقف ديغول في يونيو ١٩٦٧ منعطفا تاريخيا في الموقف الأوروبي فقد جاء موقف الحكومة الفرنسية في اكتوبر ١٩٧٤ تأكيدا للاستمرار في خط الاقتراب من مواقع الحقيقة في قضية فلسطين . فبعد تهديد مسبق يعود الى عام ١٩٧٠ أهدمت الحكومة الفرنسية على الاتصال مباشرة بمنظمة التحرير الفلسطينية معتبرة المنظمة التعبير السياسي عن هذه الحقيقة ومخرقة الحاجز التقليدي الذي وضعته أوروبا بينها وبين القضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ ، وكان اللقاء الذي اجراه وزير خارجية فرنسا مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية (بيروت ، اكتوبر ١٩٧٤) تأكيدا وتطويرا للسياسة التي انتهجتها فرنسا منذ عام ١٩٦٧ تدريجيا وعلى المراحل التالية : التشديد على الطابع السياسي للقضية الفلسطينية (منذ ١٩٦٧) ، اي تسوية لنزاع الشرق الاوسط يجب ان تتضمن تسوية القضية الفلسطينية ، وجوب مشاركة الشعب الفلسطيني في اي حل للنزاع (منذ ١٩٧٣) ، تأكيد حق الشعب الفلسطيني في اقامة كيان سياسي (وطن وارض) وهو التأكيد الذي أعلنه رئيس الدولة الفرنسية في اكتوبر ١٩٧٤ .

الا ان الموقف الفرنسي هذا لم يتبلور بعد كموقف اوروبي مشترك وربما تمر عدة اشهر قبل ان يتبلور مثل هذا الموقف بسبب ميل كل من المانيا وبريطانيا وهولندا الى تبني الموقف الأمريكي ، ولكن هذا لم يمنع القوى الأوروبية المعتدلة من اجراء مراجعة جذرية لمواقفها على ضوء الموقف الفرنسي . ان نتائج هذه المراجعة ستظهر مع التطورات المتلاحقة التي تعيشها القضية الفلسطينية على الصعيد العربي والدولي ويمكن تصور اتجاه هذه المراجعة على الشكل التالي :

مؤتمر القمة العربي والموقف الأوروبي : تاكد بعد انعقاد مؤتمر القمة العربي الاخير في الرباط (اكتوبر ١٩٧٤) ان القضية الفلسطينية قد عادت الى مرتبة الاولويات في العلاقات العربية - الخارجية وقد ادت وحدة الموقف العربي الجماعي في المؤتمر تجاه منظمة التحرير الفلسطينية الى وضع حد لامكانية المناورة في الموقف الأوروبي حيث ان أي تفسير لقرارات المؤتمر لابد ان يؤدي الى اعتبار القضية الفلسطينية صلب النزاع العربي - الاسرائيلي واعتبار أي نظام سلمي في المنطقة يجب ان يقوم على اساس مفهوم السلم العربي والذي يختلف عن مفهوم السلم الاسرائيلي ، فبينما يقوم السلم العربي على اساس حقوق للشعب الفلسطيني بموجب قرارات الامم المتحدة يقوم السلم الاسرائيلي على القاء هذه الحقوق بموجب القوة العسكرية والامر الواقع . وكان الموقف الفرنسي قد مهد على الاقل في فرنسا والى حد ما في ايطاليا وبريطانيا لخلق جو رسمي مقنن ولكن غير مؤيد لقرارات مؤتمر الرباط ولكن هذا التمهيد في حالة ايطاليا وبريطانيا لم يصل الى درجة التجاوب الذي عبر عنه الموقف الفرنسي ، أما في حالة

المانيا وهولندا وبلجيكا فلم يتعد الموقف مجرد العلم بالقرارات . وقد أدى الخوف من الازمة النفطية واحتمال اقدم الدول العربية على اجراءات شبيهة بتلك التي اتخذوها خلال اكتوبر ١٩٧٣ الى تحييد هذا الموقف السلبي ومن ثم تحريكه في اتجاه وضع حد فاصل بين التزام المجموعة « المعنوي » باسرائيل وبين مصالحها الخاصة واحترامها لقرارات الامم المتحدة وارادة المجتمع الدولي . ومن جهة اخرى أدت السياسة العربية المعتدلة التي انتهجتها دول الجامعة العربية بعد حرب اكتوبر والتحسين الذي طرأ على العلاقات العربية - الأمريكية الى اقتناع الدول الأوروبية بأن الدول العربية تسعى حقا الى تسوية سلمية ضمن اطار الشرعية الدولية وقائمة على تنفيذ خطوتين: انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني . ولما كان الموقف الأوروبي المشترك يتقدم منذ عام ١٩٧٠ باتجاه تأييد الخطوة الاولى (الانسحاب) فانه بالنسبة للخطوة الثانية (حقوق الفلسطينيين) ظل مجهدا عند تأييد قرار مجلس الامن ٢٤٢ . وحتى الموقف الفرنسي المتقدم نسبيا لم يصل لدرجة قطع العلاقات مع اسرائيل وهي حالة توصل اليها الموقف السوفيتي والكتلة الاشتراكية منذ عام ١٩٦٧ (ما عدا رومانيا) والموقف الأفريقي منذ عام ١٩٧٢ (ما عدا روديسيا وجنوب افريقيا) . فالمجموعة الأوروبية بما فيها فرنسا اكتفت باتخاذ مواقف منقطعة دون تنفيذ المسؤوليات المترتبة على تلك المواقف (مثل قطع العلاقات وايقاف المساعدات) . ويعود هذا التردد في تحمل مسؤوليات الموقف الى عدة ثوابت متأصلة في بناء نظام العلاقات بين أوروبا واسرائيل وهذه الثوابت هي :

١ - اعتبار اسرائيل امتدادا للمقيم الحضارية الغربية في مجالات التطور الديموقراطي (!) والتقدم الصناعي .

٢ - اعتقاد أوروبا بأن عدم تأييدها للجانب العربي يضعها في مركز أفضل للوساطة على أساس ايجاد توازن دائم بين « مصالح وحقوق الطرفين » .

٣ - ارتباط الامن القومي الأوروبي بنظام الامن في البحر الابيض المتوسط القائم على أساس التفوق الأمريكي وما يتطلبه هذا التفوق من ضمانات اوربية لحفظ التوازن العسكري بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الحليف الاكبر لاسرائيل .

ان هذه الثوابت لا زالت قائمة ومن الخطأ الاعتقاد ان تصميم الدول العربية على تبني الحد الاعلى للمطالب الفلسطينية وتجنيد النفط العربي والقوة العسكرية العربية وراء هذه المطالب كاف بحد ذاته لاجراء تعديل ايجابي على هذه الثوابت لان مثل هذا التعديل متروك لعوامل ذاتية في السياسة العربية وسياسة منظمة التحرير الفلسطينية خاصة وقد دلت هذه السياسات خلال انعقاد الدورة الاخيرة للجمعية العامة للامم المتحدة (الدورة ٢٩ لعام ١٩٧٤) ، ان مثل هذا التعديل وارد اذا توفرت له عناصر القوة الذاتية (العسكرية والاقتصادية) .

الامم المتحدة والموقف الأوروبي : بعد انعقاد الدورة الاولى لمؤتمر جنيف للشرق الاوسط (ديسمبر ١٩٧٣) دون أي حضور أوروبي وجدت المجموعة الأوروبية نفسها بعيدة عن مساحة الاتصالات الدولية الهادفة الى ايجاد نظام أمن جديد في الشرق الاوسط قائم على أساس حل سلمي للنزاع العربي - الاسرائيلي . وقد أدى غياب المجموعة الأوروبية عن مؤتمر جنيف الى توجه المجموعة للتعبير عن موقفها الى الامم المتحدة - فانكلترا وفرنسا عضوان دائمان في مجلس الامن - وكان موقف فرنسا في مجلس الامن (اكتوبر ١٩٧٣) قد شدد على أهمية « عدم تجاهل الشعب الفلسطيني في أي تسوية دولية للنزاع » وأكد البيان السياسي الاول لحكومة ديستان بعد ذلك بأن « التسوية

السلمية لكي تكون عادلة ودائمة يجب ان تحقق الآمال المشروعة للشعب الفلسطيني « وقد ترجمت الحكومة هذا البيان بمباشرة الاتصال رسميا مع منظمة التحرير الفلسطينية . وعندما طرح على الجمعية العامة مشروع قرار ادراج قضية فلسطين كقضية مستقلة على جدول اعمال الجمعية العامة (أكتوبر ١٩٧٤) ودعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك في مناقشة القضية أيدت كل من فرنسا وايطاليا وايرلندا هذا القرار بينما امتنعت باقي دول المجموعة عن التصويت وعلق المندوب البريطاني على امتناعه عن التصويت بقوله ان دعوة المنظمة يجب ان تقتصر على الاشتراك في النقاش داخل اللجان الفرعية .

أما مندوب ألمانيا الفيدرالية فقال انه غير واثق من مدى التمثيل الكامل للشعب الفلسطيني عبر منظمة التحرير . وتدل نتيجة هذا التصويت الى ان دول المجموعة لم تتخذ موقفا مشتركا من القضية الفلسطينية اثناء طرح القضية في الامم المتحدة . وبعد الخطاب التاريخي الذي ألقاه رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أمام الجمعية العامة بدأت وفود المجموعة الأوروبية تجري اتصالات مع الوفود العربية من أجل استصدار قرار دولي يضم وجهتي نظر الدول العربية ومنظمة التحرير ودول عدم الانحياز من جهة والمجموعة الأوروبية من جهة أخرى وطلبت ان يحتوي القرار بندا خاصا بحق كل دولة في المنطقة في العيش بسلام وضمن حدود آمنة، ولكن مجموعة عدم الانحياز (وهي تضم الدول العربية) رفضت هذا الاقتراح وأصرت على ان يركز القرار على التأكيد على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وممارسة استقلاله وسيادته على أرضه . وعندما طرح هذا القرار على التصويت نال أغلبية ٨٩ ومعارضة ٩ دول (من بينها الولايات المتحدة) وامتناع ٣٧ دولة عن التصويت من بينها دول المجموعة الأوروبية بما فيها فرنسا . وعندما طرح القرار الخاص بمنح المنظمة صفة المراقب في الامم المتحدة نال أغلبية ٩٥ صوتا ومعارضة ١٧ صوتا (من بينها الولايات المتحدة وبعض دول المجموعة الأوروبية مثل ألمانيا الغربية وهولندا وبريطانيا وايطاليا) (٨) . ان امتناع دول المجموعة الأوروبية عن التصويت على القرار الخاص بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والاستقلال والسيادة يمكن تفسيره على انه « موافقة سلبية » على محتوى القرار ويؤيد هذا التفسير ما ورد على لسان رئيس الوفد الألماني الغربي عند توضيحه لمعنى تصويته فقد أيد التوضيح حقوق الشعب الفلسطيني (دون تعريفها) ودعا الى انسحاب إسرائيل من الاراضي العربية لتمكين الفلسطينيين من اقامة سلطة وطنية عليها - الضفة الغربية وقطاع غزة - . وقد دلت اتصالات الوفود العربية بوفود دول المجموعة الأوروبية خلال الدورة بأن وجهة نظر المجموعة الأوروبية هي ان أي حل فلسطيني يجب ان يضمن حق العيش والوجود والامن لجميع دول المنطقة بما فيها إسرائيل وتأييد حق الشعب الفلسطيني عن طريق انشاء سلطة سياسية مستقلة له على الاراضي التي ستجلب عنها إسرائيل من الضفة الغربية وغزة ووفق قرارات مؤتمر القمة في الرباط . وتعتبر وجهة النظر هذه بموجب المعطيات والظروف الدولية الحالية أقصى ما يمكن ان يصل اليه الموقف الأوروبي مع الاخذ بعين الاعتبار المسافة بين تسجيل الموقف وتنفيذه فعليا على العلاقات الأوروبية - الاسرائيلية .

١٩٧٥ - خلاصة واستنتاجات

يمكن تلخيص موقف المجموعة الأوروبية من القضية الفلسطينية في مطلع عام ١٩٧٥ على النحو التالي : الاعتراف مع بعض التحفظ بحقوق الشعب الفلسطيني على أساس قرارات الامم المتحدة . ويعتبر هذا الموقف قياسا الى المواقف السابقة (١٩٦٥ -

١٩٧٢) متقدما نسبيا الا انه قياسا مع الاهداف الاستراتيجية لمنظمة التحرير الفلسطينية لا يمكن اعتباره الموقف المثالي . ومن سلبيات هذا الموقف انه يعتبر الدولة الفلسطينية في الضفة والقطاع هدفا بحد ذاته بينما تعتبرها المنظمة هدفا مرحليا .

الان وبعد ان استطاع الشعب الفلسطيني بكفاحه الطويل ان يعيد القضية الفلسطينية الى اطارها الاقليمي والدولي الصحيح كقضية شعب وارض وتقرير مصير وممارسة سيادة فان منظمة التحرير الفلسطينية (او الحكومة الفلسطينية الموقته) تجد نفسها امام موقف اوروبي متأرجح بين تأييد شرعية القوة (اسرائيل) وتأييد شرعية العدل (فلسطين) ومثل هذا الموقف يترك الباب مفتوحا امام عدة أسئلة فلسطينية موجهة لعنوان المجموعة الأوروبية وفي طليعة هذه الاسئلة مطالبة دول المجموعة باتخاذ خطوات تثبت التزامها بمواقفها المعلنة وباحترامها للارادة الدولية (قرارات الامم المتحدة) وبالمقابل فان منظمة التحرير الفلسطينية بدخولها المعركة الدبلوماسية بجانب المعركة السياسية فانها ايضا تواجه أسئلة اوروبية . وقد لخص الكاتب السويسري ارنولد هوتنجر هذه الاسئلة في تعليقه على خطاب رئيس منظمة التحرير الفلسطينية امام الجمعية العامة فقد علق بقوله « ان الفلسطينيين عليهم ان يحددوا استراتيجيتهم القريبة والبعيدة المدى كما عليهم ان يحددوا خطواتهم التالية لحصولهم على الضفة الغربية وقطاع غزة فشعار الدولة الديمقراطية الذي طرحوه في نيويورك يتطلب ، وباعتراهم ، تحطيم الدولة الصهيونية على المدى البعيد بينما يتطلب حصولهم على الضفة الغربية وقطاع غزة التزامهم بقبول التعايش والسلام مع اسرائيل كما هي » (٩) .

- ٥ - من أجل التوسع راجع الفصل الرابع من كتاب Walter Laquer: *Confrontation: The Middle East War and World Politics*, London 1974, pp. 119-158.
- ٦ - انظر مقالة « لا حوار بدون الفلسطينيين » للمؤلف في « السياسة الدولية » العدد ٣٧ يوليو ١٩٧٤ ، القاهرة ، ص ٦١ .
- ٧ - انعقدت الجولة الاولى في أغسطس ١٩٧٤ على مستوى وزراء الخارجية في باريس وحضرها عن الجانب العربي الامين العام لجامعة الدول العربية ووزير خارجية دولة الكويت .
- ٨ - أصدرت المجموعة الأوروبية بيانا (اواخر نوفمبر ١٩٧٤) لانتقدت فيه موقف فرنسا التي لم تصوت ضد هذا القرار .
- ٩ - نيوزيورخر تزايتونج ، ١٥ نوفمبر ١٩٧٤ .

- ١ - أعلنت الحكومة الفرنسية على لسان الرئيس ديغول بأن اسرائيل قد بدأت بالعدوان على الدول العربية وطالبتها بالانسحاب من الاراضي المحتلة .
- ٢ - قامت الحكومة الالمانية بمنع نشاط الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين والاتحاد العام لعمال فلسطين في المانيا واعتبرتهما تنظيمين ارهابيين يشكلان خطرا على أمن الدولة .
- ٣ - لعبت الاحزاب الشيوعية (الفرنسي والاطالي) دورا هاما في هذا التحول ، راجع للمؤلف : « الشيوعية الغربية وقضية فلسطين » ، مركز الابحاث ١٩٧٠ (توزيع خاص ومحدود) .
- ٤ - صدرت هذه الوثيقة في بيان لمجلس وزراء الخارجية في السوق الأوروبية المشتركة في مايو ١٩٧١ .

المقاومة الفلسطينية في الصحافة الفرنسية

(١٩٦٥ - ١٩٧٥)

الدكتور فيصل دراج

لم يكن سهلا أن تأخذ المقاومة الفلسطينية مكانا لها في الصحافة الفرنسية .
اذ أن القضية الفلسطينية برمتها كانت غائبة في تلك الصحافة ، وعندما كانت تطفو
بين الحين والحين على مسرح الأحداث كانت تقدم كقضية « لاجئين » فقط دون
انعاء الضوء على الاعتبارات التاريخية التي ولدت هذه القضية . ان الفلسطيني
وقضيته كانا يغبيان في بحر الصمت والنسيان ، أو بشكل أدق غيبهما الاعلام
الصهيوني في بحر الصمت والنسيان .

ان غياب القضية الفلسطينية عن مسرح الصحافة ، والصورة السلبية المخالفة
للمواقع التي كانت تقدم القضية في اطارها ، تعود الى جملة أسباب معقدة
متشابكة . فهناك أولا التواجد التاريخي المستمر للمشكلة اليهودية في الغرب .
فالأوروبي يتعامل مع مشكلة يعرفها وعليه أن يأخذ موقفا محددا منها ، وهذا الموقف
كانت تحده قطبية اللاسامية والمالية للسامية ، وفي الحقيقة فان هذا الاختيار كانت
تحكمه تناقضات المجتمع البرجوازي والأيديولوجيا المعبرة عن هذه التناقضات . وضمن هذا
الاطار لم تكن اللاسامية أمرا مشينا يثير الاستهجان خاصة أن الجهاز الإداري للدولة
كان يروج لها بحماس في كثير من الأحيان . الا أن الاضطهاد المستمر والمتواتر
للإهود دفع بقطاعات كبيرة من المجتمع الى صف الموالية للسامية ، وهذه الموالية
كانت تأخذ طابعا سياسيا كموقف اليسار ، وتأخذ طابعا أخلاقيا كموقف
قطاعات كبيرة من الكاثوليك . وفي فرنسا بالذات أخذت المشكلة اليهودية حيزا
واسعا في الحياة السياسية منذ أوائل هذا القرن بسبب ما دعي بقضية دريفوس ،
الضابط اليهودي الذي اتهم بالعمالة للألمان ثم ظهرت براءته بعد ذلك ، وقد أثار
هذا الحكم الجائر بحق الضابط اليهودي موجة من الاستنكار والسخط لدى قطاع
كبير من الشعب الفرنسي ، وقد حمل لواء الدفاع عن اليهود في تلك الفترة قوى
اليسار والحزب الاشتراكي بشكل خاص (١) . وبعد صعود النازية وما تلاه من
اضطهاد للإهود اتسعت الدائرة الموالية للسامية وبالتالي التعاطف مع الحركة
الصهيونية التي كانت قد أصبحت حركة نشطة في تلك الفترة . وقد قدمت فرنسا ابان
الحرب العالمية الثانية وبعدها مساعدة متعددة الجوانب للحركة الصهيونية شاركت
فيها كل القوى السياسية . وقد تأتي عن ذلك منطقيا حماس ودعم بلا حدود لظهور
دولة اسرائيل (٢) فهناك اذن عوامل تاريخية لعبت دورا كبيرا في تأييد الشعب
الفرنسي لاسرائيل والصهيونية . ويمكن أن نقول هنا أن كل الشعب الفرنسي (عدا
قلة من الكاثوليك) على اختلاف صنوفه السياسية حيا ظهور اسرائيل ، حيث رأى
البعض فيها حركة تحرر وطني ، ورأى البعض الاخر تجسيدا حيا للميثالوجيا
الدينية ، وحتى القوى المناهضة للسامية فعلت ذلك « للتخلص من الشر » أو كما

يقال عادة « نحب اليهود هناك ، في فلسطين وليس في فرنسا » وهذا يعرف عادة في علم النفس باسم « العنصرية التي تطرد أخرى » .

ضمن هذا الاطار التاريخي الذي يتضمن النصف الاول من القرن العشرين كان على المواطن الاوربي بشكل عام أن يواجه المشكلة اليهودية ويأخذ منها موقفا ، وقد سهلت النازية بلا حدود اتخاذ هذا الموقف ودفعت به باتجاه موقف جماعي موحد ، هو ضرورة وجود وطن لليهود ، وبذلك تلاحم موقف من يعتبرون اليهود « فكر الانسانية النقي » مع موقف من يعتبرون اليهود « أصلا للمشر » (٣) . وهكذا جثمت القضية الفلسطينية في بحر من الصمت ، فالفلسطيني لا وجود له . ان مركب الاثم الذي أتقل كاهل الانسان الاوربي جعله يقذف بالقضية الفلسطينية الى عالم النسيان .

لم تكف الصهيونية بهذا النجاح والتأييد الذي خلقتة لها اعتبارات تاريخية معقدة ، بل جندت كل ترسانتها الاعلامية لاعطاء صورة مشرقة لاسرائيل ولتبرير وتمرير كل ممارسات اسرائيل العدوانية ، فكان الاعلام الفرنسي مرتعا بلا حدود لها حتى عام ١٩٥٣ ، حيث أخذت صحافة الحزب الشيوعي تنتقد للمرة الاولى اسرائيل كقاعدة للامبريالية الامريكية .

لكن صوت الحزب الشيوعي الوحيد والمستحي في الوقت نفسه لم يقلل من سطوة الصهيونية على الاعلام الفرنسي ، فبقيت تسييره وتنمو به بالاتجاه الذي تريد .

ولا شك أن وسائل الاعلام في بلد متقدم كفرنسا تلعب دورا كبيرا وأساسيا في صياغة الفكر السياسي للمواطن ، فهو يرى الامور ويحاكمها من خلال منطلق الاعلام المسيطر ، لذلك فان الفرنسي كان يرى الامور في المشرق الاوسط من خلال منظور صهيوني ، فاسرائيل غدت بالنسبة له كيانا ثابتا ورمزا للحضارة ، وهي لم (تولد) في عام ١٩٤٨ بل استعادت حقها التاريخي فقط الذي سلبه العرب واغتصبوه خلال قرون عديدة . ان الصراع العربي - الاسرائيلي لم يكن يرى الا من منظور واحد فقط هو المنظور الصهيوني .

أضف الى ذلك أن الدعاية العربية التي أرادت أن تواجه الدعاية الصهيونية في وقت ما ، لم تعط الا نتائج سلبية ، فقد كانت عاجزة عن ايجاد الصيغ الملائمة للتخاطب مع الانسان الغربي ، فخاطبته بمنطقها جاهلة أن بنيان الفكر الغربي لا يماثل بنيان الفكر العربي ، وأن رؤية الاول التاريخية للامور تغيّر رؤية الثاني ، بل يمكن القول أن الدعاية العربية في وقت ما ، خاطبت الانسان الاوربي بمنطق الفصاحة والفروسية بدلا من منطق العقل والعلم . ان الدعاية العربية بالنسبة للانسان الاوربي لم تكن الا لاسامية جديدة ، أو فاشستية عربية . أضف الى ذلك أن الصهيونية قامت بترجمة كل الخطب والنصوص الداعية الى « ذبح لليهود والقائهم في البحر » (٤) .

الى جانب كل هذه العوامل التي تجعل الانسان في أوروبا يقف الى جانب اسرائيل ، يجب أن نضيف بعدا آخر ، أن الاوربي بحكم ثقافته وتاريخه السياسي لم يكن يرى الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي الا من خلال معادلة منحازة مسبقا ، فالصراع بالنسبة له لا يتم بين شعبين أو أمتين بل بين قادم من الغرب (اليهودي) وآخر من العالم الثالث (الفلسطيني) . وبالتالي وبسبب ثقافته التي تجثم فيها حتى اليوم مركبات كولونيالية فانه رأى الصراع يتم بين جزء منه (اليهودي) وجزء خارج عنه (وانسان من المستعمرات) . لذلك فان الكثيرين من المدافعين عن

اسرائيل يرون في صراعها امتدادا للغزوة الاوروبية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من أجل نشر « الحضارة الاوروبية » .

ان المحصلة المنطقية لكل هذه الاعتبارات تتمثل في تأييد لاسرائيل ونسيان أو قفز وواع أو غير وواع عن المشكلة الفلسطينية . ان نشاط أجهزة الدعاية الصهيونية وقنواتها المتعددة الاشكال جعلت للصراع الفلسطيني - الاسرائيلي حضورا مستمرا بين اوساط الشعب الفرنسي ، لكن هذا الصراع لم يكن يرى الا من خلال جانب واحد : الجانب الصهيوني . يقول جان وليم لابيير في كتابه « اسرائيل وكبرى الصحف الفرنسية في عام ١٩٥٨ » « ان الشعب الفرنسي يهتم بقضية الصراع في الشرق الاوسط أكثر من بريطانيا والسويد وألمانيا الغربية والنرويج وبلجيكا . . . والرأي العام الفرنسي بمجمله يقف في صالح اسرائيل » (٥) وقد وصل لابيير الى هذه النتيجة بعد أن قام بدراسة دقيقة لـ ١١٧٠٠ جريدة .

ظهور المقاومة الفلسطينية والصحافة الفرنسية

ان تطور حركة نضال الشعب العربي وتنامي التيار الوطني في كثير من البلدان العربية ، وظهور المقاومة الفلسطينية ، قدم معطيات جديدة الى المسرح السياسي في العالم ، فانكسر جدار الصمت الذي اخفى القضية الفلسطينية ، فعادت الى الوجود من جديد ، ولا شك أن العامل المحدد لعودة القضية الفلسطينية كان وما يزال المقاومة الفلسطينية التي لعبت دور طليعة الشعب الفلسطيني والناطق باسمه والباعث والمؤكد لهويته . لم تتلق الصحافة الفرنسية ظهور حركة المقاومة كحركة تحرر وطني ، أو تمرد وثورة ضد ظلم رزح تحته الشعب الفلسطيني طويلا ، بل تلقت ك مجرد خبر ، أو بشكل علمي أدق كأمر تجريبي Empirique ، وتلقي الحدث كأمر تجريبي يعني أخذه كخبر يومي بدون تحديد بعده التاريخي ومضمونه القومي والاجتماعي . اذن منذ البدء حاولت الصحافة الفرنسية (باستثناء صحافة الحزب الشيوعي) اجهاض المضمون التحرري لحركة المقاومة . أمر آخر يجب التأكيد عليه ، هو أن هذه الصحافة رأيت المقاومة ، من جديد ، من خلال نظارات صهيونية ، فكانت تستعمل في وصفها الالفاظ والنوعت الواردة في الصحافة الاسرائيلية . ولناخذ مثلا على ذلك .

ان المسؤولين في اسرائيل كانوا ينعنون الفدائيين باسم المخربين والارهابيين ، فاسحاق رابين صرح في مقابلة له مع أريك رولو « ان سوريا هي الاب الروحي لحركة فتح التي تضم الارهابيين العرب الفلسطينيين . . . وان اسرائيل ستقوم بعمليات انتقامية ضد سوريا ضد عمليات التخريب الآتية منها » (٦) . ان النوعت : ارهابي ، مخرب ، عمليات تخريب ، تبنتها واستعملتها بجزارة الصحافة الفرنسية ، وهي تعني بذلك الحاق الضرر بدولة شرعية من قبل أناس يكسرون القانون المتعارف عليه في العالم ، أي أن ما هو لا شرعي يسيء الى الشرعي . فصحيفة اللوموند تصف عمليات المقاومة كالتالي « وقع حادث تخريبي في قرية كفر - هس قرب تل أبيب ولم تقع ضحايا . ويقول المراقبون أن منظمة فتح هي المسؤولة عن الحادث » (٧) . وفي مكان آخر تستعمل كلمة اعتداء لوصف العمل الفدائي « اعتداء عربي على الحدود الاسرائيلية . . . ويقول المراقبون أن منظمة فتح للتخريبية هي المسؤولة عن هذا الحادث » (٨) . كما تستعمل كلمة ارهابي في مكان آخر « عمليات تخريب قام بهما الارهابيون داخل اسرائيل ، ونتج عن ذلك خسائر هامة » (٩) . وهكذا فان النشاط الفدائي كان يرى كعمل خارج على القانون ، والمتطابق هنا ظاهر بين المنطق

الاسرائيلي ومنطق الصحافة الفرنسية ، لذلك فإن المناضل الفلسطيني كان يقدم للعيان كإرهابي فقط . فقد قدمت اللوموند محمود حجازي تحت العنوان التالي : « محمود حجازي المتهم بالإرهاب يشكو من عدم كفاءة المحكمة الاسرائيلية . وهو عضو في المنظمة الارهابية العربية فتح » (١٠) . وعلى الرغم من الحكم الجائر الذي وقع على المناضل حجازي فإن صحيفة اللوموند عادت فوصفته من جديد بالإرهابي « تخفيف الحكم الصادر بحق الإرهابي الاردني حجازي وانزاله من عقوبة الاعدام الى السجن مدة ثلاثين عاما » (١١) .

ان كل الصحافة الفرنسية (ما عدا الاومانيتيه وشهادات مسيحية) أعطت صورة سلبية للمقاتل الفلسطيني ، وهي عند تقديمها هذه الصورة لم تكن تشير الى ظروف حياته ولا الى حقوقه القومية . فهو بالنسبة لها مجرد معتد « يجتاز الحدود للتخريب » ويلقي « متفجرات فوق البيوت والمزارع الهادئة » ويعرض « حياة السكان الى الخطر » . أي أن كل الممارسات الثورية للمقاتل الفلسطيني ليست الا انتهاكا لحرمة دولة ذات كيان ومعتترف بها . هذا الوصف للفدائي الفلسطيني كان منتشرا في « فرانس سوار ، الفيجارو ، الأورور ، لا ديبش ، سود ويست ، ... »

لكن هذا التقديم السلبي للعمل الفلسطيني في الصحافة الفرنسية ، كان يتضمن بشكل لا مباشر أمورا ايجابية ، فهو اشارة لتفجير وضع ، أو علامة لشيء ما يحتاج الى توضيح ومعرفة ، أي أنه بشكل عام مثير للفضول . ذلك أن القارئ الفرنسي المحاصر والغارق في الدعاية الصهيونية بدأ يطرح أسئلة جديدة ، ويرى وجها جديدا للقضية الفلسطينية ، وكان عليه بالتالي أن يفتش ويتلمس صورة الفلسطيني الحقيقية عبر الغيوم والدخان الذي تثيره الأقلام الصهيونية .

وقد تجلت الظواهر الايجابية - والتي مرت بشكل لا مباشر ولا واع - من خلال شكلين :

الشكل الاول : أن القضية الفلسطينية حاضرة وذات حركة ، وأنها ليست مجرد « مشكلة لاجئين يمكن حلها بالاحسان الدولي » ، والفلسطيني يطالب بأرضه ، ويشير بأصابع الاتهام الى مغتصبي هذه الأرض ويشرع في وجههم البنقيية . والفلسطينيون ليسوا كيانا بشريا سلبيا وخاما وصامتا في خيامه ، بل هم يقومون بعمل عسكري .

وهذا نتج عن الاخبار المتواترة عن أعمال « التخريب » التي يقوم بها « الارهابيون » الفلسطينيون ، وعن ردود الافعال العسكرية التي تقوم بها اسرائيل ضد الفدائيين وضد الدول التي ينطلق منها العمل الفدائي : « غارة اسرائيلية على الاردن للرد على أعمال التخريب التي قامت بها العاصفة » (١٢) « الاسرائيليون يلاحقون القائمين بأعمال التخريب » فتح « ويشركون في ذلك عددا من طائرات الهيلوكبتر » (١٣) .

ضمن اطار هذه الصورة المتمحورة حول تخريب - ردود أفعال انتقامية بدأت صورة الشعب الفلسطيني تفرض نفسها شيئا فشيئا .

الشكل الثاني : ان عودة صورة الفلسطيني الى العيان تعود بشكل أساسي الى ظهور المقاومة ، التي أخذت تجذب الانظار الى معنى كيان اسرائيل ودلالاته ، والى معنى نضال الشعب الفلسطيني . لهذا فإن ظهور حركة المقاومة كان منسجما وداقعا لحركة الشعب الفلسطيني نفسه من ناحية وللعناصر الاجنبية والعربية المتعاطفة معه من ناحية اخرى . لذلك واكب ظهور المقاومة وتناميها صعودا للعمل الاعلامي المدافع عن فلسطين . وكان هذا وجها آخر للنضال الفلسطيني فرض نفسه

على الصحافة الفرنسية ، أو جزءا منها على الأقل . إذن فصورة الفلسطيني ظهرت بشكل آخر ، فهو ليس ارهابيا ولكنه مدافع عن قضية عادلة . فصحيفة اللوموند نشرت في ١٧ آب ١٩٦٦ رسالة موجهة من مارسيل مانفيل ومكسيم رودنسون ، كلود غاليمان ، ومنظمة طلبة مسلمي شمال افريقيا ، جاء فيها : « منذ عشرين عاما ، ودعاية وحيدة الجانب في أوروبا تخفي الوجه الحقيقي للمشكلة المطروحة . ان احدى عشرة منظمة طلابية عربية و افريقية عقدت اجتماعا في اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني في ٢٥ أيار ١٩٦٦ برئاسة مارسيل مانفيل . ان اهتمام المجتمعين يدور حول فتح حوار ديمقراطي ومنتج مع المنظمات المقتنعة بعدالة القضية الفلسطينية والمطالب العادلة للشعب الفلسطيني » (١٤) .

اذن فالقضية الفلسطينية لم تعد تقدم فقط بشكل سلبي ، بل أصبحت تقدم « كحركة شعب ضد واقع كولونيالي » (١٥) . وقد قام طلاب الغرب بدور بارز في هذا الاتجاه (١٦) . ان تقديم صورة كهذه في الصحافة الفرنسية أمر في منتهى الأهمية ، حيث أن هذه الصورة تقدم صورة شعب له شخصية قومية ويخوض نضالا ضد واقع كولونيالي .

ان الصحافة الفرنسية وحتى عام ١٩٦٨ كانت ترى الفلسطيني من خلال ثلاثة مقولات : اللاجيء والعربي والارهابي . واذا كانت مقولة الارهابي تناط فقط بالعمل الفدائي ، فان المقولتين الثابنتين كانتا مثقلتين بدلالات اجتماعية وسياسية . والكلمات ليست دائما حيادية ، وهنا فان هاتين الكلمتين : لاجيء وعربي تأخذان موقفا واضحا تجاه نضال الشعب الفلسطيني وقضيته .

ان كلمة لاجيء تعني نزع الفلسطيني عن أرضه ، وتركه كذات بدون تحديد حقوقي ، فهو انسان مغترب ليس له لا أوصر جغرافية ولا حقوقية ، وانما انسان ضائع مباح ، أي انسان أقل قيمة من الاخرين . ان الترجمة السياسية لهذا تعني ان مشكلة الفلسطينيين هاشمية ، مشكلة لا قيمة لها ، يمكن حلها عن طريق مساعدة الامم المتحدة والدول الخيرة (١٧) .

لذلك فان الصحافة الفرنسية كانت تطرح الامر دائما كمشكلة لاجئين ولاجئين فقط « اللاجئون العرب الفلسطينيون » (١٨) . ان هذا يعني أن المشكلة الفلسطينية سهلة ولا يحتاج حلها الى جهد كبير ، وبالتالي فهي ليست قيمة بالضجة التي يثيرها العرب حولها . وهذا المنطق الحياضي ظاهريا يشكل امتدادا أمينيا للدعاية الصهيونية . فروبرت مزراحي يرى « مشكلة اللاجئين الفلسطينيين والاقلية العربية في اسرائيل مشكلة صغيرة تجريبية » (١٩) . وهذا يعني أنه من اللامنطق « تعكير صفو اسرائيل من أجل مشكلة لا شأن لها » .

المقولة الاخرى التي تستعملها الصحافة الفرنسية هي **العربي** ، أو عرب فلسطين « قام ارهابيون عرب من فتح بوضع عبوات ناسفة في مدينة مارغاليوت القريبة من الحدود اللبنانية ، وأدى ذلك الى خسائر هامة » (٢٠) . والفجارو تجعل من ذلك عبارة نمطية لها « أعمال العرب التخريبية المستمرة على حدود اسرائيل تهدد السلام في الشرق الاوسط » (٢١) . ان استعمال كلمة عربي وليس كلمة شعب فلسطين تعني انكار المميزات الخاصة بالشعب الفلسطيني وانكار حقوقه القومية ، فغولدا مئير تقول « ليس هناك فلسطينيون هناك عرب بشكل عام وللفلسطينيين مكان بينهم » .

الفدائي والصحافة الفرنسية

بعد هزيمة حزيران وتصاعد العمل الفدائي ، احتل النضال الفلسطيني مكانا بارزا في الصحافة الفرنسية ، وأصبحت كلمة فدائي نظيرا للنضال الفلسطيني ،

وعلى الرغم من أن الصحافة اليمينية لم تكف إطلاقاً عن تقديم الفلسطيني كإرهابي ، فإن الصدى الكبير الذي خلقه النشاط الفدائي الفلسطيني ، جعل كلمة فدائي تفرض نفسها حتى على الصحف الموالية للصهيونية . ومعنى ذلك أن الشعب الفلسطيني بدأ ككيان متميز يدافع عن قضية محددة وله مسار نضالي واضح المعالم ، لذلك وجدنا أن بعض الصحف أخذت تتكلم عن واقع الشعب الفلسطيني ، وطموحات هذا الشعب ، وتمرده على شروط حياته البائسة ، أي أن الضوء ألقى بشكل كامل على حدود المشكلة الفلسطينية ومضمونها . وقد ظهر هذا من خلال الشكل الذي أصبحت تطرح فيه القضية . فالفدائي محرك أساسي في منطقة الشرق الأوسط « إسرائيل تطلب من لبنان ألا تجعل من أرضها قاعدة للعمل الفدائي » (٢٢) و « المقاومة الفلسطينية تزيد من عملياتها في المناطق المحتلة » (٢٣) . ضمن هذه الشروط وجدنا أن كلمة إرهابي توارت من قاموس الصحافة الفرنسية وحل مكانها : فدائي ، المقاومة الفلسطينية ، مناضلو المقاومة الفلسطينية (٢٤) .

وقد واكب الحضور الحار للنضال الفلسطيني في الصحافة الفرنسية ، تغير كفي وكيمي في طرح القضية الفلسطينية ، فأضحت محورا لحوار ونقاش مستمرين . وهذا يعني أنه أصبح ينظر للمقاومة كقوة سياسية وعسكرية مؤثرة في منحى الصراع في الشرق الأوسط ، بل أخذ البعض ينظر إليها كمهدد حقيقي لسلامة إسرائيل . لم تكن غزارة الحوار بالضرورة لصالح القضية الفلسطينية فقط ، فالأقلام الصهيونية سعرت نشاطها لتظهر أن أهداف المقاومة الفلسطينية خيالية وغير قابلة للتحقيق وهي تهدف في نهاية الأمر إلى تدمير إسرائيل ، أي أن غزارة الحوار مثلت حملة أيديولوجية هدفها لجم الدعاية الموالية للعرب والإساءة إلى جوهر العمل الفدائي . لا شك أنه في حومة هذا الحوار كان هناك مكان موال للنضال الفلسطيني ، فبالإضافة إلى مواقف رودنسون الشجاعة يوجد جاك بيرك وجان جنيه وجان بيير فيجيه ، فيليب سولرز ان موقف هذا الطرف يرى في إسرائيل كيانا كولونياليا ، وأن السلام لا يمكن تحقيقه في الشرق الأوسط طالما لم يعد الفلسطينيون إلى بلادهم ، أو طالما يبقون بلا وطن ولا دولة ، وأن اليأس الذي يعيشه الفلسطينيون يشكل أساسا موضوعيا لكل ممارساتهم حتى المستهجنة منها . وقد عبر عن كل هذا بوضوح ودقة جاك ميرسيه (٢٥) .

أما الأطروحات المدافعة عن إسرائيل فقد ارتكزت على مجموعة حجج ذهنية أو غيبية ، وفي كلتا الحالتين يبدو وجه العنصرية فيها بوضوح . لأن رافن يرى التطرف قائما في العسكريين ، فالمتطرفون الإسرائيليون أنصار إسرائيل الكبرى لا يختلفون عن قادة المقاومة الفلسطينية فكلاهما يرفض أي حل وسطي أو حل قائم على التفاوض المباشر (٢٦) .

أما ناتالي ساروت الكاتبة المعروفة فنقول « ان إسرائيل لم تساعد اللاجئين الفلسطينيين ، وهذا مؤسف ، لكن هؤلاء خرجوا من بلادهم بسبب الخوف وبأمر من زعمائهم . ان إسرائيل دولة ديمقراطية اذا ما قيست بالحكومات العربية المحيطة بها ، بل أنها بلد اشتراكي ، للطبقة العاملة فيه دور في منتهى الأهمية . ان إسرائيل بذلك حققت أحلام فورييه . ان منظمة فتح التي تدعي بأنها تمثل الفلسطينيين ، والدعمومة من قبل ملوك البترول تبغي وتهدف فقط إلى قتل اليهود وتقتيل العرب واليهود معا » (٢٧) .

ومونا القايم تعتقد أن « خطأ فتح يكمن في انها تريد ارجاع إسرائيل الى أقلية

دينية في دولة ديمقراطية . مع أنه من الواجب أن يتم اعتراف متبادل بين الطرفين » (٢٨) .

أما أندريه فونتين ، أحد محرري صحيفة اللوموند ، فهو يغرق محاكمته في بحر من « الانسانية » ، « فموقف فرنسا من اسرائيل يمهد الى أوشفيتس جديدة ، ذلك أن اليهود ، وبسبب اضطهادهم في التاريخ ، أصبحوا لا يثقون بأحد ، كما أن ما يطالبون به في سياستهم الراهنة إنما هو نتيجة لسوء ظن مشروع وضروري » (٢٩) إذن فالتوسع والعدوان الاسرائيلي امران مشروعان في رأي فونتين ، إذ أن هذا العدوان يعود فقط الى سوء الظن الذي يزامن اليهودي بسبب تجربته التاريخية . ان الماضي اليهودي يشفع دائما للحاضر .

ان كل هذا الحوار بشكليته المتناقضين انما عبر عن حقيقة واحدة ، هو تحول المقاومة الفلسطينية الى حركة متصاعدة توصل صوتها الى كل أركان العالم . فاللاجئ الذي كان كيانا خاما بلا حراك تحول الى فدائي مقاتل يسمع صوته من كل المنابر الثورية في العالم . « فالمقاومة المناهضة لاسرائيل ستخلق حربا لا نهاية لها بين الفلسطينيين واسرائيل » (٣٠) و « ندوة اليسار الايطالي تستقبل وقد فتح بحفاوة كبيرة ، حيث طرح مندوب فتح شعار منظمته من أجل دولة ديمقراطية » (٣١) « وموسكو ستستقبل عرفات كرئيس دولة » (٣٢) .

وهكذا اختفت صورة الارهابي لتحل محلها صورة ايجابية ، الا أن هذا التغيير في منطق الصحافة لم يكن نتيجة لقناعة ، بل فرض نفسه فرضا ، أي أصبح لها ظاهرة لا مفر منها .

من النزعة الانسانية الى عنصرية بلا قناع

أخذت حوادث الاردن في ايلول طابعا مميزا ، فمقابل المجازر الدموية والتقتيل الذي لحق بالفلسطينيين ، وقفت معظم الصحافة الفرنسية موقفا انسانيا ، أي أنها لم تنظر الى الامر من ناحيته السياسية بل من ناحية انسانية أخلاقية . وقد وقفت صحيفة الاومانيتيه الناطقة باسم الحزب الشيوعي الى جانب الشعب الفلسطيني ، فتكلمت عن الاسس التاريخية للمأساة الفلسطينية ، كما وصفت جيش الاردن بـ « القطعان الوحشية » ، واثنت على الدور الطبيعي الذي يمثله تضال الشعب الفلسطيني « ضد حكم اقطاعي ملكي » (٣٣) . ولم تر صحيفة الاومانيتيه في هذا النزاع الدموي نزاعا بين أخوة وأشقاء ، وانما بين الثورة والثورة المضادة . كما حاولت صحيفة اللوموند أن تقوم بتغطية موضوعية للحدث ، بل أن المنطق الداخلي لكثير من المقالات والافتتاحيات كان يقف الى جانب الشعب الفلسطيني : « الفدائيون يقاومون ببسالة في العاصمة » (٣٤) « أن الحوادث الجارية لا ينظر اليها كمشكلة انسانية - مشكلة لاجئين - بل هي مشكلة سياسية ، وكل حل للنزاع في الشرق الاوسط لا ينظر اليها بعين الاعتبار سيكون خاطئا » (٣٥) كما أفسحت اللوموند صفحات طويلة للتحدث عن الطرق الوحشية التي تميز بها الجيش الاردني في ضربه للفلسطينيين (٣٦) .

أما الصحافة الصهيونية السافرة فقد كانت تشير الى الاسباب التي أدت الى هذا النزاع الدموي ، بل حاولت أن تجعل من قضية خطف الطائرات السبب الاساسي في هذا النزاع (٣٧) . أما الصورة التي أعطيت فتدور حول « الفرق الحضاري بين ملك الاردن والمقاومة الفلسطينية » . فخطف الطائرات وترك ركابها يعانون من الحر والبرد يشكل « انتهاكا للحضارة » . لذلك فان ضرب الشعب الفلسطيني في الاردن أمر مبرر لان باطنه يتضمن الدفاع عن الحضارة .

وقضية خطف الطائرات هذه لاقت استنكارا من قبل كل الصحف الفرنسية . فلم تر في القائمين بالعمل الا « متطرفين لا مسؤولين » (٢٨) واساءة لاناس أبرياء لا علاقة لهم بساحة الصراع . أما ميشيل تانو فرأى فيه « عملا كريها لا انساني ، وان مقارنته بالعمل الثوري في فيتنام أو أمريكا اللاتينية ليس الا ديماغوجيا . وان مثل هذا العمل يظهر أن المقاومة لا تعرف ماذا تريد » (٢٩) .

أضف الى ذلك أن هذه الممارسات أظهرت المقاومة كحركة لا متجانسة ، وأنها لا تتمتع بأي وحدة حقيقية ، وأظهرت أن القيادة عاجزة عن ضبط كل ممارسات فصائل المقاومة (٤٠) . وقد رأيت الصحافة الصهيونية في عدم التجانس هذا وسيلة جديدة يمكن استعمالها ضد القضية الفلسطينية . فعمدت الى أطروحة ليس هناك مقاومة بل مقاومات ، وبين هذه المقاومات لا يوجد أي فرق جوهري فكلها تجعل من الارهاب عمودا فقريا لعملها .

على الرغم من المسار الصعب الذي سلكته المقاومة بعد حوادث أيلول ١٩٧٠ ، فان أثرها السياسي بقي قائما في الصحافة الفرنسية . الا أن ذلك التواجد أقل بكثير من سنة ١٩٦٩ و ١٩٧٠ حيث بلغ مد المقاومة أوجه . وبقيت المقاومة تمثل حركة طليعية ينبغي الدفاع عنها . وقد تجلى ذلك في بيان وجهه أكثر من ثمانين شخصية من المثقفين الفرنسيين ضد المحاولات التي تقوم بها الحكومة الاردنية لتصفية حركة المقاومة أثناء أحداث أوائل كانون الثاني ، وقد اتهموا في بيانهم « الامبريالية الامريكية والرجعية العربية وحكام اسرائيل المتطرفين » بأنهم وراء المؤامرة . وكان من بين الذين وقعوا هذا النداء عدد من الشخصيات الثقافية والفنية (٤١) .

وقد وقفت العناصر الديمقراطية الى جانب المقاومة الفلسطينية في أعنى فتراتها ، ومن خلال عملها كانت تلقي ضوءا مستمرا على القضية الفلسطينية سرعان ما ينعكس على الصحافة ، ومثال هذا النداء الذي نشرته لوموند . وهذا النداء الموقع من قبل طائفة من المثقفين ، يتضمن تسعة اقتراحات لحل سياسي للأزمة ، أهمها أن اعتراف اسرائيل بحتمية وجود أمة فلسطينية ، هو ادنى شرط مسبق ، كي يتمكن الفلسطينيون بدورهم من الاعتراف بأمة اسرائيلية (٤٢) .

بدأت المقاومة الفلسطينية في عامي ١٩٧٢ - ١٩٧٣ متعبه ، متخذة بالجروح ، لذلك فان صدى المقاومة الفلسطينية بدأ باهتا . الا أن القضية الفلسطينية عادت فطرحت بشكل جديد من خلال عمليات اللد وميونخ وعمليات خطف الطائرات . ومما لا مراء فيه أن الصحافة الصهيونية أطلقت كل ما في جعبتها لترجع قضية الشعب الفلسطيني الى قضية « قتلة وسفاحين » . وأرادت من وراء ذلك نفس وتشويه سجل المكتسبات الايجابية التي حققتها المقاومة الفلسطينية في فرنسا بشكل خاص والعالم الاوربي بشكل عام .

فعملية اللد قدمت ضمن اطار مهول يعتمد على قطبين البراءة والوحشية ، وقد قدمت المقاومة الفلسطينية هنا « كعصابة ارهاب دولية » (٤٣) وقد أدانت العمل صحيفة الاومانيتها ، ورأت فيه صحيفة لوموند (عنفا أعمى) (٤٤) . واذا كانت الصحف الموالية للصهيونية ترسم العمل كنتيجة لبنيان نفسي متوحش قافزة فوق القضية الفلسطينية ، فان صحيفة الاومانيتها ركزت على عدالة القضية الفلسطينية على الرغم من ادانتها « لكل أعمال العنف مهما كان مصدرها » (٤٥) .

الا أن الحقد العنيف ضد الشعب الفلسطيني لم يأخذ أبعاده اللامتناهية الا

بعد عملية ميونيخ ، حيث لم تقدم الصحف صورة اعلامية عن الخبر ، بل حملة هستيرية عنصرية محرّضة .

وعلى الرغم من المناخ المهول الذي خلقته أجهزة الاعلام الصهيونية ، فقد ارتفعت بعض الاصوات لتدافع عن قضية الشعب الفلسطيني . فكتب النائب الديغولي لويس تيرنوار في صحيفة لوموند مقالة بعنوان « الياس لطرف والعار لطرف آخر » جاء فيها « ان هذه العملية جاءت نتيجة سلوك الحكومة الاسرائيلية واعطائها تعليمات ماكرة للبوليس الالمانى ، لذلك فان من يجب أن يحاكم هنا هي غولدا مدير » (٤٦) وقد استعملت الصحافة كل النعوت الممكنة في وصف الحدث . فهو « مجزرة » (٤٧) و « وحشية مطلقة » (٤٨) و « كابوس وجريمة مرعبة » (٤٩) و « بربرية دموية » .

وقد اعتمدت الصحف الصهيونية (فرنس سوار ، الفيجارو ، الأورور) في حملتها هذه على ثلاث مقولات . أولا أن هذا العمل « الوحشي » قد كسر هدوءاً ونظاماً مسيطرين ، أي أنه اعتداء على تقاليد المجتمع الاوربي . ثانيا : ان هذه العملية قد حطمت مناسبة انسانية للتنافس القائم على المحبة والتواصل الانسانيين . وثالثا : ان هذا العمل هو تعبير عن بنية نفسية متوحشة . وبالتالي فان القائمين بالعمل يجب نفيهم من المجتمع الانساني (٥٠) .

ان المنطق النمطي للصحافة الفرنسية ظهر بوضوح ابان اغتيال المناضل محمود الهمشري ، ذلك أن الموقف الذي اتخذته كل صحيفة يعبر بشكل كامل عن موقفها النمطي ، أي عن جوهر منطقتها ، اننا نستطيع أن نلم ونستقرئ منطوق كل صحيفة انطلاقاً من موقفها ازاء حادث محدد ، ففرائس سوار ترى في الحادث انفجاراً حصل نتيجة اللعب أو صنع مواد متفجرة ، وأن التحقيق لم يثبت وجود عملية اغتيال (٥١) . أما صحيفة الأورور فقالت : من المحتمل أن يكون الحادث تسبب عن اقتناء الضحية مواد متفجرة في منزله (٥٢) . الصحيفة الوحيدة التي أشارت مباشرة بأصابع الاتهام الى الصهيونية هي الأومانيته (٥٣) .

ان الصحافة الصهيونية لم تكثف بتزوير الحقائق وتشويه صورة الحقيقة ، بل انتقلت لتصبح أداة لتغطية جريمة مكشوفة .

الفلسطينيون في الامم المتحدة

مع بداية ١٩٧٤ ، أخذت المقاومة الفلسطينية صورة شبه جديدة في الصحافة الفرنسية ، فالمقاومة أعلنت أكثر من مرة شجبها لعمليات خطف الطائرات ولكل العمليات ذات الطابع الفردي البعيد عن استراتيجية الثورة . وبدت كحركة تستعمل كل السبل الممكنة ، العسكرية والسياسية منها من أجل استرجاع حقوقها التاريخية (٥٤) وأنها تعتبر الاسرائيليين ككل أعداء لها بل هي مستعدة أن تناضل بشكل مشترك مع العناصر المناهضة للصهيونية والهادفة الى دولة ديمقراطية (٥٥) . وأصبحت بعض الصحف تتكلم عن الواقعية الجديدة في المقاومة ، والتي تعني أن المقاومة أو بعض فصائلها يقبل اقامة دولة على جزء من فلسطين (٥٦) . واعتبرت هذا الامر تقدماً كبيراً في موقف المقاومة وقدرة على فهم طبيعة الظروف والشروط السياسية والقدرة على الاستفادة منها .

ولا شك أن حرب رمضان وما تآتى عنها خلق بدوره مجالا سياسيا جديدا ، في هذا المجال كانت صورة المقاومة متواجدة بأشكال عدة . فقد قدمت أحيانا كقوة

عسكرية هامشية بالنسبة الى الجيوش العربية الاخرى ، وأن دورها في الحرب كان ضئيلا ، وهذا يعني أن طبيعتها التاريخية قد توارت بعيدا ، وأنها لم تعد الحركة الشعبية القادرة على أن تستقطب الجماهير حولها(٥٧) ذلك أن حرب أيلول في الاردن جعلتها مهيضة الجناح . وهذه الصورة السلبية الجديدة جعلت من المقاومة طرفا سلبيا في النزاع ، أي طرفا محمدا وليس محمدا ، لذلك فإن التحليل السياسي لمؤتمر جنيف وأمكانية اقامة سلام في الشرق الاوسط ، كان يظهر المقاومة كحركة مقادة سياسة وليست سيادة أمرها (٥٨) وهذا التحليل كان أحيانا يسير من أبعد ذلك فهو يتكلم عن مقاومة مروضة .

الا أن النشاط الدبلوماسي الكثيف للمقاومة الفلسطينية عاد فأعطاها صورة أكثر حيوية وديناميكية . وقد ظهر هذا خلال ثلاث مناسبات هي : لقاء عرفات وسوفنبارج ، ثم مؤتمر القمة في الزباط ، وأخيرا دخول القضية الفلسطينية الى الامم المتحدة .

فقد اعتبرت بعض الصحف أن مقابلة الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لوزير خارجية فرنسا سوفنبارج يعني اعترافا واقعيا de facto بالمقاومة الفلسطينية(٥٩) ، وأنه يسيء الى مشاعر اليهود في فرنسا ، وأن في ذلك مباركة سياسية لمنظمات ارهايية ، وذلك بغية استجداء البترول العربي . مهما يكن من أمر فإن هذه المقابلة شكلت نصرا سياسيا هاما للمقاومة الفلسطينية(٦٠) . حيث أن اسرائيل بدت أكثر عزلة من اي وقت مضى . وبدت المقاومة الفلسطينية كحركة تنتقد يوما بعد يوم وتتنزع دعم وتأييد الكثير من القوى في العالم وبذلك أصبحت « منظمة التحرير متوجة »(٦١) أي كيانا معترفا به . ثم جاء مؤتمر الرباط « نيكرس حق الفلسطينيين في اقامة سلطة وطنية مستقلة »(٦٢) . وبدا عند ذلك « أن القادة الاسرائيليين سيكونون مجبرين عاجلا أم أجلا على الاعتراف بالواقع القومي الفلسطيني » (٦٣) .

كان لطرح القضية الفلسطينية في الامم المتحدة ، ووصول عرفات الى نيويورك صدى خاصا ، حيث أن الامر لم يكن عاديا ، والمسار الطويل التي قطعتها المقاومة كان يدعو للتأمل ، لذلك فإن الصحف الفرنسية ألقّت الضوء على اعتبارات ثلاثة :

الاعتبار الاول : هو النجاح التاريخي الذي حققه الشعب الفلسطيني . فمن بؤس المخيم الى الثورة ، ثم الحصار والدخول من جديد الى الامم المتحدة ليعيد طرح قصيته من جديد في ظل ظروف جديدة(٦٤) . والتقدير هذا للنجاح الفلسطيني جعل بعض المعلقين السياسيين يذهب الى تبرير « عمليات الارهاب » معتبرا أنها كانت انعكاسا موضوعيا للبؤس واليأس اللذين عاشهما الشعب الفلسطيني (٦٥) .

الاعتبار الثاني : هو شخصية ياسر عرفات ، كرجل سياسي ناجح ، استطاع أن يدفع بقضيته الى الامام ، واستطاع أن يفرض نفسه على العالم وعلى حركة المقاومة ، وأنه سلك كل الطرق الصعبة منها والسهلة ليوصل صوت شعبه الى العالم (٦٦) .

الاعتبار الثالث : هو عودة حادة للاطروحات الصهيونية التي كانت سائدة قبل حرب حزيران ، والتي ترى في أي عمل عربي تهديدا خطيرا ضد اسرائيل . فبدأ الكلام عن « مجزرة جديدة لليهود »(٦٧) . وأن الامم المتحدة بقبولها ياسر عرفات تفتح المجال أمام « الارهابيين » والارهاب ، بل أنها تبارك وتعطي صفة حقوقية شرعية للارهاب .(٦٨) وأن هذا الوضع سيدفع باسرائيل لاتخاذ كل الوسائل الممكنة

للدفاع عن وجودها ، وربما دفعتها عزلتها الراهنة وظلم العالم لها الى أعمال خطيرة (٦٩) .

تتابع القضية الفلسطينية فرض نفسها بسبب نشاط المقاومة من ناحية ، وبسبب الاهمية العالمية لمنطقة الشرق الاوسط التي يدور فيها النزاع من ناحية ثانية ، والصفة الشرعية التي انتزعتها المقاومة بعد صراع طويل . لذلك فان المشكلة الفلسطينية تفرض نفسها الان أكثر من أي وقت مضى ، وهي لا تطرح كمشكلة لاجئين ، بل كمشكلة ذات هدف محدد ، هو اقامة السلطة الوطنية في المناطق المحررة ، كما أن زعامة المقاومة هي زعامة سياسية معترف بها عالميا (٧٠) وليست كتائب اراهاب .

ضمن كل هذا المسار الطويل من اللجوء الى الامم المتحدة ، فان القضية الفلسطينية كانت تفرض نفسها بنفسها . وقد استطاعت أن تظهر واقعية وحكمة ألجمت الدعاية الصهيونية ، أي أنها ألقت بالاعلام الصهيوني في أزمة . فالمقاومة لم تعد ترى كحركة اريابية بل حركة انسانية ديمقراطية ، وبذلك سحبت البساط من تحت أرجل الصحافة الصهيونية ، لذلك فان صحف أقصى اليمين وقفت متعثرة عاجزة لا تعرف ماذا تقول عند دخول الوفد الفلسطيني الى الامم المتحدة (٧١) بل يمكن أن نقول أن ميزان القوى السابق على المستوى الاعلامي لم يعد ممكنا ، ذلك أن التفوق الاعلامي الصهيوني بنى تغلغله ونفوذه بسبب غياب الشخصية الفلسطينية ، أما الان فان حضور الشخصية الفلسطينية يرد الاعلام الصهيوني الى أصله ، أي يتركه بلا قناع ، ليبدو مجرد جهاز عملاق هدقه سحق الحقيقة . بل حتى سحق الحقيقة هذا لم يعد ممكنا بسبب نمو وظهور الوجه الانساني والديمقراطي للمقاومة الفلسطينية . ان الاعلام الصهيوني في مآزق الان ، وهو يبحث عن صيغ ومقولات جديدة .

ملاحظات حول الصحافة الفرنسية

ان الصحف الفرنسية لا تشكل تعبيراً عن الرأي العام الفرنسي ، أي ليست انعكاساً له ، بل دورها ووظيفتها هو العكس ، أي خلق جمهور يقول بأفكارها ومنطقاتها ، أي وسيلة بث ودعوة لافكار معينة . أو يمكن أن نقول بشكل أدق ، أن كل صحيفة هي أداة أيديولوجية هدفها إعادة صياغة المفاهيم المنتشرة وزرع ونشر مفاهيم جديدة . كانت الصهيونية واعية دائماً للدور الفعال الذي يمكن أن يلعبه الاعلام في خدمة أهدافها السياسية ، لذلك فقد عملت لخلق جهاز كثيف متواجد في كل مكان . فكل صحف الاقاليم في فرنسا صحف صهيونية ، بل أن رئيس تحرير جريدة (لاديبش) في تولوز عضو في الجمعية الفرنسية - اليهودية ، ورئيس تحرير جريدة (سود ويست) في بوردو صهيوني عريق ، ولا يختلف الامر عنه في مدن أخرى .

ومن الصحف الخمس الرئيسية في باريس (لوموند ، الفيجارو ، فرانس سوار ، الأورور ، الأومانيته) تمتلك الصهيونية ثلاثة منها بشكل مطلق ، حيث أن الثلاثي (الفيجارو ، فرانس سوار ، الأورور) يبدو كصحف صهيونية فقط ، أي أن موقفه السياسي من الحكومة الفرنسية والتنظيمات السياسية يحكمه فقط موقفها من اسرائيل والحركة الصهيونية . ان هذا الثلاثي مع الصحف الصهيونية الأخرى يمثل النطاق الرسمي باسم المصالح الاسرائيلية في فرنسا .

والان سنتعرض بإيجاز الى ماهية الصحف الخمس الشهيرة ، كما سنطعي لمحة عن مجلتين تلعبان دوراً كبيراً على المستوى الاعلامي هما : نوفيل اوبزفاتور والاكسبرس .

لوموند : صحيفة المثقفين والقطاعات المتنورة بشكل عام ، يصل توزيعها الى نصف مليون نسخة يوميا ، وتتميز بأمرين أنها تحاول أن تعطي دراسة موضوعية وشاملة عن الموضوع ، كما تطرح كل الآراء الممكنة حول القضية المدروسة ، فتعرض الرأي وتفسح المجال لذكر نقيضه . بالنسبة للقضية الفلسطينية لم يكن موقفها مطابقا لهذا بالضبط . ففي البداية كانت تعطي وجهة النظر الصهيونية فقط ، لكن نمو المقاومة جعلها تأخذ مواقف أكثر موضوعية . وعلى الرغم من ادانتها المستمرة للعمليات الخارجية فإنها لم تتخل تماما عن موضوعيتها . وهي بشكل عام تمثل التيار الليبرالي ، أقرب الى اليسار منها الى اليمين . ويعود لها الفضل الأكبر في الاعلام عن القضية الفلسطينية ، فهي انطلقا من حرصها على دراسة شمولية وتغطية كل ما يجب ، كانت تترك مكانا لكل ما يتعلق بالعمل والنضال والاعلام الفلسطيني . ويجب أن نركز هنا على أمرين أولهما أن فسح المجال للآراء المدافعة عن الموقف الفلسطيني لم يكن موازيا ذلك المعطى للطرف الصهيوني ، فمقابل كل مقالة تلتزم بالطرف الفلسطيني كان هناك مقالتان تلتزمان بالطرف الاسرائيلي ، (٧٢)(٧٣) الامر الآخر أن صحيفة لوموند تضمنت مئات الدراسات الوثائقية عن وضع الشعب الفلسطيني ومسار حركته الثورية . فمنذ بداية عام ١٩٦٦ وجدنا فيها وصفا هاما وإيجابيا للواقع الفلسطيني « اللاجئون العرب الفلسطينيون يخلقون وعيا تيسا ومرارة للعالم ، حيث أن شعبا بأكمله يعيش في المنفى وفي ظروف لاإنسانية ، ويعتمدون في عيشهم على احسان وهبات الامم المتحدة ، وهم لا يظهرون أية علامة تكامل واندماج مع المجتمعات المضيفة لهم ، وما زالوا يظهرون حنينا وأرتباطا ببلادهم ، وينظرون بشغف الى اليوم الذي يرجعون فيه الى بلادهم » (٧٤) . كما أشارت الى وضع الفلسطينيين في الاردن والامكانية الثورية التي يتميزون بها « الحق يزداد بين الفلسطينيين في الاردن بعد الغارات الاسرائيلية في ١٣ تشرين الثاني . وكل فلسطيني يقول « كل منا مقاتل ، وسوف نقاتل هذه المرة فعلا ، فحماسنا ليس كلمات فقط بل سيتحول الى فعل مشخص » . والشعب الفلسطيني يظهر حماسا منقطع النظير للعمل الفدائي . والفدائي الذي يستشهد يقابل بكل آيات الحفاوة والتبجيل » (٧٥) . وقد تحدثت الصحيفة نفسها عن دلالة المقاومة الفلسطينية عند العرب خاصة بعد هزيمة حزيران ، فهي تمثل « شرف الانسان العربي وقدرته على المجابهة والمصمود ، وهي لا تقاوم فقط من أجل فلسطين وانما من أجل كرامة الامة العربية قاطبة ، لذلك فان دعمها واجب وطني ، وعدم دعمها خيانة وطنية » (٧٦)(٧٧) .

ان افراد الصفحات الطويلة لهذا الشأن له دلالة ايجابية على المستوى الاعلامي ، فهو يظهر الظروف التي دفعت الفلسطينيين الى القتال ، ويظهر المقاومة كحركة شعبية وليست حركة سزولة منبوذة من قبل الجماهير . لا شك أن هذه المقالات كان يغلب عليها الطابع الاخلاقي المتوج بمسحة انسانية ، ولم تكن دائما مقالات ذات مضمون سياسي محدد . مع ذلك ، فان صحيفة لوموند شكلت بشكل أو بآخر منبرا يمكن التكلم فيه عن القضية الفلسطينية .

فرانس سوار ، المفيجارو ، الأورور :

لهذه الصحف الثلاثة حوالي مليوني قارئ ، وتتسم أيديولوجية هذه الصحف بأمرين ، أنها من ناحية أيديولوجية عرقية عنصرية كارهة لكل ما هو عربي ولكل ما هو آت من العالم الثالث . وأنها من ناحية أخرى منابر اعلام اظلامية موالية للصهيونية حتى النهاية . لذلك فان « أوربية » المشكلة اليهودية و « حضارة »

الحركة الصهيونية تعتبران من أطروحاتها الرئيسية . وهي في موقفها من القضايا العربية بشكل عام تمثل أيديولوجية القرن الثامن عشر الكولونيالية ، أي التي تقسم العالم الى فصيلتين ، أحدهما متحضرة والآخر متخلفة ، وواجب الأولى أن تعلم الثانية وتقيم معها علاقة الاعلى بالادنى . أما بالنسبة لدورها الصهيوني فيتألف من حزم ثلاث : ١ - تبرير كل ممارسات الحركة الصهيونية واسرائيل ، ٢ - تشويه وتزييف كل نضال فلسطيني ، ٣ - القيام بدور تحريضي من أجل مساعدة اسرائيل ، والتهجم على الحكومة الفرنسية عندما ترفض منطق السياسة الاسرائيلية . ومنذ حرب حزيران دأبت هذه الصحف الثلاث على مهاجمة السياسة الخارجية الفرنسية باستمرار . (٧٧) وقد لعبت دورا تحريزيا كبيرا عند أزمة صفقة الميراج بين فرنسا واسرائيل ، كما سعت أوار هجومها عند صفقة الميراج الليبية . كما أن منطقها لم يختلف عن ذلك اجتماع ياسر عرفات وسوفنياراج . وعند كل تقارب عربي - فرنسي تطلق هذه الصحافة جملتها الشهيرة « ان فرنسا تضرب بعرض الحائط مشاعر وأحاسيس يهود فرنسا من أجل بعض المكتسبات الاقتصادية » وليس معنى ذلك أن اختيار هذه الصحف السياسي مشروط فقط بالموقف من اسرائيل . إذ أنها تمثل سياسيا حوقف أقصى اليمين الفرنسي ، لذلك فإنها وقفت الى جانب جيشكار في الحملة الانتخابية الاخيرة ، وهاجمت باستمرار فرنسوا ميتران كالعوبة بيد الشيوعيين . وبذلك فان فكرها الايديولوجي الاضلامي يتوافق تماما مع موقفها السياسي .

وفي حقل الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي فان هذه الصحف الثلاث تركز على امور ثلاثة :

١ - التهديد المستمر الذي يجثم فوق صدر اسرائيل . فهذه الاخيرة مهددة بالفناء في كل لحظة ، وكل حرب لها هي دفاع عن النفس فقط . لذلك فان كل عناوينها الرئيسية تسير بهذا الاتجاه . ففي حرب حزيران كان عنوان الفيجارو « مصر تجاه اسرائيل » (٧٨) ، أما عنوان فرنس - سوار فكان « المصريون يهاجمون اسرائيل » (٧٩) . وعند استشهاده الرقيق الهمشري كانت عناوين هذه الصحف « موت اراهابي فلسطيني وهو يلعب بالمتفجرات » .

٢ - الحماس والفخر بقوة اسرائيل ، وتفوقها العسكري وقدرتها في الهيمنة على الشرق الاوسط ، لذلك فعناوينها تكون دائما على الشكل التالي « اسرائيل تضرب بقوة » ، « الجيش الاسرائيلي يقوم بعمل خارق » (٨٠) .

٣ - الامر الثالث الذي يردد أحيانا في هذه الصحف هو : موقف انساني غائم من « اللاجئين الفلسطينيين » . إذ تتكلم أحيانا عن عذابات ويؤس الشعب الفلسطيني . وهي بذلك تحاول أن تعطي لنفسها سمة موضوعية حتى تعطيلها مهزلة أكثر في الدفاع عن اسرائيل ، فهي تبدو هكذا مدافعا عن كل المضطهدين على السواء . لذلك فصحيفة الفيجارو تقدم وصفا يثير الشفقة عن شعب غزة « شعب عار ، جائع ، يبحث عن الخبز ، وعن وطن » (٨١) .

ان سقوط هذه الصحافة أو صعودها منوط بحركة القوى الرجعية الفرنسية . الا أنه تجب الإشارة الى أن هذه الصحف تجد الآن نفسها عاجزة ، تلك أنه أصبح صعبا تقديم الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي بشكله السابق . وهذا يعني سقوط الدعاية الصهيونية بشكلها الكلاسيكي ، والحاجة الى شكل جديد من الدعاية .

الأومانيته : الناطقة باسم الحزب الشيوعي الفرنسي ، توزع حوالي ٢٥٠ ألف

نسخة يوميا ، وانتشارها ينحصر بشكل عام في أوساط الطبقة العاملة . وموقفها السياسي يعكس بالطبع موقف الحزب الشيوعي . وقد بدأت هذه الصحيفة في مهاجمة سياسة إسرائيل منذ عام ١٩٥٣ ، ثم زاد هجومها على إسرائيل بعد حرب السويس . وقد كانت الصحيفة الوحيدة التي دافعت عن العرب في حرب ٥ حزيران . وهي الوحيدة التي كان لها موقف مبدئي من الصراع العربي - الإسرائيلي . فهي تقول بوجود شعبين : إسرائيلي وفلسطيني وكل منهما له الحق في البقاء وتقدير المصير ، وهي تشير دائما الى قرار التقسيم لسنة ١٩٤٧ كأساس لحل النزاع الدائر . وقد وقفت بشكل حازم الى جانب الشعب الفلسطيني عند صراعه مع السلطة الاردنية . كما كانت الوحيدة التي حملت الحكومة الفرنسية مسؤولية اغتيال المناضل الهمشري ، بل أشارت الى تواطؤ البوليس الفرنسي مع الصهيونية . وقد هاجمت هذه الصحيفة وأدانت كل العمليات الخارجية وخاصة حادثة ميونيخ . الا أن أدانتها هذه لم تمنعها من التمييز بين هذه العمليات وعدالة القضية الفلسطينية . كما اعتبرت دائما أن هذه العمليات تسيء الى عدالة القضية الفلسطينية . وقد حملت إسرائيل مسؤولية الوضع المتأزم الحالي في الشرق الاوسط ، ومسؤولية تشريد وتهجير الشعب الفلسطيني ، كما جعلت من صفحاتها مجالا لادانة كل الممارسات الارهابية داخل إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني . كما أفرد محررها جاك كوبرار المختص بشؤون الشرق الاوسط مقالات عديدة عن العسف والارهاب داخل فلسطين المحتلة . وهي تعتقد أن الحل السلمي في الشرق الاوسط المنبثق عن قرارات الامم المتحدة يشكل أساسا متينا لحل شامل لقضية الشرق الاوسط ، إذ أنه يفتح المجال لحوار بين العناصر الديمقراطية العربية والإسرائيلية . ويشكل هزيمة تاريخية للحركة الصهيونية ، وانتصارا تاريخيا للشعب الفلسطيني والقوى الديمقراطية في إسرائيل .

نوفيل أوبزرفاتور والاكسبرس أو الصهيونية المقنعة

هاتان المجلتان لا تتطابقان سياسيا ، فالاولى مجلة يسارية تلتزم عمليا (ولو بشكل غير رسمي) بخط الحزب الاشتراكي الفرنسي ، وهي قريبة جدا من ميتران . أما المجلة الثانية أي الاكسبرس فهي ذات اتجاه يميني دأع للتكنولوجيا الاميركية ، وصاحبها جان جاك سرفان شرايبر زعيم الحزب الراديكالي صهيوني حتى العظم ، وهو لا يترك مناسبة صهيونية الا ويشارك فيها بشكل فعال .

أما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية فلها نفس المنطق تقريبا : فلا لام الشعب الفلسطيني مكان واسع في صفحاتها ، وهما يعتقدان بضرورة حل لمشكلة الشعب الفلسطيني ، بل حقه في أرض مستقلة ودولة مستقلة ، لكن على شرط أن لا يمس هذا الكيان الإسرائيلي الراهن . فأرض إسرائيل وحدودها شيء مقدس لا يحق التصرف فيه .

انطلاقا من هذا المفهوم المنحاز مسبقا ، فان طريقتهما في عرض المشكلة يثير الانتباه ، فهما يقومان بتشويه وتزييف لصورة الواقع ، بل يحاولان أن يستخلصا نتائج ودلالات لا تسيير لصالح العمل الفلسطيني .

ولننظر الان الى بعض النماذج من طرائق تحليلها السياسي . رئيس تحرير مجلة « نوفيل أوبزرفاتور » له باع طويل في تشويه الحقائق أو تقديمها ضمن أطر مشوهة . ففي العدد ٩ - ١٥/٢/١٩٧٠ نجد ما يلي : « ان المقاومة أصبحت ورقة رهان في يد موسكو » وهو يعني بهذا أن حركة المقاومة لم تعد مستقلة سياسيا بل

أصبحت أداة في يد « الامبريالية السوفيتية » وبالتالي فانها في صراعها ونضالها الرأهن « لا تخدم مصالح الشعب الفلسطيني ، بل أداة لقوى كبرى في العالم » (٨٢) . وفي مكان اخر نجد «فتح لا تريد الاطاحة بنظام الملك حسين بل تريد أن تقف وجها لوجه أمام اسرائيل ، - ومعنى ذلك أن فلسطين أولا ثم الثورة » (٨٣) . وهذا الكلام يعني سياسيا أن المقاومة مجرد حركة قومية ، وهي ليست ثورة لانها لا تريد الاضطدام بالنظام الاردني . ولو كانت ثورة حقيقية لاطاحت بالملك حسين أولا . وتعتقد المجلة أن ثورة الفلسطينيين يجب أن تتجه الى العالم العربي وليس ضد اسرائيل ، « فمستحيل تحرير تل أبيب ما لم يتم تحرير عمان » (٨٤) بالاضافة الى هذه الاطروحات ، تذكر المجلة أمورا عديدة كي تسيء الى المقاومة بشكل مباشر مثل: تغلغل العناصر الاسرائيلية في حركة المقاومة ونقص كفاءة الفدائيين القتالية ، وارتفاع كفاءة الجيش الاردني .

ويقول جان دانييل : أن الفلسطينيين ليسوا فقط ضحايا الواقع الاسرائيلي الذي لا يمكن دحضه ، بل ضحايا نفاق الحكومات العربية أيضا . ان خلاص الفلسطينيين لا يتم عن طريق محاربة اسرائيل ، ولا عن طريق اتباع سياسة الحكومات العربية ، ولكن في الحصول على أرض وتشكيل حكومة (٨٥) . ان رئيس تحرير نوفيل اوبزفاتور يقدم هنا حزمة من الافكار المضللة ، فهو يدافع عن الواقع « القومي » الاسرائيلي كمسلمة لا تحتاج الى برهان ، فهي حق شرعي لا يدحض ، وليست واقعا كولونياليا مشروطا بالامبريالية العالمية . كما يدعو الى ايقاف العمل العسكري لانه غير مجد ، ذلك أنه من العبث محاربة اسرائيل ، ففي ذلك مجزرة للفلسطينيين أنفسهم . ان منطق دانييل يدعو الى السلام والسلام فقط ، أي قبول الواقع الاسرائيلي كما هو وبشكله الصهيوني والكولونيالي أيضا . وفي مكان اخر من مجلته يقول « ان الفلسطينيين أخوة لليهود ، أخوة في التعاسة والمعاناة . ولكن هل يفهم الاسرائيليون شعور هؤلاء الذين هجرهم الجميع » (٨٦) . ان دانييل يستجدي شفقة ورحمة الاسرائيليين للشعب الفلسطيني فهذا ربما يعطي حلا في رأيه، لكنه ضد القتال المسلح الذي ينتزع الحق بالقوة .

كان هذا منطق نوفيل اوبزفاتور منذ أربع سنوات . واليوم لم يتغير هذا المنطق وانما أخذ شكلا آخر ، أكثر مرونة ، بل أخذ محاكمة ملونة ذات طابع « اشتراكي » انساني مهموم في البحث عن السلام لتفادي حرب خامسة . ولكن ضمن أي منطق ؟

جوزيت آليا ، إحدى محرري هذه المجلة ، تدعو الى ايقاف الحرب ، ولكن عن طريق قبول اسرائيل وعدم اثارقتها ، ذلك أن اسرائيل المعزولة الان والتي هجرها أصدقاؤها تقف في واقع حرج بل خانق ، لذلك فهي مهووسة « بفكر شمشون الذي هدم المعبد على نفسه وأعدائه » (٨٧) . ومعنى ذلك أنه يجب قبول اسرائيل ، وهي أن حاربت ، فحربها مبررة مسبقا وعدوانها كذلك .

وفي مقال آخر تحاول المجلة رفع العزلة الاعلامية عن اسرائيل ، بحجة أن هناك الكثير من الاسرائيليين الكارهين للحرب والتواقين الى السلام ، وهؤلاء الاسرائيليون تسميهم المجلة ، « اسرائيليو الصمت » (٨٨) ، أي الذين لا يتفقون مع السياسة الاسرائيلية ولا يصل صوتهم الى العالم .

لكن هذا المنطق يشير بوضوح الى شيء جديد ، هو افلاس وجه الدعاية

الصهيونية القديم ، وحاجتها الى مساحيق وأطروحات جديدة . ان النضال الفلسطيني قذف بالدعاية الصهيونية الى باب مسدود .

مجلة الاكسبرس لا تبتعد كثيرا عن منطق نوفيل اوبزرفاتور ، لكن منطلقها أقل نكاء ومرونة وبريقا ، لذلك فهي لا تستطيع أن تجد الصدى الذي تجده مجلة جان دانيل ، ذلك أن هذا الاخير يتوجه الى الكثير من صفوف المثقفين واليسار ، في حين أن الاكسبرس لا يستطيع ذلك بسبب فكرها اليميني الموالي « للثقافة الامريكية » .

والاكسبرس تتناول الامور بشكل اعلامي بارد ، عندما تكون الامور لصالح اسرائيل ، فتتكلم عن احتلال سيناء وامكانية استغلالها (٨٩) دون أن تقدم تحليلا للدلالة العدوانية لهذا الامر . وربما ترى في ملاحقة السكان في المناطق المحتلة ، واطلاق الكلاب البوليسية وفتيشهم أمرا عاديا يستلزمه واقع الاحتلال (٩٠) . ترى كل ذلك وترسمه بشكل بارد دون أن تمس الجوهر السياسي لهذا الامر .

ولكن عند تعرض اسرائيل للخطر ، أو عند تراجع سياسي لها فان الاكسبرس تترك لغة « الحياد » الباردة ، لتتكلم بشكل حار وحاد . فالاكسبرس ترى اليوم اسرائيل « يتيما هجره الجميع حتى الاصدقاء » ، وترى في اسرائيل بلدا يجتر العزلة والمرارة وظلم الاخرين (٩١) . كما تعتقد أن المقاومة حتى بعد انتصارها المادي ، لم تقدم تنازلات أو عروضاً تسمح بحل سليم للصراع الفلسطيني - الاسرائيلي (٩٢) . إذن فالازمة السياسية الراهنة ليست وليدة للسياسة الاسرائيلية .

لا شك أن هذا المنطق يتفانى في خدمة اسرائيل والصهيونية ، لكن الامور الان ليست كما كانت عليه من قبل فحقوق الشعب الفلسطيني حقيقة راهنة يقبل بها الجميع ، ما عدا الصهيونية والقوى الموالية لها ، لذلك فان الصحافة الصهيونية تنتقل من الهجوم الى الدفاع ، وهذا نصر كبير للقضية الفلسطينية .

مما لا مراء فيه أن المشكلة الفلسطينية وجدت مكانا لها في كل الصحف والمجلات الفرنسية ، وحتى المجلات الثقافية المتخصصة أفسحت صفحاتها لذلك ، فنحن نجد دراسات حول القضية في « النقد الجديد » (٩٣) ومجلة « اسبري » (٩٤) ومجلة برومس والكثير غيرها .

ان الذي أبرز الوجه الفلسطيني على السطح لم يكن عاطفة الاخرين وحرارة قلوبهم ، ولكن بندقية الإنسان الفلسطيني ، كما أن ممارسة الإنسان الفلسطيني وقدرته على تملك الواقع بشكل علمي جعلته يعثر على الصيغ الملائمة للتوجه الى العالم .

- ١ - مايكل ماروس ، يهود فرنسا في فترة دريفوس ، كالمان ليفي ، ١٩٧٢ .
- ٢ - دافيد لازار ، الرأي العام الفرنسي عند ولادة اسرائيل ، كالمان ليفي ، ١٩٧٢ .
- ٣ - دياكتيك العقل ، ماركس هوركايمر ، تيودور أدورنو ، جاليمار ، ١٩٧٤ .
- ٤ - جان بيير فاي ، حكاية الهجرة اليهودية ، بلغوند ، ١٩٧٤ .
- ٥ - اسرائيل والصحف الفرنسية الكبرى في عام
- ٦ - لوموند ، ١٩٦٨/٢/٢٩ .
- ٧ - لوموند ، ١٩٦٥/٢/٢ .
- ٨ - المصدر نفسه ، ١٩٦٥/٢/٢٦ .
- ٩ - المصدر نفسه ، ١٩٦٥/٢/٢ .
- ١٠ - المصدر نفسه ، ١٩٦٦/٢/٧-٦ .
- ١١ - المصدر نفسه ، ١٩٦٦/٥/٦ .
- ١٢ - المصدر نفسه ، ١٩٦٥/٩/٧ .
- ١٣ - المصدر نفسه ، ١٩٦٧/٣/١٨ .

- ١٤ - المصدر نفسه ، ١٩٦٦/٨/١٧ .
- ١٥ - المصدر نفسه ، ١٩٦٦/٨/١٧ .
- ١٦ - المصدر نفسه ، ١٧-١٨-١٩٦٦/٤/١٨ .
- ١٧ - فرانس سوار ، ١٩٦٧/٦/١٣ .
- ١٨ - لوموند ، ٢١-٢٢-١٩٦٥/٢/٢٢ .
- ١٩ - لوموند ، ١٩٦٧/٦/٢ .
- ٢٠ - لوموند ، ١٩٦٦/٧/٢١ .
- ٢١ - الفيغارو ، ١٩٦٦/٧/٢٣ .
- ٢٢ - لوموند ، ١٩٦٩/١١/٦ .
- ٢٣ - الأومانيته ، ١٩٦٩/٤/٨ .
- ٢٤ - لوموند ، ١٩٧٠/٩/١ .
- ٢٥ - لوموند ، ١٩٧٠/٩/١ .
- ٢٦ - لوموند ، ١٩٧٠/٩/١ .
- ٢٧ - المصدر نفسه ، ١٩٦٩/١١/١١ .
- ٢٨ - المصدر نفسه ، ١٥-١٦-١٩٧٠/٣/٦ .
- ٢٩ - المصدر نفسه ، ١٥-١٦-١٩٧٠/٣/٦ .
- ٣٠ - المصدر نفسه ، ١٩٦٩/١١/٥ .
- ٣١ - المصدر نفسه ، ١٩٦٩/١١/٢٠ .
- ٣٢ - نوفيل اوبزرفاتور ، ٩-١٥-١٩٧٠/١/١٥ .
- ٣٣ - الأومانيته ، ١٩٧٠/٩/٢٠ .
- ٣٤ - الأومانيته ، ١٩٧٠/٩/١٩ .
- ٣٥ - لوموند ، ١٩٧٠/٩/٢٦ .
- ٣٦ - لوموند ، ١٩٧٠/١٠/٦ .
- ٣٧ - الفيغارو ، ١٩٧٠/٩/١٨ .
- ٣٨ - لوموند ، ١٩٧٠/٩/٨ .
- ٣٩ - المصدر نفسه ، ١٩٧٠/٩/١١ .
- ٤٠ - المصدر نفسه ، ١٩٧٠/٩/١٧ .
- ٤١ - المصدر نفسه ، ١٩٧١/١/٦ .
- ٤٢ - المصدر نفسه ، ١٩٧١/٢/٥ .
- ٤٣ - الفيغارو ، ١٩٧١/٦/٢ .
- ٤٤ - لوموند ، ١٩٧٢/٦/٢ .
- ٤٥ - الأومانيته ، ١٩٧٢/٦/٢ .
- ٤٦ - لوموند ، ١٩٧٢/٩/١٣ .
- ٤٧ - الفيغارو ، ١٩٧٢/٩/٧ .
- ٤٨ - الأورور ، ٦/٦ و ٩/٦ و ١٩٧٢/٩/٦ .
- ٤٩ - باري ماتشي ، ١٩٧٢/٩/١٦ .
- ٥٠ - كوتراديكسيون ، عدد ٣ كانون الثاني - حزيران ١٩٧٢ . Contradiction
- ٥١ - فرانس سوار ، ١٩٧٢/١٢/٩ .
- ٥٢ - الأورور ، ١٩٧٢/١٢/٩ .
- ٥٣ - الأومانيته ، ١٩٧٢/١٢/١١ .
- ٥٤ - لوموند ، ١٩٧٤/٢/١٧ .
- ٥٥ - الأومانيته ، ١٩٧٤/٣/١٨ .
- ٥٦ - لا كوتيديان دو باري ، ١٩٧٤/٦/١٨ .
- ٥٧ - المصدر نفسه ، ١٩٧٤/٦/٢٤ .
- ٥٨ - الأومانيته ، ١٩٧٤/٦/٢٨ .
- ٥٩ - لا كوتيديان دو باري ، ١٩٧٤/٧/١٦ .
- ٦٠ - لوموند ، ١٩٧٤/١٠/٢٢ .
- ٦١ - المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١٠/٢٣ .
- ٦٢ - المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١٠/٣٠ .
- ٦٣ - المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١٠/٣٠ .
- ٦٤ - المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١١/١٤ .
- ٦٥ - المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١١/١٧ .
- ٦٦ - المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١١/١٦ .
- ٦٧ - المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١١/١٦ .
- ٦٨ - الفيغارو ، ١٩٧٤/١١/١٧ .
- ٦٩ - الأورور ، ١٩٧٤/١١/١٦ .
- ٧٠ - الأومانيته ، ١٩٧٤/١١/٢٧ .
- ٧١ - الفيغارو ، ١٤-١٧-١٩٧٤/١١/١٧ .
- ٧٢ - لوموند ، ١٩٧٠/١٠/٦ .
- ٧٣ - لوموند ، ١٥-١٦-١٩٧٠/٣/١٦ .
- ٧٤ - المصدر نفسه ، ٢١-٢٢-١٩٦٦/٢/٢٢ .
- ٧٥ - المصدر نفسه ، ٢٧-٢٨-١٩٦٦/١١/٢٨ .
- ٧٦ - المصدر نفسه ، ١٩٦٦/١١/٣٠ .
- ٧٧ - الفيغارو ، ١٩٧٢/٤/٢٩ .
- ٧٨ - المصدر نفسه ، ١٩٦٥/٦/٥ .
- ٧٩ - فرانس سوار ، ١٩٦٥/٦/٥ .
- ٨٠ - الفيغارو ، ١٩٧٢/٩/١٣ .
- ٨١ - المصدر نفسه ، ١٩٦٧/٦/١٣ .
- ٨٢ - لا نوفيل اوبزرفاتور ، ٩-١٥-١٩٧٠/٢/١٥ .
- ٨٣ - المصدر نفسه ، ١٩٧٠/٢/٢٣ .
- ٨٤ - المصدر نفسه ، ١٩٧٠/٦/٢٠ .
- ٨٥ - المصدر نفسه ، ١٤-١٥-١٩٧٠/٩/٢٠ .
- ٨٦ - المصدر نفسه ، ١٩٧٠/٩/٢٠ .
- ٨٧ - المصدر نفسه ، ١٨-١٩-١٩٧٤/١١/٢٤ .
- ٨٨ - المصدر نفسه ، ١٩٧٤/١٢/٨ .
- ٨٩ - الأكسبريس ، ٢٣-٢٤-١٩٦٧/١٠/٢٩ .
- ٩٠ - المصدر نفسه ، ٣-٤-١٩٦٨/٧/٩ .
- ٩١ - المصدر نفسه ، ١٨-١٩-١٩٧٤/١١/٢٤ .
- ٩٢ - المصدر نفسه ، ٤-٥-١٩٧٤/١١/١٠ .
- ٩٣ - النقد الجديد La Nouvelle Critique - عدد ٤٤/١٩٧١ .
- ٩٤ - أسبيري ، الفصل الاول ، ١٩٧٤ .

الاتحاد السوفياتي والثورة الفلسطينية ١٩٦٥ وحتى ١٩٧٥

رفعت ابو عون

لا بد من المرور بسرعة بتطور العلاقات بين العالم العربي من جهة ، وبين الاتحاد السوفياتي من جهة اخرى ، وذلك من اجل وضع موضوعنا في اطاره التاريخي .

بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية سنة ١٩١٧ في روسيا القيصرية ، قامت اول حكومة سوفياتية بقيادة لينين مباشرة بقضح المؤامرة الاستعمارية السرية ضد منطقة الشرق الاوسط والمتمثلة باتفاقية « سايكس - بيكو » حول تقسيم العالم العربي لمناطق نفوذ ومستعمرات لفرنسا وبريطانيا ، ومن هنا كشفت ثورة اكتوبر في روسيا اسرار وعد بلفور الذي قطعته بريطانيا على نفسها من اجل اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . قبل قيام ثورة اكتوبر الاشتراكية كان لينين قد سبق وحذر من ايدولوجية الحركة الصهيونية التي كانت تعارض بشدة دعوة لينين من اجل أن ينصهر اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها ومن اجل ان يناضل العمال اليهود بجانب الطبقات العاملة في تلك المجتمعات في سبيل انتصار الثورة الاشتراكية في العالم ، ودعا لينين لمحاربة افكار الحركة الصهيونية معتبرا اياها افكارا شوفينية لا تستند لاي منطق علمي وبالتالي فان الحركة الصهيونية حركة رجعية شوفينية يجب فضحها ومحاربتها .

وعلى صعيد العالم العربي انذاك فلقد حاولت اول حكومة سوفياتية برئاسة لينين الاتصال بالعديد من الدول العربية ولكنها لم تجد اي تجاوب من جانب الانظمة العربية انذاك والتي كان طابعها أقطاعيا برجوازيا .

وفي مطلع العشرينات من هذا القرن تأسست احزاب شيوعية في كل من فلسطين ، مصر ، سوريا ، لبنان ثم تلا ذلك تأسيس احزاب شيوعية في العراق والسودان وغيرها من الاقطار العربية ، الا ان هذه الاحزاب لم تستطع في تلك الايام احداث تغييرات جذرية في الوطن العربي او التأثير الفعلي في مجريات الامور السياسية في المنطقة .

وبقيت صلات الاتحاد السوفياتي لفترة غير قصيرة مع الوطن العربي ضعيفة وشبه مقتصرة على الاحزاب الشيوعية تقريبا .

وبعد الحرب العالمية الثانية وعلى الرغم من الانتصار العسكري الذي حققه الاتحاد السوفياتي ، الا أن امكانياته كانت منهكة حيث انه كان قد تحمل المسؤولية الاساسية في صد العدوان النازي - الفاشي عن أوروبا وصد الامبريالية اليابانية وكبح اطماعها في اسيا . وعندما طرحت قضية تقسيم فلسطين امام الامم المتحدة صوت الاتحاد السوفياتي لجانب قرار التقسيم الذي صدر في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ، ثم اعترف بدولة اسرائيل بعد اعلان قيامها في ١٥ ايار سنة ١٩٤٨ . وعلى الرغم من أن قرار التقسيم كان اكبر خطأ ارتكبته الامم المتحدة في تاريخها وكان قرارا غير عادل ، وبغض

النظر عن الظروف الدولية والمنطلقات التي انطلقت منها السياسة السوفياتية في ذلك الحين ، فان هذا ليس موضوع بحثنا ، اذ ان تغيرات اساسية بدأت تطرا على السياسة السوفياتية في المنطقة خاصة في اواسط الخمسينات ، حيث حققت حركة التحرر العربية انتصارات في كل من مصر وسوريا ثم تلتها العراق في ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ ، وهنا لا بد من الاشارة الى المواقف الحاسمة الداعمة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا التي وقفها الاتحاد السوفياتي الى جانب الشعوب العربية سواء ابان معركة مصر السياسية يوم تأميم قناة السويس ام ابان العدوان الثلاثي الذي عقب التأميم والذي حسمه التهديد السوفياتي الموجه لكل من بريطانيا وفرنسا واسرائيل سنة ١٩٥٦ من اجل وقف العمليات العسكرية ضد مصر والانسحاب الفوري من الاراضي المحتلة . وكذلك التحذير الموجه من قبل موسكو سنة ١٩٥٧ لتركيا واسرائيل عندما بدأت هاتان الدولتان الحشود على الحدود السورية بأمر من الولايات المتحدة وذلك للضغط على سوريا لجرها لحلف بغداد ، ثم التحذير السوفياتي لسحب الاسطول الامريكى والمظليين الانجليز من كل من لبنان والاردن سنة ١٩٥٨ ثم دعم ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق والوقوف بحزم لجانب ثورة الشعب الجزائري من اجل طرد المستعمرين الفرنسيين ، وغير ذلك من مواقف الدعم والتأييد لحركة التحرر العربية ، اضافة الى الاتفاقيات الاقتصادية والتجارية مع معظم الدول العربية وتصنيع مصر بشكل خاص .

ننتقل الان لموضوعنا الاساسي وهو كيف تطورت العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والثورة الفلسطينية ؟ وللاجابة عن هذا التساؤل بشكل علمي وسليم سنقسم هذه العلاقات الى خمس مراحل :

- ١ - العلاقات بين الاتحاد السوفياتي من جهة ومنظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها من جهة اخرى منذ تأسيس المنظمة وحتى سنة ١٩٦٨ .
- ٢ - العلاقات وتطورها في الفترة ما بين سنة ١٩٦٨ وحتى ١٩٧٠ .
- ٣ - تطور العلاقات من سنة ١٩٧٠ وحتى حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ .
- ٤ - ما بعد حرب اكتوبر .

٥ - كيف قدمت الصحافة السوفياتية القضية الفلسطينية للقارىء السوفياتي في مختلف المراحل المشار اليها .

اولا : العلاقات بين الاتحاد السوفياتي ومنظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها منذ تأسيس المنظمة وحتى سنة ١٩٦٨ .

منذ الاعلان عن قيام منظمة التحرير الفلسطينية في ٢٨ ايار ١٩٦٤ بدأت المنظمة تجري اتصالات مع موسكو ، وتمت لقاءات واجتماعات بين مسؤولين من اللجنة التنفيذية للمنظمة وبين مسؤولين سوفيات من الصف الاول في قيادة الحزب والحكومة ، الا ان نظرة موسكو للمنظمة كانت متحفظة ، وكانت كل الاتصالات تتم بصورة سرية جدا دونها اي اعلان او اشارة لتلك الاتصالات او اللقاءات . وفي كل مرة كان يتم فيها لقاء او يجري اتصال كان السوفيت يعدون بدراسة امر الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية والبت بذلك في الوقت المناسب .

وفي اليوم الاول من شهر يناير سنة ١٩٦٥ اعلنت القيادة العامة لقوات «العاصفة» عن عمليات عسكرية داخل عدة مناطق في فلسطين المحتلة ، وكانت تلك هي الشرارة الاولى التي قالت للعالم بأن شعب فلسطين وان شرد ، فانه لم يمت ولم يقبل واقمع

الهيمنة .. وكان رد الفعل العربي الرسمي (الحكومي) سيئا ، وبدأت اجهزة المخابرات في بعض الدول العربية تطارد شباب العاصفة ، وصار الشغل المشاغل لتلك الاجهزة شبح العاصفة ، لانه كان يمثل المارد الفلسطيني الذي انتفض في وجه العالم ، (هنا لا بد من استثناء الجزائر التي احتضنت الثورة منذ بدأ التحضير الجدي لها) . حتى أن بعض الاحزاب والحركات الوطنية والتقدمية انسأقت وراء الانظمة وبدأت حملات تشكيك ضد العجل العسكري لقوات العاصفة ، ومن الطبيعي أن مثل هذه المواقف العربية لا بد وان تنعكس على الموقف السوفياتي نفسه وذلك لما يربط موسكو من علاقات قوية مع عدة انظمة عربية وحركات واحزاب ، لكن موسكو لم تتخذ موقفا عدائيا ، بل كان موقفها متحفظا ازاء ما يشاع ويكتب عن التنظيم المسلح الذي برز على المسرح العربي والفلسطيني بشكل مميز . وكانت قيادة منظمة التحرير في ذلك الوقت ضد الكفاح المسلح الذي طرحته العاصفة انسيافا منها وراء بعض الاجهزة العربية ، وفي الوقت الذي كانت فيه منظمة التحرير غير قادرة على طرح القضية بأسلوب علمي امام الرأي العام العالمي ، كانت الحركة الصهيونية تنشط مستغلة تصريحات هذا المسؤول الفلسطيني أو ذلك القائد العربي لتقول للعالم « انظروا ها هم العرب يريدون القاء اليهود في البحر » ، من هنا كان الموقف السوفياتي الرسمي والشعبي يتصدى بشدة لمقاومة الدعاية الصهيونية ودحضها ، منددا بها على اعتبار انها ادعاءات كاذبة من اجل طمس جوهر المشكلة وهو عدوانية اسرائيل وتكرها لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره والعودة لبلده . ويستطيع المراقب ان يستنتج ذلك من قراءة ما كان يرد عن مشكلة الشرق الاوسط في البيانات الرسمية التي كانت تصدر اثر زيارات الوفود العربية لموسكو ، فمثلا البيان المشترك الذي صدر في اعقاب زيارة الرئيس الراحل عبد الناصر لموسكو في اواخر اب - اوائل ايلول سنة ١٩٦٥ يتطرق لقضية فلسطين قائلا : « وتدين حكومتنا الاتحاد السوفياتي والجمهورية العربية المتحدة السياسة الاستعمارية في الشرق الاوسط ، ويعرب الاتحاد السوفياتي عن تأييده التام لنضال الشعوب العربية ضد هذه السياسة ، ويؤيد تأييدا كاملا الحقوق المشروعة التي لا تتجزأ لعرب فلسطين . ويستتكر الطرفان ذلك الدور الذي تلعبه حكومة المانيا الاتحادية بتزويد اسرائيل بالاسلحة لاستخدامها في الاغراض العدوانية ضد الدول العربية ، ويطالب الطرفان بتصفية القواعد العسكرية الاجنبية التي تستخدم في تهديد الشعوب وحركات التحرر المناضلة ضد الاستعمار ، ولما تشكله هذه القواعد من تهديد للسلم والامن الدولي » (١) . وفي بيان مشترك عن محادثات وقدين حكوميين من الاتحاد السوفياتي والجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦٦ جاء عن فلسطين ما يلي : « ويساند الجانب السوفياتي تماما الحقوق المشروعة والتي لا نزاع حولها للعرب الفلسطينيين ، وهو يساند نضال الدول العربية وكل ما تبذله من جهود ضد مؤامرات القوى الامبريالية التي تطمع في استغلال مشكلة فلسطين لزيادة حدة التوتر في الشرق الاوسط » (٢) .

وفي اعقاب زيارة وفد من حزب جبهة التحرير الجزائرية لموسكو في ايار سنة ١٩٦٥ ورد في البيان المشترك حول القضية الفلسطينية ما يلي : « تضامن الحزبين مع عرب فلسطين وتأييدهما لحقوقهم المشروعة ونضالهم الحق ضد الصهيونية التي تستعملها القوى الاستعمارية لزيادة التوتر في الشرقين الادنى والاوسط » (٣) . وفي اعقاب زيارة قام بها رئيس وزراء الجمهورية العربية السورية سنة ١٩٦٦ تضمن البيان المشترك الصادر في ١٢ نيسان تأييدا واضحا لحقوق الشعب الفلسطيني وضرورة تطبيق قرارات الامم المتحدة وأعلن : « تأييد الاتحاد السوفياتي لشعب فلسطين الذي

يسمى لاستعادة حقوقه من الصهيونية التي يتوسلها الاستعمار لتنفيذ مخططاته في الشرق الاوسط» (٤).

« واثناء انعقاد ندوة فلسطين العالمية الاولى سنة ١٩٦٥ التي نظمتها الاتحاد العام لطلبة فلسطين ارسلت موسكو وغدا يضم ممثلين عن عدة منظمات اجتماعية جماهيرية ولعب الوفد السوفياتي دورا بارزا في الندوة تمثل هذا الدور باقناع عدة وفود من أوروبا وأمريكا اللاتينية بضرورة ادانة اسرائيل والحركة الصهيونية والوقوف بحزم بجانب كفاح الشعب الفلسطيني من اجل العودة لوطنه وتقرير مصيره بنفسه . وشهدت الفترة ما بين سنة ١٩٦٥ وسنة ١٩٦٨ نمو علاقات صداقة قوية بين المؤسسات الجماهيرية والشعبية الفلسطينية ونظراتها السوفياتية وكان من ابرز هذه الاتحادات التي وثقت علاقاتها مع الاتحاد السوفياتي الاتحاد العام لطلبة فلسطين ، الاتحاد العام لعمال فلسطين ، الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية . ثم الاتحادات الشعبية الأخرى فيما بعد . وتلقت الاتحادات المشار اليها مساعدات مادية كبيرة من نظراتها السوفياتية على شكل منح دراسية في المعاهد العليا السوفياتية ومنحا تدريبية في المعاهد التقنية ، ومنحا نقابية من أجل اعداد كوادر نقابية . ونالت الاتحادات الفلسطينية من السوفياتية الدعم السياسي في المحافل والمؤتمرات الدولية وكان ابرز اشكال هذا الدعم هو طرد اسرائيل من اتحاد الطلاب العالمي بتاريخ ٢٦ آذار - ٨ نيسان ١٩٦٧ - قبل عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ - وذلك اثناء مؤتمر اتحاد الطلاب العالمي الذي عقد في منغوليا - وسنة بعد سنة كان الدعم السياسي السوفياتي والدعم المادي للاتحادات الفلسطينية يزداد وينمو . وعلى الرغم من ان هذه الاتحادات الفلسطينية كانت تعتبر نفسها قواعد لمنظمة التحرير الفلسطينية ، الا أن الموقف السوفياتي لم يكن واضحا حيال المنظمة ، كما أن موقف المنظمة لم يكن واضحا بالنسبة لامور سياسية متعددة اهمها الهدف الاستراتيجي للعمل الفلسطيني - لم تكن المنظمة تطرح شعار الدولة الديمقراطية - . وفي هذه الفترة لم تتوان اجهزة الاعلام السوفياتية عن فضح الحركة الصهيونية ومحاربتها وكشف اساليبها ومخططات اسرائيل التوسعية والتي قد تؤدي الى حرب في المنطقة ، ففي شهر ابريل سنة ١٩٦٧ مثلا استدعت وزارة الخارجية السوفياتية سفير اسرائيل في موسكو وسلّمته تحذيرا شديدا للجهة لحكومته من جراء تكرار اعتداءاتها على سوريا وتصريحات قيادات اسرائيل حول الحرب والانتقام من سوريا وجاء في البيان : « ان الحكومة السوفياتية لم يكن في استطاعتها تجاهل الاحداث المسلحة التي جرت في ٧ نيسان ١٩٦٧ بين اسرائيل وسوريا ، التي سمح الجانب الاسرائيلي لنفسه اثناءها بالقيام باعمال عسكرية سافرة ضد الجمهورية العربية السورية بما في ذلك استخدام الطيران والدبابات والمدفعية . . الخ . ويذكر البيان انه نتيجة للهجوم المسلح على سوريا يوم ٧ نيسان ، فان الحكومة السوفياتية ترى انه من الضروري أن تنذر حكومة اسرائيل من أن السياسة المغامرة التي تتبناها اسرائيل على مدى سنين عديدة تلفها الاخطار ، وتقع مسؤوليتها بالكامل على عاتق الحكومة الاسرائيلية » (٥) . وفي اواخر ايار سنة ١٩٦٧ . وعلى اثر تفاقم الوضع في الشرق الاوسط ، اذاعت الحكومة السوفياتية بيانا رسميا تحذر فيه اسرائيل من اية مغامرة عسكرية قد تشنها ضد سوريا وتحمل اسرائيل المسؤولية الكاملة للاوضاع المتردية في المنطقة . جاء في البيان « ومن الواضح تماما ان اسرائيل لم تكن لتستطيع ان تتصرف بهذا الشكل ، ما لم تكن متمتعة بالتشجيع المباشر وغير المباشر على موقفها هذا من جانب دوائر امبريالية محددة تطمح في اعادة حالة التهر الاستعماري التي

الاراضي العربية » . ويتابع البيان « ويثور سؤال يقول : اي المصالح تخدم حكومة اسرائيل عندما تتبع تلك السياسة ؟ فاذا كانوا في تل ابيب يظنون ان بإمكانهم القيام بدور حارس الرقيق الاستعماري للدول الامبريالية ضد شعوب الشرق العربي ، فان حقائق العصر كافية بذاتها لاثبات خطأ هذا الظن ، وذلك اننا في عصر القتل فيه شعوب قارات باكملها عن كاهلها قيود النير الاستعماري وأخذت في بناء حياة مستقلة » (٦) .

من هنا ينضح ان الحكومة السوفياتية لم تتساهل بمواقفها المتشددة ازاء اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل . وفي اعقاب حرب حزيران سنة ١٩٦٧ مباشرة قامت المؤسسات الجماهيرية السوفياتية بنشاط واسع لفضح السياسة العدوانية لاسرائيل ، وكانت موسكو ومعظم المدن السوفياتية الرئيسية تعج باجتماعات التضامن مع العرب واستنكارا لسياسة تل ابيب وكان الخطباء من مثقفين وعمال وعلماء يدينون وبشدة الحركة الصهيونية ويفضحون اساليبها الفاشية ضد العرب .

وعقدت الاحزاب الشيوعية اجتماعا في موسكو ٦٧/٦/٦ شارك فيه كل قادة دول حلف وارسو وقادة يوغسلافيا على اثره قامت هذه الدول بقطع علاقتها باسرائيل وتعهدت بتقديم الدعم للشعوب العربية ضحية العدوان . وجاء في البيان : « وتعرب البلدان الاشتراكية لدول الشرق العربي في هذا الوقت العصيب الذي تمر به ، عن تضامننا الكامل مع نضالها العادل وتؤكد انها سوف تقدم للدول العربية المساعدة اللازمة لصد العدوان وللدفاع عن استقلالها الوطني ووحدة اراضيها . وتطالب الدول المشتركة في الاجتماع اسرائيل بان تكف وعلى الفور عن الاعمال العسكرية ضد البلدان العربية المجاورة وأن تسحب كل قواتها من اراضي البلدان العربية الى ما وراء خط الهدنة .

وإذا لم توقف حكومة اسرائيل عدوانها ، ولم تسحب قواتها الى ما وراء خطوط الهدنة ، فسوف تعمل الدول الاشتراكية الموقعة على هذا البيان ، كل ما يلزم من اجل مساعدة شعوب البلدان العربية في التصدي الحاسم للمعتدي ، وفي الدفاع عن حقوقها المشروعة ، وفي احماد اتون الحرب في الشرق الاوسط واعادة السلام الى تلك المنطقة » (٧) .

وانشاء الحرب وبعد وقف اطلاق النار كانت بيانات الحكومة السوفياتية تصدر تباعا وكذلك المذكرات التي يتم تسليمها لحكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا من اجل ان تبذل الدول الكبرى جهودها لايقاف الهجوم الاسرائيلي ضد البلاد العربية . ومما جاء بمذكرة الحكومة السوفياتية الموجهة لحكومة اسرائيل بتاريخ ١٠ حزيران سنة ١٩٦٧ : « واذا لم توقف اسرائيل الاعمال العسكرية فوراً وبلا توان ، فسوف يتخذ الاتحاد السوفياتي بالاشتراك مع الدول الاخرى المحبة للسلام العقوبات تجاه اسرائيل ، مع كل ما يترتب على ذلك من عواقب . وتعلن الحكومة السوفياتية ، انه نظرا لاستمرار العدوان من جانب اسرائيل ضد الدول العربية ، ونظرا لمخالفتها الصريحة لقرارات مجلس الامن ، فقد قررت حكومة الاتحاد السوفياتي قطع العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفياتي واسرائيل » (٨) .

وكان خطاب اليكسي كوسيفن رئيس مجلس الوزراء السوفياتي في الدورة الاستثنائية للجمعية العمومية للامم المتحدة ١٩ حزيران سنة ١٩٦٧ بداية جديدة في السياسة السوفياتية في المنطقة ، اذ ان رئيس الوزراء السوفياتي اوضح للعالم سياسة اسرائيل العدوانية التوسعية على حساب شعوب المنطقة موضحا كيف قامت اسرائيل بالتوسع

عام ١٩٤٨ - ١٩٤٩ محتلة بذلك اراضي عربية فوق الاراضي التي أعطاها اياها قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ والذي على أساسه اعترف الاتحاد السوفياتي بإسرائيل ، وطالب بتطبيق قرارات الامم المتحدة بخصوص فلسطين . وجاء في الخطاب : « وأخيرا ما حقيقة سياسة دولة إسرائيل ؟ مما يؤسف له ان الدوائر الحاكمة في إسرائيل قد اتبعت على مدى الجزء الاكبر من تاريخ إسرائيل سياسة الغزو والتوسع في اراضيها على حساب اراضي الدول العربية ، متبعة في ذلك سياسة طرد السكان الاصليين من تلك الاراضي او حتى القضاء عليهم . هكذا كان الوضع في عامي ١٩٤٨ - ١٩٤٩ عندما اخذت إسرائيل بالقوة على الجزء الاكبر من اراضي الدولة العربية ، التي نص قرار هيئة الامم على تكوينها . وسلبت ما يقارب المليون شخص اراضيهم ، وحكمت عليهم بالجوع والفقر والعذاب . وعلى طول تلك السنين يعيش هؤلاء الناس مشردين ، دون وطن أو وسيلة للعيش » (٩) .

وبعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧ شقت الثورة الفلسطينية طريقا نضاليا جديدا اذ ظهرت كحركة مقاومة مسلحة علنية بعد ان كانت سرية ومطاردة في كل ارجاء الوطن العربي .

وبدأت اتصالات الثورة الفلسطينية مع الاتحاد السوفياتي تأخذ طابعا أكثر جدية وتأثيرا ، خاصة بعد الزيارة السرية التي قام بها القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية الاخ ابو عمار لموسكو والتي لعب في ترتيبها دورا كبيرا القائد الراحل الرئيس جمال عبد الناصر في تموز سنة ١٩٦٨ .

ثانيا : العلاقات وتطورها ما بين ١٩٦٨ - ١٩٧٠

شهدت هذه الفترة بالذات تغيرا ملموسا في موقف الاتحاد السوفياتي من الثورة الفلسطينية ، اذ تمت زيارة سرية قام بها الاخ ابو عمار لموسكو وزيارة علنية بدعوة رسمية من لجنة التضامن الافروآسيوي السوفياتية ، وفي هذه الفترة بالذات انتقلت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية لايدي قادة حركة المقاومة المسلحة ، وصار واضحا بأن السوفييت لديهم رغبة أكيدة في تطوير العلاقات مع الثورة الفلسطينية اذ أصبحت لديهم قناعة بأن الافق السياسي لحركة المقاومة الفلسطينية بات يتخذ شكلا علميا قادرا على تحديد مهام الثورة في كل مرحلة من مراحل نضالها ، وقادرا على تحديد الهدف الاستراتيجي للثورة ، وبالطبع فان هذه القناعة لدى الاصدقاء السوفييت لم تأت اعتباطا ، بل ان الزيارة السرية الاولى للاخ ابو عمار لموسكو أعطت نتائج ايجابية ، فقد طرح امام السوفييت الامور الهامة التالية :

١ - استطاع ان يبين وجهة نظر الثورة من جميع القضايا المطروحة على الساحة العربية وان يعطي تصورا علميا لخط الثورة وهدفها الاستراتيجي وأسلوبها للوصول الى الهدف النهائي .

ب - أوضح للسوفييت بأن حركة المقاومة الفلسطينية هي جزء من حركة التحرر العربية وليس بديلا لها .

ج - أكد القائد العام بأن القاعدة الشعبية من جماهير المخيمات الفلسطينية المسحوقة مصممة على النضال من أجل التحرر من القهر القومي والاجتماعي .

د - أكد بأن حركة المقاومة الفلسطينية بطبيعتها حركة مناهضة للامبريالية والصهيونية ، وذلك بحكم العلاقة العضوية التي تربط إسرائيل بالامبريالية العالمية ،

وكونها مخفر الامبريالية المتقدم لضرب حركة التحرر العربية وفي سبيل الحفاظ على المصالح الاقتصادية للامبريالية في المنطقة .

هـ - أكد بأن الثورة الفلسطينية ترى في التضامن الاممي مع جميع حركات التحرر العالية والمنظومة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي قوة أساسية في النضال ضد الامبريالية والصهيونية ومن أجل التحرير .

و - أكد بأن الصداقة الفلسطينية - السوفياتية هدف استراتيجي ، وليس من أجل احراز النصر فقط بل ومن أجل تحمل مسؤوليات المستقبل على الصاعدين العربي والعالمي .

اذن لعبت الزيارة السرية الاولى للاخ ابو عمار دورا اساسيا في وضع حجر الاساس الذي ستقوم عليه العلاقات بين الاتحاد السوفياتي والثورة الفلسطينية وبعد هذه الزيارة تميزت الفترة ولغاية سنة ١٩٧٠ بمميزات أهمها :

١ - الاهتمام البارز الذي باتت توليه أجهزة الاعلام السوفياتية لحركة المقاومة الفلسطينية والدفاع عنها بصفقتها تخوض نضالا عادلا ضد سلطات احتلال اجنبية .

٢ - التحقيقات الصحفية التي باتت تنشرها الصحف والمجلات السوفياتية - وهذا ما سنتطرق له لاحقا - .

٣ - دعوة وفد من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير برئاسة الاخ ياسر عرفات في شباط ١٩٧٠ لزيارة الاتحاد السوفياتي .

٤ - تقديم مساعدات مادية كبيرة على شكل ملابس للمقاتلين وتجهيزات طبية وسيارات ومواد غذائية وتجهيزات لمدارس ابناء الشهداء ، وارسال جرحى الثورة للمعالجة في المستشفيات السوفياتية وزيادة المنح الدراسية بشكل واسع .

٥ - تقديم مساعدات عسكرية مختلفة ، وارسال كوادر عسكرية للتأهيل والتدريب في الاتحاد السوفياتي .

٦ - ابراز الوفود الفلسطينية في اللقاءات والمهرجانات الدولية التي اقيمت في الدول الاشتراكية ومن أهمها مهرجان الشباب التاسع الذي اقيم في صوفيا عاصمة بلغاريا في آب ١٩٦٨ حيث شاركت في المهرجان وحدات من قوات الثورة الفلسطينية المسلحة .

وكانت ابرز المواقف السوفياتية التي تؤيد نضال الشعب الفلسطيني، وتدين سياسة اسرائيل ما جاء في القرار الصادر عن اجتماع التضامن مع الشعوب العربية في مهرجان صوفيا ، آب ١٩٦٨ : « اننا نحن المشتركين في هذا الاجتماع نطالب بتصفية كل آثار العدوان الاسرائيلي ، ونلج بشكل خاص على ضرورة الانسحاب غير المشروط من الاراضي التي احتلت نتيجة عدوان هـ حزيران . . . اننا نحن المشتركين في هذا الاجتماع نبعث بتحياتنا للقوى الفلسطينية المناضلة ونؤيد كفاحها المسلح ضد القسوات الاسرائيلية » (١٠) .

وفي البيان السياسي الصادر عن المهرجان يوم ٦ آب ١٩٦٨ جاء : « . . . وقد عبرنا ايضا عن تضامننا النضالي مع الشعوب العربية ، وطالبنا بالانسحاب الفوري للقوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة وأيدنا نضال شعب فلسطين من أجل حقوقه المشروعة » (١١) .

ومن ابرز المواقف السوفياتية ادانة لاسرائيل في هذه الفترة بيان وكالة ناس حول احراق المسجد الاقصى ٢٨ آب ١٩٦٩ : « ولقد اثارت هذه الجريمة موجة من الغضب

والاستياء الشديد في بلدان الشرق الاوسط وفي آسيا وافريقيا . ولا تستطيع الحكومة الاسرائيلية والدوائر الامبريالية المؤيدة للعدوان الاسرائيلي ان تتخلص من مسؤوليتها عن هذا العمل الهمجي » . ويتابع البيان « ويشترك الرأي العام السوفياتي الشعوب العربية في سخطها المشروع على الاعمال الوحشية من جانب السلطات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة » (١٢) .

وفي ٢٦ اكتوبر ١٩٦٩ استنكرت الحكومة السوفياتية تحركات السفارة الامريكية في بيروت من أجل احداث فتنة في المنطقة (١٣) وكان أول تأييد رسمي وعلني للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني تذييعه الحكومة السوفياتية والحزب الشيوعي السوفياتي ما جاء في البلاغ المشترك الذي اذيع اثر انتهاء محادثات الحكومات والاحزاب الشيوعية والعمالية لدول حلف وارسو تحت عنوان « بيان حول الموقف في الشرق الاوسط » . فبعد تحليل للاوضاع الناتجة عن العدوان الاسرائيلي يقول البيان « ويتطلب الوضع الخطير الحالي في الشرق الاوسط ، اتخاذ اجراءات عاجلة . وعلى شعوب العالم ان تجبر اسرائيل على سحب قواتها من الاراضي العربية التي استولت عليها . وبدون ذلك فانه لن يكون هناك سلام عادل وطيء في هذه المنطقة . وبجانب المسائل الاخرى ، فانه يجب التوصل الى حل عادل لمسألة ضمان الحقوق والمصالح المشروعة للشعب العربي في فلسطين ، الذي يقوم بنضال بطولي قومي تحرري معاد للامبريالية » (١٤) .

وكذلك بدأ السوفييت يكترون الحديث عن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني بعد ان كانوا في السابق يرددون عبارته « حقوق السكان العرب في فلسطين » ، فجاء في الرسالة التي وجهها نيكولاي بودغورني واليكسي كوسيفن لمؤتمر القمة العربي سنة ١٩٦٩ ما يلي : « ومن البديهي ان تسوية مشاكل الشرق الاوسط يجب ان تتضمن حلا لمشكلة ضمان الحقوق والمصالح المشروعة للشعب العربي الفلسطيني » (١٥) .

ثالثا : تطور العلاقات في الفترة من ١٩٧٠ وحتى حرب اكتوبر ١٩٧٣

تعتبر هذه الفترة من اصعب وأدق الفترات التي مرت بها حركة المقاومة الفلسطينية ، اذ انها تعرضت لمحاولة تصفية جسدية في الاردن ، قدمت حركة المقاومة والشعب الفلسطيني فيها ما يزيد عن العشرين ألف قتيل وجريح وانتهى وجود المقاومة العلني في الاردن . وقامت السلطات الاردنية بزج الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني في السجون ، وبعد هذه الجزرة التي تعرضت لها الثورة الفلسطينية واجهت الاحتلال الاسرائيلي لمناطق في جنوب لبنان وقاتلت وصمدت ، ثم شنت أجهزة المخابرات الامريكية والاسرائيلية هجمة جديدة مستعينة بكل عملائها من أجل اغتيال قادة وكوادر حركة المقاومة ، كما واجهت المؤامرة التي دبرتها أجهزة المخابرات الامريكية بالتعاون مع بعض الاجهزة العميلة في لبنان من أجل تكرار ما حدث في الاردن . ورغم كل هذه المؤامرات ، ورغم فسادة الظروف ، استطاعت الثورة الفلسطينية الخروج من كل هذه الازمات الحادة . وفي مثل هذه الظروف شهدت الثورة الفلسطينية مواقف تأييد ودعم من قبل الاتحاد السوفياتي بشكل لم تشهده من ذي قبل ، فوزارة الخارجية السوفياتية اذاعت في ٢٤ ايلول ١٩٧٠ بيانا « حول أحداث الاردن ، وأعلنت وزارة الخارجية انها اجرت اتصلا مع الرئيس جمال عبدالناصر كما حذرت أمريكا وبريطانيا من اية محاولة للتدخل وحذرت اسرائيل من محاولة استغلال الظروف » (١٦) . وأشار الامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي ليونيد بريجنيف في خطاب القاها في باكو عاصمة جمهورية أذربيجان السوفياتية « ناشد فيه وقف الصراع في الاردن ، وطالب فيه بوقف الهجمات على فصائل حركة المقاومة الفلسطينية » (١٧) . ونددت أجهزة الاعلام والصحافة

السوفيياتية بجرائم اسرائيل البربرية عندما قامت اجهزتها السرية باغتيال عدد من قادة وكوادر حركة المقاومة الفلسطينية في بيروت وبلدان اوروبية معتبرة ذلك ارهابا فاشيا ضد مفكرين ومناضلين من اجل حقوق شعبيهم أمثال غسان كنفاني ، كمال ناصر ، كمال عدوان ، أبو يوسف ، محمود الهمشري ، وائل زعيتر ، باسل الكبيسي ، وغيرهم وهذا ما سيأتي الحديث عنه لاحقا .

وفي آذار ١٩٧٣ أرسل الرئيس نيكولاي بدغورني - رئيس مجلس السوفييات الاعلى - رسالة الى الملك حسين يطالبه فيها بالافراج عن أحد قادة المقاومة الفلسطينية المناضل أبو داوود ورفاقه المعتقلين ، حيث كان المناضل ابو داوود وبعض رفاقه يواجهون حكما بالاعدام أصدرته بحقهم السلطات الأردنية .

وأثناء ازمة ايار ١٩٧٣ في لبنان قام السفير السوفيياتي في بيروت آنذاك سرغار عظيموف بتسليم الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير - القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية - مذكرة من حكومته ، وكذلك بتسليم الرئيس سليمان هرنجيه مذكرة أخرى يؤكد فيها على « حرص الاتحاد السوفيياتي على المقاومة الفلسطينية ودعمها » (١٨) .

اذن يتضح مما سبق أن المواقف السوفيياتية من حركة المقاومة الفلسطينية باتت تتخذ شكل الدعم القوي ، وفي هذه الفترة برزت عدة ظواهر تشيّر الى أن الاتحاد السوفيياتي أصبح يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية دونما اعلان رسمي عن ذلك ، اذ أن دعوة الاخ ياسر عرفات كضيف الشرف الاول على مهرجان الشبيبة العاشر في برلين في أوائل آب ١٩٧٣ والصورة التي استقبل بها ومحادثاته مع كبار المسؤولين في الحزب والدولة في جمهورية المانيا الديمقراطية ، وافتتاح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في برلين الشرقية كل ذلك يشير الى انه ما كان ليحصل دون التشاور بين برلين وموسكو حيث أن دول حلف وارسو نتشاور باستمرار حول تنسيق مواقفها وسياستها الخارجية والمسائل الهامة الاخرى ، وكذلك دعوة الاخ ياسر عرفات كضيف الشرف على المهرجان الرياضي لشباب الجامعات في العالم في موسكو في النصف الثاني من آب ١٩٧٣ والطريقة التي استقبل بها بعاصمة من التصفيق والهتاف في استاد لينين ، مما جعل اسرائيل تعتبر ذلك موقفا موجها ضدها .

وفي هذه الفترة قام رئيس اللجنة التنفيذية الاخ ياسر عرفات على رأس وفود من قيادة الثورة بحوالي خمس زيارات رسمية للاتحاد السوفيياتي وازداد دعم موسكو المادي والعسكري للثورة الفلسطينية فقد اعرب الاخ ابو عمار اثناء زيارته لموسكو في آب ١٩٧٣ « من جانبه عن الامتنان العميق للشعب السوفيياتي والشبيبة السوفيياتية على دعم الشعوب العربية والتضامن مع نضال شعب فلسطين وشبيبتها من اجل الحقوق الوطنية المشروعة » (١٩) .

وهكذا أصبح الاصدقاء السوفييات يؤكدون في كل المناسبات الرسمية على ضرورة الاخذ بمبدأ الاعتبار الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني ، ففي البيان الذي أصدرته اللجنة الاستشارية لدول حلف وارسو المنعقد في برلين ديسمبر ١٩٧٠ جاء ما يلي : « ويؤكد المشتركون في الاجتماع على استعدادهم دوما لتقديم المساعدة الحاسمة لنضال الشعوب العربية العادل ، بما في ذلك الشعب العربي الفلسطيني ضد السياسة الامبريالية للعدوان الاسرائيلي في الشرق الاوسط » (٢٠) .

من هنا يتبين ان هذه الفترة امتازت بالمواقف الحاسمة من جانب الاتحاد السوفيياتي تجاه الثورة الفلسطينية وبزيادة الدعم والمساعدة في مختلف المجالات لمنظمة التحرير

الفلسطينية . وكان للوحدة الوطنية الفلسطينية والتي تجسدت في اشتراك جميع المنظمات في اللجنة التنفيذية، وصمود المقاومة في وجه التحديات والمؤامرات، وفعاليتها العسكرية في الداخل ، والنضج السياسي لدى قيادتها ، أثرها في تسهيل اتخاذ هذه المواقف ، خاصة وأن السوفيات كانوا دائما يطرحون قضية الوحدة الوطنية كشرط أساسي للانتصار على الأعداء ولتفويت الفرصة على كل المتآمرين ضد الشعب الفلسطيني وثورته المسلحة .

رابعا : الاتحاد السوفياتي والثورة الفلسطينية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣

خلقت حرب أكتوبر أوضاعا جديدة في المنطقة العربية ، وبغض النظر عن التفسيرات المختلفة لنتائج هذه الحرب ودوافعها ، إلا أن إيجابيات حرب أكتوبر ١٩٧٣ تعرضت ولا زالت تتعرض لعملية تجيير لصالح أمريكا وأعداء الأمة العربية من قبل بعض الأنظمة ، خاصة وأنه بعد الحرب مباشرة علت أصوات تنادي بالصدقة مع أمريكا وتحاول أن تصور بأن الحل بيد أمريكا ، وذهب البعض من أصحاب هذه الأصوات إلى حد وضع الاتحاد السوفياتي بمستوى أمريكا بالنسبة للصدقة مع العرب . من هنا فإن طابع العلاقة بين الثورة الفلسطينية والاتحاد السوفياتي في هذه المرحلة بالذات اتسم بجدية وتعاون لم يسبق لهما مثل في المراحل السابقة . وقبل الحديث عن الموقف الفلسطيني في هذه المرحلة والموقف السوفياتي من منظمة التحرير الفلسطينية لا بد من الإشارة السريعة لبعض الأمور فمثلا في الوقت الذي استنفرت فيه الولايات المتحدة قواتها العسكرية استعدادا منها للتدخل لصالح إسرائيل قام الاتحاد السوفياتي بإقامة جسر جوي بين دمشق - موسكو والقاهرة - موسكو لإمداد الجيوش العربية بكل ما ينقصها من معدات وذخائر ، كما كانت موسكو « على استعداد للتدخل العسكري » (٢١)، وفي الوقت الذي كانت فيه قوات الثورة الفلسطينية تنفذ عملياتها بنجاح خلف خطوط العدو الصهيوني - ما يزيد عن مائتي عملية أثناء فترة الحرب فقط (٢٢)، كانت ثمرق جيش التحرير الفلسطيني المتواجدة في مصر وسوريا تساهم مع قوات البلدين في القتال . من هنا فإن المساهمة الفلسطينية القوية في هذه الحرب أعطت الثورة إمكانية التحرك ضد كل حملات التشكيك بالصدقة العربية السوفياتية . وفي هذه المرحلة الدقيقة لا بد من التطرق للموقف الفلسطيني والموقف السوفياتي كل على حدة .

الموقف الفلسطيني؟ منذ أن ارتفعت أصوات التشكيك بالصدقة السوفياتية - العربية محاولة المساواة بين الموقف السوفياتي الصديق من جهة وبين الموقف الأمريكي العدو من جهة أخرى قامت مختلف أجهزة الثورة الفلسطينية بالتصدي لهذه الأصوات بمختلف الوسائل ، أجهزة الإعلام التابعة للثورة أخذت تدافع بقوة عن المواقف المشرفة لاصدقائنا السوفيات من مختلف القضايا العربية ، في كل الندوات والمهرجانات كان قادة حركة المقاومة الفلسطينية يحذرون بشدة من مغبة الاعتماد على أمريكا والغرب وباستمرار يؤكدون على الدور الحاسم الذي لعبه الاتحاد السوفياتي قبل حرب أكتوبر وأثنائها ، وينوون باستمرار لمواقف اصدقائنا في المعسكر الاشتراكي وفي طليعتهم الاتحاد السوفياتي . كان الأخ ياسر عرفات القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية باستمرار وفي كل المناسبات يشيد بالدور السوفياتي وبمواقف كل الدول الاشتراكية ، ففي حديث أدلى به للتلفزيون الألماني الديمقراطي قال الأخ ياسر عرفات: « ان شعبنا يجابه اليوم بثبات المؤامرات الامبريالية - الصهيونية ، مستندا بذلك على مساندة وتضامن ودعم البشرية المحبة للسلام والعدالة الانسانية في العالم أجمع ، والذين يشكل المعسكر الاشتراكي وفي مقدمته الاتحاد السوفياتي طليعة هؤلاء الاصدقاء

المخلصين في العالم» (٢٣)، وعن السلاح السوفياتي قال الاخ ابو عمار : « ان حرب تشرين الاول سنة ١٩٧٣ قد برهنت على ان الجندي العربي بمقدوره - بفضل مساندة الاصدقاء المخلصين - ان يستخدم اسلحة حديثة متطورة تكنولوجيا وقد أعطانا الاتحاد السوفياتي الصديق هذا السلاح» (٢٤). كما بعث الاخ ياسر عرفات ببرقية للامين العام للحزب الشيوعي السوفياتي ليونيد بريجنيف يشكره على مواقف الاتحاد السوفياتي الداعم لنضال شعبنا بقوة ، مشيراً للخطاب الذي القاه بريجنيف في جمهورية مولدافيا السوفياتية جاء فيه: «لقد كان لهذا الخطاب أبلغ الأثر في نفوس جماهير شعبنا المناضل، حيث عبرتم كعهدكم دائماً على تأييدكم لنضال شعبنا في سبيل اقامة كيانه الوطني» (٢٥). وحول نتائج زيارته للاتحاد السوفياتي ودول اخرى من دول المعسكر الاشتراكي ، آب ١٩٧٤ ، قال الاخ ياسر عرفات في كلمة ألقاها في الجلسة الختامية للمؤتمر الثاني للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية : « ان زيارتنا كانت ايجابية للغاية وفاقته كل التوقعات» (٢٦).

كما ان الاخ فاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية بمنظمة التحرير اثار في أكثر من مقابلة صحفية وأكثر من تصريح لوكالات الانباء بالمعسكر الاشتراكي وفي مقدمته الاتحاد السوفياتي وندد بالمشككين بصدافتنا مع السوفييت ، وأوضح أكثر من مرة خطورة المنزلات الى أولئك الذين يحاولون تصوير امريكا وكأنها صديقة للعرب . وكذلك معظم قادة الثورة الفلسطينية وقفوا المواقف نفسها المشار اليها سابقا ، وعلى صعيد التنظيمات الشعبية الفلسطينية فانها ، وفي كل مؤتمراتها كانت تقدر عاليا الموقف السوفياتي من شعبنا وثورته المسلحة .

الموقف السوفياتي : ازداد موقف الاتحاد السوفياتي من الثورة الفلسطينية قوّة ووضوحا وبات امر الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية مفروغا منه ، حيث ان السوفييات قدروا عاليا نشاط المقاومة اثناء حرب تشرين الاول ١٩٧٣ على الصعيدين العسكري والسياسي وتأكّد لهم بأن المقاومة تزداد نشاطا وبأسا يوما بعد يوم ، ولم تستطع القوى الابريالية - الصهيونية والرجعية من النيل من حركة المقاومة على الرغم ان هذه الدوائر العدوة حاولت بكل الوسائل وبشتى الطرق وكان النصر دائما حليف المقاومة مدعومة من الجماهير الفلسطينية والعربية والقوى الصديقة في العالم .

وقد حرص السوفييات بعد حرب تشرين الاول مباشرة على التعامل مع منظمة التحرير بأسلوب جديد ، فعندما زار اندريه غزوميكو وزير الخارجية السوفياتية المنطقة العربية اجتمع مرتين مع الاخ ياسر عرفات ووجه له دعوة رسمية لزيارة الاتحاد السوفياتي على رأس وفد من اللجنة التنفيذية ، وكانت هذه اول مرة يتلقى فيها الاخ ابو عمار دعوة رسمية من الحكومة السوفياتية ، علما بأن زيارته السابقة أسفرت عن مقابلة رسميين سوفييات على الرغم أنها كانت تتم بدعوة من لجنة التضامن الافرواسيوي السوفياتية . كما ان السوفييات حرصوا بعد حرب تشرين الاول على التشاور مع الاخ ابو عمار في كل الامور السياسية التي تهم المنطقة العربية وأكثر من مبعوث سوفيياتي زار الدول العربية يحمل رسائل من القادة السوفييات ويتشاور معه حول موقف المنظمة . وفي زيارته في آب ١٩٧٤ حيث صدر اثره بلاغ مشترك وقابل خلالها « شخصية قيادية هامة» (٢٧) فقد حرص السوفييات على ان يرأس المحادثات باريس بناميريوف العضو المرشح للمكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي ومسؤول العلاقات الدولية وسكرتير اللجنة المركزية للحزب كما شارك في المحادثات شخصيات حزبية وحكومية على جانب من الاهمية ، وتباحث الاخ ابو عمار اثناء هذه الزيارة مع نائب وزير

الخارجية السوفياتية ، ومثل هذه اللقاءات لها دلالات خاصة وتؤكد اعتراف السوفيات بمنظمة التحرير كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني ، وأعلن الاتحاد السوفياتي رسميا اثناء هذه الزيارة على موافقته على افتتاح مكتب تمثيلي لمنظمة التحرير في موسكو اذ جاء في البيان المشترك : « وقد وافق الجانب السوفياتي اثناء المباحثات وبناء على طلب اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية على اقامة مكتب تمثيلي للمنظمة في موسكو » (٢٨) .

كما ان ليونيد بريجنيف أشار في خطاب القاہ يوم ١١/١٠/٧٤ في جمهورية مولدافيا السوفياتية للحقوق القومية للشعب الفلسطيني ولكيانه الوطني قائلا : « من الضروري أخيرا تنفيذ قرارات الامم المتحدة وضمن تحرير الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل والاستجابة للمصالح المشروعة للشعب العربي الفلسطيني وحقه في كيانه القومي » (٢٩) . هذا وان الدعم العسكري والمادي والسياسي السوفياتي لمنظمة التحرير الفلسطينية قد ازداد حجما ونوعا ، والتحرك السياسي الاخير لمنظمة التحرير في الامم المتحدة لاقى دعما سوفياتيا كبيرا من أجل مواجهة الضغوط والمناورات الامريكية في المنظمة الدولية ، ولعب الاتحاد السوفياتي دورا هاما اثناء المناقشات من أجل اقرار القرارين التاريخيين الداعمين لحقوق الشعب الفلسطيني من أجل تقرير مصيره بنفسه ومساندة كفاحه بكل الطرق التي يراها مناسبة ، ومن أجل اعطاء منظمة التحرير صفة العضو المراقب في الامم المتحدة .

وجاءت الزيارة التي قام بها الاخ ياسر عرفات على رأس وفد من قيادة المنظمة لموسكو والتي انتهت يوم ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٤ تكريسا للموقف القوي الذي تقفه موسكو بجانب منظمة التحرير في النضال ضد الاحتلال الصهيوني ، اذ جاء في البيان المشترك : « وأكد البيان ان الاتحاد السوفياتي يساند وسيواصل مساندة النضال الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني من أجل الحصول على حقوقه المشروعة ، بما في ذلك حقه المؤكد في تقرير المصير واقامة وطنه القومي الخاص الى حين تتسنى له اقامة دولته . وأوضح البيان انه خلال الزيارة التي قام بها ياسر عرفات للعاصمة السوفياتية اجتمع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية مع اليكسي كوسيفين رئيس الوزراء السوفياتي وبوريس بونوماريوف سكرتير الحزب الشيوعي السوفياتي واندرية غروميكو وزير الخارجية السوفياتية . و اضاف البيان : ان الجانبين قدرا كثيرا للقرارات التي اتخذها بالاجماع مؤتمر القمة العربي الذي عقد اجتماعاته في الرباط والتي تربط المشكلة الفلسطينية مباشرة بتسوية مشكلة الشرق الاوسط في مجموعها . كما أعربا عن ارتياحهما لان جميع المشتركين في هذا المؤتمر قد اعترفوا بمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني » (٣٠) .

خامسا : كيف قدمت الصحافة السوفياتية القضية للقارئ السوفياتي ؟

من المعلوم ان الصحافة في الاتحاد السوفياتي ملتزمة بالخط السياسي العام الذي ترسمه الدولة وفق مقررات مؤتمرات الحزب الشيوعي السوفياتي ، وهذا لا يمنع مطلقا ان تنشر الصحافة مقالات او تقارير لمراسليها او لمعلقين او مراقبين سياسيين تعبر عن آرائهم ولكن شريطة ان لا تتعارض هذه المقالات او التقارير بجوهرها مع الخط السياسي العام للدولة .

من هنا فان الصحافة السوفياتية لم تكن تولى اهتماما كبيرا قبل سنة ١٩٦٨ لقضية نضال الشعب الفلسطيني ، بل كانت ملتزمة بالكتابة وبشكل مكثف عن ازالة آثار عدوان ١٩٦٨ وفق قرار مجلس الامن المشهور ٢٤٢ ، وكانت هناك مقالات

تظهر حول ايديولوجية الحركة الصهيونية وممارساتها الخطيرة في العالم من أجل حمل اليهود على الهجرة لإسرائيل . كانت تركز على البيانات الرسمية السوفياتية حول الأوضاع في الشرق الأوسط خاصة في الفترة التي سبقت حرب حزيران . وكذلك بعد حرب حزيران ركزت الصحافة اهتمامها حول نشر أخبار اجتماعات التضامن والتأييد الجماهيرية للدول العربية ومن أجل إزالة آثار عدوان ١٩٦٧ ، وفي الفترة ما بين أواخر ١٩٦٨ وحتى أوائل ١٩٧٠ بدأت الصحافة تركز اتهامات كبيرة في الكتابة عن قضية الشعب الفلسطيني ومنظمات المقاومة المسلحة ، وتناول عدد من المعلقين السياسيين بالتفصيل المفصل كل المنظمات المسلحة ، وفي هذه الفترة كتب المعلق فاسيليف في جريدة برافدا بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٦٩ تحت عنوان « السلام الوطيد والعدل في الشرق الأوسط مطلب ملح » يقول : « ان تنفيذ قرار مجلس الامن - وهو مفتاح الحل السلمي في الشرق الأوسط . ومن المفهوم ان احلال السلام في هذه المنطقة يجب ان يقوم على أساس احترام الحقوق المشروعة للشعوب العربية ، بما فيها السكان العرب الفلسطينيين . ان الطرق المحددة لتحقيق القرار هي الشيء الرئيسي الذي يجب ان تتركز عليه جهود جميع من يرغب حقا في احلال السلام العادل الوطيد » . ويتابع المعلق فاسيليف تعليقه شارحا ضرورة انجاح مهمة يارنغ ومتصورا الانسحاب الاسرائيلي يجب ان يتم على مرحلتين ثم تأتي قوات دولية فيما بعد لتفصل بين الجيوش العربية واسرائيل .

وبتاريخ ٤ أكتوبر ١٩٦٩ تكتب البرافدا بقلم « معلق صحفي » تحت عنوان « يجب اجبار اسرائيل على تنفيذ قرار الامم المتحدة » قائلة : « ما هو السبب في زيادة تعقد الموقف في الشرق الأوسط ؟ يجب البحث عن السبب في النهج السياسي المغامر الاسرائيلي من جهة ، اذ يزداد المتطرفون في تل ابيب صفاقة بمضي الزمن . ومن جهة اخرى ، فان من الواضح تماما ان اسرائيل ، في تنفيذها لهذا النهج الطائش ، تجد مساندة نشيطة من جانب دوائر معينة في الولايات المتحدة الامريكية ، الامر الذي توضحه المحادثات التي تمت مؤخرا بين جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل والرئيس الأمريكي نيكسون » . وبعد ان يشرح المعلق الصحفي اساليب الولايات المتحدة المخادعة ، اذ انها تشارك بمشاورات الامم المتحدة من أجل حل سلمي لأزمة الشرق الأوسط وفي الحقيقة تقدم الدعم العسكري والمالي لاسرائيل يقول في مقاله : « ولم تخف الصحافة الامريكية ان جولدا مائير قد حضرت الى الولايات المتحدة لا من أجل البحث عن مساعدة واشسنطن في حل مشاكل الشرق الأوسط سياسيا ، ولا لاحلال السلام في الشرق الأوسط . اذ كتبت صحيفة « النيويورك تايمس » صراحة « ان السيدة مائير وصلت الى الولايات المتحدة بهدف الحصول على اسلحة اضافية » ، ويضيف المعلق قائلا : « ان مائير قد طلبت من رئيس الولايات المتحدة الامريكية مبلغ مليار دولار على هيئة معونة اقتصادية » . وبعد ان يشرح ان مثل هذه المعونة تخصص لتسديد ديون اسرائيل للدول الاجنبية والمتراكمة على اسرائيل بسبب شراءها الاسلحة منها يقول : « وعلاوة على ذلك فلقد تقدمت مائير الى البيت الابيض لطلب تزويد اسرائيل بدفعة جديدة من طائرات الفانتوم والسكاي هوك » .

ويتابع المعلق الصحفي قائلا : « ويثور هنا تساؤل قانوني : هل هناك رغبة عند طرف ما في استخدام بعض الكواليس الدبلوماسية بهدف تغطية تأييده لاسرائيل ولاعمالها العدوانية ؟ اذ كيف يمكن الجمع بين التصريحات حول البحث عن حل سياسي مع تزويد الدولة المعتدية والمستمرة في استنزافاتها ضد البلدان العربية ، بدفعات كبيرة وجديدة من السلاح ؟ » .

وبعد ان يتطرق باسهاب لموقف الولايات المتحدة ودعمها لاسرائيل يخلص للقول : « ان هيئة الامم المتحدة تمتلك القوة اللازمة لاجبار اسرائيل على تنفيذ قرارها . وهي ان لجأت الى فرض العقوبات ، فان هذه المنظمة الدولية موضع الثقة تكون قد أدت واجبها أمام الشعوب المهتمة بالاسراع بالتسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط » .

وكتبت البرافدا تحت عنوان « يجب اعادة السلام الى الشرق الاوسط » بتاريخ ٣ آذار ١٩٧٠ تقول : « وتلجأ الدوائر الحاكمة في تل ابيب الى أبشع الوسائل ، وتطبق سياسة اغتصاب الاراضي العربية المحتلة التي تمارس فيها أنظمة ارهابية بشعة ، فهي تطرد السكان العرب ، وتنسف المساكن ، وتلقي بكل من يقاوم اجراءاتها غير الانسانية الى السجون والمعتقلات ، وتقيم مستعمرات عسكرية اسرائيلية في الاراضي العربية ، وبالاختصار فانها تحاول الاسراع في استعمار الاراضي التي استولت عليها . ويشعل صهاينة اسرائيل وافراد طغمتها العسكرية نيران دعاية شوفينية مفضوحة في البلاد زارعين العداوة والكراهية ضد الشعوب العربية محاولين ان يغرسوا في نفوس كل السكان روح التفرة العنصرية المتطرفة » . وتواصل البرافدا شرحها لطبيعة العلاقات الامريكية الاسرائيلية قائلة : « ولقد أعلن في الايام الاخيرة ان واشنتون تبحث خطط تزويد اسرائيل بدفوعات جديدة من الاسلحة ، بما في ذلك الطائرات من طراز « سكاى هوك » و « فانتوم » كما أنهم يواصلون تقديم الطائرات المنفق عليها في الصفقات السابقة . ولن يتمكن القائمون على الدعاية في واشنتون والذين يتلاعبون بالالفاظ حول « ميزان القوى » في الشرق الاوسط من أخفاء حقيقة ان التسليح يتم بغرض مواصلة العدوان » .

وتواصل البرافدا في مقالها هذا فضح الولايات المتحدة والمانيا الغربية والحركة الصهيونية في دعمهم المالي الضخم لاسرائيل والذي توظفه اسرائيل من أجل تكديس السلاح ، وعن الحركة الصهيونية وطبيعتها العدوانية تقول البرافدا : « ان الصهيونية المعاصرة هي ايدولوجية للبرجوازية اليهودية الكبيرة المتعاونة مع الدوائر الاحتكارية في الولايات المتحدة الامريكية والدول الامبريالية الاخرى ، وهي شبكة من المنظمات البرجوازية والتي تمارس سياستها . ان المحتوى الاساسي للصهيونية هو الشوفينية المحمومة والمعاداة للشيوعية ، ولقد وظف الصهاينة دولة اسرائيل في خدمة الامبريالية » .

وتواصل شرحها لأهداف الصهيونية وتعاونها مع الامبريالية ، وتقول البرافدا : « ان الشعوب العربية عازمة على ردع المعتدين الاسرائيليين واسيادهم الامبرياليين ، اذ ان اسرائيل تتكبد خسائر متزايدة في حرب الاستنزاف التي يكثر عنها الحديث في تل ابيب ، كذلك فان حركة المقاومة الفلسطينية تقوى وتتدعم » . وتتابع البرافدا : « ان الاعمال الاجرامية للطغمة العسكرية الاسرائيلية تقابل بالاستياء والغضب والادانة الحاسمة من جانب الرأي العام المحب للسلام والذي يطالب بوضع حد للحملات المسعورة لتل ابيب » .

أما في الفترة ما بين اوائل ١٩٧٠ وحتى حرب اكتوبر ١٩٧٣ فان الصحافة السوفياتية نشطت بشكل ملحوظ جدا في الكتابة الدائمة عن حركة المقاومة الفلسطينية وعن ازمة الشرق الاوسط وبدأت تظهر مطالبات المعلقين بتطبيق قرارات الامم المتحدة ، ثم كثر حديث المرسلين والمعلقين عن قرار التقسيم ١٩٤٧ وعن جرائم اسرائيل وعن جرائم الحركة الصهيونية ، والتعاون بين الصهيونية والامبريالية وهذا ما سنراه بعدة نماذج

من صحف مختلفة صدرت في هذه الفترة ، تقول البرافدا بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٩٧٠ تحت عنوان « نحو سلام عادل » : « ويعتبر أنه من الضروري توافر العدل في أي حل لأزمة الشرق الاوسط ، وذلك ليس من أجل اعتبارات معنوية فقط ، على الرغم ان العامل المعنوي يتمتع بأهمية بالغة . واثما لانه بدون توفر العدالة ، أي بدون ازالة آثار العدوان الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة ، وليس فقط بانتهاء حالة الحرب ، وانما باحلال حالة السلام بين دول تلك المنطقة أيضا ، وكذلك بدون الاعتراف بحقوق الشعب العربي الفلسطيني فانه لن يكون هناك حل ثابت ايا كان هذا الحل . لقد كتب فريديك انجلز ان اغتصاب الازماس ولو تاريخيا قد حول الحرب الى عامل ثابت في السياسة الأوروبية ، ليس ذلك مشابهها تماما للقول بأن الاغتصاب من جانب اسرائيل للاراضي العربية يحول الحرب الى مستقبل لا مفر منه في الشرق الاوسط ؟ » . وبعد ان يشرح المقال المقترحات السوفياتية لحل ازمة الشرق الاوسط يأتي الى القول عن السياسة الاسرائيلية بالنسبة للاراضي المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ قائلا : « وكثيرا ما تتلاعب القيادة الاسرائيلية بالاقوال حول ما يسمى « بالحدود الامنة » . لكن واقع الامر يخفى تحت ستار التظاهر بالسعي لضمان « حدود آمنة » اطماع اسرائيل الجامحة في التوسع ، فمثلا تهادى رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلي في الحديث الى درجة انه قال ان « الحدود الامنة » بالنسبة لاسرائيل هي نهر الاردن » .

وتقول البرافدا في عرضها لما جاء عن الشرق الاوسط في بيان المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي تحت عنوان « من أجل سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط » بتاريخ ٩ نيسان ١٩٧١ : « لقد دخل نضال القوى المحبة للسلام ضد العدوان الاسرائيلي الان مرحلة تميزت بالفضح التام للنوايا التوسعية للدوائر الحاكمة الاسرائيلية والاطراف الصهيونية » . وتتابع البرافدا قائلة بعد شرحها لمرونة الموقف الرسمي العربي من الحل السلمي : « أما الرفض العنيد من جانب الحكام الاسرائيليين لسحب قواتهم من الاراضي العربية التي اغتصبها فليس الا تحديا سافرا للرأي العام العالمي ولقرارات الامم المتحدة » . وتنتهي البرافدا عرضها قائلة : « ويعلن المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ان الاتحاد السوفياتي ، بنظريته الثابتة للسياسة اللبنانية للسلام والصداقة بين الشعوب ، سوف يواصل على الدوام مساندة للقضية العادلة للشعوب العربية ، ضحايا العدوان الاسرائيلي ، ولجهودها الموجهة لاستعادة الحقوق السليبية ومن أجل ضمان حل سياسي عادل في الشرق الاوسط وفي دفاعها عن الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني » .

وفي آب ١٩٧٢ اصدرت وكالة انباء نوفستي كراسا يحتوي على مقالات ظهرت في الصحف السوفياتية في آب ١٩٧٢ تتناول العدوان الاسرائيلي ، وحركة المقاومة الفلسطينية ، والمحاولات الامبريالية لجر الدول العربية للقبول بالطول الجزئية المنفردة مع اسرائيل ، يقول « ميدفيدكو » المعلق في صحيفة البرافدا تحت عنوان « النشاط التخريبي للامبريالية والرجعية ضد المصالح الوطنية للبلدان العربية » المنشور نقلا عن برافدا في منشورات وكالة نوفستي ص ١٣ ، يقول : « وتشوه الدعاية الامبريالية والصهيونية الوقائع تشويها صارخا في حملتها الافتراضية والحاكمة التي تهدف للذيل من سبعة الاتحاد السوفياتي وسياسته الخارجية . ولكن هل يمكن اجبار العرب على نسيان من سلاح الصهاينة الاسرائيليين واثار مرارا عديدة الاعتداءات ضد البلدان العربية ؟ » ويتابع « ميدفيدكو » مقاله في البرافدا قائلا : « ومن الذي اثار العدوان الاسرائيلي ضد البلدان العربية سنة ١٩٦٧ ؟ وأية طائرات قصفت مدنا وقرى عربية ؟ ومن هم الطيارون القادمون من العالم الجديد كمواطنين اسرائيليين يقضون خدمتهم

العسكرية في القوات الجوية الاسرائيلية؟ ومن الذي يوظف رساميله في اقتصاد اسرائيل مساعدا اياها على استثمار الاراضي العربية المحتلة ، ومن الذي يغتني من النفط العربي ؟ .

أما « كودريافتسيف » فتحت عنوان « مكائد الاستعمار الجديد في الشرق الأدنى » فيقول في ازغستيا — منشورات نوفستي ، آب ١٩٧٢ : « وتشاهد الاصابع الاستعمارية الجديدة للولايات المتحدة الامريكية بوضوح في أحداث الاردن ١٩٧٠ — ١٩٧١ . ان محاولة القضاء على حركة التحرر الوطني للشعب العربي الفلسطيني لا يمكن ان يتهج لها سوى المعتدين الاسرائيليين وأصحاب الاستعمار الجديد » . وتتابع ازغستيا بقلم معلقها قائلة : « ان الخلافات حتمية بين البلدان العربية ولا سيما بين الدول ذات الاتجاهات المختلفة في الانظمة الاجتماعية والسياسية وفي مطامحها السياسية . لكن المصالح العربية المشتركة يجب ان تكون فوق كل خلاف . وهذه المصالح هي في ايماننا تكمن في الازالة السريعة لآثار العدوان الاسرائيلي سنة ١٩٦٧ ، وفي اعادة الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ، الذي هو جزء لا يتجزأ من الشعوب العربية والذي يخوض نضالا بطوليا الى جانب كل حركات التحرر الوطني لشعوب آسيا و افريقيا » .

والمعلق بولشاكوف من البرافدا يستهل مقالته الواردة في منشورات نوفستي نقلا عن برافدا ، آب ١٩٧٢ ، ص ٢٥ ، قائلا : « في وقت من الأوقات كان الايديولوجيون الصهيونيون المتطلعون الى ان يدعم الرأي العام العالمي فكرة انشاء « دولة يهودية » يقولون : « نحن لا نحتاج الى شيء ما سوى رقعة أرض يمكن ان تصبح ملكا لنا . . . » ، وحتى اللحظة التي اقرت فيها منظمة الامم المتحدة في ١٩٤٧ مشروع تقسيم فلسطين الى دولة اسرائيلية ودولة عربية ، كان الصهاينة يخفون بعناية انهم كانوا بحاجة الى « رقعة ارض » هذه كاحتشد أسلحة للتوسعات الاقليمية . وهذا ما أكدته الاعمال الارهابية للعصابات الصهيونية التي كانت تدمر الاماكن التي يقطنها عرب فلسطين من أجل طردهم منها ، الامر الذي ادى الى الحرب العربية — الاسرائيلية سنة ١٩٤٨ » .

ويتابع بولشاكوف تحليله في برافدا للطابع العدواني لدولة اسرائيل ويتطرق للمناورات العسكرية واستعدادات اسرائيل لشن حرب خاطفة ثم يتطرق لميزانية الدفاع التي بلغت خلال ست سنوات ستة مليارات دولار وستبلغ خلال البست سنوات القادمة عشرة مليارات دولار . ثم يتحدث عن الزيادات التي تخصصها الميزانية العامة للدولة لاغراض التسلح وعن دعم الولايات المتحدة يقول بولشاكوف : « واذا كانت المساعدة الرسمية الامريكية لاسرائيل قد بلغت مليارا و ١٠٠ مليون دولار من ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٨ ، ففي ١٩٧٠ — ١٩٧١ فقط منحتها الولايات المتحدة مليار دولار من القروض العسكرية . وارتفعت كثيرا ايضا في الوقت ذاته تبرعات المنظمات الصهيونية الى اسرائيل . وقد أعلن منذ مدة قريبة رئيس منظمة « النداء اليهودي الموحد » ان ٢٧٠ مليون دولار من التبرعات قد جمعت في هذا العام وحده لصندوق مساعدة اسرائيل » .

ثم تتابع برافدا بقلم « بولشاكوف » شرح اساليب التعاون العلمي والتقني بين المؤسسات العسكرية الاسرائيلية والمجموعة الصناعية العسكرية الامريكية في سبيل انتاج صواريخ واسلحة متطورة ، ثم يتابع بولشاكوف فيتحدث عن التعاون في مجالات التجسس والاستخبارات بين وكالة المخابرات المركزية الامريكية والاستخبارات الاسرائيلية قائلا : « ويلاحظ « تكامل » مماثل في الاستخبارات الامريكية والاسرائيلية .

وصرح دافيد نيس القائم بأعمال الولايات المتحدة سابقا في القاهرة : « ان التعاون الامريكى مع اسرائيل لم يسبق له مثيل في حقل تبادل المعلومات الاستكشافية » .

ويتابع بولشاكوف قائلا : « ان المعطيات الاستكشافية التي كانت تطلبها واشنطون من السفارات الامريكية ووكالة الاستخبارات المركزية وموظفي الاستخبارات العسكرية في الشرق الادنى كانت توضع بعد ان تؤخذ بعين الاعتبار حاجات اسرائيل وليسس المصالح الامريكية فقط » .

والمعلق « ديمتشنكو » يكتب في برافدا وتنقله نوفوستي في منشوراتها، آب ١٩٧٢ ، تحت عنوان « المقاومة الفلسطينية ومكائد الرجعية » ، يقول في مطلع مقاله : « بعد انشاء دولة اسرائيل في ١٩٤٨ انما ولدت المقاومة الفلسطينية . ومنذ ذلك الوقت ارتكبت الصهيونية احدى جرائمها الاكثر علرا حين طردت مئات الوف العائلات العربية من ديارها . وكان ذلك يجري بشكل مدير ، محسوب ، بوسائل وحشية شرسة ، وفقا لخطط وضعتها المنظمات الارهابية اليهودية في فلسطين » .

وتتابع برافدا بقلم معلقها المذكور : « واصبحت اكثرية الفلسطينيين خارج بلادها دون عمل ودون وسائل معيشة . ومنذ البداية اضطر اكثر من ٧٠٠ الف شخص الى العيش عيشة رهيبية مكسسين في مخيمات اُنشئت خصيصا وفي بؤس مخيف » .

وبعد ان يتحدث عن اوضاع الفلسطينيين الحياتية في مختلف الدول العربية وتركيبتهم الاجتماعية وبروز منظمة التحرير الفلسطينية وبعض النقد لبعض قادتها الاوائل ، يتحدث عن المنظمات الفدائية بعد حرب حزيران ١٩٦٧ قائلا : « وهذه المنظمات التي انتقلت من حيث الاساس الى الاردن حيث يشكل الفلسطينيون زهاء ٦٠ ٪ من السكان ، بدأت باعداد وشن عمليات فدائية ضد المحتلين . فهل ينبغي الاستغراب اذا كانت الفصائل الفلسطينية قد اصبحت موضع اعتزاز في كل العالم العربي وشعاع أمل الفلسطينيين المنكوبين ؟ لدى زيارة مخيمات اللاجئين يرى المرء ان كل شاب يتطلع الى ان ينضم الى فصيلة مقاتلة » . وبعد ان يذكر « ديمتشنكو » بتحليله اُسماء المنظمات وقدراتها نسبيا يتطرق للاحداث ١٩٧٠ - ١٩٧١ في الاردن محملا المسؤولية للرجعية العربية ، متوها لتصرفات غير مسؤولة من بعض المنظمات ويقول : « وينبغي القول ان الرجعيين العرب ، والعملاء الامبرياليين والاسرائيليين ، قد تصرفوا دائما بصورة مشتركة ضد الفلسطينيين ودفعوهم الى التطرف من اجل تصوير الفدائيين بمثابة ارهابيين بنظر الرأي العام العالمي ، ومن اجل تقويض علاقاتهم بالنالي مع الجماهير العربية وحرمانهم من الدعم العالمي ، وقد بذلت نل ايبب وكذلك الاوساط الرجعية في عدة بلدان عربية الكثير من النشاط لمنع اتحاد المنظمات الفلسطينية ، وهي تخشى من ان يصبح الفلسطينيون ، اذا اتحدوا ، قوة فعالة في الشرق الادنى » . وبعد ان يتحدث عن المؤامرات الرجعية والصهيونية التي قد تتعرض لها المقاومة يأتي لنهاية مقاله : « وفي تموز ١٩٧٢ زار الاتحاد السوفياتي وفد يمثل منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات رئيس لجنتها التنفيذية . وخلال المحادثات اعلن ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية ان صفوف المقاومة الفلسطينية تستمر في التوحد ، وان وحدتها تتعزز على اساس تقدمي معاد لامبريالية . وذكر وفد منظمة التحرير الفلسطينية ان قوى الامبريالية والرجعية تنشط في الشرق الادنى من اجل نسف حركة التحرر الوطني العربية وتصفية حركة المقاومة الفلسطينية » .

وفي هذه الفترة وقبل حرب اكتوبر ، تعرضت بعض المخيمات - البداوي ، نهر البارد لعمليات اجرامية صهيونية ، ووقفت الصحف السوفياتية بقوة تدین هذه الاعمال

البربرية متهمة اسرائيل بالفاشية والنازية ، ثم غطت الصحف انباء اعتقال المناضل ابو داوود في الاردن ، ولم تكذ تخل اخباره يوم واحد ولدة تزيد عن اسبوع من البرافدا ، ازفستيا ، النجم الاحمر وغيرها من الصحف . ثم كانت جريمة الضهانية يوم اغتالوا كمال ناصر وكمال عدوان وابو يوسف ، نشرت الصحافة الاخبار بشكل مثير ثم اوردت تعليقات لمعلقين سوفيات فمثلا المعلق « بالشاكوف » يكتب تعليقا سياسيا في البرافدا يوم ١٤ نيسان ١٩٧٣ تحت عنوان « على طرق وأساليب المافيا » ، يقول في التعليق : « ان الجريمة الجديدة التي ارتكبتها العسكرية الاسرائيلية ونفذتها في لبنان وادت الى مقتل ثلاثة من عناصر القيادة البارزين في حركة المقاومة الفلسطينية بطريقة بربرية بشعة وادت ايضا الى مقتل مواطنين لبنانيين ابرياء في صيدا وبيروت ، كل هذا اكبر دليل وشاهد على ان سياسيي تل ابيب وحكامها لا زالوا سائرين ومصممين على السير في خط سياسي ارهابي ضد الدول العربية المجاورة » . ويتابع المعلق « بالشاكوف » تحليله لسياسة تل ابيب الارهابية ثم يتطرق لربط بين أعمال اسرائيل الارهابية ضد قيادات وكوادر المقاومة وبين ممارستها في الداخل قائلا : « وفي هذا الوقت الذي تقوم فيه اسرائيل بتصعيد عملياتها الارهابية المجرمة ، تعتمد تل ابيب سياسة استعمارية استيطانية في الارض المحتلة وذلك باقامة مستعمرات سكنية في اراضي العرب للمهاجرين اليهود الجدد من أجل توطين اليهود في الامكن التي يسكنها العرب ، وهكذا فان اسرائيل تسعى من وراء اعمالها هذه ان تضع المجتمع الدولي تحت الامر الواقع وتريد من العالم ان يجيز لها السرقة والاختلاس بحجة حقها التاريخي الذي لا يناقش .

ثم يستطرد المعلق ليشير الى جرائم اسرائيل في اوربا قائلا: وحتى في دول غير دول الشرق الاوسط ، بدأت اسرائيل تمارس سياسة ارهابية وتنفذها عن طريق عملائها ضد دبلوماسيين عرب وضد ممثلين فلسطينيين في عدة دول اوروبية » .

ويزيد في الشرح واعطاء الامثلة على جرائم اسرائيل وطغمتها العسكرية الحاكمة ، ثم يضيف الكاتب : « من دبر هذه العمليات في اوربا ؟ بالتأكيد أجهزة الخابرات الاسرائيلية وعملاؤها في العواصم الاوروبية لانهم قتلة ومجرمون ولا تستهويهم غير مثل هذه الاعمال » .

ويواصل المعلق ليعطي مثالا على استنكار الرأي العام العالمي لمثل هذه الاعمال قائلا: « النائب الانجليزي الليبرالي « كريستوفر ميهيو » قال وهو يخطب امام الحكومة البريطانية : « الجرائم الاخيرة التي ينفذها عملاء اسرائيل من المحتمل جدا بل ومن المؤكد انها ستصل الى لندن وسينفذ منها جزء في لندن » . وطالب النائب المذكور حكومته بأن تعلن عن احتجاجها الشديد ضد السياسة الارهابية لحكومة تل ابيب » .

وفي سياق عرضها للاحداث الدولية « العالم في اسبوع » تقول البرافدا يوم ١٥/٤/١٩٧٣ : « ان الدوائر الصهيونية في الدول الغربية ، والجهات المؤيدة لها ، تقف بوقاحة لتدافع عن عملية اسرائيل معتبرة اياها على لسان صحيفة « غارديان » وصحف اخرى بأنها سياسة مقاومة الارهاب ، وسياسة مقاومة الجريمة التي تنتهجها اسرائيل . ولكن هذه السياسة هي سياسة اللاجل واللامبالاة في محاولة فلسفة امور واضحة وجرائم مدانة من كل العالم ، فالارهاب هو سياسة معتمدة عند الضهانية منذ نشأتهم ، وهم الذين مارسوه ضد عرب فلسطين على يد عصابات يهودية قبل قيام دولة اسرائيل . ولكن جعل الارهاب جزء اساسي من سياسة دولة اسرائيل ، هذا ما يدعو الى محاسبة هذه الدولة وادانتها بشدة ومحكمة موجهي سياستها » .

أما مجلة « آسيا واغريقيا » والتي تهتم بشؤون دول العالم الثالث فقد كتب فيها المعلق س. استاخوف تحت عنوان « من مواطن جنّة اسرائيل » بتاريخ ٦ حزيران ١٩٧٣ ، يقول « استاخوف » بعد اعطاء صورة عن الاوضاع الاقتصادية المتردية في اسرائيل وعن اضرابات العمال المتزايدة واجراءات الحكومة في قمع الاضرابات وتواطؤ قيادة الهستدروت مع الحكومة وسن قانون يعتبر الاضراب عمل مخل بالامن مع ضمان اقرار هذا القانون حيث أغلبية الكنيست من اليمين ، بعد هذا يقول : « وحتى في السنوات الاربعة الاخيرة فان اوضاع الفرد المعيشية تسير الى الاسوأ ، وحسب ما تكتبه الصحف البرجوازية الفرنسية « فيجارو ، كومبا وغيرهما » فان حوالي ٨٥. ألف مواطن في اسرائيل تلزمهم المساعدة الضرورية وهذا الرقم ثلث سكان البلاد تقريبا وحسب ارقام واحصاءات حكومية للشؤون الاجتماعية عام ١٩٧٢ فان ربع أطفال اسرائيل تقريبا حتى سن ١٤ سنة لا يجدون التغذية الأساسية بل ان معظمهم يعاني من الجوع .» وبعد ان يتطرق « استاخوف » لعدد الاضرابات والمضربين يقول حول حضارة اسرائيل : « كتب الشاعر الاسرائيلي « حاييم ناحوم بياليك » بأن لا يمكن تسمية اسرائيل دولة عصرية الا اذا لم يكن فيها مكان للجريمة ، واذا انطلقنا من هذا المنطق فلنرى كيف ومتى يمكن تسميتها دولة عصرية ، ففي عام ١٩٧١ ارتفع عدد القتلى الناتج عن الجرائم ارتفاعا كبيرا ، وارتفعت عمليات السطو والسرقة بالقوة مع الحاق الضرر مرتين ونصف بالمقارنة مع ١٩٧٠ ، فقط لمدة تسعة أشهر من ١٩٧٢ ارتفع عدد القتلى مرتين عن عددهم سنة ١٩٧١ كاملة . وبالذات فان الجرائم ترتكب بشكل أكثر من غيره في مدينة تل ابيب ، ففي شهري اكتوبر ونوفمبر من عام ١٩٧٢ تمت في تل ابيب عمليات سطو على ما يزيد عن عشرة بنوك . ثم يتطرق الكاتب كيف ان ديان يضطر ان يسحب بعض جنوده الذين تعودوا على ضرب الفلسطينيين في غزة من أجل تهدئة الوضع في تل ابيب .

وفي هذه الفترة ازدادت الكتابة عن اليهود الهاربين من اسرائيل ومعظمهم من اليهود الشرقيين فمثلا جريدة تروود الناطقة باسم النقابات السوفياتية تورد رسالة ١٠/٤ / ١٩٧٣ لمهاجر يهودي هرب من اسرائيل ويتحدث عن التمييز العنصري والبطشالة والرشوة وفساد أجهزة الدولة ووعود غولدا مائير الكاذبة للشعب من أجل رفع مستواه ومن أجل تحسين أمور القادمين الجدد .

تقول الرسالة في ختامها : « ما هي اسرائيل اليوم ؟ انها دولة لا معنى فيها مطلقا ، لا معنى فيها للمثل العليا ، للصدقة ، للعلاقات بين الناس ، وعن أية علاقة يمكن الحديث بين شخص يملك مصنعا وقصرا جميلا و٣ او ٤ سيارات وبين يهودي من المغرب او العراق يعيش في حي فقير . وعن أية علاقة يمكن الحديث بين بيروقراطي في ادارة عامة من جهة وبين مهاجر من جهة أخرى يأتي عشرات المرات لمقابلته وفي كل مرة يقال له : الصبر ، كل شيء على ما يرام . ويتشبه الموظفون بعملهم ، ويحاول التجار خداع الجميع للكسب ، والسياسيون يعملون في السياسة والمال ، والجميع هنا يعملون من أجل المال !! وتسيطر الرشوة على كل جهاز الدولة » .

وصحيفة تروود يوم ١٠/٩ / ١٩٧٣ تقوم بعرض مراجعة لكتاب صدر حول «القرصنة الصهيونية الدولية » قام باعداد المراجعة فيكتور بلينوف ، يستعرض تاريخ الحركة الصهيونية الاجرامية ثم انتهاكاتها لكل قرارات الامم المتحدة منذ سنة ١٩٤٨ وحتى اليوم وسياسة اسرائيل التوسعية وعلاقتها مع الامبريالية الامريكية ، ثم يتعرض لحادثة الطائرة الليبية ولتصف المخيمات الفلسطينية والارهاب الصهيوني في مختلف دول العالم .

أما موقف الصحافة السوفياتية وكيفية عرضها للقضية في الفترة التي أعقبت حرب أكتوبر ١٩٧٣ فقد قامت « شؤون فلسطينية » بعرض هذا الموقف في أعدادها ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٠ . ففي عدد ٢٧ كان التركيز أثناء عرض الصحف لقضية حرب أكتوبر ، يدور حول الموقف السياسي للاتحاد السوفياتي أثناء الحرب والتعليقات التي سبقت الحرب مباشرة والتي نشرت بعد الحرب ، وفي العدد ٢٩ من الشؤون تم معالجة تأثير النفط العربي على الغرب كما عرضته الصحافة السوفياتية ، إذ ان استعمال النفط بشكل محدود كسلاح لأول مرة كان له تأثير ايجابي لصالح العرب وذلك بالتأثير على مواقف سياسية أوروبية غربية الى حد ولو بسيط .

والعدد ٤٠ من الشؤون قدم عرضا لكيفية معالجة الصحف السوفياتية للقضية بعد النشطاء السياسي المحوظ لمنظمة التحرير ، ثم قرار مؤتمر الرباط باعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني والدعوة لاقامة سلطة وطنية على الأراضي التي ستسحب عنها القوات الامرائيلية ، جولة كيسنجر في الوطن العربي والمقترحات الامريكية لحل ازمة الشرق الاوسط ، مؤتمر جنيف وضرورة الاسراع بعقدته لمتابعة بحث تسوية ازمة الشرق الاوسط ، السياسة النفطية العربية واثرها على الغرب من أجل ايجاد حل لازمة الشرق الاوسط ، و أخيرا تركيز بعض الصحف ووكالات الأنباء على التعليقات التي تدين الحركة الصهيونية ونشاطاتها التخريبية والمشبوهة في افريقيا ، وارتباطاتها مع هتلر اثناء فترة حكم من أجل تهجير اليهود الى فلسطين .

- | | |
|---|--|
| ١ - جريدة الاهرام ، الخميس ٢ ايلول ١٩٦٥ ، ص ٧ ، عدد ٢٨٧٥٥ . | ١٨ - وكالة الانباء الفلسطينية وفا ، ١٠ ايار ١٩٧٣ . |
| ٢ - جريدة البرافدا ، ١٤ مايو ١٩٦٦ ، « عن منشورات نوفستي » . | ١٩ - جريدة فلسطين الثورة ، ٢٢ آب ١٩٧٣ ، عدد ٥٧ ، ص ٤ . |
| ٣ - الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٥ ، ص ٥١٨ ، نقل عن السياسة الدولية عدد ١١٧ ، ١٩٦٩ . | ٢٠ - جريدة برافدا ، ٤ ديسمبر ١٩٧٠ . |
| ٤ - المصدر السابق نفسه . | ٢١ - تصريح اللواء مصطفى طلاس لصحيفة النهار اللبنانية . |
| ٥ - جريدة البرافدا ، ٢٧ نيسان ١٩٦٧ . | ٢٢ - شؤون فلسطينية ، مركز الابحاث الفلسطيني - نوفمبر ١٩٧٣ ، عدد ٢٧ . |
| ٦ - جريدة البرافدا ، ٢٤ ايار ١٩٦٧ . | ٢٣ - مجلة فلسطين الثورة ، ١٤ آب ١٩٧٤ ، العدد ١٠٥ ، ص ٦ . |
| ٧ - جريدة البرافدا ، ١١ حزيران ١٩٦٧ . | ٢٤ - المصدر السابق نفسه . |
| ٨ - المصدر السابق نفسه . | ٢٥ - مجلة فلسطين الثورة ، ٢٧ تشرين الاول ١٩٧٤ ، عدد ١١٥ ، ص ٥ . |
| ٩ - جريدة البرافدا ، ٢٠ حزيران ١٩٦٧ . | ٢٦ - المصدر نفسه ، ٢٣ ، ٢٤ . |
| ١٠ - مجلة الطليعة المصرية الشهرية عدد ٩ ايلول ١٩٦٨ ، ص ١٢٨ . | ٢٧ - مجلة فلسطين الثورة ، ٢٨ آب ١٩٧٤ ، عدد ١٠٧ ، ص ١٢ . |
| ١١ - المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٩ . | ٢٨ - المصدر نفسه ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ . |
| ١٢ - جريدة برافدا ، ٣٠ آب ١٩٦٩ . | ٢٩ - مجلة فلسطين الثورة ١٦ تشرين الاول ١٩٧٤ ، عدد ١١٤ ، ص ٥ . |
| ١٣ - جريدة برافدا ، ٢٦ اكتوبر ١٩٦٩ . | ٣٠ - جريدة المحرر اللبنانية ، ١ كانون الاول ١٩٧٤ ، ص ١٦ . |
| ١٤ - جريدة برافدا ، ٢٧ نوفمبر ١٩٦٩ . | |
| ١٥ - جريدة برافدا ، ٢٢ ديسمبر ١٩٦٩ . | |
| ١٦ - جريدة برافدا ، ٢٤ ايلول ١٩٧٠ . | |
| ١٧ - جريدة برافدا ، ٣ اكتوبر ١٩٧٠ . | |

شركة الاستثمارات الوطنية

شارع الفاتح من سبتمبر - ٣٢ رواق الكرامة

هاتف ٤٣.٣١ - ص.ب ٤٥٣٨

طرابلس - الجمهورية العربية الليبية

مضى على تأسيس شركة الاستثمارات الوطنية ثلاثة اعوام زحرت بالحركة المستمرة والعمل الدؤوب الجاد الذي كانت حصيلته العديد من المشروعات التي جرى ويجري تنفيذها الآن سيرا على طريق تحقيق اهدافها المرسومة . . .

وشركة الاستثمارات هي شركة مساهمة ليبية اخذت على عاتقها مهمة الاضطلاع بمختلف ألوان النشاط الاستثماري في داخل البلاد وخارجها لتكون نواة لحركة استثمارية وتنموية ضخمة على الصعيدين المحلي والعالمي .

لقد جاءت فكرة قيام هذه الشركة والاهداف المرسومة لها انطلاقا من المفهوم الاقتصادي العلمي للاستثمار من جهة ومن حاجة البلاد الى مؤسسة قوية تقوم بمختلف عمليات الاستثمار المباشر من جهة اخرى على ان تمتد رقعة هذا العمل لتشمل قاعدة عريضة من الانشطة في معظم القطاعات الاقتصادية .

وقد انيطت بهذه الشركة مهمة الاستثمار في المشروعات الاسكانية وغيرها ، وتجميع مدخرات الافراد وتوجيهها نحو الاستغلال الامثل لها ، كذلك انيطت بالشركة مهمة التخصص في دراسة امكانيات الاستثمار في الاقتصاد الليبي وتقديم المشورة الفنية في هذا المجال .

ففي حقل الاسكان فقد تعاقدت الشركة حتى الآن على اقامة اكثر من ٨٠٠ وحدة سكنية بمختلف المحافظات ، وتصل قيمة تلك التعاقدات الى اكثر من ٧ ملايين دينار ، هذا كما طرحت الشركة ايضا عطاءات لاقامة حوالي ٦٠٠ وحدة سكنية اخرى تصل قيمتها الى حوالي ٥ ملايين دينار .

وفي مجال المساهمة في تأسيس وتمويل الشركات المحلية ساهمت شركة الاستثمارات الوطنية في ٦ شركات تضطلع بنشاطات اقتصادية مختلفة .

. . . وفي مجال تدعيم المدخرات القومية حققت الشركة انجازا كبيرا بتنفيذها لمشروع شهادات الاستثمار . وتظهر اهمية هذا المشروع فيما احدثه من زيادة في عدد الالوية الادخارية والاختيارية بالبلاد وما سوف يترتب عليه من زيادة في حصيلة مدخرات الافراد وتقدم للوعي الادخاري نتيجة للنشاط الاعلامي الذي تمارسه الشركة في هذا الخصوص وللمزايا والمميزات التي تتمتع بها تلك الشهادات والتي تتفوق على اي وعاء ادخاري آخر .

. . . وبالنسبة لادارة ممتلكات الغير ، فقد تولت الشركة بنجاح ادارة ممتلكات فرفور المؤسسة وخصصت الحكومة في بعض الشركات الهامة .

وتسعى الشركة الآن لتوسيع دائرة هذا النشاط في حقل الاستثمارات المالية وفي تقديم المشورة الفنية للغير . اما بالنسبة للاستثمارات الخارجية فقد امتد نشاط شركة الاستثمارات الوطنية ليشمل كل من تونس ومالطا ولوكسمبرج وفرنسا ولبنان ، عن طريق مساهمتها في شركات ومؤسسات وصلت قيمة تلك الاستثمارات الى اكثر من ٣ ملايين دينار .

اننا اذ نعرض تلك الصورة المتواضعة لمنجزات الشركة فاننا لعلنا نؤمن بان ما تحقق حتى الآن ما هو الا بداية لنشاط اوسع واشمل ستأتي به حصيلة السنوات القليلة القادمة باذن الله . . .



يسر مستخدمو شركة اسو ستاندرد ليبييا المساهمة ان يرفعوا الى شعب
الجمهورية العربية الليبية وقادته الاحرار اصدق التهاني بمناسبة حلول عيد
الاضحى المبارك سائلين الله ان يعيد هذا العيد وامثاله على الجميع باليمن
والبركات .

شركة اسو ستاندرد ليبييا المساهمة

شارع الجمهورية - هاتف ٣٠٠٢١ ، ص.ب ٣٨٥

طرابلس - الجمهورية العربية الليبية

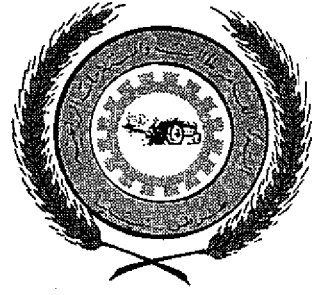


الشركة العامة للالات والمستلزمات الزراعية

شارع المعري - هاتف ٣٦٢٨٨ - ٣٦١٣٠

٤٤٣٢٤ - ٣٠٣٤٤

ص.ب ٣٢٤ ، طرابلس - الجمهورية العربية الليبية

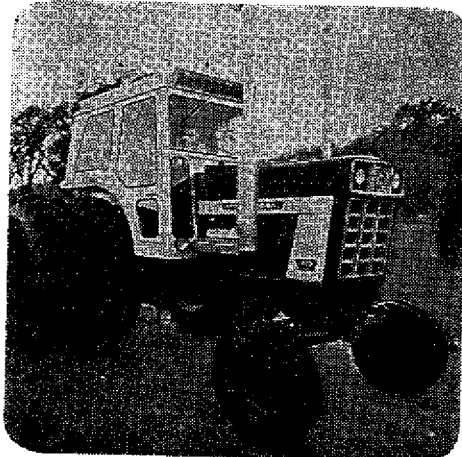
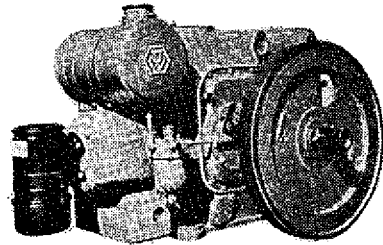
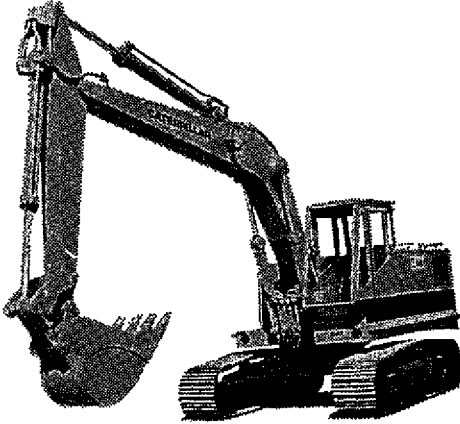


تقوم الشركة باستيراد مستلزمات الانتاج الزراعي وتشمل :

١ - المعدات والآلات والجرارات بمختلف القوى انواع ماسي فركسون -
انترناشيونال هارفيستر ، محاريت - الآلات دراسي - آلات كبس التبن -
معدات زراعية خفيفة « يدوية وميكانيكية » - آلات تسوية واستصلاح
التربة « نوع كاتر بيلر » - عربات حقلية ومعدات الرش وانايب المطر
الصناعي .

ب - اسمدة - مبيدات - اعلاف -
بذور - معدات صناعة الالبان
وتربية الدواجن .

ج - محركات - مضخات -
مولدات - شبكات الري
وملحقاتها وقطع الغيار
التابعة لها .



تعد هذه الشركة من اكبر شركات
القطاع العام في الدولة وتساهم الى
حد كبير في خدمة القطاع الزراعي
سواء في اطار مشاريع التنمية او في
خدمة المزارعين او القطاع الخاص ،
للشركة فروع متخصصة في جميع
المحافظات بالجمهورية ومراكز بيع في
اغلب مدن المحافظات .

الشركة الليبية للإلكترونيات

شارع بغداد - عمارة الاندلس

هاتف ٣٦٧٢١ - ص.ب ٣٦٨٠

طرابلس - الجمهورية العربية الليبية

برقيا : (اليكترونكو) طرابلس

شركة الازهار للتجارة والمقاولات

هاتف ٣٤٨٠٤ - ٣٩٠٢٨ - ص.ب ٢٨٠٦
طرابلس - الجمهورية العربية الليبية

موزعون : لشفرات جيليت وناسيت وكولكيت وبالموليف وماكس فاكطور
واولد سيباز ووكلاء الزيت وبودرة جونسون .

اطلب منشورات مركز الابحاث - منظمة التحرير الفلسطينية

ومجلة

شؤون فلسطينية

في

الجمهورية العراقية

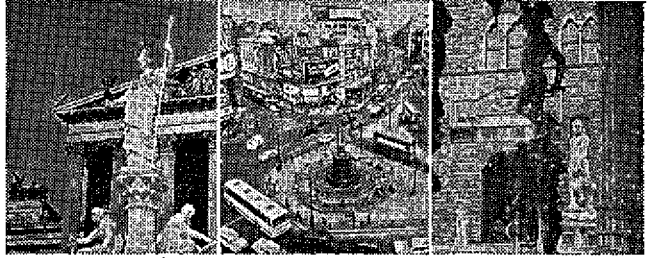
من

المكتبة الفلسطينية

شارع السعدون ، عمارة العطية ، مقابل الخطوط الجوية العراقية

هاتف : ٨٧٨٢٧ ، ص.ب ٣٢٣٩ - بغداد

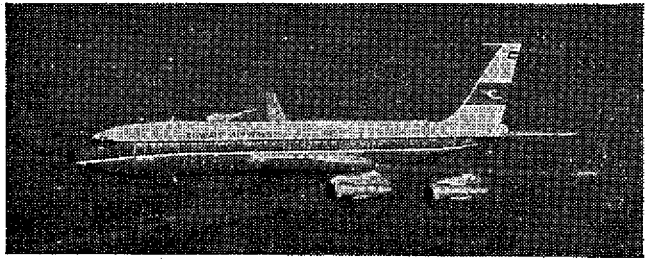
أوروبا



مشاهد
رائعة



مناج
وتسليّة



ما أسهل الوصول
إليها بطائرات
الخطوط الجوية الكويتية

الخطوط الجوية الكويتية تستطيع ان تولى الجورة اعتمادها الاول وان تمتعنا
بالكثير من اساليبها الخاصة ، فهي تحيط المسافرين على فطرطها بعناية
احسانية وفورطها لثابتها حسانة ومشاركة وتعاقد على الجورة بركة متناهية
والجورم تؤمنه طائرات الخطوط الجوية الكويتية بصحابة مستظيرة الى ٢٣
بلدا في كافة أنحاء العالم . فانما اختزنتم السفر الى أوروبا تذكروا بان
الخطوط الجوية الكويتية تستطيع ان ترضيكم لكم مسلة ومرحبة وحننة.



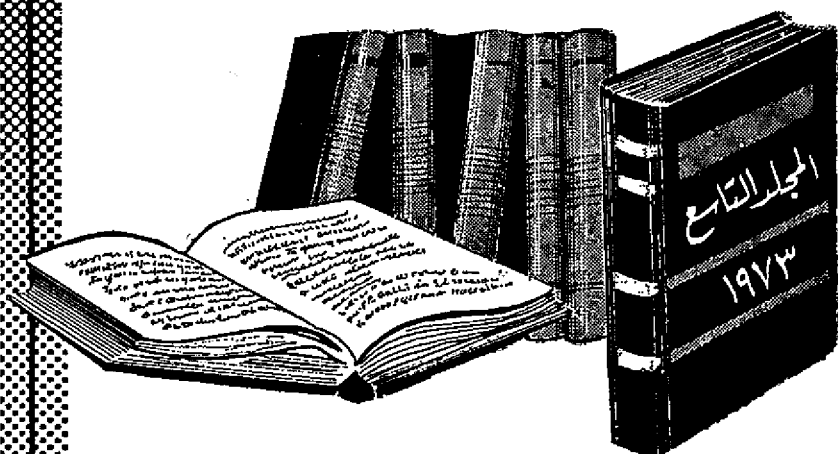
الخطوط الجوية الكويتية

عروض سينمائية و٦ اقنية مختلفة من الموسيقى المنوعة

صدر المجلد السنوي لعام ١٩٧٣

السياسة
الدولية

مَرَجِع هَام
للعاملين في
الحقل السياسي
والإعلامي



تطلبه مجلات السياسة الدولية من قسم الأرشيف والكتابة بمؤسسة الأهرام

١٠٠٠ صفحة
١٠٠٠ قرش



شركة الملاحة العربية الليبية

بونخيلة واولاده - ليبيا

- خطوط سكانداتش : الشرق الاقصى - موانئ المتوسط
- خطوط نيدلوييد : الشرق الاقصى - موانئ المتوسط
- خطوط برايز : اسبانيا - ليبيا
- ناقلات البترول العائدة والمستأجرة للشركات التالية :
- اويزس - موبيل - اميرادا - اموسيز - كونتنتال - ماراثون -
شل - تكساكو - اموكو - اسو - فيرجوتيس - فارنيما - ستام -
موندوجاس - جازاوشين - شفرون - كولوكترونيس - انتار -
بريتش بتروليوم .

المكتب الرئيسي : طرابلس - ليبيا - ص.ب : ٨٨٢
تليفون : ٤١٧١٢ - ٣٩٣٥٨

الفروع : بنغازي - ليبيا - ص.ب : ٣٠٣٦
تليفون : ٩٣٦٣٣ - العنوان البرقي : ارابشيب

السدره - رأس لانوف - الزويتينة - مرسى البريقة - مرسى الحريقة .

اخوان طاطاناكي

متعمدون للهندسة والمقاولات

وكلاء سيارات **OM**

شارع محمد المقرئف - عمارة طاطاناكي

هاتف ٣٤٤٧٣ - ٣٢١٢٦

طرابلس - ليبيا



شركة المبيعات الوطنية

شركة تموين لحقول البترول والصناعة

مصنع غازات اكسيجين - اسيتيلين ونيروجين

توريد غازات تبريد

آلات ومعدات كمكو لآبار الغاز

مضخات اطفاء حريق وآلات وقاية انسول

فرع للصيانة والتصليح

طرابلس - ص.ب ٢٢١٩ - طريق السواني كم ١

ت : ٣٠٧٦٧ - ٤٤٨٤٣ العنوان البرقي : TSC



N. A. M. T. E.

North African Maritime & Travel Enterprises

Shipping & Travel Agents · Stevedores · Salvage Contractors

AMERICAN EXPRESS

Correspondents

TRIPOLI

Shipping Dept. Sclera Sidi El Hedder
P.O.Box 253
Cables: RIPPON
Tel: 40581 (4 lines)

Travel Dept. Sclera Baladie, 109-101
P.O.Box 253
Cables: RIPPON
Tel: 40583



BENGHAZI

Sclera Yusuf Lenghi, 10
P.O.Box 1114
Cables: RIPPON
Tel: 83533

الوكالة الليبية للملاحة والسفريات

ليسترترا

وكلاء ملاحة - سياحة ونقل دولي - وكلاء تجاريون - سماسرة وشراء
واستئجار بواخر - شحن وتفريغ - مراسلين في جميع انحاء العالم

العنوان البرقي لجميع الفروع / لهيطة بروس او لييترا

طرابلس : شارع الاستقلال/بفداد ، عمارة التديري ، هاتف ٣٥٨٠٥ - ٢٤٢١٦ - ٣٠٤٨٩
ص.ب. ١٨٥

بنغازي : شارع سيف النصر ، عمارة الزني ، هاتف ٤٤٧١ - ٣٩٧٠ ، ص.ب. ١٢٩

طبرق : شارع يوسف راحيل ، عمارة سلامة ، هاتف ٢٤٩١ ، ص.ب. ٣٦

شركة محمد بن ساسي اجدير

الجمهورية العربية الليبية - طرابلس

شركة مقاولات

توكيلات فيليس

الجمهورية العربية الليبية - طرابلس

مؤسسة الحاج محمد مصطفى الشيباني

طرابلس ص.ب ٦٢٦



la Renault 4

شركة انفا - رينو - ج.ع.ل. - ليمتد - طريق السواقي لدم
الجمهورية العربية الليبية - طرابلس

عبد الحميد الورفلي

شارع امحمد المقريف - عمارة طاطاناكي - الدور الثالث

ص.ب ٣٧ - هاتف ٣٢٣٤١ - ٣٤٤٥٧

سجل تجاري : ١٩٤٩ - العنوان التلغرافي : (الورفلي) طرابلس

طرابلس - الجمهورية العربية الليبية

مقالات عامة - توكيلات تجارية - ومواد البناء

بمناسبة عيد الاضحى المبارك يتقدم جميع العاملين بشركة
الواحات الليبية للنفط (اويزيس) بأجمل التهاني واطيب التمنيات
الى الاخوة رؤيس واعضاء مجلس قيادة الثورة والشعب العربي
الليبي العظيم وكافة الشعوب العربية والاسلامية آملين من الله ان
يعيده على الجميع باليمن والخير والبركات .

شركة الواحات الليبية للنفط (اويزيس)

الجمهورية العربية الليبية - طرابلس ، شارع عمر المختار

هاتف - ٣١١١٦ - ص.ب ٣٩٥

بمناسبة عيد الاضحى المبارك

يتقدم جميع العاملين في الشركة الوطنية للادوية
في الجمهورية العربية الليبية

بأجمل التهاني واطيب التمنيات الى الاخوة رئيس واعضاء مجلس قيادة
الثورة والشعب العربي الليبي العظيم وكافة الشعوب العربية والاسلامية
آملين من الله ان يعيده على الجميع باليمن والخير والبركات .

الشركة الوطنية للادوية

الجمهورية العربية الليبية - طرابلس

شارع جلال بيار رقم ٢٠

هاتف ٤٤٥٢٤ - ص.ب ٢٢٩٦

النهضة المعمارية

أخوان السوس وشريكهما - شركة بمسؤولية محدودة

طرابلس

الجمهورية العربية الليبية

هندسة وتعهّدات عامة

طرق ، ابنىة وجميع الاشغال الهندسية

توريد وتصدير

سجل تجاري ٧٠٦

عمارة طاطاناكي - الطابق الثالث - طرابلس

هاتف ٣٣١١٦ - ص.ب ٣٠٩

برقيا - سوس طرابلس

شركة الصابون والمواد الكيماوية

تأسست شركة الصابون والمواد الكيماوية عام ١٩٦٢ م كشركة وطنية .
يوجد مصنعان تابعان للشركة . . مصنع لصناعة المنظفات التركيبية
مسحوق الصابون (تايد) والآخر لصناعة صابون الرائحة .

تبلغ طاقة مصنع المنظفات التركيبية حوالي ٤ الاف طن سنويا .
جهز المصنع بأحدث الآلات التي تعمل تقنيا ويدير المصنع مجموعة من
أكفأ الفنيين والخبراء الوطنيين الذين أرسل عدد كبير منهم في بعثات للتدريب
بالخارج .

يبلغ رأسمال الشركة ٤٠٠ الف دينار ليبي ويبلغ عدد المساهمين ٣٥٠
مساهما .

يقوم المصنع بصناعة صابون التايد تصنيعا محليا ١٠٠ ٪ بأيدي وطنية .
يبلغ عدد العاملين بالمصنع (٧٥) عاملا واداريا .
تدار الشركة بواسطة مجلس ادارة وجمعية عمومية .

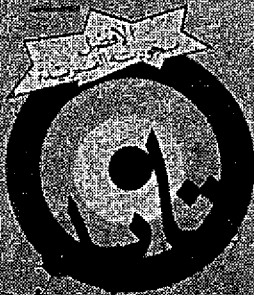
كانت الشركة في مقدمة الشركات التي قامت بتوزيع نسبة من الأرباح
على العاملين وبلغ نصيب العاملين من الأرباح نقدا (٢١) الف دينار ليبي مما
ساعد على اقبال كثير منهم على شراء أسهم بالشركة عندما طرحت أسهم جديدة
وكان للعمال أولوية في الحصول على هذه الاسهم بقيمتها الاصلية تشجيعا لهم .

يتمتع العاملون بالمصنع بالرعاية الصحية والاجتماعية والتعليمية .
يتمتع المصنع برعاية الدولة وتشجيع وزارة الصناعة .

تتجه النية الى توسيع المصنع لزيادة الطاقة الانتاجية على مراحل كما
تجري الاستعدادات لإعادة تشغيل مصنع صابون الرائحة لسد حاجة البلاد .
وتقوم وزارة الصناعة بتذليل كافة العقبات حتى يتم إعادة تشغيل هذا
المصنع .

يلاقي انتاج الشركة صابون (التايد) اقبالا منقطع النظير في الاسواق
ويغطي الانتاج كافة انحاء الجمهورية .

لأنظف غسيل
وأنصع بياض



تأيد بجودة القريبة يظيكن شينلا في مسهي النظافة والبياض

تأيد

المغسل باليد

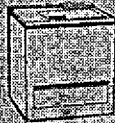
استعملين كمية قليلة من
تأيد للحصول على نتيجة أفضل
تأيد زرع بيضاء ونظيفة
أفضل غسيل لتأيد وتسهيل



تأيد

المغسل بالمشالات

تأيد في غسيل أفضل غسيل في
المشالات الكهربائية تأيد
للخلاء والمغسلات أفضل نتائج
كما أنها تأيد لغسل عميقة وتز
وأيضا طراوت غسيل



للحصول على أفضل النتائج

إتبع هذه التعليمات البسيطة:

- واوليت استعملت في الشتاء
- يتم صبر في الشتاء في الحصول
- أفضل النتائج في الماء الساخن
- الشتاء المشحة
- الشتاء المشحة جدا
- الشتاء ذات الألوان غير الناصبة
- تلي الأركان المشحة جدا بالماء
- ورتج عليها الغسيل من تأيد
- ثم اغسليها في الماء أو غسالة
- غسل بمسحوق في الماء الساخن
- الشتاء ذات الألوان غير الناصبة

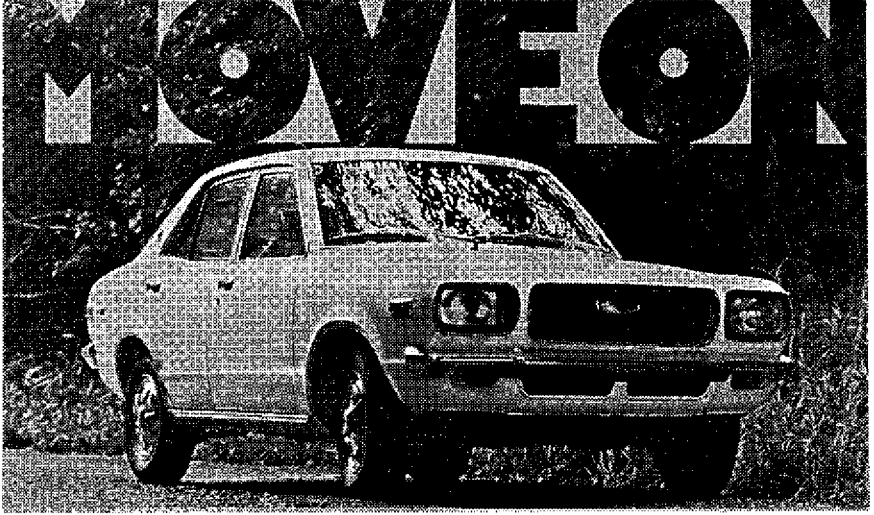


صنع في ج. ا. ل. مصنع شركة الصابون والمواد الكيماوية ش. ا. ل. طابعا الموصفات برونكس. ا. ل. ج. ا. ل.

شركة الصابون والمواد الكيماوية

الجمهورية العربية الليبية - طرابلس

هاتف ٣٦٧٩٤ - ص. ب ٢٣٠٤



ابو بكر عثمان القاجيجي

الجمهورية العربية الليبية - طرابلس ، هاتف ٣٤٩٧٤ ص.ب ٥٣٠

وكيل عام سيارات مازدا



ابو بكر عثمان القاجيجي

الجمهورية العربية الليبية - طرابلس ، هاتف ٣٤٩٧٤ ص.ب ٥٣٠

وكيل عام سيارات مازدا

مصنع النهضة الزراعية للمعلبات الغذائية

الهادي المجراب

شركة توصية بسيطة

هاتف طرابلس ٣٢٩٧٨ - الزاوية ٢٣٢٤٩

ص.ب ٤٤٥ - برقا « المجراب »

طرابلس - ليبيا

مصانع الكبريت الليبية

الهادي المجراب

طرابلس الغرب - ليبيا

المصنع والمكتب : طريق السواني منعطف الهضبة الخضراء (مزرعة فرغور)

ص.ب ٤٤٥ - هاتف ٣٢٩٧٨ ، برقا : « المجراب »

بمناسبة عيد الاضحى المبارك

الاخ الهادي المجراب والعاملون في مصانع
الكبريت الليبية ومصنع النهضة الزراعية
للمعلبات الغذائية يقدمون اجمل التهاني
للاخوة رئيس واعضاء مجلس قيادة الثورة
في الجمهورية العربية الليبية ويتمنون
للشعب العربي الليبي العظيم وللشعب
العربي والاسلامي ان يعيد الله هذه المناسبة
عليهم باليمن والخير والبركات .

شركة المهاري للتجارة

شركة توصية بسيطة

رمضان محمود البكوش وشريكه

عمارة متشل كوتس (سابقا) شارع سيدي عيسى

المكتب الرئيسي ٣١١٧١ (٥ خطوط) - المخزن ٣٧٣٦٠ - الورشة ٣٣٨٥٧

رقم الغرفة التجارية ١٤٤٤٠ - رقم السجل التجاري ٣٢٩٦

صندوق البريد ٢٣٦١ - برقا : الرام طرابلس - ليبيا

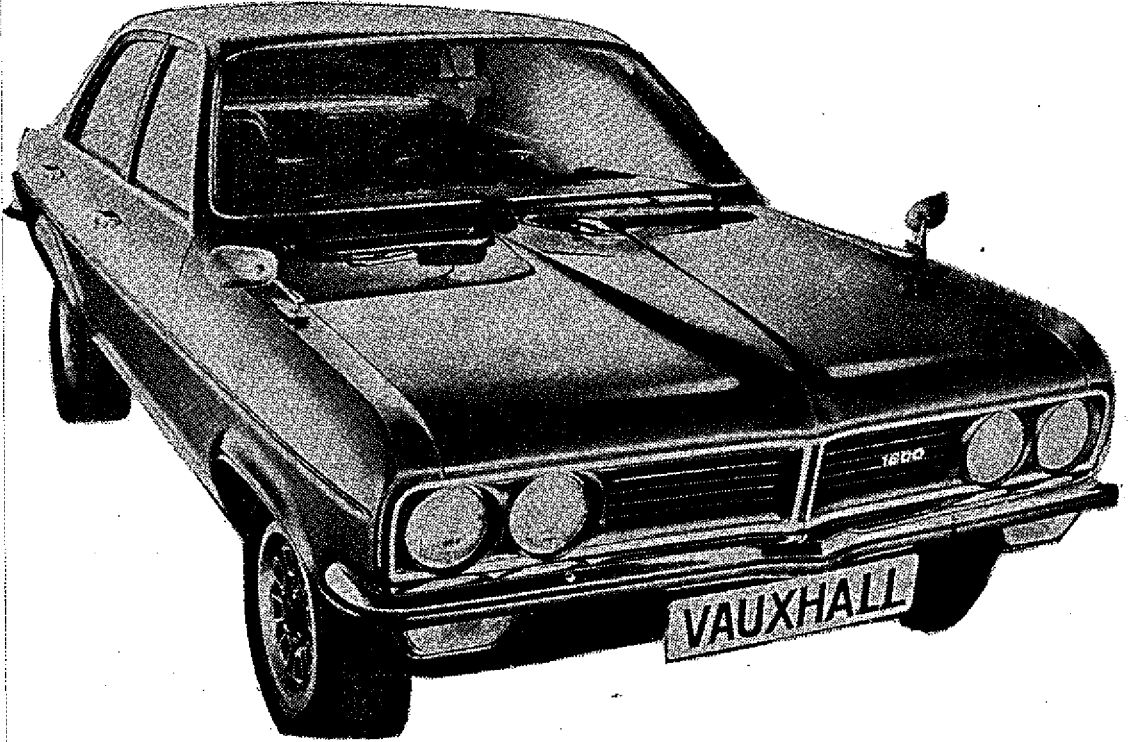
● سيارات الشحن « بيدفورد »

● سيارات فكهول الانجليزية

● الزويا الحديدية ديكسون

● مضخات ملفيت السويدية الفاوسة

● خلاطات وونايت بنفورد



✳ فكهول فنتودا

« - اكس ٤/٩٠ »

« فيكتور »

« فيفا سالون واستيت »

« المزيد من فيفا ماقتنم »

ميشلان

ZX

محمد بوزد

اطارات ميشلان

المركز طرابلس :

شارع عمر المختار ٣٤٤

هاتف ٣٠٩٤٥/٣٣٢٠٢

صندوق البريد ٤٢٠٥/٢٣٢

الفرع بنغازي : ميدان طوسون

هاتف ٩٤٤٨٩/٩٢٢٧٢

صندوق البريد ٢٦٦

MOHAMED BUZER

Michelin Tyres

OFFICE : Tripoli O. Mukhtar

Street 344

Tel. 33202-30945

P.O.Box 232 - 4205

BRANCH : Benghazi

Maidan Toson

Tel. 94489 - 92272 -P.O.Box 266



شركة البريقة لتسويق النفط

تهنىء الاخوة رئيس واعضاء مجلس قيادة الثورة الليبية بمناسبة حلول

عيد الاضحى المبارك

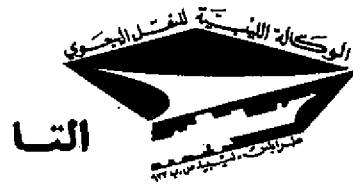
اعاده الله على الامة العربية والاسلامية بالخير والبركة والنصر المبين

شركة البريقة لتسويق النفط - ش.م.ل.

الجمهورية العربية الليبية - طرابلس

هاتف ٣٠٠١٤ - ٣٠٠١٩

ص.ب ٤٠٢



الوكالة الليبية للنقل الجوي

مؤسسة سنة ١٩٥٣ سجل تجاري ٤٠٠

AGENCE LIBYENNE DE TRANSPORTS AERIENS
FONDEE 1953 — ENREGISTREE R.C. No. 400

المكتب الرئيسية : ١٢٤ - ١٢٦ شارع امحمد المقريرف ص.ب. ٩٧٧
الهاتف : ٣٢٩٩ - ٣٥٩٩٠ - ٣٧٥٠٠ - ٣٥٦٨٦
طرابلس ، ليبيا - مطار طرابلس الدولي برقا « التا »
الفرع : ١٠ شارع الفتح - ص.ب. ٢٤٩٠
الهاتف ٤٤٦٤ - ٤٩٤٣
بنغازي ، ليبيا - مطار بنينة الهاتف ٢٧ - ٦٩ برقا « التا »

وكلاء عموميون

الخطوط الجوية الالمانية لوفتهانزا

الخطوط الجوية الجزائرية

السعودية

الخطوط الملكية المغربية

مؤسسة عاليه

الخطوط الجوية الملكية الاردنية

شركة الطيران العربية السورية

الخطوط الجوية السودانية

الخطوط الجوية البلغارية

بلكان اير - بوليس

الخطوط الجوية التشيكوسلوفاكية

شركة الاسمنت ومواد البناء الوطنية



شركة مساهمة ليبية
شارع هايتي ٢١ - ص.ب ٨٦٢
هاتف ٣٩.٤٦
طرابلس - ج.ع.ل

النشاط الرئيسي للشركة للصناعة والتجارة في الاسمنت ومواد البناء

- ١ - انشاء مصنع الاسمنت التابع للشركة بمنطقة رأس المرقب على بعد خمسة كيلومترات من مدينة الخمس وبدأ الانتاج في ابريل ١٩٦٩ .
- ٢ - الطاقة الانتاجية للمصنع (١٠٠ .٠٠٠) طن كلنكر سنويا (٣٣٠ طن يوميا) .
- ٣ - الاسمنت المنتج مطابق لمواصفات الاسمنت البورتلاندى وفقا للمواصفات البريطانية ب س/٥٨١٢ والمصنع مصمم ومعد على أحدث النظم العالمية في صناعة الاسمنت ويعمل بالطريقة الجافة .
- ٤ - افتتح الخط الثاني للانتاج في الفاتح من سبتمبر ١٩٧٤ بطاقة انتاجية (٣٣٠ .٠٠٠ طن سنويا) (١٠٠٠ طن يوميا) .
- ٥ - تملك الشركة مصنعا للجبس بطريق السوانى بطرابلس ، كما تدير وتستغل محاجر الجبس بمنطقة بئر الغنم (٩٠ كم جنوبي طرابلس) .
- ٦ - رأس مال الشركة حوالى اثني عشر مليون دينار ليثي شاملة استثمارات الخط الثاني للانتاج .
- ٧ - العاملون حاليا بالشركة : (٢٢٧ وطنيون) و (٢٨ عرب) و (١٠ أجنب) وسوف يزداد العدد خلال الايام القليلة القادمة .
- ٨ - تساهم الشركة في مشاريع التنمية العمرانية بالبلاد سواء بتوفير مادتي الاسمنت والجبس المنتج محليا ، أو عن طريق استيراد كميات كبيرة من الاسمنت وبيعها بأسعار مناسبة ، وقد تماقدت الشركة على انشاء صوامع الاسمنت السائب الذي يعبأ تلقائيا وسوف ينجز المشروع وتباشر الشركة عمليات التسويق في أول ديسمبر ١٩٧٤ .

شركة احمد الحاج علي المحمودي

الجمهورية العربية الليبية

طرابلس - هاتف ٣٧٤٣٧

ص.ب ١٠٢٤

مقاولات عامة

شعبان ومختار الكشييك

الشركة العامة للتجارة والمقاولات

٣١٠ « ١ » جادة عمر المختار - هاتف ٣٦٢٤٠

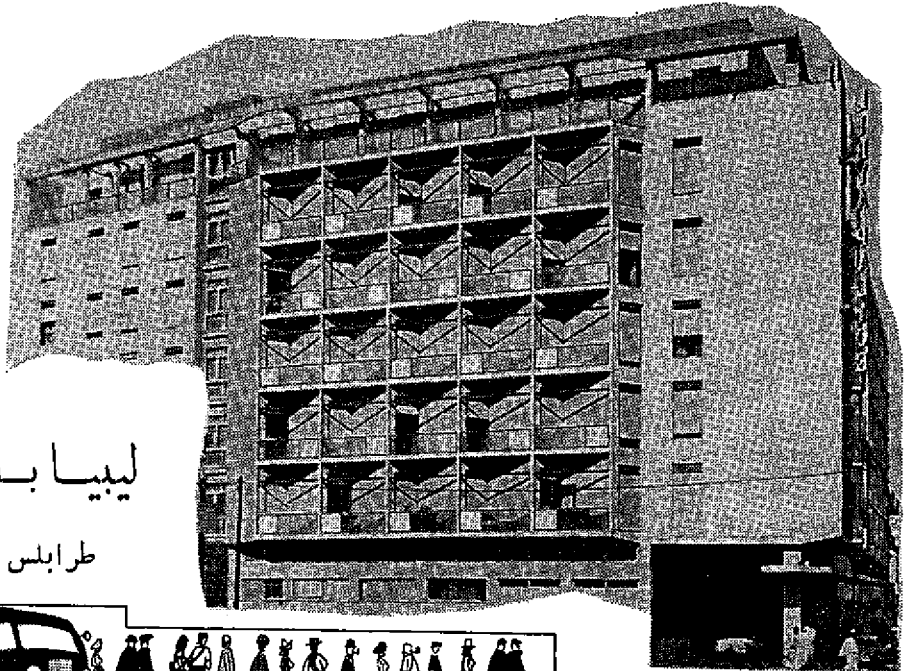
ص.ب ٢٢٣٣ - برقايا : الكشييك - طرابلس

الجمهورية العربية الليبية

موقع ممتاز في قلب المدينة
على أحدث طراز...
حجرات أنيقة التأثيث
ومجهزة بتليفون وب
حمام... صالون فسج.
بار أمريكي... صا
تلفزيون... مطف
عالمي... موقف سيارات
تكييف هواء...
كل ذلك تجدونه في :

لييا بلاس هوتيل

طرابلس ليبيا ت : ٣١١٨١



ليبيا للملاحة المحدودة

(سابقا ليبيا مار)

وكالة بحرية - مناولة - سفريات - تأمين

السجل التجاري رقم ٢١٩٩ طرابلس

هاتف : ٣٠٠٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٧

العنوان البرقي : ليبيا مار

شارع سيدي عيسى

ص . ب ٤٤٥٢

طرابلس - ليبيا

الفروع :

- بنغازي ، ص.ب ٢٠٢ ، هاتف ٩٢٠٢٣ (٣ خطوط)

- طبرق ، ص.ب ٣ ، هاتف ٢٣٦٧

NCTV

الشركة الوطنية للتجارة والآليات

**The National Company
For Trade
& Vehicles**

الاولى في تجارة مواد البناء

- اسمنت
- اخشاب
- رخام
- حديد تسليح وصفائح
- انابيب صلب
- ادوات صحية وملحقاتها
- صفائح وانابيب اسمنتية
- بلاط ارض وبلاط جدران
- تصنيع البلاط ٢٥ x ٢٥ محليا
- جبر

وغيرها من مواد البناء الاخرى

بنغازي - هاتف ٩١٥٠١ برقيا : الشركة ص.ب ٣٠٤٨

العنوان : ص.ب ٣٠٤٨ - بنغازي - ليبيا

المصارف : مصرف الوحدة

طرابلس : هاتف ٣١٩٩٤ - ٣٣٧٥٩ - ٤١٦٦٢

العنوان : ص.ب ٢١٧ طرابلس - ليبيا

المصارف : مصرف الامة - المصرف الوطني للتجارة - مصرف الوحدة ومصرف

الجمهورية برقيا : اللجنة



شركة الحفر الوطنية ش.م.ل.

المكتب الرئيسي طرابلس

ص.ب ١٤٥٤ ، هاتف ٣٣٣٧٧ ، تيلكس ٦١٥٠٨ ، العنوان البرقي : استثمار

سجل تجاري ٦٦٦٣

مكتب بنغازي :

ص.ب ٢١٤٠ ، هاتف ٦٨٧٥ ، سجل تجاري ٤٥١٣

الجمهورية العربية الليبية

شركة الحفر الوطنية

اعلان توظيف

يسر شركة الحفر الوطنية ان تعلن عن شغل بعض الوظائف الفنية بملакها .
شروط القبول :

- (١) ان تتوفر في المتقدم الشروط المبينة قرين كل وظيفة .
- (٢) ان يقبل العمل في اي مكان بالجمهورية العربية الليبية .
- (٣) ان يتقن اللغة الانجليزية بجانب لغته الاصلية .
- (٤) المرتب والعلاوات حسب المؤهل والخبرة .
- (٥) ترسل الطلبات الى مقر الشركة الرئيسي بطرابلس .

ص.ب. ١٤٥٤ طرابلس - الجمهورية العربية الليبية

مدير عمليات عدد واحد (١)

يجب أن يكون خريج في مجال هندسة الحفر أو الجيولوجيا أو الهندسة الجيولوجية ويكون قد تقلد منصب قيادي في مجال الحفر لمدة لا تقل عن ٥ سنوات وله خبرة بمجال حفر آبار النفط وما يتعلق بها لا تقل على ١٥ - ٢٠ سنة - يجب أن تكون له خبرة في التخطيط والاعداد لعمليات الحفر وكذلك له شخصية تساعد في حل المشاكل مع الآخرين وان يعمل على وضع برامج تدريبية للفنيين الوطنيين - وله خبرة ليست بالقصيرة بالاعمال الإدارية اليومية وان يتقن اللغة الانجليزية كتابة وقراءة ومحادثة بجانب اللغة العربية ويفضل من يتقن لغة اخرى .

مشرف حفر عدد اثنين (٢)

يجب أن يكون حاصل على مؤهل جامعي في هندسة الحفر وله خبرة لا تقل عن (١٠) سنوات في مجال حفر آبار النفط وله خبرة في الاشراف على جهاز الحفر والاعداد للعمليات واعطاء الاوامر والنصيحة عند الطلب ويعمل على تدريب العناصر الفنية - يجب ان يكون يتقن اللغة الانجليزية قراءة وكتابة ومحادثة الى جانب اللغة العربية ويفضل من يتقن لغة اخرى .

مشرف حفارة عدد خمسة (٥)

يجب ان يكون خريج جامعة او معهد فني راقى وان تكون له خبرة لا تقل عن (١٠) سنوات في مجال حفر آبار النفط والاشراف الكامل على الحفارة والمستخدمين وله خبرة في اعداد جداول المناوبة للفرق والعمل على مضاعفة الانتاج وتدريب العناصر الوطنية ويتقن اللغة الانجليزية قراءة وكتابة ومحادثة الى جانب اللغة العربية ويفضل من يتقن اي لغة اخرى .

مساعد رئيس حفارة Tool Pusher عدد (١٠)

يجب ان يكون حاصل على مؤهل فني جامعي او معهد راقى ، كما يجب ان تكون له خبرة في مجال حفر آبار النفط لا تقل عن ٥ سنوات ويتقن اللغة الانجليزية الى جانب العربية .

حفارين عدد خمسة عشر (١٥)

يجب ان يكون حاصل على مؤهل فني وله خبرة في مجال حفر آبار النفط لا تقل عن (٥) سنوات كحفار ويتكلم اللغة الانجليزية الى جانب العربية .

رئيس ميكانيكيين عدد خمسة (٥)

يجب ان يكون حاصل على مؤهل من معهد فني وله خبرة في اصلاح الحفارات وجميع الاعمال الميكانيكية المتعلقة بها كما يجب ان يقوم بالتنسيق بين الميكانيكيين العاملين بالحفارة او الحفارات بالمنطقة ويقوم بتدريب العناصر الوطنية في مجال عمله .

خبير مواد Material Man عدد (1)

يجب ان يكون مؤهل من معهد فني وتكون له خبرة بأعمال المخازن وطلب واصدار المعدات وطريقة تخزينها وكذلك عمليات جرد المواد وحفظ كروت لها وتكون خبرته لا تقل عن (٥) سنوات في هذا المجال ، كما يقوم بتدريب العناصر الوطنية على هذا العمل يجب ان يتقن اللغة الانجليزية قراءة وكتابة ومحادثة بدرجة ممتازة بجانب اللغة العربية ويفضل من له المام بلغة اجنبية اخرى .

مخزنجي عدد (1) Warehouse Man

يجب ان يكون مؤهل فنيا وله خبرة في اعداد وتخزين واصدار المواد واعداد بطاقات صرف واستلام لها وله معرفة كافية بأعمال الجرد وتصنيف المواد ويتبع البرنامج المد من قبل الشركة والخاص بالمعدات والمخازن وتكون له خبرة لا تقل عن خمسة سنوات في مجال عمله .

مهندس ميكانيكي عدد واحد (1)

يجب ان يكون خريج كلية هندسة قسم ميكانيكا وله خبرة وفهم باعداد مخطط وبرامج لاصلاح الحفارات والقيام باعداد الحفارات للعمل واعداد برنامج لتدريب العناصر الليبية .

كهربائيين عدد (٥)

يجب ان يكون حاصل على مؤهل فني وله خبرة لا تقل عن (٥) سنوات في اصلاح واعداد المحركات والكهرباء الخاصة بالحفارات واجراء الاعمال الخاصة بالمحولات وما يتعلق بالكهرباء سواء بالحفارة او المسكر .

مهندس طينة عدد (٣) Mud Engineers

يجب ان يكون خريج هندسة بترولية او حفر او قسم جيولوجيا وله خبرة طويلة في اعداد طينة الحفر وعمليات حفر آبار النفط لمدة طويلة .

مؤسسات ابراهيم حافظ للتجارة والمقاولات

مقاولات عامة

- وكلاء اجفسا (المانيا وبلجيكا)
- وكلاء شركة كرايزلر بانجلترا
- وكلاء شركات الطيران العالمية
- مصنع رخام واعمال التجارة
- تجارة مواد البناء

طرابلس : ٥ شارع محمد رشيد رضا - طريق السواني كم ٤١/٢
- طريق السواني كم ٢١/٢

هاتف ٣٠١٤٩ - ٤١٠٨٠ - ٣٠٦٧٥

ص.ب ٥٨٢

بنغازي : شارع جمال عبد الناصر

شركة سيدي ابو عرقوب

الجمهورية العربية الليبية - طرابلس

هاتف ٣٦٠٣٧ - ص.ب ٩٣٦

للصناعة والتجارة

مؤسسة قدح الصناعة

مؤسسة قدح الصناعة رائدة الصناعة الوطنية في الجمهورية العربية
الليبية . انتاج متعدد لمصانع الصابون ومستحضرات التجميل (البرسيل -
الديكسان - الشمس - مستحضرات الصباح للتجميل) - البسكوييت -
الكراميلات والساكار والحلوى الشامية - الكراسات والورق .

مؤسسة قدح الصناعة

الجمهورية العربية الليبية - طرابلس

شارع عمر المختار - هاتف ٣٥٢٢ - ٣٤٩٩٣

ص.ب ٨٠٥ - برقايا : لونا

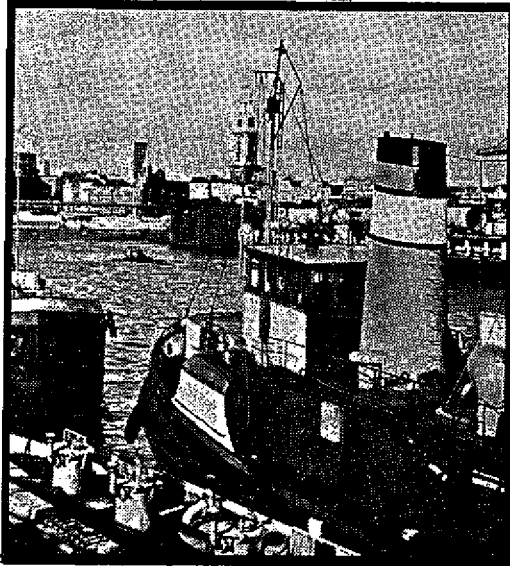
الحاج عبد الله الهمالي

الجمهورية العربية الليبية - طرابلس

شارع بن غشير - هاتف ٣٦٠٣٦ ، ص.ب ٩٣٦

مقالات عامة

التأمين ضد الحريق



التأمين البحري حصن أمان للتجارة البحرية

وسيلة لتحقيق الحماية
الأكيدة والطمأنينة

حماية الأسرة ومسكنها



وثيقة تأمين فريدة من نوعها

القسيادة... فن... وذوق
وأخلاق

ضد أخطار عديدة بأسعار زهيدة

الصوائد الشخصية

الحسريق

السطو

أخف السائق

لأنه ينفذات لتأخذ الشيخ أو غيره في الطريق العام
لأنك مركبتك على الأرصفة يوجه يمين حركة المرور
أترك مسافة كافية بينك وبين السيارة المتقدمة
حزام الأمان يقيدك من الإسقاط

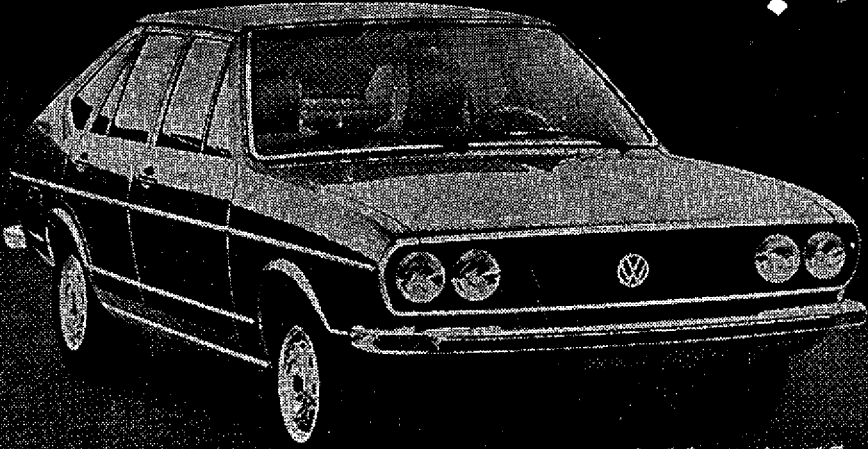
تذكر
إيّنك
عند الإقتراب
من إبنّي

■ فرع مسقط 564	■ الفرع الرئيسي ص.ب. 1170، عمّان 1109
■ فرع جدة 837	■ فرع بنغازي 9005 / 9006
■ فرع القاهرة 20165	■ فرع مسقط 1270

شركة التأمين
نار للتأمين

عناك ومعهما الشركة منشرون في مناطق أنحاء الجمهورية

باسات



الوقت الذي تقضيه في سيارتك يعادل ما تقضيه في منزلك !!

إنك في منزلك تتمتع بالراحة من جميع نواحيها لأننا متوفرة لك وكذلك فإننا متوفرة في السيارة الفولكس واجه باسات السيارة البامان فولكس واجه تممتاز باسات في الداخل وبمقاعدها الوشيرة وفرشها الأرضي من السجاد لا تتعد بالحرصيناً ولا بالبرد شتاءً أو بأجهزة التكيف فطريك الجوالذي تممتازة

شركة الرحلة المحدودة

هاتف ٣٨٤٤٠ / ٣٧٤٨
هاتف ٩٤٤٣٧
هاتف ٨٧١٨٥، ٨٧١٨٤، ٨٧١٨٣

طرابلس : صالة العرض : شارع محمد المقرئ
بنغازي : صالة العرض : شارع عبد القاسم رياض
وظليوح طرابلس .



تقدم

جولف

شركة

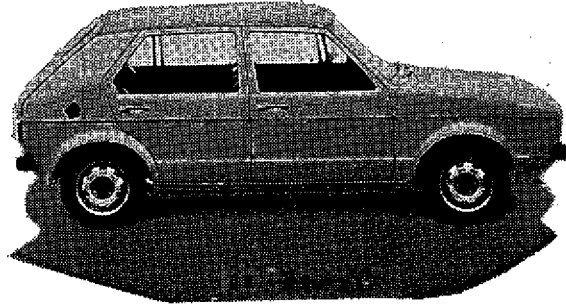
الراجلة

المحدودة

طرابلس - ليبيا

الانتاج الجديد للفولكس واجن

تجمع بين
الاقتصاد
والتانة
والأناقة



مريحة وممتعة في كل شيء :

- في القيادة
- في نقل ما تريده من عفش
- في اصطحابك للأسرة
- في الشكل والجوهر

ومميزاتها عديدة أهمها :

- محرك رياضي متين اربعة سلندر بقوة ٥٠ حصان ، ٧٠ حصان
- استهلاكها من البنزين قليل للغاية ٨ لتر للمحرك قوة ٥٠ حصان ، ٨٥ لتر للمحرك قوة ٧٠ حصان
- حجم غرفة العفش ٣٥٠ لتر ويمكن زيادته للضعف بشني الكرسي الخلفي .

أليست السيارة « جولف » كما قلنا متعة في كل شيء !!

للاستعلام والإحجز : طرابلس شارع محمد المقرين هـ/٣٨٢٤٠

وبنغازي شارع عبد المنعم رياض وطريق طرابلس هـ/٩٤٤٣٧



شركة ليبيا للتأمين

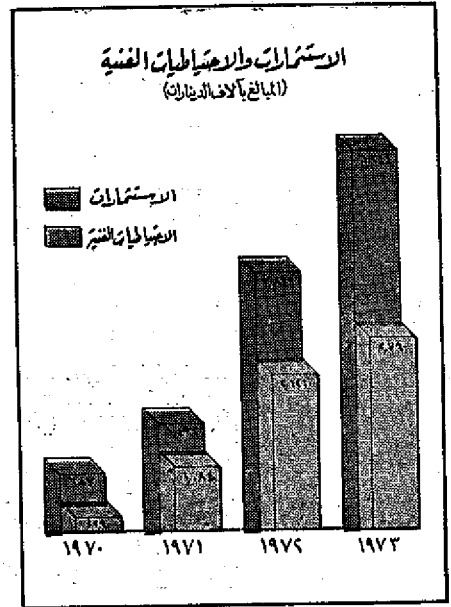
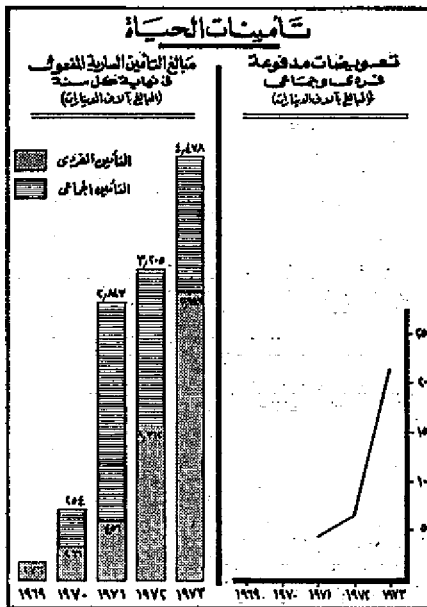
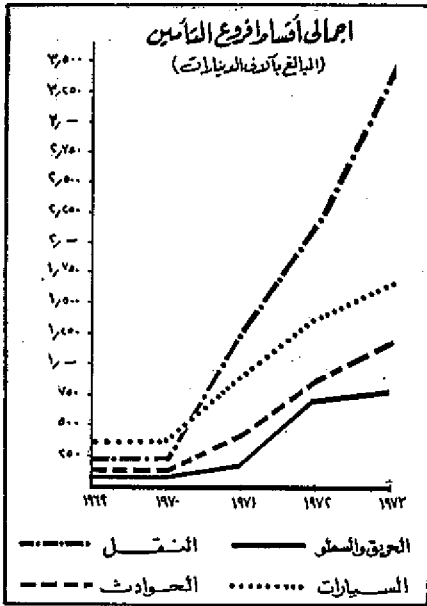
شركة مساهمة ليبية

خاضعة لأحكام القانون رقم ١٣٦ لسنة ١٩٧٠

س. ت. ٢٧٦٨

تأسست في ١٩٦٤

رأس المال المدفوع ٢٥٠.٠٠٠ دينار



الفروع الأخرى :

طرابلس	الميدان
ص.ب. ١٠٨	سبها
ص.ب. ٦٤٥	مصراتة
ص.ب. ٤٨٦	دونة
ص.ب. ٢٦٧	غريان

فروع بنغازي :

عمارة التحرير
شارع عمر المختار - بنغازي
هاتف ٩٥١٣٢ (ثلاثة خطوط)

لمركز الرئيسي :

عمارة أسامة
شارع اول سبتمبر - طرابلس
تلف ٤٤١٧٤ - (خمسة خطوط)
لعنوان البرقي : ليبشور - طرابلس

تنتج بمشروبات زمر البورتقالك الطبيعى

الشركة الأهلية للمشروبات الغازية

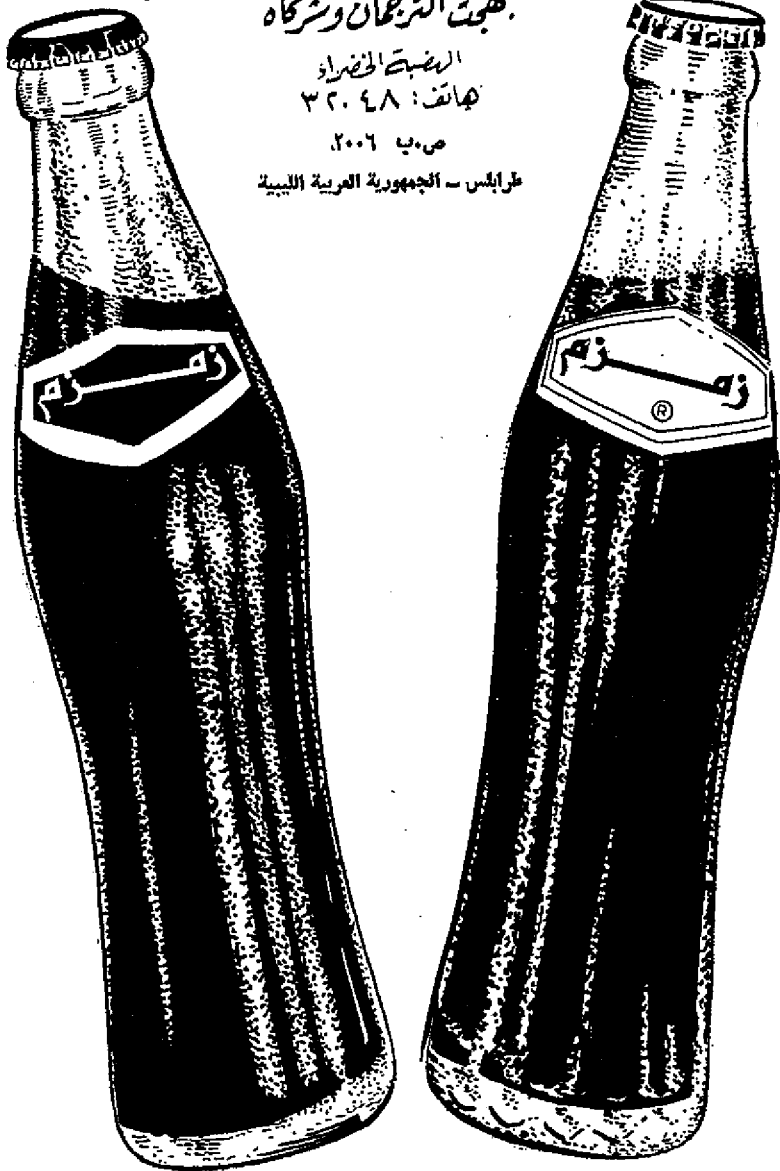
بجيت الترحمان وشركاه

الرضية الحضرة

تلفون: ٤٨٠٢٢

ص.ب. ٢٠٠٦

طرابلس - الجمهورية العربية الليبية



زمر المثلج تهى منعش ولى المنفرد



الشركة العامة لحفر آبار المياه

ش.م.ل.

تأسست بموجب قانون رقم ١٠٠

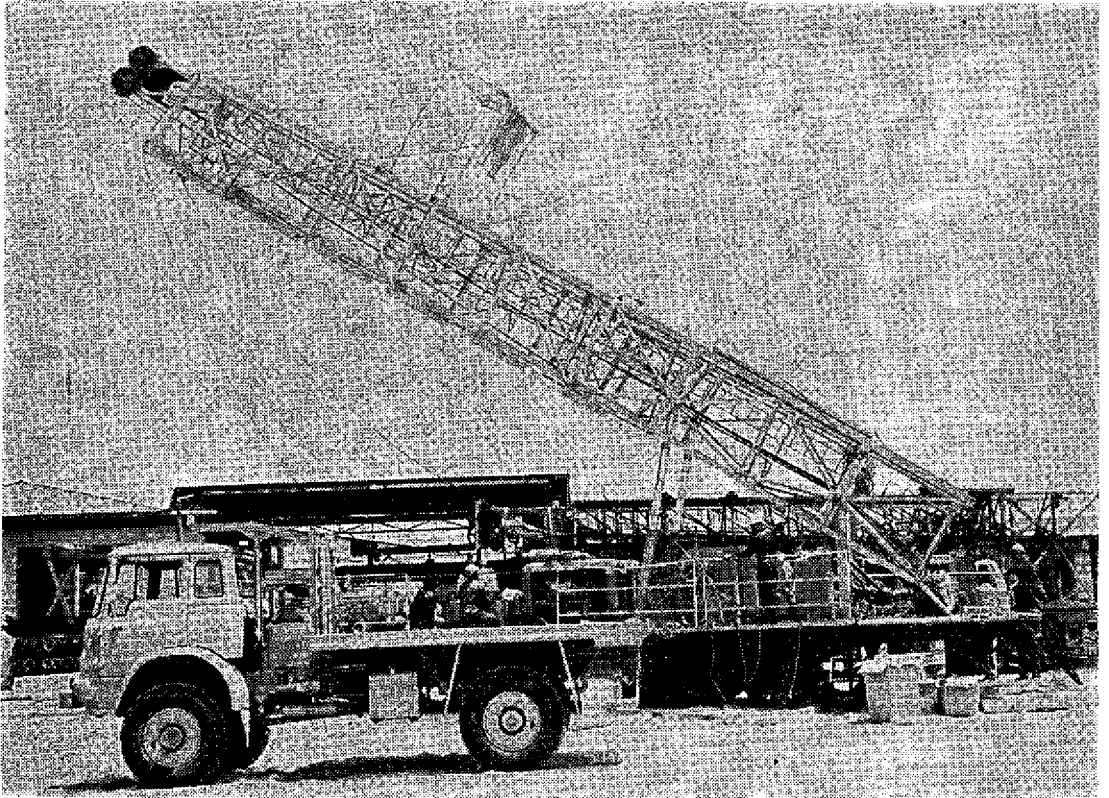
لعام ١٩٧١

براسمال ٣ مليون دينار

تقوم الشركة بحفر وتعميق وصيانة آبار المياه على مختلف الاعماق

للقطاعين العام والخاص

طرابلس - طريق السواني كم ١١/٢

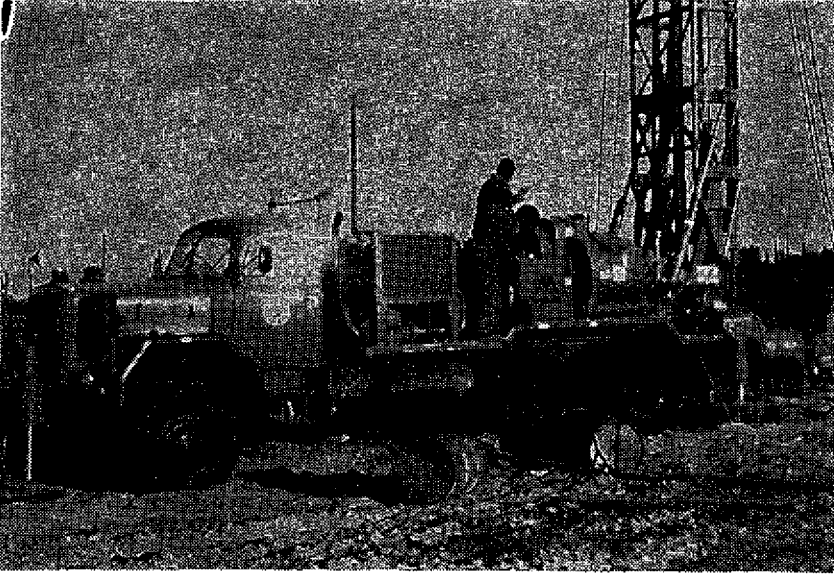


احدى آلات الشركة الحديثة (ميهيو ٢٠٠٠) التي تستطيع ان تصل الى عمق ١٦٠٠ متر

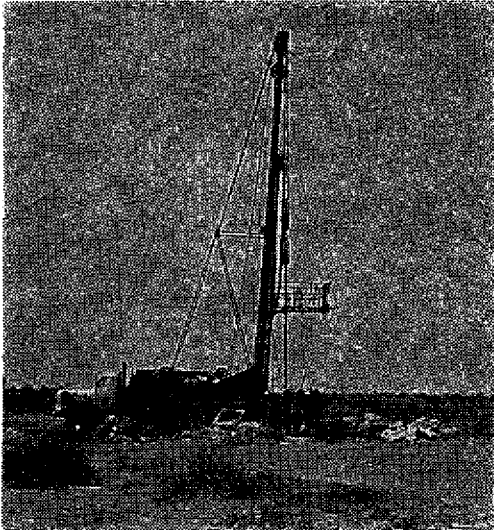


الشركة العامة لحفر آبار المياه -
ش.م.ل. ، تأسست بموجب قانون رقم
١٠٠ لعام ١٩٧١ برأسمال ٣ مليون دينار.
تقوم الشركة بحفر وتعميق وصيانة آبار
المياه على مختلف الاعماق - للقطاعين العام
والخاص .

طرابلس - طريق السواني كم ١١/٢



احدى الآلات (مسارتين سوبر) ذات المدى المتوسط تصل الى عمق ٥٠٠ متر .



احد الآلات (مارين) ذات المدى
المتوسط تعمل بطريقتين : الخبط
والرص ، تصل الى عمق ٤٥٠ متر .

شركة الصحارى للسيارات ش.م.ل.

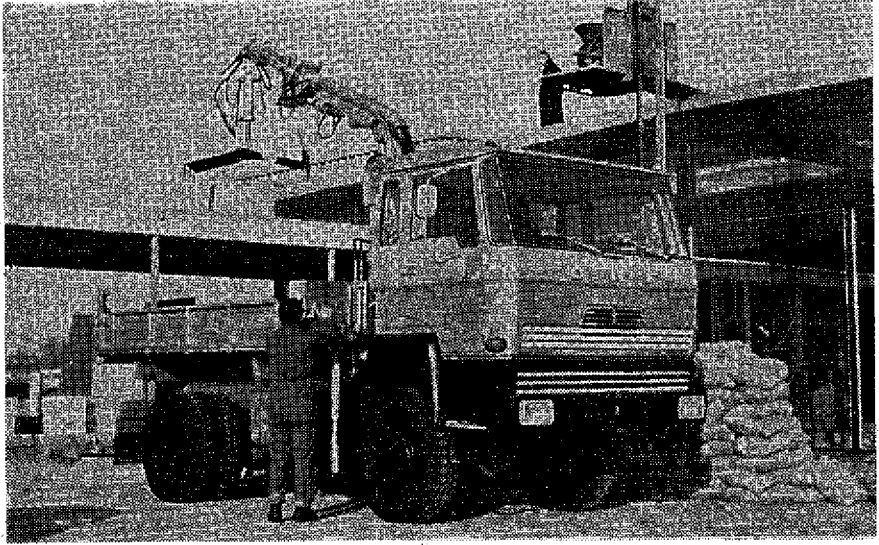
وكلاء شركة داف الهولندية

المكتب : ٣٨ رواق الاستقلال - هاتف ٣٦١٦٠

الورشة : ٨ شارع المطر - زاوية الدهماني - هاتف ٣٥٥٣٨

برقيا : صحاروتو - طرابلس - ليبيا

تقدم أجمل التهاني للأخوة رئيس وأعضاء مجلس قيادة الثورة في الجمهورية العربية الليبية بمناسبة عيد الاضحى المبارك . كما تتمنى للشعب الليبي العظيم وللشعب العربي والاسلامي أن يعيد الله عليهم هذه المناسبة بالخير واليمن والبركات .



تمتاز هذه الشاحنات بجودتها ومتانتها وقدرتها على تحمل البيئة في الجمهورية العربية الليبية . كما توجد ورشة مخصصة لصيانة واصلاح السيارات تديرها عناصر عربية ليبية فنية مدربة .

محمد النابض

الجمهورية العربية الليبية - طرابلس
شارع امحمد المقريف - عمارة طاطاناكي

تجارة ومقاولات عامة



النهضة الليبية

لصاحبها محمد ابو بكر المجريس
الوكلاء الوحيدون في ليبيا لسيارات مرسيدس بنز
طرابلس - شارع البرغوثي ، ص.ب ٢٨٨ ، هاتف ٣٠٥٦١
الجمهورية العربية الليبية

قضايا اسرائيلية

ملف يعنى بالشؤون الاسرائيلية والصهيونية

يصدر مرة كل اسبوعين ، ابتداء من اول تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤

« قضايا اسرائيلية » ملف اخباري تحليلي ، يتابع الشؤون الاسرائيلية والصهيونية ، الداخلية والخارجية ، مع امتداداتها وابعادها داخل اسرائيل ودخل الحركة الصهيونية ، وفي العلاقات بين اسرائيل ودول العالم ، وتأثير كل ذلك على الصراع العربي الاسرائيلي .

« قضايا اسرائيلية » يقدمه قسم الدراسات الاسرائيلية والصهيونية في مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية، من خلال متابعته لكل ما يصدر في اسرائيل من صحف يومية ومجلات ودوريات متخصصة ونشرات وكتب، باللغة العبرية او بغيرها ، وما تبثه الاذاعة الاسرائيلية من اخبار وبرامج ، وكذلك ما يصدر خارج اسرائيل وله علاقة بالشؤون التي يهتم هذا الملف بمعالجتها .

تقرأ في العدد الخامس :

اسرائيل تعارض قرارات الامم المتحدة بشأن الفلسطينيين وتمسك بنوقها - انتفاضة شعبية في المناطق المحتلة تأييدا لمنظمة التحرير الفلسطينية - اسرائيليون يدعون الى تغيير سياسة حكومتهم - اهداف الخطة الاقتصادية الجديدة : توفير العملة الصعبة ، منع البطالة وخفض مستوى المعيشة - ارتفعت نسبة المتصلين في حكومة رابين وتجددت المطالبة بحكومة تكتل وطني .

وتقرأ في العدد السادس :

الاسرائيليون يستمرون في عرض مواقفهم من القضية الفلسطينية - العرب في اسرائيل يعربون عن تأييدهم لمنظمة التحرير الفلسطينية - حملة من اجل حكومة تكتل وطني ... وحملة مضادة - اسرائيل ترد على قرارات الرباط والامم المتحدة بتقوية الاستيطان في المناطق المحتلة .

رئيس التحرير : صبري جريس

العنوان : ص.ب ١٦٩١ ، بيروت - لبنان ، تلفون ٣٥١٢٦٠/١
بدل الاشتراك السنوي : للحكومات ٩٠ ل.ل. ، للمؤسسات ٦٠ ل.ل. ، للأفراد ٣٠ ل.ل.

الشركة الاهلية للتوكيلات التجارية

ص.ب ٤٤٣٢ - طرابلس - هاتف ٤١٤١٣ - ٣٩٨٧٤

ص.ب ٩١١ - بنغازي - هاتف ٩٣٦١٦٠٠

وكلاء وحيدون لأكبر الشركات العالمية

اولبقة

البابي PYE

دوفر اغنر

اثاث معدني للمكاتب

موبيل است

STANDARD ALUMINIUM

Engineer

JOSEPH NAIFEH

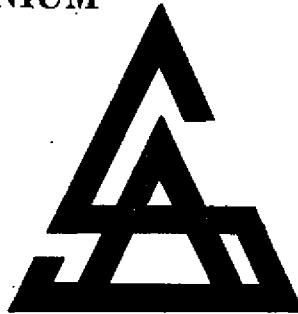
Technical manager

HENRI STEVENS

Special extruded profiles
assembled at 45° for all

types of aluminium joinery

Technical office for the study of all
types of aluminium construction as
curtain walls, internal partitions etc...



ستاندرد المنيوم

المهندس جوزيف نايفه

المدير الفني هنري ستيفنس

بروفيله المنيوم خاص لجميع
انواع المنجور يفصل ويجمع
على ٤٥ درجة .

مكتب فني لجميع دروس الالمنيوم مثل
المقاطع الداخلية والحيطان الخارجية
الخ... الخ.

BEIRUT — P.O.B. 195058 MAZRAA
TEL. 348756/7 - 269784

بيروت - ص.ب ١٦٥٠٥٨ المرمة
تلفون ٢٦٩٧٥٦/٧ - ٢٦٩٧٥٤

شركة سيتكسكو المحدودة

١٠ شارع جدة - طرابلس ، الجمهورية العربية الليبية

هاتف ٣٦١٩٩ - ص.ب ٢٤٨

تقوم بجميع تعهدات التصميمات الحديدية والمعدنية في كافة انحاء الجمهورية العربية الليبية وخدمات الشؤون البترولية مع جميع الشركات ذات الاختصاص

ساسى سالم يونس

هاتف ٤٣١٨٦ - ص.ب ٣١٧٣

طرابلس - الجمهورية العربية الليبية

تجارة - مقاولات

وكلاء تجاريين

الشركة الليبية لصناعة المعكرونة

الجمهورية العربية الليبية - طرابلس

قرجي - هاتف ٧٢٠٨٦ - ٧٢٠٩٧

ص.ب ٦١٥٨

اطلب منشورات مركز الابحاث - منظمة التحرير الفلسطينية

ومجلة

شؤون فلسطينية

في

الجمهورية العربية السورية

من

مكتبة دار ميسلون

هاتف ١١٣٥٩ - ص.ب ٢٦٧٨ - دمشق

شركة الانشاءات العسكرية والمدنية
ش.م.ل.



هاتف ٤٤٧٥٦ - ٤٤٧٥٧ ، ص.ب ٨١٨٥

طرابلس - الجمهورية العربية الليبية

الشركة الليبية العامة لانشاء وصيانة الطرق

هاتف ٣١٠١٧ - ص.ب ٢٦٧٦

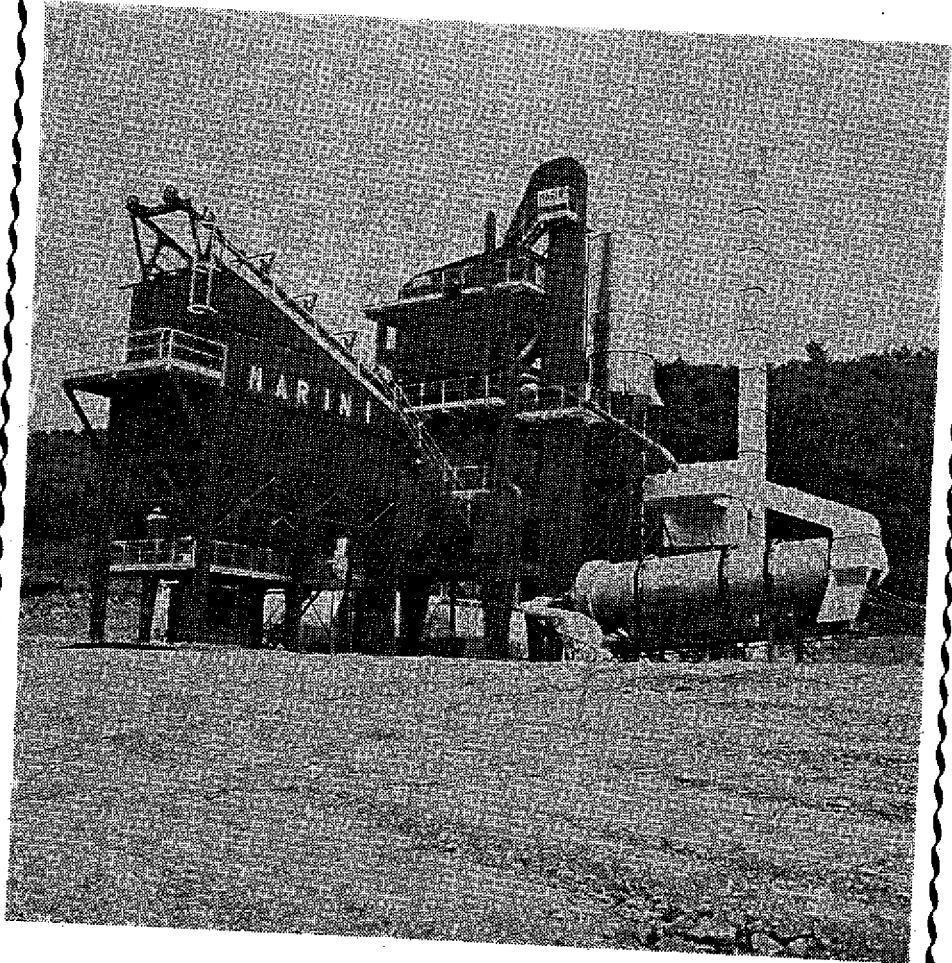
شارع الجمهورية - طرابلس

الجمهورية العربية الليبية

عمر السويحلي

هاتف ٣٥٥٤٧ - ص.ب ٢٩١٤
طرابلس - الجمهورية العربية الليبية

تجارة ومقاولات عامة



احدى الخلاطات الضخمة سعة ١٢٥ م٣ تعمل في احد المشاريع

بمناسبة عيد الاضحى المبارك

شركة حقبق لتوريدات حقول البترول

تهنىء الاخوة رئيس واعضاء مجلس قيادة الثورة في الجمهورية العربية
الليبية بهذه المناسبة كما تهنىء الشعب الليبي والشعب العربي والاسلامي
وتمنى من الله ان يعيده عليهم بالخير واليمن والبركات .

شركة حقبق لتوريدات حقول البترول

شارع عمر المختار - عمارة بن ساسي
هاتف ٣٠٦٠٢ - ص.ب ٢٤٢١

طرابلس - الجمهورية العربية الليبية

شركة أم الجوابي للنفط

تتقدم بأحر التهاني والتبريكات

الى الشعب العربي الكريم بمناسبة عيد الاضحى المبارك اعاده الله
على الامة العربية جمعاء بالخير واليمن والبركة كما تنتهز مناسبة
اعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية لتهنىء الاخوة المسيحيين متمنية
لهم دوام الصحة والسعادة .

شركة أم الجوابي للنفط ش.م.ل.

ميدان غزوة الخندق - طرابلس

الجمهورية العربية الليبية

شركة أم الجوابي للنفط

شركة مساهمة ليبية

نبذة عن هيكل الشركة والنشاطات التي تقوم بها

أنشأت الشركة بموجب قانون التأميم رقم ١١ لسنة ١٩٧٤ م وحلت محل شركة الزيت الامريكية العاملة نيابة عن شركتي تكساس اويل كومباني وستاندرد اوف كاليفورنيا وكانتا تملكان عقود الامتياز المؤممة مناصفة وتديرها باسميهما شركة الزيت الامريكية عبر البحار وهي مملوكة أيضا لنفس الشركتين، عدد عقود الامتياز ١٤ عقدا منها حقين منتجين بعد عمليات استكشافية تمت في اغلب عقود الامتياز بصفة اولية . الحقول مجهزة لانتاج من ٣٥.٠٠٠ الى ٤٠.٠٠٠ برميل يوميا .

وعدد العاملين في الشركة حوالي ٩٣٤ موظفا منهم حوالي ١٨٤ اجنبيا ، يعمل منهم في الحقول ٤٠٩ عمال وموظف من الوطنيين و ٨٨ اجنبيا والباقي بمكاتب وورش الشركة في المركز الرئيسي بطرابلس .

ويقدم للعاملين بالحقول خدمات مختلفة من طبية وتعليمية واجتماعية كما تقدم لهم الوجبات على حساب الشركة علما بأن الشركة تقوم بنقل هؤلاء العمال والموظفين من طرابلس والمكس على طائرات مؤجرة لهذا الغرض .

الإدارة :

يدير الشركة الآن مجلس ادارة مكون من رئيس وعضوين يتبعهم جهاز اداري مكون من الادارات الآتية :

الإدارة القانونية - ادارة الهندسة - ادارة الاستكشاف - ادارة الانتاج - ادارة الخدمات الفنية - ادارة الممتلكات - ادارة الخزانة - ادارة التخطيط والاقتصاد - ادارة شؤون الموظفين - ادارة التدريب والتطوير - ادارة تنسيق المعلومات - قسم المراجعة الداخلية وقسم الامن والسلامة .

إدارة التدريب والتطوير

انشئت هذه الادارة حديثا بعد ان كانت مجرد قسم يتبع لادارة شؤون الموظفين نظرا لأهمية التدريب في تكوين وخلق العناصر المدربة والكفؤة لاحتلالها محل الاجانب مستقبلا في تشغيل وصيانة وادارة الحقول وقد وجد مجلس الادارة ان انشاء هذه الادارة امر ضروري للتركيز على التدريب ، والتدريب يشمل التدريب المهني بالاضافة الى ايفاد بعثات تعليمية في الكليات المختلفة والجامعات وفي مختلف التخصصات كهندسة البترول والجيولوجيا وهندسة الانشاءات وغيرها من التخصصات ، هذا بالاضافة الى برنامج محو الامية والاشراف على برامج تعليم اللغة الانكليزية .

الامن والسلامة :

يشرف القسم على سلامة الحقول من جميع الاخطار المتعلقة بالمعدات الفنية والانابيب وغيرها المعرضة للحرائق بسبب طبيعة المادة المنتجة وهي النفط والغاز. عدد الحقول التي تمتلكها الشركة كما سبقت الاشارة ١٤ منطقة امتياز منها منطقتان منتجتان حاليا وهما منطقة النافورة ومنطقة البيضاء .

وتنوي الشركة استئناف العمليات الاستكشافية في مناطق الامتياز الاخرى في المستقبل القريب كما ان الشركة تدير حقل انتاج مشترك هو حقل (النافورة اوجلة) مع شركة اوكسدنتال وحقل انتاج مشترك هو حقل (الدور منصور) مع مجموعة شركات تملك حقل المنصور منها شركة اكيان والشركة الاسبانية للبترول . وشركتان اخرى .

النشاطات بعد التاميم :

كان التركيز منذ التاميم للشركة قائما على المحافظة على برامج الانتاج القائمة وصيانة وتشغيل المعدات الموجودة في الحقول والمحافظة على مستوى الانتاج وكفاءة عمليات التشغيل المختلفة بالاضافة الى اعادة تنظيم الشركة اداريا للتمشي مع خطط التوسع المستقبلية .

الخطط المقبلة للتوسع والتطور :

بالاضافة الى برامج الاستكشاف والحفر التي تنوي الشركة القيام بها في عدة مناطق امتياز ، تعمل الشركة على اعداد الخطط الخاصة بتطوير المناطق المكتشفة والحقول المنتجة لزيادة تطورها ، كما ان هناك خططا لاستكمال المعدات والالات اللازمة لتطوير المناطق المنتجة حاليا .

التصرف في الغاز المنتج :

يعاد حقن جزء من الغاز المنتج ويستعمل جزء من المتبقي لتشغيل بعض المعدات اما الباقي فينقل عبر انابيب خاصة الى مصنع الغاز الذي تملكه شركة اسو .

شركة ام الجوابي للنفط ، ش.م.ل .

ميدان غزوة الخندق - طرابلس

الجمهورية العربية الليبية



شارع بشاره الخوري - بناية مكرزل -

هاتف ٢٩١٤١١ - ص.ب ١١٢٤٩٩

للطباعة والنشر والتوزيع

تقدم

مختارات

ساطع الحصري

في جزئين ، ٦ ، ٨ ل.ل.٠

في حيفا . قصة نشوء التنظيم وطريقة نشاطه وعلاقاته بقيادة المنظمات في الخارج ، حتى اكتشافه . لا يمكن فهم حقيقة المقاومة في الارض المحتلة بدون قراءة هذا الكتاب .

ميزان التسليح العربي الاسرائيلي

منذ حرب اكتوبر ١٩٧٣

تقرير للمعهد الامريكى للابحاث السياسية

تقديم ومراجعة: احمد الخالدي ٢ ل.ل.٠

المعهد الامريكى للابحاث السياسية يوازي معهد الدراسات الاستراتيجية في بريطانيا . ولكن المعهد الامريكى يتميز بنفذه الكبير في دوائر الخارجية والخبرات والدفاع ولجان الكونغرس الامريكى ، وهو بذلك اقدر على معرفة ادق تفاصيل العلاقات الامريكى الاسرائيلية والحجم الحقيقي لمساعدات امريكا العسكرية لاسرائيل ، وانواعها . وتناقش الدراسة احتمالات انفجار صراع نووي في الشرق الاوسط .

دليل الطائرات العسكرية والمدنية

اعداد بسام يونس

مراجعة : المقدم الهيثم الايوبي ٥ ل.ل.٠

اول دليل باللغة العربية ، بالصور ، عن مئة وخمس وعشرين طائرة عسكرية ومدنية ، مع كل تفاصيلها الفنية اللازمة ، واستخداماتها المختلفة .

تاريخ فلسطين

((للشباب والاسرة))

د. محمود زايد

اول تاريخ مبسط للقضية الفلسطينية من ١٩١٤ الى ١٩٤٨ ، وتقدم القضية للشباب والفئة وجميع افراد الاسرة بشكل مشوق وواف وعلمي . دليل القضية الفلسطينية لكل اسرة عربية .

مختارات للمفكر العربي الراحل ، كان قد اختارها بنفسه في سنواته الاخيرة ، وتولى مراجعتها لدار القدس ابنه الدكتور خلدون الحصري . ويمكن القول ان هذه المختارات تتضمن خلاصة افكار ساطع الحصري في قضايا الامة والوحدة والثقافة ، التي تمثل القواعد الاساسية للمفاهيم القومية الحديثة .

استراتيجية المستقبل

الجنرال اندريه بوفر

تعريب : اكرم الديري ٤ ل.ل.٠

اهمية هذا الكتاب هي قدرة الجنرال بوفر على عرض المشكلات العسكرية المعاصرة على الاختصاصيين والقراء العاديين ، معا . ويناقش الكتاب حروب المستقبل ، سواء بالاسلحة النووية او التقليدية ، ويستعرض بعض جوانب الصراع العسكري بين العرب واسرائيل .

قصة النفط

مازن البندك ٨ ل.ل.٠

عرض موجز وواف ، في عشرة فصول ، لصناعة النفط من بدايتها ، والتاريخ السياسي للامتيازات في الوطن العربي ، والكارتل ، وتأثير النفط العربي في اقتصاديات الدول الصناعية الكبرى ، واحتمالات المستقبل وبدائل النفط ، والاوبيك ، وقضايا التاميم والمشاركة . دليل سياسي واقتصادي لكل مواطن عربي .

المجموعة ٧٧٨

توفيق فياض ٥ ل.ل.٠

رواية تسجيلية لاخطر تنظيم فدائي فلسطيني في الارض المحتلة ، الذي قام بنسف مصالي النفط

قضايا عربية

تقرأ في العدد التاسع (يناير ، كانون الثاني ١٩٧٥)

- د. عبد الوهاب الكيالي في الذكرى العاشرة لانطلاق « فتح »
اللغة والحضارة
د. ابراهيم السامرائي
المعنى في الفلسفة والادب
د. زكي نجيب محمود
التبعية النفطية في الخليج بين التجديد والمراجعة
د. عصام الزعيم
الخصائص الهيكلية للاقتصاد اليمني
د. عبد الحميد الغزالي
التربية العربية واقعا ومرتجاها
د. اسعد رزوق
الشرق الاوسط في مرآة الدراسات الغربية
محمود امين العالم

صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر

الفن العراقي القديم

سومر وبابل واشور

د. ثروت عكاشة

هو جهد فني موسوعي ضخم وعمل كبير اتسعت له سنين طويلة قضاها المؤلف في التجميع والاستقراء والعرض والمتابعة وهو ينم عن حس جمالي مرهف وايمان شديد برسالة الفن والثقافة .

يطوف بنا المؤلف في رحلة فريدة بين لوحات وتمائيل وابنية ونقوش وتصاوير ، وكاننا في ردهات متحف اسطوري يستيقظ فيه التاريخ على تلك الارض العربية القائمة على جانبي دجلة والفرات .

تقع هذه الموسوعة في ٦٦٠ صفحة من الحجم الموسوعي الكبير وتحتوي على ١٣ صورة ملونة وعشرات الصور التي لم يسبق نشرها في اي كتاب آخر وتضم فهرس المدن والاعلام ومطبوعة في غاية الاناقة والجمال .

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): Lebanon and Syria LL 50, other Arab countries LL 60 or equivalent, Africa and Europe LL 80, elsewhere LL 100; *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World LL 50. *Address*: P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٣ ١/٢ ل.ل. في لبنان
٤ ل.س. في سوريا
٤٥٠ فلساً في الكويت والعراق
٤ ١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية